

مَجَلَّةُ

الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ

مركز تقيت كميونير علوم ورسدي

« جزء خاص بذكرى البدء بإصدار المجلد الأربعين »



كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٥ م

شعبان سنة ١٣٨٤ هـ

مجلة المجمع العلمي العربي دمشق

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

نصر أربعة أجزاء في السنة



قيمة الاشتراك السنوي { في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري }
وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي نضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن
آرائهم الشخصية .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

المجمع العلمي العربي بدمشق

هذه خلاصة جد موجزة في تأسيس المجمع العلمي العربي ، وفي أهم الأعمال التي اضطلع بها^(١) . ومن أراد زيادة في ذلك ، حتى سنة ١٩٥٦ ، عليه بمراجعة الكتاب الذي أصدره المجمع في السنة المذكورة بعنوان « تاريخ المجمع العلمي العربي » لمؤلفه الأستاذ أحمد الفتيح .

نبذة تاريخية . — قلت في كتاب القومية العربية (ص ٢٩٦) :

« . . . أما عهد الأتراك العثمانيين ، منذ احتلالهم للديار العربية في القرن العاشر للهجرة حتى خروجهم منها عقب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ للميلاد ، فقد كان في الجملة أسوأ عهد مرّ على العربية وآدابها ؛ ذلك بأن الممالك من أترك وشراكسة كانوا قبل الأتراك العثمانيين يسكنون مصر والشام ، ويتعلمون العربية ، وكانت لغتنا في أيامهم هي لغة الحكومة الرسمية . أما الأتراك العثمانيون فقد اتخذوا اسطنبول عاصمة لهم ، وجعلوا التركية وحدها لغة حكومتهم الرسمية حتى في بلادنا العربية . وكان ذلك ضربة أصابت لغة القرآن في الصميم . ولم تشف لغتنا الضادية من تأثير هذه

(١) عندما توحدت مصر وسورية في أول شباط « يونية » سنة ١٩٥٨ وجد المجمع العلمي العربي في دمشق وبحم اللغة العربية في القاهرة فائدة في دمج الجمعين في جمع واحد على أن يكون له فرعان فرع في دمشق وفرع في القاهرة ، وعلى أن نظل أعمال كل من الفرعين تسير كما كانت تسير عليه في السابق . وبذلك أوجد تعاون وثيق بينهما واختصاص في بعض الأعمال . وصار اسم مجتمنا بجمع اللغة العربية بدمشق . ولكن مجلته ظلت محتفظة باسمها السابق لشهرته .

الضربة إلا بعد أن انفصلت مصر عن الدولة العثمانية في القرن الماضي ، وانفصلت عنها الشام والعراق واليمن وأجزاء المملكة العربية السعودية عقب الحرب العالمية الأولى .

ولم يكن من المعقول أن تهتم حكومات الدولة العثمانية باللغة العربية إلا بقدر ما كانت تحتاج اليه منها في تعليم لغتها التركية العثمانية . فقد كانت ألوف من ألفاظ الحضارة ولا سيما من المصطلحات العلمية العربية قد أدخلت في اللغة التركية . ولكن علماء الترك ما كانوا حريصين على صحة الألفاظ العربية التي ينقلونها الى لسانهم ، وكانوا يحورون بعض تلك الألفاظ على هوامم أحياناً .

ويتضح من ذلك أنه عندما ظهرت طلائع النهضة الحديثة في الشام في القرن الماضي ، وأخذت تمتد وترسخ في أوائل القرن الحاضر ، لم يكن لتعليم العربية حظ يذكر إلا في المدارس الأهلية والمدارس الأجنبية التابعة للإرساليات الدينية . وكانت مقبلة اتخاذ اللغة التركية لغة رسمية في دوائر الحكومة وفي المحاكم والمدارس الحكومية أن صار معظم موظفي الحكومة ضعافاً في العربية ، وصار كتاب الصحف العربية القليلة يكثر من استعمال الكلمات المغلوطة فيها .

ولذلك عندما انفصلت ديار الشام وغيرها عن الدولة العثمانية في خريف سنة ١٩١٨ ، وقامت في سورية الحكومة العربية السورية ، برزت فيها حركة قومية قوية ترمي الى نقل سجلات الحكومة وقوانينها وأنظمتها الى العربية ، والى نشر التعليم بلساننا ، والى تأليف كتب مدرسية عربية لتدريس مختلف العلوم العصرية في مدارس الحكومة ، وفي الجيش العربي الذي كان نشأ قسم منه في الثورة العربية في الحجاز ، ونشأ القسم الثاني بعد دخول القسم الأول الشام في الطليعة مع سائر جيوش الحلفاء سنة ١٩١٨ للميلاد .

وكانت الحكومة العربية السورية في تلك السنة حكومة عسكرية سرعان ما أدركت أن الحاجة ماسة الى رهط من الأدباء والعلماء واللغويين العرب يعملون على تصحيح لغة الموظفين في الحكومة ، ويشرفون على لغة الكتب المدرسية في المدارس العسكرية والمدنية ، ويضعون المصطلحات العلمية العربية أو يحققونها ، فألفت في جملة ما ألفته شعبة حكومية سميتها « شعبة الترجمة والتأليف » أخذت على عاتقها تحقيق هذه الأغراض ، مستعينةً بمن كان لهم نصيب من إتقان اللغة العربية ، ولهم معرفة بالمصطلحات العربية لكتب التدريس التي كان يجب أن تُنقل من التركية الى العربية .

ولم يدم استقلال هذه الشعبة إلا بضعة أشهر^(١) فقد رأت الحكومة العسكرية أن تجمع شؤون التعليم والتربية والثقافة واللغة والآثار والمكتبات العامة في ديوان واحد سمته « ديوان المعارف » . ولذلك أدمجت الشعبة فيه^(٢) . ولكن الحكومة عادت ففصلتها عن ديوان المعارف ، بأمر من حاكم سورية العسكري العام^(٣) عندما ازدادت أعمال التربية والتعليم من جهة ، وأعمال اللغة والمكتبات والترجمات والآثار من جهة ثانية .

والأمر المذكور مؤرخ في الثامن من حزيران سنة ١٩١٩ ، وهو يقضي بقيام المجمع العلمي ، ولهذا يُعتبر تاريخ الأمر تاريخ تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق . وقد جاء في الأمر الى جانب « المجمع العلمي » كلمة (أقاده مي) كذا بين قوسين ؟ ويتبين من ذلك أن المجمع ليس مجمعا للعلوم^(٤)

(١) من الثامن والعشرين من تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩١٨ م حتى الثاني عشر من شباط « فبراير » سنة ١٩١٩ .

(٢) ظلت مندمجة فيه من الثاني عشر من شباط « فبراير » سنة ١٩١٩ حتى الثامن من حزيران « يونيو » سنة ١٩١٩ .

(٣) وكان الفريق علي رضا الركابي .

(٤) Académie des sciences

على حسب الاصطلاح الأوربي الحديث ، بل هو مجمع للعلوم اللغوية والأدبية خاصة على حسب ما كان مألوفاً عند العرب في مثل هذه التسمية . أما كلمة العربي التي أضيفت الى « المجمع العلمي » فقد كانت صفة له ، لأن الدولة العربية التي قامت بدمشق في ذلك الزمن كانت تعتبر نفسها دولة جميع العرب المنفصلين عن الدولة العثمانية ، وكانت تنعت مؤسساتها الحديثة بهذا النعت في مثل قولها دار الآثار العربية ودار الكتب العربية وهكذا .

وتولى الأستاذ محمد كرد علي رئاسة المجمع ، وهو يعد صاحب الفضل في تأسيسه . وكان أعضاؤه في سنة ١٩١٩ فريقين : أعضاء عاملين ، وأعضاء شرف مؤازرين . فأما العاملون فكانوا الأساتذة سعيد الكرمي ، وأمين سويد ، وأنيس سلوم ، وعبد القادر المغربي ، وعيسى اسكندر المعلوف ، ومترى قندلفت ، وعز الدين علم الدين التنوخي . ثم انضم اليهم الشيخ طاهر الجزائري بعد أن عاد من مصر في تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩١٩ م . وأما أعضاء الشرف المؤازرون الذين انتخبهم الأعضاء العاملون في أول جلسة عقدوها في ٣٠ من تموز « يوليو » سنة ١٩١٩ فهم : المطران ميخائيل بخاش (مطران السريان الكاثوليك) ، وعبد القادر المبارك ، ورشيد بققدونس ، ومحمد الخضر التونسي ، ومحسن الأمين العاملي ، وسليم المنحوري ، وفارس الخوري ، والطبيب عبد الرحمن الشهبندر ، والطبيب مرشد خاطر وحسين عوني القضايني (١) .

وفي العشرين من ايلول « سبتمبر » سنة ١٩١٩ أذاع رئيس المجمع بالعربية والفرنسية بياناً وجهه إلى الجامعات والمجلات المشهورة أنبأهم فيه بتأليف المجمع العلمي العربي ، وبالمهام التي سيضطلع بها ، وخلاصتها على ما جاء في ذلك البيان :

(١) لم يبق على قيد الحياة ، من جميع الأعضاء الأولين المار ذكرهم . سوى زميلنا اللغوي عز الدين التنوخي ، مد الله في عمره ، وكان في سنة ١٩١٩ أصغر الأعضاء سناً .

١ - النظر في اللغة العربية وأوضاعها المعاصرة ، ونشر آدابها ، وإحياء مخطوطاتها ، وتعريب ما ينقص فيها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوروبية ، وتأليف ما نحتاج إليه من الكتب ، في موضوعات مختلفة ، وعلى أساليب حديثة .

٢ - جمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات وأوانٍ ونقود وكتابات وما شاكل ذلك ، ولا سيما ما كان منها عربياً ، على أن يؤسس متحف يشتمل عليها .

٣ - جمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفريقية على اختلاف موضوعاتها ، وتأسيس مكتبة عامة وغرف المطالعة .

٤ - إصدار مجلة اسمها « مجلة المجمع العلمي العربي » تُنشر فيها أعمال المجمع وأفكاره ، وتكون رابطة بينه وبين الجامعات العلمية ، والجامعات ، ودور الآثار ، ودور الكتب ، وأمّهات المجالات في الغرب والشرق .

واتخذ المجمع مقره في المدرسة العادلية بعد أن أصلحها . وهي تقع على مقربة من الجامع الأموي الكبير . وتعد من أشهر مدارس دمشق القديمة . بناها الملك العادل ودفن فيها سنة ٦١٥ هـ في قبة كبيرة . والملك العادل هو شقيق الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي . وما برج المجمع مقيماً في بناء هذه المدرسة حتى يومنا هذا .

وأمام بناء المدرسة العادلية يقوم بناء أثري كان شيده الملك الظاهر بيبرس البندقداري واتخذته مدرسة . وبعد وفاته سنة ٦٧٦ هـ دفن فيه في قبة جدرانها محلاة بالفسيفساء والنقوش العربية الجميلة . وقد أصلح المجمع هذا البناء واتخذته مكتبة عامة وغرفاً للمطالعة . وظل اسمه المكتبة الظاهرية على ما كان معروفاً منذ زمن الشيخ طاهر الجزائري .

نشاط المجمع وأهم أعماله . — من أهم أعمال المجمع أولاً السهر على صحة

اللغة وعلى غوها ، ثانياً جمع الآثار القديمة في متحف . ثالثاً بث الثقافة العربية والثقافة العامة ، وذلك بإلقاء محاضرات عامة في ردهة المجمع ، وبتحقيق المخطوطات العربية وطبعها ، وإدارة مكتبة المجمع والمكتبة الظاهرية ، وإقامة الحفلات والمهرجانات والمؤتمرات اللغوية والأدبية والعلمية ، وإصدار مجلة المجمع .
وهاكم كلمات موجزات في أهم الأعمال التي اضطلع بها المجمع في الماضي والتي ما برح يضطلع بها في الحاضر .

موضوع اللغة والمصطلحات . — لم يكند المجمع يباشر عمله في خريف

سنة ١٩١٨ بامم « شعبة الترجمة والتأليف » حتى شرع في وضع جملة من المصطلحات العربية للجيش العربي في سورية . وكان لهذه المصطلحات تأثيرها الفعال في نقل التعليم في الجيش وفي المدارس العسكرية من التركية إلى العربية . ولما احتل الجيش الفرنسي سورية في صيف سنة ١٩٢٠ ، نُقلت هذه المصطلحات إلى العراق ، فكانت نواة للقاموس العسكري الذي وُضع بعدئذ للجيش العراقي .

وعندما أخذت دوائر الحكومة العربية السورية تنقل القوانين والأنظمة والتعليمات من التركية إلى العربية ، بين أواخر سنة ١٩١٨ وأواسط سنة ١٩٢٠ ، كانت تبعث إلى المجمع بقوائم من الألفاظ التركية ، والألفاظ العربية المحرفة والمغلوط فيها ، فيضع الألفاظ العربية المقابلة للألفاظ التركية ، ويصحح الألفاظ العربية غير الصحيحة ، ويعيد بعضها جميعاً إلى مرسلها . فمن الأمثلة على ذلك أن معظم الموظفين العرب في الدولة العثمانية كانوا يجيئون استعمال ألفاظ الشرطة والدرك والمفوض والأذن والتعليم والطابع والفراش والخزاف والحاشية والإحصاء والتقرير والإضبارة والتقويم الخ . ويستعملون بدلاً منها الألفاظ

المتداولة في التركية العثمانية وهي على التتابع : البوليس والجندرمه والكوميسيير والنوبتجي والطاير والبول والأوطمجي والقاصة والدركنار والإستاتستيق والرابور والدوسية والروزنامه وهكذا .

وعاشت الألفاظ التي وضعها أو حققها المجمع ، وتغلبت على ألفاظ الدولة العثمانية إلا قليلا ، مثل كلمة الدورية القديمة فلم ترحزها كلمة العسس التي وضعها المجمع ، ومثل قوائم المزداد فلم تحل محلها جرائد المزداد .

وقد ارتقت لغة دوائر الحكومة السورية منذ ذلك الزمن ، وعُدت في الجملة أصلح من أشباهها في سائر الدول العربية .

ولم يقتصر المجمع على النهوض بلغة الدواوين والموظفين بل تجاوز ذلك ، في أول حياته ، إلى مراقبة لغة الكتب المدرسية ، فما كان يُطبع منها كتاب ما لم يوافق المجمع على لغته وعلى موضوعه . وقد صحح المجمع لغة بعض القوانين كقانون التعليم الابتدائي وقانون الصحة العامة وقانون الحاجر الصحي وعدد من القوانين المالية .

ولعل أهم عمل أناه المجمع في خدمة اللغة العربية إصداره مجلته هذه ، لما اشتملت عليه من البحوث في فقه اللغة ، وعثرات الكتاب ، وشؤون المصطلحات وغير ذلك مما سيجيء ذكره .

تأسيس متحف الآثار . — كانت آثار الشام في زمن الدولة العثمانية

نهباً مقسماً بينها وبين بعثات التنقيب والتجار والاصوص . ولم تفكر تلك الدولة قط في تأسيس متحف واحد في ديار الشام كلها . وكانت البعثات الأجنبية للآثار والعماديات تنقب عنها في أنحاء مختلفة من بلادنا ، فتبعث بقسم مما تعثر عليه منها الى متحف إسطنبول ، وتبعث بقسم آخر أي بحصتها الى متاحف بلادها . وكانت تجارة الآثار رائجة في ذلك الزمن ، ولذلك غصت متاحف أوربة بآثار الشام .

فلما قام المجمع العلمي العربي سنة ١٩١٩ اهتم بموضوع الآثار ، وهاله انتقالها بشتى الوسائل الى البلاد الأجنبية ، فراجع الحكومة العربية السورية في أمرها ، واستصدر منها قراراً يقضي بإنشاء متحف في دمشق تابع للمجمع ، فأنشأه المجمع في السنة المذكورة وراح يجمع فيه مختلف الآثار الحجرية والخشبية والزجاجية والنقدية والأسلحة والفاشاني وغيرها ، إما شراءً ، أو استهداءً ، أو مصادرةً ، أو اتفاقاً مع بعثات التنقيب .

وظل المجمع يجمع في عمله هذا إلى أن كبر المتحف ، فاستقل عن المجمع في سنة ١٩٢٨ م ومع هذا ظلت الآثار في غرف المجمع ، وظل رئيس المجمع رئيساً لمجلس إدارة دار الآثار أي المتحف حتى سنة ١٩٣٧ ، وهي السنة التي شُيّد فيها بناء المتحف الحالي ، واستقلت فيها مديرية الآثار العامة مالياً وإدارياً .

بث الثقافة العربية والثقافة العامة

(١) المحاضرات العامة . — بدأ أعضاء المجمع وغيرهم ، في ربيع سنة ١٩٢١ ، يلقون محاضرات عامة على الجمهور ، في قاعة المجمع للمحاضرات . ودام عملهم هذا حتى ربيع سنة ١٩٤٦ ، مع انقطاع دام تسع سنوات لأسباب شتى ، فبلغ مجموع تلك المحاضرات قرابة أربعمئة محاضرة في مختلف الموضوعات الثقافية .

وقد كف المجمع عن هذا العمل التثقيفي المفيد بعد أن كثرت الأندية والجمعيات الأدبية في دمشق ، وأصبحت المحاضرات العامة تُلقى فيها وفي قاعة المحاضرات التابعة للجامعة السورية ، وعندئذ رأى المجمع أن يقصر نشاطه على عمله الأساسي وهو خدمة اللغة وآدابها ونشر تراث الأجداد .

وكانت محاضرات المجمع تلقى على الجمهور مرةً في كل أسبوعين . ولما ازداد الإقبال عليها صارت تلقى مرة في كل أسبوع .

وكان معظم المحاضرين من أعضاء المجمع . ولكنه لم يكن محظوراً على المعروفين من غير أعضائه أن يلقوا محاضرات في ردهته سواء على الرجال أو على النساء . ومن الطبيعي أن تكون درجات المحاضرين والمحاضرات متفاوتة في ذلك الزمن . ومع هذا استطاع المجمع أن يصدر ثلاث مجلدات من المحاضرات في كل مجلدة بحوث ثمينة لعلماء وأدباء مشهورين ، منهم المتوفون مثل الرئيس محمد كرد علي ، والشيخ عبد القادر المغربي وعيسى اسكندر المعلوف والأمير شكيب أرسلان وخليل مطران وأحمد أمين والدكتور مرشد خاطر ومحمد اسعاف النشاشيبي وغيرهم ، ومنهم الأحياء من أعضاء المجمع وغير الأعضاء ولهم جميعاً في المجلدات الثلاث المذكورة محاضرات كثيرة في الأدب واللغة والفلسفة والتاريخ والرحلات وغيرها .

وكانت المحاضرات كافة تعرض قبل إلقائها على لجنة تنظر في موضوعاتها ، وكانت هذه اللجنة تتألف من الأساتذة فارس الخوري ومسعود الكواكي وعارف النكدي وكاتب هذه السطور . أما لغة المحاضرات فكان ينظر فيها الأساتذة عبد القادر المبارك وسليم الجندي وخليل مردم بك .

ومن الأمور المعروفة أنه كان لمحاضرات المجمع ، على اختلاف موضوعاتها ، تأثير ثقافي يذكر ، في زمن كانت قاعة المجمع المكان الوحيد الذي تلقى فيه أمثال تلك المحاضرات .

(٢) تحقيق المخطوطات العربية وطبعها . — كلنا نعرف أن تراث الأجداد من المخطوطات يعد كنزاً ثميناً ، وأن في جملة هذه المخطوطات ، التي فقدنا الكثير منها ، نفائس يجب العمل على تحقيقها ونشرها . فالمجمع لم يتمكن ، في بدء حياته ، من القيام بهذه المهمة لصغر ميزانيته

والضرورة إنفاق المال على الشؤون التأسيسية كترميم الأبنية الأثرية ، وشراء الكتب والمخطوطات والآثار ، وإصدار المجلة ؛ ولذلك اقتصر عمله ، في هذه الناحية ، حتى سنة ١٩٤٤ ، على طبع رسائل مستلة من المجلة أو طبع كتب صغيرة . ومنذ السنة المذكورة أخذ نشر المخطوطات يزداد فاستطاع المجمع أن ينشر حتى سنة ١٩٥٦ نحو ثلاثين كتاباً منها ديوان الوليد بن يزيد ، ورسالة الملائكة للعري ، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ، والمستجدات من فعلات الأجواد للمُحَسِّن ابن علي التنوخي ، وكتاب الأثرية لابن قتيبة ، والدارس في تاريخ المدارس للنعماني ، وديوان علي بن الجهم ، وديوان الوأواء الدمشقي ، وديوان ابن حَيَّوس ، وديوان ابن أبي حصينة ، ومجلدتان من تاريخ ابن عساكر ، والرسالة الجامعة للجريطي ، والجزء الثاني والثامن من كتاب جامع التواريخ المسمى بكتاب « نَشْوَار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي المُحَسِّن بن علي التنوخي ، وكتاب بحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي ، وفضائل الشام ودمشق لعلي بن محمد الربيعي المالكي ، وجزء من خريدة القصر وجريدة العصر للمهاد الدين القرشي الأصفهاني ، وهو في شعراء الشام ، وتكملة لإصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي الخ .

وفي بضع السنوات الأخيرة أي بعد سنة ١٩٥٦ ازداد تحقيق المخطوطات ونشرها حتى أربى عددها فيها على خمسين كتاباً ورسالة . ومن أهمها كتاب الإبدال في جزءين ، وكتاب الإتياع ، وكتاب الأضداد في جزءين ، وكتاب المثني وكلها لأبي الطيب اللغوي . ومنها كتاب النوادر لأبي مسحل عبد الوهاب بن حريش الأعرابي وهو جزءان . ومنها إعتاب الكتاب لابن الأثير ، وأخبار البحري لأبي بكر الصولي ، وأسرار العربية لأبي البركات الأنباري ، وصفة الغيث والسحاب لابن دريد ، وجزءان من تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوري ، وجزءان من خريدة القصر للمهاد الأصفهاني

(أحدهما في فضلاء الحجاز واليمن) ، ومجلدة من تاريخ دمشق لابن عساكر ، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ، وكتاب الحيدة لعبد العزيز الكناني النخ .

ومن الكتب الحديثة التي نشرها المجمع في السنوات الأخيرة : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار ، وهو في ثلاثة أجزاء كبار ، ومنها الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره لسليم الجندي وهو أيضاً في ثلاثة أجزاء كبار يوشك طبع الثالث منها أن ينتهي ، ومنها معجم المصطلحات الحراجية (بالإنكليزية والفرنسية والعربية) لـ كاتب هذه السطور ، وفيه نحو ألف مصطلح 'عرِّفت بالعربية تعريفاً علمياً موجزاً' . ومنها ثلاثة أجزاء كبار لفهارس مجلة المجمع جاءت في ٢٤٠ صفحة .

(٣) المكتبة الظاهرية ومكتبة المجمع . - من أهم الأعمال التي يقوم بها المجمع إدارة شؤون المكتبة الظاهرية في دمشق . ويعود الفضل الأكبر في تأسيس هذه المكتبة إلى الشيخ طاهر الجزائري . فقد استطاع أن يجمع فيها ، في سنة ١٢٩٨ للهجرة ، ٢٤٥٣ كتاباً في علوم مختلفة ، معظمها مخطوطات كانت مبعثرة في المدارس القديمة التابعة للأوقاف كالعمرية وغيرها ، أما اليوم ففي المكتبة الظاهرية ٩٥٠٠ من المخطوطات و ٧٨٩٢١ من الكتب المطبوعة والمجلات العربية والأعجمية .

أما غرف المطالعة في المكتبة فقد بلغ معدل القراء فيها مائة قاريء في كل يوم وذلك في موسم الشتاء الماضي . أما في موسم الصيف فلم يزد معدلهم على ثلاثين قارئاً .

وأنشأ المجمع لأعضائه وللأساتذة مكتبة كبيرة فيها كثير من المراجع التي يحتاجون إليها في تهيئة بحوثهم ودراساتهم .

(٤) الحلقات والمهرجانات والمؤتمرات . — من تقاليد المجمع أن يقيم بين حين وآخر حفلة أو مهرجاناً أو مؤتمراً لغوياً أو أدبياً أو علمياً . فمن كرمهم المجمع مثلاً أحمد شوقي وحافظ ابراهيم ، ومن أبنتهم الشيخ طاهر الجزائري ، وأحمد كمال باشا الأثري ، ومحمود شكري الألومي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وأحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، ومحمد رشيد رضا ، وجميعهم من أعضائه المشهورين .

وأقام المجمع مهرجاناً كبيراً لمرور ألف سنة هجرية على وفاة المتنبي ، ومهرجاناً كبيراً أيضاً لمرور ألف سنة على مولد أبي العلاء المعري . وألقيت في المهرجانات محاضرات وبحوث وقصائد كثيرة .

وفي خريف سنة ١٩٥٦ أقيم في المجمع مؤتمر ضم ممثلين عن المجمع العلمي العربي والمجمع العلمي العراقي وجمع اللغة العربية في القاهرة ، وممثلين عن بعض الدول العربية التي ليس فيها مجامع . وأصدر مجعنا عدداً خاصاً من مجلته (الجزء الأول من المجلد الثاني والثلاثين) يشتمل على برنامج المؤتمر وبحوثه وقراراته .

(٥) مجلة المجمع . — لعل من أكثر أعمال المجمع فائدة إصدار مجلته هذه . فقد ظهرت للعلأ في أول سنة ١٩٢١ للميلاد الموافق للواحد والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ للهجرة . وكان المجمع يصدر جزءاً منها في كل شهر . ومنذ سنة ١٩٣١ صار يصدر جزءاً كبيراً في كل شهرين ، ثم منذ سنة ١٩٤٨ أخذ يصدر جزءاً أكبر في كل ثلاثة أشهر ، وصار المجلد السنوي مؤلفاً من أربعة أجزاء تصدر في انتظام بدءاً من أول السنة الميلادية .

ولم تتوقف المجلة عن الصدور منذ إنشائها الى اليوم إلا مرتين مرةً من ربيع سنة ١٩٣٣ الى ربيع سنة ١٩٣٥ ، وذلك لأسباب إدارية ومالية ، ومرةً من بدء سنة ١٩٣٨ الى بدء سنة ١٩٤١ ، وذلك لأسباب شق منها قيام الحرب العالمية الثانية .

وجملة ما صدر منها حتى الآن تسع وثلاثون مجلدة ، وهذه هي المجلدة الأربعون التي قرر مجلس الجمع أن يكون جزؤها الأول هذا ذكرى لصدور ذلك العدد الكبير من المجلدات .

وتشتمل المجلة على بحوث ودراسات كثيرة في اللغة العربية وآدابها ومصطلحاتها العلمية ، وعثرات الأقلام ، والأخطاء الشائعة ، وفي تاريخ العرب وتراث الأجداد من الخطوط ومن الخلفات الأثرية ، الى غير ذلك مما له صلة بلساننا وحضارتنا وثقافتنا في القديم والحديث . ومعظم كُتّاب المجلة من أعضاء الجمع المشهورين عرباً كانوا أو مستشرقين . ولغير الأعضاء أيضاً بحوث كثيرة مفيدة .

ومن خطط الجمع نشر محاضرات الأعضاء النفيسة في مجلته ، والتعريف بالكتب الثمينة التي تهدي الى مكتبته ، ومبادلة مجلة الجمع بمجلات الجامع والجامعات العربية والأعجمية .

وقد أصدر الجمع لمجلدات المجلة فهرساً في ثلاثة أجزاء كل جزء منها لعشر سنين من حياة المجلة ، ويصدر الجزء الرابع من الفهرس في انتهاء هذه السنة .

الخاتمة . — الجمع العلمي العربي بدمشق هو أقدم المجامع الحديثة في البلاد العربية . أعضاؤه العاملون عشرون . وأعضاؤه المرسلون من عرب ومستشرقين لا حد لعددهم . وللمجمع شخصية معنوية واستقلال مالي وإداري . وهو منذ سنة ١٩١٩ الى اليوم يعالج علوم لغتنا العربية ، ويحرص على سلامة هذه اللغة ، وعلى جعلها تتسع للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة . وهو أيضاً يتناول بالبحث تاريخ العرب ومدنيّتهم وتراثهم العلمي والأدبي وثقافتهم في القديم والحديث وصلة هذه الثقافة بالثقافات العالمية .

لغة العلم

أداة البحث ، ووسيلة الشرح ، ولا حياة لعلم بدونها . يلتقي عندها العلماء ، ويعول عليها الطلاب ، وعلى أساسها يقوم التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه . وهي لغة الوضوح والدقة ، والبيان والسرعة . يصطلح عليها العلماء ، فتصبح لغتهم الخاصة . ولكل علم مصطلحاته ، وكلما تقدم البحث فيه نمت وتباينت وتحدت . يبدأ المصطلح هزياً متردداً ، ثم لا يلبث أن يقوى ويستقر ، وتاريخ العلوم إلى حد ما تاريخ لمصطلحاتها .



ولو رجعنا إلى تاريخ العلم اليوناني لوجدنا أن لغته بدأت تتكون معه منذ القرن السادس قبل الميلاد ، ثم أخذت تنمو وتتضح في القرنين الخامس والرابع . فغذاها فيثاغورس برياضياته ، وأمدّها أبقراط بطبّه ، وأقام أرسطو دعائم لغة العلوم الطبيعية . وللعلوم الفلسفية والإنسانية لغتها ومصطلحاتها التي ساهم فيها أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وزينون وأبيقور . وقد انتقل قدر غير قليل من لغة العلم اليونانية إلى الثقافات اللاتينية والسريانية والعربية ، ولا تزال بعض آثارها باقية إلى اليوم في اللغات الأوروبية الحديثة .

ولم تنشأ لغة العلم في الإسلام دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت بنمو العلوم وتقدمها . فبدأت العلوم الدينية منذ القرن الأول للهجرة في تكوين لغتها ، وظهرت مصطلحات في الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها أخرى في الأخلاق والسياسة ، والطب والكيمياء ، والفلك والطبيعة . وخضع المصطلح العربي القديم لسنة النشوء والارتقاء ، فما تطور على مر الزمن . وعوّّل

واضعوه على النقل والاشتقاق ، ولم يبالوا بأن يكون عربياً أصيلاً أو معرباً دخيلاً ، وربما آثروا المعرب إذا كان أدخل في المعنى وأكمل في الأداء . وكثيراً ما يحمل التعريب شارة الأصل الذي نُقل عنه ، فتلاحظ الألفاظ الفارسية في مستحدثات الإدارة والحضارة ، واليونانية والسريانية في العلوم الفلسفية والطبيعية . وإذا ما لوحظ أن مصطلحاً لا يزدني معناه أداء كاملاً عدل عنه إلى ما هو أدق وأضبط .

وما إن حل القرن الرابع الهجري حتى اكتملت لغة العلوم في الإسلام ، واستقرت مصطلحاتها ، بحيث تنومي معناها الأول ، ولا يكاد يفهم منها إلا مدلولها العلمي الخاص . وتداولها الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم تختلف من قطر إلى قطر ، فكانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان . والفسطاط ودمشق ، وبغداد وأصفهان . وبدىء بتسجيلها في معجمات خاصة تحت اسم « مفردات » أو « تعريفات » ، ومن أوائلها « مفاتيح العلوم » للخوارزمي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع . ومن المصطلحات العربية ما انتقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ما مرى إلى اللاتينية بل وإلى بعض اللغات الأوروبية الحديثة كالإنجليزية والفرنسية .

ويوم أن ركذ البحث العلمي في الإسلام ، ركذت لغته معه فجمدت المصطلحات ، وأضحت ولا تجدد فيها ولا ابتكار ، وكان هم الخلف أن يردد ألفاظاً وصيغاً قال بها السلف ، وأصبحت اللغة العلمية ركيكة معقدة . ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة في القرن الماضي على فترة من البحث والدرس ، وحاولت أن تتدارك بعض ما فات . ولكن رجالها الأول — فيما يظهر — لم يكونوا على علم بماضيهم ولا على صلة وثيقة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة . فلم يفيدوا كثيراً من هذا التراث ، وأخذوا يؤدون الحقائق العلمية أداءً لا يخلو من تعجل أو خطأ .

وكان على أبناء القرن العشرين أن يتداركوا هذا النقص ، ويصلحوا هذا الخطأ . وكان عليهم خاصة أن يتابعوا سير العلم في العصر الحاضر ، ولم تستحدث خطأ قط بقدر ما تستحدث اليوم . وأوضحت المصطلحات العلمية في نو مطرد ، وتجديد لاية قطع ، ولها في اللغات الأوروبية معجمات خاصة تزداد وتُستكمل عاماً بعد عام . ونستطيع أن نقرر أن العلوم العربية الحديثة قد خطت في نصف القرن الأخير خطوات فسيحة ، أحيت بها مجد الماضي ، وتابعت سير الزمن . وأخذت تكون من جديد لغتها الخاصة مستعينة بالدراسات الجامعية من جانب ، وبالجامع اللغوية والعلمية من جانب آخر .



وللعالم أن يختار اللفظ الذي يرضيه لأداء الحقيقة العلمية ، وحقه في وضع مصطلحاته لا يصح أن ينازع ، وحرية ينبغي أن تكون مكفولة . ولكن هذا الحق ليس على إطلاقه . وهذه الحرية لا تخلو من قيود . وقد يشكو العلماء من قصور اللغة عن أداء ما يريدون ، فيلجئون إلى الرمز والإشارات ، كما صنعوا في الرياضة والكيمياء . وللغويين شكواهم من تهجم العلماء على اللغة ، فيشتقون على غير قاعدة ، وينحتون في غير ماداع ، ويسرفون في التعريب واستعمال الألفاظ الدخيلة . وما أجدر الطرفين أن يلتقيا عند كلمة سواء .

فعلى العلماء أن يحبوا أولاً كل ما يمكن إحيائه من المصطلحات القديمة ، فإن لم يجدوا فعلهم أن يقيسوا ويشتقوا من العربية . ولم يبق محل للشك فيما ترخص فيه اللغويون من جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر ، فيقال مكهرب وممغط ، كما قال العرب قديماً ومفضل ولا للشك في قياسية المصدر الصناعي فيقال المثالية والكانطية ، كما قيل

قديمًا الجبرية والقدرية . ولنا أن نقيس فيما لم يقل بالقياس فيه لأداء دلالات خاصة ، فنستحدث أوزانًا جديدة لامم الآلة ، أو للدلالة على الحرفة أو الداء . ونجيز النسب إلى جمع التكسير كأحيائي ، وكان يقصر في الماضي على المفرد . وكل تلك أمور أقرها مجمع اللغة العربية منذ ربع قرن أو يزيد . وإن لغة تيسر القياس والاشتقاق على نحو العربية ، لا يعز عليها أن تجرد من الألفاظ كل ما تدعو الحاجة إليه .

وفي العامية قدر غير قليل يرجع إلى أصل فصيح ، وفي وسع العالم أن يفيد منه لوضع مصطلحه ، وبذا يرد إلى الفصحى ما أخذ عنها . فإن لم تسد العامية ولا الفصحى حاجته ، فله أن يلجأ إلى التعريب . وقد عرب العرب قديمًا فأخذوا عن اليونانية والهندية ، والسريانية والعبرية ، والفارسية والتركية . وعرب المحدثون عن الإسبانية والإيطالية ، والإنجليزية والفرنسية . غير أنه يحذر بنا أن نقف بالتعريب عند أضيق الحدود الممكنة ، فيعرب خاصة ما يدل على أسماء الأعيان وأعلام الجنس كأكسيجين وهيدروجين ، أو ما يدل على تصنيف عام من أجناس وأنواع في النبات والحيوان ^(١) ، أو على سلسلة مواد متشابهة في الكيمياء ، أو ما ينسب إلى علم من امم شخص أو اسم مكان . أما ما وراء ذلك من الألفاظ المأخوذة من اللغة الدارجة فالأولى به أن يترجم . ويحتفظ في التعريب بالأصل ، مع تقريبه من النطق العربي ما أمكن ، ويحسن أن يضبط المصطلح المعرب تيسيرًا لنطقه ، إلى أن يدخل صلب اللغة ويصبح جزءاً منها .

(١) لقد أوضح الأمير مصطفى الشهابي « مدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد » في مجته الذي أقره مجمع القاهرة ونشره في مجموعة البحوث والمحاضرات لدورة مؤتمر المجمع السادسة والعشرين من ١٣١ ثم من ١٤٣ . ونشر أيضاً في المجلد ٣٥ من هذه المجلة . (لجنة المجلة)

وقيمة المصطلح في انتشاره والأخذ به ، وبذا يصبح جزءاً من اللغة العلمية . أما أن يختلف من باحث إلى آخر ، ومن قطر إلى قطر ، فإنه يبقى عملة غير متداولة ، ولا يجدي في تعاون العلماء وتقاسمهم ، وكَم من مصطلحات ولدت ، ثم لم تلبث أن ماتت . وتوحيد المصطلح العلمي ليس بما يلزم به قانون ، أو تفرضه سلطة قاهرة . وسبيله الطبيعي إنما هو الكتابة والتأليف ، ونشر المصطلحات لكي تذاع وتعرف . وينبغي أن يلتقي العلماء من حين لآخر في مؤتمرات منظمة ، أو في لجان أو مجالس ليتبادلوا الرأي في لغتهم ، ويتداركوا ما فيها من قصور أو خلل .

ولقد كان لليونان لغة علمية مسلّمة ، ومن بعدهم الرومان ، وبقيت اللاتينية لغة العلم وحدها في أوروبا طوال القرون الوسطى . وأشرنا من قبل إلى أنه كانت هناك لغة موحدة للعلم في العالم العربي شرقاً وغرباً . ويوم أن اضطربت الألسن في أوروبا ، وأحس لينتز في القرن السابع عشر بانكماش اللاتينية ، شاء أن يحل محلها لغة علمية عالمية ، وأساسها حصر الأفكار الإنسانية ووضع رمز لكل واحدة منها . وإذا كان لم ينجح في محاولته ، فإنه وجه النظر إلى اللغة العالمية التي لا تزال مطمح كثيرين . وفي وسع العربية على كل حال أن تكون اليوم ، كما كانت بالأمس ، لغة علمية مشتركة بين أبناء العرب على السواء ، مهما تباعدت أوطانهم وتنوعت لهجاتهم .



ولغة العلم وثيقة الصلة بلغة الأدب ، فتعاونان وتتفاعلان ، ولا تكاد توجد نهضة أدبية إلا وتصاحبها نهضة علمية ، وكَم من علماء وفلاسفة هم في الوقت نفسه أدباء . ويوم أن ازدهر العلم اليوناني ، ازدهر معه الأدب ، ووجدنا

في أثينا إبان القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد حركة علمية وأدبية زاهرة ، وأفلاطون بين اليونان رمز للأدب الرفيع وصاحب الأكاديمية . وفي القرن التاسع والعامر الميلادي ، اقتترنت في بغداد النهضة الأدبية بالنهضة العلمية ، ورأينا أئمة في العلم والأدب معاً ، مثال النظام والجاحظ . وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وصل الأدب الفرنسي الى قمته ، واتسعت آفاق البحث والدراسة العلمية ، وبسكال مثلاً رياضي وأديب في آن واحد . وأدب اليوم ذو طابع علمي واضح ، ويحرص العلم بدوره على أن يعرض في ثوب أدبي قشيب ، ويكفي أن نشير الى برجسرن شينخ الفلاسفة الفرنسية المعاصرة الذي يعد بين كبار الأدباء .

وفي العالم العربي نهضة أدبية وعلمية لاشك فيها ، وقد بدأت تؤتي أكلها . وسيؤدي العلم فيها رسالته ، ويساهم في كشف المجهول إلى جانب الجهود التي تبذل شرقاً وغرباً . وعلينا أن نوفر له كل وسائله ، وفي مقدمتها لغة دقيقة واضحة حية متحركة .

المذكور ابراهيم مذكور



لم ينصفوا صاحب الأغاني

أهدى اليّ من سنين السيد « بلاشير » الأستاذ في كلية « باريز » كتابه : تاريخ الأدب العربي ، ولم أتمكن من تصفح هذا التاريخ الاّ في الصيف الماضي . ليس غرضي في هذا المقام الكلام على كتاب الأستاذ « بلاشير » وانما كنت أطرح فيه بصري من هنا ومن هنا فوقعت عرضاً على فصلٍ يتعلق بكتاب الأغاني لصاحبه أبي الفرج الأصبهاني . لا يتسع المجال لتلخيص هذا الفصل بجذافيره ، وحسبنا أن نعرف ان « بلاشير » يرى أن كتاب الأغاني قد غطّي على كل ما تقدّمه من تراجم الشعراء ، فهو في نظره من الطراز الأول . تكاثم المؤلف على شخصية صاحب الأغاني المزدوجة فقال في جملة ما قال : انه ينتخب موادّه انتخاباً حتّى لا يدخل التعب على القارئ ، انه ينتخل هذه المواد فيصطلفي منها ما يثير التطلع في ذهن القارئ ، فقد يحذف من بعض منتخباته الشعرية فلا يذكر قصيدة بأجمعها ، وما هذا إلاّ لرغبته في الإيجاز من جهة وفي تقديم الأفضل من جهة ثانية ، فلم يكن أبو الفرج صاحب ذوق ليس غير ، وانما كان عمله عمل الرجل العالم لا عمل الرجل المسلي .

كل هذا لا يخالف فيه الأستاذ « بلاشير » ، على أننا نشكر له كلّ الشكر فضله في التنويه بكتاب الأغاني الذي ننزله منا بمنزلة كتبنا الأدبية الفريدة ، فقد يكون أضخم ميراث في أدبنا ، وانما الذي أدهشنا في قول « بلاشير » في خلال كلامه على كتاب الأغاني أن أبا الفرج الأصبهاني لا أسلوب له في

هذا الكتاب لأنه جمعه جمعاً ، أدهشنا قوله : لقد تكلّموا أحياناً على أسلوب أبي الفرج ، وهذا من باب الهزل ... فالأستاذ « بلاشير » يعتقد أن الذين يرون لأبي الفرج الأصبهاني أسلوباً في كتاب الأغاني إنما هم يهزلون ولا يجدّون ، لأن كل ما عمله أبو الفرج في كتابه الضخم إنما هو في رأيه جمع روايات مختلفة ، ثم المطابقة بينها وقد تكون له أشباه لمحات في أضعاف ما يوجزه من الكلام ، نتيجة هذا كله أن الأصبهاني ليس له أسلوب في كتابه العظيم ، هذا هو الموضوع الذي يعنينا أمره .

إن لفظة الأسلوب في الأدب الفرنسي مشتقة من لفظة لاتينية معناها ريشة من معدن كان المنقدّمون يستخدمونها في النقش على ألواح من خشب مشمّعة ، أمّا الأسلوب في مصطلح الأدب في عصرنا هذا فإنه يطلق على مذهب الرجل في الإفصاح عن أفكاره وعواطفه بالكلام ، ولا حاجة بنا إلى التبسط في وصف الأسلوب والخوض في محاسنه وعيوبه .

أصحح أن أبا الفرج الأصبهاني ليس له مذهب خاص في كتابه الأغاني ويعبر به عما يزدحم في صدره من الأفكار ويخنلج في قلبه من العواطف ؟ لقد ظلموا أبا الفرج الأصبهاني في القديم فقال فيه النوبختي إنه أكذب الناس لأنه كان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منه . وما كانوا أهون ظملاً له في الحديث لما قالوا إن من باب الهزل أن يكون له أسلوب في كتاب الأغاني .

لقد غرّنا ما قاله أبو الفرج في صدر مقدمته : هذا كتاب ألّفه علي ابن الحسين بن محمد القرشي السكاتب المعروف بالأصبهاني وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية ، قديماً وحديثاً ... غرّنا هذا الجمع فقال بنا إلى الاعتقاد أن كتاب الأغاني كلّّه جمع ، فليس لصاحبه فيه إلا جمع

الروايات المختلفة والمطابقة بينها ، أو ليس له فيه إلا بعض لمحات في أثناء كلامه الوجيز ، فصاحبه لا أسلوب له .

أمّا الذين ظلموه في القديم فنسبوه الى الكذب بعد أن سلخ خمسين سنة في تأليف كتابه الفريد فأرجو أن أكون قد أرشدني الله تعالى إلى تخطئة رأيهم بتوضيح صدقه وشدّة توقّتيه في كتابي « دراسة الأغاني » ، فلا أرى بي حاجة إلى إعادة ما قلته في هذا الباب .

وأمّا الذين يرون ان كتاب الأغاني انما هو جمع وأن صاحبه لا أسلوب له فيه فلاني أحاول أن أبين في هذا المقام أن الذين يرون لأبي الفرج أسلوباً في كتابه انما هم يحدّثون ولا يهزلون .

يلزمنا قبل كل شيء أن نعرف كيف ألّف أبو الفرج الأصبهاني كتابه الأغاني . إننا نمرّ في تضاعيف كتابه بطوائف كثيرة من العبارات تدلّنا على هذا التأليف ، فقد يقول : أخبرني فلان وروى فلان وحدثني فلان ، وقد يقول : نسخت من بعض الكتب أو جمعت منها ...

فلماذا قال : نسخت من كتاب كذا أو جمعت من كتاب كذا فلا يبقى لنا مجال في الشكّ في طريقة التأليف ، ولا يبقى لنا مجال في المجادلة في هذا الباب .

وإنما مجالنا يتسع إذا قال : أخبرني فلان أو روى فلان أو حدثني فلان ، فإننا كثيراً ما نجد بعد هذه الأخبار والروايات والأحاديث العبارات الآتية : كذا أكبر حظي ، ان فلانا حدثني به فلاني كتبته عن حظي ... أو قوله : هذا حفظته عن فلان وأنا حديث السن ، فكتبته من حظي ، واللفظ يزيد وينقص ، وهذا معناه ... أو قوله : وقد سمعت خبره من جهات عدّة ، إلّا أنه لم يحضرني وقت كتبت هذا الخبر غيره ، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث

اسناداً فهو من أتمها ... أو قوله : فإن الحكاية تزيد أو تنقص ... أو قوله : وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم ... أو فجمعت معاني ماذكروه في ذلك كراهة الإطالة ... أو : فجمعت من رواياتهم مااحتيج إلى ذكره ، مختصر اللفظ ، كامل المعنى ...

هذه نماذج مختلفة من طريقة أخباره ورواياته وأحاديثه ، على أي شيء قدلنا هذه النماذج ، أفلا قدلنا دلالة قاطعة على أن صاحبها قد تصرف في مواطن من أخباره ورواياته وأحاديثه بعض التصرف في الألفاظ وانصرف إلى المعاني وحدها ؟ فإذا كان قد اهتم في معظم ما سمعه بالمعاني وحدها وقل اهتمامه بالفاظها أفلا نستطيع أن نستخرج من ذلك أنه عبّر عن هذه المعاني بالفاظه ، أي أنه لجأ في الإفصاح عنها إلى طريقته الخاصة ، إلى أسلوبه ، فكيف يجوز لنا بعد ذلك أن نجرّده من الأسلوب في كتاب الأغاني ؟ كيف يجوز لنا أن نقطع أنه جمع كل كتابه جمعاً أو نسخه نسخاً دون أن يكون له باع طويل أو قصير في التعبير عما اتصل بسمعه من الأخبار والروايات والأحاديث ؟

كثيراً ما نسمع في حياتنا خبراً من الأخبار أو حديثاً من الأحاديث أو رواية من الروايات ، ثم نحاول أن ننقل إلى مجالسنا ما اتصل بنا سمعه منها ، أفلا نلاحظ أننا في نقل ما سمعناه قد نزيد في الألفاظ أو قد ننقص منها ، أفلا نلاحظ أننا نروي المسموعات بمذهب خاص يختلف كل الاختلاف عن المذهب الذي رويت لنا به ، أفلا نلاحظ أن كل واحد منا يروي ما سمعه بأسلوبه الخاص ، مهتماً بالمعاني وحدها ، بروحها ، دون الانصراف إلى ألفاظها ، لأن هذه الألفاظ قد يفساها الذهن في بعض الأوقات ، فيستمع على المعاني بالفاظ من أشكالها وأنواعها ، وهذا ما أشار إليه أبو الفرج في بعض أماكن من كلامه لما قال : فكتبته من حفظي ، واللفظ

يزيد أو ينقص ، وهذا معناه ، فأبو الفرج الأصهباني في قوله هذا مثله كمثل بعض الناس الذين يعمدون ما سمعوه من الأخبار والروايات والأحاديث بألفاظها ذاتها ، فلا مندوحة لهم عن التصرف في هذه الألفاظ إما ببعض الزيادة وإما ببعض النقصان ، فالأخبار والروايات والأحاديث في كتاب الأغاني معظمها شفعي وقد اعترف « بلاشير » نفسه بهذا الأمر ، ولا شك في أن الروايات الشفهية إذا انتقلت من شخص إلى شخص فلا بد فيها من بعض الزيادة أو النقصان ، لا بد فيها في هذا الانتقال من أسلوب خاص ، ان صاحب كتاب الأغاني لم يجمع كتابه كله جمعاً ولا نسخته كله نسخاً ، وإنما كان يخلو إلى نفسه بعد أن اتصل بسمعه الأخبار والروايات والأحاديث فينشئ ما سمعه من هذا القبيل بأسلوب خاص ، لو كان كتاب الأغاني كله جمعاً أو كله نسخاً لما احتاج صاحبه على ما نظن الى سلبخ خمسين سنة في تأليفه . اني أعتقد بعد هذا كله أن الذين جرؤوا أبا الفرج من الأسلوب لم يتعمقوا كل التعمق في كتاب الأغاني ، وإنما اكتفوا بظاهر الكلام دون باطنه ، اكتفوا بقول صاحبه : أخبرني فلان أو روى لي فلان أو حدثني فلان دون التفكير في الكشف عما وراء هذا الخبر أو هذه الرواية أو هذا الحديث عن صيغة خاصة بأبي الفرج الأصهباني ، من أسلوب ممتزج بلجمه ودمه وروحه . وما أظن بي حاجة الى التوسع في هذا الباب ، ما أظن بي حاجة الى زيادة الإيمان بأسلوب أبي الفرج الأصهباني في كتاب الأغاني . وأرجو أن لا يكون في هذا الإيمان شيء من الهزل ، أرجو أن يكون فيه جد كل الجد .

بقي عليّ بعد كل ما تقدم أن أدلّ على خصائص يسيرة من هذا الأسلوب . لو لم يكن لأبي الفرج الأصهباني في كتاب الأغاني إلا المقدمة لكان لنا في هذه المقدمة وحدها دليل واضح على أسلوبه ، فإن فيها

خصائص كثيرة من تنسيق الألفاظ ومن التعبير عن الأفكار من وراء هذا التنسيق ؟ ولكني لن أُلجأ الى المقدمة في الجعي بالبرهان على أسلوب أبي الفرج فان لي في كتاب الأغاني الضخم مجالاً ذا سعة في الدلالة على هذا الأسلوب ، من هذا النحو مثلاً دفاعه البليغ عن ابن المعتز ، ولولا اني وضّحت في كتابي « دراسة الأغاني » خصائص صاحبه في فنه ولغته لأفضت في هذا المقام في اليسير من هذه الخصائص ، على أني إذا أعفيت نفسي في مقالي الوجيز من تكرار ما قلته في الكتاب المذكور فلا أعفها من إعادة ما اختتمت به هذا الكتاب ، فقد قلت :

إذا خلد كاتب لفظنته الى روح الألفاظ وأمرارها ، ولصبته هذه الألفاظ في قوالها ، ولحفّته لغته على القلوب والأفهام ، ولإرسال قلمه على سجيته وطبعه دون شيء من التصنع ، واصفاً ما يذكره من الأشخاص والأشياء بمقائيق الصفات ، وازناً كل صفة من هذه الصفات بموازينها دون شطط ولا سرف ، اذا خلد كاتب لهذه الخصائص كلها فأبو الفرج الأصهباني على رأس الخالدين .

شفيق جبري



اختلاف المبرد مع سيبويه

لم يستهل القرن الثالث حق كان كتاب سيبويه موضوع درس وبحث ، وحل نقد وتحقيق ، بما تلاحق عليه طيلة القرن الثاني من عناية علماء العربية : البصريين والكوفيين ، على السواء . ففي حين اتخذ البصريون اماماً لهم وحجة ، يتعصبون له ، وينصرونه ، ويستدلون لقواعده ، ويفصلون عنه ، فعل الأخفش الأوسط والجرمي والمازني ،^(١) كان الكوفيون محتفلين بالكتاب ، يدرسونه ، ويستكشفون مذاهبه ، ويقبلون مناحي أدلته ، ليتبينوا - في تعصبهم عليه - ما اختلف فيه طريقه عن طريقهم : صوغاً للقواعد ، وتحريراً للأدلة ، حتى يهدوا بذلك مسلك الانتصار لمذهبهم بالرد على سيبويه ، ومعارضته ، فعل الكسائي والفراء وثعلب^(٢) . فتكونت لكتاب سيبويه ، من صنيع هؤلاء وهؤلاء ، حالة من التعاليق والشروح والبحوث والردود ، كانت ثروة للدارسين ، ومادة المصنفين .

وعلى تكامل هذه الثروة ، وتوافر تلك المادة ، نشأ أبو العباس المبرد ، أوائل القرن الثالث بالبصرة ، ثم دخل الى بغداد . فكانت نشأته بالبصرة على كتاب سيبويه ، وصلته بالبصريين أنصار سيبويه ورواة كتابه : من الزيادي والرياشي^(٣) واضرابها ، ثم رحلته الى بغداد ، وصلته بالبصريين ، من رواة كتاب سيبويه أيضاً ودارسيه ، مثل الجرمي والمازني ، وبالكوفيين

(١) كتاب أخبار النحويين للسرياني ص ٥٠ و ٧٢ و ١٠١ ط كركو .

(٢) ص ٥١ سرياني وبنية الوعاة (ترجمة الفراء يحيى) والتعريف بكتاب سيبويه في نسخة الرباعي ص XXIV ٢٤ الطبعة الباريسية .

(٣) ص ١٩ وما بعدها سرياني .

المتبعين لأخطائه المتعصبين عليه ، مثل ثعلب^(١) ، قد مكنت له أسباب الإحاطة بما كان حول « الكتاب » من تعاليق مفصلة ، من كلام المادحين والقادحين .

فكان المبرد ، من جهة ، عظيم الإكبار لسيبويه وكتابه ، تام القيام عليه ، حريصاً على روايته وضبطه ، وكان ، من جهة أخرى ، مدركا مآخذ فيه ومغامز ، بدا بعضها من ردود كوفية لم يجد لها مدافع ، مثل ردود الفراء ، وبعضها من نقود بصرية وجد من نفسه اقتناعاً باتجاهها ، مثل نكت كانت للزيادي^(٢) ، ومخالفات المازني ، أو للجرمي ، أو للأخفش نفسه ، وهو راوي الكتاب ومبلغه للأجيال^(٣) ، وفيه يقول الكسائي مستخفاً بالبصريين : إن الأخفش نبهم على عوار الكتاب وتركهم^(٤) . من هذا يتبين أن ما كان مجتمعاً في نفس المبرد : من اكبار لكتاب سيبويه ، واقتناع بنقود ومخالفات معلقة عليه ، من شأنه أن يجعله شديد الاحتفال بتلك النقود ، عظيم الحرص على تدبرها ، وعلى استنباط نقود مثلاً ، ليقينه بأن ادراك غور سيبويه ، والتمكن من الانتقاد عليه أمر لا يتاح إلا لعظيم بهذا برز أبو العباس المبرد بين علماء العربية في بغداد ، فكان بصرياً متعصباً للبصريين ، معدوداً عليهم ، خصماً للكوفيين ، مبغوضاً منهم ، يتمثل النزاع المستحكم بين البصريين والكوفيين في ما بينه وبين أبي العباس ثعلب من تنافس وشتان^(٥) .

(١) ١٠٢ سيراقي .

(٢) ٨٨ سيراقي .

(٣) يوجد كثير من هذه المخالفات في كتاب الإنصاف لابن الأباري وفي الطرر التي على النسخ القديمة من كتاب سيبويه ، مثل النسخة الزيتونية التي يأتي الكلام عليها .

(٤) مراتب النحويين لأبي الطيب ط أبو الفضل .

(٥) ١٠٢ سيراقي .

على أنه كان ينتهج نهج الزيادي والريائي والجرمي والمازني ، في الانفراد عن جمهور البصريين بمقالات في مسائل ، لم تكن لتخرجه عن بصريته ، ولا لترفع ما بينه وبين الكوفيين من إحسن ، كما لم يخرج أبو يوسف ولا ابن القاسم ولا المزني عن كونه حنفياً أو مالكيّاً أو شافعيّاً لمقالات خالف فيها جمهور أهل مذهبه .

فالمنهج النحوي الذي تكون في بغداد ، في القرن الثالث ، هو منهج لم يمزج فيه المذهبان : الكوفي والبصري ، ولا تكون منه مذهب جديد مستقل ، بل لم يكن إلا اتصالاً وتلاقياً بين الواجهتين : الكوفية والبصرية ، عرف به أهل كل من المذيعين مقالات المذهب الآخر بصورة أتم وأوضح ، واقترن ذلك بانفراد رجال من الكوفيين أو من البصريين بمقالات خالفوا بها أئمة مصرهم ، ووافقت أقوالاً لأئمة مصر الآخر ، بدون أن يخرج واحداً منهم عن عصبية مصره ، وتلحقه بالعصبية الأخرى ، وإننا لنجد برهان ذلك جلياً في مسائل الخلاف التي أوردها أبو البركات الأنباري في كتابه « الإنصاف » حيث يذكر مذهب الكوفيين ويقول : ووافقهم المازني أو المبرد من البصريين ، ويذكر البصريين ويقول : ووافقهم الفراء أو ثعلب من الكوفيين .

كذلك كان وضع علم النحو في بغداد في القرن الثالث : مذهبان يتناظران ويتجادلان وينفرد عن كل من المذهبين أحد أتباعه في مسائل بدون أن يخرج عن أصول مذهبه . وكذلك نرى أن أثر هذا في القرن الرابع ، الموالي ، يؤيد ما يذهب اليه صديقنا العزيز الدكتور مازن المبارك (١) من أن علماء بغداد بسطوا المذهبين ، واختاروا منها ، وأنه إذا كان لبعض هؤلاء العلماء أقوال تفردوا بها من دون المذهبين ، فإن ذلك لا يعني قيام مذهب

(١) ص ٣٤ كتاب الرماني النحوي ط الجامعة دمشق .

جديد ، ولا يعني فشوء مدرسة بغدادية . وإذا كنا نذهب مع الدكتور الصديق مذهبه في عدم اندماج المدرستين البصرية والكوفية ، حتى في القرن الرابع ، قرن ابن كيسان ومن بعده من قال فيهم السيرا في انهم يخلطون المذهبين ، فإن القول الثالث ، الذي هو موضوعنا ، أجدر بذلك المعنى من القرن الذي والاه ، مادامت العصبيتان : البصرية والكوفية ، جليتين في مثل المبرد وثعلب ، وان خالف كل منهما مقالات للبصريين أو للكوفيين . وعلى ذلك نتصور أن أبا العباس المبرد قد كان ، في نظر طلاب العربية وعلمائها في بغداد ، بصرياً ، له على مذهب أسلافه ، وعلى كتاب إمامهم : سيبويه انتقادات وما أخذ لا تخرجه عن كونه بصرياً ، ولا تبعد به عن أن يكون كتاب سيبويه عنده هو « الكتاب » كما هو عند البصريين جميعهم ، أو هو « البحر » كما كان يقوّن أبو العباس لمن يريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه (١) . كان أبو العباس يتيه بكتاب سيبويه ، وبضبطه له ، وقيامه عليه . قرأه على الجرمي والمازني (٢) وقرأه المازني على الأخفش وهو الذي رواه عن سيبويه (٣) .

وكان المبرد قد كتب الكتاب بخط يده وضبطه (٤) فكان يعتز بذلك الأصل الذي كتبه ولا يمكن منه أحداً ، ويضن به ضنة شديدة . وان جميع النسخ المعتمدة ، المنسوبة ، التي تعرف اليوم من كتاب سيبويه ، راجعة الى نسخة المبرد (في الزيتونة وباريس والاسكوريال والروسيا) . ومن شديد اعتنائه بكتاب سيبويه : أنه خدمه بكتب كثيرة ، ذكرها ياقوت في المعجم ، منها : المدخل لكتاب سيبويه ، ومنها شرح شواهد ،

(١) سيرا في س ٥٠ .

(٢) ١٠١ سيرا في وارشاد الأريب لياقوت (ترجمة محمد بن يزيد المبرد) .

(٣) ٥٠ سيرا في .

(٤) (٣)

(٤) ياقوت ومقدمة الطبعة الباريسية XXVI,VI .

ومنها كتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيديويه ، ومنها معنى كتاب سيديويه ، مما يوجب أن يكون معدوداً في شراح الكتاب في القرن الثالث ، ويقتضي ادماجه في الجريدة التي رقبها الدكتور مازن المبارك ^(١) بعد المازني وقبل الأخفش الأصغر .

وإلى ذلك كله كان المبرد مشهوراً بالاختلاف عن سيديويه : في مسائل كثيرة ، فرعت لها الظنابيب منذ القرن الثالث . فالسيراقي ، في شرحه على كتاب سيديويه ، ذكر مسائل عديدة ، خالف فيها المبرد سيديويه وخطأه تخطئة : منها قوله أن علامات الاضمار كلها مبهمة ، خلافاً لسيديويه إذ قسم الأسماء المضمرة إلى مبهمة وغير مبهمة (ص ٢٥٦ ج ١ هامش الكتاب ط بولاق) ومنها تخطئته سيديويه في اعراب « خزا » حالا من « هذه جبتك خزا » وقوله إنما هو تمييز (٢٧٤ ، ١) ومنها اختياره النصب في مثل « يا زيد والرجل » خلافاً لاختيار سيديويه - تبعاً للخليل - الرفع (٣٠٥ ج ١) ومنها جعله « مراويل » جمعاً خلافاً لسيديويه في اعتباره مفرداً (١٦ ، ٢) ومنها ادعاؤه أن سدوس أمم امرأة و « قفليطه » سيديويه في جعله أمم رجل (٢٦ ، ٢) ومنها « تخطئة » سيديويه في عدل قرقار وعرعار واعتبارهما حكاية صوت (٤٠ ، ٢) ومنها اعتباره التنوين في « جوار » أمم رجل تنوين عوض لا كما اعتبره سيديويه - تبعاً للخليل - تنوين تمكن (٥٧ ، ٢) ومنها قوله ان تصغير ابراهيم واسماعيل : ابريه واسميع وردة على سيديويه في القول بتصغيرهما على براهيم وسميعيل (١٢٠ ، ٢) .

وأبو البركات ابن الأنباري في كتاب « الانصاف » أورد مسائل كثيرة خالف فيها المبرد اجماع البصريين أو قول جمهورهم ، موافقاً للكوفيين ^(٢)

(١) الرماني ١٣٤ .

(٢) كتاب الانصاف لابن الأنباري ط ليدن المسألة ٦٤ .

أو متوسطاً بين الطائفتين^(١) أو منفرداً بقول دون الطائفتين معاً^(٢) .
وأبو الفتح ابن جني ، في الخصائص^(٣) أشار إلى ما كان أبو العباس
يتبع به كلام سيبويه ، وسماه « مسائل الغلط » وحدث عن أبي علي
الفارسي عن أبي بكر ابن السراج أن المبرد رجع فيه وكان يعتذر عنه .
والمبرد نفسه ، في كتاب الكامل - على قلة ماهتم بمسائل النحو -
أورد كلام سيبويه في معرض الرد والتعليق غير مرة : فمن ذلك قوله
في تفسير أبيات وردت أثناء أخبار الخوارج : « سيبويه يزعم أن لولا
تحفض المضمير ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال له الضمير في
موضع ظاهره فكيف يكون مختلفاً قال أبو العباس والذي أقوله
ان هذا خطأ »^(٤) .

وفي قول زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم

قال : « فسيبويه يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير وهو عندي على
إرادة الفاء »^(٥) كما شاع ، في كتب النحو المتداولة ، ذكر خلاف المبرد
لسيبويه بموافقة الكوفيين أحياناً : كما في مسألة تقديم خبر ليس^(٦)
أو خلافاً للجميع : كما في مسألة بدل الغلط^(٧) .

(١) المسألة ٣٧ .

(٢) المسألة ٢٤ .

(٣) ص ٢١٣ ج ١ ط الهلال .

(٤) الكامل ج ١ ص ٢٠٨ ط الخيرية بمصر .

(٥) ص ١٧٨ ج ١ .

(٦) الأشموني ج ١ ص ٣٢٩ هامش الصبان ط الوهبة .

(٧) الأشموني ص ٢٠٩ ج ٣ .

فإذا بان أن المبرد كثير الخلاف لسيبويه ، شديد الاحتفال بإيراد مخالفاته له في القواعد وفي التخاريج ، وأن شراح الكتاب ، ومصنفي الخلاف ، وعلماء النحو ، أوردوا من ذلك كثيراً ، فهل لهذا الخلاف مادة يغترف منها ، ونصاب يرجع إليه ؟ إن ياقوتاً ، في معجم الأدباء ، عند ترجمة المبرد ، هو الذي يفيدنا أن مادة خاصة بهذا الاختلاف هي المصدر الأصلي لما ينقل المؤلفون منه . وهي كتاب من وضع المبرد سماه « كتاب الرد على سيبويه » وإن كان السيرافي لم يذكر هذا الكتاب في ترجمة المبرد ، مع أنه نقل في شرحه لكتاب سيبويه كثيراً من تلك الاختلافات . واطرد ذكر هذا الكتاب ، بعد ياقوت عند الذين ذكروا كتب المبرد ويتصل خبر هذا الكتاب بأخبار صلة المبرد بابن ولاد .

وذلك ان بيت علم ، في مصر ، كانت سلسلة مجده تدرج أربعة رجال هم :

ولاد أو الوليد بن محمد التميمي المتوفى سنة ٢٣٠ } ترجم ثلاثتهم في معجم
ابنه أبو الحسين محمد المتوفى سنة ٢٩٨ }
ابن الابن أبو العباس أحمد المتوفى سنة ٣٠٢ } ياقوت وفي بغية الوعاة

ابن الابن أيضاً أبو القاسم ابن أبي الحسين لم نقف على ترجمته ،
ورود ذكره في سند رواية كتاب سيبويه عن والده عن المبرد من طريق
محمد بن يحيى الرباحي الأندلسي .

فكان ثاني الثلاثة : أبو الحسين محمد ابن ولاد ، رحل من مصر الى العراق وأخذ عن المبرد (١) . وكان المبرد لا يمكن أحداً من نسخ كتاب سيبويه من عنده فكلّم ابن ولاد المبرد في نسخه على شيء سماه له ، فأجابته ، فأكمل نسخه ، وأبى أن يعطيه شيئاً حتى يقرأه ، ففضب المبرد ، وسعى به الى بعض خدم السلطان ليعاقبه على ذلك ، فالتجأ ابن ولاد

(١) ياقوت ج ١٩ ص ١٠٦ ط دار المأمون مقدمة الطبعة الباريسية XXVI (٢٦) .

الى صاحب الخراج ببغداد ، وكان يؤدب ولده ، فأجابه ، ثم ألح على المبرد حتى أقرأه الكتاب . « (١)

وبرواية محمد بن ولاد عن المبرد نقل كتاب سيديويه ، من بعد ، في مصر : من طريقتي نقله : (١) طريق ابن النحاس عن أبي اسحاق الزجاج عن المبرد ، (٢) طريق أبي القاسم ابن ولاد عن أبيه أبي الحسين عن المبرد ، وجمع الطريقتين بالرواية عنها محمد بن يحيى الرباحي (٢) الذي ترجع اليه روايات الكتاب بالآندلس ، حسب النسخ الأندلسية الأصلية من كتاب سيديويه التي بالزيتونة ، وهي عن نسخة ابن خروف عن أصل الرباحي ، والتي بالاسكوريال ، وهي نسخة حسن بن أحمد بن علي بن يبقى عن نسخة أبي نصر هارون بن موسى المقرؤة على الرباحي (٣) . فيكون الثاني من الأربعة ، محمد بن ولاد ، هو الذي قرأ الكتاب على المبرد وقابله بأصله ، ويكون الرابع ، أبو القاسم ، هو الذي قرأه عليه الكتاب بنصر على نحو ما قرأه هو على أبيه .

ويبقى لنا مع الثالث ، وهو أبو العباس شأن في ما يرجع الى رد المبرد على سيديويه : فقد ذكر الذين ترجوا لأبي العباس أحمد بن ولاد أنه تلميذ أبي اسحق الزجاج ، سافر للطلب عليه في بغداد ونوهوا ببراعته في النحو - على عكس ما غصوا من منزلة أبيه - ولم يذكروا له قراءة ولا رواية (٤) ، فيظهر انه كان بالنظر والدراية أشد اعتناء ، بخلاف أخيه أبي القاسم ، وذكروا له من تأليفه « كتاب الانتصار لسيديويه في ما ذكره المبرد » أو « انتصار سيديويه على المبرد » .

(١) ياقوت ومقدمة الطبعة الباريسية وبينهما اختلاف في تفصيل القصة .

(٢) انظر ترجمته في بقية الوعاة .

(٣) مقدمة الطبعة الباريسية .

(٤) ياقوت وبنية الوعاة .

ولم نقف على عين ولا أثر للكتابين : كتاب المبرد في الرد على سيبويه ، وكتاب ابن ولاد في الانتصار لسيبويه ، الا في ما ظفرنا من كنز خفي في النسخة الزيتونية من كتاب سيبويه . وهي أصل عظيم من أصول نسخ الكتاب ، فانت الأستاذ المستشرق درنبرغ الذي نشر كتاب سيبويه ، لذلك نرى أن نقدمها في جملتها قبل أن نذكر محل الحاجة منها لموضوعنا . هي نسخة أندلسية بديعة الخط ، أصيلة التحقيق والضبط ، مكتوبة بخط عالم من أعيان علماء العربية ، هو ابن الحاج الأزدي الاشبيلي ثم التونسي ، وهو : أحمد بن محمد بن أحمد ابن الحاج ، من أصحاب أبي علي الشاويين والدباج ، انتقل الى تونس ومات بها سنة ٦٤٧ أو سنة ٦٥١ ترجمه السيموطي في بغية الوعاة ، نقلا عن البلغة للفيروزابادي ، وترجمه ابن رشيد في رحلته ملء العيبة ^(١) وكان صاحب تصانيف في النحو منها املاء على كتاب سيبويه .

وهذه النسخة كتبت سنة ٦٢٣ وتمت مقابلتها سنة ٦٢٤ وتمتاز بأمور - زيادة على صحتها وضبطها وبديع خطها واتقان مقابلتها - : فهي مكتوبة ومقابلة على نسخة أبي الحسن ابن خروف الاشبيلي شارح كتاب سيبويه المتوفى سنة ٦٠٦ ^(٢) التي كانت لشيخه أبي بكر محمد بن أحمد بن طاهر الحيدب ^(٣) ثم آلت الى أبي علي الشاويين ومن عنده نقل عنها صاحبنا ابن الحاج ، وقابل بها .

وقد اهتم ابن الحاج بتلخيص شرح شواهد الكتاب للاعلام ^(٤) وكتب

(١) مخطوط الأسكوريال .

(٢) البقية .

(٣) البقية .

(٤) طبع بذيال الكتاب ببولاق .

ذلك في مقابلة كل شاهد : على الهوامش وبين السطور وقال في آخرها :
 « قال ناسخ هذا الكتاب لنفسه أحمد بن الحاج كتبت في حواشي كتابي
 هذا تأليف أبي الحاج يوسف بن سليمان الشفتمري المشهور بالاعلم على الأبيات ،
 وهو الذي مماه تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات
 العرب ، وتحريث في ذلك حذف ما لا يخل حذفه من تفسير لا يضطر اليه
 ولا يقف تفهم البيت عليه أو كلام في وجه الاستشهاد بالبيت هو باد من
 كلام سيبويه غير محتاج الى بسط ولا زيادة بيان ، وما عدا ذلك نقلته
 على حسب ما وجدته في النسخة التي نقلت من أصل المؤلف وقوبلت بحضرة
 وهي التي أقامها هو لأبي بكر بن زيدون رحمهما الله ، فربما نقلت كلامه
 نقلاً فأثبت لفظه وربما حذفته التطويل وآثرت الإيجاز فنقلته بلفظي على
 حسب فهمي ؛ وكل ذلك بحسب ضيق هذه الحواشي في بعض المواضع
 وبحسب السآمة والنشاط ، فإن وقع الناظر فيها على سهو وغلط فلا يفسدنه
 لأبي الحجاج رحمة الله عليه حتى يتبين أن ذلك لفظه ويحقق أنه قاله أو
 ما في معناه ، وعلى الجملة فإنما عملته للنقصي وبقصد أن يحضرنى مع كتابي
 هذا والله المسدد سبحانه لا رب غيره .

وقد أُلصِفت فوق ظهر الورقة الأولى من هذه النسخة ورقة حديثة :
 كتب بها وقف الكتاب على حزانة جامع الزيتونة الأعظم من المشير أحمد باشا
 الحسيني سنة ١٢٥٦ ، وكان والدي - حفظه الله وأبقاه - قد اهتم بقراءة
 ما يبدو تحت الورقة الملتصقة ، فتبين أنها تبثديء بأربعة أسطر فيها حديث
 أخذ ابن ولاد الكتاب عن المبرد ، على ما مر عن ياقوت وكما هو مثبت
 في نسخة الاسكوريال .

وأعجب من ذلك كله أن سياق كلام سيبويه ، في العشرين ورقة الأولى
 من الكتاب ، التي تقابل الثمانية والثمانين صفحة الأولى من الكتاب في طبعة

باريس ، تتخلله فعاليتي بالرد والاستظهار وتؤويل التخريج معزوة الى شراح الكتاب : الأخفش والمازني والجرمي والمبرد والزجاج ، يعقب بحكاية قول القائل على كلام سيديويه ثم يكتب « رجع » ويعاود كلام سيديويه . وقد انقطع هذا من الورقة العشرين فأصبح الكلام بعدها خالفاً لكتاب سيديويه مطابقاً لعموم نسخ الكتاب بدون زيادة ، كما هو في الطبعة الباريسية والطبعة البولاقية ، إلا كلمة واحدة هي تفسير وجيز عن أبي الحسن في باب ما ينصرف وما لا ينصرف . فالأظهر أن هذه المدرجات كانت حواشي في بعض الأصول فأدرجت عن قصد بدليل ابتدائها بمثل « قال أبو الحسن » وانتهائها بكلمة « رجع » ؛ ويقرب هذا ما أفاده درنبرغ في مقدمة الطبعة الباريسية : من أن النسخة الغزنوية التي كانت بين يديه ، وهي نسخة سان بطرسبرغ من البلاد الروسية . تشتمل أحياناً على كلام شراح الكتاب مدرج في الصلب ، وعلى ابتدائه علامة « لا » وعلى انتهائه علامة « الى » وقد أورد درنبرغ نصوص تلك الزيادات في تعليقه على نص الكتاب في الطبعة الباريسية ، فإذا هي التي في النسخة الزيتونية ، مطابقة لبعضها مطابقة تامة ، إلا أن زيادات النسخة الغزنوية تستمر ، الفينة بعد الفينة ، الى آخر الكتاب ، ولا تنقطع كما تنقطع زيادات النسخة الزيتونية ، ولعل ذلك راجع الى أن النسخة التي نقلت النسخة الزيتونية عنها كانت مؤلفة من أجزاء كما أفاد ذلك ناسخها ابن الحاج ، عند ذكر المقابلة في آخر النسخة ، فيكون بعض الأجزاء أدرجت فيه الشروح فأدرجها ، والبعض بقيت فيه على الهوامش فتركها لأن هوامش نسخه كانت مشغولة بشرح الشواهد ، وإن كانت النفس لا تطمئن إلى هذا الفرض تمام الاطمئنان .

والأمر الأعظم من كل ما تقدم في شأن هذه النسخة العجيبة أنها مذيلة بتلخيص لردود المبرد على سيديويه ، وانتصار ابن ولاد لسيديويه على المبرد .

وهذا التلخيص مكتوب بخط ابن الحاج ناسخ الكتاب ، كتابة دقيقة جدا ، ضيقة ، متراصة ، ليست كالتي نسخ بها الكتاب ، تملأ فيها الكتابة كامل الورقة ، من الطرف إلى الطرف فلا تبقي لها هوامش أصلا ، وتستغرق ، على هذا الضيق ، سبع صفحات أي ثلاث ورقات ونصف ورقة تقريبا . يضع في ابتداء الكلام علامة (م) ويذكر انتقاد المبرد ، ثم يضع علامة (و) فيذكر رد ابن ولاد ، ويختصر اسم سيبويه في كلام المبرد بعلامة (س) . فكانت جملة ما أورده من المباحث مائة وخمسة عشر مبحثا ، في كل واحد منها كلام المبرد وكلام ابن ولاد في رده ؛ وبطول الكلام ويقصر باختلاف المسائل ، على أن الأطول باطراد إنما هو كلام ابن ولاد . وقد تبرأ السكاكب من عهدة النقل ، فبين في آخر كلامه أنه لم يتجر النقل باللفظ ، ولا التزم الاستيعاب ، إذ ختم تلخيصه بهذه الجملة : « كمل الغرض من تلخيص رد المبرد على سيبويه وانتصار ابن ولاد له كتبته لنفسه وعلى قدر فهمه احمد بن الحاج وفقه الله » . فهو يصرح بأنه تلخيص ، وإن ما أورده فيه هو ما تعلق فرضه بإيراده ، بحيث أن لغرضه دخلا في الإثبات والحذف ، والنقل والترك ، وأنه صاغ العبارات على مقتضى مقام « التلخيص » و « بحسب فهمه » غير منقح للعبارة ، ولا مراعا للاحتياط في الايضاح ، أو في التحرير ، لأنه « كتبته لنفسه » .

ولا ندري هل هذا التلخيص ، الذي هو غرضه ، قد كان مشتملا على جميع البحوث وردودها ، بحيث لخص كل بحث باختصار عبارته وتحصيل معناه ، وذلك ما يتبادر من كلمة « التلخيص » أو أنه ترك بعض البحوث التي لم يتعلق غرضه بتلخيصها فيصير التلخيص مراداً به معنى الاختصار تقريبا ؟ وأياً ما كان فإن الذي أسداه إلينا ابن الحاج يعطينا صورة من الكتابين

المفقودين ، كيفما تكون وافية ، فلن تكون كافية ، لأنها إن 'فرض أنها لم تترك بحثاً دار بين الكتابين فإنها لا محالة لم تورد الكلام بنصوه التي ورد بها في أصل الكتابين .

على أن الذي لا يتتبع نص كلام سيبويه ، المعلق عليه ، حتى يرجع كل فقرة إلى الحل المعلقة به ، لا يستطيع أن يبلغ من الفائدة في مطالعة الكلام مبلغاً ذابال . لذلك أصبح العمل في استخراج هذه النقود والردود عملاً شاقاً ، لصعوبة قراءة النص ، بما في خطه من دقة وخفاء ، وفي مداده من انطماس ، وعلى ما أصابه في مواضع من محو أو بتر ، ثم للزوم العود بكل بحث إلى محله من كلام سيبويه في الكتاب ، أو ما نقل عن المبرد ، في الشروح أو غيرها من الكتب ، ليمتد ذلك من المعنى ما يعين على فك الخط الحائل أو المطموس . وذلك ما أنا بصدد معاناته ، الآن ، حتى أتوصل بحول الله ، إلى تحقيق نسخة من هذا التلخيص ونشرها .

ولذلك يلوح بإديء ذي بدء أن ردود المبرد غير مستوفاة ، بدليل أن كل رد من ردوده معقب برد ابن ولاد عليه ، حتى أن المخلص ، ابن الحاج ، لما ذكر اعتراض المبرد على سيبويه ادخال حذف ثاء التأنيث في مبحث الترقيم لأنه كله نكرة قال : « وفساد قوله ها واضح لا يحتاج فيه إلى ما ذكره ابن ولاد » ولما أورد اعتراض المبرد على سيبويه في استشهاده على أن « يهود » مؤنث ولذلك منع من الصرف ، قال عقبه : « ولم يرد عليه و » (ابن ولاد) بأكثر من أن بين أنه لا أثر للعملة الثالثة وقد استقلت الاثنتان . « والأقرب ان ابن ولاد لم يتناول جميع الردود ، وإنما أخذ ما وجد له مدفعاً منها ، أو وجد فيه مساعداً لكننة ، كقوله مرة بعد الزام

المبرد سيبويه في لميك أن يقال لباك لأنه قرنها بسلام عليك (١) : « لا يليق مثل هذا بمنصب أبي العباس » .

والذي يؤيد هذا الاستظهار أن كثيراً من النقود التي هي تخطئة صريحة لسيبويه ، ورد منقولاً في بعض شروح الكتاب ، أو كتاب الكامل للمبرد ، أو كتب أخرى ، ومع ذلك فإنه لا يوجد في التلخيص الذي بين أيدينا ، من ذلك ما نقل في تفسير القرطبي (٢) عن ابن النحاس من اعتراض المبرد على قول سيبويه في قوله تعالى « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » أنه بمعنى تسلماً منكم لا خير ولا شر بيننا وبينكم : « أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة » .

هذا مع أن المفروض أن المبرد لما انتصب بضم كتاباً في الرد على سيبويه قد استقصى كل ما له من خلاف وتخطئة ، وتبع كتاب سيبويه تتبع استيفاء ، وهو الذي كان تام القيام عليه فلا يصح أن يكون المبرد اعترض على سيبويه ذكره هو بنفسه في الكامل ، أو نقل عنه في الكتب ، غير مدرج في كتابه المصنف لجمع تلك الردود .

فالذي نستخلصه من هذا هو أن الذي كان بين يدي ابن الحاج يلخص منه ، إنما هو كتاب ابن ولاد ، ولم يكن لديه كتاب المبرد ، فلم يكن ينظر إلا إلى ما أورده ابن ولاد في معرض رد الرد ، وأنه كان ينقل كل مبحث نقلاً بالمعنى لا باللفظ ، يلخص ما فيه من النقد والدفع بحسب ما يبدو له من أهمية ، وبحسب ما يكون له بالموضوع من اعتناء ، كما قال هو بنفسه في تلخيص شرح الشواهد « بحسب السأمة والنشاط » فالذي يكون عندنا ،

(١) ص ١٤٧ ج ١ باريسية .

(٢) ج ١٣ ص ٧٠ دار الكتب .

حينئذ ، من كتاب المبرد هو تلخيص من تلخيص واختصار ، والذي عندنا من كتاب ابن ولاد : هو تلخيص مباشر بدون اختصار .

وهذا يفيدنا ، على كل حال ، نوع المسائل التي دار البحث حولها ، حتى ننتهي من ذلك الى تصور موقف المبرد مع سيبويه : هل كان موقف اختلاف في المذهب والأصول ، أو موقف اختلاف في البحث والتخريج ؟ فإذا صنفنا المائة وخمسة عشر مبحثاً التي اشتمل عليها الكتاب ، نجد منها أربعة وثلاثين مبحثاً متعلقاً بالقدح في الأمثلة والشواهد أو ابداء أوجه في تحريجها غير الذي خرج عليه سيبويه .

وتسعة وثلاثين مبحثاً متعلقاً بالتوجيه والتعليل والاحتجاج وما يلزم أدلة سيبويه من لوازم غير صحيحة .

وخمسة عشر مبحثاً متعلقاً بانتقاد التعبير أو فساد الترتيب أو تناقض الكلام وثمانية مباحث تتعلق بالقدح في قياس أو فساد تنظيم .

وأربعة مباحث تتعلق بالخالفة في اختيار وجه من وجهين أو وجوه جائزة . وخمسة عشر مبحثاً تتعلق بالأحكام النحوية بما يشمل الخلاف في الجواز والمنع ، والخلاف في اثبات لغة وإنكارها ، والخلاف في العرف والمنع .

وهذا يوضح لنا أن نسبة الخلاف في الأحكام النحوية من جملة ما ذكر لنا من خلاف المبرد مع سيبويه ، نسبة ضئيلة جداً ، لأنها خمسة عشر في مقابلة مائة ، زيادة على أن منها التافه الجزئي الذي لا يكاد يؤبه للخلاف فيه ، ومنها ما كان اختلاف المبرد مع سيبويه فيه تبعاً لاختلاف غيره ، من قبل ، من أئمة البصريين مع سيبويه ، مثل الصور التي يرجع فيها المبرد ماقاله الأخفش أو الجرمي أو المازني .

وهذا ينتهي بنا إلى نتيجة موضوعية وهي أن أكثر مخالفات أبي العباس

المبرد لسيبويه إنما هي من باب الأبحاث الجدلية ، والمراجعات ، والتحقيقات التفصيلية الجزئية ، التي يسلكها مقتدى مع مقتدى به ، وليست من المخالفات الأصلية ، والمناظرات المذهبية ، التي يسلكها ذو مذهب مع ذي مذهب مباين له . فلا يصح أن يقال في المبرد : إنه ذو مذهب نحوي ، وإنما هو أحد أعلام البصرة ، القائمين بدراسة المذهب وبجثته ، وتحقيق كتابه الذي هو كتاب سيبويه . ولم يفتح المبرد بذلك طريقاً جديداً في النحو البصري لأنه درج على مسلك مشى فيه من قبله المتقدمون من أتباع سيبويه وشرح كتابه .

محمد الفاضل ابن عاشور



أبو الطيب يعثر على موضوعه

كل كاتب ممتاز أو شاعر أو قصصي ، بل كل فنان أيًا كان فنه لا يستطيع أن يبدع إلا إذا كان ينطلق في إنتاجه عما نسميه (الإلهام) . قد يكون كل من هؤلاء مالكا ناصية صناعته متحكما في أدواتها - سواء أكانت أدواته لفظية أو لونية أو تصويرية - . وقد يستطيع أن يبلغ ذروة البراعة في صناعته ، ولكن الإبداع مرتبة أعلى من ذلك علواً كبيراً . إنه لا يستطيع أن يبلغ مرتبة الإبداع إلا إذا كان إنتاجه نابضاً بالحياة والصدق وكان موحياً مشعاً بالمشاعر القوية . إنه يكون في هذه الحالة جامعاً بين التحكم في أساليب الصناعة وشحن إنتاجه بالقوة الحيوية التي تحمّل إلى الناس حرارة نفسه وقوة شعوره فيجعلهم يشاركونه في شعوره العميق . وهذا هو السر في اننا نصطدم في بعض الأحيان - أو في كثير من الأحيان - بإنتاج تافه لأديب مشهور معروف بالإبداع . فالأديب أو الفنان قد يكون صادراً في بعض حالاته عن إلهام قوي غامر ، وقد يكون في حالات أخرى صادراً عن تكلف وتعمد . قد نجد الشاعر في بعض حالاته مليئاً بالمعنى متدفقاً في البيان تدفقاً طبيعياً مشبعاً بالحرارة موحياً بالحياة والجمال ؛ وقد نجده في حالات أخرى باهتاً لا نكاد نعرفه . وفحول شعرائنا العرب من الأمثلة الدالة على ذلك ، فهم يختلفون في الإجابة اختلافاً كبيراً بين الإبداع الذي يبلغ بهم الذروة ، وبين الهبوط والجود والآلية التي قد تنزل بهم إلى مستوى (السخف) . ومن أمثلة هؤلاء الفحول من اعتدنا ان نخلهم بأعلى مراتب الإبداع مثل أبي تمام والبحتري والمتنبي ، فكل منهم

يسمو حتى يخلق في أعلى الآفاق ، وقد ينف حق يوقع في النفوس الاشتزاز والأسف . وليس شعراء العربية هم الوحيدين في ذلك الاختلاف . فالشاعر الانجليزي (شكسبير) الذي اعتبره الانجليز يوماً من الأيام نبي شعرهم وعبقري زمانه ، هبط في بعض إنتاجه حتى بلغ عندهم مبلغ السماجة والجفاف . والقصصي (هنري جيمس) قد وصل إلى ذروة الإبداع في قصصه حتى اعتبره قومه معبود الأدب ، وهبط أحياناً حتى ان النقاد لم يجدوا سبيلاً الى تعليل هبوطه إلا بأن قالوا إنه قد خلا من الإلهام . فما السر في هذا الإلهام الذي يشبه في الأدب مر الحياة عند الأحياء في غموضه وخفائه ؟ فلنقتبس بعض ما قيل في محاولة تفسير ذلك السر الخفي : (١)

« إن كلاً مما يشتمل في نفسه على شيء من الشاعر وشيء من المثال وشيء من الموسيقي ومن المصور والكاتب . ولكن الذي نشتمل عليه من هؤلاء جميعاً قليل جداً بالقياس إلى ما عند الفنانين الموهوبين . فإن هؤلاء الموهوبين يملكون من المقدرات البشرية ما يسمو بهم إلى درجات العلا . فليس لنا نحن إلا المقدرات التي يمكن أن نسميها انطباعات أو مشاعر مما لا يصل إلى مرتبة (الإدراك الكلي الشامل) أو الإدراك (الدوقي الإلهامي) ، وهي المرتبة التي تجعل الأديب أو الفنان يستوعب الصورة النفسية الشاملة للموضوع الذي يعالجه . وذلك على شرط أن يتوفر له (الموضوع) الذي يجعله يتوفر على استيعاب صورته النفسية الشاملة .

إن المصور إنما هو مصور مبدع لأنه يرى موضوعه فيرى فيه ما يحسه الآخرون أو يلحونه وإن كانوا لا يرونه ولا يستوعبون صورته النفسية الشاملة . إننا نظن أننا نرى ابتساماً على وجهه ولكننا لانرى في الحقيقة سوى أثر مبهم من الابتسام . نحن لا ندرك كل خصائص تلك الابتسام

(١) خلاصة من أقوال فيلسوف الجمال (بندتو كرونفي) .

كما يدركها المصور المبدع بعد أن يستوعبها بروحه ويكون قادراً على إثبات خصائصها على لوحته . إننا لاندرك من الناس - حتى من أقرب الناس إلينا - أكثر من ملاحظهم الجمالية الظاهرة على أكثر تقدير حتى ولو كان ذلك الصديق من يكون معنا في كل يوم وكل ساعة . وأما الجوهر الذي يكمن في هذه الملامح الجسمانية فهو الذي يكمننا من تميزه عن سواه فالمعرفة الإلهامية التي ندركها بالروح هي المعرفة الشاملة الحقيقية .

وهذه المعرفة أثر روحاني لا يحدث عند الفنان إلا إذا استغرق استغراقاً كاملاً صادقاً في الموضوع الذي يختاره وينصرف إليه انصرافاً تاماً فيهب له كل قوى روحه .

فإذا ما تحقق ذلك للفنان وأخذ في التعبير عن موضوعه بطريقة المادية التي اعتادها وبأسلوبه الذي تمكن منه في صناعته - سواء أكانت لفظية أو غير لفظية - أمكنه أن ينقل إلى الناس صورة صادقة طبيعية تمثل كل الخصائص الروحية التي شحن بها نفسه ، فيمكنه أن يطلع الناس على ما استوعبه في روحه من نافذته السحرية .

والأديب أو الفنان لا يعتمد اختيار الموضوع الذي يمكن أن يلائم روحه فإن ذلك الاختيار لا يتأتى له بالبحث عنه بالعقل بحثاً مقصوداً . فالأديب مثلاً لا يقدر أن يختار لنفسه موضوعاً ليستغرق فيه بروحه بأن يجلس إلى مكتبه ويستعرض الموضوعات أو الأشخاص الذين يريد أن يتخذ منهم موضوعات للتعبير عنها بفنّه ، ثم يختار بعقله ما يظن أنه يستطيع أن يستغرق بروحه فيه من هذه الموضوعات .

الاختيار الموفق إنما يحدث بالطبع من غير تعمد . التجربة وحدها هي التي تستطيع أن تتيح للفنان أو الأديب فرصة الاختيار الموفق الذي يصادف هوى في نفسه . التجربة وحدها هي التي تعرض على الأديب أو الفنان

ما يستطيع أن يقتفيه حين يندفع نحوه بروحه من تلقاء نفسه . ان الإنسان لا يمكن أن يشعر بالحب نحو شخص إذا بحث عن صورة يحبها بعقله . ولا يمكنه أن يشعر بالحب نحوه وإن رأى صورته الفوتوغرافية . ليس غير التجربة ما يتيح للإنسان أن يهتدي إلى الشخص الجدير بحبه . التجربة وحدها هي التي تحرك الروح وتجعلها تتأثر فتحب أو تكره وتشعر بالاعجاب أو النفور . وهكذا تكون الحال في اختيار الأديب أو الفنان للموضوع الذي يحرك نفسه ويجعله يستغرق فيه ويستوعبه بكل خصائصه في روحه . ومن هنا يحدث الإلهام وتحدث قدرة الفنان على الإبداع والتصرف فيما لديه من أساليب الصناعة . فما الإبداع والجمال وحسن التصرف الموفق في أساليب الصناعة الانتاج للإلهام الذي يقع في روحه من الموضوع الذي امتدى إليه فيمكنه ابلاغ ما في نفسه من المشاعر إلى الناس بطريقة بسيطة سهلة متدفقة تحمل كل ما في روحه من المشاعر الصادقة الموحية - وهنا مر الإبداع والجمال في الإنتاج الأدبي أو الفني .

ونكتفي في هذه الكلمة الموجزة بالحديث عن الشاعر العربي الكبير أبي الطيب المتنبي وكيف قضى شطراً من حياته هائماً مضطرباً ضالاً كأنه يبحث عن موضوع جدير بأن يستغرق فيه ويستوعبه بروحه كي يبلغ ذروة الإبداع في فنه ، وكيف استمر هائماً ضالاً مجذباً نائساً حتى امتدى آخر الأمر إلى الموضوع الذي يستطيع أن يبذل فيه .

بدأ المتنبي حياته كما هو معروف - في عصر مجذب ليس فيه الكثير مما يحرك الروح من جلال أو بطولة أو من عدالة ترتاح اليها النفوس في الحياة السياسية أو الاجتماعية . لم يكن في ذلك العصر ما يحرك الشعور سوى مواطن محدودة شخصية كانت قد تشعشع بحركة محدودة من حب أو كره ومن اعجاب أو نفور لا يبلغ مبلغ العمق المبدع الذي يحرك الروح .

كان الأديب قد يشعر بدافع جنسي نحو امرأة لا يرى منها سوى جسمها وهي في العادة جارية تحترف الحب . ولم يكن في مجال الحياة الاجتماعية مجال لبطولة تدفع الى الإعجاب أو عدالة اجتماعية تدفع الى الارتياح والسعادة . كان العصر مجذباً اجذاباً محزناً . فنشأ أبو الطيب في البادية ، ولسنا نلمح في حياته ما يدل على أن البادية أشعرته بشيء من تلك الحركة الشعرية المحدودة التي ذكرناها . ولم يجد أبو الطيب في الحياة الاجتماعية في البادية فرصة تتيح له أن يجد لنفسه مكانة اجتماعية يرضاها . فحزن وسخط وقلق وهجر البادية الى الحضر لعله يجد فيه مكاناً يرضاه لنفسه في مجتمع أو في كنف أمير سياسي أو عظيم سري يستطيع أن يلجأ اليه ويستند عليه في محاولة بلوغ المكانة التي يتوق اليها ، ولكنه كان حيث يذهب لا يجد إلا خيبة وراء خيبة تصدمه . وحاول أن يصل الى المكانة التي يطمح اليها عن طريق الشعر ولكنه خاب أيضاً في ذلك كان يشعر في نفسه بكبرياء واعتزاز فضاق بما يتطلبه التقرب الى الأمراء والرؤساء من المدح والتزلف لأنه كان يشعر بالجدب من الدافع النفسي الى الإبداع الذي يطمح اليه ليصل إلى مكانة الشاعر الذي تلتفت اليه الأنظار وتُعَلِّي مكانته .

فهو في هذه الفترة من حياته لا يعبر في شعره - وهو صادق - إلا عن شعور وحيد أجاد في التعبير عنه وهو الشعور بالخيبة والاضيق بالحياة واليأس منها . وكان أحياناً يندفع في تعبيره مع حلم من أحلام اليقظة ، فيعبر عن رغبته في التحطيم والثورة وخوض الدماء في سبيل طموحه .

فيقول حانقاً قصيدته المعروفة التي مطلعها :

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمكان المسيح بين اليهود

وفيها يتحدث عن شعوره بفضله نفسه ويلوم نفسه قائلاً :

أبن فضلي إذا قمعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرزق قياامي وقل عنه قعودي
أبدأ أقطع البلاد ونجمي في نخوس وهمتي في سعود
فهو في هذه القصيدة وأمثالها يعبر تعبيراً صادقاً عن ضيقه بالبلاد وما فيها
ومن فيها ، ويعبر عن طموحه أو غروره بنفسه التي ضاقت بالحياة
وضاقت بها الحياة .

وكان يندفع أحياناً كما قلت مع أحلام يقظته إلى ثورة دموية لا يستطيعها
في اليقظة فيخاطب نفسه قائلاً :

عش عزيزاً أو مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهب للغيبظ وأشفى لغل صدر الحقود
ولكن تلك الثورة لم تكن إلا في الخيال مع أحد الأحلام التي كانت
لا يلبث أن يراها بعيدة عن الواقع ، فلو كان يريد أن يجد له مكاناً في عالم
القنا والبنود لوجد ذلك المكان ، لو كانت له موهبة الطعن والضرب .
ولكنه لم يكن سوى شاعر موهوب لم يجد بعد فرصة في اظهار موهبته
الحقيقية لأنه لم يجد وسيلة بعد إلى الإلهام .

كانت الحروب في ذلك العصر جديرة بأن تبلغ المتنبي ما يصبو اليه لو
كانت موهبته الحربية تؤهله إلى التبريز في ميادينها ، ولكنه كان ثائراً غاضباً
ولم يكن محارباً . لم يكن سوى شاعر موهوب ولكنه مفرور بمقدراته
التي لم يهبها الله له .

ومع هذا فهو يقول مدعياً :

إن أكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد
وهذه نظرة المعجب بنفسه لا نظرة من كانوا يرونه في زمانه .
وأما سبيله إلى المكانة الاجتماعية عن طريق التقرب إلى الرؤساء والأمراء

في عصره فقد كانت مغلفة أمامه لأنه كان يشعر في أعماقه باحتقار هؤلاء جميعاً . وكان احتقاره لهم يحول بينه وبين الإبداع فالشاعر لا يبدع إلا إذا كان متمثلًا بموضوع شعره مؤمناً به مستغرقاً فيه بروحه كي يواتمه الإلهام والإبداع .

فكان لا يجد ما يملأ به فراغ مدائحه الزائفة التي كان يشعر في أعماقه بخلوها من الصدق إلا بأن يخلع عليها لوناً من البريق الزائف ، ببلاغيات متكلفة من صناعة الأسلوب الشعري المعروف في زمانه ، وبعبارات لفظية متأنقة وان كانت خالية من الروح . ونشير هنا إلى أمثلة من تلك الألفاظ الجوفاء :

فيقول في أحد ممدوحيه :

لو كان فيض يديه ماءً غادية عز القطا في الفيافي موضع اليبس
ويقول في ممدوح آخر :

لم يخلق الرحمن مثل محمد أحداً وظني أنه لا يخلق
أمطر عليّ سحاب جودك ثرة وانظر اليّ برحمة لا أغرق
كذب ابن فاعلة يقول يجمله «مات الكرام» وأنت حي ترزق
ويقول في آخر من ممدوحيه :

فتى ألف جزء رأيه في زمانه أقلُ جُزْءِيَّ بعضه الرأي أجمع

وقد يغلو في المبالغة الجوفاء كما قال في أحد ممدوحيه :

إذا خلعت منك حصص لا خلعت أبداً فلا سقاها من الوسمي باكره
من قال « لست بخير الناس كلهم » فجعله بك عند الناس عاذره
أو شك أنك فرد في زمانهم بلا نظير ففي روعي أخطاره

وقد يهبط في مبالغاته إلى الخط من كرامة نفسه مع كبريائه ، والزراية بالكرامة الإنسانية نفسها في مثل قوله :

الى سيد لو بشر الله أمة بغير نبي بشرتنا به الرسل
الى القابض الأرواح والضميعم الذي تحدث عن وقعاته الخيل والرجل
وما تنقم الأيام من وجوهها لأخصه في كل نائبة فعل
وما عنده فيها مراد أراده وإن عز ، إلا أن يكون له مثل
وقد تلجئه هذه المبالغات الخابية إلى وصف فاتر لا تخلع على قوله جمالاً
صناعياً بل تخلع عليه قبحاً مجوجاً ، مثل قوله :

بشر تصور غاية في آبه تنفي الظنوت وتفسد التقييسا
وبه يُضن على البرية - لا بها - وعليه منها - لا عليها - يوصى
ومثل قوله :

مضى ما يشر نحو السماء بوجهه تخر له الشعري وينكسف البدر
ترى القمر الأرضي والملك الذي له الملك بمد الله والمجد والذكر

هذه أمثلة من شعره الفاتر في أول حياته من قصائده التي تسمى
« الشامية الأولى » والعراقية الأولى وهي جميعاً لا تتجاوز معنى واحداً
مكرراً في صور شتى من العبارات المتأنفة وهو قوله : « إنك أيها المدوح
السيد الواحد الذي يفوق الناس جميعاً ، والناس جميعاً فداء لك وهم
لا يستحقون أن يكونوا فداء لك . »

والسر في هذا الإجداب الأدبي في الشعر عامة وفي شعر أبي الطيب
أيضاً هو الإجداب الشامل من سيامي واجتماعي في العصر كله . كان العالم
العربي في ذلك الوقت مجذباً الى حد اليأس من كل ما يحرك النفوس من
مثال بطولة أو مثال أمل . الأمراء أو أكثرهم الأكثر طائفة من الأتانيين
مع كل منهم طائفة من السادة المزيفين الذين لا هم لهم إلا الابتزاز من
الشعوب التي يسيطرون عليها . الأمراء لا هم لأكثرهم إلا النظر إلى مصالحهم
الخاصة في أفق ضيق ، يتنازعون ويتنافسون ويتحاربون حروباً صغيرة ،

وكل منهم يريد أن ينفذ سياسة موضوعة له من الدولتين الكبيرتين المحيطتين بهما . فبعض الأمراء يشترك في مؤامرة يدبرها لهم المسيطرون على سياسة الدولة العباسية بالعراق ، وبعضهم يشترك في مؤامرة أخرى يدبرها لهم المسيطرون على سياسة الدولة الفاطمية بمصر . امارات كلها قصيرة النظر ضحلة الهمة يدفعها دافع الجشع الشخصي والمطمح المادي . والسادة المتصلون بالأمراء ينسجون على منوال أمراءهم ، فكل منهم يشترك في حزب مناصر لإحدى الدولتين الكبيرتين . فكانت الأحوال السياسية والاجتماعية مصطبغة بألوان الجشع الشخصي والمطمح المادية الخسيسة . وهذه الحالة العامة هي مقدمة محتومة للنتائج المحتومة التي ترتبت عليها فيما بعد حين أغار الصليديون على الحدود الشمالية في حملاتهم المعروفة في أواخر القرن الحادي عشر بعد الميلاد . مجتمع متفكك وفي داخله السوس وعوامل الفناء تعمل فيه من أعلاه في الطبقة المسيطرة سواء كانت سياسية أو اجتماعية . فإذا أراد أديب في ذلك العصر أن يكون صادقاً في تعبيره عن شعوره فلا مجال له في الصدق إلا أن يندب حظه وحظ قومه العرب لما آلت اليه أمور العرب من الفساد والاضمحلال . وإذا أراد أحدهم أن يمدح أميراً أو سيداً من السادة ذوي السيطرة في المجتمع فليس له من وسيلة إلى مدحه إلا أن يكذب وأن يعزز أكاذيبه بأسلوب لفظي أو وسيلة بلاغية بروافة تخدع الناس عن الحقيقة البشعة الماثلة في حياتهم ، وتحاول أن تخلع على المرح الأجوف غشاء من التمويه يستثير فيهم الإعجاب بالعبارات الجوفاء . لهذا كان كل ما قيل في النقد الأدبي في ذلك العصر لا يزيد على نقد الأساليب البلاغية اللفظية البعيدة عن المعنى وعن الروح الأدبي نفسه .

ولكن من حسن حظ الأدب العربي أن كانت في ذلك العصر فلتة من الفلتات بين أمراء ذلك الوقت المحدث وهو الفارس الحقيقي والبطل العربي

سيف الدولة - أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان الذي وقف حياته لتحقيق غاية جليلة بالتصدي للدفاع عن الحدود العربية برغم ما كان يسود أمراء العصر والسادة في الأمة العربية من أنانية وتحاسد وتناحر في سبيل مصالحهم الخاصة . فحين رأى أبو الطيب ذلك الفارس البطل - وأغلب الظن أنه رآه بغتة عن غير انتظار - أدرك بفطرته أنه حمال أمير فارس من نوع آخر غير الأمراء الذين اتصل بهم . فتعلق قلب أبي الطيب بذلك الفارس تعلقاً تلافئياً يشبه تعلق المحب بحبوبة من أول نظرة . وكان بغير شك قد سمع عن بطولته وحروبه مع الدولة البيزنطية التي كانت منذ ابتداء تكوين الدولة العربية هي العدو والمنافس الخطير لها . وكان سيف الدولة في زيارة لأنطاكية بعد انصرافه منتصراً عن حصن برزونة وهو أحد الثغور الأمامية بين العرب والروم . فلما رآه المنتهي عائداً بالنصر والفتح أحس بهزة دفعته تلافئياً الى التعبير عن إعجابه فأنشد قصيدته التي قال في مطلعها :

رفاؤكما كالربيع أشجاء طامحه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجه
فهذا المطلع على ما فيه من غموض وتعقيد وتكلف يتصدر قصيدة فيها
تعبير صادق عن إعجابه بالبطل العربي إذ يقول مستمراً بعد المطلع :
وما أنا إلا عاشق - كل عاشق أعق خليليه الصفيين لائمه
وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الانسان من لا يلائمه
وفي هذين البيتين يقول أبو الطيب في صراحة بأن كثيراً من المدح
يصدر عن شعراء يقولون الشعر فيمن لا يستحق المدح وان البطل الحقيقي
قد يتصل بشاعر يمدحه وهو شاعر مزيف لا يلائم مجده .

ومضى في مدح سيف الدولة قائلاً :

سلكت صروف الدهر حتى لقيته على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

فأبصرت بدرأ لا يرى البدر مثله وخاطبت بجرأ لا يرى العبر عائمه
غضبت له لما رأيت صفاته بلا واصف والشعر تهذي طهاطمه

ففي هذه الأبيات يعلن المتنبي في صراحة أنه سلك صروف الدهر حتى اهتدى إلى البطل الجدير بشعره وإلى الموضوع الجدير بأن يهب له عبقريته في فنه ، ويعلم أيضاً أنه قد وجد البطل الذي يملأ قلبه وبصره ، ذلك البطل الذي جعله يغضب حين رأى صفاته الجليلة تخفى عن الإعلان بين الناس لأنها لا تجد واصفاً جديراً بالإعلان عنها على أن الشعر الزائف تهذي طهاطمه في مدح أمراء لا يصدق فيهم المدح ولا يصدر عن الشعراء فيه الا هذيان من ألفاظ طنانة جوفاء لا تتطوي على روح أو صدق .

لقد أحس أبو الطيب في ذلك الموقف أنه قد اهتدى إلى البطل الذي يصلح أن يكون موضوعاً لشعره ، وأنه يستطيع أن يمدح في وصف هذا الفارس وفي تحليد فضله ، وإعلانه بين الناس ، لأنه سيجد الإلهام القوي الصادق في فروسيته وكرم خلاله . وقد صدقت فراسة أبي الطيب في ذلك الموقف فإن شعره في الفارس الحمداني هو الذي خلده على صفحات التاريخ وهو الذي أعلن عن فضله وأغنى اللغة العربية بمدحه الصادق الملهم الموحى بالحياة والجمال .

وحين أراد سيف الدولة أن يغادر أنطاكية أحس أبو الطيب بانزعاج أشد من انزعاج الحب حين يؤذن محبوبه بفرقه ، فهو يقول له عند ذلك :

أين أزمعت أيها المهام نحن نبت الربى وأنت الغمام
نحن من ضائق الزمان له فيك وخاتمه قربك الأيام

فهي صيحة عالية تعبر عن مدى فزع الشاعر وانزعاجه لأن البطل الذي اهتدى إليه بعد طول اضطرابه في الأرض فاهتدى إلى الموضوع الذي يلهمه فجأة ، وعلى غير قصد يزعم أن يفارقه فيدعه يعود إلى حيرته واضطرابه

ولإجدا به . إنه كان يبحث عن موضوع يتيح له الإلهام ويمكنه من الإبداع في فنه ؛ وما كان أشد فجيعة حين أزمع هذا البطل أن يفارقه فيجرمه من الفرصة التي تتيح له الإلهام . انها فجيرة تشبه إلى حد بعيد ما يشعر به الموحى إليه حين يوشك الوحي أن ينقطع عنه . فأبو الطيب يخاطب سيف الدولة قائلا :

« أين تريد الذهاب بعيداً عنا مع أنك قد بعثت إلى قلوبنا من الحاسة لبطولتك والاعجاب بشخصك النبيل ما بدأ يحرك فينا نشوة الشعور الصادق الذي يحرك إلى الإبداع . اننا قد وجدنا فيك ما يروي في قلوبنا ما فيها من التمتع إلى البطولة في عصر قد عرفناه وجربنا إجدا به وحاجته إلى بطولتك وعنو نفسك . لقد كنا مجدين فأدر كنا بلقائك من كان بالنسبة إلينا صوب الغمام فعرنا به نبناً فوق الرابي .

لم يكن سيف الدولة محارباً فارساً فحسب ، بل كان مع شجاعته يمثل معنى آخر لم يشاركه فيه غيره من الفرسان . كان يحارب من أجل غاية سامية ومقصد عال . أعلى جلالاً من الانتصار في الحرب . فيقول أبو الطيب لسيف الدولة :

في سبيل العلى قتالك والسلام وهذا المقام والإجدام
ليت أننا إذا ارتحلت لك الخيـل وأنّا إذا نزلت الخيام
كل يوم لك احتمال جديد ومسير للمجد فيه مقام

فهو بذلك يخاطب الأمير العربي الذي وقف حياته على الدفاع عن الحدود العربية في وجه الدولة البيزنطية التي استعرت في حروبها منذ قبيل الإسلام إلى العصر الذي عاش فيه أبو الطيب . فكان مثلاً عالياً لسلسلة من أبطال العرب الذين جمعوا بين الشجاعة في الحرب والتمسك بالمثل العليا في الشهامة التي صارت تقليداً للفارس النبيل منذ أيام خالد بن الوليد وسار على مثاله

مسلمة بن عبد الملك فالمتعصم العباسي . كان أبو الطيب يراه في حالة من البطولة العربية في عصر طالما ضاق به الشاعر إذ كانت السيادة فيه وقفاً على الأمراء غير العرب الذين كانوا يبيعون سيوفهم لاسادة العرب لقاء إخضاع شعوبهم لسيطرتهم واذا لهم لها .

ففي هذا الموقف يعلن أبو الطيب أنه قد اهتدى الى ضالته ويجهز بشعور الغزع الذي اعتراه حين رأى ان ضالته توشك أن تفارقه . فقد وجد في هذا الأمير الشاب والفارس العربي النبيل موضوعاً يستطيع أن يلهمه بكل معنى جليل صادق يغنيه عن التماس الجمال في أسلوب التعبير الصناعي والعبارات البلاغية اللفظية التي يلاها فراغ شعره من الصدق وال عاطفة . وكان أبو الطيب منذ بدء حياته يحاول أن يجد لنفسه مكاناً في الحياة بالتقرب إلى أمير أو إلى سري من ذوي الجاه والسيطرة يستند إليه وبقم في ظله . ولكنه كان كلما وجد ما يظنه ظلاً وارفاً لا يزيد في حقيقة على ظل باهت خادع يكلفه أن يكون مرتزقاً بشعره لا شريكاً في انشودة مجيدة ؛ فيبدأ قصائده بقطع من الغزل الكاذب ، وقد يدخل فيها بعض الشعر الصادق في شكوى زمانه ووصف بؤسه وشقائه في الحياة وثورته عليها . فحين خيل إليه أنه قد وجد موضوعه في الفارس النبيل الذي يستطيع أن ينصرف بفتة إليه والتغني ببطلته أخذ يتجه بفته إلى أسلوبه الجديد فيما نسميه « السيفيات » التي يمتاز شعره فيها بالصدق والسهولة والبساطة الطبيعية في تصويره . فيقول في أسلوبه الجديد يخاطب سيف الدولة خطاباً مباشراً .

كلما قيل قد تناهى أرانا	كرماً ما اهتدت إليه الكرام
وكفاحاً تكع عنه الأعادي	وارتياحاً يحار فيه الأنام
انما هبة المؤمل سيف الدو	لة الملك في القلوب ، حسام
فكثير من الشجاع التوقي	وكثير من البليغ السلام

فالصدق وحده كفيل بتصوير البطولة والشهامة لأن الشاعر كان ينبعث فيه عن مثال حي صادق أمامه .

ويعترف بهذا في انشاده حين يقول :

فلو قدّر السنان على لسان لقال لك السنان كما أقول

فيعترف بأن الشعر الذي يقوله في مدح سيف الدولة لا يزيد على حكاية ما يقوله السنان عنه ولا يزيد عليه شيئاً من مخترعات القول المنمقة الزائفة .
وحسبنا في الإشارة إلى طريقة المتنبي الجديدة في شعره أن نذكر قصيدته التي يقول في مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

فهو لم يقدم لقصيدته بمدخل متكلف يفضي به الى انشاده بل ابتداءً بالابتداء الطبيعي الذي يدل على ما امتلأ به قلبه من شعور الإكبار نحو سيف الدولة ، ثم مضى يتدفق بما يوحيه ذلك الإكبار ، فلا نجد في قصيدته بيتاً متكلفاً ، ولا نلمح في بيت من أبياتها تعمد تجميل الأسلوب برصيلة براقه مصطنعة . وفيها يصور منظر البطل وهو في ساحة القتال كأنما هو مصور بارع يلتقط منظرأ يعبر فيه بروشته عن الروح الذي يسري في المنظر كله ولا يزيد على تسجيل الحقيقة شيئاً إلا بمقدار ما يشحنها بشعوره :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلهم هزيمة ووجهك وضاح وثررك بامم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى الى حد قول أنت بالغيب عالم

وقد أقام المتنبي مع سيف الدولة ما أقام فكان في كل قصيدة ينشدها له يتدفق مع شعوره الصادق ويعبر فيها عن إعجابه واستغراقه في موضوعه ، وقد يصف في ثنايا شعره ما يخامر من الألم اذا شعر بألم من إغفاء غير

مقصودة من الأمير أو من لفظة غاضبة غير مقصودة أيضاً . فهو في ذلك كله يعبر عن أعق وجدانه صادقاً بليغاً متدفقاً مبدعاً .

ولم يكن شعور أبي الطيب نحو سيف الدولة مقتصر على بعث الحياة في أشعاره السيفية وحدها ، فإن صورة الفارس البطل وشعور الإعجاب به والمحبة له لم يفارقه حين غضب غضبته من الأمير وفارقه وذهب ينشد شعره الى آخرين من الأمراء والملوك الذين كانوا يتنافسون على الاستئثار بفنه ، فكانت صورة سيف الدولة تبدو له كلما وقف ينشد بين يدي أمير أو ملك آخر . وكانت الصورة تهمس له وتثير نفسه برغمة فيأخذ في مناجاتها والانشاد لها . فهو في انشاده لكافور في مصر ينسى أنه يخاطب ذلك الملك ويبدأ قصيدته بالتعبير عن حزنه لفراق صديقه وبطله . فيخاطب قلبه قائلاً :

أقيل " اشتياقاً أيها القلب ربما رأيتك تصفي الود من ليس جازيا
ثم ينتقل بعد حين الى مدح كافور فيغير أسلوبه من الصدق الطبيعي
المملوء حرارة الى أسلوبه القديم المتكاف الذي يتصيد فيه المعاني الخاوية
ليملأ بها فراغ معانيه بالعبارات البلاغية السكاذبة فيقول :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها وماقيا
ويخاطب الملك الأسود - انسان عين زمانه - قائلاً :

أيا المسك ذا الوجه الذي كنت نائقاً اليه وذا الوجه الذي كنت راجياً
أباكل طيب لا أيا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغوادي
يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعاني

فلما نزح الشاعر عن مصر كارهاً بعد أن أمضه فيها ألم الجسم والروح
معاً وذهب الى العراق لم تفارقه صورة سيف الدولة ولازمه أسفه على فراقه

فيكون في انشاده لمعضد الدولة معبراً عن شدة حزنه لفقد صداقة بطله
الكريم لا مادحاً للأمير الذي وقف بين يديه فيقول :

أوه بديل من قولتي واما لمن نأت والبديل ذكراها
أوه من آلا أرى محاسنها وأصل واهأ وأوه مرأها
شامية طالما خلوت بها تبصر في ناظري محباها
فقبلت ناظري فغالطي وإنما قبلت به فاهأ

ولولا خوف الإطالة لأفضت في بيان ما تدل عليه هذه الصورة من
الشعور القوي نحو سيف الدولة الذي فارقه الشاعر مع كل إعجابه به
وحبه له .

لقد كانت صورة البطل لا تفارق الشاعر وهو بعيد عنه ، وكانت
تملي عليه الشعر في كل موقف وقفه بعد فراقه له . فلا يبدو الصدق في
شعر المنذبي بعد فراق سيف الدولة إلا حين كان يعبر عن أسفه لذلك الفراق
أو كان يعبر عن مقتته لأصحاب السلطان الآخرين في الأمة العربية الذين
كان أبو الطيب يؤمن بأنهم قد اختلسوا السيادة في هذه الأمة وهم غير
جديرين بها .

محمد فريد أبو حديد



مخطوطة معاني الشعر للاشنانداني

كانت جمعية الرابطة الأدبية^(١) في السنة التي عاشتها مجلتها التي كنت مديراً لها ، ونشرت من تراث السلف كتاب معاني الشعر للاشنانداني من مخطوطة صحيحة نفيسة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، وقد نشرت الجمعية من هذه المخطوطة ما أملاه الأشنانداني ، وبقي في المخطوطة مما رواه أبو بكر ابن دريد وأبو حاتم السجستاني وغيرهما من أئمة اللغة كثير من أبيات المعاني لم تنشر ، وقد نفذت النسخ التي طبعتها جمعية الرابطة الأدبية ، وظلت الحاجة الى هذا الكتاب حاقة لفهم أبيات المعاني ، وسألني كثير من الاخوان عن المانع للمجمع الذي يعمل على احياء تراث السلف من اعادة نشر الجزء الأول النافذ مع الجزء الثاني الباقي ومن هؤلاء العلماء والأدباء الراغبين في هذا العمل العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي وقد عزم المجمع على نشر معاني الشعر نشرة صحيحة كاملة بعد استحضار نسخ أخرى .

وجاء في آخر المخطوطة الدمشقية لمعاني الشعر العنوان التالي (في كتاب الترجمان للمفجع في باب أنواع من الاعراب) وبعد هذا الباب (أبيات معاني بما غلطت الأعراب فيها الأصمعي) ثم (أبيات خطأ فيها

(١) اول جمعية أدبية عربية بدمشق تأسست سنة ١٩٢١ من الأدباء المرونيين وأنشأت مجلة أدبية لها ، وكانت الجمعية والمجلة طليعة النهضة الأدبية الحية بروحها القومية ، وقد قاومتها القوة الفرنسية المحتلة ، فحلت الجمعية ومنعت إصدار المجلة ، ولو بقيت لأنتجت ما أنتجه أدباء الرابطة القلمية في المهجر من روائع الأدب العربي الحديث .

أبو نصر صاحب الأصمعي* ابن الأعرابي) فوجدت من خدمة الأدب ولغة العرب نشر هذه الصحائف المفيدة مع التعليق عليها :

أما كتاب الترجمان الذي ألفه المفجع فهو في معاني الشعر ولم نعثر له على أثر، وهو شبيه بكتاب معاني الشعر للأشناداني ، وقد ذكر صاحب الفهرست ابن النديم (المفجع) بأنه أبو عبد الله المفجع محمد بن عبد الله الكاتب البصري^(١)، وأنه لقي ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره ، وكان بينه وبين أبي بكر ابن دريد مهاجاة وذكر له كتباً كثيرة أولها كتاب (الترجمان) في معاني الشعر ومن كتبه حدّ الإعراب ، وحدّ المديح ، وحدّ البخل ، والرأي ، والهجاء ، والمطايا ، والشجر والنبات ، والأعراب ، واللفز ، والمنقذ في الإيمان وأشعار الحرب ، وعرائس المجالس ، وكتاب غريب شعر زيد الخيل .

وهذه الصفحات التي نشرها ، ولعلها من كتاب الترجمان هذا المفقود ، تدلنا على مسائل هذا الكتاب ونط تأليفه ، وعسى أن نظفر به وننشره ، وما أكثر الكنوز العلمية الضائعة من الكتب التي ذكرها في الفهرست محمد بن اسحق النديم .

التنوخي



(١) وفي الأعلام للزركلي : هو محمد بن أحمد بن عبيد الله البصري أبو عبد الله وله ترجمة في بنية الوعاة ١٣ وارشاد الأريب ٣١٤/٦ وبنية الدهر ١٢٩/٢ ، وعرفه بأبي عبد الله الكاتب ، والمرزبالي ٤٦٤ والوافي بالوفيات ١٢٩/١ وهو فيه محمد ابن محمد ، وهو في الفهرست لابن النديم في الفن الثالث من المقالة الثانية .

في كتاب الترجمان للمفجع في باب أنواع من الإعراب

وحكى أبو العباس أحمد بن يحيى قال قال الأصمعي في قول الفرزدق :

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره^(١)
قال : معناه أبوه ما أمه من محارب فأخره ، وقال الفرزدق أيضاً :

وما مثله في الناس إلا مملكا^(٢) أبو أمه حي أبوه يقاربه^(٣)
مدح هشام بن اسماعيل^(٣) بن هشام بن الوليد أبا أم هشام

(١) من البحر الطويل .

(٢) من الطويل أيضاً .

(٣) في الإيضاح للجلال القزويني الذي هذبناه ما نصه : كان حقه أن يقول : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا (مملكا) أبو أمه أبوه ، فانه مدح ابراهيم بن هشام بن اسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك ، (وما مثله) يعني ابراهيم المدوح في الناس (حي يقاربه) أي أحد يشبهه في الفضائل (إلا مملكا) يعني هشاما (أبو أمه) أي أبو أم هشام أبوه أي أبو المدوح ، فالضمير في (أمه) للملك وفي (أبوه) للمدوح . قلت فهذا التقديم والتأخير والفصل والإضمار قد أدى الى التعقيد اللفظي وهو مما يخل بفصاحة الكلام لمخالفته للقانون النحوي المعروف .

ابن عبد الملك فقال : ما مثله (إلا مملكاً) يعني هشام بن عبد الملك ، أبو أم هشام بن عبد الملك حيّ أبو الممدوح يقاربه ، يعني إنّ بني أمية وبني مخزوم جميعاً من قريش .

وقال الأَخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة نصب (مملكاً) لأنه استثناء عنده ^(١) : ما مثله في الناس حيّ يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه ، يعني خال هشام والمملك هشام بن عبد الملك .

هذه أبيات معانٍ

مرّا غلط الأعرابُ فيها الأصمعيّ

أملأها أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب رحمه الله رواها أبو بكر ابن الحَيَّاط ، وجدتها في كتب أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي .

قال الاصمعيّ في قول الرّاعي :

(١) (الاملكاً) مستثنى من (حيّ) تقدّم على المستثنى منه فانتصب ، ولو كان مؤخّراً عنه لكان الاختار فيه الرفع على البدلية من (حيّ) وهو المستثنى منه .
م (٥)

إِذَا مَا دَعَتْ شَيْباً بِجَنِيٍّ غَنِيْزَةٍ مَشَافِرُهَا فِي مَاءٍ مُّزْنٍ وَبَاقِلٍ^(١)
 قَالَ : حَكَى أَصْوَاتَ مَشَافِرِهَا بِقَوْلِهِ (شَيْبَا) كَقَوْلِهِ : (وَالْبَحْرُ
 يَدْعُو هَيْقَمًا وَهَيْقَمًا) حَكَى صَوْتَ الْبَحْرِ ، قَالَ : وَ (بَاقِلٌ) يَرِيدُ
 الْبَقْلَ ، قَالَ الصَّقِيلُ : أَخْطَأَ ، حَرَبَهُ اللَّهُ ! إِذَا أَكَلَ الْبَقْلَ
 مَا يَصْنَعُ بِالماءِ ، يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَا يَعْلَمُ الْجَاهِلُ أَنَّهَا إِذَا
 أَكَلَتِ الْبَقْلَ لَمْ تَطْعَمِ الماءَ ، وَلَكِنْ (بَاقِلٌ) الرَّمْثُ وَالْغَضَا
 وَالْإِخْرِيطُ مِنَ الْحَمْضِ إِذَا أَكَلْتَهُ أَحْرَقَ أَجْوَأَهَا فَشَرِبْتَ الماءَ
 شَرْباً شَدِيداً وَأَنْشُد :

حَرَّقَهَا الْحَمْضُ فَمَا تَقِيلُ وَمَا يَقِيلُ تَحْتَهَا فَصِيلُ
 إِلَّا فَصِيلُ رَاسِهِ مَا كُولُ

وَأَنْشُد (حَرَّقَهَا مِنَ النَّجِيلِ أَشْهَبُهُ) .

وَقَالَ أَيْضاً فِي قَوْلِ الرَّاعِي :

يَظْلُ غَنَمِيْنٌ حَمَشٌ أَوْفَهُ وَهَنْ قِيَامٌ مَا يُحَرِّكُنْ إِصْبَعًا^(٢)

(١) مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ . وَجَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (شَيْبٌ) : وَالشَّيْبُ
 بِالْكَسْرِ حِكَايَةُ صَوْتِ مَشَافِرِ الْإِبِلِ عِنْدَ الشَّرْبِ ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ وَوَصَفَ
 ابْنًا تَشْرَبُ فِي حَوْضٍ مِثْلَتَهُمْ وَأَصْوَاتَ مَشَافِرِهَا (شَيْبٌ شَيْبٌ) :
 تَدَاعَيْنِ بِأَمَمِ الشَّيْبِ فِي مِثْلَتِهِمْ جَوَائِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسِلَامٍ
 (٢) مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ .

يعني أنه حمش القوائم ، وأنه يتألف بهنّ المرعى .
قال أبو الخضر وغيره من الأعراب : هذا باطل إنها يعني
ذباب الروض ، وقوله (أنوفه) لأنه يأكل من كل أنواره
يتأنفها^(١) : يأكل أنفها وأنشد^(٢) :

كأن الذباب الأزرق الحمش وسطها إذا ما تغنى بالعشيات شارب^(٣)
عقار أسبتها التجمر من خمر عانة لها سورة في رأسه ذات صالب^(٤)
وأنشد آخر :

حريقاً زهاه النبت حتى ذبابه ومكاؤه عند الضحى غردان
كأنهما من قرقف أزعرية سباها قطار الشام، منتشيان^(٥)

(١) الأنوف والمتأنف الذي لا يرعى إلا أنف المرعى الذي لم يرعه
أحد ، واؤنفة والمؤنفة من الإبل التي يتبع بها أنف المرعى أي أوله .
(٢) أنشده اللحياني أيضاً .

(٣) الحمش والحماشة والحموشة : الدقة ، وهو حمش الساقين
والذراعين بالتسكين وحيشها وأحشمها دقيقتها وحمش القوائم دقيقتها ، وكان
عبد الله بن مسعود حمش الساقين ، وقال الشاعر يصف براغيث :
وحمش القوائم حذب الظهور طرقت بليسل فأرقني
وذباب الروض كالبراغيث حمش القوائم .

(٤) (عقاراً) مفعول به لشارب ، والنشجر التشجار ، ويقال :
سار الشراب في رأسه إذا وثب وهاج وله سورة (ذات صالب) أي
حمى صالب يقال أخذته الصالب .

(٥) أي كأن الذباب وطيء المكاء منتشيان وثلان من خمرة إزرع الشامية .

وأُشْدَ لحاجب بن ذبيان المازني يصف راعياً :
 إِذَا تَوَجَّسَ لَمْ تَرْجِعْ مَسَامِعُهُ مِنْ صَوْتِ عُجْمٍ وَلَا فُصْحٍ تُؤَدِّيهَِا
 إِلَّا مَقَامَ طَلَى أَوْ صَوْتِ ذِي هَزَجٍ حَمَشِ الْقَوَائِمِ فِي رَوْضٍ يُغْنِيهَِا
 ومنه قول عنتره :

هَزَجاً كَصَوْتِ الشَّارِبِ الْمَتَرْتِمِ
 هَزَجاً يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمُسْكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ
 وقال في قول ذي الرمة :

يَجْلُو بِهَا اللَّيْلَ عَنَّا فِي مُلْمَعَةٍ مِثْلَ الْأَدِيمِ لَهَا مِنْ هَبْوِهِ نَيْمٌ^(١)
 قال : النِّيم : الفرو القصير^(٢) ، وإِنَّا هُوَ بِالْفَارَسِيَةِ لِلنَّصْفِ
 قال أَبُو الْخَضَرِ : أَخْطَأَ ، إِنَّا أَرَادَ بِقَوْلِهِ (نَيْم) كَسْنُوهُ مِنْ

(١) من البحر البسيط .

ورواية الصحاح (حتى انجلي الليل ...) وفي التكملة (يجلي بها الليل عنا ...) وقوله (في ملْمَعَةٍ) قال ابن بري : من فتح الميم أراد يلمع فيها السراب ، ومن كسر أراد تلمع بالسراب قال : وُفِّرَ النِّيمُ فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْفَرَوِ (كما قال الأصمعي) وأُشْدَ ابن بري العرَّار بن سعيد : فِي لَيْلَةٍ مِنْ لِبَالِي الْقُرَى شَاقِيَةٌ لَا يُدْفِئُ الشَّيْخَ مِنْ صُرَادِهَا النِّيمُ
 (٢) وفي اللسان (نوم) الفرو القصير إلى الصدر ، وقيل له نيم أي نصف فرو بالفارسية .

الهنوة^(١) ليتة ، وكلّ لَيْن من الثياب وغيرها نيم وأنشد :
وقد كانت الدنيا على عهد رابعٍ تلين لنا من قرّة العين نيمها
أي من عيش لَيْن ، وأنشدته قول العجاج^(٢) :
(يُكْسَيْنَ من لين الشباب نيا)

قال : هذا مما قلتُ لك .

وقال في قول أبي النجم :

تَزِينُ لَحْيِي لَاهِجٍ مُخَلَّلٍ^(٣)

عن ذي قراميصَ لها مُحَجَّلٍ

(القراميص) مَفْحَصُ الناقة في الرَّمْل لئلا يَثْقُلَ عليها

(١) الهَنُوة : النِّعامة ، فكأنها من ريش النِّعَام على المجاز ، ولذلك
فسر بعضهم (النيم) بفرو يسوّى من جلود الأراانب ، وهو غالي
الشمع ، وبالقطيفة .

(٢) ونسب ابن برّقي هذا الرجز لأبي النجم ، وقبّله (وقد أرى
ذاك فلان يدوما) .

(٣) من الرجز و (اللاهج) الفصيلُ يمتصّ زرع أمه ، و (المخلّل)
الذي يُجْعِلُ في فيه خيلاً فشدّه لكبلا يرضع .

َضْرَعَهَا فَتَخْضَدُهُ ^(١) فَتَدْخُلُهُ فِي الرَّمْلِ فَتَجْعَلُهُ كَالْقَرْمُوصِ ، وَإِنَّمَا
أَرَادَ بِهَذَا ضَخَمَ الضَّرْعِ وَثَقَلَهُ لِأَنَّهَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَجَافَى عَنْهُ وَلَا
بَدًّا لَهَا مِنْ أَنْ تَحْفَرُ لَهُ .

قَالَ الصَّقِيلُ : كَذَبَ الْأَصْمَعِيُّ ، إِنَّهَا الْقَرَامِيصُ قَرَامِيصُ
الضَّرَّةِ ^(٢) الَّتِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهَا اللَّبْنَ وَهِيَ أَفْنٌ فِي جَوْفِ الضَّرَّةِ
وَأَيُّنُ مَا تَكُونُ الْقَرَامِيصُ إِذَا دَفَعْتَ وَضَخْتُمْ قُبَيْلَ الْوَلَدِ
أَوْ بَعْدَهُ ، وَكَيْفَ يَفْحَصُ بِضَرْعِهَا الرَّمْلَ ^(٣) .

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ :

لَا تَرِدُّ الْمَاءَ بَعْظَمُ تَكْدِيمُهُ تَجَارِفُ الْحَوْضَ وَلَا تَشْمَمُهُ ^(٤)

(١) تخضده : تثنيه وتكسره ، قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ بَعْدَ أَنْ أَنْشَدَ الرَّجَزَ :
قَرَامِيصُ ضَرْعِهَا بَوَاطِنُ أَفْخَاذِهَا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهَا تَوْثُرُ لِعَظَمِ ضَرْعِهَا إِذَا
بَرَكْتَ مِثْلَ قَرْمُوصٍ الْقَطَاةِ إِذَا جَشَتْ .

(٢) الضرة : أصل الضرع الذي لا يخلو من اللبن .

(٣) قَوْلُهُ (وَكَيْفَ يَفْحَصُ بِضَرْعِهَا الرَّمْلَ ؟) إِذَا بَرَكْتَ النَّاقَةَ بَعْدَ
أَنْ تَكُونُ دَفَعْتَ وَضَخْتُمْ ضَرْعَهَا بِغَزَاةِ اللَّبَنِ فِيهِ ، أَتَتْ بِثَقَلِ ضَرْعِهَا
فِي الرَّمْلِ وَتَرَكْتَ تَحْتَهُ حَفْرَةَ كَالْقَرْمُوصِ ، وَالرَّمْلُ مَرِيْعٌ النَّاتِرُ وَالْإِنْهَارُ
بِالثَّقَلِ يَوْضَعُ عَلَيْهِ ، وَهَذَا شَرَحَ كَلَامَ أَبِي الْهَيْثَمِ الَّذِي يُوْثِدُ كَلَامَ الْأَصْمَعِيِّ .

(٤) (٤) مِنَ الرَّجَزِ .

يريد أن الإبل إذا وردت الماء أُلقيت لها العظام النَّخْرَة
لتشرب الماء وتلوّكها لتملّجَ بها ليكون أكثر لشربها وأحرصَ
لها على الماء ، وهذه تشرب شرباً لا تحتاج معه إلى العظام ؛
فقال بهدلّ الأسديّ وعجربة وغيره من الفصحاء : ليس
كما قال ، الإبل إذا لم ترعَ الحمض وفقسده اختلّت إليه ^(١)
واعتلّت فتمرّ بالديران فتكدم ما وجدت من عظم وتعجمه ،
والكدم بمقدّم الفم . والعجم بالأضراس والفم كله ، يقول :
فهي لا تحتاج إلى ذلك لا صَبَعَه ^(٢) عليها ، ولحسن قيامه عليها ،
ورعيته إِيّاها ، وإمكانه إِيّاها من الحمض . وتقول إذا اشتقتَ
إلى صاحبك : قد اختلّت إلى فلان وإلى لقائه فأنا محتلّ إليه
فأما أن يحمل الراعي العظام إلى الماء فلم ترَ ذلك ولا سمعنا
به . وإنّها يرتّم من الإبل ما كان في العذاة ^(٣) كلّ أرضٍ ليس

(١) احتاجت واشتاقت إليه و (الديران) الديار جمع دار .

(٢) أي لحسن رعيته وقيامه عليها كقول الراعي :

ضعيفُ العصا بادي العُروق ترى له علياً إذا ما أجذب الناس إصبعاً

(٣) العذاة الأرض الطيبة البعيدة من الماء والوخم ، و (ترتمّ)

تأكل وتنفخ الرمم .

فيها حمض فتتبع العظام وترتمُّ بها : أي تقضم الرَّمَمَ ، فإذا
كانت في حمضٍ لم تفعل ذلك .
وقال في قول حميد :

وخاضت بأيديها النطاف وذعذعت بأقيادها إلا وظيفاً مُخَدِّماً^(١)
خضخضت بأيديها ماء السماء من الخصب وقطعت أقيادها
عنها من السمن والمرح إلا أن يبقى على الوظيف خَدَمَةٌ^(٢)
والوظيف ما بين الرُّسْغ والرُّكْبَة ، وما بين الرُّسْغ وعُرقوب
الرجل ، وهي أيضاً في اليد ، والقِيُون واحدها قَيْن قال
ذو الرُّمَّة^(٣) :

(قَيْنِه وانحسرت عنه الأناعيمُ)

قالت الأعراب : كيف تُخْضِضُ بأيديها النطاف ، وقد

(١) من البحر الطويل .

(٢) الخَدَمَةُ : الستير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشد في رسغ البعير
فيسد إليها مرايح نعلها ، والخلخال أيضاً .

(٣) من البسيط وصدرة :

(دانسى له القيدُ في ديمومه قُدُفٍ قَيْنِه وانحسرت عنه الأناعيمُ)

جمع انعام .

وصف قبل هذا أنه قد تجرّم^(١) الربيعُ وسمِن^(٢) حتى عاد
مدّ ماها كُميتاً، إنّما أراد أنه نشّت^(٣) الغُدران فلم يبقَ من الماء
إلا ما تخوضه بأيديها كما قال ذو الرّمة :

وخاض القَطام من مكرع الحيّ باللّوى نطافاً بقاياهنّ مطروقة كُدرُ
أي نشّت الغُدران والمواضع التي يكرع فيها القوم حتى
خاضها القَطَا .

وقال في قول عمرو بن قعاس المرادي :
وَصَادِرَةٌ مَعاً وَالْوَرْدُ شَتَّى على أدبارِها أَصْلًا حَدَوْتُ^(٤)
قال : يعني قصيدة من الشعر ، واحتجّ بقول الحطيئة حيث
سُئِلَ عن أشعر أهل زمانه ؟ فقال : كَفَاكَ بِي إِذَا حَدَوْتُ فِي
آثَارِ الْقَوَافِي .

-
- (١) انقضى وانصرم واصله من الجرم وهو للقطع .
(٢) وسمِن ويمكن قراءتها (تيمّن) ، أما وجه (سمن) فلعل الأصل
(سمن السّرح) فحذف الناصب الفاعل ، وأما (تيمّن) فقد تكون بمعنى
مات لأن التيمّن من معانيه الموت : أي انقضى الربيع ومات .
(٣) نشّت الغُدران : أخذ ماؤها في النضوب
(٤) من البحر الوافر .

قالت العرب : فما قوله (أُصْلَا) ، وقول الشعر بالغداة والعشي سواء ؟ ؛ ولكنه أراد إبلا أغار عليها وردت الماء شتى فلما اجتمعت معاً ساقها وحدا في آثارها ، وقالت الأعراب : كفى بي إذا وضعتُ إحدى رجلي على الأخرى ورفعت غريدتي^(١) بالركبانية جاريأمنهم ، وقال آخر : (جاءت معاً وصدرت شتيتا) فهذا خلاف قوله (وصادرة معاً ...) ومثل (وصادرة معاً ...) قول مُرقش :

فلم يَشْعُرِ الحيُّ حتى رأوا بريقَ القوانسِ فوقَ الغَرَرِ
ففرَّقَتْهُمُ ثم جَمَعَتْهُمُ وأصدرتهم قبلَ حينِ الصَّدَرِ
قال : تفرقت الإبل من الفزع ثم جمعوها وضموها وساقوها
وقت صدرها ومثله للجعدي :

ففرَّقَتْهُ ثم جَمَعَتْهُ ولم تك غارتُهنَّ اختلاسا
آخر الأبيات

(١) غريدتي أي تغريدتي أو أغرودتي ، أو مصحفة عن عقيرتي ،
(الركبانية) لم تذكرها كتب اللغة فلعلها أغاني الركبان بضرب
من الألحان .

هذه أبيات

خطأ فبها أبو نصر^(١) صاحب الأصمعي ابن الأعرابي

عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد رحمه الله :
سئل ابن الأعرابي عن قول طفيل الغنوي :

« ١ »

تَتَايَعَنَ حَتَّى لَمْ تَكُنْ لِي رِبِيَّةَ وَلَمْ يَكْ عَمَّا خَبَرُوا مُتَعَقَّبُ^(٢)
سأله عن تفسيره وما معنى قوله (مُتَعَقَّبُ) ؟ فقال :
متعقب : تكذيب . قال أبو نصر الباهلي : هذا خطأ ، قوله
(متعقب) : أي لم أسأل عن الخبر ثانية ، والعرب تقول :
« تَعَقَّبْتُ الْخَبَرَ » إِذَا سَأَلْتَ عَنْهُ غَيْرَ مَنْ سَأَلْتَ عَنْهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ،

(١) أبو نصر هو أحمد بن حاتم الباهلي راويته روى عنه كتبه ، ويقال
هو ابن أخته ، وذكر البغدادي في تاريخه أنه أوثق من روى عن الأصمعي ،
وكان ثعلب يروي عن أبي نصر كتب الأصمعي . قال الزبيدي توفي
سنة ٢٣١ هـ .

(٢) من البحر الطويل .

وقوله (تتايعن) التتايع التفات في الشر واللجاج فيه من غير روية
ولا يكون في الخبر .

ومنه يقال : عَقَّبَتْ في الغزو : إذا غزوتَ ثمَّ ثَبَّتْ ^(١) ، ومنه وأنشد لطفيّل مثل هذا البيت أيضاً :

وأطنا به أرسانُ جُرْدٍ كأنّها صُذورُ القنّانِ باديءٌ ومُعَقَّبٌ

أي أطنا ببيت أرسان الخيل ، و (جُرْدٌ) قصر الشعور كأنها صدور القنا في الطول ، والمعنى كأنها القنا ، يُقال : جاء فلان على صدر راحلته أي جاء على راحلته ، ومنه قول الأعشى ^(٢) :

الواطئينَ على صدور نعالهم يمشونَ في الدَّفْنِيّ والأبرادِ (الدفني) ثياب نسبت إلى الدفنة وهي من اليمن ^(٣) ، أراد :

الواطئين على نعالهم .

(١) وهو التعقيب أن يغزو الرجل ثم يثبتي من سنته ، وقال طفيل أيضاً يصف الخيل :

طوال المروادي والمتون صليبةٌ متغاورٍ فيها للأمير مُعَقَّبٌ

(٢) وقبله يفتخر بقومه بني قيس بن ثعلبة :

إني امرؤ من عَصْبَةِ قَيْسِيَّةٍ ضُمَّ الْأَنْوَفِ غَرائِقِ أَحْشَادِ

(٣) وهي ثياب مخططة كما جاء في لسان العرب ولم يذكر نسبتهما إلى الدفنة .

وُسئِلَ عن قول طِفِيل :

« ٢ »

كَأَنَّهُ بَعْدَ مَا صَدَّرْنَ مِنْ عَرَقٍ سَيِّدٌ تَمَطَّرَ جُنْحَ اللَّيْلِ مَبْلُولٌ^(١)
قال ابن الأعرابي : بعد ما سال العرق من صدورهن سيدٌ ،
والسيد الذئب .

قال أبو نصر : هذا خطأ ، إنما التفسير : كأن الفرس بعدما
تقدمت الخيل بصدورها من عَرَقِ الصَّفِّ صفَّ الخيل ذئب
أصابه مطر فهو ينجو . (تمطر) أسرع يقال : تمطر في
العدو^(٢) ، ومنه يقال : عَرَقَةٌ من قطاً ومن خيل ، وكل سطر
وصفَّ عَرَقَةٌ^(٣) .

-
- (١) من بحر البسيط ، وروي في اللسان (مطر) و (عرق) :
كأنهن وقد صدرن . . .
(٢) واستشهد ابن منظور بالبَيْتِ على أن (تمطر) أسرع في عدوه ،
وقيل (ولعله تفسير ابن الأعرابي) تمطر برز للمطر وبرده ، وأبو نصر فسره
بمعنى أسرع في العدو ، وفهم أنه أصابه مطر من قوله (جنح الليل مبلول) .
(٣) وفي اللسان (عرق) والعَرَقُ السطر من الخيل والطير الواحد منها
عَرَقَةٌ وهو الصف واستشهد ببَيْتِ طِفِيل ، وقال ابن بَرِّي في شرحه :
العرق جمع عَرَقَةٌ وهو السطر من الخيل (وصدَّرَ الفرس فهو مصدِّرٌ إذا
سبق الخيل بصدرة ، و (صدرن) أخرجن صدورهن من الصف ، وذكر
اللسان تفسير ابن الأعرابي بأنه (صدرن بعد ما عريقن) من العرق ، ولم
يذكر تخطيطه أبي نصر له في تفسيره .

وُسئِلَ عن بيت طُفيل :

« ٣ »

كَأَنَّ عَلَى أَعْرَاقِهِ وَلِجَامِهِ سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرَفَجٍ يَتَلَهَّبُ^(١)
فقال : كَأَنَّ الْفَرَسَ فِي شُقْرَتِهِ نَارٌ .

قال أبو نصر : هذا خطأ ، إِنَّهَا مَعْنَاهُ . كَأَنَّ خَفِيفَ جَرِيهِ
لَهَبُ نَارٍ ، وَخَفِيفُهَا^(٢) (صَوْتُ لَهَبِهَا) ، وَاسْتَشْهَدَ بَيْتَ أَوْسٍ :
إِذَا اجْتَمَعَا شَدَّاءَ حَسِبْتَ عَلَيْهِمَا عَرِيشًا عَلَيْهِ النَّارُ فَهُوَ مُحَرَّقُ^(٣)
وقال العجاج :

كَأَنَّمَا يَسْتَضْرِمَانِ الْعَرَفَجَا فَوْقَ الْجَلَاذِيِّ إِذَا مَا أَمْحَجَا^(٤)

(١) من البحر الطويل .

(٢) التعبير ناقص ، ولعل الأصل (وخفيفها صوب لهبها) لأن الخفيف صوت الشيء تسمعه كالرنه أو طيران الطائر أو التهاب النار أو حركة أوراق الأشجار .

(٣) من الطويل .

(٤) من الرجز ، والجلّاذي جمع جلّذاء أو جُلْدِيَّة عن ابن شميل ، وهي المكان الحشن الغليظ من القف المرتفع يقطع أخفاف الإبل وقتلها ينقاد ، و (أمحج) أمرع .

وقال رؤبة :

كَأَنَّ أَيْدِيهَا تَهَاوَى فِي الزَّهَقِ مِنْ كَفَّتْهَا شِدَاكَ ضَرَامِ الْحَرَقِ^(١)

وقال امرؤ القيس :

جَمُوحًا سَبُوحًا وَإِحْضَارُهَا كَمَغْمَعَةِ السَّعْفِ الْمَوْقِدِ

وُسئِلَ عَنْ بَيْتٍ لِعُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ :

« ٤ »

مُطِيلًا عَلَى أَعْدَائِهِ يَزْجُرُونَهُ بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ الْمَنِيحِ الْمَشْهُرِ^(٢)
فَقَالَ : (الْمَنِيحُ) الَّذِي لَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْقِدَاحِ ، وَإِنَّمَا
تُكَثَّرُ بِهِ الْقِدَاحُ .

قَالَ أَبُو نَصْرٍ : هَذَا خَطَأٌ ، إِذَا كَانَ خَامِلًا^(٣) لَا نَصِيبَ لَهُ
فَلَيْمَ يُزْجَرُ ، وَلَمْ يَقُلْ (الْمَشْهُرُ) ؟ وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ : الْمَنِيحُ
الْقِدَاحُ الْمَعْرُوفُ بِالْفَوْزِ فَيَسْتَعَارُ لِأَنَّهُ يُتَبَرَّكُ بِهِ لِكَثْرَةِ فَوْزِهِ^(٤) ،

(١) الزَّهَقُ مَحْرُكَةٌ : الْمَطْمَنُ مِنَ الْأَرْضِ وَفُجِعَ الْجَبَلُ الْمَشْرُفُ ،
وَالْكَفْتُ الْإِسْرَاعُ .

(٢) مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ .

(٣) سَاقِطًا لَا نَبَاهَةَ لَهُ

(٤) قَالَ اللَّحْيَانِيُّ : وَالْمَنِيحُ قِدَاحٌ مِنَ أَقْدَاحِ الْمَيْسَرِ يُوْثِرُ بِفَوْزِهِ فَيَسْتَعَارُ

يُنْتَمِئُ بِفَوْزِهِ .

ومنه الناقة المنيحة لأنها تُعار فيُشرب لبنها ثم تُردّ ، يقال ،
مَنحت فلانا ناقتي إذا أعرته إياها وأنشد ^(١) .

مُفَدَّى مُؤَدَّى باليدين ملعَنٌ خَلِيعُ لجامٍ فائِزٌ مُتَمَنِّحٌ
إذا امتنحته من قريش عصابةً غدا ربُّه قبل المُفِيضينَ يقدحُ
وقال عمرو بن قسيّة :

بأيديهم مَقرومةٌ ومَغالقٌ يُشِيرُ بأرزاقِ العباد مَنِيحُها ^(٢)

قال فهل يثير الرزق مالا نصيبَ له ؟ وأنشد لليد :

ذعرتُ قِلاصَ الثَّلجِ تحتِ ظلالِهِ بمشي الأيادي والمَنِيحِ المُعَقَّبِ ^(٣)

(١) لابن مقبل من الطويل (الديوان « نشر وزارة الثقافة » ص ٣٠) ،
ورواية المسان لبيته الثاني (إذا امتنحته من مَعَدَّى . . .) وبعده جاء شرحه
في اللسان بقوله : يقول إذا استعاروا هذا القِدحَ غدا صاحبه يقدح النار
لثقتة بفوزه ، وهذا هو المنيح المستعار ، وهذا يؤيد ما ذهب إليه
أبونصر ، على أنه قد يطلق المنيح على مالا نصيب له كقوله :

(فمَلا ياقُضاعُ فلا تَكوني مَنِيحاً في قِداحِ يَدَيَّ مُجِيلِ)

فانه أراد بالمنيح في هذا البيت الذي لا غنم له ولا غُرم عليه ، قال الجوهري :
والمَنِيحُ سهم من سهام الميسر بما لا نصيب له إلا أن يمنح صاحبه شيئاً ،
فهذا ما أراد ابن الأعرابي وإنما أخطأ في تفسير (المنيح) الوارد في بيت
عروة بن الورد فإنه كثير الفوز يتبرك به ويستعار .

(٢) مقرومة مقشورة وهي القداح ، (والمغالق) من نعوت القداح التي
يكون بها الفوز وليست من أسماءها .

(٣) من الطويل و (المعقَّب) من عقَّبه تعقيباً جاء بعقبه .

وأنشد لدريد بن الصِّمَّة :

وأصفرَ من قِداحِ النَّبْعِ فرعٌ به عَلَمَانِ من عَقَبٍ وَضَرْسٍ

وُسُئِلَ عن بيت لأبي داود .

« ٥ »

وتدلّت بها المغارض فوق أَلْ أرض ما إِنْ يُعْلِثُنَّ السَّنامُ^(١)

فقال ابن الأعرابي : المعارض بالعين .

قال أبو نصر : (المغارض) بالغين معجمةً الواحد مَغْرُضَة

وهو موضع الغَرَض من الناقة ، والغَرَض حِزام الرّحل .

وُسُئِلَ عن بيت الراعي :

« ٦ »

تكسو المِفارِقَ واللِّبَاتِ ذَا أَرَجٍ من قُصْبٍ مُعْتَلِفٍ الكافورِ دَرَجٍ^(٢)

فقال : (من قُصْب) بالضاد معجمةً .

فقال أبو نصر : صحّفتُ إنها هو بالصاد أراد المسك من

قُصْبٍ مُعْتَلِفَةٍ الكافور ، والقُصْبُ المِعى والجمع أَقْصَاب ،

(١) من البحر الخفيف .

(٢) من البحر البسيط ، وقد استشهد اللسان ببيت الراعي على القصب

ثم قال أبو نصر : الست تقول : ليته بحوض الثعلب ؟ وإنما هو
 بخوض الثعلب ^(١) فقال أقول : بحوض وبخوض وقال : ألسنت
 تقول : بلغ فيه الشيبُ بالغين المعجمة ؟ فقال نعم أقول :
 بلغ وبلغ ^(٢) .

تمت الأبيات

قرأه عليّ إلى آخره . أبو نصر شاكر بن عبد الله وسمع
 بقراءته أبو محمد وأبو الحسن وأبو الفضل في ذي الحجة سنة
 عشر وأربعمائة .

وكتب محمد بن علي بن اسحق الكاتب بيده ^(٣) .

عز الدين النورضي



(١) وفي اللسان : وخوض الثعلب موضع باليامة حكاه ثعلب .

(٢) بلغ الشيبُ في رأسه : ظهر أول ما يظهر ، وفي اللسان (بلغ)
 وزعم البصريون أن ابن الاعرابي صحف في نوادره فقال مكان بلغ بلغ
 الشيب فلما قيل له انه تصحيف قال : بلغ وبلغ ، قال أبو بكر الصولي
 وقرئ يوماً على أبي العباس ثعلب ، وأنا حاضر هذا ، فقال : الذي أكتب
 (بلغ) كذا قال بالغين معجمة .

(٣) عبارة القراءة والسماع الأخيرة كتبت بخط غير خط ناسخ الكتاب
 فلا شك في أن تاريخ نسخه متقدم على تاريخ كتابة محمد بن علي الكاتب
 فقد يكون في أواخر القرن الرابع أو قبل ذلك والله أعلم .

ابن بطوطة

هو الرحالة العالمي الشهير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة ، بفتح الباء وضم الطاء الأولى مع التخفيف ، وبعضهم يشددونها والجاري على الألسنة خلفه .

ولواتة التي ينسب إليها هي بفتح اللام قبيلة مغربية منازلها الأصلية ببرقة من أرض طرابلس وتوطن منها بجهات المغرب المختلفة أقوام نبغ منهم بطنجة قبل المترجم أسرة بني سمجون الفقهاء الأعلام وبسببته الفقيه المشاور أبو جعفر اللواتي المعروف بابن القابسي شيخ القاضي عياض وغير هؤلاء . على أن أسرة ابن بطوطة نفسها كانت أسرة علمية ظهر فيها القضاة ومشائخ العلم على ما أخبر هو عنها في الرحلة لما خيره ملك الهند في وظائف الوزارة والكتابة والإمارة والقضاء والتدريس فقال : « أما الوزارة والكتابة فليست شغلي ، وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي » . وذكر في الرحلة أيضاً أنه لما قدم إلى رندة في رحلته إلى الأندلس كان القاضي بها هو ابن عمه الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة . فهذا بيت ثان من لواتة نبغ بطنجة وإن لم نخط بأفراده علماء لسكوت المؤرخين وكتاب التراجم عن ذكرهم . ولولا هذه الإشارة العابرة من رحالتنا إلى ما كان لأهل من مجد علمي لما عرفنا عنه شيئاً من ذلك .

وكانت ولادة ابن بطوطة في مدينة طنجة يوم الاثنين ١٧ رجب عام ٧٠٣ (٢٤ شباط « فبراير » ١٣٠٤) والدولة المرينية في عنفوان

القوة ، والشعب المغربي في أوج تقدمه العلمي والأدبي ، فمن الطبيعي أن ينشأ ابن بطوطة وهو سليل أسرة علمية عريقة ، على طلب العلم وينبت في حجر والديه نباتاً حسناً ، والظاهر أنه إنما درس على مشائخ بلده ، إذ لا تعلم له رحلة في هذا الصدد قبل رحلته الكبرى .

أما طلبه العلم وتحصيله طرفاً منه فما لاشك فيه ، ويدلنا على ذلك أنه في أثناء رحلته لم يكن يخالط إلا أهل العلم ولا يجنح إلا إليهم ، وإذا لقي أحداً من كبار المشائخ ، ومشاهير العلماء حرص على الأخذ عنه والقراءة عليه ، وتَحْيِثُهُ هذا لشيوخ الرواية هو وحده دليل على نزعة علمية أصيلة فيه .

ولا ننس أنه لما كان بالبصرة وشهد صلاة الجمعة فيها بمسجد عليّ ، لاحظ أن الخطيب يلحن لحناً كثيراً جليلاً على حد تعبيره ، فعجب من ذلك وذكره للقاضي فقال القاضي له : « إن هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئاً من علم النحو » . وهذا الأمر حمله على أن يسجل هذه الملاحظة للاعتبار فيقول : « وهذه عبرة لمن تفكر فيها ، سبحانه مغير الأشياء ومقلب الأمور ! هذه البصرة التي إلى أهلها انتهت رئاسة النحو وفيها أصله وفرعه ، ومن أهلها إمامه الذي لا ينكر سبقه ، لا يقيم خطيبها خطبة الجمعة على دؤوبه عليها » .

ثم لا ننس أنه ولي منصب القضاء على المذهب المالكي في مدينة دهلي بالهند مدة تَثْنَيْتٍ على سبع سنين ثم يحزيرة ذبية المهل أيضاً ما يقرب من سنة ونصف ، كما ولي قضاء الركب التونسي للحج فوراً انفصاله عن المغرب ، ومات وهو قاض ببعض جهات المغرب كما يأتينا عن ابن مرزوق . فهذان الأمران ، وهما ملاحظة اللحن على خطيب البصرة وولايته للقضاء في بلاد عديدة ، زمناً طويلاً ، يرشداننا إلى ما كان عليه من ثقافة لغوية وفقهية لا يستهان بها .

أضف إلى أنه كان ينظم شعراً وسطاً على عادة العلماء المتفنين ، وقد أعطانا نموذجاً منه في الرحلة ، وهو سبعة أبيات من قصيدة مدح بها ملك الهند ، فهذا أيضاً دليل على ثقافته الأدبية .

ولم يشر في الرحلة على طولها إلى أنه تلقى شيئاً من الدراسات الماثلة لما ذكر عن أحد من العلماء الذين لقى في البلاد المختلفة ، وإنما ذكر سماعه لبعض كتب الحديث على بعض كبار العلماء وإجازتهم له ، وأخذه للعمد عن بعض مشائخ الصوفية على ما كان عليه الحال في الزمن الماضي ، وتلك طريقة العلماء الذين يحرصون على سعة الرواية وعلو السند ، فلا يقال إنه درس أثناء رحلته ، لأن ذلك لا يفهم منه بحال .

وعليه فهو قد درس ببلد « طنجة » وزاول دراسته في فجر حياته لأنه لما شد رحله كان ابن اثنين وعشرين عاماً ، وفي الوقت نفسه كان قد انتهى من الدراسة ، وإذا دل هذا على شيء فعلى أن طنجة كانت غنية بعلمائها في ذلك الوقت ، وهم من الصنف الذي يستغني به الطالب في دراسته الكاملة فلا يحتاج إلى الهجرة في طلب العلم . والغريب أنه لم يُسم لنا أحداً من شيوخه هؤلاء ، ولم يذكر شيئاً عن أوليته في الطلب ، وإنما المرجح أن يكون من بين شيوخه بعض أقاربه الذين قال عنهم ما قال . هذا استفناجنا بالنسبة إلى تكوينه العلمي ، وأما بالنسبة إلى تكوينه الخلقي فيظهر أن والده الذي لم يفتأ يحن إليها أشد الحنين طَوَّالَ رحلته ، قد رباه تربية دينية متينة . فكان قوي العقيدة ، محافظاً على أداء الشعائر الدينية ، صبوراً ، صدوقاً ، واثقاً بالعناية الإلهية ، لاسيما عند الشدائد . وذلك ما جعله يخاطر بالتوغل في أقاصي البلاد والرحلة إلى أقطار العالم في زمن كانت المواصلات فيه شاقة جداً ، والطرق غير مأمونة ، وأكثر الشعوب والأمم على عدا متصل فيما بينها . ومن الدليل على شدة

تدينه أن باعته الأول على الرحلة كان هو ارادة الحج وأداء هذه الفريضة التي لا تجب على الفور ، وهو لم يزل بعد في عنفوان الشباب وطراوة الإهاب .

وفي أثناء رحلته الطويلة كان لا يسمع برجل من الصالحين في بلد من البلدان وإن لم يكن على طريقه إلا "عرج عليه وزاره وتبرك به وطلب منه الدعاء له ولوالديه . وكذلك كان لا يمنح إلا لأفاضل الناس ولا يصحب إلا ذوي المروءات منهم . وشيء آخر هو أنه منذ ابتداء رحلته ، جرى على الاستفادة من سماحة الشريعة الغراء فكان يتزوج في كل بلد يحل به وينوي الإقامة فيه ، وربما تزوج في الطريق ويصطحب معه زوجته ولا يفارقها حتى تكون هي الراغبة في الفراق ، يتحامى بذلك عن الوقوع في العنت وهناك حرمات أهل البلد الذي ينزله ، وكل ذلك مما يدل على قوة دينه ونقاء عرضه .

ومن أخلاقه الأصيلة أنه كان سريع التأقلم إن صح هذا التعبير (١) ، ونعني به التكيف بطبيعة الإقليم الذي يستقر به ، والاندماج في أهله ومواطنهم على عاداتهم ومألوفاتهم حتى يصبح كأنه واحد منهم وكأنما ولد بين ظهرانيهم وعاش معهم زمناً طويلاً ، ولعل لبلده طنجة التي هي طريق رئيسي بين الشرق والغرب وطبيعة أهلها المرححة المنشرة دخلاً في ذلك ، وهذا على ما نظن بما كان له أثر كبير في تغلغه في الأوساط الاجتماعية المختلفة للبلاد التي زارها ، أضف الى ذلك ما كان عليه من شدة الملاحظة وقوة الذاكرة ، فلا جرم أن تمتاز رحلته بكونها سجلاً مهما للحياة الاجتماعية حتى والسياسية والاقتصادية في أقطار لم نكن لنعرف عنها شيئاً في الوقت الذي زارها فيه لولا انطباعاته هذه التي سجلها بكل دقة وأمانة .

وإلى هنا نكون قد ألمنا بالعناصر الأولية التي كونت هذه الشخصية القوية ، ولعل عنهمراً آخر مادياً يكون ضروري الإضافة إلى هذه العناصر

(١) الألفة والتأقلم من المصطلحات العلمية الشائعة التي أقرها مجمع القاهرة . (لجنة المجلة)

المعنوية ، وهو متانة بنية الرجل وشدة أمره ، ولا نعدم في الرحلة ما يدلنا على ذلك من المشاق والمتاعب حتى والمعارك المسلحة التي اشترك فيها وواجهها بثبات وشجاعة . وهذا تتم الصفات التي كان يتوفر عليها الرحالة الإسلامي الأكبر ، والتي هي بتوفيق الله سبب نجاحه المقطع النظير .

وإذا قلنا الرحالة الإسلامي الأكبر فأننا نعني ما نقول ، لأنه لم يقم من بين المسلمين على كثرة الرحالين فيهم من جاب هذه البلاد العديدة التي جابها ابن بطوطة في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ودَوَّن مشاهداته فيها وترك لنا مثل هذا الأثر الجغرافي الممتع الذي يقلُّ له الكفاء ، على أنه حتى ابن الأوربيين لم يقم رحالة يَفْقَرِي فَتْرَتَهُ قبل العصر الحديث . ولهذا نجد مثل سيتزن (Seetzen) الرحالة الألماني يقول :

« أي مسافر أوروبي في هذا العصر يمكنه الافتخار بأنه خصص قدر الزمن الذي يبلغ نصف حياة الإنسان في سبيل التفتيش عن مثل هذا العدد من البلدان السحيقة وذلك بشجاعة لا يزعمها شيء ، ويتحمل المشقات العديدة ؟ بل أية أمة أوروبية كان يمكنها لخطة قرون خلت إيجاد مسافر يحجُب المناطق الأجنبية بمثل هذا الاستقلال في الحكم ، وبمثل هذه القدرة على المراقبة ، وبمثل هذه الدقة في كتابة الملاحظات ، مما اتصف به هذا الشيخ المراكشي المشهور في المجلدين من كتابه ؟ ان معلوماته عن الكثير من المقاطعات الإفريقية المجهولة وعن نهر النيجر وعن بلاد الزنج (زنجبار) الخ لا تقل فائدة عن معلومات لاون الإفريقي . أما جغرافية بلاد العرب وبخارى وكابل وقندهار فأنها تستفيد كثيراً من كتابه ، حتى أخباره عن الهند وسيلان وسومطرة والصين فإنه من الواجب على انكليز الهند ^(١) أن يقرأوها باهتمام خاص » .

(١) يقول هذا لما كان للانكليز هند .

واذ قد عرفنا قيمة الرجل وأهمية الرحلة التي قام بها ، فلتتأثر خطاه لمعرفة البلاد التي زارها والطرق التي سلكها ، من غير أن نقف معه في بلد أو طريق ، إلا نادراً جداً حين نمر بجبر طريف أو نكتة حارة أو وصف لشيء غريب يحسن الوقوف عنده . ولا نستوعب في ذلك أيضاً وإنما نعطي أمثلة قليلة منها لعلها تكون حافزاً لمطالعة أخبار الرحلة كلها في كتاب تحفة النظائر .

وقد رحل صاحبنا ثلاث رحلات ، أولاهن وهي أطولهن بدأها في يوم الخميس الثاني من رجب سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) وانتهى منها يوم الجمعة أواخر شعبان عام ٧٥٠ ، ومعلوم أن قصده الأول كان هو الحج إلى بيت الله الحرام وأن خروجه كان من طنجة ، وأنه كان له من العمر حين ابتداء الرحلة اثنان وعشرون عاماً ، وذلك في أيام السلطان أبي سعيد المريني الأكبر . وقد مر في طريقه بتلمسان وسلطانها يومئذ أبو تاشفين بن أبي حمو ، ولم يمكث بها طويلاً لأنه رغب في صحبة رسولتي ملك تونس إلى بلاط تلمسان ، وهما القاضي أبو عبد الله النفزاوي والشيخ أبو عبد الله الزبيدي ، وكانا قد انفصلا عنها يوم وصوله إليها فلحق بها ، وتوفي القاضي في الطريق فتأخر هذا الوفد لأجل دفن الميت . وارتحل صاحبنا مع رفقة من التجار ، ومات أحدهم أيضاً وترك مالا فسطا عليه عامل بجاية ، قال : « وهذا أول ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين » ، يعني الحفصيين أصحاب تونس . ثم مرض صاحبنا بالحمى ولكنه تحامل على نفسه . وكان قد لقي ثانياً الشيخ أبا عبد الله الزبيدي فساعدته كثيراً ، وبعد لأي وصل إلى تونس ، قال : « فبرز أهلها للقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي ولقاء أبي الطيب بن القاضي أبي عبد الله النفزاوي (المتوفى) فأقبل بعضهم على بعض بالسلام والسؤال ، ولم يسلم عليّ أحد لعدم معرفتي بهم فوجدت من ذلك في النفس ما لم أملك

معه سوابق العبرة واشتد بكائي ، فشعر بحالي بعض الحجاج فأقبل علي بالسلاام والإيناس وما زال يؤنسني بحديثه حتى دخلت المدينة .

وهذا الضعف الذي بدا من صاحبنا في هذا الموقف هو مما يستغرب من رجل سيجوب فيما بعد أكثر المعمور وينقطع عن موطنه وأهله خمساً وعشرين سنة ، الا أنه كان الأول والآخر فلم نعد نراه شاكياً ولا باكياً ، وقد برهن بما بدا منه بعد ذلك في غير موقف من التجلد وعدم المبالاة بالأخطار مها عظمت ، أنه إنما انفجر عند أبواب تونس لوداع المغرب ، وأن ذلك الضعف لم يكن له خلفاً أصيلاً كما حاول أن يلصقه به كل من كتب عنه من الكتاب المحدثين .

وعلى كل حال فقد دخل تونس ونزل بمدرسة الكتبيين منها ، وكانت سلطانها يومئذ هو أبو يحيى بن أبي زكريا الخفصي ، ومن أعلامها حينئذ ابن الفهاز وابن عبد الرفيق وابن قداح الهواري ، قال : « ومن عوائده أنه يستند كل جمعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الأعظم المعروف بجامع الزيتونة ، ويستفتيه الناس في المسائل ، فإذا أفنى في أربعين مسألة انصرف » . وقد حضر صلاة عيد الفطر بها ، ورأى بروز السلطان الى الصلاة ، ثم خرج في ركب الحاج التونسي إلى الحجاز ، وكان أكثره من المصامدة ، قال : « فقدموني قاضياً بينهم » . وللايته هذه للقضاء في فور انفصاله عن المغرب مما يدل على انه كان يتوفر على مؤهلات علمية كافية .

وخرج الركب من تونس في أواخر ذي القعدة سالكاً طريق الساحل فوصل الى طرابلس في ١٣ من ذي الحجة وتزوج صاحبنا ببنت لأحد التونسيين ، ثم انفصل عن الركب الذي أقام بطرابلس خوفاً من البرد والمطر وغادرها هو أواخر محرم سنة ٧٢٦ هـ في جماعة من المصامدة وتقدم عليهم ، وفي أثناء الطريق وقع بينه وبين صهره التونسي مشاجرة أدت

الى فراق بنته ، ثم تزوج بنتاً لبعض طلبة فاس ، وأولم وليمة حبس لها
الركب الذي تلاحق بهم بعد ما كان قد تخلف في طرابلس .

وفي أول جمادى الأولى وصل الركب الى مدينة الاسكندرية ، ويخصها
الرحالة بوقفة طويلة وصف فيها عجائبها وذكر بعض علماءها ، منهم قاضيا
عماد الدين الكندي « إمام من أئمة علم اللسان ، وكان يعتم بعمامة خروقت
المعتاد للمهائم ، لم أر في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها ،
رأيتها يوماً قاعداً في صدر محراب وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب » .

وذكر أنه وجد في الإسكندرية ملك تونس المخلوع أبا يحيى زكرياء
ابن أحمد بن أبي حفص المعروف بالحياتي ومعه أولاده وصاحبه ووزيره .

وتجول في الأقاليم المصرية قصداً لزيارة بعض الصالحين ، وفي إحدى
القرى جرى بينه وبين ناظر القرية حديث عن مبلغ جباية بلده طنجة
فأخبره أنها اثنا عشر ألف دينار ذهب فعجب الناظر وقال له : « رأيت
هذه القرية ؟ فان مجباها اثنان وسبعون ألف دينار ذهباً » . قال :
« وإنما عظمت مجابي ديار مصر لأن جميع أملاكها لبنت المال » . وفي
مدينة أبيار حضر عند قاضيا يوم الركبة وهو يوم ارتقاب هلال شهر
رمضان ، وفي مدينة دمياط شاهد عجباً وهو أنه « اذا دخلها أحد لم يكن له
سبيل الخروج منها إلا بطابع الوالي ، فمن كان من الناس معتبراً طبع له
في قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها ، وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به » ،
وهذا الإجراء الذي كان يوحى به - ولا شك - موقع المدينة الحربي ،
يشبه ما نسميه اليوم بتأشيرة السفر ، ولم يقل صاحبنا ما كان يحظه بالنسبة
الى هذا الإجراء ، هل للطبع في الكاغد أو على ذراعه فكان من أصحاب
الأذرع الممدودة للكشف عنها عند الخروج ؟

وركب الرحالة النيل من مدينة ممنود مصعداً الى مصر « ما بين مدائن
وقرى منتظمة متصل بعضها ببعض » قال : « ولا يقتقر راكب النيل الى

استصحاب الزاد ، لأنه مهما أراد النزول بالشاطئ نزل للوضوء والصلاة
 وشراء الزاد وغير ذلك . والأسواق متصلة من مدينة الإسكندرية الى مصر ،
 ومن مصر الى مدينة أسوان من الصعيد . ووصل الى مصر فبهرته بعظمتها ،
 ووصف مشاهدتها ومعالمها ، وذكر أشياء من أخبار أمراءها وأخلاق أهلها ،
 وكان سلطانها يومئذ محمد الناصر بن قلاوون ، وقد أثنى عليه وحمد سيرته ،
 وأعجب بالزاوية التي عمرها خارج القاهرة ، لكنه استطرد بفضل عليها
 الزاوية التي أنشأها السلطان أبو عنان بخارج فاس الجديد . ثم ذكر قضية
 مصر فقال إن أعلام منزلة وأكبرهم قدراً هو القاضي الشافعي ، وكان
 إذ ذاك هو العالم بدر الدين بن جماعة الشهير . وذكر العلماء أيضاً فكان
 من بينهم النحوي الأندلسي المعروف أبو حيان ، وسافر من مصر متوجهاً
 الى الحجاز بطريق الصعيد ، وفي قوص عاصمة هذا الإقليم ، رأى العالم
 فتح الدين بن دقيق العيد ، وكان هو الخطيب بها ، فأثنى عليه بالفصاحة
 والبلاغة والسبق في هذا المضمار وقال : « لم أر من يماثله إلا خطيب
 المسجد الحرام بهاء الدين الطبري وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين
 الشاطبي ، وواصل صاحبنا سفره في صعيد مصر الى مدينة أدفو ثم ركب
 النيل الى مدينة العطواني ومنها امتطى ظهر الجمال ودخل الصحراء مع
 جماعة من الأعراب الى مدينة عيذاب فوصلها بعد خمسة عشر يوماً . قال
 وأهلها البجاة وهم سود الألوان ، وأميرهم يعرف بالحدري وكان تحت السيطرة
 الاسمية للناصر بن قلاوون . ولقي صاحبنا فيها مشايخ منهم الشيخ المسن
 محمد المراكشي « زعم أنه ابن المرتضى ملك مراکش (يعني الموحيدي)
 وإن سنه خمس وتسعون سنة . »

ولم يتأت لصاحبنا أن يبحر من عيذاب الى جدة كما كان يؤمل لأنه
 وجد صاحبها في حالة حرب مع الناصر ، وقد خرق المراكب وتعطلت
 طريق البحر ، فرجع عودده على بدئه مع قافلة الأعراب وقطع الصحراء

ثانيةً إلى الصعيد ثم إلى قوص ، وانحدر منها في النيل الى مصر ، وكان أوان مده ، فوصلها بعد مسيرة ثمان ، ولم يلبث فيها إلا ليلة واحدة وقصد الشام فاخترق شمال مصر كما اخترق جنوبها وذلك في منتصف شعبان سنة ٧٢٦ هـ ، وفي مركز على الحدود يسمى قطيا وجد صاحبنا ديواناً للتفتيش أهم من الذي حكى عنه بدمياط ، يوجد به العمال والكتاب والشهود فتفتش فيه أمتعة التجار ويبحث عما لديهم أعظم البحث ، ويؤخذ منهم الأعشار ، ولا يجاوزه أحد إلى الشام إلا ببراءة من مصر ولا إلى مصر إلا ببراءة من الشام ، احتياطاً على أموال الناس وتوقياً من الجواسيس العراقيين . وذلك يدل على أن العلاقات السياسية بين ملوك مصر والمغول الحاكمين بالعراق لم تكن على ما يرام ، ويقول الرحالة إن الطريق الفاصل بين البلدين كان في زمان العرب قد وكلوا بحفظه ، فإذا كان الليل مسحوا على الرمل حتى لا يبقى به أثر ، ثم يأتي الأمير في الصباح فينظر الى الرمل فإن وجد به أثراً طالب العرب باحضار مؤثره فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيما تون به الأمير فيعاقبه بما شاء ، ويُعفي الأمير صاحبنا ومن معه من الرسوم الواجبة والاجراءات اللازمة ، حينما يتحقق أنه مغربي ، لأن المعاربة لا يتعرض لهم في هذا المركز ، ويوجد عند الأمير موظف مغربي يسمى عبد الجليل هو الذي يقوم بمهمة التحقق من مغربية المسافرين . وبذلك لا يختلف هذا المركز عن أي مركز تفتيشي على الحدود بين بلادين مختلفين في هذا العصر حتى في تنصيب الخبراء من الأشخاص . .

ويصل صاحبنا إلى غزة من بلاد الشام وينتقل منها الى الخليل ثم الى القدس فيزور كل ما يمر به من المعاهد والمشاهد ، ويصف المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، ويذكر أسماء مشائخ القدس ، وقد أخذ عن بعضهم العهد ثم يغادرها متقللاً بين عدة مدن الى أن يصل الى صور قال : « وهي خراب

وبخارجها قرية معمورة وأكثر أهلها أرفاض ، ولقد نزلت بها مرة على بعض المياه أريد الوضوء ، فأتى بعض أهل القرية يتوضأ ، فبدأ بغسل رجله ، ثم غسل وجهه ، ولم يتمضمض ولا استنشق ، ثم مسح بعض رأسه ، فأخذت عليه في فعله ، فقال لي إن البناء يكون ابتداءه من الأساس . ويواصل السير إلى أن يصل بيروت ويقصد منها لزيارة قبر أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب ، قال : « وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز ، وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر » . ثم يذكر حكايته في الفرار من الملك وما نسجه العوام حول ذلك من عناكب الخيال . والمعروف أن أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدي هو الذي راجت حوله هذه الأسطورة (١) ، وابن بطوطة يجعله أبا يعقوب يوسف فلهذا أخطأ في اسمه إن لم يكن ذلك من قصصيف الذساخت .

ويمضي صاحبنا في طريقه الى طرابلس فيصفها ويذكر من وجد بها من العلماء ومنهم شمس الدين بن النقيب . وما يزال ينتقل من بلدة الى أخرى حتى يصل مدينة حلب فينوه بها كثيراً ، ويغلط في تسمية نهرها بالعاصي ظناً منه أنه النهر الذي يمر بحماة ، واسمه الصحيح القوائق ، على أنه يشرح لنا سبب تسمية النهر بالعاصي شرحاً طريفاً فيقول : « قيل انه سمي بذلك لأنه 'يُخَيَّمِلُ' لناظره أن جريانه من أسفل الى علو » . ولا ينسى أن يذكر من وجد بها من العلماء ومنهم ابن الزملاكاني ، ويمر بعد ذلك بأنطاكية ثم بحصون الإسماعيلية : « ويقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم ، وهم سهام الملك الناصر ، بهم يصيب من بعد عنه من أعدائه بالامراق وغيرها » الخ . كلامه عنهم ثم يمر بمنازل النصيرية ، الطائفة المعروفة ، فيحدث عنهم وعن هوسهم ، ويجبل لبنان فيصفه بنحسب القرية

وجمال الطبيعة وبأنه لا يخلو من المنقطعين الى الله تعالى ، ومن لبنان يصل الى بعلبك فيذكر من خيراتها ومصنوعاتها الشيء الكثير ومن ذلك صحاف الخشب وملاعبه التي لا نظير لها في البلاد ، يصنعون منها دسوتا ، يجعل بعضها في جوف بعض ، فيكون الدست يحتوي على عشر صحاف أو ملاءق ، واحدة منها أصغر من الأخرى الى النهاية ، يصنعون لها غشاء من جلد تمسك به . وفي ٩ من رمضان سنة ٧٢٦ هـ وصل صاحبنا الى دمشق ، وكان عظيم الاستياق اليها ، فنزل منها بمدرسة المالكية التي تعرف بالشرابية . ووصفها فقال : « ودمشق هي التي تفضل جميع بلاد الدنيا حسناً ، وتتقدمها جمالاً ، وكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها » .

ويحول فيها جولته فيمتحدث عن الجامع الأموي بأسباب ، وعن غيره من المعاهد والمدارس والمزارات ، وعن الأوقاف الخيرية التي أوقفها أهل دمشق على السابلة والمحتاجين وتجهيز البنات الفقيرات إلى أزواجهن ، وإعانة العاجزين عن الحاج ، وفكاك الأسرى ، وإصلاح الطرق ، ويذكر ان لطرق دمشق رصيفين في جنبتيها يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان في وسطها ، ويحكى هذه الحكاية الطريفة مما يتعلق بالأوقاف الخيرية قال : « مررت يوماً ببعض ازقة دمشق فرأيت مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحيفة من الفخار الصيني وهم يسمونها الصحن فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجمع شقفها واحملها معك لصاحب أوقاف الأواني ، فجمعها وذهب الرجل معه اليه فأراه إياها فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن . وهذا من أحسن الأعمال ، فإن سيد الغلام لا بد له ان يضر به على كسر الصحن او ينهره ، وهو ايضاً ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك ، فكان هذا الوقف جبراً للقلوب ، جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير الى مثل هذا » .

وبالجملة فهو ينوه كثيراً بأخلاق أهل دمشق وبحسن معاملتهم للغريب وكرم ضيافتهم ، ومن كلامه يعلم أن دمشق في ذلك العصر كانت لا تزال

عظيمة العمران برغم ما مر عليها من أحداث وأن المجتمع الإسلامي بها كان أرقى ما يكون . ثم يذكر من لقي بها من العلماء وهم جماعة كثيرة ومنهم ابن الشحنة سمع عليه البخاري في أربعة عشر مجلساً بقراءة البرزالي وأجازه إجازة عامة كما أجازه غيره من أعلامها . ولم يأخذ عن ابن تيمية وإن قال انه رآه ^(١) .

وفي مستهل شوال السنة خرج من دمشق مع الراكب الحجازي قاصداً معان ، ومنها دخل الصحراء « التي يقال إن داخلها مفقود وخارجها مولود » على حد تعبيره ، فوصل المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وبعد قيامه بزيارة الروضة الشريفة وشفاء غليله من تلك المعاهد المنيفة توجه إلى مكة المكرمة على الطريق المعتاد ، فأدى الفريضة على أتم وجه كما كان يؤمل ، وطاف بجميع المشاعر ، وزار كل المشاهد ، ووصف البيت الحرام والحياة في مكة ، وأثنى على أخلاق أهلها أحسن الثناء .

وفي ٢٠ من ذي الحجة خرج من مكة صحبة الراكب العراقي ، وكان ركباً حافلاً يحتوي على جمع من العراقيين والخراسانيين والفارسيين والأعاجم « لا يحصى عددهم ، تموج بهم الأرض موجاً ، ويسرون سير السحاب المتراكم فن خرج لحاجة ولم تكن له علامة يستدل بها على موضعه ضل عنه لكثرة الناس » . أما تجهيز هذا الراكب بالمواد والمؤن والأدوية والأشربة ووسائل الراحة فحدث عنه ولا حرج ، وكان أميره يدعى البهلوان وهو من أهل الموصل ، وجميع ما يتوفر عليه هذا الراكب من الاستعداد الكامل هو من حسنات ملك العراق أبي سعيد ، وقد قرب أمير الراكب صاحبنا وأكرمه

(١) الصحيح أنه لم يره لأن ابن تيمية قد دخل سجن دمشق في شهر شعبان (عام ٧٢٦ هـ) وبقي فيه إلى أن توفاه الله تعالى ، وأما ابن بطوطة فقد دخل دمشق في رمضان من (سنة ٧٢٦ هـ) وبهذا يزوم الاشتباه .
(لجنة المحلة)

ويعجبك حديث الرحالة عن الطريق بين الحجاز والعراق عبر نجد وخاصة عن مصانع الماء في الصحراء القاحلة ، وسير الركب ليلاً ، وقد أوقدت المشاعل أمام القطار والمحارات فتري الأرض تتلألأ نوراً والليل قد عاد نهراً ، وبالجملة فإن ركب الحج العراقي فيما يحدث صاحبنا لايضاھيه ركب ، وهو يتأخر بمكة عن الركبين الشامي والمصري أربعة أيام تفتح فيها الكعبة الشريفة فيدخلها هو ومن ينضوي تحت لوائه ، ويكثر أفرادہ من الصدقة والعطايات لأهل مكة حتى انهم « ربما وجدوا إنساناً قائماً فجعلوا في فيه الذهب والفضة إلى أن يفيق » . وتؤثر نفقاتهم السخية في سعر الذهب بمكة فيرخص سومه . وذكر الرحالة أنه لما عاد إلى مكة في سنة ٧٢٨ هـ بصحبة هذا الركب وقع التنويه بامم ملك العراق أبي سعيد على المنبر في الحرم . وما ذلك إلا لأن اللّٰهی تفتح اللّٰہا كما يقولون .

ويترك صاحبنا الركب العراقي في النجف ، بعد ما يزور مشاهد آل البيت ، فيقصد البصرة عن طريق واسط ، ويصف المدينة العربية الشهيرة ، ويقص حكاية خطيبها اللجاجة التي تقدمت ، ثم يحوب شط العرب ويخترق بلاد فارس . وفي عبدان يلتقي بأحد العباد فيدعو له بقوله : « بلغك الله مرادك في الدنيا والآخرة » . ويعقب هو بهذه العبارة : « فقد بلغت بحمد الله مرادي في الدنيا ، وهو السياحة في الأرض ، وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيوري فيما أعلم ، وبقيت الأخرى ، والرجاء قوي في رحمة الله وتجاوزه وبلوغ المراد من دخول الجنة » . وهنا أعرب عن أن مراده كان هو السياحة في الأرض فقط ، ولم يكن قبل يذكر إلا الحج ، كما أنه ذكر هنا عاداته في سفره ، وهي أنه لا يعود من طريق سلكها ما أمكنه ذلك ، وأنه كان يريد زيارة بغداد ولكن بعض أهل البصرة أشار عليه بالسفر صوب بلاد العجم فعلم بإشارته لما كانت موافقة لعادته . وزار في هذه البلاد مدينة تستر وأقام في ضيافة شيخها صدر الدين من ذرية سهل بن

عبد الله التستري الشهير ١٦ يوماً ، قال : فلم أر أعجب من ترتيبه ولا أرغد من طعامه . . . وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة وأقومهم سيرة ، وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ، ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدي كل واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر ولم ألق قمين لقيتهم مثله .

وزار أيضاً مدينته أصفهان ووصف من ترف أهلها ما يقضى منه العجب وأخذ العهد عن بعض شيوخها وذلك في ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٥٧٢٧ هـ . ثم زار شيراز وأثنى عليها كثيراً وجعلها نظيرة دمشق في كثير من الأوصاف ، وذكر من غريب أمورها أن النساء يجتمعن بها لسماع الوعظ كل يوم اثنين وخميس وجمعة في المسجد الأعظم ، وربما اجتمع منهن الألف والألفان بأيديهن المراوح يروحن بها على أنفسهن من شدة الحر ، قال : « ولم أر اجتماع النساء في مثل عددهن في بلدة من البلاد » . ولاحظ شدة تعظيم الأعاجم للعلم والعلماء حتى أن سلاطينهم ربما سمو أبناءهم بأسماء مشيخة العلم ، كسلطان شيراز أبي اسحق بن محمد شاه الذي سماه أبوه باسم الشيخ أبي اسحق الكازروني ، قال : « والفقيه ببلاد الأعاجم كلها إنما يخاطب بولانا » . ومن لقي بشيراز الشيخ مجد الدين اسماعيل بن محمد بن خداد إذ سمع عليه مسند الإمام الشافعي ، ومشارك الأنوار للصاغاني ، ومن المشاهد التي زارها هناك قبر الشاعر سعدي المشهور ، قال : « وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي وربما ألمع في كلامه بالعربي » .

ثم دخل البرية بعد ذلك فاصداً الكوفة ، ومنها توجه الى بغداد دار السلام وحاضرة الإسلام كما قال ، وكان يوجد بها في رجب السنة حين سمع مسند الدارمي على الشيخ سراج الدين القزويني . ولم يطل الكلام عليها ، لأنها كانت في إدبار من أمرها ، لكنه تبسط في الكلام على ملكها أبي سعيد بهادر وموكبه العظيم ، وكان قد سافر بمعيته أياماً ، ثم زار تبريز فأعجب

بسوقها الجامعة وخاصةً بسوق الجوهريين ، حيث حار بصره بما رأى من أنواع الجواهر وهي بأيدي بمالك حسان الصور عليهم الثياب الفاخرة ، وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير ، وهم بين أيدي التجار يعرضون الجواهر على نساء الأتراك ، وهن يشتريه كثيراً ويتنافسن فيه ، قال : « فرأيت من ذلك كله فتنة يتعوذ بالله منها » .

وكان ملك العراق أبو سعيد عرف أنه يريد الحج الى بيت الله الحرام ، فأمر له بالزاد والركوب في السبيل مع الحمل ، إلا أنه رأى الموسم لا يزال بعيداً فسافر الى الموصل وديار بكر ثم عاد فلحق بركب العراق ، وكان أميره هو البهلولان سابق الذكر فأظهر من الاعتناء بصاحبنا ما لا مزيد عليه . . . ووصل مكة وحج ثانية عام ٧٢٧ هـ . ولما كان قد اختار المجاورة بالحرم الشريف ، فقد حج ثالثة في العام الموالي ، وحضر في هذه الحجة أناس من بلده طنجة ومن قصر المجاز ومن القصر الكبير ، جلهم من الفقهاء ، فتعرف منهم أخبار المغرب ، ثم انه أقام مجاوراً بمكة أيضاً الى سنة ٧٢٩ هـ ، وحج للمرة الرابعة ، وفي السنة التي بعدها وقعت فتنة بمكة فخرج منها الى جدة وركب البحر لأول مرة الى اليمن عبر سواكن ، فطاف بأرجاء القطر العربي العريق ، ولم يذس أن يسجل التشابه بين اليمنيين والمغاربة في كثير من الأحوال « مما يقوي القول بأن صنهجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير » . وأبحر من عدن الى مدينة زولج بالصومال ، ولاحظ عليها شدة القذارة بحيث انه لم يستطع المبيت بها ، ففضل النوم بالركب مع اضطراب البحر . ثم توجه الى مقدشو عاصمة تلك البلاد ولقي سلطانها وهو يلقب بالشيخ ، ومن غريب ما ذكر من أحوالها أنه عندما تصدح الموسيقى الرسمية ، لا يتحرك أحد ولا يتزحزح من مقامه ، ومن كان ماشياً وقف كما يجري الآن تماماً في بعض البلاد ذات الحكم العسكري ، وعاد الى اليمن عبر ظفار ، ثم عرج على هرمز وسيراف والبحرين ،

ووصف مغاص اللؤلؤ فيما بين تلك البلاد ، ورجع أدراجه فعبر الى القطيف
مجتازاً باليامة قصد مكة فحج للمرة الخامسة وذلك سنة ٧٣٢ هـ وذكر أن
الملك الناصر بن قلاوون حج في تلك السنة ، ولكنه لم يتصل به على
ما يظهر كما لم يتصل به في مصر .

وهنا يكون ابن بطوطة قد قضى في الرحلة سبع سنين ونصفاً وحج
خمس مرات ، وطاف العالم العربي كله وجانباً مهماً من العالم الإسلامي ،
ومع ذلك فإن القسم الأكبر من رحلته كان لا يزال أمامه . ولنتأثره
مسرعين فقد أتى جدة وأراد أن يبحر الى اليمن قصد الهند ، ولكنه
لم يجد مركباً ولا رفيقاً ، فعاد الى مصر بطريق الصعيد ثم الى الشام
عن طريق بلبيس وركب البحر الى العلایا بجنوبي آسيا الصغرى قال :
« وهي أول بلاد الروم ، فجاس خلالها وتحدث عن أمراءها ، وكانت
الأتراك حينذاك لم يستلموا وحدتهم بعد ، فحديثه عنهم في هذه الفترة
من تاريخهم السيامي له أهمية كبيرة ، وبما يلفت النظر في حديثه عن هذه
البلاد منظمات الفتيان المحماة بالأخيصة التي كان يلتقي بها في طول البلاد
وعرضها ، وهي منظمات شبيهة بالنقابات والكشفية وتغلب عليها الصبغة
الدينية والخلقية فتنتظم فيها جماعات من الشباب ينتسبون الى مهنة معينة ،
ويتخذون مقراً لهم يجتمعون فيه كل ليلة ويأكلون ويشربون ويغنون ويرقصون ،
مع المحافظة على الشعائر الإسلامية ، والاعتناء بإكرام الضيف وتسليّة
الغريب وإعانتته على قضاء مآربه ، ولهم في هذه الطريقة التي يسمونها الفتوة
سند يتصل بالإمام علي كرم الله وجهه ، وشعارهم فيها لبس السراويل
كما تلبس الصوفية الخرقه ، ولعلمهم إنما اتخذوا السراويل شعاراً لما يهدفون
اليه من التزام الصيانة والعفاف .

وانتقل صاحبنا الى شبه جزيرة القريم من ثغر صنوب بشمالی آسيا
الصغرى ، ثم الى أزاق فبلاد البلغار التي وصلها في رمضان ، قال :

« فلما صلينا المغرب أفطرنا وأذن بالعشاء في أثناء إفطارنا فصليناها وصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر اثر ذلك ، وكذلك يقصر النهار بها في فصله » وفي هذه البلاد الفسيحة ركب العربات لأول مرة وأكل لحم الخيل وذاق البوزة وهي نوع من النبيذ ، وبما أن أهل البلاد أحناف فإنهم لم يكونوا يتخرجون من شربها . ولاحظ كثرة الخيل بها وانخفاض ثمنها بحيث يكون اصدارها إلى الهند تجارة رابحة جدا ، واتصل بالسلطان محمد أوزبك خان في بلاطه المسمى « قتل » ، وهو « مدينة عظيمة تسير بأهلها فيها المساجد والأسواق » ، وقد حظي عند هذا السلطان حتى أرسله بعمية إحدى زوجاته الأربع إلى القسطنطينية ، وكانت تقصد زيارة أبيها ملك الروم ، فأتيحت له فرصة زيارة العاصمة البيزنطية الشهيرة ولم تكن فتحت بعد . وعاد إلى مدينة السرا عاصمة السلطان أوزبك ، ثم اخترق طريق خوارزم فيبخارى وسمرقند وترمد فخراسان فأفغانستان إلى الهند ، ويطول بنا الأمر لو وقفنا معه في أي بلد من هذه البلاد وكتبنا ملاحظاته الدقيقة وأحاديثه الطلية عن البلاد وأهلها .

وقد وصل الى الهند في محرم سنة ٧٣٤ هـ ، وفي الحين أخبر به ملك الهند محمد شاه بن تغلق ، إذ كان ذلك هو النظام المتبع في هذه البلاد لا يجاوز أحد حدودها حتى يرفع به الى الملك ، فصدر الأمر بإكرامه والاعتناء به ، ثم اتصل به بعد ذلك في الرابع من شوال السنة ، وحظي عنده ، وخيره في مناصب الدولة على ما سبقت الإشارة اليه فاختر القضاء لأنه منصب آباءه ، وفعلوا ولي القضاء المالكي بعاصمة الهند دهلي إلى سنة ٧٤٢ هـ أي ما ينيف على سبعة أعوام ، وبذلك أمكنه أن يذكر من أحوال هذا الملك وبلاطه وحاشيته الشيء الكثير ، وخاصة عن كرمه وأعطياته الخيالية التي لا يفوت صاحبنا أن يصرفها بالعملة المغربية ليدل على أهميتها ،

وكذلك ذكر فتكاته التي تغطي على إحسانه ، والحقيقة أن كتابته عن الهند وعن أمرائها وعن أحوالها الاجتماعية ، وهي تكاد تستبد بالجزء الثاني من الرحلة ، هي من خير ما كتب ابن بطوطة تعريفاً بالبلاد التي زارها ، وستبقى مرجعاً هاماً للمؤرخين والباحثين في شؤون الهند وحضارة أهله تحت الحكم الإسلامي .

وفي جمادى الآخرة من عام ٧٤٢ هـ ترك الهند على رأس سفارة عظيمة إلى الصين وبرغم الاستعدادات الفائقة ، فإن هذه السفارة قد تعوقت عن الوصول إلى غايتها ، وطوحت الأقدار بصاحبنا إلى جزائر ذببة المهل بالمحيط الهندي حيث أقام عاماً ونصفاً ، وولي القضاء من طرف سلطانتها خديجة بنت جلال الدين وهو يحكمي غرائب عن حياة أهل هذه الجزائر لأنه بحكم إقامته هذه المدة بين أظهرهم وتولييه السلطة في بلادهم تعرف على كثير من أحوالهم .

ثم غادر هذه الجزائر متوجهاً إلى الصين عن طريق سيلان فبنغالة فالملايو فسومطرة فالزيتون التي هي ميناء صينية على المحيط الهادي تعرف الآن بتسيوان تشو . وتوغل صاحبنا في داخل البلاد التي تقع على مقربة من ساحل المحيط الأعظم حتى وصل خان بالق التي هي بكين عاصمة الصين اليوم ، ومع أنه لم يجب الصين كما جاب الهند فإنه لم يخل رحلته من أخبار مهمة عن هذه البلاد ولا سيما أحوال المسلمين بها ، وتحدث عن براعة الصيدين في فن التصوير وصناعة الفخار ، وعن تعاملهم بأوراق النقد وادخارهم الذهب والفضة بشكل سبائك كما يعمل مصرف أي دولة في هذا العصر . واستمع إلى حديثه عنهم في التصوير : « ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة من مدنها ثم عدت إليها إلا ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الأسواق » الخ . وما ندري هل اصطحب معه صورة منها أم لا ؟

أما حديثه عن أمن الطرق والتحفظ على أموال الناس وسهولة المواصلات وتنظيم الملاحة التجارية فشيء لا يقل عما لدى أرقب الدول العصرية اليوم ، وفي الشرق على العموم كانت الطرق حسبا يروي صاحبنا ، مأمونة ومقسمة إلى مراحل يجد فيها المسافر كل ما يحتاج اليه وبعضها كما في بلاد المليبار ، كان مكتنفاً من الجانبين في أكثره بدكاكين التجار وبعضها كالطريق بين دهلي ومدينة ظهار كانت عليها النصب فيها عدد الأميال التي قطعها المسافر والتي بقيت له ، فالأمر كما يقال لاجديد تحت الشمس .

ومن الصين ينكفيء صاحبنا راجعاً عن طريق سومطرة فالهند فاليمين فبلاد المعجم فالعراق فالشام فمصر إلى أن يصل مكة في ٢٢ شعبان ٧٤٩ هـ فيقيم بها إلى موسم الحج ويحج للمرة السادسة ثم يسافر إلى المدينة المنورة ومنها إلى القدس ثم إلى مصر ويثني عائداً إلى المغرب بعد أن غاب عنه ٢٥ سنة فيدخل فاساً في أواخر شعبان عام ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ويمثل بين يدي السلطان أبي عنان المريني فيغمره بإحسانه كما قال ويثني عليه أحسن الثناء بل يعمل مقارنة بينه وبين من شاهدتهم من ملوك الدنيا فيفضله عليهم .



لم تستقر النوى بصاحبنا بعد رحلته الأولى هذه ، حتى عاد فبدأ رحلته الثانية في مملكة غرناطة بالأندلس وذلك لثلا يفوته هذا القسم من العالم الإسلامي مع أنه برؤية منه وَمَسْمَعٍ ، فقد أصبح الآن حريصاً على استيعاب البلاد الإسلامية بالزيارة ليتأتى له أن يقول مفتخراً على السائح المصري الذي لقيه بمدينة برصى (وهو من الصالحين جال الأرض إلا أنه لم يدخل الصين ولا جزيرة سرنديب ولا المغرب ولا الأندلس ولا بلاد السودان وقد زدت عليه بدخول هذه الأقاليم) ، وليصبح بعد ذلك (مسافر العرب والمعجم) كما قال له الشيخ جلال الدين التبريزي في بنغالة .

وقد خرج صاحبنا في هذه الرحلة من بلدة طنجة فمر بسبتة وجبل طارق ، وكان ملكها حينئذ أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن نصر ، ولقي بها من الأعلام أبا القاسم الشريف وأبا سعيد بن لب وأبا البركات ابن الحاج وأبا القاسم بن عاصم . وقد ذكره ابن الخطيب في الإحاطة ولم يزد على تسميته شيئاً غير ما نقله من خط شيخه أبي البركات تبيناً لحاله ونصه : (هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب ، رحل من بلاده إلى بلاد الشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، فدخل بلاد مصر والشام وعراق العجم وبلاد الهند والسند والصين وصين الصين وبلاد اليمن ، وحج عام ستة وعشرين وسبعمائة ولقي من الملوك والمشائخ عالماً ، وجاور بمكة ، واستقر عند ملك الهند فحظي لديه وولاه القضاء ، وأفاد مالا جسيماً وكانت رحلته على رسم الصوفية زياً وسجيةً ، ثم فقل الى بلاد المغرب ودخل جزيرة الأندلس فحكى بها أحوال المشرق وما استفاد من أهله فكُذِّب) .

وقال : « لقينته بقرناطة وبقنا معه ببستان أبي القاسم بن عاصم بقرية نبله ، وحدثنا في تلك الليلة وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى وهي على قدر مدينة مسقفة كلها ، وفيها اثنا عشر ألف أسقف » (١) .

وقد عقب ابن الخطيب على هذه الفضلعة بقوله : « قلت وأحاديثه في الغرابة أبعد غوراً من هذا . وانتقل الى العدو فدخل بلاد السودان ثم إن ملك المغرب استدعاه فلحق به وأمره بتدوين رحلته » . وهذا الاجتماع الذي كان في بستان ابن عاصم أشار له صاحبنا في الرحلة وحكى أنهم أقاموا فيه يومين وإيلة . وزاد كاتب الرحلة أبو عبد الله بن

(١) هذا يخالف لما في الرحلة فانظرها .

جزى فقال : « كنت معهم في ذلك البستان ومتعنا الشيخ أبو عبد الله (يعني ابن بطوطة) بأخبار رحلته وقيمت عنه أسماء الأعلام الذين لقيهم واستفدنا منه الفوائد العجيبة » .

وعاد صاحبنا الى فاس ، فلم ينشب أن شرع في رحلته الثالثة الى بلاد السودان . وفي سجلهاسة أخذ أهبطه لهذه الرحلة والتحق برفقة يرأسها أحد رجال مسوفة ، وذلك في غرة محرم فاتح ٧٥٣ هـ ، فبعد ٢٥ يوماً وصل الى تغازي ، وهي قرية الملح بناؤها من أحجار الملح المسقفة يجلود الجمال ، وتجارها في الملح مع السوداين تجارة عظيمة . وبعد استراحة عشرة أيام ، استأنف الرحلة عبر الصحراء ، وكانت رحلة شاقة ومحفوفة بالمخاطر ، وأخيراً وصل الى مدينة ايالات أول عمالة السودان وهي مدينة أكثر سكانها من مسوفة ، وهم مع محافظتهم على الصلاة وقراءة القرآن وطلب العلم ، لا غيرة لهم على أزواجهم ، وللنساء هنالك حياة اجتماعية متحررة من كل القيود .

وخرج صاحبنا من ايالات متوجهاً صوب مالي عاصمة البلاد فلقى سلطانها منسى سليمان ، ولم ينل منه خيراً ، غير أنه وصفه بالعدل والاستقامة وأتى بوصف معجب لبلاطه ولخروجه إلى صلاة العبد ، ثم توجه إلى تمبكتو ومنها الى تكندا ، ووصل في تنقلاته بين هذه المدن الى نهر النيجر ، فظنه النيل ، ورأى التمساح في بعض ضفافه « كأنه قارب صغير » كما رأى فرس البحر في بعض خلجانه ، ومن المحقق أنه جاب في هذه الرحلة أماكن لم يصل اليها سائح من قبله ، ووصفها وصفاً معجباً . فلهذا القسم من رحلته أهميته التي لا تقل عن أقسامها الأخرى .

وبينها هو في تكدا واقاه أمر السلطان أبي عنان بالرجوع إلى المغرب ، فكر راجعاً إلى سجلماسة عن طريق توات . وفي نهاية عام ٧٥٤ هـ وصل إلى فاس بعد أن قضى في هذه الرحلة عامين كاملين ، وبإضافتها مع الزمن الذي قضاه في رحلة الأندلس يكون قد صرف زهاء ثمانية وعشرين عاماً في التنقل والترحال ، فما أعظمها من مهمة وهكذا تكون الرجال .

وأمره السلطان بإملاء رحلته على الكاتب أبي عبد الله بن جزي ، وهو أحد أولاد العالم أبي القاسم بن جزي ، فقام هذا بما كلف به من ضم أطراف الرحلة وترتيبها ، وتصنيفها وتهذيبها وسماها تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ؛ وانتهى من ذلك في ٣ من ذي الحجة عام ٧٥٦ هـ وكان السلطان أبا عنان لما وفد عليه ابن بطوطة أولاً في عام خمسين غفل عن أمره بتدوين رحلته ، والعدو له ، فقد كانت مشتغلاً بتثبيت دعائم ملكه ، ومصارعة أعدائه . ثم تنبه للأمر بعد ذلك فنقذه كما رأيت ، باستدعاء ابن بطوطة من أقصى بلاد السودان ، على أنه قد قيل إنه كان موفداً من قبله إلى تلك الديار في مهمة ، ولا يظهر ذلك من سياق الخبر في الرحلة .

* * *

وبعد انتهاء الرحلة ينسدل حجاب كثيف على حياة ابن بطوطة التي وإن طالبت بعد ذلك أكثر من عقدين من السنين فأننا لم نجد نعرف عنها شيئاً بعد أن لابسناها وصاحبناها في أفراحها وأتراحها مدة ثمان وعشرين سنة ، غير أن ابن حجر في « الدرر الكامنة » نقل من خط ابن مرزوق : « أنه بقي إلى سنة سبع وسبعين ومات وهو متولي القضاء ببعض البلاد » فيرشد هذا الكلام إلى أنه حظي عند بني مرين وولوه منصب القضاء الذي قال عنه « انه شغله وشغل آباءه » .

وزيد ابن مرزوق فيقول فيما قرأه ابن حجر بخطه : « ولا أعلم أحداً جال في البلاد كرحلته ، وكان مع ذلك جواداً محسناً » ، وهي شهادة لرحالتنا من العلامة ابن مرزوق تعضدها قراءة الرحلة . على أن ابن حجر أشار أيضاً الى دفاع ابن مرزوق عن الرحالة فيما كان من اتهام أبي البركات ابن الحاج له فقال : « وكان البلفيقي رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق » ، والبلفيقي هو أبو البركات بن الحاج . وقد سبق نقل كلامه عن الإحاطة .

ولم يبين ابن مرزوق الجهة التي كان ابن بطوطة يتولى بها القضاء ، ولكن ابن الخطيب في « نفاضة الجراب » أثبت نص كتاب وجهه إلى صاحبنا بصفته قاضي تامسنا ، يرجو منه المساعدة على شراء قطعة أرض يجواره ، يعمدها للفلاحة عند الحاجة ، وذلك لما قرر الاستقرار بالمغرب ، فمن هذا نعرف مكان ولايته للنضاء الذي كان هو محل وفاته .

وعلى ظاهر كلام ابن مرزوق ، فإن ابن بطوطة توفي سنة ٧٧٧ هـ ، وفي دائرة المعارف الإسلامية أنه توفي سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م) وعليه كثير من الكتاب المحدثين .

ومن هنا يعلم أنه لم يتوف بطنجة ، وإن كان يوجد بها ضريح ينسب إليه ، ويفد الرحالة من كل جنس إذا قدموا طنجة عليه . لكننا نستريب في أن يكون ذلك هو مرقد الرحالة الحقيقي . أولاً - لأن وفاته لم تكن بطنجة .

ثانياً - لأن اسم الضريح في ألسنة الناس أحمد بن علال وليس هو اسم بطوطة .

ثالثاً - لأن طنجة خضعت للاحتلال الأجنبي ، البرتغالي ثم الإنجليزي ما ينيف على قرنين من الزمن بعد موت ابن بطوطة فيبعد أن يبقى قبره محفوظاً ومعروفاً بعد هذه المدة الطويلة التي تغيرت فيها معالم المدينة من

جميع الوجوه . وعلى كل حال فهو وإن يكن* ذا صفة رمزية ، ضريح متواضع جداً لا يتناسب وعظمة الرجل الذي طبقت سمعته الآفاق .

وقبل أن نختم هذه الترجمة لا بد أن ننقل ما كتبه ابن خلدون في مقدمته عن رحلة صاحبنا ، لأن فيه رداً على ما سبق عن ابن الخطيب من الاستراية بأخبار الرحالة الصدوق ، قال ابن خلدون : « ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين ، رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة ، وكان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ، ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند ، واتصل بملكها لذلك العهد ، وهو السلطان محمد شاه ، وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ، ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان ، وكان يحدث عن شأن رحلته ، وما رأى من العجائب بمالك الأرض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون ، مثل أن ملك الهند إذا خرج للسفر أحضر أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه ، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافةً إلى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك المهفل منجنبيات على الظهر يرمي بها شكاثر الدراهم والدنانير على الناس إلى ان يدخل ديوانه ، وامثال هذه الحكايات ، فتناجى الناس في الدولة بتكذيبه ، ولقيت أنا يومئذ في بعض الأيام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ، ففاوضته في هذا الشأن وأريته انكار أخبار ذلك الرجل ، لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فاوس : اياك أن تستنكر مثل هذا في أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير النامىء في السجن ، وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه فحك في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك الحبس ،

فلما أدرك وعقل سأل عن اللّٰحِثَانِ التي كان يتغذى بها ، فإذا قال له أبوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم ؟ فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول يا أبت : تراها مثل الفأر فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفأر ، وكذا في لحم البقر والإبل إذ لم يعمين في محبسه إلا الفأرة فيحسبها كلها أبناء جنس للفأرة ، وهذا كثيراً ما يعتري الناس في الأخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الإغراب ، كما قدمناه أول الكتاب . فليرجع الإنسان الى أصوله ، وليكن مهيمناً على نفسه ، ويميزاً بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ، ومستقيم فطرته ، فما دخل في نطاق الإمكان قبله وما خرج عنه رفضه ، وليس مرادنا الإمكان العقلي المطلق فان نطاقه أوسع شيء ، فلا يفرض حداً بين الواقعات وإنما مرادنا بحسب المادة التي للشيء ، فإذا نظرنا أصل الشيء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته أجرينا الحكم في نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه ، (وقل رب زدني علماً) .

عبد الله كنونه



مفعول - مفاعيل

هل يُجمع (مفعول) جمعاً مكسراً على (مفاعيل) ؟
يقول ابن هشام ^(١) في شرحه (بانت سعاد) :
« والصفة المبدوء بالميم ، كمضروب ، يمتنع جمعها جمع تكسير . وشذ
نحو (ملاعين) و (مشائيم) » .

ونقل الخفري في حاشيته على ابن عقيل ، على ابن مالك :
ما قاله الحريري في جمع التكسير : (من ان هذا الجمع لم تتعرض له
طائفة من النحاة ، لفساد السنة العامة ، إلا في الجموع . فلم 'يحتاج' للتنبيه
عليها ، لأن النحو انما وضع لإصلاح ما فسد) وقيل : (لأن كل الجموع
مرجعها السماع ، فالأولى بها كتب اللغة ، التي تذهب عقِب كل مفرد
على جمعه) .

وقال بعض المتأخرين : (أكثر الجموع سماعي ، لكن منها ما يغلب
فنحتاج الى ذكره ليُحمل عليه ما لم يُسمع جمعه) .
ويوم أصدر رفيق العظم كتابه (أشهر مشاهير الإسلام) أخذ عليه
الشمقيطي الكبير : أن جمع مشهور على مشاهير .
وفي هذا ، كتب الشيخ رشيد رضا ^(٢) الى الأمير شكيب أرسلان ،
كانه يبيحه عن فتوى استفتاه فيها : (وأما جمع « مكتوب » على مكاتيب ،

(١) ابن هشام : صاحب السيرة النبوية ، ومن كبار أئمة النحو .

(٢) الشيخ رشيد من يستأنس برأيه في اللغة وفي النحو .

فلا يثبت الا بالسمع ، ولا أعرف فيه سماعاً . فاجمعه على « مكنوبات » -
لأنه قياسي) .

ثم قال : (وكان الشنقيطي الكبير ، انتقد رفيق بك العظم تسمية
تاريخه : « أشهر مشاهير الإسلام » لهذه العلة . وهي « مفعول لا تجمع على
مفاعيل قياساً » ولكن لفظ مشاهير استعمله المتقدمون ، ومنهم صاحب
القاموس في غير مادته .) اهـ

وقد نستخلص بما تقدم :

١ - ان مفعول لا يجمع جمع تكسير على « مفاعيل » إلا شذوذاً
وفي كلمات معدودات .

٢ - ان الجمع من خصائص كتب اللغة لا كتب النحو . فهذه يستحيل
عليها أن تذكر لكل مفرد جمعه . وانما تضع القاعدة العامة ،
وكتب اللغة هي التي تذكر بعد كل مفرد جمعه .

٣ - ما لم يرد له في كتب اللغة جمع ، يحمل على غيره .

١ - قول ابن هشام ان مفعول لا يكسر إلا في ما شد ، وضرب
مثلاً (ملاعين) و (مشائيم)^(١) جمع (ملعون) و (مشؤوم) .
يرد عليه : ان هذا الجمع المكسر ذكرت كتب اللغة كثيراً من أمثلته ،
ففي لسان العرب :

(ميامين) جمع (ميمون) و (مكافيف) جمع (مكفوف) و (مجانين)

(١) وللأحوس اليربوعي :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعياً إلا بشؤم غرابها

تهذيب اصلاح المنطق ج ٢ ص ٢٣٦

جمع (مجنون) و (ممالك) جمع (ملوك) و (مراجيع) جمع (مرجوع)^(١) و (متابع)^(٢) جمع (متبوع) .

ومن تتبع اللسان ، وسائر كتب اللغة ، وجد العشرات من جمع (مفعول) جمعاً مكسراً على (مفاعيل) .

وجاءت (مجاهيد) جمعاً لـ (مجهود) في كلام لعروة ابن الزبير يصف فيه معمر .

قال : (فرأيت أهلها مجاهيد ، قد حمل عليهم فوق طاقتهم) !

وُجمعت (مشغول) على (مشاغل) في قول ابن أبي حفصة ، من قصيدة يمدح بها الخليفة المأمون :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً في الدين والناس في الدنيا مشاغلياً^(٣)

(١) ويقول زهير :

« مراجيع وشم في نواشر ميمهم »

سراجيع جمع (سرجوع) وهو الذي أعيد سواده .

(لسان العرب مادة رجم)

(٢) وقول المزار يصف إبلا :

« متابع بسط مثبات رواجع »

(لسان مادة رجع)

(٣) ومن حق الأدب أن نصير إلى قصة انصت بهذا البيت :

قال عمار بن عقيل : قال لي ابن أبي حفصة الشاعر :

أعلمت أن المأمون لا يبصر الشعر ؟

قلت : ومن يكون أفرس منه ؟ والله إذاً لنشهد أول البيت ، فيسبق لي آخره ، من غير أن يكون ميمه .

قال : اني أفتدنه بيتاً أجدت فيه ، فلم اره تحرك له . وهو :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً في الدين والناس في الدنيا مشاغلياً

فقلت له : ما زدت على ان جعلته هجوزاً في بحرهما ، في يدها سبعة . فن

يقوم بأسر الدنيا اذا كان هو مشغول عنها ، وهو المطوق لها . ألا قلت كما قال

عمك في الوليد :

فلا هو في الدنيا يضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغلُهُ

قال : الآن عرفت أنني أخطأت .

وكذلك جاءت في كتاب بعث به المأمون من مصر - وكان يومئذ فيها - إلى نائبه على بغداد : اسحق بن ابراهيم الخزاعي ، في المحنة بخلق القرآن : (.. وأما ابن نوح ، وابن حاتم ، فاعلمتمهم : أنهم (مشاغيل) بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد . وان امير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله إلا لإربابهم ، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم ، لاستحل ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركا .

وجاءت (مناكيد) جمع (منكود) في قصيدة المتنبي هجا فيها كافوراً الاخشيدي :

لا قشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد
ويسمى النجاة المفعول به واخواته : المفاعيل الخمسة .

وسمى ابن حيان البستي - وهو من علماء القرن الرابع الهجري - كتاباً له : (مشاهير علماء الأمصار) ذلك قبل ان سمى العظم كتابه (مشاهير الإسلام) بنات من الأعوام .

٢ - ان كتب اللغة :

(آ) في الكثير من صيغ (مفعول) لم تذكر له جمعاً مع الحاجة اليه ، لصعوبة الجري على القاعدة العامة فيها . هذا في القديم من المعاجم وقد جاراها الحديث في أغلب هذه الصيغ .

(ب) استعملت في العصرين : الحديث والمعاصر ، ألفاظ على صيغة (المفعول) كان لا بد من استعمالها - على تجوز في بعضها - كما كانت لا بد من جمعها .

من ذلك :

الرسوم : من (رسم) ورسم على كذا إذا كتب . والرواسيم في ما قيل - كتب كانت في الجاهلية .

استعمل المتأخرون (المرسوم) لما يأمر به الأمير أو الحاكم أو يكتب به . وحصره المتأخرون بما يصدر عن رئيس الدولة بماله قوة القانون . وجمعوها على (مراسيم) خلافاً لما نص عليه ابن هشام .

فاللغة صحيحة الأصل ، محدثة الاستعمال ، لاغنى عنها مفردة " وجموعة " ، جمعاً مكسراً على ما وردت في الوسيط ^(١) ، وفي المنجد ^(٢) ، وفي متن اللغة ^(٣) .

المشروع : لغة : ما سوغه الشرع . استعاروه لما يهيا من تدبير يُراد النظر فيه قبل اصداره مرسوماً أو قانوناً . وهو من هذه الناحية من طائفة المرسوم ، وهو في بعض حالاته مقدمة له . فهو بهذا لاغنى عنه مفرداً ولا بد له من جمع .

جمعه المنجد على (مشاريع) جمعته (مرسوم) على (مراسيم) . وجمعه الوسيط على (مشروعات) جمعاً قياسياً . وقد يكون في جمعه على (مشاريع) مطابقة لجمع (مراسيم) ولما جرت عليه أكثر الحكومات العربية .

ولا يمنع هذا الجمع من أن يجمع (مشروع) جمعاً قياسياً على (مشروعات) في معنى آخر . فيقال (مشاريع) لما يقدم للدراسة القانونية ، على ما تقدم ر (مشروعات) لما تقوم به الحكومة أو غيرها من الشركات والهيئات العامة من أعمال انشائية أو عمرانية ، ومن سائر الأعمال الحضارية .

المنشور : عرفه (الوسيط) بأنه : (بيان يذاع بين الناس ليعلموه) وكذلك عرفه (المنجد) فقال : (المنشور ما كان غير مختوم من كتب الملوك والرؤساء) ولم يجمعه .

(١) المعجم الوسيط : هو المعجم الذي أخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٢) المنجد : معجم اليسوعيين .

(٣) متن اللغة معجم أحمد رضا العاملي .

وعُرِّفَ (متن اللغة) تعريفاً يقرب من تعريفها ، وزاد عليها : (وهو المعروف عند الأتراك بـ الفَرَّمان (بفتح الراء) وجمعُه على (مناشير) .
 اما ان المنشور : هو الفَرَّمان ففيه نظر . اذ المنشور وهو بيان أو اعلان يختلف عن الفَرَّمان الذي هو عهد من السلطان بالولاية أو بما هو في حكمها إلى الولاة أو من هم في حكمهم .

والفَرَّمان ساكن الراء ، لا كما جاء خطأً في (المنجد) وفي (متن اللغة) .
 ويقال في (المنشور) ما قيل في المشروع من أنه يجوز أن يكون له جمان جمع تكسير (مناشير) لما يصدر عن أمير أو حاكم أو رئيس ، وجمع سلامة (منشورات) لما تصدره المطابع ودور الكتب .

الموضوع : هو مصدر وضع ، واسم مفعول منه ، جمه المنجد على مواضع وموضوعات . أما الوسيط فلم يورد له جمعاً .

وعُرِّفَ (الموضوع) فيها بأنه : « المادة التي يبني عليها الكلام -- ومن الأحاديث : المَخْتَلَقَة . أفلا يجوز أن نستعمل الجمعين في معنيين مختلفين ؟ :
 فنستعمل (الموضوعات) للأحاديث المخلقة ، و (المواضع) للمادة التي يبني عليها العلم أو الكلام ؟

المجرور : ومثل ذلك المجرور . جمه النحاة في كلامهم عن الأعراب جمعاً قياسياً . فقالوا (المرفوعات) جمع (مرفوع) و (المنصوبات) جمع (منصوب) و (المجرورات) جمع (مجرور) واستعمل المعاصرون (المجرور) لجرى من الماء ، يغلب أن يكون الماء المِلْح ، ولما هو تحت سطح الأرض وهو استعمال موفق لفظاً ومعنى ، وجمعوا هذا (المجرور) على (مجارير) ففرقوا بذلك بين المعنيين . والتفريق بين الجمع لاختلاف في المعنى ، معروف في العربية .

والجور لفظ لم يرد له ذكر في المعاجم العصرية التي راجعتها مفرداً ولا مجعوتاً . ومن صيغ (المفعول) التي وردت مجموعة على (مفاعيل) الزامير جمع (مزمور) والمياسير جمع (ميسور) جاءت في الوسيط ^(١) وفي المنجد . وأما مجوع ، ومجروح ، ومركوب ، ومسمود ، ومستور ، ومكتوب ، فلم تجمع إلا في المنجد جمعاً جمع تكسير ، على (مفاعيل) .

وأملت الفاظ كثيرة من هذه الصيغة يحتاج الى نص على جمعها .
٣ - من هذا الذي قدمناه ، نرى : أن القول بأن صيغة (مفعول) لا تجمع على (مفاعيل) إلا " شذوذاً ، قول تنقضه ، - بل هو قد نقضت عدداً كبيراً منه - الأمثلة التي ضربناها من قديمة ومن حديثة ، لا بد من الأخذ بها . ومن الألفاظ التي يلفت جمعها النظر (المطورة) فقد جاءت مجموعة على (مطامير) في قول المتنبي :

ودون سيمساط المطامير والملا وأودية مجهولة وهجول

فقد ذهبت الشراح إلى أن (المطامير) جمع (مطورة) وهي الخفيرة تحت الأرض .

وهكذا جاء جمعها في اللسان ، وفي المتن ، وفي المنجد .
وفي اللسان (المظمور) العالي . و (المظمور) الأسفل ولم يورد لها جمعاً .
فإذا جرينا على القياس جمعنا ، (مظمور) على (مظمورات) .
أفلا يكون غريباً . أن تجمع (مطورة) على (مطامير) و (مظمور) على مظمورات . وكان من الأولى أن يعكس الأمر ، فتجمع (مطورة) على (مظمورات) و (مظمور) على مطامير .

(١) جمع (الوسيط) ميسور على (مياسير) غير أنه جله مصدراً على وزن مفعول . وكذلك فعل (متن اللثة) وهو رأي سيدي في المصور والمصور .

وبعد ، فهذه كلمة نريد أن نلّفِت إليها نظر المجامع العلمية - وهو موضوع من خصائصها - لتنظر فيه نظرة امعان ، مبعثها الضرورة والتسهيل ، فتقرر ما يجب اقراره ، ليأخذ طريقه إلى دواوين اللغة ، فلا يظل الأمر لا ضابط له ولا وازع . كل معجم يجمع على ما يحلو له ، فما القول بعد بالخاصة ؟ فضلا عن العامة ؟ التي كان الحريري قال فيها : ان ألسنتها لم تفسد بعد ...

عارف السكري

ملاحظة : لا مُشاحة ان هذا الجمع المكسر (مفاعيل) هو في كثير من ألفاظه أخف من الجمع السالم (مفعولون) و (مفعولات) . فقولنا مواليد سنة كذا ، كما هو مصطلح عليه اليوم ، أخف من القول (مولودو) أو (مولودي) سنة كذا . واستعمال (المفاهيم) على ما جرى عليه الكتاب اليوم ، ألطف من (المفومات) وأدل على المعنى المراد .

(ع)



قاضي قضاة بغداد

وأثره في الفقه الإسلامي

كانت العراق منذ القديم ، لاسيما في الكوفة ، مركزاً لمدرسة أهل الرأي ، التي أسسها وانتمى اليها ونشرها كثيرون ، أمثال الصحابي عبد الله ابن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ هـ) ، وحماد بن أبي سليمان (المتوفى سنة ١٢٠ هـ) ، والإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (المتوفى سنة ١٥٠ هـ) ، وصاحبيه أبي يوسف ، موضوع هذه الكلمة ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وغيرهم .

أبو يوسف وآثاره :

أبو يوسف هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعيد الأنصاري ، من أهل الكوفة . ولد سنة ١١٣ هـ ، وتوفي سنة ١٨٢ هـ .
وكان عالماً كبيراً ، مجاهداً في العلم منذ طفولته ، شغوفاً به وداعياً له . فقد روي عنه انه قال : « العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك » .
وكان فقيهاً حافظاً ، ومن أكثر أهل العراق اتباعاً للحديث ، جالس منذ صغره الإمام الأعظم أبا حنيفة ، وجالس القاضي محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (المتوفى سنة ١٤٨ هـ) ، وقال فيها : « ما كان في الدنيا أحب إلي من مجلس أجلسه مع أبي حنيفة وابن أبي ليلى ، فإني مارأيت فقيهاً أفقه من أبي حنيفة ولا قاضياً خيراً من ابن أبي ليلى » .
وفي الواقع تأثر أبو يوسف بفقه أبي حنيفة كثيراً ، ولازمه ، وشاركه في تدقيق المسائل وتدوين المذهب ونشره . وخالفه أحياناً في المسألة بعد

المسألة من مسائل الأصول والفروع ، حق عدّه بعضهم ، أمثال الكوثري وغيره ، مجتهداً مطلقاً . ولكن أبا يوسف حافظ على انتسابه لأبي حنيفة اعترافاً بجميله . وعدّه معظم المؤرخين ، مع محمد بن الحسن الشيباني ، من أشهر أصحابه ، على اعتبار أن فقه الإمام الأعظم وأصحابه فقه جماعة عن جماعة ، لا فقه مجتهد واحد .

وكذلك أخذ أبو يوسف بعض أساليب فن القضاء ونهجه عن ابن أبي ليلى ، الذي أخذها بدوره عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن القاضي شريح . وكان بوجه خاص يعتمد على قضاء الإمام علي ، لا سيما في مسائل الفرائض ، لقول النبي (ﷺ) : « أقضاكم علي » .

وروي عن عمار بن أبي مالك أنه قال : « لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا ابن أبي ليلى ، ولكنه هو نشر قولهما ، وبث علمهما » . وهذا القول ، على ما فيه من مبالغة ، يدل على الأثر البارز الذي كان لأبي يوسف في تاريخ الفقه الإسلامي .

وقد ساعده على ذلك قدومه الى بغداد ، وتوليّه القضاء لثلاثة من الخلفاء ، وهم المهدي وموسى الهادي ثم هارون الرشيد . وهو أول من دعي بقاضي القضاة في الإسلام ، وأول من خص العلماء بما هم عليه من لباس خاص . فاشتهر في القضاء ، ثم أورثه ابنه يوسف الذي ولاّه في حياته قضاء الجانب الغربي من بغداد ، وأقره الرشيد على هذا التعيين .

وبذلك لم ينفر أبو يوسف من القضاء ، كما نفر منه أبو حنيفة ، إذ رفض أن يتولى منصب القضاء عندما عرضه عليه ابن هبيرة ثم أبو جعفر المنصور . ولكن روي عن أبي يوسف أنه قال قبيل وفاته : « ياليتني مت على ما كنت عليه من الفقر واني لم أدخل في القضاء ، على أني ما تعمدت بحمد الله ونعمته جوراً ولا حايت خصماً على خصم من سلطان أو سوقة » .

وروي أنه قال : « اللهم إنك تعلم أنني لم أجُر في حكم حكمت به بين عبادك متعمداً ، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك . وكل ما أشكل عليّ جعلت أبا حنيفة ببني وبينك ، وكان عندي والله من يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه » .

وكان للقضايا العملية التي عرضت على أبي يوسف في القضاء أثر كبير في اجتهاده ، وفي تفريع المسائل والتوسع بأعمال الرأي ، والتيسير على الناس ، وذلك كله بطريق الأدلة الشرعية النقلية من قرآن كريم وحديث ، أو الأدلة العقلية من إجماع وقياس ، وأحياناً أيضاً بطريق الاستحسان والمخارج وما أشبهه .

وكذلك فتح منصب القضاء لأبي يوسف المجال لأجل تطبيق المذهب الحنفي ، والتأثير في نشره الواسع ، فقاضي الفضاة بالإضافة إلى إشرافه على الأحكام ، كان مشرفاً على الحكم وعلى توليتهم في مختلف أقاليم الدولة . وكان إلى ذلك مقرباً إلى الخليفة وإلى أولى الأمر في الحكم والإدارة ، فكان يشير عليهم ويفتيهم في مشاكلهم وواقعاتهم .

وعلى الجملة ، توصل أبو يوسف الفقيه والقاضي والمشاوَر والمفتي إلى الاشتراك الفعلي البارز في تأسيس المذهب الحنفي ، وفي بنائه وإغنائه بما اشترك فيه من تعديل وإضافة اقتضاها اطلاعه على بعض الأحاديث التي صححت عنده ، وخبرته التي اكتسبها في فصل المنازعات القضائية . وهكذا ساعد أبو يوسف على نشر المذهب الحنفي وإشاعته علمياً وعملياً ، حتى أصبح اليوم أوسع المذاهب الإسلامية انتشاراً .

وأقوال أبي يوسف في الفقه مشهورة في كتب المذهب الحنفي . وله مؤلفات عديدة . وصل إلينا منها بوجه خاص كتاب الخراج ، وكتاب

الرد على سير الاوزاعي ، وكتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى .
فكتاب الخراج سنشير إليه فيما بعد .

أما كتاب الرد على سير الاوزاعي ، فيبحث في أمور الجهاد والغنائم
وأحكام السلم والحرب . ويتطرق إلى بيان أقوال الإمام الاوزاعي فيها ،
ثم يقارنها ويرد عليها بما جاء عن أئمة المذهب الحنفي . وهذا الكتاب نشرته
لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد . وكذلك نشر الكتاب في الجزء
الأخير من كتاب الأم للشافعي ، مع تعليقات هذا الإمام عليه .

وأما كتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى ، فإنه طبع أيضاً في
آخر كتاب الأم ، مع تعليقات الشافعي عليه . ففي هذا الكتاب يذكر
ابو يوسف الخلاف بين أستاذه في ابواب الفقه المختلفة - وهو خير من
اطلع على هذا الخلاف - ثم يقارن ذلك بما قاله بعض أئمة السلف كالإمام
علي وابن عباس والقاضي مريح وغيرهم ، وينتهي إلى ما يراه صواباً ، وهو
غالباً ما يكون مع أبي حنيفة . وعلى كل ، فهذا النوع من الكتابة
والتصنيف يدل على التدقيق العلمي العميق ، وعلى الخبرة الواقعية والدراسة
العامة . وهو مساهمة ثمينة فيما عرف باختلاف الفقهاء ، أو بحث مقارنة
المذاهب والشرائع .

نهج أبي يوسف الفقهي :

كان نهج أبي يوسف في أصول الفقه نهج مدرسة العراق ومدرسة أهل
الرأي على العموم . ولكنه قبل بكثير من الأحاديث النبوية التي صحت
عنده ، والتي لم يقبل بها سائر أصحابه . فلذا كان يميل أحياناً إلى أهل
الحديث وإلى الأدلة النقلية من كتاب وسنة ، إذ روي عنه أنه قال عند

وفاته : « كل ما أفنيت به فقد رجعت عنه ، إلا ما وافق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ » .

وكذلك روي عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال : « أول ما طلبت الحديث ذهبت إلى أبي يوسف القاضي » . ولكنه لم يحدث عنه لا هو ولا معظم المحدثين الثقات في صحاحهم وسننهم .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد كانت طريقة أبي يوسف طريقة أهل الرأي اجمالاً . فلذا توسع مثلهم في الاجتهاد واعمال الرأي ، بطريق الأدلة العقلية من اجماع وقياس واستحسان . لا بل رويت عنه أقضية كان فيها أكثر تحرراً من سائر أصحابه في المذهب ، كما نرى من الأمثلة التي نعرضها فيما بعد .

ولا يسمح لنا المجال بتفصيل هذه الأدلة جميعاً . ولكن لا بأس بتوضيح وجيز لدليل الاستحسان ، بالنظر لتأثيره في بعض أقوال أبي يوسف بوجه خاص . فالاستحسان ، كما عرفه السرخسي صاحب كتاب المبسوط في شرح كتب ظاهر الرواية في المذهب الحنفي ، هو « ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس ... وترك العسر لليسر » . وقد أسنده إلى الآية الكريمة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، وإلى الحديث الشريف : « خير دينكم اليسر » ، وإلى أمثال ذلك من الأدلة والسابقات . وبكلمة أخرى ، الاستحسان هو دليل شرعي معناه ترك القياس واتباع ما يقتضيه العرف أو المصلحة أو الضرورة أو الحاجة . مثاله : جواز الحنفية بيع الوفاء لحاجة الناس إليه ، وذلك بطريق الاستحسان وخلافاً للقياس .

وقد برز أثر الاستحسان الفقهي وأثر منصب القضاء والمشاورات الإدارية في مواضع عديدة من أبواب الفقه التي عالجها أبو يوسف . منها عنايته بالخراج وأمور الادارة ومسؤولية الولاة . ومنها توسعه في الخارج أو الحيل الشرعية ،

وتغير الاجتهاد وفق تغير الحاجات والعادات ، والتيسير للضرورة وعموم
البلوى ، ومنع التعسف في استعمال الحقوق ، وبعض الأفضية الخاصة . ونحن
نذكر بعض الأمثلة من هذه المسائل جميعا .

الخراج والإدارة :

من الكتب التي صنفها أبو يوسف ووصلت إلينا كتابه المشهور في الخراج .
وهو رسالة قيمة كتبها إلى الخليفة هارون الرشيد ، تبحث بوجه أصلي في
العنائم والخراج والصدقات والجزية والعشور وسائر أمور الدولة الضرائبية
والمالية ، كما تبحث بإيجاز في بعض أحكام الضمان وما أشبه .

والرسالة مصدرة بمقدمة كلها عظات وحكم ، تنزه بفضـل العمل
والتقوى ، وتؤكد على أهمية العدل والمساواة بين الرعية . ومن هذه الحكم
ما سار مثلا بين الناس وتواتر على الألسنة . نذكر بعضها إن نفعت الذكرى .

قال أبو يوسف للرشيد في العمل والإصلاح : « لا تؤخر عمل اليوم إلى
غد ... وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح ولا أبغض إليه من الفساد » .

وقال له في التآني والتقوى والمساواة : « واجعل الناس عندك في أمر
الله سواء القريب والبعيد ، ولا تخف في الله لومة لائم ، واحذر فإن الخوف
بالقلب وليس باللسان ، واتق الله فإنما التقوى بالتوقي ومن يتق الله يقه » .

أما في العدل ، فقد أكثر النصح ، وحذر من الجور وذكر
بالمسؤولية ، حيث قال : « إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى
ربه ، فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار ... وجور الراعي
هلاك للرعية ، واستعانت به بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة ... ويجزي الله
كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب » .

ثم تعرض أبو يوسف في كتابه إلى مسألة خطيرة ، ألا وهي مسؤولية الدولة في المحافظة على حقوق الرعية . فقال : « ليس الإمام أن يخرج شيئاً من يد أحد إلا بحق ثابت معروف » . وروى عن عمر بن عبد العزيز كيف عوّض رجلاً من إفساد زرعه بسبب مرور الجيش عليه .

وهذا مثل رائع عن مسؤولية الإدارة عن ولائها وعماها ، وتوكيد لفكرة المصلحة العامة وواجب الدولة في رعايتها وفي خدمة الرعية ، مصداقاً لقوله ﷺ : « الإمام راع ومسؤول عن رعيته » . وهذه لعمري قاعدة عادلة ، توافق أحدث النظريات في مسؤولية الدولة في العلم الإداري اليوم . ومعناها أن الدولة وموظفيها ، كباراً كانوا أم صغاراً ، هم خدام الرعية وحماة حقوقهم ، لا أسيادهم وظلّاتهم . وقد صدق المعري حيث انتقد من تناسى هذه القاعدة بقوله :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدّوا مصالحها وهم أجراؤها

ولم يكتف أبو يوسف بتنبئه الرشيد الى هذه القاعدة فحسب ، بل أشار عليه بالإشراف الفعلي على تطبيقها ، وذلك باقتراحه عليه : « أنا أرى أن تبعث قوماً من أهل الصلاح والعفاف بمن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به في البلاد ، وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به وعلى ما وظف على أهل الخراج واستقر . فإذا ثبت ذلك عندك وصح ، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ ، حتى يؤديه بعد العقوبة الموجهة والنكال ... » . فهذا والله من أحسن الإشراف ، وأحزم الرقابة ، وأصوب النظر الى مصلحة الرعية ، وأصح المحافظة على الولاية العامة كما يجب أن تكون . ثم بعناه أشار أبو يوسف على هارون الرشيد بوجوب أمر القضاة أن يضعوا في بيت مال المسلمين ما يقع في أيديهم من مال الغرباء وليس لذلك طالب ولا وارث ، أو ما وجد مع اللصوص مما ليس له طالب ولا مدع . وهذا كله حرص على مال الرعية ومال الدولة جميعاً .

أما بحث الخراج وسائر الضرائب ، فهو بحث قيم ، يلقي نوراً واضحاً على أحكام هذه المسائل ، من الناحيتين التاريخية والفقهية . ولم يكتف أبو يوسف بتوضيح ذلك ، بل دقق فيما جرى عليه أئمة السلف من تعديل لأحكام الخراج ، وذكر أدلتهم بروح علمية انتقادية .

مثاله ذكر أبو يوسف كيف كان مقدار ضريبة الخراج في أيام عمر ابن الخطاب (ض) ، ثم كيف تغير في أيامه وفقاً للمصلحة . وكذلك ذكر كيف كان العمل قبل عمر ان تقسم الأرضون بين الفاتحين كما توزع الغنائم بعد حسم خمسها ليصرف في مصارفه الشرعية وفقاً للآية الكريمة في سورة الأنفال ، ثم كيف عدل عمر عن هذا النهج بعد فتح الشام والعراق ومصر وخراسان ، إذ رفض توزيع الأرضين بين الفاتحين ، بل أبقاها بيد أهلها بعد أن وضع عليها الخراج ووضع عليهم الجزية ، ولذلك لأجل تأمين موارد دائمة للدولة .

وكذلك وردت في كتاب الخراج أحكام أخرى كثيرة في فروع الفقه ، لاسيما في مسألة الضمان في التصرفات الفعلية والجنايات . وسنرى بعض الأمثلة منها فيما بعد .

المخارج والحيل الشرعية :

اختلف الفقهاء كثيراً في جواز الحيل والمخارج في مسائل الفقه . فجمهورهم ، ومنهم الأئمة مالك والشافعي وابن حنبل ، حرموا الحيل جميعاً على اعتبار أنها ذرائع تقوّت مقاصد الشريعة ، وإنه يجب سد كل الذرائع لإحياء هذه المقاصد وقطببقها .

ومنهم من أجاز الحيل بشروط معلومة ، كما نرى ذلك في كتب بعض الحنفية ، أمثال كتاب أبي بكر الخصاص في الحيل . وقد نسب إلى

الإمام أبي يوسف أنه ألف كتاباً في الحيل . ولكنه لم يصل إلينا ، بل نقلت إلينا بعض الأمثلة منه .

وخلاصة طريقة الحيل أو الخارج المشروعة ، التي جوزها أبو يوسف وأمثاله ، أنها - بعبارتهم - تدابير لطيفة لا تصطدم مع النصوص ، ويقصد منها التخلص من المآزق والمآثم والحرام ، والخروج إلى الحلال من غير إبطال حق أو إحقاق باطل أو الدخول في التوبة والشبهة .

مثال ذلك ما روي عن أهل الرأي من أنهم اعتبروا اليمين على نية الخائف ان كان مظلوماً ، على حين أن الأصل في اليمين أن تكون على نية المستحلف لتعلق حقه به . وما هذا الاعتبار إلا للخروج من الظلم من دون إبطال حق الغير .

وكذلك روى الخطيب عن أبي يوسف أن أمير المؤمنين هارون الرشيد استدعاه مرة إلى داره ليلاً ، وأخبره أن عيسى بن جعفر ، الذي كان يجلس إلى جانبه ، رفض أن يهبه جاريته أو أن يبيعها منه ، متعللاً بأنه كان قد حلف يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة ما يملك أن لا يبيع تلك الجارية ولا يهبها . وطلب الرشيد إلى أبي يوسف أن يجد له مخرجاً من ذلك . فأجابه : « يهب لك نصفها ويبيعك نصفها » ، على اعتبار أن اليمين كانت على البيع الكامل أو الهبة الكاملة لا على بيع البعض أو هبته . وهكذا انتهى الأمر حسب فتوى أبي يوسف ، وأخرجت حيلته الاثنين من المآزق من غير إبطال حق ولا إحقاق باطل .

ولا شك في أن المجال لا يسمح هنا باطالة شرح هذا الموضوع ، ولا التبسط في أمثلته العديدة ، التي مردها وافترضها الفقهاء الحنفية ، الذين صنفوا في الخارج والحيل .

تغير الأحكام :

من أهم القواعد التي أفتى بها أبو يوسف بطريق الاستحسان قاعدة تغير الأحكام . فهذه القاعده قد نوه بها كثير من الفقهاء ، أمثال العز بن عبد السلام وابن قيم الجوزية وشهاب الدين القرافي ونجم الدين الطوفي وغيرهم . ومعناها تغيير الاجتهاد والفتاوى والأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال ، تبعاً لتغير العلة أو العادة أو لاقضاء الضرورة أو المصلحة ، وذلك وفق الضوابط والشروط التي وضعها الفقهاء .

ومن أمثلة تطبيق هذه القاعدة ، التي رواها أبو يوسف في كتاب الخراج والتي أشرنا إليها آنفاً ، تنقيص ضريبة الخراج في أيامه عما كانت عليه في أيام عمر بن الخطاب (ض) ، بسبب تغير الأمصار والأحوال .

ولا بد من الإشارة إلى أن الرأي السائد عند جمهور الفقهاء وأئمة المذاهب ، ومنهم أبو حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن الشيباني ، يحرص قاعدة تغير الأحكام في المسائل التي لا نص عليها في أدلة الشرع المنقولة . أما إذا كان في المسألة نص شرعي ، فالأصل اتباع النص والتزامه وعدم الخروج عنه ، ولو تغيرت الحاجات والعادات والأعراف ، لأن « النص أقوى من العرف والعادة والاجتهاد » ولأنه « لا ماسخ للاجتهاد في مورد النص » كما جاء في القواعد الكلية .

أما قاضي قضاة بغداد أبو يوسف ، فقد قال بأنه إذا كان النص الشرعي مبنياً على العرف والعادة ، ثم تغيرت العادة ، فيجوز اتباع العادة استحساناً لأنها « كانت هي المنظور إليها » في النص الشرعي نفسه . وهذا ، كما نرى ، تطبيق واسع للقاعدة الكلية الأصولية : « إن الحكم الشرعي المبني على علة يدور مع علته وجوداً وعدماً » .

مثاله كان البر والشعير في أيام النبي (ﷺ) من المكيلات ، أي كانا يباعان بالكيل . وهكذا ورد الحديث الشريف باعتبارهما كذلك . ولكن العادة كانت تغيرت في أيام أبي يوسف ، وأصبحت هذه الأشياء من الموزونات أي أصبحت تباع بالوزن . فأقر أبو يوسف العادة الجديدة ، على الرغم من النص الشرعي ، وذلك باعتبار أن العادة كانت هي علة النص وشرط تطبيقه ، وإن تغير العلة ينفي شرط تطبيق الحكم المبني عليها .

وبعبارة أخرى ، كما نقل ابن عابدين ، « إنما أراد (أبو يوسف) تعليل النص بالعادة ، بمعنى أنه إنما نص على البر والشعير والتمر والملح بأنها مكيلة وعلى الذهب والفضة بأنها موزونة لكونها كانا في ذلك الوقت كذلك . فالنص في ذلك الوقت إنما كان للعادة ، حتى لو كانت العادة في ذلك الوقت وزن البر وكيل الذهب لورد النص على وفقها . فحيث كانت العلة للنص على الكيل في البعض والوزن في البعض هي العادة ، تكون العادة هي المنظور إليها . فإن تغيرت تغير الحكم . فليس في اعتبار العادة المتغيرة الحادثة مخالفة للنص ، بل فيه اتباع النص » .

وبعبارة أخرى ، فاستحسن أبي يوسف في قاعدة تغيير الأحكام ليعني تغيير النص لا سمح الله . فالنص الشرعي مقدس عنده وعند غيره ، لا يجوز مسه بحال من الأحوال . ولكن معنى هذا الاستحسان هو اتباع النص نفسه ، لأنه مبني على عادة ظاهرة ، فيستوجب استيفاء شرط تطبيقه ، وهو بقاء علته أي العادة التي بني عليها .

ومثل آخر طريف رواه الخطيب عن استحسان أبي يوسف . وهو أن أم جعفر كتبت إليه تسفتيه في قضية ، فأقناها بما أحببت ، فبعثت إليه بهدية ثمينة تحوي الفضة والطيب والدرهم والدنانير . فرآه جليس له ، فروي له عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من أهديت له هدية فجلساؤه

شركاء فيها» . فأجابه أبو يوسف : « كان ذاك حين كانت هدايا الناس التمر واللبن » . وبكلمة أخرى ، تخلص أبو يوسف من الحكم الشرعي الوارد في الحديث ، بتغيير العادة التي بني عليها ذلك الحديث ، والتي اعتبر أنها كانت المنظور اليها فيه .

وبرأي أبي يوسف أخذت مجلة الأحكام العدلية العثمانية ، اذ نصت على انه « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » (المادة ٣٩) . وهي قاعدة من قواعد كتاب الجامع المعروف . وقد أوضحت لجنة المجلة هذه المادة ، بقولها في تقريرها ، الذي رفعته بشأنها إلى الصدر الأعظم : « انه بتبدل الأعصار تتبدل المسائل التي يلزم بناؤها على العرف والعادة » .

وهذا ، كما نرى ، قول وجيه . يدل على تعمق تفكير أبي يوسف وأمثاله ، وعلى تأثرهم بطالب القضاء العملية ، وعلى فائدة الاستحسان في التيسير على الناس ، وفي تطوير معاملاتهم وفق مقتضيات الحضارة والتقدم والفلاح .

قاعدة التيسير للضرورة :

من نظائر قاعدة تغير الأحكام قاعدة أخرى ، هي التيسير في المعاملات بسبب الضرورة ولرفع المشقة والخرج . وقد وردت هذه القاعدة في كتب الفقه بعبارات عديدة . منها : « المشقة تجلب التيسير » . والأمر إذا ضاق اتسع . والضرورات تبيح المحظورات » .

ومن الأمثلة على تطبيق هذه القاعدة ، جواز القتل دفاعاً عن النفس ، والترخيص في حالة خوف هلاك النفس بأكل لحم الميتة للجوعان عند عدم الطعام ، أو بشرب الخمر للعطشان عند عدم الماء ، وترخيص الخنفة بشرب الخمر للتداوي استحساناً ، والتيسير أحياناً بسبب العسر وعموم البلوى ، استناداً الى الآية الكريمة : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » .

وقد قيد جمهور الفقهاء هذه القاعدة بضابط هو : « ان المشقة والخرج انما يعتبر في موضع لانص فيه » . ومن هؤلاء الإمامان أبو حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن الشيباني . أما قاضي القضاة أبو يوسف ، فإنه قال استحساناً باعتبار المشقة والخرج حتى في مواضع النص :

وقول أبي يوسف في هذا المعرض يستند إلى سابقات مروية عن عمر ابن الخطاب وغيره ، وإلى أدلة شرعية أخرى لا مجال لتفصيلها في هذا المقال . وعلى كل ، فهذا القول منسجم مع قول أبي يوسف الذي مر معنا بمناسبة قاعدة تغير الأحكام .

التعسف في استعمال الحقوق :

من أفضية أبي يوسف ، التي خالف فيها القياس ، واتبع الاستحسان مسألة التعسف في استعمال الحقوق .

فمن المعلوم ان استعمال الحق جائز ، وانه لا يوجب الضمان بمحد ذاته . لذا جاء في القاعدة الكلية الواردة في الجامع وفي مجلة الأحكام العدلية ان : « الجواز الشرعي ينافي الضمان . مثلاً لو حفر انسان في ملكه بشراً ، فوقع فيها حيوان وهلك ، لا يضمن حافر البشر شيئاً » (المادة ٩١) . وسببه ان حافر البشر فعل ما هو جائز شرعاً ، وان الجواز الشرعي هذا يرفع عن الفاعل مسؤولية الضرر الذي لحق بالحيوان ، بسبب وقوعه وهلاكه في البشر المحفورة .

غير انه في بعض الأحوال قد يسبب استعمال الحق أضراراً جسيمة للغير ، وقد يكون حاصلها بطريق التعسف . فهل يمنع هذا الاستعمال المضر أو يكون سبباً للضمان ؟ اختلفت المذاهب والقوانين في ذلك ، ولا مجال ههنا لتفصيل الخلاف .

ولكن المهم ان الأئمة الحنفية اختلفوا فيما بينهم في الجواب عن هذا الدؤال الدقيق ، لاسيما في قضية المعاملات الجوارية . فقال أبو حنيفة ، كما روي في فتاوى قاضيخان ، ان : « من تصرف في ملكه لا يمنع عنه وان كان يتضرر جاره به » . وبهذا الرأي أخذ المذهب الحنفي في ظاهر الرواية عملاً بالقياس .

أما أبو يوسف ، فإنه ترك القياس ، وقال بعكس ذلك استصحاباً . وبرأيه أخذت بمجلة الأحكام العدلية ، حيث جاء فيها أنه « لا يمنع أحد من التصرف في ملكه أبداً إلا إذا كان ضرره لغيره فاحشاً » (المادة ١١٩٧) . وانه « يدفع الضرر الفاحش بأي وجه كان ... » (المادة ١٢٠٠) .

وهذا الاستحسان مبني على القاعدة الكلية في كتب الأشباه والنظائر وفي المجلة . وهي : « درء المفسد أولى من جلب المنافع » (المادة ٣٠) . ومعنى ذلك ان المرء يمنع من استعمال حقه إذا نتج عنه ضرر فاحش لجاره ، لأن منع الضرر الفاحش عن الجار أولى من ابقاء المنفعة لصاحب الحق . وهو قول وجيه ، يوافق فكرة العدالة الاجتماعية ، التي لا تنظر إلى الحقوق نظرة فردية مطلقة ، بل تعتبرها نسبية مقيدة بالمصالح التي ترتكز عليها . وهذه المصالح يقيد بعضها بعضاً ، لأجل ايجاد التوازن بين الحقوق المتضاربة ، ولأجل سعادة أصحابها في الحياة الاجتماعية .

ونظرية التعسف في استعمال الحقوق تعد اليوم من أهم النظريات العصرية . وهي بوجه عام مبنية على فكرة نية الضرر ، التي سبق ونوّه بها أحد فقهاء المالكية في القرن الثامن الهجري ، ابراهيم اللخمي الغرناطي المعروف بأبي اسحق الشاطبي ، في كتابه الموافقات في أصول الشريعة . ولا مجال في هذا المقال للتوسع في تفصيل معنى هذه النظرية .

أقضية وفتاوى خاصة :

أقضية أبي يوسف القاضي ، وفتاوى أبي يوسف الفقيه ، واجتهادات أبي يوسف المجتهد - كلها أكثر من أن تحصى . وهي متفرقة في كتب الفقه الحنفي العديدة ، وفي غيرها من كتب المقارنات الفقهية . فلا مجال إذن لحصرها في مقال أو في كتاب .

غير أن لبعض هذه الأقضية والفتاوى والأقوال اتجاهاً خاصاً ، يصور لنا تعمق أبي يوسف ودرايته وتدقيقه وعدالته ، ويعطينا دليلاً على تأثيره بمنصب القضاء وبصعوبات المنازعات القضائية التي عاناها .

ونحن نذكر بعض الأمثلة البارزة منها ، وقد وردت في معرض أبحاث البينة ، وحماية النية والإرادة في العقود والتصرفات ، وتوثيق الحقوق بالكفالة ، وتسهيل المعاملات وتيسيرها . ووردت بوجه خاص في باب الضمان في التصرفات الفعلية ، أو ما نسميه بالمسؤولية الجرمية المدنية في الاصطلاح الحديث .

أولاً - البينة .

قال النبي العربي (ﷺ) : « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ... » . لذلك كان للآثبات والبيّنات أهمية كبرى ، وكان من اللازم التحوط في تدقيقها وقبولها .

فمن الضوابط الأساسية في المسألة ان البينة لا تقبل على عكس الإقرار ، لأن الإقرار أقوى البيّنات ، ولأن المرء مؤاخذ باقراره . ولكن بعض الفقهاء ، ومنهم أبو يوسف ، قالوا بأن المقر ان يحلف له اليمين في مثل هذه الحالة . ويقولهم أخذت مجلة الأحكام العدلية (المادة ١٥٨٩) . ومثل آخر : على الرغم من أن الأصل ان لا يحلف أحد اليمين إلا بطلب خصمه ، فقد ذكر بعض الأئمة أحوالاً أعطوا فيها الحاكم الحق بأن يحلف

المدعي اليمين بلا طلب ، توثيقاً لدعواه وحرصاً على احقاق الحق . من ذلك ما قضى به أبو يوسف من أنه إذا طالبت المرأة بفرض نفقة على زوجها الغائب ، تحلف بالله أنه ما خلف لها زوجها شيئاً ولا أعطاها النفقة . وبقوله أخذ المذهب الحنفي .

ثانياً - حماية النية والإرادة في العقود والتصرفات .

من قعمق أبي يوسف في مقاصد الأحكام ومعاني الأشياء ، ومن حرصه على احياء تعامل الناس وفق عاداتهم انه خالف أبا حنيفة أيضاً في تفسير نية المتعاقدين أحياناً . مثاله إذا تعارض المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في قضية ما ، وكان استعمال المعنى الثاني غالباً ومستمرراً في العرف ، فان أبا يوسف يفضل على المعنى الحقيقي ، باعتباره يمثل نية المتعاقدين . وبقوله أخذت مجلة الأحكام العدلية العثمانية في القاعدة السكّاية أن « الحقيقة تترك بدلالة العادة » (المادة ٤٠) .

ومن أمثلة حماية الإرادة مسألة الحجر على السفیه ، أي على المبذّر والمسرّف والمغفل . فأبو حنيفة منع هذا الحجر ، لأنه تصرف على النفس ، والنفس أعظم خطراً من المال ، فلا يجوز عنده تضيق حرية المرء الشخصية لمحافظة على ماله . ولكن أبا يوسف وجمهور فقهاء المذاهب خالفوه في ذلك ، وجوزوا الحجر على السفیه ، بالاستناد الى أدلة عديدة من المنقول والمعقول . وقول أبي يوسف وأترابه قول عملي يوافق عادات الناس في معاملاتهم الاجتماعية ، لأن السفیه ضعيف الإرادة ، والحجر عليه حماية له من استثمار المحتالين ، ومحافظة على نفسه وماله جميعاً .

وكذلك جواز أبو يوسف الحجر على المدين المفلّس أو المماطل بناء على طلب الغرماء ، وذلك خلافاً لأبي حنيفة أيضاً .

وقريب من ذلك مخالفة أبي يوسف لظاهر الرواية في المذهب الحنفي في مسألة الولاية على الممتوه ، إذ خصصها بالحاكم عملاً بولايته العامة ، وكذلك

خالف ظاهر الرواية بقوله يجوز تخصيص وصاية الوصي المختار في الولاية على المال .

ثالثاً - توثيق الحقوق بالكفالة القضائية .

للزوجة حق النفقة في ذمة زوجها . فإذا خيف سفره ، أجاز أبو يوسف للزوجة استحساناً أن تأخذ الكفيل من الزوج قبل سفره تأميناً لنفقتها مدة شهر . وقوله هو المقتى به في المذهب الحنفي .

وكذلك إذا كان بين الورثة حمل ، وأراد هؤلاء اقتسام التركة قبل ولادته ، فقد اشترط عليهم أبو يوسف ، علاوة على توقيف حصة ولد واحد ، أن يقدموا كفيلًا يضمن حصة الحمل إذا ولد متعددًا .

رابعاً - تسهيل المعاملات .

مسائل الفقه معقدة عويصة ، ولا يعرف قدر ذلك إلا من خبرها وعانها من ولاية القضاء . فلذا نراهم يسعون ما أمكن إلى تبسيطها وتيسيرها ، تصحيحاً للعقود والمعاملات ، وتسهيلاً لفصل الخصومات ، ورفعاً للمشقة والخرج . ومن ذلك أفضية أبي يوسف في أعمال الفضولي ، والتوسع في إحيائها بطريق الاستحسان . مثاله : إذا باع الفضولي ثوباً بلا إذن صاحبه ، فخاطبه المشتري قبيصاً ، فأجاز المالك البيع ، كان هذا البيع جائزاً عند أبي يوسف .

وكذلك إذا اقتسم الشركاء التركة وبعضهم غائب ، توقف نفاذ القسمة على إجازة الغائب . ولكن إذا مات الشريك الغائب قبل الإجازة ، ثم أجاز ورثته عنه ، فلا تصح الإجازة عند الإمام محمد بن الحسن عملاً بالقياس ، ولكنها تصح استحساناً عند الإمام أبي يوسف .

ومن أفضية أبي يوسف العملية قوله في الوقف انه يلزم بمجرد صدور صيغته مستوفية شروطه ، ولا يتوقف لزوم الوقف عنده على حكم أو تسليم ،

على حين ان ذلك يتوقف على حكم القاضي عند أبي حنيفة ويتوقف على التسليم عند محمد بن الحسن .

ومن باب تسهيل فصل القضايا في الإرث توزيع التركة بين الورثة المعروفين بذوي الأرحام . فأبو يوسف قال بقسمة التركة بينهم أحياناً بالنظر إلى صفة رؤوس الفروع ، لصفة أصولهم كما قال محمد بن الحسن ، حينما هو مفصل في كتب المواريث .

ومثل أخير : أجاز أبو يوسف البيع والشراء بثمن المثل بين المريض بمرض الموت وأحد ورثته ، وذلك خلافاً لقول أبي حنيفة ، الذي اعتبر مثل هذا البيع مشبوهاً وموقوفاً على اجازة الورثة بعد وفاة المريض .

خامساً - الضمان في التصرفات الفعلية .

لا شك في ان ميدان التصرفات الفعلية كان من أخصب ميادين الفقه والقضاء . ففيه يبرز علم القاضي ودرايته وخبرته ، ويظهر تفهمه لحقائق الأمور ولحاجات المجتمع . وهذه التصرفات ، كما هو معلوم ، تتعلق بأعمال المرء غير المشروعة وبالجرائم التي يرتكبها وينجم عنها ضرر للغير .

ففي هذا الميدان ، كان لقاضي القضاة أبي يوسف أقضية نادرة وأحكام طريفة ، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر أو الإسهاب . ففي مسألة غصب الصبي والتقصير في حفظه ، لو قتل الصبي نفسه أو رمى نفسه من الدابة بسبب هذا التقصير ، فإن الغاصب يضمن الضرر في قول أبي يوسف .

وكذلك في مسألة الضرب أو الجراح التي لا تترك أثراً بعد يومها ، قال أبو يوسف بأن للمضروب أو المجرّح ان يطالب الجاني بما أنفق من ثمن الدواء وأجرة الأطباء .

ومن أطراف الأقضية والفتاوى ما روي عن أبي يوسف في مسألة حفر البئر في الطريق العام . فإذا عثر رجل بحجر فوقع فيها ، فالضمان على واضع الحجر كأنه دفعه بيده . فإن لم يعرف للحجر واضع ، فالضمان واجب على صاحب البئر . وإذا زلق رجل بماء صبه رجل آخر في الطريق فوقع في البئر ، فيلتزم واضع الماء بالضمان . فإن كان الماء ماء مماء فزلق به رجل فوقع في البئر فمطب ، فالضمان واجب على صاحب البئر . أما إذا أمر أحد أجيره بحفر البئر في الطريق العام ، فوقع فيها رجل ومات ، كان الضمان على قبيلة (عاقلة) المستأجر الأمر ، وذلك بطريق الاستحسان .

وكذلك لو حفر أحد بئراً بلا إذن أولى الأمر ، فوقع فيها انسان ومات جوعاً أو غماً ، فأبو حنيفة نفى الضمان عن صاحب البئر ، ومحمد بن الحسن أوجبه عليه . أما أبو يوسف ، فإنه أوجب الضمان في حالة الموت غماً ، لا في حالة الموت جوعاً .

وأيضاً في مسألة بيع الكلب العقور ، فقد منعه أبو يوسف لعدم المنفعة منه ، خلافاً في ذلك لسائر أئمة المذهب الحنفي .



ونحن في هذا المقال الوجيز ، وفي هذا المجال اليسير ، نكتفي بما ذكرنا من الأمثلة . ففيها الدلالة الكافية على ان أبا يوسف ، الذي كان أول من لقب بقاضي القضاة في بغداد وفي العالم العربي والإسلامي ، وأول من ارتدى زي العلماء الخاص اجلاً للعلم والقضاء ، ان أبا يوسف جمع الى التبحر العلمي العميق التفرس العملي الدقيق . وقد اكتسب مبادئ الفقه من أبي حنيفة ، ومبادئ القضاء من ابن أبي ليلى ، ولكنه زاد على ما اكتسب ، بجده واجتهاده ، كثيراً من قواعد علم الفقه وضوابط فن القضاء .

وان فوز أبي يوسف في جمعه للعلم مع العمل ، وللغة مع القضاء بأن واحد ، يفسر لنا كيف تمكن هذا الفقيه القاضي من أن يوفق بين كونه أشد محافظة من أصحابه في المذهب من ناحية ميّله إلى أهل الحديث من جهة ، وبين كونه أكثر منهم تحملاً وتوسعاً في الرأي من جهة ثانية ، على ما أوضحنا في تطبيقه الاستحسان في مسائل تغير الأحكام ، والتيسير للضرورة ، ومنع التعسف في استعمال الحقوق .

فالتطبيق العملي لا يتقيد بنهج واحد ، بل يرتكز على أساس العدالة الثابت ، ثم يتفرع منه توسعاً وتحملاً حسب متطلبات الحياة وحاجات العيرية . وهذا أثبت أبو يوسف ، كما أثبت غيره قبله وبعده ، ان الشريعة الغراء كانت تماشي الحضارة في جميع الأمصار والأعصار ، لا بل كانت تمشيها وتوجهها تبعاً لسنة التطور والتقدم .

صبي المحمدي



حقائق التاريخ وقواعد البناء

جاء في مقدمة تاريخ البابليين وشريعة حمورابي (أن التاريخ بمعناه الصحيح ، دراسة الحياة البشرية وما انتهت إليه مظاهر فعاليتها من وقائع وتجارب ، واحداث ، ونتائج ، ومعرفة الأسباب التي أدت إليها وما هي غاياتها ، وأهميتها لا بالنسبة لماضي والحاضر فحسب ، بل بالنسبة للمستقبل) .
ويشرح الكاتب الغاية فيقول : (وبمنا ونحن ندرس التاريخ أن تكون دراستنا لا لتمجيد الأشخاص ، ولا لبيان محاسن الأمم ، ومساوى الشعوب ، ولا لسرد الوقائع الحربية من فتوحات ، وقتل ونهب وغيرها ، ولا لذكر الانتصارات ، والانتكسارات وأسبابها ، ونتائجها ، بل لندرس فاحيتين مهمتين لهما ارتباطهما الوثيق بالمسببات والغايات ، والنتائج . الناحية الانقلاية ، أي الثورات ، والانقلابات ونتائجها ، والناحية التطورية ، أي التحولات ونتائجها . لأن الثورات من شأنها ربط الماضي بالحاضر لتهيئة المستقبل)
ويعقب هذا ببيان وجيز عن ماهية الناحيتين فيقول :

(ولما كانت الثورات تلزم الهدم ، وتقوم به فجأة ، فلا تخلو عواقبها من الأخطار والوقوع بالخطأ ، وعدم الاستقرار . وليس من يستطيع أن يتنبأ تماماً عن نتائجها هل هي لصالح الحال والمستقبل أم لضررها) ؟ .
وأما التحول وهو التطور الذي إذا سار في خطوانه الطبيعية وفقاً لقانون (النشو ، والتقدم ، والارتقاء) القائم على (التغذية والتمو والوراثة ، والاستعداد ، وقابلية التكيف ، وحين الانتخاب) فإن عواقبه تكون مضمونة ، وتحفظ الحياة صالحة للبقاء ، ودائمة الفعالية والنشاط ، والتقدم

والارتقاء ، مع سلامة الحاضر بما هو معلوم ، وصالح المستقبل بما يمكن أن يكون) .

هذا ماورد في المقدمة لتاريخ بابل ، وشرعية وضعها حورابي مؤسس أعظم دولة بين دول العالم القديم وكان وضعها في سنة (٢٠٨٤ - ٢٠٨٠) قبل الميلاد . ودامت أحكامها حتى بعد ظهور موسى بستاية سنة ، قدین بها الأمم السامية في أقطارها المتعددة .
والآن ماذا تفيدنا هذه المقدمة ؟

إن الشعوب العربية بأقطارها ودولها تبرز في حياتها الحاضرة ثلاث ظواهر : (الأولى) ظاهرة الوعي القومي والسيامي ، (والثانية) ظاهرة الوعي الاجتماعي للتحرر من قيود الماضي وجود الحاضر ، و (الثالثة) ظاهرة النضال والثورة ضد مايعوق انطلاقها للنهوض والبناء والتجديد . وما هو الدافع لهذه الظواهر ؟

أما الدافع والمحرك لها فكما يتراءى للعالم المدقق ليس عاملاً واحداً ، بل هي (القوى الوراثية ، والخلقية ، والفكرية والروحية) الكامنة في جوهرها النفسي وعنصرها القومي ، يضاف إليها (فعالية الحياة في التحرك والعمل لتأخذ مداها بالثورات في بعض الأقطار ، وبالتطور والتحول في أقطار أخرى) ، ثم [الحاجات الزمنية الملحة والتيارات الخارجية الجارفة] . ولكن أي الطريقين أصح لبلوغ الهدف والغاية ؟

للإجابة على أحد السؤالين يجب أن نعرف الواقع ، وأن نعطي لكل من الطريقين تقديره وحقه من العلم والتجرد ، والاستقصاء ، والانصاف مع اعتبار الضرورات الداعية لتفضيل واختيار أحدهما ، واعتبار الصراع القائم في العالم بين الشعوب والدول من المؤثرات التي لا يستهان بعلاقتها مع الواقع .

ولما كان هذا الواجب يشمل التعميم والتخصيص فلاختصار البحث فنحصر
الجواب في واقعنا السوري ونجيب عليه بما يلي :

إن البلاد السورية بما يجري في داخلها من تحولات وانطلاقات تكاد
تشابه غيرها من الأقطار العربية ، وتماثل معها بدوافعها وقاسمها المشترك
بينها في (الأمال ، والذهنية ، والتاريخ ، والتأخر الحضاري وفي العقائد ،
والحاجات الزمنية ، وتسلط القوى المستعمرة ، وتقلب الطفرة ، والأفانيات
المستحوذة على النفوس) ؟

إذا عرفنا هذا وعرفنا مخاطر الأغراض التي تحرك الثورات ، ومطامع
الطبقات الأقلية ، فوضعنا يمكن وصفه ، بأن سورية نظراً للأحداث التي
رافقت تاريخ نضالها ، لا يزال شعبها يعاني دور التجارب ويعاني الأزمات
والصعوبات في تطبيعتها ، وتكتنف مجتمعاته ، وطبقاته ، في تفكيرهم وخططهم ،
وأعمالهم غيوم القلق ، وعدم الاستقرار ، والخوف من المصير ، لقساوة
الظروف ، وتقلب الأحوال ، وقصور الامكانيات ، وحيرة اختيار أفضل
الطرق ، لبلوغ الغايات ، ولتدارك مافات والتقدم في جميع المجالات الاقتصادية
والاجتماعية ، والسياسية والصناعية .

وعليه إذا كان الواقع كما ذكر ، وكانت الظواهرات الثلاث تعني فيما
تعني قلب الأوضاع السائدة والخلاص بما مر ، ومن تأثيرها المحسوس الخفيف ،
وإقامة وضع سليم على أنقاضها ، وأث يكون للثورة قيادة تعمل هي
والشعب باخلاص لشعاراتها ؛ فالصواب والسلامة فيما تسعى اليه تكون باتباع
مثلث تتجه نحوه ، وأهداف عملية تسعى لبلوغها ، ومبادئ سليمة تقبها ،
ودعائم قوية تستند عليها ؛ وإلا تمادى الهدم ، وتمادت الأزمات والصعوبات
والموانع دون بناء .

وما هو العلاج ؟

يقول المقد الفريد : ان أعرابياً دخل على عبد الملك بن مروان وقال له (يا أمير المؤمنين اليك مني أربع نصائح إن عملت بها استقام ملكك) فسأله مخاطباً . وما هي يا عبد الله ؟

فأجابه قائلاً أولاً (لا تعدنّ عدة لا تثق بنفسك من نجاحها) فقال له عبد الملك أحسنت . وما هي الثانية ؟

فأجابه (لا يغرّئك المرتقى ، وإن كان سهلاً ، اذا كان المنحدر وعراً) . قال أحسنت . وما هي الثالثة ؟ فقال له (إن لكل شيء نهاية فاخش العواقب) قال أحسنت ، وما هي الرابعة ؟

فأجابه أما الرابعة (فاعلم أن الأمور تأتي فجأة فكن على حذر) . قال أحسنت ، ثم قال له عبد الملك (اطلب منا ما تريد نعطك إياه) . فقال الأعرابي (يا أمير المؤمنين نحن ما جئناك لنطلب مالاً أو جاهاً ، انما جئنا لنطلب منك عدلاً ، فان أعطينا إياه كفيتنا مؤنة ما سواه) . فأثنى عليه عبد الملك ، وقال بعدئذ ما زلت أعمل بها حتى استقام ملكي . هذا ما تفرضه التجارب وحقائق التاريخ وتفرضه قوى الوعي من المثل لضمان السلامة . وأما المبادئ في بناء الحضارة التي تعمل لإشادتها وبنائها صرحها فيرشدنا إليها تاريخنا القومي عند الانطلاقة الأولى لأمتنا ، ولا يحيص لنا عن اتباعها واتباع هديها . يقول فيلسوف تاريخ الحضارات (شبنغلر) في كتابه عن تدهور الحضارة الغربية (إن لكل حضارة تاريخاً ، وان هذا التاريخ هو تاريخ النفس الأولية للأمة ذات الحضارة) .

وانه لا يمكن أن تكون هناك حضارتان متماثلتان كل التماثل ، وذلك لأن كل حضارة هي تاريخ مستقل بذاته لا يتأثر بتاريخ أي حضارة أخرى . واذا ما تأثر فانما لا يعبر أبداً عن جوهره بل انما يمثل أشكالا كاذبة تتذافى

وأصالتها الحقيقية ، ويذنباً تمثله هذا عن ظروف تحد من حرية عمل النفس الأولية للحضارة ، لكن هذه النفس الأولية المحدودة الحرية تسعى حتى في مثل هذه الظروف الى طبع الحضارة المتأثرة بها بطابعها كما هو الواقع بالحضارة العربية التي تمكنت حتى في اعتمادها القواعد الكلاسيكية في الهندسة المعمارية أن تفرض طبائعها على المباني الرومانية ابتداء من عهد (هادريان أحد أباطرة روما) فالباثنيون يعتبر أول مسجد اسلامي بني في التاريخ . وفي رأي شبنغلر (أن الحضارة تولد وهي تحمل معها صورة وجودها . وهي على صلة رمزية عميقة تكاد تكون صوفية بالمكان الذي فيه ، وبواسطته تريد أن تحقق وجودها وهي تصارع وتناضل داخل المكان الذي اختاره لها مصيرها ، لتنظم كل خليط فيه على صورتها) .

ومعنى ما تقدم (ان الحضارة التي هي من تراث أجدادنا وآبائنا لا يمكن أن يستعاد بنيانها بغير المبادئ التي قامت من أجلها . وبغير الأسس التي شيدت عليها صروحها . في دمشق وبغداد ، والقاهرة ، وفي القيروان ، والأندلس وفي القدس ، وحلب ، وفي المغرب الأقصى ، وفي السند ، وسمرقند ، وطاشكند ، وفي كل قطر أشرقت عليه شمسها بشعاراتها ، وشريعتها ، ومبادئها وأخلاقها وعلومها ، وروحها ، وآدابها ، وصناعاتها ، وفنونها . والحق لا يمكن فهم وتقدير أي ظاهرة سياسية أو اجتماعية ، أو اقتصادية أو علمية أو أدبية أو خلقية ، إلا بواسطة فهم كل ما للحضارات من مظاهر . ويرى شبنغلر (ان فكرة الأمة - عند العرب - تقوم على أساس من الروابط الروحية المجردة . ولذلك فالشعوب العربية في وحدتها تريد من زعيمها أن يتمتع بصفات النبي ومؤهلاته . لأن الأمة العربية ذات وجود روحي يكاد يكون مطلقاً في روحيته . وعليه فالعربي إذا أردت أن تستفزه وتدفع به إلى أفاصي الأرض فعليك أن تتوجه الى وجدانه لا إلى معدته ،

ولذا قلعب النخوة والمروءة والبطولة أدواراً هامة في السلوك الأخلاقي للفرد العربي ، كما ان الإيمان لا للعقل المركز الأول والممتاز لديهم) .

ويستشهد على دعواه بالكتاب الذي وجهه عمر بن الخطاب (ر. ض) في ارشاداته الاستراتيجية ، والتكتيكية ، إلى سعد بن أبي وقاص وهو يحارب في العراق جيوش الفرس فيقول له فيه : (أما بعد فأني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى مكيدة في الحرب . وأمركم أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم . فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم) .

ومن هذا الكتاب وغيره استنتج شبنغلر الأدلة على معرفة (مر الحميا التي دفعت بالحضارة العربية عندما انطلقت من قيودها لتلقي بظلالها على جميع البلدان التي تنتمي إليها باطنياً منذ قرون وقرون سبقت انطلاقتها الأولى) . ويضيف عليها (ان النفس العربية هي في عجلة دائمة من أمرها ، تلاحظ أعراض شيخوختها قبل بلوغ شبابها) . ويسوقه التقدير والاعجاب بهذه النفس المنطلقة الواثبة إلى تعداد أنها فتحت سورية وحررتها سنة ٦٣٤ م وفتحت دمشق عام ٦٣٧ م . واكتسحت جيوشها مصر عام ٦٤١ م وبلغ العرب الهند . وفتحوها سنة ٦٤٧ م وحرروا شمالي افريقية . وسمرقند عام ٦٧٦ م ، وسقطت اسبانيا في أيديهم عام ٧٣٢ م وبعدها أخذوا يقرعون أبواب باريس .

ويستنتج أيضاً من سرعة هذه الفتوحات وسعتها (بأن هذه السنوات القلائل ، ضغطت جميع العواطف العربية المدخرة والآمال المؤجلة ، والأعمال المحفوظة وجعلتها تكفي لتملاً قروناً وقروناً من التاريخ) .

ثم أكد بأن الصليبيين أمام القدس ، وسلالة هوهنشاوفن في صقلية

والهانسبا في البلطيق ، والفرسان التوتيين في الشرق السلافي ، والاسبان في أمريكا ، والبرتغاليين في شرقي آسيا ، وامبراطورية شارل الخامس التي لا تقرب الشمس عنها ، وبداية عصر الاستعمار الانكليزي تحت رعاية كرومويل ، كل هذه الانفلاطات تعادل في زخمها ، زخم انطلاقة واحدة حملت العرب إلى إسبانيا وفرنسا ، والهند وتركستان ، وما وراء النهرين) ومن بعد هذا نستطيع الادعاء ونحمل المنصف على الاعتراف ، بأن النفس العربية الأولى ذات قومية متفتحة لا تسعها إلا الإنسانية ، ولا تنظمها إلا الأخلاق ، والأخلاق الحميدة ، والحميدة فقط على وجه التخصيص [الأخلاق التي تغلب الحق على المصلحة ، والوجدان على العقل ، والعدل على الظلم والروية على الاندفاع ، والعطف على القنك ، أخلاق تنبذ الميكيفية ، وتؤمن بأن الغاية الشريفة لا يجوز أبداً أن يسلك إليها بوسائل غير شريفة] ، فالأخلاق العربية كقوة انسانية نسمو وتتسامى فوق كل مذهب فلسفي ، أو سياسي ، أو اقتصادي ، أو اجتماعي ، أو عقائدي مهما تكن شعاراته ، وذلك لأن النفس العربية تسامت فيما مضى فوق كل الأعراف والمفاهيم ، وأعني بكلمتي فيما مضى ! عهد صاحب الرسالة وخلفائه الراشدين ، ولهذا كل الانفلاطات التي جاءت بعد عهدهم كما قال شبنغر تعادل في زخمها انطلاقة واحدة حملت العرب إلى اسبانيا وفرنسة وإيطاليا والهند وتركستان .

وإقراراً بالحقيقة إن لكل شعب خصائصه وتاريخه ومشاكله . وهي وليدة تطوره الحضاري عبر التاريخ وتطوره الاجتماعي ، والفكري ، والاقتصادي ، والروحي ، ولكل شعب خصائص انسانية حصيلة تراثه الموروث وعلى هذا وإن كنا أهملنا التاريخ عدة قرون قضيناها في سبات عميق ، وخلال قرون عشناها على هامش الحياة ، فما تم في العالم من تبدلات جذرية في الأفكار ، وفي الحاجات وفي وسائل العيش المادية يجبرنا أن

نتلمس حقائق الوقائع ونتكيف مع مقتضيات الزمن وتطلبات المدنية ،
والحضارة . والعصر عصر السرعة والذرة ، والصاروخ ، وغزو الفضاء .
ونحن كما قلنا نعمل لهدم ما أورثنا إياه ماضينا من الأوضاع التي أصبحت
لاتتلاءم مع انطلاقتنا وإقامة أوضاع سليمة للخلاص من القلق ، والحيرة ،
والخوف ، وعدم الاستقرار ، ومن العوز والحاجة والتبعية التي فرضها
الاستعمار ، وتناضل لاسترداد ما سُلِب من أجزاء وطننا ، وجمع ما تفرق من
شملنا ، والإصرار ببناء وحدتنا وحضارتنا ، ولكن لكي نبلغ الغاية وفصيب
الأهداف ، ماذا نتذكر ونعمل ؟

يجب أن لا نفسى لإحياء النفس العربية وأن نعمل على تغذيتها وتنميتها
وتربيتها على المبادئ ، والفضائل التي تحلت بها نفوس أمتنا في فجر انطلاقتها
الأولى ، وترعرع بها وجدانها ، لتغدو مظاهر وعينا الثلاثة وبناء حضارتنا
الحالية في التأسيس والنهوض ، منبئين عنها وعن مقدماتنا ذات الطاقات
المبدعة الخلاقة .

ومهما تكن أنواع النظم وأشكال الحكم فلا يستقيم ببنائنا ما لم يتحل
المـؤـلـوـنـة بالصفات والفضائل ، والمثل العليا ، والمبادئ التي تحلى بها
الأولون واتبعوا في حكمهم ومعاملاتهم وفي رعايتهم مصالح الشعب و (دستور
الخالد) ، ومن العدل ، والرحمة ، والصدق في الوعد والعهد ، والإقدام في
النضال ، والوفاء لكل ذي حق مشروع ، والنظر الى أفراد الرعية كافة
كأنهم أعضاء جسم واحد ، وأفراد عائلة واحدة ، أن يكونوا القدوة
المثلى فيما يأمرون وينهون وان يخططوا الأمة ما يقها من الانحراف والفساد ،
لأن أخطاء المسؤولين في إدارة الأمور ، وفي توجيه السياسة ، وتخطيط
العمل قد يكون عثرة لا تقال .

الدكتور عبد الرحمن السبكي



العلم في العصر الأموي^(١)

.... والذي يبدو أن العرب في العصر الأموي لم يكن لهم اهتمام بالعلوم الرياضية الطبيعية ، لأن اهتمامهم كله كان منصباً على العلوم العربية في اللغة والشعر والخطابة والرواية ثم على العلوم الدينية وعلم الكلام خاصة . أما ما ورد على لسان العرب ، في شعرهم ونثرهم ، في العصر الأموي ، من الكلام على السماء والنجوم والأرض فكان روايات نصفها ديني ونصفها من إرث الأمم القديمة . ولم يكن البحث العلمي هدفاً لهم في ذلك ، بل كانوا يرمون من ذكر تلك المظاهر الفلكية خاصة إلى ضرب المثل للعبث أو للتحويل . من ذلك مثلاً^(٢) ما روي من أن الشمس والقمر طولهما وعرضها تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ، وأن سعة الشمس مثل سعة الأرض وثلاثها ، وأن سعة القمر مثل الدنيا سواء . وشبهه بذلك قولهم ان السماء كهيئة القبة وأن الكواكب معلقة فيها كالقناديل^(٣) .

ويشذ عن هذا الاتجاه ، فيما قيل ، خالد بن يزيد بن معاوية . ولكن أمر خالد بن يزيد غامض ، وسنبسط القول فيه لأن الفصل في هذا الموضوع مهم جداً في تاريخ العلم عند العرب .

(١) المقال التالي فقرات من فصل في كتاب يدرسه الكاتب في « تاريخ العلم عند العرب » .
(٢) أول كارلو تليينو (علم الفلك : تاريخه عند العرب في العصور الوسطى ، روما ١٩١١ ، ص ١٣٧ - ١٤٠) هذا الموضوع اهتماماً ، وإن كانت الأمثلة التي جاء بها ليست فاصرة على العصر الأموي وحده ، بل يمكن أن تكون سابقة عليه حيناً أو لاحقة له حيناً آخر .

(٣) القول بأن السماء قبة وأن النجوم معلقة (مثبتة) في هذه القبة قول أناكسيانس الملطي اليوناني (ت ٥٤٦ ق . م .) .

خالد بن يزيد بن معاوية :

تجمع المصادر والمراجع العربية ، في نقل بعضها عن بعض ، على أن اهتمام العرب بالعلوم اليونانية بدأ في العصر الأموي . وأصحاب تلك المصادر والمراجع يذكرون أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان المثنوقسى سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤ م) لما يش من الفوز بالخلافة ، بعد انتقال الخلافة من الفرع السفياني الى الفرع المرواني ؛ انقلب الى العلم ثم درس الكيمياء خاصة على راهب اسكندراني اسمه مريانوس . ثم إن خالد بن يزيد أمر مريانوس بنقل كتب الصنعة (الكيمياء) الى اللغة العربية . ويبدو أن نقل الطب والفلك أيضاً قد بدأ في العصر الأموي ، ولكن لم يصل إلينا شيء مكتوب من العصر الأموي سوى ما ذكره نلّينو^(١) من أن كتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب الى هرمس قد نقل الى اللغة العربية سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) ، قبل انتهاء العصر الأموي بسبع سنوات ؛ وأن هذا الكتاب اقتنته المكتبة الامبروسمانية في مدينة ميلانو في مطلع القرن الحالي . على أن اهتمام خالد بن يزيد بالعلوم اليونانية كان دائماً موضوع نقاش شديد . أما أن خالد بن يزيد شخصية تاريخية فأمر لا جدال فيه البتة ؛ وأما اشتغاله بالعلم الطبيعي في ذلك الدور المتقدم من حياة العرب السياسية فأمر بعيد عن الوضوح .

يذكر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) خالد بن يزيد فيقول : « كان خطيباً شاعراً وفصيلاً جامعاً وجيّد الرأي كثير الأدب ؛ وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء^(٢) . على أننا نلح في

(١) علم الفلك . . . لكارلونيّو ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ (بتحقيق عبد السلام محمد هارون) القاهرة ١٣٥٦ هـ =

قول الجاحظ نفسه أن عمل خالد بن يزيد كان الاشراف على نقل العلم لا نقل العلم ولا العلم ، ولذلك يقول ^(١) : « ومتى كان خالد مثل أفلاطون ! » وفي الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ = ٩٦٧ م) إشارة الى خالد بن يزيد في هذا الشأن ، هي ^(٢) : « وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه » .

ثم يأتي ابن النديم (ت ٣٨٥ = ٩٩٥ م) فيقول ^(٣) : « كان خالد ابن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً في نفسه وله همّة ومحبّة للعلوم ، خطر بباله الصنعة فأمر جماعة من فلاسفة اليونانيين من كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصّح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة ^(٤) من اللسان اليوناني والقبطي الى اللسان العربي . وهذا (كان) أول نقل في الإسلام من لغة الى لغة » . ثم يذكر ابن النديم بعد صفحتين ^(٥) اصطفتن القديم ^(٦) وأنه نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها . ثم إن ابن النديم يذكر بعد ذلك خالد بن يزيد ويخصّه بترجمة موجزة (ص ٤٩٧ - ٤٩٨) يقول فيها نقلاً عن محمد بن اسحق :

(١) كتاب الحيوان ١ : ٧٦ .

(٢) الأغاني (طبعة بولاق) ١٦ : ٨٨ .

(٣) الفهرست لابن النديم (طبعة المكتبة التجارية الكبرى) ، مصر ١٣٤٨ هـ . ، ص ٣٣٨ .

(٤) الصنعة : الكيمياء القديمة (تحويل المعادن الخسيسة كالنحاس والرصاص إلى معادن شريفة كالذهب والفضة) .

(٥) الفهرست ٢٤٠ .

(٦) راجع في اصطفتن القديم منافقة يوليوس روسكا .

Julius Ruska, Arabische Alchemistent I (Chālid Ibn Yazid Ibn Muāwiya), Heidelberg 1924.

« كان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعراً فصيحاً حازماً ذا رأي . وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء . . . ويقال - والله أعلم - إنه صح له عمل الصناعة ؛ وله في ذلك عدة كتب ورسائل . وله شعر كثير في هذا المعنى رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ^(١) . ورأيت من كتبه : كتاب الحارارات ، كتاب الصحيفة الكبيرة (في الفلك ؟) ، كتاب الصحيفة الصغيرة ، كتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة » .

ويذكر صاعد الأندلسي (ت ٦٤٢ هـ = ١٠٧٠ م) خالد بن يزيد فيقول ^(٢) : « كان بصيراً بالطب والكيمياء . وله في الكيمياء رسائل وأشعار دالة على معرفته وبراعته فيها » .

وعقد ابن خلكان (ت ٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م) ترجمة موجزة لخالد بن يزيد قال فيها ^(٣) : « كانت له صنعة الكيمياء والطب » ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ؛ أخذ الصنعة من رجل من الرهبان يقال له مريانس ^(٤) المذكور الرومي ^(٥) .

وكذلك يذكر ابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م) في كتابه الموجز ^(٦) خالد بن يزيد بن معاوية فيقول : « كان فصيحاً بليغاً ، وقيل أصاب عمل الكيمياء » .

(١) الورقة نحو عشرين سطراً .

(٢) طبقات الأمم (بيروت) ، ص ٤٨ .

(٣) وفيات الأعيان (مطبعة الوطن الجيلة في ثلاثة أجزاء ، ١٢٩٩) ، ١ : ٣٠٠ ،

(٤) راجع في سرباوس مناقشة يوليوس روسكا في كتابه المذكور آفا ، ص ٨ ، ١١ ،

٢٦ ، ٣١ وما بعدها .

(٥) المذكور : المتهور (١) .

(٦) الفخري في الآداب السلطانية (عني بنصره محمود توفيق الكتبي ، المطبعة الرحانية

بمصر) ، ص ٨٧ .

وينكر ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م) أن يكون لخالد بن يزيد ابن معاوية شيء من العلم بالكيمياء فيقول في مقدمته (١) :

« وربما نسبوا إليه بعض المذاهب والأقوال فيها (في الكيمياء) لخالد ابن يزيد بن معاوية وبيب مروان بن الحكم . ومن المعلوم البيّن أن خالداً من الجيل العربي ، والبداوة إليه أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصناعات بالجملة ؛ فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركّبات وأمزجتها ؛ وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم ، اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخراً ، من أهل المدارك الصناعية تشبّه باسمه (٢) فممكن (٣) . »

أما المستشرق الذي أولى خالد بن يزيد عناية خاصة فهو يوليوس روسكا (١٨٦٧ - ١٩٤٩ م) الألماني (٤) قال (٥) :

(١) مقدمة ابن خلدون (دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٦١ م ، ص ٩٧٧ - ٩٧٨) .

(٢) تسمّى باسمه أو كان اسمها متشابهين .

(٣) في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (المطبعة الوهبية بمصر) ، الطبعة الأولى ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ م ، ٢ : ٤١ خالد بن يزيد بن رومان النصراني كان من أهل قرطبة ، وكان معاصراً لسطاس بن جريج المصري . وكان سطاس هذا فدولة الاخشيديين (طبقات الأطباء ٢ : ٨٠ - ٨٦) ، في النصف الأول من القرن العاشر للميلاد) ، راجع أيضاً طبقات الاطباء والحكام لابن جليل ٨٣ ، ٩٦ . - غير أن هذا لا يدلّ شيئاً من رواية الجاحظ الذي سبق خالد بن يزيد بن رومان بقرن كامل من الدهر .

(٤) تلقّيت علم الجغرافية عند العرب على الأستاذ المسامق يوليوس روسكا في جامعة برلين ، في الفصل الأول من العام الجامعي ١٩٣٥ - ١٩٣٦ .

(٥) راجع كتاب يوليوس روسكا المذكور نقلاً ١ : ٥٥ وما بعدها ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٨ - ٤٩ ، ثم قارن ذلك بما بعد في ص ٥٠ (أسفل الصفحة) ، ٥١ - ٥٢ .

ان كثيراً مما يروى عن خالد بن يزيد في شأن الصناعة (الكيمياء) وفيما يتعلق بارتباطه براهب اسمه اصطفن أو ماريانوس أو مورينوس ، كما يذكر بعض المتأخرين كابن خلكان مثلاً ، ليس بثبت . على أن هذا لا يعني أن خالد بن يزيد لم يشتغل بالكيمياء قط ، أو لم يكن يميل الى الاشتغال بها على الأقل . ولكن الذي نعني : أننا لا نستطيع ، من مراجعة ما بين أيدينا من المصادر والمراجع ، أن نثبت أو ننفي أنه عمل في الصناعة . وأما الكتب المنسوبة اليه في الصناعة فمنحولة كتبها وليست له . حتى اصطفن القديم الذي يقال إنه نقل كتب الكيمياء لخالد بن يزيد يجب أن يكون استفانوس الاسكندراني المنجتم الذي عاش في بلاط هرقل امبراطور الروم ، وكانوا ينسبون إليه معرفة بالكيمياء . إلا أن استفانوس هذا قد توفي قبل أيام خالد بن يزيد بزمان غير قصير (١) .

إذن ، ليس لنا دليل ، كما يقول يوليوس روسكا ، على أن خالد بن يزيد قد ألّف كتباً في الكيمياء أو في غيرها ، أو أنه أمر بنقل هذه الكتب إلى اللغة العربية ، أو كان له عمل في الكيمياء ، ذلك لأن العمل في الكيمياء يقتضي الإلمام بمعارف كثيرة لم تكن متوفرة لخالد بن يزيد أو لغيره من العرب في ذلك الطور الباكر من حياة العرب السياسية . وهذا هو رأي ابن خلدون ، كما رأينا قبل قليل .

تفريخ الدجاج آلياً :

كانت سَكينة بنت الحسين تغارح أشعب الطمّاع فتأمره أحياناً بأن يجلس على سلّة مملوءة بيضاً كأنه دجاجة تحتضن بيضها لتخرج منه فراخ .

(١) راجع فوق ، قبل بضعة عشر سطراً : مقدّمة ابن خلدون ٩٧٨ ، السطر الثاني وما بعده .

وأرادت يوماً أن تُخرج مزحماً هذا مخرج الجيد^(١) فصنعت^(٢) بيتاً كبيراً من خشب ووضعت فيه قنباً ومرجيناً^(٣) ثم وضعت فيه بيضاً كثيراً وأمرت أشعب بأن يحضن ذلك البيض^(٤) كأنه طائر يَفْقِسُ بيضه . فلم يزل (أشعب) يحضن ذلك (البيض) حتى فُقِسَ وخرج منه الألوف من الفراريج . وربيت (تلك الفراريج) في دار سكينه ، فكانت سكينه تنسبن (تنسب تلك الفراريج) إليه وتقول : بنات أشعب .

وعرف العصر الأموي براءة في الطب على اختلاف أنواعه المألوفة يومذاك ، وفي الجراحة خاصة . جاء في الأغاني^(٥) :

إن سكينه بذت الحسين خرجت لها سلعة^(٦) في أسفل عينها فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها ، ثم عَظُم شأنها . وكان بدراس^(٧) منقطعاً إليها في خدمتها^(٨) . فقالت له (سكينه) : ألا ترى ما وقعت فيه : فقال لها : أَتَصْبِرِينَ على ما يَمَسُّكَ من الألم حتى أعالجك ؟ قالت : نعم !

(١) الأغاني ١٦ : ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) المرجين والسرقي (بكسر السين فيهما) : الزبل ، روث الجبوان (راجع القاموس) .

(٣) يجلس في جانب من ذلك البيت كأنه يحضن . . .

(٤) ١٦ : ١٦٠ .

(٥) السلعة بكسر السين أو فتحها وسكون اللام ، وتكون أيضاً بفتح السين واللام أو تكون بكسر السين وفتح اللام ، غدة (بالضم وتشديد الدال) أو خراج (بضم الجيم من غير تشديد للراء) أو زيادة في البدن تنحرك إذا حركت ، وتكون من (مقدار) حمصة (بكسر الحاء وتشديد الميم المفتوحة أو المكسورة) إلى (مقدار) بطيخة (القاموس ٢ : ٢٩٩) ،

(٦) لم أعر على تفاصيل تتعلق بهذا الطبيب (بدراس) .

(٧) منقطعاً إليها في خدمتها : طبيباً خاصاً لها .

فأضجعها وشقّ جلدة وجهها حتّى ظهرت السلعة ؛ ثم كشط الجلد عنها أجمع وسلخ اللحم من تحتها حتّى ظهرت عروق السلعة ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحدقة عنه حتّى جعلها ناحية ، ثمّ سلّ عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع وردّ العين إلى موضعها ، وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تننّ حتّى فترّغ بما أراد . فزال ذلك عنها وبرئت منها ، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤخر عيناها ، فكان أحسن شيء في وجهها ، وكان أحسن على وجهها من كلّ حكني وزينة . ولم يؤثر ذلك في نظرها ولا في عيناها .

الدكتور عمر فروخ



لغة عالمية

لسنا ممن يدعون إلى الاستشهاد بالنصوص المقدسة في مجال العلم ،
فالببحث العلمي تطوراته أو زلاته ، ولا يصح لهذا أن ترتبط به العقيدة .
فليس يتم البحث العلمي بالصحة المطلقة ، بل إن نظرياته ونتائجه قد
تعرض للتغير والتبدل عسراً بعد عصر أو جيلاً بعد جيل . فبعض
ما عدّه « نيوتن » صحيحاً في وقت ما ، برهن « أينشتين » وأمثاله على
خطئه ، وبعض ما عالج به ابن سينا مرضاه يسخر منه أطباؤنا في العصر
الحديث . وذلك لأن النظريات العلمية مهما سما قدرها لا تعدو أن تكون
جهوداً إنسانية ، اهتدى إليها الباحثون على قدر ما سمحت به عقولهم
وتجاربهم ، فليس لها سمة الدوام أو الخلود .

في حين أن العقيدة عند المؤمنين بها عاطفة روحية سماوية ينزها أصحابها
عن تلك الهزات التي قد تعرض لمسائل العلم الدنيوي ، وليس دوام صحتها
محل خلاف أو شك عند المؤمنين ، بل توصف دائماً بأنها لا يأتها الباطل
من بين يديها ولا من خلفها . وربطها من أجل هذا بجهود الإنسان ،
وشطحاته في كثير من الأحيان ، يهبط بها من عليائها ويدع تعاليمها عرضة
للتغيير والبطلان على توالي العصور والأجيال .

ومع هذا فلست أدري كيف وجدتي أنساق إلى الحديث عن موقف
الديانات من اختلاف اللغات البشرية وأنا بصدد البحث في تاريخ اللغات
ودورها في الحياة الاجتماعية منذ عرفنا التاريخ إلى العصر الحديث ؟ ربما
لأنني وقد قرأت الكثير عن دور اللغة في تاريخ البشرية ، أحسست أن

انطباعاتي من تلك القراءة تتسق إلى حد كبير مع فهمي للنصوص المقدسة ،
أو ما أستوحيه منها حين عرضت تلك النصوص لاختلاف اللغات وتنوعها
بعد أن كانت لغة واحدة .

فتحدثنا التوراة في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين أن الأرض
كانت كلها لساناً واحداً ولغة واحدة . ثم إن الناس قال بعضهم لبعض
هلموا نبن لأنفسنا مدينة فيها برج يطانول السماء ، وهلموا نخلع على أنفسنا
شعراً يوحد بيننا ، ويحول دون تبديدنا وتشتتنا فوق ظهر البسيطة .
فلما رأى الرب ما هموا بصنعه ، وتبين لحكمته أن وحدة اللغة ستدفعهم
إلى الطغيان والجبروت فلا يمتنع عليهم أن يعملوا كل ما ينفون عمله بلبل
ألسنتهم فلم يعد يفهم بعضهم بعضاً ، وبدد وحدتهم على وجه الأرض ،
فكانت لغات مختلفة لبني الإنسان بالرغم من أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة .
وتلك هي لعنة بابل التي كثيراً ما يشار إليها في كلام المفكرين من علماء أوربا .
فنصوص التوراة ولا ريب تجعل من اختلاف اللغات بين البشر مظهراً
من مظاهر ابتلاء الرب لعباده في الحياة الدنيا حين بدا لحكمته أن توحيدهم
في لغة واحدة قد استغل في تحدي ربيوبته .

فوحدة اللغة كانت في بدء الخليقة خيراً ، أو أريد بها أن تكون
خيراً للإنسان ، ولكنه أساء استغلالها ، وتحدى عن طريقها خالقه .
فلولا لعنة بابل لكان الناس أمة واحدة أصحاب لسان واحد ، يتفاهمون
بعضهم مع بعض في سهولة ويسر ، ويقضون مصالحهم في الدنيا دون نزاع
أو شقاق .

هذا هو مبلغ فهمي لموقف التوراة من اختلاف اللغات ، فما موقف
القرآن الكريم ؟ جاء النص على اختلاف الألسنة مرة واحدة في القرآن
الكريم وبين آيات سورة الروم ، تلك السورة التي تتضمن بعض آياتها

صورة رائعة لقصة الحياة البشرية فوق الأرض . فيها ست آيات متواليات تبدأ بالآية التاسعة عشرة وتحكي في إيجاز قصة البشرية منذ الخليقة إلى البعث وهي : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) . وهكذا نرى أن هذه الآيات الست تلخص لنا في إيجاز رائع قصة الحياة البشرية فوق الأرض ، وتبدأ كل هذه الآيات بعبارة « ومن آياته » أي من علاماته ومن دلائل قدرته وربوبيته وحكمته لعل الإنسان يتفكر ، لعله يسمع ويفهم ، لعله يعقل . فكلمة الآية في الأسلوب القرآني تعني العلامة ، وهو المعنى الأسامي في أكثر ما استعملت فيه ، وعنه يتفرع معنى المعجزة أو الحكمة أو المشيئة ونحوها .

ثم إن كلمة الآية بمعنى العلامة قد توحى بنفع مباشر للإنسان ، مثل (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا) ، وقد تدل في بعض النصوص القرآنية على الضرر المباشر ، وذلك حين يشاء سبحانه أن يبتلي الإنسان في دنياه ليظهره من شروره وطغيانه . وأوضح مثل لهذا قوله تعالى في آل فرعون :

(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفضلات) ، فكل هذه المحن أصابتهم وكانت بمثابة آيات بينات من عند الله .

ولكن كلمة الآية في الأسلوب القرآني وفي أكثر حالاتها لا توحى بأكثر من أنها علامة على قدرة الخالق .

ونتساءل بعد هذا ، هل كان اختلاف الألسنة والألوان من مظاهر نفع الإنسان فوق الأرض كما يقول بعض المفسرين ، أو هو ابتلاء من الله لخلقه في الحياة الدنيا ؟

أما اختلاف الألوان فما نراه الآن في بعض الشعوب من تعصب الإنسان وكراهيته لأخيه الإنسان بسبب اللون ، وما نسمع عنه من مآسي التفرقة العنصرية لأكبر دليل على أن اختلاف الألوان مظهر ابتلاء للإنسان في الحياة الدنيا .

وكذلك الشأن في اختلاف الألسنة واللغات حين نتذكر المآسي التي كانت في كل عصور التاريخ بسبب اختلاف اللغات من حروب وثورات ليس لها من سبب حقيقي سوى أن المجتمعات البشرية قد عجزت عن فهم بعضها البعض حين افتقدت وسيلة موحدة للتفاهم قننظمهم جميعا .

أما بعد : فهل كتب على الإنسان أن يظل فوق سطح البسيطة أسير تلك الأصوات التي ركب منها ما يسمى باللغات ، والتي تنوعت وتباينت حتى أصبح منها الآن ما يحاوز ألفين من الألسنة تفرق بين الجنس البشري ، وتقيم بين الإنسان وأخيه الإنسان حصونا لم تستطع المدنية الحديثة بالرغم مما أوتيت من إمكانيات التغلب عليها أو اقتحامها ؟

فكم من مؤتمرات عالمية فشلت ولم تحقق هدفا لا شيء سوى أن يجتمعين بها كانوا يصطنعون لغات متباينة ، أو بعبارة أخرى يفكرون بعقليات متنافرة . ولا تزال للترجمة مشاكلها وزلاتها حتى في أرقى الأوساط العالمية كمنظمة الأمم المتحدة .

وصفحات التاريخ زاخرة بالمآسي التي مرّ بها الإنسان بسبب اختلاف اللغات . وأدركت الشعوب والأمم في عصور التاريخ ضرورة الوحدة اللغوية

بين الناس ، فكان أن نشأت في كل عصر تاريخي لغة مشتركة اصططنعتها عدة شعوب حيناً من الدهر ثم بادت أو اندثرت . فاللغة الأكادية أو لغة بابل وأشور تلك التي سادت في حوض دجلة والفرات قد انتظمت العالم القديم فترة من الزمن ، ثم جاءت بعدها الآرامية والإغريقية ثم اللاتينية ثم العربية ، وأخيراً في العصور الحديثة الفرنسية والإنجليزية . وكل لغة من هذه اللغات حاولت ما وسعتها المحاولة أن تصبح لغة الناس كافة .

وأحسن بعض المفكرين من اللغويين منذ القرن السابع عشر بضرورة عمل جدي لعلاج هذه الحال ، فقاموا بوضع لغات مصنوعة بلغ عددها عشرات من اللغات ، راجين أن يصبح أيّ منها لساناً للناس جميعاً يجمع شملهم ويلم شتاتهم ، وذلك بعد أن يشؤوا من تلك اللغات الطبيعية ، ورأوا أن أمثلة التاريخ لا تشجع على أن تصبح إحداها لغة عالمية . وأشهر هذه اللغات المصنوعة ما وضع في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . ويكفي أن نشير هنا إلى ثلاث لغات مصنوعة : أولاهها تلك التي وضعتها مفكر من بافاريا سنة ١٨٧٩ وسماها « فلابيك » Volapük ، وهذا الاسم منحوت من كلمتين معناهما « لغة العالم » . وقد قوبلت هذه اللغة المصنوعة في أول الأمر بحماس كبير ، غير أنه لم يكد يمر عليها أكثر من ثماني سنوات حتى وضع لغوي آخر من بولندا لغة مصنوعة أخرى ، فهجّر معظم أنصار الأولى والمتحمسون لها تلك اللغة ، واتجهوا نحو اللغة المصنوعة الجديدة التي سميت « اسبرانتو » سنة ١٨٨٧ .

وقد تلمس هذا اللغوي البولندي طريقه على حذر ، فأخذ يدعو إلى لغته الجديدة متكرراً تحت اسم « الدكتور اسبرانتو » أو الدكتور المتفائل ، حتى أقبل الكثيرون عليها وتكون لها أنصار ، وحينئذ كشف عن اسمه الحقيقي . وتلك هي المحاولة الثانية ، بل إن « الاسبرانتو » تعد الآن أشهر اللغات العالمية المصنوعة . وقد أسسها صاحبها على عناصر استمدتها من لغات

متباينة كاللاتينية والفرنسية والانجليزية والألمانية . واتخذت هذه اللغة أداة التفاهم في عدة مؤتمرات ، وآمن بها آلاف من الناس في شعوب مختلفة ، وذلك لأنها تنقسم بالمرونة والاطراد . غير أنها لم تستطع منافسة أقل اللغات الطبيعية انتشاراً ، وقبيلت حتى لأنصارها أنه قد يكون من اليسير أن يتحدث بها الرومي مع الأمريكي في مسائل السياحة والطعام والشراب والملابس ، فإذا قطرنا الى الحديث عن مسائل الدين والعلم والفلسفة لم نؤكد تلك اللغة تحقق الهدف من الحديث .

والغريب أنه في حياة واضع لغة الاسبرانتو قام جماعة من أنصارها بإدخال عدة تحسينات عليها جعلتها أكثر دقة وإحكاماً ، وكانت بهذا المحاولة الثالثة للغات المصنوعة ، وتلك هي التي سميت Ido « إيدو » سنة ١٩٠٧ ، ويرمز الحرفان الأولان من هذا الاسم الى كلمتين هما International Delegation أي البعثة العالمية .

أما الحرف الأخير فهو علامة الاسم على حسب النظام الموضوع في الاسبرانتو .

ويشهد العالم الحديث وسائل للاتصال بين الشعوب لم يكن يحلم بها من قبل حتى أكثر الناس تفاؤلاً في مستقبل الإنسانية ، فلم تعد البحار أو الجبال أو الصحارى تحول بين الشعوب ، ولم يعد من الممكن لأحد هذه الشعوب أن ينعزل عن العالم أو أن يعيش على الاكتفاء الذاتي . فحتمية الاتصال من أوضح مظاهر العصر الحديث . ولدينا الآن من الطائرات ما يفوق سرعة الصوت ، بل لدينا الإذاعة والتليفزيون وسفن الفضاء وغيرها من وسائل جعلت قول « الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » أمراً قريب الاحتمال غير بعيد المثال .

وتحاول الشعوب الآن جاهدة زيادة الصلة بينها ، ونجحت حتى الآن في لغة الموسيقى ورموزها العالمية ، فأصبح الموسيقيون في العالم الآن يفهم بعضهم

بعضاً في سهولة ويسر ، كما نجحت في كثير من مصطلحات العلوم ورموزها ولا سيما في الكيمياء والرياضة ، ثم أخيراً تلك المنظمات العالمية كالюونسكو ومنظمة الأمم المتحدة .

ومع كل هذا لا يزال الاتصال قاصراً والتفاهم غير تام ، بسبب ما يعوز الإنسان فوق الأرض من وسيلة مشتركة يتخاطبون بها ويعبرون بها لآعن أفكارهم وآرائهم فحسب ، بل عن أحاسيسهم وعواطفهم أيضاً ، وذلك هي اللغة العالمية التي يتطلع إليها الآن كثير من المفكرين في العصر الحديث . والمفكرون بصدد هذه اللغة العالمية فريقان : فمنهم المتشائمون الذين يؤكّدون لنا استحالة وجودها ، ويرون في أمثلة التاريخ ما يؤيد رأيهم ، وأن لعنة بابل ستظل تلاحق الإنسان في حياته الدنيا إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، فمناك في رأيهم دورة لغوية حتمية تنلخص في أن لهجات اللغة الواحدة قد ينشأ بينها صراع ثم لا يلبث أن تغلب إحداها وأن تنشأ على أساسها لغة مشتركة تضم شعوباً مختلفة ، ثم يصيب الهرم أو الشيخوخة هذه اللغة المشتركة فتندثر حيناً ، أو تنحلّ إلى لهجات متباينة وتعود سيرتها الأولى . اللغات إذن في رأيهم تتنازعها الوحدة ثم الفرقة أو الاندثار ، ولن يكتب لإحداها الخلود أو انتظام كل المناطق ، وبين كل الشعوب ، سواء منها اللغة الطبيعية أو اللغة المصنوعة .

أما المتفائلون من علماء اللغة الحديثين فمنهم « لويس » في كتابه اللغة في المجتمع ، و « ماريوباي » في كتابه قصة اللغة . ويرى هؤلاء المتفائلون أن مصير العالم إلى الوحدة اللغوية وأن كل الدلائل في العصر الحديث تشير إلى هذا . ذلك لأن انحلال اللغة إلى لهجات فيما مضى من عصور التاريخ إنما كان بسبب انعزال البيئات بعضها عن بعض ، وهو ما لا سبيل إلى تصور حدوثه في العصر الحديث . فشبكة الاتصال بين شعوب العالم الآن وثيقة

محكمة الحلفاء ، ولن يشهد عالم المستقبل ما كان يسمى في الماضي بالبيئة المنعزلة ، إذ تزيد الحاجة إلى توثيق الصلات بين بني البشر يوماً بعد يوم . وكل الذي يتطلبه تحقق هذا الحلم السعيد هو صدق العزيمة من جانب المسؤولين الحاكمين في كل شعب . فإذا اتفقت كلمتهم في منظمة الأمم المتحدة مثلاً ، وخلصت نواياهم ، وآمنوا أن كثيراً من شرور الدنيا ومآسها مبعثه الحقيقي فقدان الوسيلة المشتركة للتفاهم بينهم جميعاً ، أمكن تحقيق ما يصبون إليه . وهؤلاء المتفائلون لا يتصورون مع هذا ان اللغات المحلية مقضي عليها بالفناء والاندثار ، بل كل الذي يطمع فيه ويطمح اليه من هو أكثرهم تفاؤلاً أن يصبح المرء ثنائي اللغة ، يحسن لغتين في آن واحد إحداها تقتصر على بيئته المحلية والأخرى للناس كافة . أما الأولى فيلقنها في السنين الأولى من حياته ، وأما الأخرى فيبدأ تعلمها بعد هذا في المدارس ودور الحضارة . وتظل اللغتان تنموان معه حتى يستطيع السيطرة عليهما في دور المراهقة . وأيضاً كانت تلك اللغة العالمية التي ستستقر عليها إرادة الشعوب ، صعبة أو سهلة ، طبيعية أو مصنوعة ، واسعة الانتشار الآن أو ضيقة ، فكل هذه في رأيهم تفاصيل يمكن أن تدرس وأن تكون محل البحث بين مندوبي الشعوب في هذه المنظمة ، وإنما العامل الحاسم في هذا الأمر هو أن يحسن حكام الشعوب إحساساً صادقاً أن في اللغة العالمية خير للبشر وسعادته وهدوءه .

الدكتور إبراهيم أنيس



صفحات من تاريخ الاستشراق

- ١ -

ماذا يقصد بالشرق ؟

إن كلمة « الشرق » رغم كثرة استعمالها منذ ألفي سنة على الأقل ، ليس لها مفهوم واضح ، محدد ، ثابت . فهي تفيد أحيانا مجموعة معينة من البلاد في آسيا الغربية وافريقيا الشمالية ؛ وهي أحيانا أخرى تشمل ، في نظر الأوروبيين ، جميع أقطار آسيا ما عدا (سيبيريا) . على أنه كثيراً ما يطلق على (الصين) و (اليابان) اسم خاص هو « الشرق الأقصى » بينما هناك اختلاف في تحديد البلاد التي يتضمنها مفهوم « الشرق الأوسط » و « الشرق الأدنى » .

وكلمة « الشرق » في الأصل من المصطلحات الفلكية . وهي لا تدل إلا على الجهة التي تشرق منها الشمس . فكل بقعة من الأرض هي شرق وغرب في وقت واحد حسبما يكون موقع الشخص الذي يتحدث عن هذه البقعة ، أما وصف قارة (آسيا) خاصة بأنها الشرق وقارة (أوروبا) بأنها الغرب فيرجع الى زمن اليونان ، عندما كان الناس يعتقدون بأن الأرض مسطحة وأن القسم المعمور منها محدود .

وإذا تأملنا في كتاب (هيودوت) تبين لنا أن مفهوم الشرق (آسيا) والغرب (أوروبا) قد برزا لأول مرة خلال الحرب الفارسية . فإن الاصطدام بالفارس قد خلق الوعي الذاتي لدى اليونانيين الذين كانوا ينظرون الى جميع الشعوب الأخرى كبرابرة ، رغم اعتراف كتابهم بأن بعض هذه الشعوب ، كالمصريين والبابليين ، كانوا يتقدمونهم في الحضارة .

وكانت (أوربا) في نظر اليونانيين تقتصر على العالم الهيليني (أي بلاد اليونان وشواطئ آسيا الصغرى وصقلية وجنوب إيطاليا) ، بينما تعتبر بلاد السكيت والجرمن والسلت والاسبان من عالم البرابرة .

وفي عهد الرومان ، عندما كانت (روما) تعتبر مركز المعمورة ، أطلقت كلمة (الشرق) على البلاد الواقعة في الجهة الشرقية من إيطاليا . إلا أن الرومان كانوا في بعض الحالات يقصدون بالشرق مملكة فارس القديمة ، وفي ظروف أخرى الامبراطورية المكدونية . ثم اكتسب اصطلاح (الشرق) مضمونا سياسيا محدودا في عهد (فيليب العربي) ، إذ سمي هذا الامبراطور أخاه (يوليوس بريسقوس) حاكما للشرق (Rector Orientis) . وكانت كلمة الشرق هنا تعني وحدة ادارية تشمل خمس ولايات من الامبراطورية الرومانية هي :

- (١) الشرق بالمعنى الضيق (Oriens) ويتألف من مقاطعات (لبنيا) ومصر و (العربية) وفلسطين وفينيقية وسورية والفرات و (كيليكيا) وقبرص وما بين النهرين .
 - (٢) ولاية (بونتيكا) (الجزر) الممتدة من قبادوسيا حتى أرمينية .
 - (٣) (آسيانا) من فريجييا حتى الدردنيل .
 - (٤) (تراقيا) .
 - (٥) (موزيا) من رومانيا حتى اليونان وكريد .
- وكانت عاصمة الولايات الشرقية كلها هي أنطاكية ، حيث كان يقيم الحاكم العام (Praefectus praetoris) .

وقد ازداد الاختلاف السيامي بين الشرق والغرب منذ أن انقسمت الامبراطورية الرومانية في سنة (٣٩٥) الى الامبراطورية الغربية والامبراطورية الشرقية (التي كانت تسمى أيضا الشرق Oriens) . وبالإضافة الى ذلك نشأ في العصور التالية الخلاف المذهبي بين البابوية في روما وبين البطريركية

في القسطنطينية ، الذي أدى الى الانفصال والى قيام الكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية) .

ثم تبدل مفهوم (الشرق) بعد ظهور الإسلام وتأسيس الامبراطورية العربية ، فأصبح يطلق بوجه عام على البلاد الإسلامية . وفي أثناء الحروب الصليبية صار الدين الإسلامي رمزاً للشرق والديانة المسيحية رمزاً للغرب . ومرة أخرى حصل تحوير طفيف في مضمون كلمة (الشرق) بعد قيام الأتراك العثمانيين واتساع فتوحاتهم في أوربة ، فأصبح الشرق في نظر الأوروبيين مرادفاً للدولة العثمانية . ولذلك أطلقوا امم « المسألة الشرقية » على مجموعة المشاكل التي نجمت عن الاصطدام بين العثمانيين والأوروبيين وعن التضارب في سياسة الدول الأوروبية تجاه الامبراطورية العثمانية وتقرير مصيرها بعد ما ظهر عليها الانحطاط والتفسخ والتفتت . تبعاً لهذه التقلبات التاريخية كان يتغير مدلول (الشرق) و (الغرب) ويختلف امتدادها الجغرافي . وبينما تقدمت حدود أوربة في عهد الإسكندر المكدوني حتى حوض (السند) وتوقفت في عهد الرومان عند حوض الفرات ، إذا بها تتقدم بعد ظهور الإسلام وفتوحاته وترجع حتى أبواب (فيينا) سنة ١٥٢٩ في عهد العثمانيين .

يتبين من ذلك أن كلمة (الشرق) عبارة عن اصطلاح سيامي - جغرافي - تاريخي يشير إلى النزاع بين الفرس واليونان في القديم ، وبين الإسلام والمسيحية في القرون الوسطى ، وإلى الاصطدام بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية في العصور الحديثة ، كما يتضمن شعوراً بالفروق في العقلية والثقافة والحضارة بين شعوب أوربا من جهة وشعوب آسيا وافريقية من جهة ثانية .

بسبب هذه النظرة الإجمالية السطحية غفل الكثيرون عن الفروق والتناقضات بين الشعوب الأوروبية نفسها فشاعت مصطلحات مثل (الغرب) أو (الحضارة الغربية) أو (العقلية الغربية) . فهل يقصد بالغرب مثلاً القارة الأوروبية

كلها بما في ذلك البلقان وروسيا وسائر البلاد السلافية أم بعض أجزاء أوروبا فقط كفرنسا وانكلترا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا واسكندنافيا ؟

وأخيراً ألم نشاهد في هذه السنوات تطوراً جديداً لمفهوم (الشرق) و (الغرب) إذ أصبحا يرمزان إلى الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية من جهة ثم إلى الولايات الأمريكية المتحدة ودول الحلف الأطلسي من جهة ثانية . فكلمة (الشرق) في الصحف والخطب السياسية إنما تعني اليوم الاتحاد السوفياتي وحلفاءه . أما البلاد التي كانت تطلق عليها هذه الكلمة في السابق فلا بد من تحديدها باصطلاحات خاصة مثل الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط أو الشرق الأقصى أو جنوب شرقي آسيا أو الأفطار العربية أو العالم الإسلامي .

هكذا لا يمكننا ادراك المعاني التي تنضمها كلمة (الشرق) إلا إذا لاحظنا تطور العلاقات بين الشعوب الأوروبية من جهة وشعوب آسيا وأفريقيا من جهة ثانية . بذلك نتضح لنا أيضاً العوامل التي أدت إلى نشأة « الاستشراق » واهتمام الأمم الغربية بهذه الدراسات .

العلاقة بين الشرق والغرب :

ان العلاقات بين الشرق والغرب قديمة ومتشابكة جداً . فمنذ فجر التاريخ كانت شعوب القارات الثلاث : آسيا وأفريقيا وأوروبا — وهي التي كان يتألف منها العالم المعمور — يقتبس بعضها عن بعض ، ويؤثر أحدها في الآخر . ومن المعلوم أن قدماء اليونان قد أخذوا العناصر الأولى في حضارتهم عن المصريين والبابليين والفينيقيين ، وظلوا مدة عصور طويلة يعتبرون أنفسهم تلامذة لهذه الأمم الشرقية التي تقدمتهم في الحضارة والثقافة .

ولما نشبت الحروب الفارسية استولى الفرع على اليونانيين فقام شعراؤهم وكتابهم يلهمون المشاعر والمواطف في سبيل الدفاع عن كياناتهم القومي ،

واندفعوا ، في حماسهم الوطنية يصفون الفرس والشعوب الأخرى الخاضعة للإمبراطورية الفارسية بالهمجية ويسمونهم « برابرة » ولا شك في أن مؤلفات هؤلاء الشعراء والكتاب ، التي أصبحت فيما بعد أساساً لثقافة الغرب ، كان لها بعض التأثير في تشويه صورة الشرق لدى الغربيين .

وعلى أثر فتوحات الاسكندر المكدوني ، الذي حاول توطيد حكمه بالتقريب بين الشرقيين والغربيين . انتشرت الثقافة اليونانية في آسيا وإفريقيا ، حيث امتزجت بالعقائد الدينية والنزعات الصوفية . ومن هذا التمازج نشأت الحضارة « الهلنستية » ذات الصبغة العالمية .

وكان يبدو ، بعد قيام الإمبراطورية الرومانية ، أن الغرب قد فرض سيطرته على الشرق . ولكن سرعان ما تجدد الصراع بانقسام الإمبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية ، وباحتدام الاختلافات المذهبية واستئناف الحروب بين البزنطيين والساسانيين .

ثم جاء الإسلام . فتولى العرب قيادة الشرق ونوحيد كلمته . والمؤرخون الغربيون لا يحدون تفسيراً للسرعة التي فتح بها العرب سورية ومصر (بين سنة ٦٣٤ و ٦٤٣) الا رغبة السكان السريان والأقباط « الشرقيين » في التخلص من الاضطهاد البزنطي « الغربي » . ولم يعترف الغربيون بأن الإسلام إنما أراد إتمام ما بدأته الديانات السماوية السابقة ، ونسوا أن المسيحية نفسها كانت قد جاءت إليهم من الشرق ، فاعتبروا الدين الجديد مظهراً للثورة الكبرى تقوم بها آسيا ضد سيطرة اليونان والرومان ، وصاروا منذ ذلك الوقت يصورون الاختلاف بين الشرق والغرب كصراع بين الإسلام والمسيحية . هكذا يصفون صمود القسطنطينية لحصار العرب (سنة ٧١٧ - ٧١٨) ، أو انتصار (شارل مارتيل) في بواتيه (سنة ٧٣٢) على أنها عمليتا انقاذ للحضارة الغربية - المسيحية .

وقد بلغ النزاع بين الطرفين ذروته أثناء الحملات الصليبية التي قام بها الغرب فاستخدم العقيدة الدينية ستاراً ووسيلة لتحقيق مطامعه الاستعمارية . ولكن نجاح الصليبيين لم يستمر طويلاً واستطاع المسلمون أن يسترجعوا بعد مائتي سنة كل البلاد التي فقدوها . وعلى الرغم مما اتصفت به الحملات الصليبية من تعصب وحقد وما رافقها من أعمال العنف والقسوة فقد لاحظ الغربيون ، بعد الاحتكاك المباخر ، أن الشرقيين يفوقونهم في جميع نواحي الحضارة . وكان طبيعياً أن يمتزج الخوف والبغض لديهم بشيء من الإعجاب ثم بالرغبة في المعرفة والميل إلى الاقتباس . إلا أن الحضارة العربية — الإسلامية كان لها تأثير أعمق في تطور الغرب عن طريقين آخرين هما : الأندلس وصقلية . فقد كان ملوك النورمانديين في صقلية من (روجر) الأول إلى (فريدرىك) الثاني إلى (مانفريد) يستعينون بالموظفين العرب في إدارة البلاد وتنظيم الشرطة والمالية ، كما أنهم جمعوا حولهم كثيرين من علماء المسلمين ، واعتنوا بترجمة المؤلفات العربية في مختلف العلوم والفنون وتدريسها في الجامعات التي أسسوها على نمط المدارس الإسلامية .

وكانت طليطلة في الأندلس من أكبر مراكز العلم عند العرب المسلمين ، فلما سقطت في أيدي الأسبان (سنة ١٠٨٥) أسرع إليها طلاب العلم من كل أنحاء أوروبا ، وقام رئيس أساقفتها (ريموند) بين (١١٣٠ - ١١٥٠) فأسس فيها المدرسة المشهورة للترجمة التي دامت حتى القرن الثالث عشر وساعدت على نقل أهم كتب الطب والفلك والطبيعة والفلسفة من العربية إلى اللاتينية . ومن اسبانيا انتقلت حركة الترجمة إلى إيطاليا ، حيث استمرت حتى منتصف القرن السادس عشر . وإذا ظل بعض العلماء في النمسا وألمانيا وفرنسا يعتمدون على مؤلفات الأطباء والصيدالة العرب في القرن السابع عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر فلا شك في أن الأوروبيين لم يعودوا يشعرون

بالحاجة إلى التعليم من العرب بعد اختراع الطباعة وبعد اكتشافات (كوبرنيكوس) و (باراسلسوس) و (فيزاليوس) .

ومن جهة أخرى لاحظ رجال الكنيسة الغربيون منذ الحملات الصليبية أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً واضحاً عن العقيدة الإسلامية وأنه لا بد لهم من ترجمة القرآن والأحاديث النبوية وأقوال العلماء المسلمين ليستطيعوا الرد عليها ومحاولة نقضها والحيولة دون تأثيرها في نفوس شعوبهم . لذلك نرى المجمع الديني الذي عقد في (فيينا) سنة (١٣١١ - ١٣١٢) يدعو العلماء المسيحيين إلى الرد على آراء الفلاسفة المسلمين .

هكذا بدأت الدراسات الشرقية على أساس غير صحيح ، لأنها كانت منذ باديه الأمر خاضعة لفكرة الجدل الديني .

لم تنقض مدة طويلة على نهاية الحملات الصليبية حتى تجددت الحروب بين الشرق والغرب بعد قيام الدولة العثمانية التي استطاعت أن تفتح القسطنطينية ، والتي ظلت جيوشها تتوغل في قلب البلاد الأوروبية حتى القرن السادس عشر . وكانت أوربا تعتبر الأتراك العثمانيين ممثلين لروح آسيا ولقوة الإسلام . وكان طبيعياً أن ينقلب الخوف والفزع من الأتراك إلى حقد على الإسلام وكره لآسيا ، فترى الكتاب الأوروبيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر يسمون محمداً (ﷺ) بنبي الأتراك ويسعون إلى مكافحة العثمانيين بالتهجم على الرسول والطعن في الإسلام .

ولكن في الوقت ذاته أخذ الأوروبيون يفكرون في مهاجمة العالم الإسلامي من الخلف بالدوران حول إفريقيا عن طريق البحر . ولا ننس أن فشل الحملات الصليبية ثم احتكار تجارة الهند من قبل الممالك كانا من العوامل التي دفعت الأوروبيين إلى البحث عن طريق آخر إلى الهند والشرق الأقصى ، فبدأت بذلك الرحلات والاكتشافات البحرية الكبيرة في أوائل القرن

السادس عشر . وقد جاء في البيان الذي أصدره القائد البحري البرتغالي (البوكرك) في (مالاكا) بالهند الصينية ، أن البرتغاليين بسيطرتهم على تجارة الأفاويه إنما يطعمون في إضعاف قوة المسلمين . وكان المبشرون البرتغاليون يقومون بحملة صليبية ضد الإسلام . وكانت الظروف في الهند خاصة ملائمة إذ ذاك للاستعمار البرتغالي . ولكن بعد قيام ملوك المغول الكبار واعدة توحيد المملكة الإسلامية في الهند تبدلت الحالة هناك في القرن السابع عشر . وانتهم الهولنديون والانكليز الفرصة ليحلوا مكان البرتغاليين فأخذوا يساعدون الهنود ضد هؤلاء . واتبعت الشركات الهندية - الهولندية ، والهندية - الانكليزية سياسة سلمية ، تجارية بحثة في بادئ الأمر ، والتزمنا الجياد التام تجاه سكان البلاد في المسائل الدينية كما انها كانتا ، تبعاً لعقيدتهما البروتستانتية ، تكافحان من جهة ثانية الجمعيات الكاثوليكية التي كانت تقوم بالدعوة التبشيرية وتثير نفرة السكان .

ومنذ انكسار الأتراك العثمانيين في معركة (لبننتو) البحرية (عام ١٥٧١) أخذ خوف الأوروبيين منهم يخف . وما كاد ينتهي القرن السابع عشر حتى تلاشى هذا الخوف بعد أن لاحظ الأوروبيون اضطراب أحوال الدولة العثمانية وتدهور قوتها ، فاتجهت أطماعهم إلى سلب ممتلكاتها . وكانت أوروبا في ذلك العهد تتقدم في طريق القوة العسكرية والازدهار الاقتصادي ، وأخذت تشعر بالحاجة إلى أسواق لتصرف منتوجاتها الصناعية . وبذلك بدأ التوسع الاستعماري واستيلاء الغربيين على آسيا وإفريقيا ، وتشابكت المصالح التجارية مع المطامع السياسية . وليس تاريخ هذا التوسع سوى سلسلة من أعمال العنف والخداع والخيانة ونقض العهود والمساومات الخفية والمؤامرات الدنيئة . وكانت القيادة قد انتقلت في القرن السابع عشر من البرتغاليين إلى الهولنديين . ثم برزت انكلترا وفرنسا اللتان استمر التنافس بينهما خلال القرن الثامن عشر وانتهى الأمر بسيطرة انكلترا في القرن التاسع عشر . وفي

أواخر ذلك العصر أخذت ألمانيا وإيطاليا أيضاً تشتركان في التوسع الاستعماري بينما ظلت روسيا القيصرية منذ القرن الثامن عشر تطمع في ميراث الدولة العثمانية وتعمل على بسط سيطرتها ونفوذها في البلقان والقفقاس وآسيا الوسطى .

وخلال جميع هذه المراحل لعب المستشرقون دوراً هاماً في التمهيد للتوسع الاستعماري وتوطيد سيطرة الغربيين في الشرق .

متى بدأ الاستشراق ؟

يقول بعض المستشرقين إن أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوروبا هي التي أسست في طليطلة سنة (١٢٥٠) ، وكانت تدرس فيها اللغة العربية والعبرية لإعداد رجال يستطيعون التبشير بين المسلمين واليهود .

ومن أشهر المبشرين الذين تخرجوا من هذه المدرسة (رايوندرس لولوس) (Raymundus Lullus) حوالي سنة (١٣١٥) . وكان (لولوس) يتقن اللغة العربية ويعرف المؤلفين العرب معرفة جيدة ربما لا يضاويه فيها أحد من الغربيين حتى العصور الحديثة . فقد درس القرآن والحديث واطلع على كتب المتكلمين والفلاسفة . ونراه في مؤلفاته الجدلية للرد على المسلمين يستشهد بأقوال الفارابي وابن رشد وعلى الأخص الغزالي الذي اقتبس قسماً كبيراً من كتابه « تهافت الفلاسفة » .

ويبدو أنه كان هناك شعور عام بالحاجة إلى معرفة اللغات الشرقية والغربية . وما يؤيد ذلك الرسالة التي نشرها الكاتب الفرنسي (بيير دوبوا Pierre Dubois) في سنة ١٣٠٦ بعنوان « استرجاع الأراضي المقدسة » فقد رسم فيها منهجاً لاستعمار الشرق من قبل شعوب أوروبا المسيحية بقيادة ملوك فرنسا . ويقتضي هذا المنهج تأسيس مدارس لتعليم اللغات لا تقتصر

على اعداد ما تستلزمه هذه الخطة السياسية من موظفين وضباط وتراجمة ومفاوضين ومبشرين وأطباء ، بل تهيب كذلك الفتيات الأوربيات اللواتي يجب تزويجهن بالزعماء الشرقيين للقيام بالمهمة الملقاة على عواتقهن .

وفي سنة (١٣١١ - ١٣١٢) تقدم (رايوندوس لولوس) إلى المجمع الديني الذي عقد في (فيينا) باقتراح يطلب فيه :

١ - تأسيس معاهد لتدريس مختلف اللغات واعداد رجال يبشرون بالكتاب المقدس بين جميع الشعوب ؟

٢ - تكوين منظمة دينية من الفرسان تسعى إلى استرداد البلاد المقدسة .

٣ - العهدة إلى العلماء بتأليف الكتب للرد على العقائد المنافية للكاتوليكية .

وفي الواقع قرر مجمع (فيينا) تأسيس كرسيين لتعليم اللغات العربية والعبرية والسكندانية واليونانية في كل من جامعات (روما) و (بولونيا) و (باريس) و (اكسفورد) و (ساهمكا) . على أن هذه الكرامى ظلت شاغرة مدة طويلة من الزمن لفقدان المدرسين الأكفاء . وقد انصرفت الجهود حتى القرن السادس عشر إلى الترجمة عن العربية التي كان يتولاها في الغالب اليهود الاسبانيمون . واتجهت العناية هنا إلى نقل الكتب الطبية والفلكية والفلسفية إلى اللغة اللاتينية والاطلاع على محتوياتها والاستفادة منها ، فلم يهتم الرأي العام بدراسة الشرق ذاته .

ومن جهة أخرى فإن فشل محاولات التبشير لم يكن من شأنه أن يشجع رجال الكهنوت على دراسة اللغات والديانات الأجنبية . لذلك لم تنشط الدراسات الشرقية إلا بعد القرن السادس عشر بتأثير عوامل عديدة .

محمد كامل عباد

(للبحث صلة)



الكلام المولد في معاجمنا الحديثة

اللغات كلناطقين بها تنمو وتضمحل أو تتقدم وتتأخر نبعاً لنا موس عامّ يشمل جميع الكائنات الحية . ويحدث النموّ في اللغة بتأثير عاملين رئيسيين : أحدهما هو الكسب الخارجي أي مايتسرّب اليها من لغات أخرى ثم يتأصل فيها حتى يصبح جزءاً ثابتاً منها . وقلّما تجد لغة لم تتأثر كثيراً أو قليلاً بسواها ، فلا بدع أن يكون في لغتنا العربية ألفاظ وأوضاع دخيلة استقرّت فيها على توالي العهود وأصبحت تعدّ بين الفصح من كلامها ، وهما نحن نستعملها في قثرتنا وشعرنا دون أن نحسبها غريبة الأصل ، بل ان بعضها قد غلب على مايقابله من العربي الأصل وأقصاه عن الاستعمال حتى أصبح في حكم الميت أو المهجور كهذه المعربات مثلاً وهي قلّ من كنّز :

المسك وفي العربية الأصلية المشوم

الباور	«	«	المها
فنج	«	«	الطريق
الترياق	«	«	المسوس
العربون	«	«	المسكان
الهندباء	«	«	اللتاعة
الدسكرة	«	«	الدسيعة

على أن المعربات غير داخلة في بحثنا هذا ، وقد خصصناه للكلام المولّد . فحسبي الآن هذه الإشارة الوجيزة اليها . ولا يخفى انها تشمل المئات ان لم نقل الألوف من ألفاظ العلوم والفنون والحضارة والحياة العامة .

أما العامل الثاني فهو التولّد الذاتي أي ما ينشأ في داخلها من ألفاظ استحدثت عفواً أو قصداً لأغراض ومعانٍ جديدة ، وقد كان ذلك على الطرق التالية :

(١) طريق النحول المعنوي : وهو أن تكتسب اللفظة معنى جديداً غير معناها الأصلي والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخنا اللغوي أكتفي منها للإيضاح بما يلي :

الكفر - والمعنى الأصلي التغطية : ثم اكتسبت معنى الإلحاد أو الإنكار
التوقيع - « » التأثير : وهي الآن وضع اسم المكاتب
على ما يكتبه .

المقامة - والمعنى الأصلي المكاث أو المجلس : فتحولت إلى نوع
من القصص المسجع .

الدولة - والمعنى الأصلي انقلاب الزمن والحال : ونستعملها الآن
للملك أو الحكومة .

فكّته - ومعناها الأصلي قدّم له الفاكهة : وتستعمل الآن
للتسليم بكلام طريف .

القطار - ومعناها الأصلي صفّ مقطّور من الجمال . وهي الآن
سكّة الحديد .

السجادة - معناها الأصلي ما يسجد عليه وقت الصلاة . وهي الآن
الطنفسة أو البساط .

النظم - معناها الأصلي جمع اللؤلؤ في سلك . وتستعمل الآن لنظم
الكتابة أو الشعر .

النحو - معناها الأصلي القصد أو الجهة . واستعملت لعلم العربية المعروف .

المضيفة - معناها الأصلي من تستقبل الضيوف في المنزل . وأصبحت
الآن للفنّانة التي تعتني بركاب الطائرة .

الحضارة — معناها الأصلي ضدّ البداوة . ويفهم منها الآن المدنية أو العمران الاجتماعي والعلمي والصناعي .

وقس على هذه الأمثلة الدينية والإدارية والعلمية وسواها مما اكتسبها الزمان وتطور الحياة معاني غير معانيها الأصلية .

(٢) طريق الوضع اللفظي : أي وضع ألفاظ جديدة لمختلف المعاني

والأغراض . وقد توفر على ذلك أهل العلم والأدب قديماً وحديثاً فأضافوا إلى اللغة كثيراً مما لم تعرفه من قبل . وباب الوضع واسع يدخل فيه النحت والقياس والاشتقاق . وقد زاد اتساعاً إبتان نهضتنا الجديدة . وهاك بضع ألفاظ حديثة وهي نقطة من بحر مما وضعه المحدثون فضلاً عما سبق إليه السلف في شتى العصور .

العضوية — أي الانتساب إلى جمعية أو هيئة ذات نظام خاص .

المنطاد — لما يعرف بالغرب بالبالون .

الدراجة — وهي ترجمة للبيسكلات

الشيوعية — للنوع المعروف من الحكم الاشتراكي .

التلاشي — الاضمحلال وهي منحوتة من لاشي، وقد ولدت في عصر سابق .

التقاليد — الأمور أو الشئن المتبعة أو الموروثة عن السلف ، وقد

استعملها بعضهم قبلاً .

الهاقف — للتلفون .

المدياع — لآلة الراديو المذيعه .

الميمطر — للثوب الواقي من المطر وهو توليد قديم .

المأساة — للرواية المسرحية المحزنة .

البستنة — علم زرع البساتين .

البلاط — لقصر الملك أو مركز حكمه وإدارته للمملكة .

(٣) الوضع المجازي : أي توليد اصطلاحات مجازية للتعبير عن معانٍ خاصة كقولنا .

- القوة المضاربة — أي السلاح الكافي لضرب العدو .
- اجتمع المؤثر على صعيد الوزراء أي كان مؤلفاً من وزراء الدول .
- غسل يديه من المسألة — أي قبرا منها .
- ضرب الرقم القياسي — أي تجاوزه إلى حد أبعد .
- السوق السوداء — السوق يتعامل بها خفية تهرباً من التسعير القانوني .
- هو صاحب الكرمي — أي رئيس المجلس .
- الشارع يناصر فلانا — أي السوق وعامة الناس .
- أخذ المبادرة — أي سبق غيره في أمر ما .
- انتهاك صارخ لحقوق الشعب — أي انتهاك واضح وشديد .
- ركب رأسه — لمن تعسف وسار على هواه .
- ناطحات السحاب — للأبنية الشاهقة العلو .
- توترت العلاقات بينهم — أي ساءت واشتدت .
- صوت في الجلسة لفلان — أي كان من مؤيديه . اظهر تأييده له .
- وقس على ما ذكر من مفردات ومصطلحات ما لا يمكن حصره في مثل هذا المقام .

(٤) الاشتقاق الاسمي : أي اشتقاق صيغ من أسماء خاصة . ومن أمثلته :

- قنن — من القانون . نقول قنن الطعام أي تناوله بحسب قانون محدّد .
- موئل — من المال . موئل المشاريع أي قدم المال اللازم لها .
- تطور — من الطّور . فنظام التطور هو التقدم من طور الى طور .
- عيد — من العيد . احتفل بالعيد أو هنا به .
- قوّم — من القيمة . تقويم الأشياء أي تقدير قيمتها .
- استجوب — من الجواب . استجوب القاضي فلاناً أي طلب منه الجواب .

وقد شاع حتى كاد يصبح قياساً وزن تفعل من أسماء المدن والبلدان والأمم كقولهم : تمهر أي اتخذ الجنسية المصرية ، وتفرنس اتخذ الجنسية الفرنسية ، وهكذا تأمرك وتألن ، وتبلشف وتعرّب واشباهها .

فالتوليد في اللغة حركة نمر متصلة الأسباب لم تنقطع في زمن من الأزمنة على أنها كانت تختلف قوةً واتساعاً من عصر إلى عصر . ولعلّ عصر العربية الذهبي أيام العباسيين وعصر نهضتنا الحديثة هما أكثر العصور إنتاجاً في هذا الباب . ففي كليهما نشأت حاجات اجتماعية وفكرية دفعت أهل الأقلام إلى التوليد اللغوي . فلم يتركوا عن سدّ تلك الحاجات بألفاظ وأوضاع لم تُرو عمّن 'يحتاج' بكلامهم من أهل اللغة الأقدمين . وهنا يمكن القول أن نظر القدماء من علماء اللغة إلى هذه المولدات يختلف عن نظر المحدثين منهم . فالقدماء أوصدوا الباب دونها فلم تثبتها معاجمهم وهكذا بقيت خارج حرم اللغة الفصحى . وكانوا إذا ذكروا المولد ذكروه على أنه غير عربي الأصل . وعليه يقول السيوطي في المزهري : « المولد ما أحدثه المولدون الذين لا 'يحتاج' بألفاظهم » . ويذهب الفارابي إلى أبعد من هذا فيصنّف الألفاظ بقوله : « هذه عربية وهذه مولدة » . وكثيرون حاولوا وقف هذا التيار اللغوي الجديد فوضعوا الكتب في إصلاح ماخرج عن الأصول ، أو في تعريف المتأدين ما يحتاجون إليه من قواعد وأحكام تقيهم مغبّة الخطأ أو الانحراف عن طريق الصواب ، كما فعل ابن قُتيبة في أدب الكاتب ، والحريري في درّة الغواص ، والجواليقي في التكملة ، وغيرهم من سابق ولاحق . وفي القرن الحادي عشر الهجري يضع شهاب الدين الخفاجي كتابه « شفاء الغليل في ماورد في كلام العرب من الدخيل » . فيثبت من هذا الدخيل ما يقارب مئة لفظة عربية مولدة . ولم يكن الخفاجي من المتزمّتين بدليل ما نرى له من مواقف في ردّه على أوهام

الحريري في درة الغواص ، ولكنه جارى الرأي العام القديم في نظره إلى الفرق بين المولّد والعربي الأصيل .

فاللغويون السالفون من مُعْجَمِيّين وسوام ظلّوا منذ أخذ الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري يؤلف كتاب العين حتى بدء النهضة العربية في القرن التاسع عشر الميلاد لا يرون في ما لم يُروَ عن عصر الاحتجاج ما يؤهله لدخول المعاجم أو يرفعه إلى درجة الاستشهاد به ولو ورد في كلام كبار الكتبة والشعراء . فلما قام الرائد العلامة بطرس البستاني ووضع أول معجم حديث وهو المعروف بمحيط المحيط جعل معتمده القاموس المحيط للفيروزبادي كما جعل هذا الأخير معتمده المحكم لابن سيده والعياب للصاغاني وقد أدرك أن محيط الفيروزبادي وسائر المعاجم القديمة تخلو من معظم الكلام المولّد فأضاف إليه كثيراً من هذه المولّدات التي نشأت مع الزمن . على أنه لم يجرؤ على الجزم بعدها مساوية في الفصاحة للأصول المثبتة في الكتب القديمة فقرأه يقف هنيئة عند نهاية حرف الراء من معجمه محيط المحيط ليقول معتزلاً :

« وقد أضفت إلى أصول الأركان (أي مواد قاموس الفيروزبادي) فروعاً كثيرة وتفاصيل شتى . وألحقت بذلك اصطلاحات العاوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد بما لا يتعلق بتن اللغة . وذلك لكي يكون هذا الكتاب كاملاً شاملاً ، يحيد فيه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل . وبهذا الاعتبار تنازلات إلى ذكر كثير من كلام المولدين وألفاظ العامة ، منها في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة . وعسى بذلك يتمد لي العذر في هذا التساهل الذي ارتكبته .

وقد يتزّيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه »

فالبستاني وهو رائد واضعي المعاجم الحديثة قد رأى الفائدة العامة من إثبات المولّد في « محيط المحيط » ولكنه عدّ إثباته تساهلاً ينبغي

الاعتذار عنه للمحافظين من أرباب اللغة . والواقع أن " اعتذاره لم يذهب بفائدة ما فعل . فقد فتح باب المعجم العربي لغير مارُويَ عن عصر الاحتجاج . وتبعه في ذلك ولكن بخطوات أبطأ سعيد الشرنوبلي في « أقرب الموارد » والشيخ عبد الله البستاني في معجمه البستان . وقد كتب مقدمة البستان الخوري بطرس البستاني مصرحاً بأن « ما خطته يده فيها إنما هو من بحر أستاذه مؤلف المعجم المذكور » . وهو يعتبر عن الروح التي أخذت تتحرك في نفوس أدباء هذا العصر إذ يحمل على ما يسميه « تحرّج اللغويين القدامى وحرصهم على فصّح اللغة في مارُويَ عن أهل الحجاز وبعض القبائل المتوغلة في البداوة دون سواها » فيقول :

« ولولا هذا التقصير لما كنّا اليوم على مانحن عليه من العجز الفاحش عن تأدية كثير من المعاني والأدوات الحضارية بالألفاظ نستخرجها من معدن اللغة نفسها » . إلى قوله : « على أنهم لو وقفوا عند هذا الحد من التفريط لكانت البلية أخفّ وطأةً وأيسر محلاً . ولكنهم أعرضوا أيضاً عن أغلب الألفاظ التي جدّت في اللغة ، ولا سيما عهد العباسيين ، بحجة أنها من استنباط المولّدين لم تجر على ألسنة العرب الخلفاء لا في الجاهلية ولا في صدر الإسلام » .

وكذلك أثبت معجم « المنجد » للأب لويس المعلوم عدداً غير قليل من الألفاظ المولّدة دون أن ينبت إليها أو يبحث في حركة التوليد وأثرها . فهو كما قال واضعه مؤلف مدرسي وضع لبسّ الحاجة إلى معجم « ليس بالخلّ » المعوز ولا بالطويل المملّ المعجز يكون قريب المأخذ ممتازاً بما عرفت به المعجمات المدرسية في اللغات الأجنبية من إحكام الوضع ووضوح الدلالة » .

ولبعض المستشرقين اهتمام خاص بالألفاظ والمصطلحات العربية الجديدة

نذكر منهم على سبيل المثال اللغوي الألماني هانز فيهر Hans Weher الذي وضع في أعقاب الحرب الثانية معجماً بالمفردات العربية المستعملة في الكتابات الحديثة . وبعد سنوات قليلة اشترك مع لغوي آخر هو : ج . ملتون كوان G. Milton Cowan فنقله هذا الأخير الى الإنكليزية بعد أن نقّحاه وتوسّعاه فيه ونشره سنة ١٩٦١ باسم « معجم للعربية الكتابية الحديثة A Dictionary of Modern Written Arabic وقد نظرت فيه فوجدته يحوي كثيراً من الكلمات المولدة التي يستعملها كتابنا في هذا العصر (عدا كثير من المعربات والألفاظ العامية) . ومن أمثال ما ورد فيه :

المذهب التأثري .

أذونات البريد .

الأساسيات (المبادئ الأساسية) .

انسانية .

الإبداعية (الرومانسية) .

تجريدة (كتيبة من الجيش) .

جارور (للدرج) في المنضدة .

المعارضة (الحزب المعارض للحكومة في المجلس)

منزول منزل للضيوف .

ملخلخ — مهزوز — غير ثابت .

وقس عليها عشرات مما تقع عليه في الصحف أو كتب الأدب الحديثة . ومهما يكن فالذي لاشك فيه أن معاجنا الحديثة أكثر تساهلاً من القديمة في النظر الى المولدات . على أن هذا التساهل ظلّ غير قائم على دراسات وافية تعالج الموضوع من أساسه ، الى أن ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى هيئات لغوية « رسمية » فاضطلعت بهذه المهمة ، كالجمع

العلمي العربي في دمشق ، وجمع اللغة العربية في القاهرة والجمع العلمي العراقي ببغداد . وكان لكل منها يد تذكر في ذلك . على أن أنظار أرباب اللغة كانت بالأكثر متجهة الى جمع القاهرة أولاً لما يتمتع به من صفة التمثيل العام ، وثانياً لأنه جعل غايته وضع معجم كبير للغة العربية جامع لجميع موادها الأصلية والمولدة والمعرّبة من قديمة ومحدثة مع شرح واف لها ، وتاريخ للدخيل منها ، وتبيان لأصولها وطرق استعمالها . والذي يراجع مقرراته والأسس التي وضعها ليبنى عليها هذا البناء العظيم يجد أنه مع حرصه على سلامة اللغة ومحافظة على تراثها القديم لم يقف إزاء التطور العام وقفة المستنكر ، ولا تردد في اقتباس الجديد الموافق ، ولا سمح للعاطفة القومية أن توجه نظره الى ما وراء فقط ، فتعميه عن رؤية ما هو أمام ، بل جابه مشكلات اللغة بحس علمي سليم في أكثر الأحيان ، وناقش حلولها بصراحة وحرية تامة . ولا ينكر أنه كان يتعثر أحياناً في طريقه فيتعسف في بعض مقرراته ، ولكنه لم يكن يأبى النقد العام ، أو يأنف من أن يتراجع عن الخطأ .

ويدلّك على أخذه بأسباب التطور في نظره الى الكلام المؤد أن المعجم الوسيط الذي صدر بإشرافه سنة ١٩٦٠ قد شمل من هذا الكلام أكثر مما شمله أي معجم آخر . فلا عجب أن يقول أمين سرّ الجمع في تصديره للوسيط مشيراً الى منهج الجمع فيه : « وتوسع في المصطلحات العلمية الشائعة ، ودعا الى الأخذ بما استقرّ من ألفاظ الحياة العامة ، وخطا في سبيل التجديد اللغوي خطوات فسيحة ففتح باب الوضع للمحدثين ، شأنهم في ذلك شأن القدامى سواء بسواء . وعمّم القياس فيما لم يقس من قبل ، وأقر كثيراً من الألفاظ المولدة والمعرّبة والحديثة وشدّد في هجر الحوشي والغريب » .

ولقد جهدت أن أحرّس الشائع على أقلام كتابنا وشعرائنا من الألفاظ والأوضاع المولدة (غير الدخيلة وغير المصطلحات العلمية والفنية الخاصة) فوجدت منها ما يقرب من ستائة كلمة ومصطلح . ثم راجعت من معاجنا الحديثة محيط المحيط وأقرب الموارد ، والبستان ومثن اللغة ، والمنجد ، والوسيط ، فإذا هي تشمل منها مايلي :

محيط المحيط ٢٧٥ ، أقرب الموارد ١٥٢ ، البستان ١٦٥ ، متن اللغة ٢٢٧ ، المنجد ٢٢٥ ، الوسيط ٥٥٠ . ولم يرد منها في القاموس المحيط للفيروزبادي أكثر من ٦٠ . أما معجم Cowan Weher فيشتمل على نحو ٥٢٠ .

وقد يكون هناك ألفاظ فاتتني في كل من هذه المعاجم ، على أني لأعتقد أن ما فاتني يغيّر كثيراً من هذه الأعداد . فإذا أضفنا إليها مئات الألفاظ الدخيلة ومئات الأوضاع العلمية الخاصة ، ثم اعتبرنا ما بطل استعماله من ألفاظ قديمة وما تحول من معنى إلى آخر ، اتضح لنا أن العربية ليست كما يتوهم بعضهم لغة جامدة ، بلي هي ككلّ اللغات الحيّة لغة متطورة ، وستبقى سائرة في طريق التطور إلى ما شاء الله . وإذا قيل إن أثر التطور فيها قليل بالنسبة إلى بعض اللغات الأوروبية كالانكليزية مثلاً فهي اليوم تختلف نطقاً ونهجةً في كثير من ألفاظها عما كانت عليه قبل أربعة أو خمسة من القرون ، وقل كذلك في الفرنسية وسواها . أما العربية فهي هي منذ بزوغ الإسلام حتى الآن . قلنا إن ذلك لا يعني جموداً أو توقفاً عن السير في سبيل التطور ، بل يعني أن سبيلها لم يكن كسبيل من ، بل كان نمواً مستمراً حافظت في أثنائه على شخصيتها ، ولكنها كانت في الوقت نفسه تهذب ألفاظها فتحولها من الحوشي إلى المأنوس ، وتتنكب بها عن الإبهام إلى الوضوح ، وعن الإسراف الذهني إلى الاقتصاد . وعلى ذلك وضعت أسس بلاغتها وجمال مبانيها .

وهذا يحتّم على أرباب اللغة عند وضع الكلام توليداً وتعبيراً مراعاة ما يتطلبه ناموس التطور المذكور ، فلننظر قليلاً إلى أي حدّ بلغت هذه المراعاة في عصرنا الحاضر . ولنحصر نظرنا الآن في الكلام المولّد دون العرب .

عالمج التوليد اللغوي منذ فجر القرن العشرين عدد من الأفراد والجماع وسنكتفي للتمثيل بذكر أربعة من الأفراد وأربعة من الجماع . فمن الأفراد ابراهيم اليازجي ، وأحمد تيمور ، وأنستاس الكرملي ، وأحمد رضا . ومن الجماع مجمع نادي دار العلوم (أسس بمصر ١٩١٠) ، والمجمع العلمي العربي (بدمشق ١٩١٩) ، ومجمع اللغة العربية (بالقاهرة ١٩٣٢) ، والمجمع العلمي العراقي (١٩٤٧) .

وما لا ريب فيه أنهم أفراداً وجماع قد بذلوا جهوداً مشكورة في هذا السبيل ، وأدوا خدمات جلّى للغة العربية . على أنهم لم يأمنوا العثار أحياناً فعرّضوا كثيراً من آرائهم ومقترحاتهم لنقد حادّ من الرأي الأدبي العام وذلك لتكلفتهم في بعض أوضاعهم ما لا ينسجم مع مقتضيات النموّ السويّ في الحياة اللغوية .

وقد ظهر لي من معارضة العمل الفردي بالعمل الجمعي أن نسبة ما مات من المولدات الحديثة إلى ما عاش أو ما يمكن أن يعيش أقلّ في الأخير منه في الأول . وبكلمة أخرى أن ما وضعته أو أقرته الجماع كان على العموم أكثر ملاءمة للذوق الأدبي العام ، وأحرى بسد حاجات العصر . وإيضاحاً لذلك نوازن بينهما ضمن منطقة واحدة فقط من مناطق التوليد اللغوي أعني منطقة الحضارة والحياة العامة التي تعني بها أقلام الكتاب عادةً غير متعرضين للأوضاع العلمية والفنية الخاصة التي قلما يستعملها جمهور المتأدّبين . في هذه الموازنة نجد مايلي :

٢٠	لإبراهيم اليازجي نحو ٥٥ كلمة لم يعش منها غير
١٨	ولأنستاس الكرملي « ٦٠ « « « «
١٢	ولأحمد قبيور « ٣٠ « « « «
١٤	ولأحمد رضا « ١٢٣ « « « «

أما الجامعات فنسبة الوفيات فيها الى المواليد هي كما يلي :

٨٠	فادي دار العلوم وضع أو أقر ١٢٣ عاش منها نحو
١٢٠	المجمع العلمي العربي « « ١٤٧ عاش أو سيعيش منها نحو
١٩٠	المجمع العلمي العراقي « « ٢٣٠ « « «
٢٠٠	مجمع اللغة العربية « « ٢٤٦ « « «

ولا أدعي قط أن هذه الأرقام بالغة كمال الصحة ، فهي تقريبية ، ولكنها مهما عدلت فلا إدخالها قنبعد عن حقيقة ما نروم إيضاحه هنا .

وليس بغريب أن يرتفع معدل الألفاظ الحية في مقررات الجامعات ، لما يتبها فيها من مناقشة وغرابة وتصفية . ولولا ذلك لما كان لها هذا العظ من التفوق على أوضاع الأفراد . ولعل من المفيد أن أذكر بعض أمثلة مما رفضه الرأي الأدبي العام فئات معظمه ، وما بقي منه ففي حالة الاحتضار . وهذه الأمثلة مأخوذ بعضها مما وضعه الأفراد وبعضها مما أقرته الجامعات أو بما اقترحته أولاً ثم عدلت عنه . وأكثرها من باب الحياة العامة .

الطّـرر — لما يعرف عند الافرنج بالفيلا (Villa) .

الفروّج — للسفرة أو القباء المشقوق .

دسار — بعضهم وضعه للدبّوس وبعضهم للمسمار (١) .

(١) الدسار في اللغة للمسمار . وقد وضعت لما يسمى بالفرنسية Rivet ، وهي بالعامية البرشام والبجّـن . ودسّر هو بالفرنسية River و Riveter . وهو عند العامة برشّم وبشّم وبجّـن . وأنواع الدسّر في المعجم العسكري كثيرة . (لجنة المجلة)

- الأَجَمِيَّة -- للحمى المعروفة بالمalaria (Malaria) .
- المنسوب -- لما يعرف في الأبنية بالسيفون (Siphon) .
- الإلماعة -- للراديو والمذياع .
- السفير -- للتلفون ، أو الهاتف .
- الراجبيات -- للبكتريا (Bacteria) أو الجراثيم المسببة للأمراض .
- ميدره -- للذي يتعاطى المحاماة (Avocat) .
- الجديلة -- للزّي العام أو الموضة (Mode) .
- حذافة -- لشهادة المدرسة كالـ بكالوريا وسواها .
- الرّميز -- للعالم المتفنن . فالرمازة عند الواضع تقابل Technicology .
- الغابل -- لسائق المركبة أو السيارة .
- الجهنذ -- لأمين الصندوق في مؤسسة ما .
- الحضخاض -- للمازوت (النفط غير المصفى) .
- البريع -- لما يقابل لفظة جنتمان Gentleman عند الانكليز .
- الدّلق -- للجبّة التي يلبسها القاضي أو المحامي .
- المضاغط -- لرئيس قلم التحصيل .
- النّشور -- للمضرب الذي يستعمل في لعبة التنس (Racket) (١) .
- الحسبان -- للمدفع الرشاش .
- الدّحال -- لحنادق الحرب .
- الإردبة -- للبالوعة التي تتصل بها أنابيب الماء من مرافق البيت .
- المشجر -- شتاعة تكون في مدخل المنزل وفيها مرآة .
- المشبرة -- الطراحة التي تفرش للجلوس .

(١) وقد أشار معجم بوستر الانكليزي الى أن (راكت) من العربية (راحة) لأنها
تعبه الراحة التي قد يضرب بها .
(لجنة المهلة)

العُقابية — الأداة التي يكشط بها الخشب وسواه .
 المييدة — ما تلبسه الفتاة فوق الثوب في أثناء عملها (المريول) .
 وهناك كثير غيرها مما لم يلبث أن ولد حتى مات (١) .
 وما ينبغي ذكره ان المولد في اللغة نوعان — نوع مقصود وهو الذي يتولد من أعمال الفكر في اللفظة المناسبة للمعنى ، ويعنى به أفراد متخصصون أو مجامع لغوية كالذي سلف النظر ذكره فيه ، ونوع غير مقصود وإنما تسوق اليه الحاجة سوفاً طبيعياً لا كلفة فيه ولا بحث ، فيجري على الألسنة والأقلام متبشفاً عن سليفة لغوية حساسة كقول المتنبي مثلاً :
 تقصده المقدار بين صحابه على ثقةٍ من دهره وأمان
 وقوله :

إنما أنفس الأنيس سباعٌ يتفارسن جهرة واغتمالاً
 فليس في المعاجم صيغة تقصّد ولا تفارس ، ولكن السليقة دفعت
 الشاعر إلى استعمالها فلم يتردد .

وكذلك فعل ابن المعتز فاستعمل (أثمر) متعدياً إذ قال :
 فأثمر همّاً لا يبيد وحسرة لقلبيّ يحنيها بأيدي الخواطر
 والبحتري في حمله اغترب على استغرب إذ قال :
 وضحك فاغترب الأقاحي عن نديّ غص وسلسال الرضاب برود
 وعمر بن أبي ربيعة (٢) في استعماله تبدت بمعنى بدا فقال :
 وتبدت لي فأبدت واضحاً منها نحيضا

(١) راجع ما أثبتته أحمد رضا في كتابه معجم من اللغة من أوضاع المعاجم والأفراد .
 في مقدمة الجزء الأول .

(٢) وقيل قال الشاعر الحماسي :

وبدت ليس كأنها قمر السماء إذا تبدى (لجنة المحلة)

وابن نباتة^(١) في استعمال الثلاثي المولدة من لا شيء . فقال في خطبة له
« بقايا جسوم متلاشية »

والطغرائي في استعمال التشويش إذ قال :

وإن قدرت على تشويش طُورته فشوَّشها ولا تبقي ولا تذري
والغزالي في استعمال الصفة حذور إذ قال في مقدمة المنقذ من الضلال :
أخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجباب الحذور .
وابن خلدون في قوله : حتى يتأذن الله بهلاكهم ، بدلَ حتى يأذن .
ومثل ذلك غير نادر في أقوال المتقدمين من الشعراء والكتبة . ومنه
في عصرنا الحاضر استعمال كلمات واصطلاحات جاءت عفواً فعبّرت عن
الفكر تعبيراً حسناً . كقولهم :

فَتَنان - للدهار في الفنون ولم ترد أصلاً بهذا المعنى .

حدابه إلى كذا - والاستعمال الأصولي حدها .

احتج على أمر ما - أو قدّم احتجاجاً بمعنى أنكره ووضع فاعله موضع اللوم
اكتشف الأمر - أي كشفه وأظهره لأول مرة .

خابره - أي فارضه أو بادلّه الخبر ومنه قلم الخابرات .

حكم على المجرم بالإعدام - أي بالموت . والإعدام أصلاً فقدُ المال فحولوها
إلى فقد الحياة .

النظام الوحدوي - نسبةً إلى الوحدة ، والأصل أن يقال وحدي .
ومثلها الكتلوي نسبةً إلى كتلة ، وكانوا بالسليقة يقولون
الثوروي نسبةً إلى الثورة عدلوا عنها إلى الثوري .

(١) والثلاثي مستعملة في نهج البلاغة المنسوب لابي بن أبي طالب قبل عصر ابن نباتة .
(لجنة المحلة)

احتفل الشعب بالعيد - بمعنى احتفى به .
 تكرير الشراب - أي تصفيته بتكرير نقله من حال إلى حال .
 المظاهرات الشعبية - أي التظاهر بمنصرة قضية ما .
 الدعايات - لما يقابل بروباغندا عند الافرنج .
 وقس على ما ذكر كثيرا من الأوضاع الشائعة التي عاشت وستبقى حية
 لأن السليقة السوية هدت الناس إليها .
 ولا شك ان المعجم الكبير الذي يسمى مجمع اللغة العربية بالقاهرة
 الى إخراجهم سيعنى بالمولدات عناية خاصة . وسيختار منها ما هو أمس
 بحياة العصر وأدل على الأغراض المنشودة ، وأكثر نضاعة وخفة في
 الاستعمال . وعلى كل حال فالزمان هو المهدب الأكبر لكل لسان .

أنيس المقربي



المعجم العربي

حروف المعجم وترتيبها - بناء المعجم العربي - المعجم الحديث بين الصناعة والفن

١ - الإعجام في المعجمات

قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» : العين والجيم والميم ثلاثة أصول : أحدها يدلّ على سكوت وصمت ، والآخر على صلابه ، والآخر على عضّ ومذاقة .

وذكر ابن جني في مقدمة «مر الصناعتين» : إن مادة ع ج م وقعت في لغة العرب الإيهام والإخفاء وضد البيان .

قال الجوهري : الأعجم : الذي لا يفصح ولا يمين كلامه وإن كان من العرب ، والأعجم أيضاً الذي في لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمية . وأعجم الكتاب : خلاف أعربه ، وفي الصحاح : قال رؤبة :

الشعر لا يسطيعه من يظلمه يريد أن يعربه فيعجمه (١)
أي يريد أن يبينه فيجعله مُشكِلاً لا بيان له ، وقيل : يأتي به أعجيباً

(١) نسب الجوهري الشعر إلى رؤبة ، وتابعه صاحب اللسان . وقال الصاغاني : الشعر للحطيفة ، وكذلك ورد في الممددة وفي ديوان الحطيفة ، وأوله ، كما في التاج : الشعر صعب وطويل سله إذا ارتقى فيه الذي لا يلهه
زلت به إلى الحضيض قدمه

يعني يلحن فيه ، وقال ابن فارس : ومعناه : يريد أن يُبين عنه فلا يقدر على ذلك ، فيأتي به غير فصيح دالٍ على المعنى .

والأعجم أيضاً : المستعجم الأخرس ، والمرأة : عجماء ، والعجماء : كل بهيمة ، وفي الحديث « جُرِحَ الْعَجَمَاءُ جُبَاراً » أي لادية فيه ولا قَوْدَ ، وفي الحديث أيضاً : « بعدد كل فصيح وأعجم » قيل : أراد : بعدد كل آدمي وبهيمة .

واستعجم الرجل : سكت ، واستعجمت عليه قراءته : انقطعت ، فلم يقدر على القراءة من نُعَاسٍ ونحوه ، ومنه حديث عبد الله : « إذا كان أحدكم يُصلّي فاستعجمت عليه قراءته فليستَم » .

وكذلك استعجمت الدار عن جواب سائلها : سكتت ، قال امرؤ القيس :

صَمَّ صداها وعفا رُسْمها واستعجمت عن منطق السائل

قال الجوهري : والعجم : النقط بالسواد . مثل التاء عليها نقطتان . يقال : أعجمت الحرف : نَقَطْتُهُ ، والتعجم مثله . وقال الأزهري : سمعت أبا الهيثم يقول : مُعْجِمُ الحِطِّ : هو الذي أعجمه كاتبه بالنقط ، تقول : أعجمت الكتاب أعجمه إعجاماً ، ولا يقال : عجمته ، إنما يقال عجمت العود : إذا عضضته لتعرف صلابته من رخاوته .

وأعجم الكتاب وعجمته : نقطه . قال ابن جني في « سر صناعة الإعراب » : أعجمت الكتاب : أزلت استعجامه ، وهو عنده على السلب ، لأن أفعلت ، وإن كان أصلها الإثبات ، فقد تجيء للسلب ، كقولهم : أشكىت زيدا : أي زلت له عما يشكوه ، ولقوله تعالى : « إن الساعة آتيةٌ أكاد أخفيها » (١) ، تأويله ، والله أعلم ، عند أهل النظر : أكاد أظهرها . وتلخيص هذه اللقطة : أكاد أزيل عنها خفافها ، أي سترها .

وقالوا : عَجَمَتِ الكتاب ، فجاءت فَعَمَلْتُ للسُّلْب أيضا ، كما جاءت أفعَلْتُ ، وله نظائر .

٢ — حروف المعجم في المعجمات

حروف المُعْجَم : هي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الألف . قال ابن الأثير : حروف المعجم : حروف أب ت ث .. سميت بذلك من التَّعْجِيم ، وهو إزالة العُجْمة بالنقط . وإذا قلت كتابٌ مُعْجَمٌ . فإن تعجيمه تنقيطه لكي تستبينَ عُجْمَتَهُ وَيُضِحَ . وقالوا : حروف المُعْجَم ، فأضافوا الحروفَ إلى المُعْجَم ، فإن سأل سائل فقال : ما معنى قولنا حروف المُعْجَم ، هل المعجم صفةٌ لحروف هذه ، أو غيرُ وَصَف لها ؟

قال ابن سيده في « المحكم والمحيط الأعظم » ومثله في اللسان : إن المُعْجَم ، من قولنا : حروف المُعْجَم ، لا يجوز أن يكون صفة لحروف هذه ، من وجبين : أحدهما : أن حروفاً هذه ، لو كانت غير مضافة إلى المعجم لكانت نكرة ، والمعجم ، كما ترى معرفة ، ومحالٌ وصف النكرة بالمعرفة ، والآخر : أن الحروف مضافة ، ومحالٌ إضافة الموصوف إلى صفته ، والعلة في امتناع ذلك : أن الصفة هي الموصوف ، على قول النحويين ، في المعنى ، وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائزة ، وإذا كانت الصفة هي الموصوف عندهم في المعنى ، لم يَحْزُ إضافة الحروف إلى المعجم ، لأنه غير مستقيم إضافة الشيء إلى نفسه . قال : وإنما امتنع ذلك من قبل أن الغرض في الإضافة ، إنما هو التخصيص والتعريف ، والشيء لا تعرفه نفسه ، لأنه لو كان معرفة بنفسه ، لما احتيجَ إلى إضافته ، وإنما يُضاف إلى غيره لمعرفة ..

وذهب محمد بن يزيد إلى أن المعجم مصدر ، بمنزلة الإعجام ، كما تقول :
أدخلته 'مدخلًا' ، وأخرجته 'مخرجًا' ، أي إدخالًا وإخراجًا . وحكى
الأخفش أن بعضهم قرأ « وَمَنْ يُزَيِّنِ اللَّهُ فَمَالَهُ مِنْ مُكْرَمٍ » (١) .
بفتح الراء ، أي : من إكرام ، فكأنهم قالوا : هذه حروف الإعجام .

ويرى ابن سيده ، وتابعه ابن بري في رأيه ، أن ماذهب إليه محمد
ابن يزيد المبرد ، أسدٌ وأصوبٌ من أن يُذهب إلى أن قولهم «حروف
المُعْجَم» بمنزلة قولهم : صلاةُ الأولى ومسجدُ الجامع ، لأن معنى ذلك :
صلاة السَّاعة الأولى أو الفريضة الأولى ، ومسجد اليوم الجامع ، فالأولى
غير الصلاة في المعنى ، والجامع غير المسجد في المعنى ، وإنما هما صفتان
حُذِفَ مَوْصُوفَاهُما ، وأُقيِمَا 'مَقَامَهُمَا' ، وليس كذلك حروف المُعْجَم ،
لأنه ليس معناه حروف الكلام المُعْجَم ، ولا 'حروف اللفظ المعجم' ،
إنما المعنى أن الحروف هي المُعْجِمة ، فصار قولنا حروف المعجم ، من
باب إضافة المفعول إلى المصدر ، كقولهم : هذه مطيئة رُكوب ، أي
من شأنها أن تُركب ، وهذا سَهْمٌ نِضال ، أي من شأنه أن يُناضل به ،
وكذلك حروف المعجم : أي من شأنها أن تُعْجَمَ .

قال ابن فارس : والذي عندنا في ذلك أنه أريد بحروف المُعْجَم :
حروف الخط المعجم ، وهو الخط العربي ، لأننا لانعلم خطًا من الخطوط
يُعْجَم هذا الإعجام حتى يدلّ على المعاني الكثيرة ؛ فأما أنه إعجام الخط
بِالْأَسْكَالِ فهو عندنا يدخل في باب العضّ على الشيء لأنّه فيه ، فسمي
إعجامًا لأنه تأثير فيه يدلّ على المعنى .

قال ابن سيده : فإن قيل : إن جميع هذه الحروف ليس مُعْجَمًا ،
إنما المعجم بعضها ، ألا ترى أن الألف والحاء والذال ونحوها ليس مُعْجَمًا ،

فكيف استجازوا تسمية جميع هذه الحروف حروف المعجَم ؟ قيل له : إنما سميت بذلك : لأن الشكل الواحد إذا اختلفت أصواته ، فأُعجمت بعضها ، وتركت بعضها ، فقد 'علم أن هذا المتروك بغير إعجام ، وهو غير ذلك الذي من عادته أن يُعجم ، فقد ارتفع أيضاً بما فعلوه الإشكال والاستيهام عنها جميعاً ، ولا فَرَق بين أن يزول الاستيهام عن الحرف بإعجام عليه ، أو يقوم مقام الإعجام في الإيضاح والبيان ، ألا ترى أنك إذا أعجمت الجيم بوحدة من أسفل ، والحاء بوحدة من فوق ، وتركت الحاء 'غفلاً ، فقد 'علم بإغفالها أنها ليست بوحدة من الحرفين الآخرين ، أعني الجيم والحاء ، وكذلك الدال والذال ، والصاد والضاد ، وسائر الحروف ، فلما استمرّ البيان في جميعها ، جاز تسميتها : « حروف المعجَم » .

٣ — حروف الهجاء في المعجمات

قال أبو زيد : الهجاء : القراءة ، قلت لرجل من بني قيس : أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال : والله ما أهجو منه حرفاً ، يريد ما أقرأ منه حرفاً ؛ قال : ورويت قصيدة ، فما أهجو اليوم منها بيتين ، أي ما أروي . قال ابن فارس : الحاء والراء والقاء ثلاثة أصول : حدة الشيء ، والعدول ، وتقدير الشيء ، فأما الحد فحرف كل شيء حده ، كالسيف وغيره ، ومنه الحرف وهو الوجه ... وهَجَّاه إذا وقع فيه بالشعر .. والهَجَاء : المهاجاة . وبما شذّ : هَجَاء الحروف ، يقال : تَهَجَّيْتُ . قال الجوهري : حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده ، ومنه حرف الجبل ، وهو أعلاه المحدّد ، والحرف : واحد حروف التهجي . وهجوت الحروف هجواً وهجاءً وهجيتها تهجية ، وتهجيت كله بمعنى . قال ابن سيده : والهجاء تقطيع اللفظة بحروفها ، وهجوت الحروف وتهجيتها هجواً وهجاءً ، وهجيتها تهجية وتهجيت كله بمعنى .

وتقطيع الحروف على أيحد : حساب الجمل ، بتشديد الميم . قال ابن دريد : لا أحسبه عربياً . وحساب الجمل : حساب مبناه الحروف المقطعة على أيحد . كل حرف يدل على رقم من الأعداد ، آحادها ، وعشراتهما ، ومئاتها .

٤ - حروف الهجاء العربية وترتيبها

ظهر الإسلام ، في القرن السابع الميلاد ، وعرب الحجاز شعب أمي لا يقرأ ولا يكتب ، إلا بضعة عشر رجلاً من قريش وبعض أهل المدينة ، عرفوا الكتابة بالحروف التي كانت شائعة في الأقطار العربية الأخرى كالشام والعراق واليمن^(١) ، حتى أن بعض من كان يكتب ، كان يصور حروف الكلمات العربية بصور الحروف النبطية أو السريانية ، كما كان الذين تلقوا الكتابة عن يهود يكتبون بحروف عبرية^(٢) .

وكان العرب في الأقطار التي كانت الكتابة شائعة فيها ، اقتبسوا من الأيجدية الفينيقية ترتيبها للحروف^(٣) ، ذلك الترتيب الذي ورثته عنها جميع

(١) في كتب اللغة والأدب أخبار كثيرة عن أول عهد العرب بالكتابة وبهذه انتشارها بينهم ، منها ما أورده السيوطي : « . . قال أبو بكر ابن أبي داود في « كتاب المصاحف » قال سألت المهاجرين من أين تعلمت الكتابة ؟ قالوا تعلمنا من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة من أين تعلمت الكتابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار . . » انظر للزهري ج ٢ ص ١٧٥ طبعة ١٢٨٢ هـ .

(٢) انظر جرجي زيدان في كتابه « تاريخ الآداب العربية » ج ١ ص ٢٧ و ٢٠٣ القاهرة ١٩١١ م .

(٣) الأيجدية نسبة إلى كلمة « أيحد » وهي أولى الكلمات الست : أيحد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سغمس ، قرشت ، وهي الكلمات التي جمعت فيها حروف الهجاء الفينيقية الاثنان والعشرون بترتيبها للأخذ من تسلسل الحروف في الكلمات نفسها .

الأبجديات السامية الأخرى^(١) ، وكانوا يلحقون الأحرف العربية الزائدة بما يشبهها في رسمها من حروف تلك الأبجديات^(٢) .

إن عدد حروف الهجاء في الأبجدية الفينيقية اثنان وعشرون حرفاً هي : أب ج د ، هـ و ز ، ح ط ي ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق ر ش ت ، أما الأحرف العربية الزائدة فست^(٣) هي : ث خ ذ ، ض ظ غ ، وقد ألف العرب منها كلمتين ، أطلقوا عليهما اسم « الروادف » لأنهم أردفوها بالكلمات الست الأولى ، وأطلق على هذه الكلمات الثمانية اسم « الأبجدية العربية »^(٤)

(١) انظر René Dussaud في كتابه « Les Arabes en Syrie avant l'Islam »

ترجمة عبد الحميد الدواخلي وعبد مصطفى زيادة ص ٥٥ القاهرة ١٩٥٩ م . وانظر E. H. Minns في بحثه « الحروف الهجائية - أصولها وأهميتها بالنسبة للحضارة » ترجمة عبد الحافظ معوض في مجموعة « تاريخ العالم » ج ٢ ص ٣٦٤ القاهرة .

(٢) انظر جداول مختلف الأبجديات في المصادر السابق ذكرها .

(٣) الإجماع منقاد بين علماء العربية على أن أصل حروفها ثمانية وعشرون بثألف منها

الكلام كله . انظر أحمد بن فارس في كتابه « الصحاح » ص ٧١ القاهرة ١٩١٠ م - على أن بعض العلماء جعل حروف العربية تسعة وعشرين معتبرين الهذبة حرفاً مستقلاً عن الألف ، ومن هؤلاء الخليل والغالبي ، وقال سيوبه مثل قولها وأضاف : وتكون الحروف - خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين الخ . انظر « الكتاب » ج ٢ باب الإدغام ص ٤٠٤ - ونقل القلقشندي عن أبي العباس البوني صاحب كتاب « أسرار الحروف » حديثاً منسوباً إلى أبي ذر الغفاري جعل حروف العربية تسعة وعشرين عدت معها لام ألف حرفاً واحداً - انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ١١ ، وهذا الحديث للنحول ورد بصيغة أخرى في مقدمة كشف الظنون ص ٢٥ .

(٤) وم بعض علماء العربية فسجلوا أسطورة عن كلمات الأبجدية ، فقال الفيروز آبادي مثلاً : أبجد إل قرشت وكان رئيسهم ملوك مدين ، ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم هلكت يوم الظلة ٠٠٠ ثم وجدوا بعدم أخذ ضغط فسموها الروادف - انظر القاموس المحيط مادة ب ج د - وبلغ اليوم بعلماء آخرين فزعموا أن كلمة أبجد عربية التجار وأصلها « أبو جاد » انظر تاج العروس مادة ب ج د - وهل -

وإلى الحروف المقطعة لهذه الأيجدية يستند « حساب الجمل » على خلاف في ترتيبها بين العرب من أهل المشرق واخوانهم المغاربة (١) .
وكان من آثار انتشار الإسلام ، أن كثرت سواد السكاكين بين المسلمين ، وفي عهد عثمان بن عفان (رض) تم جمع القرآن في مصحف واحد ، بعد أن كان محفوظاً في الصدور أو مسطوراً في العُشب واللتخاف والأكتاف من قبل كتاب الوحي .

وكانت كتابة القرآن في أول عهدنا بحروف خالية من أي إعجام أو شكل ، فلما زاد اختلاط العرب بغيرهم من المسلمين فشا اللحن بينهم ، فخيف على القرآن من قراءة غير العلماء له ، فقام أبو الأسود الدؤلي (٢) ، في زمن معاوية بن أبي سفيان ، بضبط أواخر السكك في المصاحف بالنقط ، فجعل علامة الفتحة نقطة من فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة من أسفله ، وعلامة الضمة نقطة بين يديه ، ونهج الناس هذا النهج ، واستعملوا مداداً أحمر في النقط مخالفين بذلك لون الحروف .

— القلقشندي عن الجوهرية قصة آل سراسر بن مرة الذي سمى كل واحد من أولاده بكلمة من « أبي جاد » . وفي ثمانية — كما ذكر أن الأيجدية العربية كانت تعلم في زمن عمر بن الخطاب (رض) مستهدداً بقول الأعرابي :

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة أسطر متتابعات
وخطوا لي أبا جاد وقالوا تعلم سبعة وأربعين

أنظر صبح الأعشى ج ٣ ص ١٣ و ٢٣ — وانظر صحاح الجوهرية مادة م ر ر . وتقل السيوطي عن أبي سعيد السمرائي أن سيبويه فصل بين أبي جاد وموز وحطبي فجعلهم عربيات ، وبين البواق فجعلهم أجميات .. والمهم أن أبا سعيد المذكور قال : إن هذه الحروف عليها يقع تعليم الخط السرياني . انظر الزهرج ٢ ص ١٧٨ .

(١) انظر مقدمة ابن خلدون « فصل علم أسرار الحروف » وانظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٢ — وانظر أيضاً Encyclopédie de l'Islam مادة Abjad باريس ١٩١٣ .
(٢) أبو الأسود واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني من فقهاء التابعين ، وهو مؤسس علم النحو ولد قبل الهجرة بسنة واحدة (٦٢١ م) وولي إمارة البصرة في خلافة علي وتوفي فيها سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٣ ص ٣٤٠ .

وإذا كان من شأن عمل أبي الأسود أن يحول دون اللحن الناشئ عما نسميه اليوم الجهل بالإعراب ، فإنه ما كان ليحول دون تحريف الكلم ، نظراً لتشابه كثير من حروف العربية في رسمها ، فالجيم كانت تلتبس على القارئ بالحاء أو بالخاء ، والدال بالذال ، والراء بالزاي ، والسين بالشين ، والهمين بالغين ، وكان من انتبه إلى هذا الأمر وخشي مغيبته ، الحجاج بن يوسف الثقفي ^(١) ، أمير العراق في خلافة عبد الملك بن مروان ^(٢) ، قال ابن خلكان ^(٣) : وحكى أبو أحمد العسكري ^(٤) في كتاب « التصحيف » أن الناس غيروا ^(٥) يقرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه ، وسأله أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال إن نصر بن عاصم ^(٦) قام بذلك ، فوضع بالنقط افراداً وأزواجاً ، وخالف بين أماكنها ، فغير ^(٥) الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً ، فكان

- (١) الحجاج الثقفي أحد دعاة العرب ولد في الطائف سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) ولام عبد الملك بن مروان إمارة العراق فثبت له الملك ، توفي في واسط سنة ٩٥ هـ (٧١٤ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٢ ص ١٧٥ .
- (٢) عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية وهو من أعظمهم ودعاتهم وفي أيامه عربت الدواوين وأجمت الحروف وصكت الدنانير . ولد سنة ٢٦ هـ (٦٤٦ م) وتوفي في دمشق سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٤ ص ٣١٢ .
- (٣) أحمد بن محمد بن خالد كان المؤرخ الحجة صاحب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً واحكاماً . توفي في دمشق سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ١ ص ٢١٢ .
- (٤) الحسن بن عبد الله العسكري من أئمة اللغة ولد سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٦ م) وتوفي سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٣ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٢ ص ٢١١ .
- (٥) غير كقصد مكث وبقي ومضى . وقد حذف هذه الكلمة فريد رفاعي في طبعته لوفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٤ وفي طبعة سنة ١٢٩٩ هـ وما نقل عنها وردت كلمة عبر بين موهلة تصحيفاً - انظر ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ج ١ ص ١٥٥ .
- (٦) نصر بن عاصم الليثي ترجم له ياقوت في ارشاد الأريب فقال : « كان فقيهاً عالمياً بالعربية ، من فقهاء التابعين ، وكان يسند إلى أبي الأسود الدؤلي في القرآن والنحو مات بالبصرة سنة تسع وثمانين وقبل سنة تسعين » انظر معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٢٤ .

مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يتبعون النقط الإعجام .. (١) .

أما ما صنعه نصر بن عاصم ، فهو أنه أخذ من كلمة « أيجد » حرفها الأولين ، وألحق بثانيتها كلاً من القاء والثاء ، لتشابه رسمها مع رسم الباء ، معجها الباء بنقطة من تحتها ، والثاء بائنتين من فوقها ، والثاء بثلاث نقط من فوقها أيضاً ، ثم عاد نصر إلى كلمة « أيجد » فأخذ الجيم ووضعها بعد الثاء ثم ألحق بها كلاً من الحاء والخاء لتشابهها في الرسم ، معجها الجيم بنقطة من تحتها ، والخاء بواحدة من فوقها ، تاركاً الحاء مهملة بين شبيهتيها بحكم التناظر ، ثم وضع بعدها دال « أيجد » مهملة وألحق بها الدال بعد أن أعجمها بنقطة من فوقها ، وهكذا أنهى ترتيب تسعة أحرف من حروف الهجاء .

ثم نظر نصر في كلمة « هوز » ثاني كلمات الأيجدية ، فوجد أن كلاً من الهاء والواو حرف منفرد في رسمه ولا مثيل له بين حروف العربية فأخبرها ، واثبت الزاي في ترتيبه الجديد ، بعد أن أعجمها بواحدة من فوقها ، وجعل الراء ، وهي تماثل الزاي في الرسم ، مهملة وتسبق شبيهتها المعجمة في الترتيب ، وذلك اتباعاً لترتيب كل من الدال والذال ، وقبلهما الحاء والخاء .

(١) في كلام ابن خلسكان التباس بين النقط والإعجام ، فالنقط كان من عمل أبي الأسود الدؤلي ، والإعجام كان عمل نصر بن عاصم ، وأما ما صنعه بعد نصر فهو الشكّل ، وفي أصح الأقوال أن الخليل بن أحمد لم يستعمل النقط للدلالة على حركات الإعراب ، إنما استعمل الشكل بصورتها على الحركة الصوتية للحرف ، فاختصر من الألف الفتحة بشكلها القائم ، ومن الواو الضمة ، ومن الياء الكسرة ، أما العلامات الأخرى ، كالمد والوصلة والشدة ، فقد وضعت في العصر العباسي . انظر وقار : جري زيدان في « تاريخ التمدن الإسلامي » ج ٣ ص ٦٠ طبعة جديدة - والزيات في « تاريخ الأدب العربي » ص ١٥٢ القاهرة ١٩٣٠ .

وكان ارداف كل من الحاء والدال والراء بشبيهه المعجم ، جعل نصرأ يلزم نفسه بهذا النهج في ترتيب الحروف الباقية ، فيتبع كل مهمل من الحروف بشبيهه المعجم ، لأن ذلك أدعى إلى زيادة التناسق في الترتيب والجمال في تلاؤم الجوار ، وهكذا اختار نصر بما بقى من حروف العربية ما له نظير في الرسم ، فكانت لديه كل من : السين والصاد والطاء والعين فألحقها بهذا الترتيب بحرف الزاي مردفاً كل حرف منها بما يشبهه بعد أن أعجمه تمييزاً له عن المهمل ، وقد أعجم الشين بثلاث نقط مجتمعات من فوقها ، خوفاً من التباس أحد أسنانها بحرف آخر إذا ما أعجمها بواحدة أو بئنتين ، وأعجم الضاد بواحدة من فوقها ، وكذلك أعجم الظاء والغين ، ثم ألحق بالغين الفاء والقاف معجماً القاف بئنتين من فوقها بعد أن رأى ضرورة إعجام الفاء بواحدة خوفاً من التباسها بالميم إذا ما توسطتا في كلمة من الكلمات . وانتهى الترتيب بنصر بن عاصم إلى أحرف « كلهن » فوضعها متلاحقة كما هي ، بعد أن أعجم النون بواحدة من فوقها ، حتى لا تلتبس بمثل الباء أو التاء ، ثم ختم ترتيبه لحروف العربية بالباقي منها وهي : الهاء والواو والياء ، بعد أن أعجم الياء بنقطتين من تحتها ، خوفاً من التباسها بالباء أو بالتاء أو بالنون إذا ما توسطت الكلمة .

وإذا كان المعجم العربي مديناً لنصر بن عاصم بترتيب حروفه إلى يومنا هذا ، فلا بد من الإشارة إلى أن ترتيبه لم ينتشر إلا في أواخر القرن الثاني للهجرة ^(١) وكان لأبي عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م)

(١) إن تأخر انتشار ترتيب نصر كان - في رأينا - بسبب طبيعة المعاصرة عند الناس ، وهذا الخليل بن أحمد - علي ما يبدو لنا - لم يلجأ إلى اختراع ترتيب الحروف بحسب مخارجها ، وهو البصري الفذ ، إلا ليمتد عن الأخذ بترتيب عرف ماصروه مبتدعه نصرأ ، وكان هذه الطبيعة نفسها ، هي التي دفعت علماء الأندلس لخالفه ترتيب نصر لحروف الهجاء ، كما دفعتهم لتغيير نقط الإعجام في بعض الحروف . إذ جعلوها تحت الحرف لا فوقه .

الفضل في دعم انتشار ترتيب نصر للألف باء العربية ^(١) ، بتأليفه أول معجم بالترتيب نفسه ^(٢) ، كما لا بد لنا من الإشارة إلى أن ترتيب نصر لم ينتشر في الأندلس والمغرب العربي ، إذ وجد هناك ترتيب لحروف الهجاء العربية يختلف بعض الاختلاف عن ترتيبها في المشرق ، كما هو الحال في اختلاف ترتيب حروف كلمات الأيبجية ^(٣) .

هذا وقد وضعنا جدولاً خاصاً بالحروف العربية ، بينا فيه موضع كل حرف في أي نهج عرف في مشرق البلاد العربية وفي مغربها ، وقيمة كل حرف في حساب الجُمَّل .

(١) « الألف باء » اصطلاح عمّ جميع اللغات التي تنصل حروف كتابتها بنسب إلى الأيبجية الفينيقية ، وذلك للدلالة على حروف الهجاء جميعها ، وهذا الاصطلاح مركب من اسمي الحرفين الأولين من حروف الأيبجية ، وكثير من كتاب العصر الحديث يكتبون هذا المصطلح موصولاً فيقولون « الألفباء » ، وكان ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) سابقاً إلى استعمال هذا المصطلح متصلاً تعريباً عن الإغريقية ، فذكر عند كلامه على أسرار الحروف قوله : « إذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفايطوس ، أعني أيبجد إلى آخر العدد . . » انظر المقدمة ص ٨٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

(٢) يبدو أن ترتيب حروف الهجاء العربية ، من قبل أمثال الخليل وسيبويه وغيرهما ، ظل يتنافس ترتيب نصر بن عاصم بعض المنافسة لمدة قرون ، بدليل أن الزنجفري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م) وهو الذي أخذ بترتيب عاصم مثبناً عليه ، قال في مقدمته لأساس البلاغة : « وقد رُتّب الكتاب على أشهر ترتيب متداول ، وأسهل متناول » .

(٣) انظر ص ١٩٤ والصادر المذكورة في الهامش رقم ١ . هذا وإن الفافشندي عند كلامه على ترتيب الحروف يذكر أن ترتيبها على ضربين : مفرد ومزدوج ، وهو يقصد بالمفرد الترتيب الذي نسميه اليوم « ترتيب الألف باء » أما المزدوج فهو ما نسميه « الترتيب الأيبجي » انظر صبح الأعشي ج ٣ ص ٢٢ .

حروف المعجم وترتيبها

الترتيب	المعجمية عند أبي الفتح البرقي بأشياءها	المعجمية عند أبي الفتح البرقي بأشياءها	أبجدية حروف الهجاء العربية عند المشرقة	عند الفارسية في صواب الجمل	حروف المعجم كأرتبها نصر بن عاصم	ترتيب الحروف بحسب خارجها			الحروف كما توضع في الموديس
						عند الفليل	عند سيبويه	عند الفليل	
١	أ	أ	أ	أ	أ	ع	أ/هـ	هـ	أ
٢	ب	ب	ب	ب	ب	ح	هـ	ح	ب
٣	ج	ج	ج	ج	ت	هـ	ع	ع	ت
٤	د	د	د	د	ث	خ	ح	خ	ث
٥	هـ	ذ	هـ	هـ	ج	غ	غ	ع	ج
٦	و	هـ	و	و	ح	ق	خ	ق	ح
٧	ز	و	ز	ز	خ	ك	ق	ك	خ
٨	ح	ز	ح	ح	د	ج	ك	ض	د
٩	ط	ح	ط	ط	ذ	ش	ج	ج	ذ
١٠	ي	خ	ي	ي	ر	ض	ش	ش	ر
١١	ك	ط	ك	ك	ز	ص	ي	ل	ز
١٢	ل	ظ	ل	ل	س	س	ض	ر	ط
١٣	م	ي	م	م	ش	ز	ل	ن	ظ
١٤	ن	ك	ن	ن	ص	ط	ن	ط	ك
١٥	س	ل	س	ص	ض	ت	ر	د	ل
١٦	ع	م	ع	ع	ط	د	ط	ت	م
١٧	ف	ن	ف	ف	ظ	ظ	د	ص	ن
١٨	ص	س	ص	ض	ع	ذ	ت	ز	ص
١٩	ق	ع	ق	ق	غ	ث	ز	س	ض
٢٠	ر	غ	ر	ر	ف	ر	س	ظ	ع
٢١	ش	ف	ش	س	ق	ل	ص	ذ	غ
٢٢	ت	ص	ت	ت	ك	ن	ظ	ث	ف
٢٣	.	ض	ث	ث	ل	ف	ذ	ف	ق
٢٤	.	ق	خ	خ	م	ب	ث	ب	س
٢٥	.	ر	ذ	ذ	ن	م	ف	م	ش
٢٦	.	ش	ض	ظ	هـ	أ/ي	ب	و	هـ
٢٧	.	ت	ظ	غ	و	و	م	أ	و
٢٨	.	ث	ع	ش	ي	أ	و	ي/أ	ي

٥ - المعجم في الاصطلاح

كان علماء العربية الأوائل ، يصفون هذا الخط العربي الذي نكتب به ، بأنه « معجم » لأنه لا يبين إلا بالإعجام تنقيطاً وشكلاً ، وكانوا إذا ما أضافوا كلمة « معجم » إلى الحروف ، اعتبروا الكلمة صفة لموصوف محذوف هو « الخط » وأرادوا من التركيب الإضافي لهاتين الكلمتين : حروف العربية المرتبة ترتيبها المشهور ، ثم أخذ بعض العلماء من المؤلفين ، يرون في ترتيب الحروف نهجاً يمكن التزامه في عرضهم للمعلومات التي يريدون قديمها ، فيسهلون بذلك الرجوع إليها ، إذ يكتفي المراجع بالنظر في المعلومات المدونة في الفصل المعقود للحرف الذي تبتدىء به الكلمة الدالة على الموضوع ، ويكون هذا في الموضوعات التي يمكن ترتيبها تبعاً للحرف الذي تبتدىء به أول كلمة في الموضوع أو أي كلمة أخرى تدل عليه ، كما في ترتيب الأحاديث النبوية ، أو تراجم الرجال من صحابة وعلماء وشيوخ ، أو كما في تقويم البلدان والأمصار .

وكان أن أطلق أحد العلماء على كتاب ألفه بترتيب المعجم ، أو كان أن أطلق بعض الناس على كتاب مؤلف بحسب النهج المذكور ، اسم « المعجم » اصطلاحاً ، ثم شاع هذا الاسم وانتشر ، وأصبح كل كتاب رقت المعلومات فيه بترتيب حروف الهجاء يسمى عند الناس « معجماً » . وإذا كان من غير الممكن معرفة أول من أطلق كلمة « معجم » على الاصطلاح المذكور ، ولا أول كتاب سمي « معجماً » فيكاد يكون من المتفق عليه ، أن رجال الحديث هم الأوائل الذين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء ، وكان الإمام البخاري

صاحب الصحيح ، وهو من رجال القرن الثالث للهجرة (١) ، من رواد التأليف المعجمي ، وقد ألف كتباً كثيرة منها : كتاب التاريخ الكبير الذي قال في مقدمته (٢) : « قال أبو عبد الله محمد بن اسماعيل : هذه الأسماء وضعت على : أ ، ب ، ت ، ث ، وإِنما بدىء بمحمد من بين حروف أ ، ب ، ت ، ث لحال النبي ﷺ . . فإذا فرغ من المحمدين ابتدء في الألف ثم الباء ثم التاء ثم الشاء ثم ينتهي بها إلى آخر حروف أ ، ب ، ت ، ث ، وهي : ي » .

وقيل إن الإمام البخاري كان نفسه أول من أطلق لفظة « معجم » وصفاً لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم (٣) .

ومن أوائل المؤلفات ، التي وصل خبرها إلينا ، وهي تحمل اسم « معجم » كتاب أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي (٤) ، واسمه « معجم الحديث » وقيل إن البغوي نفسه ألف كتاباً آخر باسم « معجم الصحابة » كما أن أبا بكر محمد بن الحسن النقاش (٥) ، ألف معجماً كبيراً في أسماء القراء ، واختصره في معجم صغير ، وألف إبراهيم بن أحمد البلخي المعروف بالمستملي (٦) معجماً للشيوخ ، ووضع أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (٧) ، معجماً

(١) الإمام محمد بن اسماعيل البخاري ، ولد سنة ١٩٤ للهجرة (٨١٠ م) وتوفي سنة

٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) انظر أعلام الزركلي : ج ٦ ص ٢٥٨ .

(٢) انظر التاريخ الكبير ص ١١ طبعة حيدرآباد الدكن سنة ١٣٦١ هـ .

(٣) انظر احمد عبد الغفور عطار في « الصحاح ومدارس المعجمات الريضة » ص ٥٣

القاهرة ١٩٥٦ م .

(٤) توفي في بغداد سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) انظر أعلام الزركلي ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٥) توفي سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) انظر الأعلام ٦/٣١٠ .

(٦) توفي سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) انظر الأعلام ١/٢٣ .

(٧) توفي سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) انظر الأعلام ٧/٢١٠ .

للشعراء ، ذكر فيه اسم نحو من خمسة آلاف شاعر رقب أسماءهم بترتيب حروف المعجم .

وشاعت بعد ذلك تسمية الكتب المرتبة على حروف الهجاء بالمعجمات ، حتى أن واحداً من علماء القرن الخامس للهجرة ، وهو علي بن الحسن المشهور بابن عساكر^(١) ، أطلق على عديد من مؤلفاته اسم « معجم » فمن معجم للصحابة ومعجم للشيوخ ، إلى معجم للنسوان ورابع لأسماء القرى والأمصار .

وقد تلى بعد القرن الرابع للهجرة تأليف المعاجم في أغراض علمية شتى ، حتى يكاد يكون حصر ما ألف منها من الصعوبة بكان كبير ، على أن علماء العربية الذين ابتدعوا فكرة « المعجم » ودونوا مفردات اللغة في المعجمات العديدة التي ألفوها ، لم يطلق أي واحد منهم على مؤلفه اسم « معجم » بل اختار كل واحد اسماً خاصاً بمعجمه فمثلاً :

- أطلق الخليل على معجمه اسم « العين » ،
- وأطلق الشيباني على معجمه اسم « الحروف » ،
- وأطلق ابن دريد على معجمه اسم « الجهرة » ،
- وأطلق القسالي على معجمه اسم « البارع » ،
- وأطلق الأزهري على معجمه اسم « تهذيب اللغة » ،
- وأطلق الجوهري على معجمه اسم « الصحاح » ،
- وأطلق الأزدي على معجمه اسم « المنجد » ،
- وأطلق ابن منظور على معجمه اسم « لسان العرب » ،
- وأطلق الفيروزآبادي على معجمه اسم « القاموس المحيط » .

(١) توفي سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦ م) انظر الأعلام ٨٢/٥ .

٦ - بناء المعجم العربي

إذا كانت كلمة « معجم » تطلق اليوم على : كل ديوان يجمع مفردات اللغة ومرتب على حروف الهجاء ، فإننا نهدف من قولنا « المعجم العربي » : مجموع الثروة العظيمة التي خلفها علماء العربية ، على مدى العصور ، فحفظوا لنا بها لغة العرب ، لغة القرآن الكريم ، اللغة التي نفخر بها ونعتز .

لقد ابتدأت الأبحاث اللغوية ، في القرن الأول للهجرة ، مستهدفة تفسير غريب القرآن ومشكلة ، وغريب الحديث ، وغريب ما ورد في الشعر العربي ونوادره ، وكان أن فكر رجل من نوابغ العرب ، هو الخليل بن أحمد الفراهيدي^(١) ، في أسلوب يؤدي إلى جمع العربية وتدوينها بين دفتي كتاب ، ووضع نهجاً يقوم على قواعد رياضية بحتة ، إذا ما طبقت ، أمكن إيجاد معجم يحفل بالفاظ اللغة العربية بأسرها .

وقام كثير من العلماء منذ القرن الأول للهجرة وحتى القرن الثاني عشر ، يبحثون ويؤلفون ويجمعون ، فجمع بعضهم غريب اللغة ونوادرها ، وجمع آخرون ما يذكر ويؤنث أو ما يفرد ويثنى ويجمع من كلماتها ، وقام البعض بجمع كل ما يتصل بصفات الإنسان ، أو يتصل بالحيوان أو بالنبات ، أو بالمطر والأنواء وما شابه ذلك ، كما قام آخرون بالتأليف في الطبقات أو بالمواضع والبلدان ، وهناك من بحث الاشتقاق في اللغة ، أو جمع المترادف أو المتشابه ، أو غنى بما يلحن فيه أو بالمعرب والدخيل ، ومن العلماء من قام بجمع مفردات اللغة ، وبيان معانيها ، مرتباً إياها بترتيب حروف الهجاء ، أو

(١) انظر « قصة عقري » ليوسف العش في سلسلة إفريقيا ١٩٤٦ م - وله أيضاً « أولية

تدوين المعاجم » في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ١٦ دمشق ١٩٤١ .

بترتيب مخارجها ، كما فعل الخليل بن أحمد ، وهؤلاء هم رواد المعجم العربي الأوائل ، وتكاد الإحاطة بكل ما ألفه علماء العربية في اللغة ، تكون مستحيلة ، لكثرة تلك المؤلفات ، واضياع قسم كبير منها ، ولأن بعضها لم يصل إلينا كاملاً ، أو لم يصل إلينا منه غير خبره أو اسمه ، وغير ما استفاده منه من اطلع عليه من المؤلفين السابقين ، دون أن يشير فيما ألفه إلى المصدر الذي استقى منه العلم الذي تركه لنا .

وإذا كان مؤلفو المعجمات الأولى ، هم بلا منازع رواد المعجم العربي ، الذين وضعوا أسسه والقواعد التي يقوم عليها ، فإن بناء المعجم العربي ، هم في الحقيقة ، جميع أولئك العلماء الذين كتبوا وألفوا في أي ناحية من نواحي اللغة ، أو ساعدوا غيرهم في ذلك بالنقل أو الرواية أو بالتحشية أو بالتعليق ، أو بشرح بعض المسائل اللغوية أو بالاستدراك على من سبقهم من المؤلفين .

إن ثروتنا من كتب اللغة ، على اختلاف موضوعاتها والهدف منها وأسلوبها ، إنما تؤلف وحدة ، كل كتاب منها بحسب قيمته ، يعتبر لبنة أو حجراً أو زاوية أو عموداً أو دعامة في بناء المعجم العربي ، وبناء هذا المعجم ، هم جميع الذين اشتركوا في إقامة هذا الصرح العربي الضخم ، وسندكر أشهر من عرفنا منهم في جداول تتضمن موجزاً في التعريف بكل واحد منهم ، وأهم معطياته المعجم العربي .

كما أننا سنضع لأمّهات المعاجم العربية وأشهرها ، جدولاً مستقلاً ، يتضمن تعريفاً مقتضباً لكل منها ، مع بيان النهج الذي اختاره المؤلف أو امتاز به .

أشهرُ المُشترَكينَ في بَنَاءِ العَجَمِ العَرَبِيِّ

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	معيّاته للمعجم وأهم مؤلفاته اللغوية	مرجع معجمي ترجمته
القرن الأول	الليثي	نضر بن عاصم	٧٠٠	٨٩٠	ترتيب حروف الهجاء	الأدباء ١٩/٢٢٤
القرن الثاني الهجري	أبو مالك الأعرابي	عمرو بن زكريّة النخعي	٧٠٠	٧٧٠	خلع الإنسان . الخيل . النوار .	البغية ٢/٢٦٧
	أبو خيرة	الأعرابي العدوي	٧٠٠	٧٧٠	الحشرات .	الفهرست ٨/٤٥٠
	أبو عمرو	زبان بن العلاء عماري	٧٠٠	٧٧٠	النوار	الأدباء ٣/٧٢٥
	القاليل	برأعمد القاصري أبو زيد	٧٠٠	٧٧٠	العين معاني الحروف . النقط والشكل .	الأدباء ٢/٣٦٣
	الليث	برأظفر الخراساني أبو هاشم	٧٠٠	٧٧٠	اتمام العين	الأدباء ١٧/٤٢٣
	يونس النخعي	ابن حبيب الضبي	٧٠٠	٧٧٠	معاني القرآن . اللغات .	الأدباء ٩/٣٤٤
	الكاتب	علي بن حمزة لأوس بن أوس	٧٠٠	٧٧٠	معاني القرآن . المصادر . الحروف . ما تحمض فيه العامة	الأدباء ٥/٩٢٣
	النضر	برأسميل النخعي أبو الحسن	٧٠٠	٧٧٠	الصفات . السلع . غريب الحديث .	الأدباء ٨/٣٥٧
	أبو عمرو	إسحاق بن إسحاق بن مرار	٧٠٠	٧٧٠	أحرف غريب الحديث . الغلظة . الدليل . الخيل . النوار . خلق الإنسان .	الأدباء ١/٢٨٩
	الفراء	يحيى بن زبارة البجلي أبو زكريا	٧٠٠	٧٧٠	معاني القرآن . اللغات . ما تحمض فيه العامة . مثل اللفظة .	الأدباء ٩/١٧٨
القرن الثالث الهجري	الحماني	علي بن حازم أبو الحسن	٧٠٠	٧٧٠	النوار	معجم اللغويين ٧/٥٦٧
	أبو عبيدة	معمّر بن الحنفلي النخعي	٧٠٠	٧٧٠	ما تحمض فيه العامة . الزرع . النوار . معاني القرآن . غريب الحديث .	الأدباء ٨/١٩١
	أبو زيد	الأندلسي سعيد بن وهب	٧٠٠	٧٧٠	النوار . المطر . المياه . غريب الحديث . غريب الأسماء .	الأدباء ٣/١٤٤
	الأخفش الأوسط	سعيد بن سعد الجاهلي	٧٠٠	٧٧٠	تفسير معاني القرآن . الاستقانة .	الأدباء ٣/١٥٤
	الأصمعي	عبد الملك بن قيس أبو سعيد	٧٠٠	٧٧٠	غريب الحديث . الدليل . الأضداد . النحل . الإنسان . المنارات . النباتات . الخيل .	الأدباء ٤/٣٠٨
	ابن سلام	القاسم الهروي أبو عبيد	٧٠٠	٧٧٠	الغريب المصنف غريب القرآن . غريب الحديث . الأضداد .	الأدباء ٦/١٠٠
	أبو مسلم	الأعرابي عبد الوهاب بن جريس	٧٠٠	٧٧٠	النوار . الغريب .	معجم اللغويين ٦/٣١٨
	ابن الأعرابي	محمد بن زياد أبو عبد الله	٧٠٠	٧٧٠	أسماء الخيل . البكر . النوار . الدرع .	الأدباء ٦/٣٦٥
	الباهلي	أحمد بن حاتم أبو نصر	٧٠٠	٧٧٠	استقانة الأسماء . ما تحمض فيه العامة . الزرع والنخل . السموم والنباتات . الجراد .	الأدباء ١/١٠٤
	ابن السكيت	بغوي بن يحيى أبو يوسف	٧٠٠	٧٧٠	أصناف المنطق . الأضداد . الحشرات . غريب القرآن . النباتات والشجر .	الأدباء ٩/٢٥٥
	ابن حبيب	محمد البغدادي أبو جعفر	٧٠٠	٧٧٠	المختار . خلج الإنسان . المنطق . الأضداد على أفضل .	الأدباء ٦/٣٠٧
	السجستاني	سبل بن محمد الحنظلي أبو حاتم	٧٠٠	٧٧٠	ما تحمض فيه العامة . البحر والنبات . الأضداد . الطير . الوهم . الحشرات . الغريب . الخيل .	الأدباء ٣/٣١٠
	أبو اسحاق	إبراهيم بن سفيان الزبيري	٧٠٠	٧٧٠	أسماء السباع والرباع والأطوار .	الأدباء ١/٣٤٤
	المازني	بكر بن محمد أبو عثمان	٧٠٠	٧٧٠	ما تحمض فيه العامة .	الأدباء ٢/٤٤٤
	الهروي	سمر بن محمد بن أبي عمرو	٧٠٠	٧٧٠	البحر غريب الحديث . السلع . الجبال والأودية .	الأدباء ٣/٢٥٣
	ابن قتيبة	عبد الله بن مسلم الدينوري	٧٠٠	٧٧٠	غريب الحديث . الاستقانة . مثل القرآن . النباتات . غريب القرآن . أدب الكاتب .	الأدباء ٤/٢٨٠
	الدينوري	أحمد بن داود أبو عيسى	٧٠٠	٧٧٠	النبات . ما تحمض فيه العامة . أصناف المنطق .	الأدباء ١/١١٩
	المبرد	محمد بن يزيد الأزدي أبو العباس	٧٠٠	٧٧٠	الكامل . الذكر والحيوان . أعراب القرآن . المقصود .	الأدباء ٨/١٥٥
	تعلب	أحمد بن يحيى الشيباني أبو العباس	٧٠٠	٧٧٠	القصص . المراسن . معاني القرآن . معاني الشعر . ما تحمض فيه العامة .	الأدباء ١/٢٥٢

أشهر المشتركين في بناء المعجم العربي

٢

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	سبطاته للتعلم وأهم مؤلفاته اللغوية	مراجع عملي لترجمته
القرن الرابع الهجري	كراع النخل	علي بن الحسن بن أبي البركات	٢٢٢ هـ	٢٩١ هـ	المسجد . المنصور . الجرد . غريب اللغة .	الأعلام ٧٩/٥
	ألفه في الأصغر	علي بن سليمان بن يحيى أبو الحسن	٢٢٥ هـ	٢٢٧ هـ	المهذب . الأندلس . الفتن . الجمع .	الأعلام ١٠٣/٥
	المنذاف	عبد الرحمن بن عيسى	٢٢٥ هـ	٢٢٢ هـ	الألفاظ اللغوية .	معجم المؤلفين ١٦٣/٥
	ابن دريد	محمد بن الحسن بن أبي البركات	٢٢٢ هـ	٢٢٣ هـ	الجمهرة . المشتقات . المصنف . السمع والتأجيل .	الأعلام ٣١٠/٦
	نظويه	أبو محمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٤ هـ	٢٢٥ هـ	غريب القرآن	الأعلام ٥٧/١
	الأنباري	محمد بن القاسم أبو بكر	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الزاهر . الأضداد . غريب الحديث . شرح العلقات .	الأعلام ٢٢٦/٧
	قدامة	بن جعفر بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	جواهر الألفاظ .	الأعلام ٣١/٦
	الزجاجي	عبد الرحمن بن يحيى أبو القاسم	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الاسماء والمعاني . والنقار . الألفاظ .	الأعلام ٦٩/٤
	غلام نعلب	محمد بن عبد الواحد أبو عمر	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الوقايف في غريب القرآن . غرائب الحديث .	الأعلام ١٣٢/٧
	البشتي	أحمد بن محمد الخازن	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	تكملة العين .	الأعلام ٢٠٠/١
	القاراني	أحمد بن يحيى أبو البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	ديوان الأدب .	الأعلام ٢٨٤/١
	أبو الطيب	أحمد بن عبد الواحد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الأنواع . المشتق . الأضداد . القروى .	الأعلام ٣٢٥/٤
	الأصمغاني	علي بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الألفاظ .	الأعلام ٨٨/٥
	القاطب	أحمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	البارع . الألفاظ . الممدود والمقصود . الدليل .	الأعلام ٣١٩/١
	الأزهري	أحمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	تهذيب اللغة . غريب الألفاظ .	الأعلام ٢٠٢/٦
	علي أبو القاسم	أحمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	التبصير في غريب القرآن . رد على اصطلح المتن .	الأعلام ٩٤/٥
	الزبيدي	أحمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	مختصر العين . لمن العامة .	الأعلام ٣١٢/٦
	العسكري	أحمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	تصنيفات الحديث . المختلف والمؤلف .	الأعلام ٢١١/٢
	الرتايف	علي بن يحيى أبو الحسن	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الألفاظ المتعارفة .	الأعلام ١٣٤/٥
	الصاحب	بن عبد الله بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	المحيط . جواهر الجمرة .	الأعلام ٣١٢/١
القرن الخامس الهجري	ابن جني	عبد الله بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	المصانص . سر الصناعة .	الأعلام ٣٦٤/٤
	الجوهري	أحمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الصحيح .	الأعلام ٣٠٩/١
	ابن فارس	أحمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	مقاييس اللغة . المعجم . الصحاح . فقه اللغة .	الأعلام ١٨٤/١
	العسكري	أحمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الفروق . أسماء الأبناء . ما كان فيه الخاصة .	الأعلام ٢١١/٢
	البرمكي	محمد بن يحيى أبو القاسم	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	المتن في اللغة . ترتيب الصحاح حسب أصول الكلمة .	معجم المؤلفين ١٣٨/٩
	الهرودي	أحمد بن محمد أبو عبيد	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	غريب القرآن . غريب الحديث .	الأعلام ٢٠٣/١
	الاسكافي	محمد بن عبد الله بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	غلط العين . مبادئ اللغة .	الأعلام ١٠٢/٧
	التمالي	عبد الله بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	فقه اللغة . المشتق . المضاف والمنسوب .	الأعلام ٣١١/٤
	ابن السنياني	أحمد بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الموعظ .	الأعلام ٧٠/٢
	ابن سيده	علي بن محمد بن أبي البركات	٢٢٦ هـ	٢٢٧ هـ	الحكم والمحيط العظيم . المعجم . شرح المتن .	الأعلام ٦٩/٥

أشهرُ المُشترَكِينَ في بَنَاءِ العَجَمِ العَرَبِيِّ

٣

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	مطبوعاته للمصنف وأهم مؤلفاته اللغوية	مجموع مجمل ترجمته
القرن السادس الهجري	الراغب الأصفهاني	حسن بن محمد أبو القاسم	١١٠٨ هـ	٥٠٢ هـ	المفردات في غريب القرآن . تحقيق البيان .	الأعلام ٢٧٩/٣
	البربري	عيسى بن علي السبكي أبو زكريا	١١٣٠ هـ	٥٠٢ هـ	تهذيب اصطلاح المنطوق . تهذيب اللغات من بابيكت .	البغية ٤١٣/٢
	الطبري	نشان بن سعيد	١١٧٨ هـ	٥١٣ هـ	شمس العلوم .	الأعلام ٣٣٦/٨
	ابن القطاع	علي بن محمد بن سعد أبو القاسم	١١٤١ هـ	٥١٣ هـ	النتبه والذريعة عما وقع في كتب الصحاح .	مجموع المؤلفين ٥٢/٧
	الحريري	القاسم بن علي العمري أبو محمد	١١٥٤ هـ	٥١٦ هـ	مقامات أبي زيد . ردة الفواص في أوهام الفواص .	الأعلام ١٢/٦
	البطليوسي	عبد الله بن محمد أبو محمد	١١٥٤ هـ	٥٤٤ هـ	المثلث . اللقصاب .	الأعلام ٢٦٨/٤
	ابن الأشتري	محمد بن يوسف بن علي أبو علي	١١٤٣ هـ	٥٤٨ هـ	المسلسل في غريب اللغة .	الأعلام ٢٢٢/٨
	الزمخشري	محمد بن عمر أبو القاسم	١١٧٥ هـ	٥٧٨ هـ	أساس البلاغة . فقرة الأدب . الفاخر في غريب الحديث .	الأعلام ٥٥/٨
	الجواليقي	موهوب بن أحمد أبو محمد	١١٧٣ هـ	٥٨٠ هـ	المغرب . تكملة اصطلاح ما نقل فيه العامة .	الأعلام ٢٩٢/٨
	البيهقي	أحمد بن علي	١١٥٠ هـ	٥٨٤ هـ	تتبع اللغة . المعجم بلغات القرآن .	الأعلام ١٦٨/١
	الأنباري	عبد الرحمن بن محمد الأنصاري أبو بكر	١١٩١ هـ	٥٧٧ هـ	أسرار العربية . لغة الألفة .	الأعلام ١٠٤/٤
	ابن بري	عبد الله بن محمد القصري أبو محمد	١١٠٦ هـ	٥٨٢ هـ	حواشي على الصحاح . حواشي على ردة الفواص .	الأعلام ٢٠٠/٤
	ابن الأثير	جلال الدين بارك بن محمد بن زكري	١١٥٠ هـ	٦٠٦ هـ	الذريعة في غريب الحديث . الأثر على حرفي المعجم .	الأعلام ١٥٢/٦
	ابن الأثير	محمد بن نصر الله الشيباني	١١٨٩ هـ	٦٢٢ هـ	نعت الفوائد والفار .	الأعلام ٣٤٧/٧
القرن السابع الهجري	الصاغاني	الحسن بن محمد العمري	١١٨١ هـ	٦٥٠ هـ	العجاب . اللغات . الأضداد .	الأعلام ٢٣٢/٣
	الزنجاني	محمد بن أحمد أبو القاسم	١١٨١ هـ	٦٥٦ هـ	تهذيب الصحاح . تفهيم الصحاح .	الأعلام ٣٧/٨
	الرازي	زين الدين محمد بن محمد	١١٨١ هـ	٦٦٦ هـ	مختار الصحاح . غريب الفرائد .	الأعلام ٢٧٩/٦
	الساطبي	محمد بن علي الأنصاري أبو عبد الله	١١٠٤ هـ	٦٨٤ هـ	حواشي على صحاح الجوهري .	الأعلام ١٧٣/٧
	ابن منظور	محمد بن محمد الأنصاري	١١٣٢ هـ	٧١١ هـ	لسان العرب .	الأعلام ٣٢٩/٧
	أبو حنيفة	محمد بن يوسف الأنديسي	١١٥٦ هـ	٧٥٥ هـ	فحة الأدب في غريب القرآن .	الأعلام ٢٦/٨
	القيومي	أحمد بن محمد العمري أبو القاسم	١١٠٤ هـ	٧٧٠ هـ	المصباح المنير .	الأعلام ٢١٦/١
	الفردوسي	محمد بن محمد بن عبد الله	١١٣٩ هـ	٧٢٩ هـ	القاموس المحيط .	الأعلام ١٩/٨
	السبكي	محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الله	١١٤٥ هـ	٩١١ هـ	المعجم . الأضداد .	الأعلام ٧١/٤
	الحفصجي	شهاب الدين محمد بن محمد	١١٥٩ هـ	٩٧٧ هـ	شرح ردة الفواص . شفاء الغليل .	الأعلام ٢٢٧/١
القرن الثامن الهجري	الزبيدي	مرتضى محمد بن محمد الحسيني	١١٧٣ هـ	١٢٥٠ هـ	تاج العروس . القاموس .	الأعلام ٢٩٧/٧

أَمْهَاتُ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَشْرُهُا مُصَنَّفَةٌ بِحَسَبِ فَهْجِهَا

[illegible]

٧ - المعجم العربي في العصر الحديث

أفاق العرب في القرن الماضي ، بعد رقاد دام قروناً اضمحلت خلالها دولتهم ، وفسدت لغتهم ، وقهقرت آدابهم ، فرأوا الأوربيين في أوج الحضارة والمدنية ، مما حمل الزعماء منهم على الدعوة إلى النهوض والحقاق بركب العالم المتمدنين ، وأخذوا ينشرون الوعي بين الناس ، ويثيرون بينهم حب العلوم والآداب ، وكان لابد للنهضة اللغوية والأدبية من الاستعانة بالمعاجم لإحياء اللغة وآدابها ، مما دعا إلى الاعتماد في بادئ الأمر على المعجمات القديمة ، وإلى ظهور طبقات لكل من القاموس المحيط ولسان العرب وأساس البلاغة ومختار الصحاح والمصباح المنير ، وقام بعض العلماء بإعادة ترتيب بعض هذه المعاجم بحسب أوائل الكلمات ، ولكن جميع المعاجم التي ظهرت طبقاتها كانت قاصرة عن مسايرة النهضة العلمية التي استجاب العرب للدعوة إليها ، لأنها معاجم ألفت في عصور تختلف الحضارة فيها عن مفهومها في العصر الحديث ، ولأنها قديماً لذلك كانت محشوة ببعض الأوهام والأخطاء السائدة في عصور مؤلفيها ، مما دفع بعض العلماء الغياري على العربية ، إلى حل العبء والقيام بإعداد المعاجم الحديثة ، ناقلين أكثر موادها من المعجمات القديمة ، فوضع المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٩ م المعجم الذي أسماه « محيط المحيط » وقد التزم فيه عبارة القاموس المحيط مع شيء من التصرف والتهديب واتباع ترتيب حروف الهجاء بحسب أوائل الكلمات ، ثم جاء المعلم الشرتوني فوضع معجمه « أقرب الموارد » آخذاً إياه من الأمهات ، وإن كانت عبارة القاموس فيه أغلب ، مع دقة في التهديب وسلامة في الترتيب بحسب أوائل الكلمات ، وتتالى بعد ذلك تأليف المعاجم ، وكانت كلها تحذو حذو محيط المحيط وأقرب الموارد ، وأشهر المعاجم التي ما زالت تخدم طلاب العربية معجم الأب لويس معلوف ، وقد أسماه بـ « المنجد » وظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٠٨ م ،

ويعتبر المنجد اليوم خير معجم مدرسي للعربية في ترتيبه وإخراجه ، إذ هو يحاكي في ذلك أحدث المعاجم الأوربية فناً ، خاصةً بعد أن أضاف إليه الأب فردينان توتل سنة ١٩٥٦ م ملحقاتاً باسم « المنجد في الأدب والعلوم » وهو معجم لأعلام الشرق والغرب ، وذلك رغم ما في المعجم وملحقه من مأخذ ، وما يرد عليهما من ملاحظات ، إنما يؤمل من المشرفين على إخراج « المنجد » تلافياً ما يشوبه من نقص وهنات في طبعاته المتلاحقة .

على أن جميع المعاجم المذكورة ، على عظم الخدمة التي أودتها للعربية وما زالت تؤديها حتى هذا العصر ، ظلت عاجزة عن مسايرة النهضة الحديثة للبلاد العربية ومتابعة التطور الكبير في مختلف العلوم العصرية ، مما زاد العرب في مختلف ديارهم شعوراً بالحاجة الشديدة إلى معجم حديث يضاهي المعاجم المعروفة في اللغات الأجنبية ، ويتسع لمصطلحات العلوم وألفاظ الحضارة المعاصرة ، على أن هذا الشعور مشروط بوجود إغناء المعجم العربي الحديث بطريق الإفادة من الثروة الطائلة التي تشتمل عليها المعجمات القديمة وكتب اللغة العديدة ، استناداً إلى خصائص العربية ومرونتها إلى حد يمكن معه أن تستوعب كل جديد تدعو إليه ضرورة أو مصلحة أو يتطلبه علم أو فن ، ولا ضير على العربية من أن يحوي معجمها أي لفظ مولد أو معرب أو دخيل ، إذا جرى اشتقاقه وفق القواعد القياسية أو كان لفظه لا يخالف النطق بالفصح من الكلمات ، وأخذ كثير من العلماء ينادون إلى العمل من أجل المعجم المطلوب ، كما نادى بعضهم بوجود إعادة النظر فيما ورد في المعجمات القديمة ، عند الاقتباس منها ، من أوهام وأخطاء وتصحيف ، مع إهمال الغريب الحوشي ، وتضييق دائرة الكلمات المترادفة والمشتركة والأضداد ما أمكن .

وحمل مجمع اللغة العربية في القاهرة عبء العمل على سد هذه الثغرة ، فأخرج سنة ١٩٦٠ م « المعجم الوسيط » في جزأين ، وقد أشرفت على

إخراجه لجنة من أعضاء الجمع ، فبذلت جهداً في صياغتها لكثير من مواد المعجم وفق القواعد والقرارات التي اتخذها الجمع في دوراته المختلفة ، وبرغم ما أريد لهذا المعجم من أن يكون لغوياً ، فإنه أخذ طابعاً علمياً في تعريف كثير من المصطلحات والأسماء مما يجعل له رجحاناً على غيره من المعجمات ، وقد دفعتنا الرغبة في رؤية الطبعة الثانية من المعجم الوسيط أكثر كمالاً ودقة في ترتيب المواد وتعريف المصطلحات ، إلى إلقاء نظرات عليه وتدوين الملاحظات التي أخذت مجلة مجعنا تنشرها تباعاً في أعدادها الأخيرة .

ولا تفوتنا الإشارة إلى فضل بعض علماء العربية المعاصرين ، الذين وضعوا اللبنيات الأولى في المعجم العربي المنشود ، من ناحية المصطلحات العلمية ، ومن هؤلاء العلماء الفريق أمين الملعوف . وقد وضع معجم الحيوان والمعجم الفلكي ، بالإنكليزية والعربية ، مراعيًا جهده التعريفات العلمية وإحياء كثير من الكلمات العربية القديمة في معجميه المذكورين . ومنهم الدكتور محمد شرف مؤلف معجم العلوم الطبية والطبيعية ، بالإنكليزية والعربية ، وهو عمل ضخم رغم ما فيه من أخطاء وهنات .

ومن الرواد المعجميين الأول ، وأوثقهم في اختصاصه ، الأمير مصطفى الشهابي ، في معجم الألفاظ الزراعية ، بالفرنسية والعربية ، وفي معجم المصطلحات الحراجية ، بالفرنسية والإنكليزية والعربية ، وفي المصطلحات والتصويبات التي ينشرها في مجلة الجمع العلمي العربي ، وفي منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة .

ومن رواد المعجم العربي الحديث ، الشيخ عبد الله العلايلي ، الذي قام ، فيما نشره حتى اليوم ، بجهود يقدّر في خدمة العربية ، وكانت آخر ما نشره المجلد الأول من معجمه « المرجع » وهو معجم بسيط وعلمي بمقدار ما هو لغوي ، وقد رتبته وفق المفرد بحسب لفظه ، وبالرغم من أن الشيخ العلايلي اعتمد الأمهات من معاجم العربية ، ونقل التعريفات العلمية

عن أوفى معاجم المصطلحات ، كان من الطبيعي أن تكثر هنات معجمه ، لأنه ألزم نفسه بعمل لا يستطيع فرد واحد أن يضطلع به دون أن تزل قدمه .

٨ - المعاجم بين الفن والصناعة

يقول الدكتور ابراهيم مذكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، في تصديره المعجم الوسيط ، الذي أخرجه المجمع : « للمعاجم فن يسير بسير الزمن ، وقد خطا خطوات فسيحة في القرنين الأخيرين ، وكانت له آثار واضحة في المعاجم الغربية ، بين إنكليزية وفرنسية ، وألمانية وروسية . » ويقول الدكتور مذكور أيضاً في دراسته عن المعجم العربي في القرن العشرين (١) : « والآن نستطيع أن نقرر أن فن المعجم العربي نما وتطور في القرن العشرين ، وأخذ يحاكي نظيره في اللغات الأوروبية الكبرى أو يزيد عليه ، وطرحت قلمك النظرية التي كانت تقول بأن العربية لغة لا تقبل التجديد ولا التطور ، وأصبحنا نسلم بعربية معاصرة إلى جانب العربية القديمة ، وبكلاسيكية وكلاسيكية محدثة . وفتح باب القياس على مصراعيه في اللغة كما فتح في الفقه والتشريع ، ومن حقنا أن نبتكر ألفاظاً وعبارات كما ابتكر أجدادنا . »

إن الفن - في رأينا - مظهر لإرادة الكمال في أمر من الأمور ، فإذا هدف إنسان في عمل يؤديه ، إلى تصوير ما يشعر به من عاطفة ، أو تسجيل ما يعتلج في صدره من أحاسيس ، أو إبراز ما يتوخاه من دقة ، أو تحقيق ما يستلزمه العمل من إتقان ، فلأنما هو يمارس فناً من الفنون ، وكلما اقترب الإنسان في عمله من الكمال ، زاد فنه سموً ، ومن طبيعة هذا الكمال ومظهره ، أخذت بعض الفنون وصفها بالجمال .

(١) بحث أقيم بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين بموسكو سنة ١٩٦٢ ، ونشر بالعربية ملخصاً في الجزء ١٦ من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٣ .

ونحن نحب أن نتسامل عن حظ المعاجم ، عربية كانت أو أجنبية ، من « الفن المتطور » بالمقاييس التي أشرنا إليها ؟

إن فن المعاجم ، في هذا العصر ، على نموه وتطوره ، إنما يتمثل بالدقة في ترتيب المواد وتنسيقها وضبطها ، كما يتمثل بالجهد في توضيح مواد والأمثلة الدقيقة وبالرسوم المعبرة ، ويتمثل فن المعاجم أخيراً في إتقان الإخراج الذي يشمل جودة الطباعة ، وحسن المظهر ، فهل هذا هو كل ما يجب أن يستهدفه واضعو المعاجم العربية اليوم ؟

إن العرب في حاجة إلى معاجم جديدة تمتاز ، بالإضافة إلى مقتضيات « الفن المتطور » التي ذكرناها ، بما فيها من مواد جديدة تفي بمتطلبات مختلف العلوم والفنون ، على أن يتوصل إليها باتباع قواعد سليمة يمكن معها ، بقدر ما تدعو إليه الضرورة ، التوسع في قياسية صيغ الزوائد والمصادر ، وبذلك تغنى العربية بالاشتقاق في يسر وسهولة ، مع ضبط هذا الأمر حفاظاً على سلامة اللغة وصحتها .

كما يجب أن تمتاز المعاجم الحديثة ، بما تحويه من تعريفات علمية صحيحة ، يستبعد معها ، جميع ما ورد في الموجهات القديمة من أخطاء وأوهام وتصحيف ومجانبة للدقة في التعريف .

إن معجماً بالصفات المذكورة ، إذا أريد له أن يفي بحاجات العصر ، لا يمكن أن يكتفى فيه بمسيرة « فن المعاجم الحديث » إنما يجب أن يكون وضعه في مستوى « الصناعة » ولسنا نعني بالصناعة هنا ، المعنى الشائع لهذه الكلمة ، أي مجرد العمل الذي يمارسه الإنسان ، وقد يحترفه ، مستنداً فيه إلى جهد عضلي ، أو نظام آلي ، أو إلى قواعد رتيبة ، لأن الصناعة بهذا المعنى ، تكاد تكون منبئة الصلة بالفن ، حيث يجري الإنسان فيه

وراء الجمال مدفوعاً بمشاعره وأحاسيسه غير متقيد بنظام أو قاعدة ، إنما تقصد بالصناعة ذلك العمل الذي يشعر القائم به رغبة في إجادته وإتقانه ، فيخطط له ثم يوفيه حقه من الدراسة والإعداد له ، يعرف الغاية منه ، فيسلك إليها أوضح نهج وأقوم سبيل ، ثم يجعله بالغن المتطور مع الزمن ، المصقول بالمران ، المهذب بالارتقاء ، حقيقة واقعة في أجمل صورها وأسمى معانيها ، إن مثل هذا العمل الجيد هو « الصناعة » كما يدل عليها جوهر اللفظة في متن العربية ، وكفى « الصناعة » بهذا المعنى ورودها في قوله عز وجل "صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" (١) ، وقوله عز وجل : « اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا » (٢) .

إن معاجم اللغات الحية ، اجتازت اليوم ، مرحلة الفنون ، وأصبحت صناعة ، تحشد للعمل فيها طوائف عديدة من العلماء الأعلام ، ومن رجال الفن الجهابذة ، كل منهم يعمل في نطاق اختصاص معلوم . والمعجم اللغوي أو العلمي الذي نريده للعربية . لا يكفيه تأليف لجنة من كبار علماء اللغة للإشراف على إخراجها ، بل لا بد له من علماء في اللغة ، إلى جانب مختصين بمختلف العلوم الأخرى ، يتوازعون موادها ، ويسهمون في الإشراف على مختلف أقسامه ، كما لا بد له من رجال يتقن الواحد منهم فناً من الفنون اللازمة لإخراج معجم حديث ، يعملون جميعاً في تنسيقه وتبويبه وتزيينه وطباعته حتى يخرج للناس المعجم العربي المنشود .

عبدنانه الخطيب



(١) سورة النمل : ٨٨ .

(٢) سورة هود : ٣٧ .

تحقيق لغوي

في الصيغ والاستعمالات

هذا بحث حققت فيه طائفة من الصيغ والاستعمالات مما يكثر في عربيتنا الحديثة المعربة . وأقصد به هذه العربية عربية الدواوين الرسمية ، وعربية الصحافة والإذاعة والمقالة الأدبية . على أن هذا البحث لا يقتصر على هذه النماذج من اللغة الحديثة ، بل يتعدى ذلك لتحقيق في طائفة من الاستعمالات العربية التي عرفت في عربيتنا الفصيحة القديمة . وأنا إذ أبحث في هذا اللون من العلم اللغوي لا أقصد أن أشير إلى مكان التجاوز ، أو قل مواطن الخطأ في هذه العربية الحديثة ، ولكنني أريد أن أشير إلى أن هذه العربية الحديثة هي لغة هذا العصر الحاضر بحاجاته العديدة ووسائله المختلفة وما جد فيه وما يجد من أشياء ومستحدثات . وهي استعمالات وصيغ قائمة دائمة أردنا أم لم نرد خضعت لسنة التطور شأن جميع اللغات في هذا الموضوع .

ومن الواجب أن نسجل هذا التجاوز ، أو قل هذا الجديد لنربط بينه وبين عربيتنا الفصيحة القديمة عملاً بالمنهج اللغوي التاريخي . وسنجد أن علم اللغة في العربية لا يتنكر للجديد المولد أو قل لا يريد أن ينسب إلى الخطأ مواد كثيرة . فالشذوذ في العربية والقول باللغات الخاصة ومساائل التوهم يؤيد ما نذهب إليه في هذه الحقيقة اللغوية .

وسأتناول في هذا البحث طائفة من الصيغ تشتمل على جموع مختلفة وأفعال وغير هذا مما دخله شيء من الجديد صرفه عن الوجه الفصيح المشهور .

ألفاظ الجمع

(١) لقد شاع جمع « مدير » بصيغة اسم الفاعل من « أدار » على « مدراء » في لغة الدواوين الرسمية ، وكأنهم لا يعرفون ان الكلمة تجمع جمع تصحيح على « مديرون » . وأغلب الظن أن الذي سهل هذا التجاوز أنهم حملوا « مدير » على « فاعل » التي تجمع على « فعلاء » . وربما لم يبق « مدراء » مكاناً لـ « مديرين » في الاستعمال الجاري في العراق .

(٢) ورد في لغة الصحف استعمال « شُفَاة » جمعاً لـ « شقي » والصحيح أن الكلمة تجمع على « أشقياء » كما هو مشهور معاً ، فاستعمالهم « شُفَاة » من باب الخطأ إذ ليس المفرد « شاقى » كما نقول : غازي غزاة ووزنه « فُعْلَة » .

(٣) ومثل هذا الخطأ الجديد استعمالهم « ثُفَاة » بالتاء المربوطة وهم يريدون بها جمع « ثُفَة » فكان المفرد من ذلك « ثاقى » وهي تحجى في نطقهم بضم التاء .

(٤) ويجمعون « سائح » على « سواح » فكان الكلمة جاءت من فعل أجوف واوي والصحيح أن يقال « سِيَّاح » ويبدو أن الذي جر إلى هذا الخطأ ضمة السين في الكلمة المجموعة « سِيَّاح » على « فُعْئال » .

(٥) ويجمعون « مدينة » على « مدائن » بالهمز ، ومثلها « مصيدة » على « مصائد » بالهمز والصحيح أن تثبت الياء لا الهمزة ذلك أن ما كان فيه الياء أو الواو أصلية لم يجز أن تبدل همزة ، وعلى هذا حملت « معاش » في قراءة نافع على الخطأ في قوله تعالى : « ولقد مكثناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون » (١) . وعن ابن عامر : أنه

همز على التشبيه بصعائف . (١) وقد خرج اللغويون والنحويون قراءة نافع هذه بالهمزة على أن « معيشة » وهي « مفعلة » شبت بـ « فعية » .
وقد جدّ في لفتنا العربية الحاضرة جموع لم تعرف في المأثور من نصوص اللغة ، ولكن البحث يهدي إلى شيء يمكن أن ترد إليه هذه المولدات ومن ذلك استعمالهم « مشاكل » جمعاً لمشكلة و « مهام » جمعاً لمهمة ولم ترد « مفاعل » جمعاً لـ « مفعلة » صيغة اسم الفاعل . وجمع المؤنث السالم يغني عن هذا التجاوز . غير أن كتب النحو تورد قول أبي ذؤيب الهذلي :

وان حديثاً منك لو تبدلنيّه جنى النحل في ألبان عوذ مطافل^(٢)
فالمطافل جمع « مُطفل » وهي ذات طفل وقد جمعت « مطافيل » بالإشباع .
وربما استطعنا حل « المشاكل » على « المصائب » وعلى « المراضع » جمع « المرضعة » كما في قوله تعالى : « وحرمنّا عليه المراضع من قبل » (٣) .
(٦) وقد يعرض لشيء من ألفاظ الجمع خطأ في الشكل فيقولون :
« زخارف » بضم الزاء و « تجارب » بضم الراء أيضاً و « قنابل » بضم الباء وبذلك خرجت هذه الجموع عن الصيغة الصحيحة الفصيحة ، وهي « فعاليل » بكسر اللام ، والذي أراه أن الضمة اجتلبت خطأ من ضمة المفرد فالمفردات هي « زخرف » بضم الزاء و « تجرّبة » بضم الراء على النطق العامي السائر فكأنها ليست مصدر « جرّب » على « تفعلة » .
ومثلها « قنبلة » بضم الباء بمفرد « قنابل » .
(٧) وربما تحول الجمع في هذه العربية الدارجة الى مفرد في الاستعمال .

(١) الزمخشري ، الكشاف ٨٩/٢ (طبعة الاستقامة القاهرة ١٣٦٥) .

(٢) الرضي ، شرح الشافية ١٤٥/٤ .

(٣) الزمخشري ، الكشاف ٣٩٦/٣ .

ومن ذلك استعمالهم «أونة» فكأنها تحولت عن جمع لـ «أوان» وهي لذلك تعقب في الاستعمال أحياناً لفظ «طوراً» أو «حيناً» ولذلك أيضاً خفيت على كثيرين من طلاب الدرس .

(٨) وقد يجمعون «حاجة» على «حاجيات» فيقولون «الحاجيات المنزلية» ولا ندري كيف جيء بهذه الياء .

(٩) وقد تنوهم صيغة الجمع في ألفاظ منها : «أثاث» فيقولون : أثاث فاخرة والصفة تشعر باستعمال الجمع . ودلالة «الأثاث» معروفة فهي تدل على مواد المنزل من ريش ومتاع . وفي كتب اللغة ان الأثاث المال أجمع ، الإبل والغنم والعبيد والمتاع . وقال الفراء : الأثاث لا واحد لها ، كما أن المتاع لا واحد له . وجاءت الكلمة في لغة التنزيل : «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثيتاً» (١) ، وقوله : «ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً» (٢) .

على أن هذا المعنى يثبت للكلمة في صورتها العبرانية יָאֵת . وإذا تتبعنا فرائد العربية وجدنا شيئاً يدلنا على وجود هذه الكلمة في صورة أخرى في مادة عربية وهي «لات» النافية العاملة عمل «ليس» وكأن النحويين قد وقفوا على التاء في «لات» وفطنوا الى ان النافية هي «لا» ثم ركبت مع التاء ، ولكنهم لم يهتدوا الى حقيقة التاء فقد قال جماعة : انها تاء التأنيث ، وقال آخرون : إنها للمبالغة ، وقالوا انها لكليهما (٣) . والذي يرجحه التحقيق ان «لات» هي «لايت» ثم خففت وركبت على نحو ما ركبت «ليس» التي هي «لايس» و«ايس» تعني «وجود»

(١) سريم ٧٤ .

(٢) النحل ٨٠ .

(٣) ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك .

فكان « لا ايس » لاشيء ، ويدل على هذا ان العبرية « ايش » تعني وجود أو قل ان « شيء » مقلوب « ايش » .

ومثل « أثاث » في الأفراد « رفات » ولكن العربية الحديثة حملتها على جمع المؤنث لوجود الألف والتاء . والرفات الحطام من كل شيء تكسر . وفي التنزيل العزيز : « أنذا كنا عظماً ورفاتاً » (١) وقد عرض هذا الخطأ للغة الحديثة فهذا السيد أحمد الصافي النجفي يستعمل الكلمة جمعاً غير مرة في شعره .

(١٠) وقد منعت لغتنا الدارجة الحديثة - ولا سيما ما نسمعه على ألسنة المذيعين في العراق - الصرف عن الجمع على زنة « أفعال » فقد منعوا « ألوان » و « أغراض » وغير ذلك من الصرف وكأنهم حملوا ذلك على « أشياء » وما علموا أن في منع « أشياء » من التنوين كلاماً كثيراً لا نرى حاجة لتعرض له في هذا المكان .

صواب أخرى

يقال الآن : « رجل مجرب » بصيغة امم الفاعل وهو قياس صحيح ، فالرجل المجرب هو الذي عرف الأمور وجربها ، أما المجرب بالفتح فهو من جربته الأمور وأحكمته . والذي نعرفه ان الكلمة في صيغة المفعول هي التي تكلمت بها العرب وجاءت في كلامهم ، ولا بد أن نسجل هنا ان اللغة الحديثة عدلت عن امم المفعول إلى امم الفاعل وذلك لاختلاف النظر إلى الفعل وعلاقة الفعل بالفاعل من حيث الإيجاب والسلب وهذا لون من ألوان التطور اللغوي .

ندب

اللزمت العربية المعاصرة بصيغة « انتدب » في حالة التعدي والفصيح المشهور هو الفعل الثلاثي « ندب » يقال : ندب القوم إلى الأمر يندبهم ندباً ، وندبت فلاناً ولا يقول : انتدبته . أما « انتدب » فهو فعل لازم يقولون : انتدبوا إليه أي أمرعوا ، وانتدب القوم من ذوات أنفسهم أيضاً دون أن يندبوا له .

قال الجوهري في الصحاح : ندبه للأمر فانتدب له أي دعاه له فأجاب وفي الحديث : انتدب الله لمن يخرج في سبيله أي أجابه إلى غفرانه . ويتبين من هذا أن استعمال الفعل « انتدب » بمعنى « ندب » كما في عربيتنا الفصيحة شيء لم تجر به لغة العرب الفصيحة القديمة . ولم يشذ عن أصحاب المعجمات في هذه المادة إلا الفيومي في « المصباح المنير » فقد أثبت أن « انتدب » مثل « ندب » ولم يشير إلى مرجع يؤيده في هذا على غير عادته في ذكر المراجع .

استهتر

والاستهتار الولوع بالشيء والمستهتر بزنة اسم المفعول المولع ، وفي الحديث المستهترون بفتح التاء الثانية المولعون بالذكر والتسبيح ، وجاء في حديث آخر : هم الذين استهتروا بذكر الله أي أولعوا ومنه : ان الله ملائكة مستهترين به . وأريد أن أقف على هذه المادة بصيغتها في البناء للصيغ المولع وبصيغة اسم المفعول لأسجل أن عربيتنا المعاصرة بنت الفعل للمعلوم وينبنى على هذا أن الوصف منه بزنة اسم الفاعل وليس بزنة اسم المفعول ثم إن « المستهتر » في لغتنا الحاضرة الخارج عن القصد والمزيد من العبث واللهو

« فالمستهمير » قديكون المكثّر من شرب الخمر والذي لا يجترم الحدود في عبثه ولهوه . وهذا التحول في المعنى والصيغة لون من ألوان التطور جاءت به عربيتنا الحديثة .

س

السهم النصيب والقِدَح الذي يقارع به . واستهم الرجلان تقارعا . وساهم القوم فسهّمهم سهماً قارعهم فقرعهم ، وأسهم بينهم أي أقرع . هذا هو المعروف في كتب اللغة ، ولكن عربيتنا الحاضرة توسعت وأفادت من الاشتقاق فأخذت من « السهم » بمعنى النصيب « أسهم » أو « ساهم » بمعنى شارك وهذان الفعلان من المولدات الحديثة التي لانجدها في الفصيحة القديمة . وهذا التوليد باب يظهر غني العربية في توليد الألفاظ للأفادة منها في معان جديدة اقتضاها عصرنا الحاضر .

هـ

والهدف : الغرض المنتَضَل فيه بالسهم . والهدف : كل شيء عظيم مرتفع ، وهو كل بناء مرتفع مشرف . هذا هو الذي نصت عليه مطولات اللغة ، والكلمة في عربيتنا الحاضرة من الكلمات التي كتب لها الشيوع واستخدمت استخداماً كثيراً ، ومن أجل هذا توسعت اللغة فيها فأخذت من الامم فعلاً ثلاثياً هو « هَدَفَ » وهذا الفعل يتعدى بحرف الجر « إلى » فهم يقولون : « هذه الحركة تهدف إلى عدة أغراض » وكأنهم يريدون بذلك « تقصد » واشتقاق هذا الفعل واستعماله على هذا النحو شيء جديد لم يثبت في كلام العرب وهو من المولدات التي جدت في لغتنا الحاضرة فقد كانوا يستعملون الرباعي من هذه المادة ، فالإهداف عندهم الدنو والقرب ، وأهدف الشيء دنا وقرب ، ومثله استهدف الشيء أي انتصب .

طمن

وهذا فعل جديد شاع في لغتنا الحاضرة وهو مضعف على « فعل » فيقولون « يطمن الرغبات » أي « يكفي الحاجات ويسد النقص » . وهذا الفعل لا وجود له في العربية الفصيحة القديمة ، وهو مولد على طريقة التضعيف والحزم من « طمأن » (١) والطمأنينة والاطمئنان معروفان .

قره

ومن هذه المادة الفعل « قارن » وقارن الشيء الشيء مقارنةً وقراناً اقترن به وصاحبه . ولغتنا الحاضرة تستعمل الفعل « قارن » في قولهم : « قارن الشيء بالشيء » على نحو غير الذي أثبتته كتب اللغة وهو استعمال جديد . والمقارنة في لغتنا اليوم لا يراد بها الاقتران والمصاحبة وإنما يراد بها « الموازنة » فهم إذا وازنوا بين موضوعين من الموضوعات أحدثوا « المقارنة » بمعناها الجديد . والموازنة هي الكلمة المفتضة في هذا الباب ، فقد عرفنا « الموازنة بين أبي تمام والبحري » للآمدي وهو من الكتب الشهيرة في النقد والبلاغة .

والاستعمال الحديث في موضوع « الأدب المقارن » هو من تحميل مادة « المقارنة » هذا المعنى الجديد ، فالموازنة فيما أسموه بالأدب المقارن حاصلة موضوعاً وتطبيقاً .

(١) لم يرد « طمأن » الرباعي على هذا النحو في معجمات اللغة وإنما ورد مقلوبه « طأمن » كما ورد المزيد « اطمأن » وذهب سيبويه إلى أن « اطمأن » المزيد بالهمزة والتضعيف مقلوب ومعنى ذلك أن الأصل هو « طأمن » وحجة سيبويه أن « طأمن » غير ذي زيادة . ويبدو لي من هنا أن « طأمن » بهذا الشكل جاء من « آمن » ثم زيدت الطاء على هذا النحو الذي لم يمر كثيراً في العربية .

برر

ومن هذه المادة فعل مضمف هو « برّر » على « فعلّل » وهو من الأفعال الشائعة التي حفلت بها لغتنا الحديثة فهم يقولون مثلاً : « الغاية تبرر الوسطة » أي تجوزها وتحققها ، وهذا شيء جديد لم يرد في كتب اللغة .

عوض

والعروض البدل . وهذه الكلمة لا تتبع إلا بحرف الجر « من » فيقال : « عوض من » على أننا لا نقول إلا : « عوض عن » في عربيتنا السائرة الدارجة . ومثل هذا التجاوز في استعمال حروف الجر قد حصل كثيراً في لغتنا الحاضرة بحيث خفي وجه الصواب في أفعال كثيرة وسنعرض لجملة من ذلك .

تكلم

وفي هذه المادة يرد الفعل « تكلم » فيمدونه بحرف الجر « عن » والوجه فيه أن يقال : « تكلم على الشيء » و « الكلام على الشيء » ولا نقول : تكلم عن الشيء كما هو شائع في لغتنا الحاضرة .

جواب

وفي هذه المادة يرد الفعل « أجاب » فيمدونه بحرف الجر « على » والوجه فيه أن يقال : « أجاب عن السؤال » و « الجواب عن السؤال » ولا نقول : أجاب على السؤال كما هو معروف في لغتنا الحاضرة .

ضلع

وفي هذه المادة يرد الفعل « تضلّع » فيمدونه بحرف الجر « الباء » فيقولون : « تضلع بالشيء » والوجه أن يقال : « تضلع من الشيء » و « هو ضليع من الشيء » .

عموم

وفي هذه المادة يرد الفعل (تعمق) وهو من الأفعال التي تتعدى بنفسها في لغتنا الحديثة ، فيقولون (تعمق الشيء) والوجه أن يتعدى بحرف الجر (في) فيقال : (تعمق في الأمر) .

بدل

والفعل من هذه المادة (بدل) مضعف على وزن (فعلل) و (تبدل) و (استبدل) وهذه الأفعال ترد في لغتنا العربية في عصرنا الحاضر وهم يستعملونها على النحو الآتي : (بدل الكتاب بكتاب آخر) و (استبدل الشيء بشيء آخر) وحرف الجر في هذا الاستعمال يباشر ما أخذ عوضاً من الشيء . وهذا الاستعمال لا يجري على ما جاء في لغة التنزيل فقد جاء في قوله تعالى : (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج)^(١) وفي قوله تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب)^(٢) وفي قوله تعالى : (ومن يتبدل الكفر بالإيمان)^(٣) وفي قوله تعالى : (قال أتعبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)^(٤) . على أن هذا الفعل قد يأتي في لغة التنزيل دون أن يتعدى بالحرف : (وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً)^(٥) .

(١) الأحزاب ٥٢ .

(٢) النساء ٢ .

(٣) البقرة ١٠٨ .

(٤) البقرة ٦١ .

(٥) النور ٥٥ .

كفأ

الكفيء : النظير وكذلك الكُفء ، والمصدر الكفاءة بالفتح والمد ، ويقال لا كفاء له أي لا نظير له وهو في الأصل مصدر . ومن الكُفء الكفاءة في النكاح ، وهو أن يكون الزوج مساوياً للمرأة في حبسها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك . وهكذا فإن المعنى الذي تنصرف إليه هذه المادة وهو المساواة حاصل في كثير من المشتقات . غير أن عربيتنا الحاضرة قد عدلت عن هذا المعنى وصار الكفاء فيها هو (الكافي) القدير فيقولون : هو كفء في عمله أي قادر ذو كفاية وكان الصحيح أن يقال : هو كاف في عمله . وعلى هذا فإن (الكفاءة) قد أخذت هذا المعنى المولد الجديد وهو القدرة على الشيء و (فلان ذو كفاءة) يراد به (ذو كفاية) .

والكفاية هي المتطلبة في هذا الاستعمال فقولهم : (رجل كافٍ وكفيء) أي يكفى الأمر ، ويقال : رجل كافيك من رجل .

وأرى أن سبب هذا الوم الذي أدى الى أن يكون (الكُفء) (كافياً) عدم فهم هذه الكلمة حين وردت في كلام الله تعالى في سورة الاخلاص : (ولم يكن له كفؤاً أحد)^(١) فقد وقعت الكلمة منصوبة خبراً لـ (كان) وقد سهلت الهمزة إلى الواو فصارت الكلمة ترمم بالواو خطأً (كفؤ) وقد حُرف معناها إلى معنى (الكافي) الذي أشرنا إليه . ومن الخطأ في الرسم بالواو وانحراف الهمزة عن مكانها على الواو تولدت كلمة جديدة لا وجود لها في مفردات العربية وهي (كفوء) على وزن (فَعُول) للدلالة على معنى القدرة والجدارة فقد قالوا : (فلان كفوء بين أقرانه)

ثم حلا للمتكلمين بهذه اللغة أن يؤنثوا الكلمة فيقولوا : (العناصر الكفوءة) وهكذا فقد ولد الخطأ في الرسم كلمة مولدة جديدة شاعت في كتابات أبناء هذا العصر ولا تعدم أن تجدوها فيما يكتبه المتأدبون .

سبى

نقرأ في لغة الدواوين الرسمية في العراق كلمة ('مسبى') وهي بزنة اسم المفعول المشتق من الرباعي (اسبق) فيقال مثلاً : (وكانت النتائج قد نشرت مسبقاً) والكلمة تستعمل ظرفاً . وإذا نظرنا إلى الفعل الرباعي (اسبق) في كتب اللغة وجدناه في قولهم : (أسبق القوم ' إلى الأمر وتسبقوا بأدروا) . وهذا الاستعمال بعيد عما يستعمل في لغة الدواوين الرسمية في أيامنا .

فنى

يقال : (التفانى في سبيل الوطن) والمراد : بذل النفس في سبيله ، وحقيقة التفانى لاتفيد هذا المعنى الذي شاع في عربيتنا الحاضرة ، فإذا قلنا : (تفانى القوم) فالمراد قتل بعضهم بعضاً .

وعى

وشاع منذ ما يقرب من سنتين مصدر جديد هو (نوعية) على أن فعل هذا المصدر المضعف (وعى) لم يشع بل لم يعرف . وهذا المصدر وفعله من المولد الجديد في عربيتنا الحاضرة . وقد استعملت ، (النوعية) لغرض سياسي فالمراد منها (إيقاظ الجمهور وتنبيهه) نحو الوطنية الجديدة القائمة على الاشتراكية والنظم الاجتماعية الأخرى .

كَنَف

وفي هذه المادة الفعل (تكاتف) وهو مادة جديدة استعملت في العربية الحديثة ، ولا أحسب أنه استعمل في الفصح المأثور من العربية ، وقد دخلت معجمات اللغة من هذا الفعل ، ولكن اللغة الحديثة تفيد من الاشتقاق فتوسع فيه لمعنى من المعاني . ومن المفيد أن نقول : أن علاقة المعنى الجديد للفعل (تكاتف) بالأصل وهو (كَتَفَ) من مفردات (خلق الإنسان) مفهومة معروفة .

ضَمَن

ومن هذه المادة الفعل (تضامن) والمصدر (تضامن) والفعل والمصدر من المواد التي تشيع في لغة الجيل الحاضر بمعنى (الاتحاد) فيقال مثلاً : (إن الأمة بتضامنها تبلغ الآمال) . ومعنى (التضامن) في الفصح المأثور (التكافل) وبعيد ما بين (الاتحاد) و (التكافل) ومادة (ضمن) تعني (كفل) و (الضمين) (الكفيل) . ويبدو من هذا أن (التضامن) بمعنى (الاتحاد) شيء من المولد الجديد الذي جاءت به لغة العصر . وأكبر الظن أن الذي حمل (التضامن) على معنى (الاتحاد) الخلط بين مادتين هما (تضامن) و (تضام) ذلك أن (التضام) مصدر الفعل (تضام) بتشديد الميم ، وأن المصدر (تضام) منوناً يجر إلى الخلط بينه وبين (تضامن) فقد توهمت نون التنوين نوناً أصلية فتولد هذا الخطأ .

اِختِصَّ

يراد بالاختصاصي الاختصاصي أو المختص ، والكلمة تستعمل وصفاً لأصحاب

العلوم والفنون فالطبيب الاختصاصي هو الاختصاصي بمرض معين وكذلك يقال عن أصحاب العلوم الأخرى . ومن المفيد أن نذكر ان (إخصائي) لا يمكن أن تسد سد الاختصاصي ولا يفهم منها ذلك إلا على سبيل شيوخ الخطأ . فليس في مادة (خصص) شيء من هذه الكلمة . وإذا أردنا وجه الصواب فلا بد أن نقول : ان (الاختصاصي) منسوب إلى (الإخصاء) و فرق بعيد بين (الاختصاص) المطلوب لأصحاب العلوم و (الإخصاء) مصدر أخفى يخفى باعتبار الفعل رباعياً وإن كان الثلاثي (خصى) هو الثابت الصحيح والمصدر خَصَاء بالكسر والمد (١) .

رئيسي

والوصف بـ (الرئيسي) معروف كثير في عربيتنا الحاضرة ، يقال : (السبب الرئيسي) و (الغنصر الرئيسي) وغير ذلك . والذي أراه أن الوصف بهذه الصفة المنسوبة غير صحيح ، والوجه أن يقال : (السبب الرئيس) دون نسبة (الرئيس) ولا حاجة هنا إلى أن ينسب الشيء إلى نفسه ، وأكبر الظن أن هذه الصفة المنسوبة هي من بقايا ما ورثته العربية من العصور التركية ، لأنه ليس المراد بهذا الوصف المنسوب كونه خاصاً بـ (الرئيس) ، فليس هو مثل الوصف بـ (الأساسي) المنسوب إلى الأساس . وإنما هو مثل قولهم (السبب المهم) .

حياتي

وتساهل أهل هذا العصر في لغتهم حتى ارتكبوا الخطأ فقد نسبوا إلى (الحياة) قالوا (حياتي) دون النظر إلى أَلِف الحياة وعلامة التأنيث فيها فكيف ينسبون إلى (وطن) ويقولون (وطني) كذلك نسبوا إلى (حياة)

(١) جاء في لسان العرب (أخى الرجل) : تعلم علماً واحداً على سبيل المجاز .
(لجنة المجلة)

فقالوا : (حيائي) وكان (حيوي) ليست نسبة إلى (حياة) وقد بلغ من شيوع الخطأ أن صارت وزارة التربية التي تشرف على صيانة العربية تجعل في منهاج المدارس الابتدائية (العلوم الحياتية) . وربما كان (وحدوي) أخف وطأة من هذا الارتكاب الشنيع .

مصوره

امم المفعول من (صان) وكان هذه الكلمة في لغة الجرائد على وزن (فعول) توهماً على الخطأ ، ومعلوم أن (فعول) يستوي فيها المذكر والمؤنث نحو عجوز وغيره ، ولذا فقد كتبوا في الصحف في الإخبار عن عقد قران مثلاً : جرى يوم أمس عقد قران السيد فلان على الآنسة المصون ١٠٠٠ وقد جر التوهم إلى أخطاء كثيرة ولذلك ينبغي ألا ينصرف الدهن إلى التوهم الذي أحدث مواد لغوية جديدة نحو توهم أصالة الياء في (قيمة) فقالوا في الفعل (قيم) بدلاً من (قوم) ومثله (عيّد) من (عيد) . أما التوهم الذي نبأشره فهو من الأخطاء نحو توهم الياء أصلية في (يحيك) والذي جر إلى هذا (الياء) في المصدر (حياكة) . ومثله الواو في (سواح) بدلاً من (سياح) والعدول عن الياء إلى الواو في هذا الجمع كان بسبب ضمة السين . التي اجتلبت الواو من أجلها خطأً .

وزال

من أفعال الاستمرار ويجيء (لا) قبل (زال) الفعل الماضي يحضها للدعاء كما هو في العربية . قال ذو الرمة :
ألا يا اسمي يا دارمي على البلى ولا زال منهلاً يجرعائك القطر
على أن هذا الدعاء لم تحتفظ به عربيتنا الحاضرة . وإن متأدي عصرنا لا يميزون بين (لا زال) و (ما زال) فيقولون : (لازالت الأنباء تتوارد) .

والانكى من ذلك

وهذا خطأ آخر في استعمال اسم التفضيل ، فالمعلوم ان اسم التفضيل إذا كان محلياً بالالف واللام لا يؤتي بالمفضل عليه مجروراً بن ، فالصحيح أن يقال :

(والانكى والأمر ، والأدهى) دون الإتيان بالمفضل عليه مجروراً بن .
ولا حجة بالشاهد النحوي :

ولست بالأكثر منهم حمى وإنما العزة للكاهن
فقد خرج على أن (من) ليست تفضيلية بل للتبعيض أي : لست من
بينهم بالأكثر حمى .

ومعظم الأسباب تؤكد . . .

هذا باب عود الفعل على المضاف إليه وهو غريب في العربية الفصيحة إلا في شواهد سنعرض لها . أما في العربية المعاصرة فهو استعمال شائع . ولغة اليوم في الصحيفة والاذاعة والمقالة الأدبية تعطي مئات الشواهد على ذلك .

أما في المأثور الفصيح فمنه قوله تعالى : (وكنتم على شفا حفرة من النار . فأنقذكم منها) (١) .

وقال جرير :

رأت مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال
وقال آخر :

وما حب الديار شغفن قلبي

وقال العجاج :

طول الليالي امرعت في نقعي طوين طولي وطوين عرضي

ما دخلت الدار الا ورأيت الطفل يلهمو

هذه جملة صدرت بالنفي ثم جيء بـ (إلا) بعدها وهي متلوة بالواو التي تفيد الحال . وهذه الواو ترد كثيراً في مثل هذه الجملة في لغتنا الحاضرة وربما وجدت في لغة العصر العباسي ولكن لغة التنزيل قد خلت من هذا الاستعمال . جاء في قوله تعالى : (ما تأتيهم آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) ^(١) وفي قوله تعالى : (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) . ^(٢) وفي قوله تعالى : (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) ^(٣) .

الجملة الواقعة في جواب اذا العجائية

هذه الجملة تكون إسمية وهي في لغة هذا العصر تكون مصدرة بـ (باء) زائدة إذا كان المبتدأ ضميراً نحو : (خرجت فإذا به واقف في الباب) ، وقد خلت لغة التنزيل من هذه الباء في مثل هذا الاستعمال . فقد جاء في قوله تعالى : (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) ^(٤) وفي قوله تعالى : (فلئنا هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) ^(٥) .

(١) الانعام ٤ .

(٢) الحجر ١١ .

(٣) الشعراء ٥ .

(٤) الزمر ٦٨ .

(٥) الصافات ١٩ .

اجتماع الشرط والقسم «لئن»

قالوا : ان اللام في «لئن» موطئة للقسم ومعنى ذلك أن الجواب لابد أن يكون للقسم نحو قول الشاعر :

فلئن عفوت لاعفون* جللاً ولئن وهنت لأوهن* عظمي
ثم قال النحويون : وقد جاء قليلاً ترجيح الشرط على القسم عند اجتماعهما وتقدم القسم ، وان لم يتقدم ذو خبر ، ومنه قوله :
لئن منيت* بنا عن غيب معركة لاقلعنا عن دماء القوم ننتقل*
أقول : إن هذا الاستعمال غير قليل وترجيح الشرط على القسم عند اجتماعهما وتقدم القسم وارد منذ عصور العربية الأولى .

قال عمر بن أبي ربيعة :

لئن كان ما حدثت* حقاً فما أرى كمثل الآلى أطريت في الناس أربعا
وفي العصر العباسي نجد أبا تمام في مثل هذا المقام يأتي شعره على نحو
ما أقره النحويون في استعماله «لئن» . قال يمدح محمد بن يوسف الطائي .
لئن عمت بني حواء نفعا لقد خصت بني عبد الحميد
وعلى هذا جرى في جميع قصائده . غير أن البحثري في جميع قصائده
يجعل الجواب في مثل هذا الاستعمال إلى الشرط ، فهو يقول :
لئن صنت شعري عن رجال أعزة فان قوافيه بوصفك أليق
أما في شعر الشريف الرضي فالأسلوبان قد وردا ، فهو يقول :
لئن راب مني ما يريب فأنني على عدواء الدار غير مريب
وقوله :

لئن فارقتهم وبقيت حياً لقد فارقت أيام الشباب
أما شعراء هذا العصر فهم يعملون الجواب في مثل هذا المكان للشرط
ولا عبرة في هذه اللام الموطئة للقسم .

في الاستفهام

يستفهم كثيراً بـ « ما » وبـ « من » من أدوات الاستفهام . وقد يحصل أن يتوسط ضمير الغيبة المنفصل بين اسم الاستفهام والمستفهم عنه فنقول :

« ماهي المسألة ؟ » و « ماهو السبب ؟ » و « من هو المسئول » وهذا الأسلوب شائع كل الشيوع في عربيتنا السائرة ، غير أن الاستقراء لا يؤيد هذا الاستعمال ، والإيجاز الذي هو صفة العربية في بلاغتها يأبى هذا الحشو . قال تعالى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها » (١) وقال تعالى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي » (٢) .

لا ينفي والحالة الراهنة

الواو في هذه الجملة للنعية ومعنى هذا أن الاعم التالى لها منصوب على أنه مفعول معه ، ومثل هذه الجملة كثير غيرها مما يكون فيها الفعل دالاً على المشاركة . وهذه الأفعال لا يمكن أن تأتي بعدها واو للنعية وانما تتمحض هذه الواو الى العطف . واذا صح العطف فلا يمكن عطف اسم ظاهر على ضمير مستتر وانما يجب أن يؤكد هذا الضمير المستتر بضمير منفصل حتى يتم العطف نحو :

(لا يتفق هو والحالة الراهنة) . ولكن الجملة كما أثبتناها في أعلاه شائعة في لغتنا الحاضرة .

وبعد فلهذه جملة مواد أجريت فيها تحقيقات لغوية لأجل شيئا من التاريخ اللغوي وكيف يعرض له التبديل والتطور سلباً وإيجاباً .

الدركتور ابراهيم السامرائي ❖❖❖

(١) البقرة ٦٩

(٢) البقرة ٦٨

الوهراني ورقعته

عن مساجد دمشق

كان عصر نور الدين محمود بن زنكي (المتوفى سنة ٥٦٩ هـ) بداية العصر الذهبي الثاني في تاريخ دمشق . فبعد عصر الأمويين (٤٠ - ١٣٢ هـ) ، لم تشهد هاذه المدينة حقبة أكثر ازدهاراً . ورخاءً ، وأشدّ قوّة ، وأحفل بالأمور الجسام والحوادث الكبار ، من عهد نور الدين والأيوبيين (٥٤٩ - ٦٤٨)^(١) .

في هاذا العصر الذهبي الثاني كانت دمشق قبلة الأنظار تهوي إليها أفئدة الناس من كل حدب وصوب ، من المدن القريبة ، والبلدان القاصية .^(٢) وقد استهوت ألباب المغاربة والأندلسيين خاصة فسارعوا إليها ، وقالوا : « إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لاشك فيها ، وإن كانت في السماء فهي بحيث تسامتها وتحاذيها » ،^(٣) بل أوصوا بقصدها

(١) عن هاذه الحقبة انظر كتابنا « دمشق في القرن السادس الهجري » والمصادر المذكورة فيه .

(٢) انظر مثلاً مقالنا « دار الحديث الروية بدمشق » ، في مجلة التجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٩ ، الجزء الثاني ؛ وجزء من الفوائد للتنقاة عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصبهاني (مخطوط في الظاهرية ، مجموع ٢٨ ، الرسالة الخامسة ، ورقة ٦٠٦) .

(٣) القول لابن جبير ، الرحلة ص ٢٣٥ (طبعة صادر ، بيروت ١٩٥٩) .

والسكنى فيها^(١). فزارها بعضهم زورة قصيرة تبركا بها وبشاهدها ، أو أخذوا
 للعلم عن علمائها . وحلا العيش فيها لآخرين منهم وطاب ، لما وجدوه
 من إنعام ، وإكرام ، وترحاب ، فأقاموا بها ، واتخذوها وطناً . (٢)
 فمن هؤلاء المغاربة الذين رحلوا الى دمشق وأقاموا فيها محمد بن
 محرز بن محمد الوهراني^(٣) . كان أديباً صنعته الإنشاء . أقدم من
 ترجم له هو القاضي ابن خلكان قال عنه إنه « أحد الفضلاء الظرفاء ،
 قدم من بلاده الى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين — وفنائه
 الذي يمت به صناعة الإنشاء . فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل
 وعماذ الدين الاصماني الكاتب وتلك الحلبة علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم ،
 ولا تنفق سلعته مع وجودهم ، فعدل عن طريق الجدد ، وسلك
 طريق الهزل ... » (٤) .

فيُفهم من قوله أن الوهراني عدل عن طريق الجدد بعد أن لقي العماد
 والفاضل عند صلاح الدين بمصر .

وهذا الكلام يحتاج الى تصحيح . فسلوك الوهراني طريق الهزل كان
 قبل أن يصبح صلاح الدين سلطاناً . لأنه كتب كثيراً من مقاماته الهزلية
 ورسائله في أيام نور الدين بدمشق كما سنرى . ولم يجتمع العماد والفاضل
 بمصر إلا بعد موت نور الدين .

(١) ابن جبير يقول : « فن شاء الفلاح من نشأة مفرنا فليرحل إل هاذه البلاد »
 الرحلة ، ص ٢٥٨ .

(٢) لزيادة التفصيل انظر كتابنا « دمشق في نظر المغاربة والاندلسيين » .

(٣) وهران بلدة معروفة في المغرب الأوسط (الجزائر اليوم) .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ٤ : ١٩ (طبعة محيي الدين عبد الحميد) : وقد
 تابع ابن خلكان على ما قال كل من ترجم بهذه الوهراني .

ثم إن مجيئه من بلاده الى الشرق لم يكن في أيام صلاح الدين ، بل كان أيام نور الدين . وقد وصفه في إحدى رسائله عندما سئل عنه وهو في بغداد ، فقال عنه « سهر للدولة سديد ، وركن للخلافة شديد ، وأمير زاهد ، وملك مجاهد ، تساعد الأفلاك وتخدمه الجيوش والأملاك . » (١) وعجيب أن يخطيء ابن خلّكان مثل هذا الخطأ ، والأمر واضح ، على تتبعه وشدة تحرّيه . وقد تبعه فيه الصفدي في « الوافي » (٢) فقال : « قدم من المغرب الى مصر وهو يدّعي الانشاء قرأى الفاضل والعماد ... » والذي عرفناه عن سيرته ، بعد مطالعة آثاره المخطوطة ، خاصة أنه زار دمشق في أيام نور الدين واتصل به (٣) . وأنه مرّ بصقلية ، وزار بغداد . ثم اتخذ دمشق داراً واستوطنها . وكان نور الدين شديد العطف على المغاربة ، فوجّهت اليه خطابة مسجد داريتاً . فبقي فيها . وقد زار مصر . ونرجّح أنه زارها بعد وفاة نور الدين . وعاد الى دمشق ، وبقي في داريتاً حتى توفي سنة ٥٧٥ هـ ، أيام صلاح الدين . ودُفن على باب تربة أبي سليمان الداراني (٤) . وله رسالتان كتبها الى صلاح الدين « يتوقع نظرة من سعوده ، أو درّة من نجار وعوده » (٥) .

(١) الوهراني ، جليس كل ظريف (مخطوطة جامعة برنستون ، ورقة ٤٤ آ) ؛ وأبو شامة الروضتين ٨٤/٢ هـ (ط حلي) .

(٢) الصفدي ، الوافي بالوفيات ٤ : ٣٨٦ (تحقيق ديدرنغ) ؛ وانظر أيضاً مثل هذا القول عند الزركلي في الأعلام ٢٤١/٧ ، وكحالة في معجم المؤلفين ١٧٤/١١ .

(٣) يذكر الوهراني في « منامه » الكبير حادثة وقعت في دمشق لأحد من بذكرهم ، في دار الفؤارة بجبرون ، في شهر سنة ٥٥٣ هـ .

(٤) ابن خلدون ، المصدر السابق . وعن داريا وأبي سليمان أرجع الى تاريخ داريا للخولاني .

(٥) جليس كل ظريف ، ورقة ٢٢٢ - ب .

استطاع الوهراني أن يجذب القلوب اليه . فقد كان « ظريفاً خفيف الروح » ، وكان بارعاً في الهزل والسخرية . فكتب « سخريته » وتمككه على كبار علماء دمشق وفقهائها وأطبائها وكُتّابها كالناج الكندي ، والمهذب ابن النقاش ، والقاضي الفاضل ، والقاضي ضياء الدين الشهرزوري ، والقاضي ابن أبي عصرون ، وغيرهم . ولم يسلم من لسانه وقلعه علماء مصر ورجالها أيضاً ، كالخبوشاني ، وابن ممتي . فألف رسائل هزلية مختلفة . وابتدع فن المغامات الأدبية . وقد شُهر « منامه » الكبير « الذي سلك فيه مسلك أبي العلاء في رسالة الغفران » (١) ، و « جمع فيه أنواعاً من المزاح والأدب » (٢) . فتخيّل أنه رأى في المنام كأن القيامة قامت . ومنادياً يُنادي : هلموا الى العرض على الله . فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر . فلقي هناك كثيرين ممن عاصره وعرفه ، أو مات قبل . فسخر منهم جميعاً وذكر ما حوسبوا عليه . وقد جمع في كتابه « جليس كل ظريف » الكثير من رسائله ومناماته وفصوله الهزلية . (٣)

والذي يطالع آثار الوهراني هاذة تبدو له براعته في التهكم والتصوير الهزلي . كان لا يتورع عن السخرية بنفسه . متخيلاً ما يقوله أعداؤه عنه . وصف القاضي الفاضل فقال : « فلم أشعر إلاّ والحائط قد انشق » ، وخرج منه شخص « عجيب الصورة » ، ليس له رأس ولا رقبه ، وإنما وجهه في صدره ، ولحيته في بطنه » (٤) ووصف مجلساً ضمّ القاضي الشهرزوري ،

(١) الصفدي ، المصدر السابق ، ص ٣٨٧ وقال : « لكنه أطف مقصداً وأعذب عبارة » .

(٢) الذهبي ، المعبر في خبر من غير (بالعين المعجمة) ٢٢٦/٤ (تحقيقنا) .

(٣) وفي دار الكتب المصرية مجموعة من رسائله أيضاً . انظر فهرس دار الكتب ١٦٢/٣ : وبروكلمن ، الذيل الأول ص ٤٨٩ .

(٤) من رسائله الى مجد الدين ابن الطيّب . وتصوير الوهراني هذا أبرع من هجاء ابن عنين للقاضي الفاضل وسخريته بمجده .

وابن النقّاش ، وابن العميد ، جرى فيه حديث المغاربة الذين يأتون من الغرب الى الشام ، ومنهم هو نفسه فقال :

« فيقول ابن العميد : ضيّعتم الوقت في حديث الوهراني ، والله إن مُلِك المغرب نحس . ما جاءنا قطّ منهم إلاّ حارس كرم ، أو ناطور بستان [مع] الركوة والتاسومة ، وهذا الوهراني من بينهم ، شهد الله ، أثقل على القلوب من الغدّة الخارجة في الحلق ، وأوحش من الورم النافر في الأوداج . فيندفع حينئذ ابن النقّاش بفلسفته فيقول : اللهم العن الوهراني من الجهات الست ، اللهم العن ما يقابل الوهراني من الأوج الى الخفيض . اللهم العن الهيمولي التي شاركت العناصر في تكوينه . والله ما أعرف في مقعر فلك القمر ، ولا على محدودب هاذة الكرة الترابيّة شرّاً من ذلك الخبيث »

« فيقول أبوالمعالى ابن العميد بفصاحته : بالله عليكم اقصروا واقتصروا ... ما للوهراني عرض يُثلم ، ولا مجد يُهدّم . وهو دون كل ما ترموه (كذا) به ، وإن اشغالكم الوقت بحديثه يُضيع الزمان ، فإنه لا يصلح إلاّ لحل المشعل ، أو لنظارة القنّيط . والمصيبة أنه مع هاذا يتتمكّن ويتمشعر ، ويعمل أشياء تشبه جوف لحيمته . . . »

« ثم يشرع يحلو محاسن نفسه ، ويظهر فضيلته التي تقدّم بها على الأقران فيقول : يا غلام ! اغسل حلق القوم من ذكر الوهراني بشيء من الكمثرى : العميلاني ، والسكّري ، والعشّاني ، والسمرقندي ، والخلاتي ، والعزّي ، والبيطارى ، والدينوّري ، والبردي ، والديجوري ، والخنافسى ، والمحدوني ، والصفلاي ، والمعنقى ، والملكي ، والذهبي ، والرحني ، ومثي من التفاح : البطيحي ، والبديدى (كذا) ، والبربري ، والنبطي ، والصيفي ، والخشخاشي ، والفصقي ، والحلواني ، والجنّابي ،

والقحايي ، والهامي ، والفتحي ، والحديثي ، والقبتيامي ، واللبناني . . . (١)
 « .. ثم يقوموا (كذا) في هذا الوادي من الحديث ، فيشتغلوا (كذا)
 عن ذكر وهران » .

« هذا إن صدق ظن الخادم وتخيّله ، فالأمر يجري على هاذي الصورة » (٢).
 وكتب الى رجل اسمه قسيم الأعور رسالة ، كلها سخرية ، خاطبه فيها بقوله:
 « يا مولاي الشيخ الزاهد ادبوس الإسلام ، لت الشريعة ، قنطارية
 العلماء ، باقوروت (كذا) الائمة ، طبل باز السنة ، نصر الله خاطرك ... » (٣)
 ووصف بعض ألقاظ قصيدة قالها التاج الكند ، في رسالة كتبها
 اليه ، فقال :

« ... ألا ترى أنها لا ينطق بها اللسان حتى ينخلع منها الفك » ، مع
 ما فيها من التدقّص (كذا) ، والرقاعة المعجونة بالتبظرم ، ولأجل ذلك
 جاوبتها الألسن بأنواع من الض ... (٤) .

وهاكذا نرى من النصوص التي سقناها أن الوهراني كان « صاحب
 دعابة ومزاح » على حد قول الذهبي ، وأنه « ما سلم من شر » لسانه أحد

(١) هذا التعداد لأصناف التفاح والكمثرى ذو شأن كبير لمعرفة ما كان يوجد منها
 في دمشق أيام الأيوبيين . وما زال بعض هذه الأصناف موجوداً حتى يومنا . وقد
 تعددنا نقل النص لمعرفة وفي معجم الألقاظ الزراعية أن شجر الكمثرى اسمه
 Poirier بالفرنسية وهو الصحيح . وهذا مدلول الكمثرى في مصر أما في الشام
 فيسمونه إجاباً على حين أن الإجاب في اللغة هو ال Prunier بالفرنسية والبرقوق
 في مصر .

(٢) جليس كل ظريف ، ورقة ٣٣٣ - ٣٥ ب ، من رسالته إلى الأمير شمس الدين
 ابن الوزير البعلبكي .

(٣) جليس كل أنيس ، ورقة ٣٧ ب ، والأسماء المذكورة كلها أسماء لضروب السلاح .

(٤) المصدر السابق ، ورقة ١٧ ب .

من عاصره » ، على قول الصفدي . وأنه كان كاتباً في الهزل والسخرية
 والتهكم ، مقبول الكلام خفيف الروح ، على ما عنده من لدغ وحادثة .
 وهو ثاني اثنين سلّطهما الله على أهل دمشق أيام الأيوبيين : ابن عُسَيْن في
 « مقرّاض الأعراض » شعراً ، وهو في « رسائله » و « منامه » نثراً .
 ونعتقد أن السبب الذي دعاه الى اتباع هذا الطريق هو طلب المال .
 فقد كان يسعى إلى جمعه . يحدثنا هو عن نفسه فيقول :

لما قَعَدَرَتْ مَآرِبِي ، واضطربت مغاربي ، أَلْقَيْتُ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي ،
 وجعلتُ مذهبات الشعر بضاعي ... فما مررتُ بِأَمِيرٍ إِلَّا حَكَلْتُ سَاحَتِهِ ،
 واستمطرتُ راحته ، ولا بوزيرٍ إِلَّا قَرَعْتُ بَابَهُ وَطَلَبْتُ ثَوَابَهُ ، ولا بقاضٍ
 إِلَّا أَخَذْتُ سَيْبَهُ ، وَأَفْرَعْتُ جَيْبَيْتَهُ ... « (١) .

فهو يستمطر راحة الأمراء ، ويطلب ثواب الوزراء ، ويُفْرِغُ
 جيوب القضاة .

ولم يغمز الوهراني نور الدين إلا لأنه كان لا يُعْطِي الأديباء والشعراء
 الأموال . فقد قال عنه : « عُرِفَ بِالْحُلِّ الجديب للشاعر الأديب . فما
 يُرْزَى وَلَا يُعْزَى ، ولا لشاعر عنده من نعمة تُجْزَى » (٢) .

وكيف كان أمر الوهراني فيما ابتغاه من سخريته ، فإنه يكاد يكون
 نسيج وحده في أدبنا العربي ، فيما كتب . وهو جدير بدراسات واسعة
 تُكْتَبُ عنه . وآثاره المخطوطة ينبغي أن تُنشر .

(١) جليس كل ظريف ، ورقة ١ ب .

(٢) انظر الروضتين ٨٤/٢ (نشرة محمد حلمي) وقد أخطأ المحقق في ضبط اسم
 الوهراني ، فجعله يحيى بن محمد !

- ٢ -

أما الرقعة التي نشرها ، والتي مهدنا لها بما ذكرناه ، فهي من مضمونات كتابه « جليس كل ظريف » . وهو كتاب فادر حلو وجدناه في مجموعة يهودا المخطوطة ، بجامعة برنستن بالولايات المتحدة الأميركية ، وهو محفوظ فيها (برقم 665 ah. ١ /) . ولم يعرف بروكلمن هذه المخطوطة .

وقد رأينا نشر هذه الرقعة لأنها من النصوص المتعلقة بتاريخ مدينتنا دمشق ، وخاصةً بتاريخ مساجدها . وخلاصتها أن مساجد دمشق والضياع التي من حولها أصابها في زمن نور الدين الخراب والضياع . فاجتمعت هاذم المساجد ، ولجأت الى أميرها وسيدها جامع بني أمية . وكتب لها جامع النيرب قصة قدّموها اليه . ذكر فيها ما تلقاه المساجد من جور العمال ، ونهب الوقوف ، وخراب الحيطان والسقوف . ثم تكلم جامع المزة ، ثم مشهد برزة . فلما استمع مسجد دمشق الى الكلام أشار أن يكتبوا شكواهم الى قاضي القضاة أبي سعد بن عصرون . فقرأها وكتب على ظهرها هجاء لمسجد دمشق . فنضب المسجد ، ورفع شكواهم مع شكواه الى الملك الزاهد نور الدين . فلما وقف نور الدين على ماكتبوا اهتم فأصلح أحوال المساجد . وعزل ابن عصرون .

هاذه خلاصة الرقعة . ومن الممكن أن يكون الوهراني قد كتبها لعله بحالة المساجد يومئذ ، وقد كان - كما مرّ بك - خطيباً في مسجد دارينا . ولعله كتبها ودسّها الى نور الدين نفسه ، فكانت بعهدها عنايته بإصلاح المساجد وتطعيمها بما ذكر أخباره أبو شامة وابن كثير وابن واصل ، وسبط ابن الجوزي ، وابن قاضي شعبة ، وغيرهم فقد تقدّم بإحصاء ما في محال دمشق من المساجد الخراب فأناف على مئة مسجد ، فأمر بعمارة

ذلك كله . وعين له وقفاً . (١) ورأى جامع دمشق دائراً فأتى بالقاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصلي فولاه قضاء قضاء دمشق ، وولاه نظر الجامع فأصلح أموره . وكذلك وقف نور الدين عليه أوقافاً لتنطيمه . وذكر العماد الاصبهاني أنه عمر في سنة ٥٦٥ هـ جامع داريتا ، ومشهد أبي سليمان الداراني (٢) ، الى غير ذلك ، مما يدل على سوء حالة المساجد وصدق ما في الرقعة .

وتشير الرقعة أيضاً الى أن نور الدين عزل ابن عصرون بسبب إهماله المساجد . وابن عصرون هاذا هو شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد ابن أبي عصرون الموصلي المتوفى سنة ٥٨٥ هـ . قدم الى دمشق لما فتحتها نور الدين سنة ٥٤٩ هـ فدرّس بالقرائية وولي أوقاف المساجد ثم سافر الى حلب ، ثم عاد الى دمشق بعد وفاة نور الدين ، سنة ٥٧٥ هـ . وهو الذي قنسب اليه المدرستان العسرونيّتان بدمشق وحلب . (٣)

ولم يذكر ابن خلكان ، ولا ابن كثير ، ولا ابن العماد صاحب الشذرات ، سبب تركه نظر أوقاف المساجد ، وهذه الرقعة تفيدنا في معرفة السبب .

وها هوذا نصّ الرقعة :

(١) ابن واصل ، مفرّج الكرب ٢٨١/١ : أبو شامة ، الروضتين ١١/١ : سبط ابن الجوزي ، سماء الزمان ٣١٢/٨ : البدر ابن فاضي شعبة الكواكب الدرية (مخطوط) .

(٢) ابن كثير ، البداية ٢٦١/١٢ : النسيبي ، الدارس ٤٣٢/٢ . الأول نقل عن العماد ، والثاني نقل عن البدر ابن فاضي شعبة .

(٣) ابن خلكان ، وفيات ٢٥٦/٢ (ط . محيي الدين عبد الحميد) : وانظر الدارس ٣٩٨/١ .

نسخة الرقعة التي رفعها المساجد

الى جامع دمشق

لما تحكمت يدُ الضياع في مساجد الضياع ، وأرتج بابُ العدلِ وأغلق ، ونُبذَ كتابُ الله وَخَلَقَ ، فزعت المساجدُ إلى جامعِ جَلَقَ ، وهو يومئذ أميرُها ، عليه مدارُ أمورِها . فلما وصلوا إلى بابهِ ، واجتمعوا تحت قَبْتِهِ ومحرابه ، كتب لهم جامعُ النِّيَرَبِ قِصَّةً إليه ، وتوصلوا إلى مَنْ عَرَضَها عليه . فكانت الرقعةُ مسطورةً على هاذِهِ الصورة ^(١) .

«الممالكُ مساجدُ الكورة يُقَبَّلون الأرضَ بين يدي المَلِكِ المعظمِ ، البديعِ الرفيعِ المكرمِ ، كهفِ الدينِ ، جمالِ الاسلامِ والمسلمينِ ، بيتِ الأتقياءِ والصالحينِ ، مدفنِ الأنبياءِ والمرسلينِ ، مَعْبَدِ المِلَّتَيْنِ ، صاحبِ الدولتينِ ، بُنْيَةِ أميرِ المؤمنينِ ، أعلا الله منارَه ، وأيدِ أنصارَه ، وعَمَرَ بالتوحيدِ أقطارَه .

(١) انظر جليس كل ظريف ، ورقة ٥ ب - ٧ ب .

« وَيُنْهَوْنَ إِلَيْهِ مَا يُقَاسُونَهُ مِنْ جَوْرِ الْعُمَالِ ، وَتَضْيَعِ
الْأَعْمَالِ ، وَنَهَبِ الْوُقُوفِ ، وَخَرَابِ الْحَيَاطَانِ وَالسَّقُوفِ .
قَدْ أَلْفَهُمُ الظُّلْمُ وَالظَّلَامُ ، وَأَنْكَرَهُمُ الْمُؤَذِّنُ وَالْإِمَامُ ،
فَلَا يُسْمَعُ فِيهِمْ إِلَّا أَذَانُ الْبُومِ ، وَتَسْبِيحُ الْغُيُومِ . قَدْ
رَكَعَتْ أَرْكَائُهَا ، وَسَجَدَتْ سَقُوفُهَا وَحَيْطَانُهَا ، تَبْكِي عَلَيْهَا
النَّوَاقِسُ ، وَتَرْتِي لَهَا الْبَيْعُ وَالْكَنَائِسُ .

« يَا وَنِجَ مَنْ يَرِثِي لَهُ الشَّامَتُ »

وَقَدْ قَزَعْنَا ، أَتَيْهَا الْمَلِكُ ، إِلَى بَابِكَ ، وَأَوَيْنَا تَحْتَ جَنَابِكَ ،
فَافْعَلْ بِنَا مَا هُوَ أَوْلَى بِكَ .

وَالسَّلَامُ . »

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى هَذِهِ الْحِكَايَةِ ، وَفَهُمْ مُقْتَضَى الْكِنَايَةِ ،
اسْتَوَى جَالِساً فِي مَقْعَدِهِ ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِهِ ، وَقَالَ :
كَيْفَ وَأَنْتِي ، أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَغَنَّى :
« وَمَا شَرِبَ الْعُشَّاقُ إِلَّا بِقِيَّتِي »

وَلَا وَرَدُوا فِي الْحُبِّ إِلَّا عَلَى وَرْدِي »

ثُمَّ أَشْرَفَ عَلَى إِيْوَانِهِ ، بَيْنَ حَفْدَتِهِ وَأَعْوَانِهِ ، وَأَقْبَلَ يُقَلِّبُ

طَرَفَه في الجموع ، ويكفكف انسراب الدموع ، لما يرى من
اخلاهم ، وفسادِ أحوالهم .

فابتدر جامع المزة للمقال ، فتقدّم بين يديّ الملك وقال :
« الحمد لله الذي قضى علينا بالخراب ، وصير أموالنا كالسراب ،
وجعلنا مأوىً للبوم والغراب .

« أَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ كَانَ فَقِيْرًا ثُمَّ اسْتَغْنَى ، وَأَدْرَكَ بِمَالِ
الْوَقْفِ مَا تَمَنَّى . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَنَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ ، شَهَادَةَ عَالِمٍ عَامِلٍ ، مَتَحَمِّلٍ لثَقْلِ الْأَمَانَةِ حَامِلٍ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، الصَّادِقُ الْأَمِينُ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، الطَّيِّبِينَ الْأَكْرَمِينَ .

« أَمَا بَعْدُ أَثِيهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَ أَرْكَانِكَ ،
وَشَيَّدَ مَا وَهَى مِنْ بَنِيَانِكَ ، فَإِنَّ الْخَرَابَ قَدْ اسْتَوْلَى عَلَى الْمَسَاجِدِ ،
حَتَّى خَلَّتْ مِنَ الرَّكَعِ وَالسَّاجِدِ ، وَأَصْبَحَتْ جَوَامِعُ الْغَوْطَةِ
غِيْطَانًا ، لَا سَقُوفَ لَهَا وَلَا حِيْطَانًا . وَمَشَاهِدُ الْبَقَاعِ (١) ، صَفْصَفًا
كَالْقَاعِ ، وَمَسَاجِدُ حُورَانَ وَمَخَازِنَ وَأَفْرَانَ ، فَكَمْ بُنِيَّةٌ لَعِبَ

(١) يشير الى البقاع العزيزي ، في لبنان اليوم .

الجوزُ بأربابها ، ونَسَجَ العنكبوتُ على بابها ، وكم بيوت لله
 غلّقت دون أصحابها ، فَعَشَعَشَ الحمامُ في محرابها . ﴿١﴾ وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي
 خَرَابِهَا ﴿٢﴾ . وقد دُخِلَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَلَى الْوُقُوفِ ، بِحِجَّةِ الْعِمَارَةِ
 وَالسَّقُوفِ . فَاتَّفَقَتْ عَلَيْنَا الْأَهْوَاءُ ، وَاخْتَلَفَتْ فِينَا الْأَمْطَارُ
 وَالْأَنْوَاءُ ، فَلَا يَزَالُ الْمَسْجِدُ يَنْهَارُ ، وَتَأْخُذُهُ السَّيُولُ وَالْأَنْهَارُ ،
 حَتَّى يُمَحَى رَسْمُهُ ، وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ . وَأَنْتَ ،
 أَيُّهَا الْمَلِكُ ، عِمَادُنَا ، وَالْيَكُ بَعْدَ اللَّهِ مَعَادُنَا ، فَالْتَفَتْ إِلَى حَالِنَا ،
 وَأَنْظَرْ فِي صَلَاحِ مَالِنَا ، يُصْلِحِ اللَّهُ أَحْوَالَكَ ، وَيُسَدِّدْ فِي الْخَيْرِ
 أَقْوَالَكَ وَأَفْعَالَكَ . وَالسَّلَامُ . »

ثم جلس .

فقال الملك : هاؤلاء المساجد ، فما بال المشاهد ؟
 فبرزَ مشهدُ بَرْزَةِ مُتَوَكِّئًا عَلَى مَسْجِدِ الْأَرْزَةِ ، وَهُوَ يُصَلِّصُ
 وَيَصُولُ ، وَيَلْطِمُ وَجْهَهُ وَيَقُولُ :

(١) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١١٤ .

« كلما حاولتُ أشكو قصتي

لا ألاقى غيرَ ذي قلبٍ جريح

يتشكى مثلَ شكواي له

يا لقومي ما عليها مستريح ! »

« أما بعدُ ، أيها الملك السعيد ، أدام الله جمالك ، وبلغك في

العدو آمالك ، فإن مقام إبراهيم أصبح في كل وادٍ يهيم ،

ومغارة الدم ، لا تستفيق من الذم ، ومسجد الكهف ، لا يفتقر

من اللهب ، وقبر شيث ، قد استأصله الخيث . وقبر نوح ،

يبكي وينوح ، وقبر جيلة مالنا فيه حيلة ، وقبر الياس تعوضنا

عنه بالياس . وأمسّت المشاهدُ كأربابها ، وأصبحت رسماً

كأصحابها . قد محتها العوادي ، وحدا بها الحادي :

« جرت الرياحُ على رسومِ ديارهم

فكأنما كانوا على ميعادٍ »

فقال الملكُ : رُبَّ طارقٍ على غير وعد ، وفي كل وادٍ

بنو سعد .

ثم تنحنح عجباً ، وحرّك رأسه طرباً ، واستفتح المقال بأن قال :

« الحمد لله الذي لا يحمده على المكروه سواء . نصّب العدل
وسواه ، وأمدّه بعونه وقوّاه . فمن أضلّ ممن اتّبع هواه
﴿ وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل
على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ﴾ ^(١) .

« أحمدّه على ما رزقني من الاحتمال ، وأشكره على ذهاب
العرض والجاء والمال . وأشهد أن لا إله إلا الله ، ونحوه لاشريك
له ، شهادة من أعطى الأمانة حقّها ومُستحقّها ، وأنّ محمداً
سيدّ الأوّلين والآخرين رسولُ الله .

« أما بعد ، يا معشر المتكلّمين ، وطائفة المساجد المتظلمين ،
فإنّه والله ما يصل اليكم من الجور إلّا ما يفضّل عني ، ولا ينتهي
اليكم إلّا ما يُستعار مني . ولولا أن أركاني سليمة ، وبُنيتي
قديمة ، لأصبح جامع بني أميّة ، يغني : يا دار ميّة .

« وقد والله شرّقتُ بغصّتكم ، وحِرتُ في قصّتكم ، إن
رفعتُ أمركم إلى الملكِ العادل ^(٢) ، ردّكم إلى الشيخ العالم

(١) اقتباس من سورة الجاثية ، ٤٥ ، الآية ٢٣ .

(٢) يعني نور الدين .

العامل^(١)، فلا يرعى لكم حرمة، ولا يراقب فيكم إلا ولا ذمة،
«شكوى الجريح إلى الغربان والرخم»

والرأي عندي أن تكتبوا للشيخ قصة، ولا تتركوا في صدوركم
غصة، وأن تجعلوا في الكتاب أنواعاً من العتاب، فإن التأم
رأيه برأيكم، وإلا فالسلطان من ورائكم.

«أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.»
فنادوا بالغلام، فأتى بالدواة والأقلام، فقال: استعذ بالله
من الشيطان الرجيم، واكتب: بسم الله الرحمن الرحيم.
«من ملك الجوامع بجيرون إلى أبي سعد بن عمرو^(٢)
«لقد أسمعته لو ناديت حياً

ولاكن لا حياة لمن مُتادي»

«أما بعد يا غدار، فقد هيجت الألم، وأبهمت الظلم،
ومن استرعى الذيب فقد ظلم. طالما تغاضينا عن خياناتك،
حتى اكتنزت الأموال وأدخرتها، وجمعت الذخاير واعتزلتها.

(١) يعني ابن أبي عمرو.

(٢) كذا مشكولة في الأصل بضم العين.

أَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَتْ سِيَاحَتُكَ ، وَبَسْبِيهِ كَانَتْ نِيَاحَتُكَ ؟
وَلَا أَجْلَهُ كُنْتَ تَسِيحُ وَتَصِيحُ ؟ حَتَّى غَبَطَكَ الْمَسِيحُ . لَقَدْ
عَجِبْتُ أَثْيَا الشَّيْخُ مِنْ مَحَالِكَ ، فِي ابْتِدَاءِ حَالِكَ ، وَمِنْ
فَسَادِ أَمْرِكَ عِنْدَ آخِرِ عُمُرِكَ ، صَلَّيْتَ بِالمَسُوحِ وَالْقَيْدِ ،
حَتَّى ظَفَرْتَ بِأَنْوَاعِ الصَّيْدِ ، وَتَقَلَّدْتَ بِالقُرُونِ وَالْعِظَامِ حَتَّى
تَقَلَّدْتَ الذُّبُوبَ ^(١) الْعِظَامِ . إِنْ كُنْتَ فِي هَذَا الْعَمَلِ ، إِلَّا كَمَا
قِيلَ فِي الْمَثَلِ :

« صَلَّى وَصَامَ لَا مَرٍ كَانَ يَأْمَلُهُ »

حَتَّى حَوَاهُ ، فَمَا صَلَّيْ وَلَا صَامَا »

« فَعَرَّفَنِي ، أَثْيَا الشَّيْخُ الْمُفْتُونَ ، وَالبَايَعِ الْمُغْبُونِ ، لِمَ بَعَثَ
الْبَاقِيَةَ بِالْفَانِيَةِ ، وَالْقَاصِيَةَ بِالدَّانِيَةِ ؟ »

إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ إِلَّا لَعَلَّةً ، أَوْ لِتَحْقِيقِ مَلَّةً ، إِمَّا أَنْ تَكُونَ
اسْتَطَبَّتَ السَّكْبَاجَ ، وَاسْتَلَمْتَ الدِّيْبَاجَ ، وَإِمَّا أَنْ نَصَدَّقَ أَهْلَ
الْإِحْقَادِ ، فِي أَنَّكَ نَصَيْرِيٌّ فِي الْإِعْتِقَادِ . لَا تَقُولُ بِالنَّجْعَةِ ،
وَلَا تَصَدِّقُ بِالرَّجْعَةِ . وَكِلَاهُمَا أَنْتَ فِيهِ مَلُومٌ ، وَمُعَاقَبٌ

(١) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ : خ « الْأُمُور » .

وَمَذْمُومٌ . وَحَسْبُكَ قَدْ بَلَغَنِي مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ قِلَّةِ الْوَفَا ، مَعَ هَؤُلَاءِ
الضَّعْفَا . فَأَحْسَمُ عَنْهُمْ أَذَاهُمْ ، وَلَا تُمَكِّنْ مِنْهُمْ أَعْدَاهُمْ . وَالسَّلَامُ » .
فَلَمَّا وَصَلَتِ الرِّقْعَةُ إِلَيْهِ ، وَقَرَأَ مَا قَدْ انْطَوَتْ عَلَيْهِ ،
﴿ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ .
ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ ^(١) وَشَتَمَ الْمَسَاجِدَ
وَبَانِيهَا ، وَلَعَنَ الْمَشَاهِدَ وَقَانِيهَا ، وَقَلَبَ الرِّقْعَةَ وَكَتَبَ فِيهَا :
وَصَلَتْ رَفَعْتُكَ ، أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، كَأَنَّهَا ضَرْبَةُ مَوْتُورٍ ،
أَوْ نَفْثَةُ مَصْدُورٍ ، تَخْلُطُ فِيهَا الْهَزْلُ بِالْجِدِّ ، وَتُبْنَدِي غَيْظُ
الْإِسِيرِ عَلَى الْقِدِّ . وَأَنِيمَ اللَّهُ ، لَقَدْ فَرَّقْتَ بَرِيًّا وَقَذَفْتَ
سَرِيًّا ، وَجِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا . فَاشْدُدْ مِنْ عِقَالِكَ ، وَتَأَيَّدْ فِي
مَقَالِكَ ، فَمَا كُلُّ شَخْصٍ يُدْخِمُ شَكْلَهُ ، وَلَا كُلُّ طَائِفٍ يَحْجُزُ
أَكْلَهُ ، وَمَا كُلُّ بَيْضَةٍ شَحْمَةٌ ، وَلَا كُلُّ سُودَاءٍ فَحْمَةٌ . وَلَوْ
كَانَ لَكَ عَقْلٌ يَهْدِيكَ ، لَوَارَيْتَ أُوَارَكَ ، وَلَسْتَرْتَ عُوَارَكَ .
أَلَيْسَ قَدْ اشْتَهَرَ عِنْدَ الدَّانِي وَالْقَاصِي ، بِأَنَّكَ قُطْبُ الْمَعَاصِي ؟
حَتَّى لِقَبُوكَ : بِسُوقِ الْفُسُوقِ ، وَمِيدَانِ الْمُرْدَانِ ، وَرِحَابِ
الْقِحَابِ ، وَحَتَّى قَالَ فِيكَ الشَّاعِرُ :

(١) اقتباس من سورة المدثر ، ٧٥ ، الآيات ١٨ - ٢٢ .

« تَجَنَّبْ دَمَشَقَ وَلَا تَأْتِهَا
وَلِإِنْ رَأَيْتَ الْجَامِعَ الْجَامِعُ
فَسُوقُ الْفُسُوقِ بِهِ قَائِمٌ
وَفَجَرُ الْفَجُورِ بِهِ طَالِعُ »

لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ قَطَعَكَ بِالطَّرِيقِ ، وَعَاقَبَكَ بِالْحَرِيقِ ،
وَعَذَّبَكَ بِالنَّيْرَانِ ، وَقَرَنَكَ بِشَرِّ الْجَيْرَانِ ، وَجَعَلَ الْمَيْضَ
عَلَى أَبْوَابِكَ ، وَالزُّطَّ فِي قِبْلَةِ مَحْرَابِكَ . وَجَعَلَ خَطِيئِكَ أَفْوَهَ
دَائِيصَا ، وَإِمَامَكَ أَعْمَى نَاقِصَا . فَلَوْ أَنَّكَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ لَهَجَرْتَ ،
أَوْ بَيْتُ مَكَّةَ لَمَا حُجِّبْتَ . فَتَوَقَّفْ عِنْدَ مَقْدَارِكَ ، وَانْظُرْ فِي
إِبْرَادِكَ وَإِصْدَارِكَ . وَالسَّلَامُ . »

فَلَمَّا وَقَفَ الْجَامِعُ عَلَى رَقْعَتِهِ ، وَرَأَى مَا فِيهَا مِنْ رَقَاعَتِهِ ،
قَامَ وَقَعَدَ ، وَأَبْرَقَ وَأَرْعَدَ ، وَقَالَ : اكْتُبْ يَا غَلَامُ :

« بِاسْمِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ »

مِنْ أَلْعَاتِبِ الْوَاجِدِ ، إِلَى الْمَلِكِ الزَّاهِدِ .

قَالَ الْحَائِطُ لِلْوَتْدِ : لِمَ تَشْقِيَنِي ؟

قَالَ : سَلْ مَنْ يَدَّقُنِي .

أَمَّا بَعْدُ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ ، أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَكَ ، وَنَشَرَ فِي

الخافقين أعلامك . فقد طاوأتَ بعدلك القمرين ، وسرتَ سيرة
 العمرين ، فإنَّ الله شرفَ بُنيَّتِي وحرَّمها ، وطهرَ بُقْعَتِي وكرمها .
 طالما زوحتُ بالمناكب لما كنتُ هينكلاً للكواكب .
 وكم أمسيتُ مشكاةً للأنوار وبيتاً لعبدة النار .
 ثم انتقلتُ الى اليهود بعد انقراضِ مِلَّةِ هود ، فتأنستُ
 بالزبور ، وبالأنبيا في القبور .

ثم جاءتْ دولةُ الصليبان ، فقربتُ بالقربان ، ومعاشرة الرهبان .
 ثم جاء الإسلامُ ، فتشرفتُ بدين سيدنا محمد عليه أفضلُ
 الصلاة والسلام .

فأنا المعظمُ في كل زمان ، والمقدمُ في كلِّ قران .
 وكيفَ يَسْعَكَ ، أيديكَ الله ، التغافلُ عن حالي ، والتحسين
 لنهب أموالِي ، ويديكَ مبدولة في البلاد ، ومتحكمة في رقاب
 العباد ؟ وأيُّ شيءٍ يكونُ جوابك يوم النشور ﴿١﴾ إذا بُعِثَ
 ما في القبورِ ، وحُصِّلَ ما في الصدورِ ﴿٢﴾ . وقد أوقفْتُكَ
 موقفَ الذليل بين يديَّ الملكِ الجليل ، وأقولُ لك : أيُّ
 ربٍّ ! سلْ هاذا لِمَ أَهْمَانِي ، وسلِّمني لِمَنْ أَكْلَنِي ؟ فلا تردَّ

(١) اقتباس من سورة العاديات ٤ ، ١٠٠ ، الآية ٨ ، ٩ .

جواباً ، ولا تحيرُ خطاباً ، ولا آخذُ منك ضميناً ولا كفيلاً ،
ولا أقبلُ عنك شفيعاً ولا وكيلاً . فتقول : ﴿ يَا كَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ
مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً . يَا وَيْلَتَا ، كَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا .
لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾^(١) .

فَقَدِّم ، أَيُّهَا الْمَلِك ، لِنَفْسِكَ مَا تَجِدُهُ غَدًا فِي رَمْسِكَ .
وُخِذْ هَازِلَ التَّذْكَرَةِ بِالْحِسَابِ ، قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ، تَبَرُّأُ مِنْ
التَّبَاعَةِ ، وَتَدْخُلُ فِي أَهْلِ الشَّفَاعَةِ .

وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ عَمَّرَ مَسَاجِدَ الْإِسْلَامِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
فَلَمَّا وَقَفَ نَوْرُ الدِّينِ عَلَى كِتَابِهِ ، وَتَجَرَّعَ أَلِيمَ عِتَابِهِ ، التَفَتَ
إِلَى الْمَسَاجِدِ ، فَرْتُّيْ لَهُمْ ، وَسَدَّدَ أَحْوَالَهُمْ ، وَأَسْرَهَا يَوْسُفَ
فِي نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ .

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ابْنِ عَصْرُونَ فَأَنْزَلَهُ وَاعْتَزَلَهُ ، وَحَجَبَهُ عَنْ بَابِهِ
وَاخْتَزَلَهُ ، وَأَلْقَاهُ فِي سِجْنِ الصَّدُودِ ، وَخَلَّدَهُ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْخُلُودِ ،
وَقَرَأَ عَلَيْهِ : ﴿ الْإِبْدَاءُ لِمَدَّيْنِ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴾^(٢) وَالسَّلَامُ .

* * *

(١) اقتباس من سورة الفرقان ، ٢٥ ، الآيات ٢٦ - ٢٨ .

(٢) اقتباس من سورة هود ، ١١ ، الآية ٩٥ .

ملحق

عن الأماكن المذكورة في نص الرقعة

حسب ورودها

- جسامع جلاّتي : هو المسجد الأموي . أنظر عنه :
- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، المجلد الثانية (تحقيقنا) ص ٥ وما بعدها (دمشق ١٩٥٤ م) .
- المنجد ، خطط دمشق ، ص ٥٥ (بيروت ، ١٩٤٩ م) .
- مجهول ، ذكر ما استقرّ عليه الجامع إلى سنة ٧٣٠ هـ . (تحقيقنا) ، دمشق ، ١٩٤٨ م .
- النعمي ، الدارس (تحقيق الأمير جعفر الحسني) ٣٧١/٢ .
- بدران ، مناداة الأطلال ، ص ٣٥٧ (نشرت بدمشق سنة ١٣٧٩ هـ على نفقة الشيخ عليّ بن عبد الله آل ثاني . وهي طبعة سيئة جداً) .
- جامع النيرب : النيرب قرب الربوة ، معروف . ومما نيران . أنظر عنها : ابن طولون : القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية . (تحقيق الأستاذ دهمان) .
- وجامع النيرب 'وصف بأنه كان حسناً 'نقام فيه الجمعة . ثم خرب ، في آخر العهد المملوكي ، وأخذت آلالته إلى عمارة تكيّة السلطان سليمان ، سنة ٩٦٥ هـ . أنظر : النعمي ، الدارس ٤٣٨/٢ - ٤٣٩ .
- وذكر ابن عساكر مسجدين في النيرب . سمى الأول : مسجد في النيرب الأسفل . والثاني : مسجد النيرب من مساجد القرى (تاريخ دمشق ، المجلد الثانية ص ٨٩ - ٩٠) .
- جامع المزة : المزة قرية قرب دمشق مع-رونة . وكانت تسمى مزة كلب لتزول قبائل كلب بها . أنظر : المنجد ، منازل القبائل العربية حول دمشق .
- في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد الثلاثون . الجزء الأول : وياقوت ، معجم البلدان : وصف زكريا ، الريف السوري ١٥٦/٢ :
- محمد كرد علي ، غوطة دمشق .

ليس عندنا نصوص عن جامع المزة الذي عناه الوهراني ، وتوجد
نصوص عن جامع المزة الذي عمره الصفي بن شكر سنة ٦٢٢ هـ .
(الدارس ، ٤٣٢/٢) وجامع المرجاني بضواحي المزة (الدارس
٤٤٢/٢) .

الغوطة : غوطة دمشق . معروفة . أنظر كتاب غوطة دمشق .
البقاع : هي البقاع المزري . في لبنان اليوم . معروفة .
حوراث : معروفة ، جنوب دمشق .
مشهد برزة : برزة قرية من غوطة دمشق . معروفة . أنظر : غوطة دمشق .
ومشهد برزة هو الذي زعموا أنه مقام إبراهيم الخليل . أنظر :
المدوي ، الزيارات بدمشق ، ص ١٦ (تحقيقنا) .
مسجد أرزة : أرزة قرية كانت في عملة الشهداء ، على طريق الصالحية . دثرت
منذ زمن بعيد . لم يبق من آثارها إلا قبور الشهداء . أنظر :
المدوي ، الزيارات ص ١٥ ؛ ودعمان مقدمة القلائد الجوهريّة في
تاريخ الصالحية ، ص ١٨ ؛ وعلق في ص ٢٤٧ بقوله : « ومن
كلام العوام : ما بين برزة وأرزة أربعون ألف نبي » وفي قصيدة مصطفى
البكري التوسلية ، ورد :

ياربّ بالذات المليّة وبسرّ أسرار الهويّة

بالشام ثم ببرزة مع أرزة والصالحية

مقام إبراهيم = مشهد برزة .

مفارة الدم : بجبل فاسيون . أنظر المدوي ، الزيارات ، ص ٥ ؛ والرهمي ،
فضائل دمشق (تحقيقنا) ص ٦٢ - ٦٧ .

مسجد الكهف : هو كهف جبريل . بجبل فاسيون . أنظر الزيارات ص ٦ .
قبر شيث : في قرية نبي شيث تبعد نحو (١٥) كم شرقي زحلة (البقاع) .
قبر نوح : في قرية كرك نوح شرقي زحلة ويجوارها (البقاع) .
قبر إلياس : في قرية قب لياس جنوب غربي شتورة (البقاع) .
جبرون : أنظر عنها ابن طولون ، فرقة العيون (تحقيقنا) ، وكتابنا خطط دمشق .

العريضة

وشقيقتها السريانية الوفية

إنهما اللغتان العريقتان اللتان تفرعتا عن الدوحة السامية الكبرى لكي تظل الواحدة في معزل عن الأخرى دهرأ طويلا ، ثم تصب الواحدة إلى الأخرى فتلتقيان لتعيشا متعانقتين متآزرتين متقارضتين .

لقد دخلت أمهما في خبر كان منذ العصور السحيقة في القدم ، وعبثا حاول الباحثون الوقوف على آثارها رغم تقريرهم أن كثيراً من عناصرها لا يزال محفوظاً فيها وفي شقيقتيها العبرية والحبشية اللتين تشكلان معهما حلقات لسلسلة واحدة متماسكة .

نستنتج مما ورد في سفر التكوين أن المشرق أي بلاد العراق اليوم ، هو الوطن الأول للدوحة السامية . قال الكتاب : وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً . وكان أنهم لما رحلوا من « المشرق » وجدوا بقعة في شنعار فأقاموا هناك . . . هناك بلبل الله لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض ، وبددهم وشتتهم على كل وجه الأرض . . . ولذلك سميت بابل (تكوين ١١ : ١ - ٩) . من هنا رأى بعض أعلام الفكر وفي طبيعتهم المستشرق الإيطالي الكبير أغناطيوس غويدي ، أن الجزء الأسفل من نهر الفرات هو المهد الأول للساميين ومن هنا كذلك قول العلامة ابن العبري في ترجمة ناحور جد ابراهيم ، أن كذب السكادانيين وعلومهم نقلت في عهده إلى مصر .

ان اللغة السريانية الآرامية تنسب الى آرام - أي بعد الهزمة والراء على الإطلاق - كما ترد في الكتاب العزيز ، لا إلى إرم كما ارتأى الآب أنسطاس الكرملي ، أو راما أي العالي السريانية كما ذهب بعض ذوي الاجتهاد . وآرام هو الابن الخامس لسام بن نوح كما ذكر سفر التكوين (١٠ : ٢٢) . من هنا كانت اللغة السامية الآرامية أكبر سنّاً من شقيقتها العربية التي تنسب إلى اللفظة السريانية حنح (عَرَبًا) أي الصحراء لا إلى لفظة حنث (عرب) أي غرب السريانية أيضاً كما ذهب بعض الباحثين .

بيد أن اللغة العربية أقرب من السريانية الحالية إلى اللغة الأم وأكثر منها شبهاً بها ، إذ بذتها باحتفاظها بكثير من العناصر اللغوية الأصلية المتحدرة إليها منها . والسبب في ذلك كما قرره الباحثون يعود إلى ان العربية عقيب انفصالها عن الأم ازوت دهرأ طويلاً في بقعة فائية عن العالم المعروف يومذاك مما ساعدها على التثبث بالأصول القديمة ، حتى إذا حان وقت انتشارها العظيم مع الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلاد ، استطاعت ان تحتفظ بتلك العناصر الأصلية . أما السريانية الآرامية فقد تأثرت فور تفرعها عن دوحتها ، بألسنة شتى العناصر التي اصطدمت بها في طريق انتشارها الهائل . فبعد أن كانت في القرون الرابع عشر قبل الميلاد لغة قبائل رُحّل تنقل في الصحراء الواقعة غربي الفرات ، كقول المستشرق الفرنسي جان شابو ، إذا بها تضحى اللغة الرسمية لشعوب الشرق الأوسط قاطبة من فارس شرقاً إلى سورية غرباً ، ومن آشور شمالاً إلى فلسطين ومصر جنوباً . من هنا تطورها بل تباعدها عن أمها السامية الأصلية ، هذا مع العلم أن ما ورد منها في التوراة وفي حِكْمِمْ أحيقار وزير سنحريب ملك اشور (٧٠٥ - ٦٨١ ق . م) يطابق كل المطابقة لحالتها اليوم .

وإلى القارئ الكريم بعض العناصر اللغوية التي فقدتها :

١ - تبتدىء الكلمة في السريانية الحالية بالإسكان نحو **ܠܚܕܐ ܚܕܐܡܐ** Ima chbaktan أي لم تركتني . وذلك ليس من خصائص اللغة السامية الأم التي كانت الكلمة فيها تبتدىء بحركة على الإطلاق كما هي الحال في العربية وفي السريانية القديمة . ويتضح ذلك من لهجتها الفلسطينية نحو **ܠܚܕܐ ܚܕܐܡܐ** Iama chabaktani

٢ - تسكنن السريانية الحالية نون الوفاية الفاصلة بين الفعل والضمير المتصل للفرد المتكلم نحو **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** chbaktan بينما كانت اللغة السامية الأم تكسرهما تماماً كالعربية نحو **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** chabaktani كما مر بك في اللهجة السريانية الفلسطينية . وكذلك تسكنن كاف المخاطب والمخاطبة رغم إضافة ياء المخاطبة نحو **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** katlak, katlek بينما في اللغة الأم لم تكن بالإسكان بل بكسرهما كالعربية ، كما تدل الياء المتصلة بكاف المخاطبة . وتسكنن أيضاً في أمر المخاطبة ما قبل الياء نحو **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** koum بينما كان مكسوراً في اللغة الأم كالعربية كما تدل لهجتها الفلسطينية نحو **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** Talitha koumi .

٣ - انت السريانية الحالية تسكنن أول المضارع في الأجوف نحو **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** nkoum بخلاف ما كانت عليه اللغة الأم كما هو اليوم في العربية . وقد ظلت خصائص السريانية هذه متغلبة حتى اليوم في سورية ولبنان على اللهجة العربية العامية التي حلت محلها .

٤ - إن حرف المضارعة للفرد المذكر الغائب في السريانية الحالية هو نون نحو **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** nektoub وفي هذا يتساوى والجمع المتكلم . بينما كان هذا الحرف في اللغة الأم ياء كما في العربية نحو **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** yakoub من **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** ekab عقب و **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** yawsef من **ܚܕܐܡܐ ܚܒܟܬܢ** eisef ازداد ، وعلى

هذه القاعدة تمشت اللهجة السريانية الفلسطينية ولهجة معلولا اليوم كقولهم
 ماحصه yakoul بدلاً من ماحصه nekoul .

وقد توطدت علاقات وثيقة العرى ما بين اللغتين الشقيقتين ، تُقرض
 الواحدة الأخرى وتستقرض منها كما يتضح من الأمور التالية :

١ - لقد تأثر نحو اللغة العربية بالنحو السرياني . ذلك أن أبا الأسود
 الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ استعان في وضع نحوه ببعض علماء اللغة السريانية
 في الكوفة ، ثم اقتبس النقاط السريانية التي تتميز بها الكلمات ، فالحركات
 التي كان قد استنبطها قبيل ذلك العلامة ماري يعقوب الرهاوي (١) .

٢ في القرن الأول قبل الإسلام اقتبست العربية من الخط السرياني
 الاسطرنجيلي ، أيجديتها ، وخطها الذي عرف بالكوفي . فاستعمل بعدئذ
 لكتابة القرآن الكريم شأن الاسطرنجيلي عند السريان (٢) .

٣ - لقد تشابهت في كلتا اللغتين مئات من الألفاظ معنى ولفظاً . وهي
 إما مما توارثناه عن اللغة الأكثدية أو مما استقرضته كل منهما من الأخرى .
 وما لاشك فيه أن السريانية نقلت إليها كثيراً من فرائد الأدب العربي ولا
 سيما بواسطة العلامة ابن العبري في القرن الثالث عشر . أما العربية فقد
 استقرضت من السريانية عن طريق الترجمات التي قام بها علماء السريان ،
 بضع مئات من ألفاظها ، أفعالاً وأسماءً ، ولا سيما المعاني الاصطلاحية
 والعبارات العلمية والدينية ، بعد أن صقلتها بما يلائم قواعدها ، فجرت
 على يراع الكتاب الثقات ، ودخلت المعاجم العربية . وقد سبق سلفنا

(١) الأدب العربي للأستاذ الزيات ص ١٤١ والآداب السامية تأليف محمد عطية الابراهي
 ص ٢٠٠ .

(٢) الآداب السامية الأبراهيمي ص ١٩٦ - ١٩٧ وتاريخ المدن الإسلامي للبحانة جرجي
 زيدان ج ٣ ص ٥٤ ، واللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك
 أنرام الأول برصوم ص ٢٦ طبعة أولى .

الطيب الذكر البطريرك أفرام الأول برصوم أن أبرز عدداً وافراً منها على صفحات هذه المجلة الغراء . وإذا كانت قد نُسيت من السريانية ألفاظ بعثت الزمان كما نوه اللغوي الكبير أنطون الفصيح التكريتي في القرن التاسع^(١) ، فإن العربية حفظت كثيراً من ذلك الألفاظ الضائعة كما أثبت العلامة اللغوي مار سويريوس يعقوب البرطلي في القرن الثاني عشر^(٢) . وقد كشفنا نحن أيضاً القناع عن وجه بعض هذه الألفاظ والمصطلحات في دراستنا للفيلسوف الكندي منها : 'إيس' ، 'ليس' ، 'هوية' ، 'قنية' ، مائبة ، إنية والكلمات .

واليك جدولاً ببعض الألفاظ المتشابهة :

أجيرا agira ^(٣)	أجبر	أينا aina	عين	كتاب ktab
أجورا agoura	أجر	بايخا baicha	بائس	قرب kreb
أجانة aggana	أجيرة	أسيرا asira	أسير	حكم hakkem
أذن edna	أذن	دماا dammaa	دمع	
عادا eada	يد	داس dach	داس	
باز baz	باز	تاراة taraa	ترعة	باب
سبعا ssebaa	أصبع	فتح ftah	فتح	

إننا لن نحاول هنا أن نحكي بعض من سبقنا الى بحث هذا الموضوع ، بل نبشحه بطريقة مبتكرة ، تاركين الحكم للقارىء الكريم أن يقول كلمته في اللغة التي اقتبست هذه الألفاظ من الأخرى . ولكننا في الوقت

(١) كتاب معرفة الفصاحة اللغاة الأولى الفصل السادس والعشرون .

(٢) كتاب المسائل والأجوبة المقالة الرابعة للمائة الثانية عشرة .

(٣) لقد راعينا في الفرع الفرعي الفتحة بحسب اللهجة الشرقية حفاظاً على تركيب اللفظة .

نفسه تؤكد جازمين في أن العربية اقتبست من السريانية الألفاظ التالية

gaddech كدس / گاڊدش gazza كنز / گازا ghash كحص أي مر / گاش

في الأرض لا يرى / لا یرى gella كالأ / گلا gnat كنظ ، غمه الأمر / گنات

gnass كنص ، رفع أنفه استهزاء / گناس gaf كف / گاف gefa

كف / گاف goufra ككفرى ، وعاء طلع النخل / گوفرا tegrit

تكريت ، المدينة المعروفة . ان هذه الألفاظ كما تبدو ، تبتدىء بالكاف ،
ولكننا عند مقارنتنا إياها بالسريانية تأكد لدينا انها دخلت العربية كما هي
في السريانية أي بالكاف الفارسية التي تلفظ كالجم المصرية ، ومع تقادي
الزمان انقلبت الى الكاف العربية كما هي اليوم .

على أن هنالك ألفاظاً أخرى انقلبت فيها الجيم السريانية إلى قاف كما
هي العادة عند بعض العرب منها / گاش glass قلص / گاش gerssa

قرصة / گاش gchat فشط . كما انقلبت القاف السريانية في بعض الألفاظ
إلى جيم نحو / گاش blak بلج أو انبلج / گاش Deklat دجلة .

للسريانية الحالية لهجتان فقط تعرفان بالشرقية والغربية ، اذ اندثرت
اللهجة الفلسطينية التي تظهر بعض عناصرها في لغة معلولا . ومن ميزات
اللهجة الشرقية لفظها حرف الفاء كحرف (P) الفرنجي ، والألفاظ العربية
التالية تدل دلالة واضحة على انها اقتبست من السريانية عن طريق اللهجة
الشرقية . وحيث ان الحرف (P) لا اثر له في الأيجدية العربية فقد انقلب

فيها إلى حرف باء : / گاش apaa ضبع / گاش apra غبراء / گاش yachpa

يشب ، حجر كريم / گاش srp شرب .

ومن ميزات اللهجة الشرقية أيضاً استعمالها الشدة كما في العربية ولها وزن فعل . أما اللهجة الغربية فلها وزن فاعل . وتمتاز عن الشرقية بحركة الزقاف التي تلفظ كحرف (O) الفرنجي . وقد جمعت العربية هاتين اللهجتين مقتبسةً من كليهما ، مثال ذلك كلمة *afra* فاللهجة الشرقية تلفظ فاءها كالحرف (P) بعكس الغربية . أما العربية فقالت في اللهجة الأولى غبراء وفي الثانية عفر وعفتر .

وفضلاً عن تشابه كثير من الألفاظ معنى ولفظاً في اللغتين كما أسلفنا فإن هنالك كثيراً غيرها يتبدل فيها حرف الشين غالباً سيناً في العربية وبالعكس نحو *chemcha* شمس *richa* رأس *nafcha* نفس *lboucha* لباس *chahra* *sahra* شهر (قري) *sahda* شاهد أو شهيد *sbaa* شبع . وهنالك أيضاً ألفاظ تنقلب فيها العين غالباً غيناً أو ضادا وأحياناً همزة نحو : *erab* غرب *aaba* غابة *ssbaa* صبغ *ani* غنى *baet* بفت *maarta* مغارة . *araa* ارض *raa* رضى *beita* بيضة *rhaa* رضى . *gaar* جار . وهنالك ألفاظ تتبدل فيها الجيم (الجيم المعربة) غالباً جيماً عربية وأحياناً غيناً نحو : *gamla* جل *bourga* برج *magledla* مجدل *regla* رجل *gamoucha* جاموس *gachem* جستم *gouchma* جـم *gas* غزا *gchem* غثم *gcha* غني *graf* غرف *gmass* غمض .

أما حرف الطاء فهو أحياناً كثيرة ظاء في العربية نحو **طاب** tabia **ظلي**
كناز kaita **قيظ** tefra **ظفر** tlam **ظلم** gnat **كنظ** . وأما حرف الحاء فهو غالباً خاء في العربية وأحياناً همزة
 نحو : **سحرا** hamra **خمر** hala **خل** halta **خالة** hamcha **خمس** fchah **فسخ** eihad **أخذ** harta **آخرة**
 eihar **أختر** rhaf **أف** .

وهناك ألفاظ كثيرة تغير تركيبها كقولنا **سحج** gchah **سحج** am
 مع **سحر** sabbar **بشتر** skaata **صاغة** couva **كوفة** (المدينة) .

فلا بد والحالة هذه لمن يريد التعمق في أصول اللغة العربية من اتقان
 السريانية ، فضلاً عن أن هنالك ألفاظاً كثيرة دخلت المصنفات العربية
 ولا يمكن التوصل الى معناها الصحيح إلا بمعرفة السريانية ومنها :
 « زقفونا » **زكفون** zakfoun أي صلبونا الواردة في رسالة الغفران لأبي العلاء
 المعري ، و « الأصوت » **لستاي** lestayé أي اللصوص الواردة في عهد
 عمر بن الخطاب لأهل إيلياء ، و « النيران » **ناهير** nahiré أي الشموع
 أو المصابيح الواردة في كتاب أهل دمشق لأبي عبيدة ، و « فاروق »
فاروكا farouka اللقب الذي أطلقه السريان على عمر بن الخطاب ومعناه
 مخاض ، و « يقلسون » **مكلسين** mkalsin و « المقلسون »
مكلسان mka'sané أي يمدحون والمادحون الواردتان في تاريخ البلاذري ،
 و « الحيرة » **هيرتا** hirta أي القعر ، و « المعرة » **مكارتا** maarta

أي المغارة ، و « الكرخ » كرخا karka أي المدينة المدورة ، و « تدمر »
 تدمورا tedmour أي أعجوبة ، و « الكوفة » كوفيا kouva أي الشوكة
 وعاقولا ، و « تكريت » تكريتا Tegrit أي التجارة ، و « مكة »
 مككا makka أي الأرض المنخفضة والمنبسطة ، وما إليها من أسماء عشرات
 من المدن والقرى في سورية ولبنان وفلسطين والعراق . أجل ، إن
 من أتقن السريانية أدرك سبب استعمال القرآن الكريم للألفاظ حيوة ،
 وصاوة وزكوة بالواو لا بالألف ، ولفظة مرط بدون ألف ، وذلك كما
 هي في السريانية مسمما hayouta / كوفيا kouva / زكوا zakouta /
 صرطا serta ؛ بل أدرك المعنى الصحيح لكثير من الألفاظ السريانية
 المقتبسة في اللغة العربية العامية في سورية ولبنان ومنها شوب كوخا
 chawba وزبوت كوخا zabouna .

فردسة مار أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس



أمين الريحاني

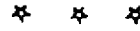
وأثر القرآن الكريم في شعره المنشور

تفتحت براعم أذهاننا يوم كنا ناشئين نلتبس طريقنا إلى الحياة والنور ، ونتمسح عراة بالحرف الوضيء الطهور ، ونستسقي قطرة من حنان الندى ، ونلتمس دفقة من ضياء الهدى ، ونعائل الأذان بصوت بشير عميق الصدى ، بعيد المدى ، ونلوب ونلوب ونلوب ولا نجمة ولا منتدى ، حتى إذا أعيانا الأمر شرقنا بريقنا خائبين ، فلا نامة ولا ومضة ولا وشل ينقع الصدا . .

نعم ، تفتحت براعمنا يوم كنا ناشئين نطارد الحرف الرقاق البجيل ، مطاردة الحرمان للدينار المتجهّم البخيل ، على أذان فجرٍ فكريّ عربي أصيل ، جديد رفّاف حفيّل . بجوّد الترنيل . وكأنّ عليه مسحة من التنزيل ، ووضاءة الحرف الربّان النبيل . . .

هذا الصوت الذي دوى من وراء البحار ، على غير استحياء واستكبار ، قويا ندياً ذهبي الأوتار ، وكأنه هزيم الرعد في آذار ، وعزيف الزفزاف في الإصهار ، وأغاريد الربيع النشوان في أيتار ، والحلم المكوكب الزهّار ، وما أحلاه انساني النجمة ، حضاري السرعة عربي الهوى والشعار ، وما أشباه مصلصلا مجلجلا وكأنه البركان الثائر الهدّار ، يحطم الأصنام بمداد من نار ، ويدكّ عرش الجود بقذائف الأفكار . بلى ، وكأنه نفحات النسيم المعطار ، تطلقها أنفاس الأسفار ، في نشيد مفتون للحرية والأحرار . .

هذا الصوت هو صوت أمين الريحاني عملاق الفكر العربي في المهجر ،
 ورسول الحرف المتحرر الأزهر ، وخطيب الثورة الأنور ، وصقر العروبة
 في وطنيه الأصغر والأكبر ، وصخرة العقيدة القومية بنضاله المتسامي مظهراً
 في مخبر ، وعطائه الدفئ الكوثر ، وحصانة قرابينه من كل مكسب أو متجر .
 هذا الصوت الذي هز الملايين من الناطقين بالإتكليزية والضاد ، هو
 صوت أمين الريحاني ، والله درّه كم زرع من بذور المعاني ، وشيد للفصحى
 من المباني ، وكم عالج الأسقام طوراً بالمباضع وثارة بالأغاني ، وكم شحذ
 للعزائم من سيف يمانى ، وكم أنحف التراث العربي بنفائس الجاني .



قرأنا الحرية والتحرر على أمين الريحاني يوم كنّا ، ولا تسل كيف
 كنّا ، نتفتى خانعين بسلاسل الطغاة العابثين ، ونركع متزلّفين للأصنام
 المستبدّين الماكرين ، ونلثم خاشعين متسكتعين أيدي المتعجرفين الجلّادين
 ونتهافت متسابقين على حرق البخور لأبناء الأفاعي ، من اقسطاعيين سود
 وحر وبيض يسوقنا كالمطايا بالصوالجة والتميجان ، وسياط الإرهاب والعدوان
 وأرجوان المكر والروغان ، فنطأطئ الرؤوس ونغضي غير مأجورين ،
 والنعر للسلطان ، والبسمة الماكرة للشعلبان .

وتعلّمنا الصدق والجرأة من أمين الريحاني ، يوم كان الأدب العربي
 مومياء مكحولة الأجفان ، مطرّزة الأكفان ، تنهذى على نعشها رثات
 القوافي والأوزان ، وقتهال على شفتيها وخذتها قبلات لا حرارة فيها ولا
 حنان ، ويتمسّح بلمسها قلم رثان وحرف ظمآن .

هذا أدبنا المختلط الجامد التقليدي في عصر الانحطاط ، حيث ينساب
 الغزل ولا رعشة ولا حب ولا افتتان ، وحيث تسجّ الدموع ، ولا أشواق
 ولا تنهدات ولا أحزان ، وحيث يضطرم الصدر ولا قلب ولهان ، ولا صدّ

وهجران ، وحيث تجلجل الألفاظ الجامدة ، وبصحت الحس والوجدان ، فإذا هناك لسان ثرثار ، وأدب مهذار ، وفم مكثّر ، وقلب متقطّع الأوتار . عندما عمد جمال باشا السقّاح إلى سياسة التجويع في لبنان وسورية في غضون الحرب العالمية الأولى ، وذاعت أخبار هذه المأساة القومية في المهاجر الأميركية ، رأى أمين الريحاني أن يحث أغنياءنا على التبرع لمن لا يملكون ثمن الرغبة فجاءوا وتأنّوا وهاموا على وجوههم وقد انسدت أمامهم أبواب الحياة . نعم رأى أمين الريحاني أن يصف للأغنياء المتخمين آلام الجوع وأحوال الجائع في مقال ينشره في مجلة الفنون النيويوركية التي خصصت عدداً ممتازاً لهذه المأساة ، وقد كان يصدرها الشاعر المبدع نسيب عريضة (المحصي) .

ولكن أيعلم القراء ماذا صنع الريحاني قبل أن يكتب مقاله في الجوع ؟ إنه فرض على نفسه الجوع ، فتجوّع وصام عن الطعام عمداً ، حتى إذا سغب واشتدت به الشهوة إلى الطعام ، أخذ يطوف بين المطاعم فيرتادها ، ويقف هنيهة أمام المطابخ وقد انتشرت ريح الشواء والطبخ فيمتشمها ويلهّف ويتحسّر ويتصبّب جسمه عرقاً ، ثم يعود وقد أخذ منه الطوى ، ليتحسّس ألم الجائع وانفعالاته النفسية ، ولما أدرك غايته بعد هذه التجربة الطوعية القاسية التي استمرت بضعة أيّام ، وكتب مقاله الفريد في الجوع وهذا هو الصدق في الأدب والحياة .

وبهذا الصدق الصادق الجريء ، العنيف أحياناً ، امتاز أمين الريحاني في كل ما كتبه ، فما جامل ولا تجمل ، ولا تكلف ولا تعمل ، ولا تلون ولا تصنّع أو توسل ، ولا جاوز قط إلى غير ما يحسّه ويشعر به ويؤمن به ، بل كان واحداً في مظهره ونخبه وسرّه وجهه .

ودرسنا الكثير من أيجدية القومية العربية على أمين الريحاني ، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا بأنه رائدها الفكري ومنظمها العملي . لم تكن أيجديته مجرد أشعار حماسية ومقالات وطنية ، بل خاض معركتها البيضاء البيضاء ونذر لها دماغه وقلبه وحياته وسقى قلمه بدمه ، وأشرق بثقافته وإخلاصه وقضحيته الصوفية ، ولم يكن تطوافه في بلاد العرب بين البدو والصحاري على ظهور الزنابق ، سوى مغامرة فذّة مخوفة بالأخطار والمهلك ، ولكنه لم يعبأ بالمناعب والمشقات ، وأبى إلا أن يحقق حلمه العربي الأكبر ، فإذا الحلم يتوثب ويفتح عن أورد وأزهار ، وإذا السديم يجمد ويصلب وينقلب إلى حقول خصبة قشتاق المراث والبدور ، وإذا الضباب يهطل غيثاً وفيضاً ويتفجّر فرائقاً سلسبيلًا ..

وكان الريحاني في ماكتبه ونشره حول البلاد العربية وملوكها وأمرائها ومشايخها وقضاياها وأوضاعها ، ذلك الرائد الأمين الصادق ، وذلك المؤمن الواثق ، وذلك الأريحي العاشق .

نعم ، كان الريحاني المسيحي المعتزّ بالعرب وصوفيّة الإسلام ، وهو ابن الجبل وأميركة لا السهل ولا البادية ، أوّل من فتح الجزيرة العربية المستغلقة بعد الانهيار العثماني ، وأوّل من راد البلدان العربية في المشرق والمغرب ، مستطلعاً مستقصياً ، دارساً متحرّياً ، واعظاً مصلحاً مداوياً ، وأوّل من ركب المجاهل والبوادي مستهدفاً للأخطار وشطف العيش وحرارة الصحراء مضحياً بكل ثمن ونفيس ، بمتطياً كل شمس وضروس ، باحثاً منقّباً ، حامراً بنظراته العميقة النقادة ، عن وجوه الملوك والأمراء والشيوخ ، وعن قلوبهم وسرائرهم تلك الأفئدة الأسطورية التي حجبهم عن العيون ، وحجب العالم عن هذه العيون ..

ولست مؤلفاته كتب سياحية وجغرافية وانطباعات وارتسامات في رحلات ، وإنما هي خطوات عملية في بناء القومية العربية التي كانت حلاً ذهبياً يرتعش بين الشفاه المحمومة الهامسة الهاجسة ، وفكرة مترنحة بكاء ، أسسها من زبد البحر ، وجدرانها من خيوط العنكبوت .

وكان الريحاني أوّل من عُنِيَ بالكشف عن كنوز الفكر العربي في العالم الجديد ، فاختر ناسك المعرة وفيلسوفها أبا العلاء ، وعكف على لزومياته ، وصاغها بلغة انكليزية متينة السبك ناصعة الديباجة مذيّلة بالحواشي الايضاحية ، ومتى علمنا أن لزوميات المعري يعسر فهمها على قراء العربية ، أدركنا عظمة العمل الأدبي الذي تطوّع له الريحاني ، وكان نجاحه الباهر في هذه الترجمة في طليعة أسباب شهرته بين الناطقين بالإسكازية ، ولا شك ان غيرته على الفكر العربي هي التي دفعته إلى ترجمة اللزوميات متحدياً بها رباعيات الخيام التي نالت رواجاً عظيماً .

* * *

وأخذنا القوة والمضاء والانطلاق يوم كنا ناشئين عن أمين الريحاني ، كان مفكراً عميقاً عقلياً بعيد المدى ، واسع الثقافة والمعارف ، حازماً عزوماً ، صريحاً جريئاً . وكأننا بعقله النير ، كان يفيء إلى قلبه الخير ، وهو مرهف حسّاس يفيض حباً وسماحة ، ويتدفق نبلاً وصباحة ، ولكن الدموع المتميعة لم تجد سبيلها إلى أدبه ، ولا امتزجت بمداده ، فما بكى ولا تباكى ، وما شكى ولا تشاكى ، ولا بلّل القراء بوابل عباراته ، ولا ألهب قلوبهم بزفرات شجونه ونشيج تأوهات .

بلى ، ثار على الأدب الباكي المريض الذي يتناغم فيه صرير الأقلام بنشيج الصدور ، في كبوات عاطفية تستأثر بأحلام المراقين ، فإذا هم في خيال العقدة النفسية يعمهون . .

وكان سعيه في مضائه لا يحجم ولا يتردد ولا يحجم أمام فكرة
اصلاحية جريئة أو رأي غريب شديد يري فيه الخير أو نصيحة مرّة قاسية
يسديها إلى بني قومه ، ولا يخشى الأعاصير تهبّ عليه أمام اصلاح قومي
اجتماعي يدعو إليه ، بل يمضي في سبيله حاملاً تبعته الثقيلة ، مؤدياً ما تفرضه
عليه رسالته الأدبية الإصلاحية بنبالة وإخلاص غير مرّقب شكرانا ، وغير
مغازل ديناراً رتافاً ونيشانا .

واقعد أحسن ظنه بالانتداب الفرنسي في بادئ الأمر ، متأثراً بأدب
الثورة الفرنسية من نحو ، وبالوعود (الصادقة ؟) المقطوعة للعرب من نحو
آخر ، ولكنه لم يلبث بعد عودته إلى لبنان في أعقاب الحرب العالمية الأولى ،
وقدر رأى ما رأى ، وسمع ما سمع ، ولمس ما لمس ، حتى أصلى الانتداب
الفرنسي ناراً حامية ، ووقف على المنابر في بيروت ، مندداً بحقداء الثورة
الفرنسية ، مطالباً بالحرية والاستقلال ، حتى إذا أعيأ أمره السلطة الفرنسية
المنتدبة حكمت بنفيه من لبنان ، فغادره إلى العراق حيث قوبل بالترحاب
وآبات الإعجاب .

وآية أمين الريحاني وهو العملاق المعطاء في خدمته للقضايا العربية قولاً
وعلاً ، أنه لم يمت ولا تبجّج ولا تمدّح ، ولا لقي الغرور إلى نفسه سبيلاً
بعد ما شهد من حفلات الحب والإكرام ، ومظاهر الإجلال والاحترام ،
أفي المغرب الأقصى والجزيرة العربية أم في العراق وسفوح الأهرام والشام ،
ما لم ينله رجال عظام ، لا قبله ولا بعده ، ولولا أصالة في شمائله المشرقة
لازدهاء الغرور وكان ذلك الزهراء ، المختال التيهاء ، والعياذ بالله . .

* * *

والانطلاق توأم المضاء ، وكلاهما وليد أمّ واحدة هي القوة .
بهذين الجناحين طار النسر وحلّق في الآفاق ، حتى إذا هوى مشخناً
بالجراح ، نثر علينا من تراثه الفكري أنفس الأعلاق .

فلقد كان مولده بشرى بزوغ فجر جديد ، في الأدب العربي ، والانطلاق العربي ، والنبل العربي . ولبنان الفتان حمل الى العالم هذه البشري السخية التي تردّد صداها في العالمين القديم والجديد . وسيعيش ضيوفاً على ذكرى الريحاني الكبير طائفة من الملوك والأمراء ، والمشايخ والوزراء .

أمّا كرمه الخصب ، كرمه الجواد المطّار المدرار ، حيث العناقيد الجنية الشهية وحيث الدنان والنغم النشوان ، والحرف الريان ، وحيث الظلّ والانس والضيافة وحسن الوفادة ، أمّا هذا الكرم فهو يرحب دائماً كل رائد وزائر وضيف وطالب زاد ومعرفة .

* * *

هذه خطوط عريضة سطحية من صور أمين الريحاني الكاتب المجدّد والمفكّر والقومي والاصلاحي والمؤرخ الرحالة والشاعر ، رسمتها قصيرة مريعة من باب إيجاز الموجز تمهيداً للموضوع الرئيسي وهو « أمين الريحاني وأثر القرآن الكريم في شعره المنشور » ، ولا يخفى على أحد براعة الريحاني في هذا الفن وإجادته في هذا المضمار حتى قال فيه بعض النقاد إنه أمير الشعر المنشور بالعربية .

والمقصود بالشعر المنشور ، ذلك القريض الحر الطليق من الأوزان والقوافي ، وقد وصفه الريحاني نفسه في مجموعته « هتاف الأودية » بأنه « آخر ما اتصل إليه الارتقاء الشعري عند الافرنج وبالأخص عند الانكليز والأميركيين » .

وبعد ما يحدّثنا عن الشاعر الأميركي ولت ويتان مبتكر هذا الفن يقول : « أما مزايا شعر ويتن فلا تنحصر بقلبه الغريب الجديد فقط ، بل بما فيه من الفلسفة والخيال ممّا هو أغرب وأجده » ويتن هذا هو الذي أوحى إلى الأمين بالشعر المنشور ، كما قال الريحاني نفسه .

أما القالب الغريب الجديد الذي ابتدعه ويتمن ، فهو مما يستعصي نقله إلى العربية ، كما يستعصي علينا نقل الأوزان العربية إلى الفرنجية ، فتبقى إذن من مزايا شعر ويتمن الفلسفة والخيال « وهما أغرب وأجدّ من القالب » كما قال الريحاني .

وغريب أن نسمع هذا القول من الأمين ، فهل خلا الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، من فلسفة وخيال حتى نستوردها من الخارج ؟ ولكن يبدو لنا أن الريحاني ما آثر هذا الطراز من الشعر ، على القريض الموزون المقتضى إلا لأنه أخفق في تجربته الشخصية ، ولم يلبث بعدئذ أن أصدر حكماً عاماً نعى فيه على الشعر العربي إذ قال : « إنني لا أزال أعجب من بعض شعرائنا كيف يتعمتلون المعاني تعطلاً . إن القافية والوزن اللذين يعبداهما العرب عبادتهم المشهورة ، قيد ثقيل على الشعر . إنها منافيان لروحه . سرّ الشعر أن يكون طبيعياً متدفقاً من النفس ، والوزن يقول له : لا تستطيع أن تخرج إلا بهذا الطريق ، كما يقول الأبواب للماء » . (الشعر العربي في المهجر الأميركي لوديع ديب) .

ولا بدّ لنا من كلمة في هذا الموضوع ، فنحن لاننكر أن الوزن والقافية قيد ثقيل ، ولكن الشعر لا يستقيم أمره ، أي أن الكلام لا ينتظم شعراً بدونها ، ذلك بأن الجرس الموسيقي هو الذي يميّز الشعر من النثر ثم يجب علينا أن نميّز بين الشاعر المطبوع ، والمثّاع الذي يستعصي عليه النظم المضبوط ، وهذا لا شأن له في حديثنا ، أما إذا كان الناظم مطبوعاً بملكته وسجيته وذوقه ورهافة الأذن الموسيقية ، فليس للوزن وتوابعه أن تعامره وتضايقه وتسد عليه المنافذ والأبواب ، بل تنقاد له عفواً وتفتح له الطريق مرحبةً باشةً ، وهذا ما نلقاه في قصائد الشعراء المطبوعين قديماً وحديثاً .

أما أن نظم الشعر طبعٌ وملكة قبل أن يكون علماً وجهداً وإعنائاً ،
فدليلنا أولئك الشعراء الذين أجادوا كل الإجادة ، وأبدعوا كل الإبداع
دون أن يدرسوا أو يعرفوا أسماء البحور وأوزانها على الأقل ، ودليلنا
أيضاً أولئك الشعراء الذين نظموا قصائدهم قبل أن ينظم الخليل أوزان
الشعر ويضبط علم العروض . فالشعر نشأ إذن قبل كتاب الخليل ، وهو
إذن ليس علماً ، وإنما هو موهبة طبيعية كسائر المواهب الذهنية والروحانية
والجسدية وسواها من القوى المحسوسة وغير المحسوسة ، إذا استعصى أمرها
على رجل فهي لاتستعصي على آخر .

فعلى الناظم أن يكون ذا موهبة شعرية أولاً ، وإذا لم ينجح فالذنب
ذنبه لا ذنب الشعر . إنه لم يخلق بحكم طبيعته شاعراً .

هذه واحدة ، وأخرى يا ويل الشعر إذا كسرنا أوزانه وحطّمناها
وأخسرنا قوافيه ، الويل له إذا طرحنا قوالبه وموسيقاه ، فلس قياده
لكل راكب ، واستكان لكل طالب . انذا سنوباً بحمي العجائب وفوضى
الغرائب ، وتهاقت الملتكات والمواهب ، وأين منها برج بابل والنواب ،
والعياذ بالله والأدب والفن من شرّ هذه المصائب ، وما تجرّه من سوء العواقب .

* * *

ولنتنقل الى الشعر المنشور أو الشعر المرسل ، ولندرسه على ضوء زعمائه
ودعائه ، فما هي ميزاته ، وما هو طابعه ومادته ؟

ان الشعر المرسل لا يختلف عن الشعر الموزون المقفى إلا من حيث
« الهندسة » أو الهيكل ، غير أننا إذا أطلقنا الشعر من قيود القوافي
والأوزان ، وخلعنا عنه حلاله وكسرنا قوالبه وصيغته ، وطرّدناه من
« وطنه الأصيل وجوّه » تحتّم علينا أن نعوض عن الأوزان والقوافي
ونأخذ بشيء من الجرس الموسيقي ، وأن نكسوه نلبسه ثوباً جديداً ،

وأن 'نقطعه' «وطناً جديداً» نلمح فيه الالتماع الغنيّة والومضات الشعرية .
 أمّا طرافة هذا الشعر فهي أنه لا يجري على قياس مطّرد أو قاعدة ثابتة
 أو نظام مقرر مدروس ، بل يُترك الأمر لقوة التوليد والإبداع في
 الخيلة . ولا بأس بعد هذا أن 'نلم' ببعض الأسس التي يجب أن يرتكز
 عليها الشعر المرسل حتى يتميز عن النثر ، وحتى يكتسب جوّه الشعري
 ولونه وريحه .

(١) الجرس الموسيقي القائم على التواؤم في اللفظة والعبارة ليستقيم
 التناغم والإيقاع الى حدٍّ ما . والألفاظ تشبه المعادن فبينها الكريمة وغير
 الكريمة والنفيسة والرخيصة ، وبينها الصامنة الخرساء ، والرثانة المصفقة
 والملاءمة البسامة وذات الإشعاع .

(٢) الجوّه الشعري الذي ينقل القارئ من جوّه النثر العادي المألوف
 الى الجوّه الشعري الملوّن الفسيح حيث يتسع مدى الخيال وخصب الخيال
 وصور الخيال وحقيقة الخيال . فالخيال الذي لا يستمدّ وحيه من الحقيقة ،
 إنما هو هذر صتيل شفاف . .

(٣) الاستعارات والمجازات والتشابه والكنائيات العميقة التي تولّد
 التعابير المجنّحة والصور المستحدثة والألوان البيانية دون أن يكون للإغراق
 والإغراب أشباح الغموض والإبهام أو الرمزية المغلقة التي يغمض معناها
 على صاحبها نفسه لأنها قنطوي على « لا شيء » .

(٤) الأسلوب الشعري الذي يقوم على الأصالة والفن والانطلاق ،
 كما يقوم على سلامة اللغة وفصاحة اللفظ ، ويتميّز بالعبارات المجرّدة الرشيدة
 والذرات المصلصة نارة ، والموسوسة الهامسة أخرى ، وبالإطار النغم
 الذي يمتزج بالفكرة امتزاجاً منسجماً ملوّناً فلا يطفئ عليها ، بل يبدو ،
 وكأنه فلذة منها وجارحة من جوارحها .

٥) وحدة الموضوع وروعته وجلاله الهدف ، فالسر لا يكمن في الصيغة الفنية الموسيقية مقدار ما يكمن في جمالية الموضوع .
 فهذه الخطوط الخمسة يصح أن نمتخذها أسساً أولية لما نسميه الشعر المرسل أو المنشور ، ولكن ما أصعب ممارسة كتابة هذا الفن ضمن هذه الشروط ، إنها ولا شك أصعب من قيود الأوزان والقوافي ، ولذلك يندر الوقوع على الجيد الرائع المكتوب باللغة العربية على كثرة من يمارسون هذا الفن . وقد تكون خطوط ويتمن وأساليبه وقوابله وآراؤه وفلسفته على جانب خطير من جلال الشأن في اللغة الانكليزية ، أمّا في العربية فاننا لا نستطيع التهجين ، ولا نهضم التنغيل ، ما دمنا نلك الأصيل الأثيل ، وما دام الإبداع نفسه يفرض علينا التأصيل ، فلكل لغة أريجها ومذاقها وألوانها البيانية وأساليبها التعبيرية ، ونحن يشوقنا أن نرى البدوية بخمارها وحلاها على رأسها ، ولا يشوقنا أبداً أن نراها بقبعة افرنجية ذات ألوان وأرياش منتصبة أو مستلقية ، هذا المظهر هو من مظاهر «الكرفال» والمساخر ..

* * *

والصحيح أني وقفت وأطلت التفكير في حديث الريحاني عن الشعر المنشور و «ولت ويتمن» وعدت الى قصائده المرسلة لعلني أرى فيها لونا لهذا الشاعر الأميركي . فكرة «أسلوباً وتعبيراً» ، فبحنت وبحنت ونقبت ونقبت ، ولكني أخفقت . وحمدت الله إذ خاب أمني ، لأنني أضنّ بالريحاني العملاق أن يكون مقلداً في أدبه ، وهو المقتنن المجدّد ، طابعاً على غرار شاعر أجنبي .

ثم حمدت الله مرة ثانية ، إذ رأيت الريحاني مقتبساً من صميم الأدب العربي في الدرجة الأولى ، منتهلاً من ينبوع سليقته وفطرته في الدرجة

الثانية ، وعندئذ لم أملك إلا أن أتساءل مستغرباً مدهوشاً : كيف أضاع هذا الجبار نفسه في قضية الشعر المنثور ؟

وكيف نبحت عن الشعر المنثور في « ویتمن » وغيره ، وعندنا القرآن الكريم الذي شق لنا طريق الشعر المرسل بألوانه البيانية الفتانة ، وجوائه المتأنقة ، وصوره المرصعة بلاغةً ومجازاً وكنايةً ، وتمايزه المبتكرة المجنحة ، ومعانيه العميقة المعجزة ، وانطلاقاته العبقريّة البعيدة ، وفصاحه ألفاظه ونضارتها وعدوبة وقعها ، أضف الى هذه كلها جرسه الموسيقي في آياته البينات الموصول بين تناغم وإيقاع ؟

إذا كان القرآن الكريم كتاباً دينياً يعلمنا ثورة الحق على الباطل والنور على الظلام ، فلا جدال أيضاً في أنه أعظم فتح عبقرى جديد في الأدب العربي ، وثورة رائعة على الجود والمحاكاة أو التمثيل ، وينبوع فياض لمن شاء أن يبتكر ويستحدث ويستولد .

ولنأخذ بعد هذا قصيدة الريحاني الأولى التي استهل بها مجموعته (هتاف الأودية) وعنوانها (ریح سموم) ، لنأخذها ولنتأملها فكرة وأسلوباً ونقماً ، نلقَ فيها لفظة قرآنية جليئة ، أمّا الشاعر الأميركي « ویتمن » فلا نلقى له فيها أيّ ظلّ أو أثر .

(١) فقد تخيل الريحاني في المقطع الأول - هلاك الأرض - بريح سموم - وهذه الريح تذكرنا « بريح صرصر » أهلكت عاداً .

(٢) ويستحلف الريحاني قارئه قائلاً - بربك القيوم - والقيوم من أسماء الحسنی التي وردت في القرآن الكريم .

(٣) ويلتزم الريحاني السجع فيقول : بربك القيوم ، ما الذي تظنه يدوم . صوت سمعته في الكروم . وقد مرّت عليها ریح سموم الخ . . وهذا مقتبس من السجع القرآني .

(٤) ثم يصف ما تقع عليه العيون من مظاهر العمران بين أبراج ومعامل وأنفاق وقباب وجسور وأسداد وأبنية العشرين طبقة ومعابد وقصور وصروح وبوارج وأساطيل ، ويلتفت الى الرياض والجزر والجبال ، حتى اذا انتهى انتقل الى الشرائع والعادات والدول والحكومات والطوائف والجماعات ، فيتساءل : ما الذي تظننه يدوم ؟

وكل ما يستعرضه الريحاني في هذا الموضوع يشبه معالم الحضارات الغابرة التي وصفها القرآن العزيز بعد ما أباد الله أصحابها : (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمتهم يتذكرون) مثل إرم ذات العماد ، وثمود وفرعون الخ .

(٥) وفي المقطع التاسع يردّ على السؤال ويقول : « لا يدوم إلاّ السجايا الروحية الفريدة ، سجايا النفس البشرية الحميدة » . وهذه الديومة أو الخلود نراها في قوله تعالى : « وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار الخ » ، أي ان العمل الصالح هو الذي يدوم ، ومبعث العمل الصالح هو السجايا الروحية ، سجايا النفس البشرية المتسامية ، فرمى الريحاني الى الله تعالى بشيء من نوره أي النفس والروح ، والاشتقاق واضح .

(٦) ثم لا يلبث الريحاني أن يصوّر الحشر أو القيامة أو الحاقّة أو البعث بمعانيه الواسعة فيقول : « يومئذ يبطل الجدال ، وتنكسر شوكة المال ، وتحشر الرجال ، وتكبر الآمال » . وفي سورة المجادلة : « لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من دون الله شيئاً » . وفي الحاقّة : « وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابية . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتني كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه » . وليرتل القارئ جمال هذا الشعر المنثور الرفيع بصورة الرائعة وإيقاعه الموسيقي الساحر .

فالكتاب العزيز صور ندامة (الضالّين) وأسفهم وحسرتهم ، والريحاني فائتته صورة هذه الانفعالات النفسية في مواقف الهلاك واقتصر على المظاهر المادية فقال : « يومئذ تنكسر شوكة المال ، وتُحشر الرجال » . وهذا الوصف مأخوذ من قوله تعالى : « ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه » . وفي سورة الليل : « وأمّا من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما بُغني عنه ماله إذا تردى » .

أمّا عبارة الريحاني « وتكبر الآمال » ففيها نظر . إن الآمال في موقف الدينونة لا تتخذ شكلاً واحداً ، إنها تكبر حقاً في قلوب الصالحين ، ولكنها تتمحق وتضمحل في قلوب الضالّين . وما أجل ما جاء في القرآن الكريم في هذا الصدد : « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » . (٧) ويتابع الريحاني وصف (القيامة) أو الحشر فيقول : « يومئذ تقلب المجتمعات ، وترتعد فرائص الطغاة ، وتهب على الأرض الذاريات السافيات » . وهذا الوصف خطأ من صورة مصغرة لما ورد في القرآن الكريم في هذا المعنى أو هذا الموضوع ، كما أن « الطغاة والعناة والذاريات والسافيات » ألفاظ كثر ورودها فيه ، فما أتاها الأمين بجديد ، لفظاً أو معنى أو أسلوباً .

(٨) وتنتهي قصيدة الريحاني بالدعوة إلى الجِدِّ والعرفان والمعروف والإحسان فيقول : « يومئذ وربّ الأكوان . لا بقاء لسوى الجِدِّ والعرفان ، والمعروف والإحسان » . وهذه فضائل أو مكارم خلقية ونفسية وفكرية ، وهي بما دعا إليه القرآن الكريم والحديث الشريف كقوله تعالى : « وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار » . وقد استشهدنا بهذه الآية سابقاً . والإيمان بالله يعني ضمناً الإيمان بمكارم الأخلاق ونور العلم . ودعوة الريحاني المذكورة تذكّرنا أيضاً بالحديث

الشريف : « لك ما لبست فأبليت وما أكلت فأفديت وما تصدقت فأبقيت » ،
أي لا بقاء لسوى الصدقات - المعروف والإحسان . ولا ينحصر جمال
هذا الحديث في الدعوة الى الخير فقط ، بل يتعداها أيضاً الى الروعة
البيانية في الإيجاز المعجز ، وإلى الجرس الموسيقي الهادى ، والناعم ، والوعظ
والإرشاد لا يصلح لهما سوى النغم الرقيق المعبر ، وهذا هو الشعر
المرسل العبقري .

وتذكّرنا أيضاً بالحديث النبوي المشهور : « اطلب العلم ولو بالطين »
وفيه أشدّ الحث على طلب المعرفة .

٩ (ألا يحقّ لنا بعد هذا أن نتساءل ونتساءل مدهوشين مشدوهين :
أين هو أثر « ويتمن » الذي كان يجب أن يبرز جلياً قوياً ، وخصوصاً
في القصيدة الأولى وهي فريدة العقد في مجموعة شعره المنشور (هتاف الأودية) ؟
أولاً يحقّ لنا أن نجزم ، في أن الأمين استقى أوّل ما استقى من
كوثر القرآن ، واستهدى أوّل ما استهدى بنور القرآن ، فرسخت في ذهنه
صوره وألفاظه وتماييره ، كما عاقت أذنه يجرسه الموسيقي وإيقاعه ، فكان
له عمدة في شعره المنشور فكرة " أسلوباً وإطاراً ولفظاً ؟ إن الريحاني
استوحى شعره المرسل من صميم القرآن ، أي من صميم الأدب العربي ،
ولذلك نهار أشدّ الخيرة عندما نراه يشير الى « ويتمن » الأميركاني ويتغنى به ،
ويغفل القرآن معلمه الأوّل ، ولا ندري كيف نعلّل هذه الظاهرة الغريبة ،
مع أن الريحاني عملاق في أدبه وفكره وأصالته .

أما وقد تحدّثنا عن الشعر المنشور فلنتابع جولتنا في مجموعة (هتاف
الأودية) ودراستنا لأمين الريحاني في هذا الفن ، ففي القصيدة الثانية
- رماد ونجوم - صورة لنفاق المجتمع ، وهي صورة ملوّنة حسّاسة

لها جرسها الموسيقي وإن خلا بعض مصاريعها من السجع ، وأجل ما فيها هاتان الفقرتان الحكيمتان : « في الصعلوك نفس تكبر إذا انطلقت من القيود ، وفي الملك نفس تصغر إذا جرّدت من ترهات الأئمة والإجلال » . ثم تنتهي القصيدة بالوعظ والتأنيب والإنذار ، يقول الريحاني : « إلى مَن نيل وجهنا عن الفقراء الأذلاء ، ونعقره أمام الأغنياء والأمرأ ؟ احذروا مَن تكرهون ومن تحبّتون ، مَن تحتقرون ومن تجلّتون . لعلّ عليّة القوم أدناهم » . وهو وعظ مطروق نثرأ وشعراً وكان على الأمين أن « يلقّحه » بشيء من عبقريته ليرتفع عن المستوى العادي .

وعندما نطلّ على (الثورة) نرتع تارة في جوّ موسيقي هادئ أنيس ، وطوراً في جوّ إرهابي مزجر محموم لما يتخلّل القصيدة من ألفاظ صاخبة حامية وصوّر حمر دامية ، مثل القطوب والعصيب والرهيب والنحيب والزئير والنعيب ، والنار والسيّف والأغلال والسعير والقنابل وقطع الرؤوس وحزّ الرقاب والمشقة ولهيب الأنون والبراكين ، وويل للظالمين الخ . وقد ألزم السجع في كل مقاطعها فكان الإيقاع جميلاً ، وكان لفقراتها المدجّجة العنيفة الذبرات ، صداها البعيد في الجوّ الشعري النائر ، غير أن الريحاني وهو الذي يعدّ الأوزان والقوافي قيوداً تحمل الشاعر على « التعمّل » في المعاني والمباني ، اضطر في سبيل السجعة أو القافية أن يرتكب خطأ لغويّاً فاضحاً إذ قال في آخر المقطع الثاني :

... ونساؤها (أي الثورة) المتمنّرات

وخطباؤها وخطيباتها الفصيحات

وزعماؤها وزعمايتها المتمرّدات

والصواب : وخطباؤها وخطيباتها الفصحاء ، وزعماؤها وزعمايتها المتمردون أي بتغليب الذكور على الإناث لا بتغليب التأنيث على التذكير ، ولا يدفع هذا التغليب قولنا إن الفصاحة صفة للخطيبات وحدهنّ وإن

التمرد صفة أيضاً للزعماء ، فالفصاحة والتمرد تغلبان على الذكور ، وخصوصاً في المواقف الثورية .

وارتكب هفوة لغوية أخرى في سبيل التسجيع إذ قال : ألم نقص عليك قصص باريس ، يوم دُكَّ البستيل وزفتت المحاييس ، ولا يجمع محبوس على محاييس كما تقول العامة ، على أنه تغشى خطأ جمع مفعول على مفاعيل وهو انما يجمع جمعاً مؤنثاً سالماً ، وجرى على السنة الخطباء وأقلام الكتاب والأدباء فقالوا : مفاهيم ومشاريع ومواضيع ومراسيم ومضامين الخ وصوابها مفهومات وموضوعات ومرسومات ومضمونات ، وأحصى علماء اللغة ست لفظات 'جمعت على مفاعيل لوقوعها صفة لازمة مثل مجازين ومناكيد وملاعين .

والإيحاء القرآني واضح وخصوصاً في لازمة القصيدة ، « ويل للظالمين الخ » وبعض التعابير الأخرى . فاللازمة تنطوي على الوعيد والتهديد طبقاً لما جاء في كتابه العزيز إذ ينذر الكافرين والمفسدين بالعقاب والعذاب الأليم : « ان لدينا أنكالاً (أغلالاً) وجحياً ، وطعاماً ذا غصّة وعذاباً أليماً » ، ولنلاحظ السجع وحسن الإيقاع . و « إنا أعددنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً » ؛ و « .. والظالمين أعددنا لهم عذاباً أليماً » ؛ و « .. ويل يومئذ للكذابين .. » وما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » و « ويل للعطفنين . ويل لكل همزة لمزة » ؛ و « فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون » ، أي الزكاة والطاعة والإغاثة .

ويقول الريحاني : « ويل يومئذ للظالمين . ويل يومئذ للمفسدين . هو يوم من السنين . بل ساعة من يوم الدين . أنذرهم بأغلال وسعير .. ويوم عسير » ، والشبه واضح .

ويستعمل الريحاني التعبير القرآني في الحث على الاعتبار بالآخرين
 فيقول : ألم نقص عليهم .. ألم يأتهم .. ألم يروا .. الخ
 وقد اقتصر الريحاني في قصيدته هذه (الثورة) على تصوير أربع ثورات
 تاريخية وهي مصرع يوليوس قيصر ، وسقوط البستيل أو الثورة الفرنسية ،
 وثورة كرومويل على شارل الأول الانكليزي ، والحرب الأهلية لتحرير
 الزوج العبيد ، وهي كلها ثورات سياسية إصلاحية محلية وبالتالي ليست لها
 صفة عالمية أو امتداد عالمي كالثورات الروحية الكبرى التي هزت شعوب
 الأرض وأيقظتها واتخذت منها مذاهبها وعقائدها كالمسيحية والإسلامية
 اللتين قادتا أمم العالم ولا تزالان تفودانها ، ولا شك أنها أجدر بالتنويه
 من الثورات السياسية الإصلاحية ذات الطابع المحلي ، ولولاهما ما عرف
 العالم معنى الثورة والتحرر والانتفاض ؟ ولكن يشفع بهذه القصيدة أنها
 نظمت في عصر السلطان عبد الحميد (١٩٠٧ م) وكأنها نذير لسلطانه
 الأسود الأحمر ..



أما في قصيدته « غريبان » فقد أبدع فكرة وأسلوباً وفناً وإيقاعاً .
 الريحاني عميق الإيمان بالله وجماله ومحبته وحكمته ، ولكنه لا يأخذ بالطقوس
 والمرامم ، ولا يجري وراء المظاهر والتقاليد ، بل يحرص أشد الحرص
 على الجوهر واللباب والأعمال ، العمل الصالح هو الدين وهو العبادة ،
 أما الاقتراب الى الله بالشفاه وحدها فتقليد لا طائل وراءه .

كان الريحاني ، رحمه الله ، يزرر الكنيسة مرة واحدة في السنة ،
 وذلك يوم الجمعة العظيم حين يحتفلون بذكرى آلام المسيح وجنازته ،
 وقد أوحى له هذا الاحتفال الديني الكندي بقصيدته الجميلة (غريبان) .
 ولنسمع الآن هذا المقطع أو هذا المشهد الرائع لجنازة المسيح في الكنيسة ،

كما تحيَّله وكما ترجمه ، ولا حرج علينا لأن الدراسة تقتضي أحياناً خوض
مالاً يُستحسن الخوض فيه قال الأمين :

« ها قد مشى في الجنائز المدممون . وهم في الكنيسة يطوفون .
هوذا الصليب ، وقد تصاعد وراءه النقيب ، وأمامه البخور والطيب ،
وصل الموكب إليّ . فما جثوتُ على ركبتيّ . مرَّحت في الناس نظري
فرأيتهم ساجدين . ورأيت بقربة مني رجلاً واحداً من الواقفين . رأيت
في وجه هذا الغريب . ما خالج قلبي الكتيب . فصرخت ساكتاً : إلهي
إننا غريبان ههنا . أسمعته خدّامك ينعبون . ألتئمنا لك الناس يسجدون ،
وهم عنك بعيدون . نفحة من جنانك . كلمة لإخوانك » .

أمّا الغريبان اللذان عناهما الشاعر في قصيدته فهما المسيح والريحاني
نفسه ، وغفر الله للأمين ، وتغمّده بالرفق واللين ، وأثاب إيمانه العربي
في يوم الدين .

ورثي الريحاني ابن اخته فؤاداً بقصيدة وارفة الظلال ، شجيّة الخيال ،
خاشعة الألوان ، متجاربة الألحان ، عبقرية الأشجان ، سمعنا فيها الشاعر
النظام الى جانب الشاعر الناثر ، قال الأول :

يهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد
ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد

وهناك أبيات أخرى مطلعها :

فجبنا نجوم الحياة عراةً وفينا الخجول وفينا الخليل
ولا فدري هل نظم هذه الأبيات - على ركاكتها - منساقاً بسليقة
شعرية أم أنه تحامل على نفسه ، فجذبه الوزن والقافية الى حيث لا يشاء .
نعم أصاب العروضي وأرضي الخليل ، ولكنه لم يُصب البيان وجمال الإداء

والتمثيل . فالشاعر 'خيّل' إليه أن بهاء جمال الميت المرثي حوّل تراب القبر الى جمال ، وهذا العجب ! كما أن نور عينيه انحجب في ظلمة القبر ولكن هذه الظلمة غلبت على النور وأصبح النور شديد السواد ! وهذا يعني أن « بهاء الجمال » استطاع أن يصنع أعجوبته في القراب ولم يفقد عنصره وخصائصه ، ولكن نور العينين عجز عن الإتيان بمثل هذه المعجزة ، فاستحال الى سواد شديد !

وقد يكون في قوله : « عجبت لنور شديد السواد » مجاز عميق أو رمز وفكرة باطنية ولكنه لم يمتد له بما يهيء الذهن لاستيعاب هذا المجاز وهذه الفكرة . ثم إن الشاعر جارى العامة في استعمال « خجول » بدلاً من « خجيل » بالفتح والكسر .

ولقد صدق الريحاني إذ قال إنه « يعجب من بعض شعرائنا يتعملون المعاني تمسكاً بسبب الوزن والقافية اللذين يقيدان الشعر » ، ولا شك أن حكمه هذا ناتج عن تجربة شخصية كما قلنا سابقاً . وقد انتهت هذه التجربة بالإخفاق فحكم على الوزن والقافية بأنهما قيد يشل حركة الشاعر . ولكن تجربته الشخصية الخائبة لا تصلح حكماً على الكل ، فالصحيح أن الريحاني وإن يكن شاعراً بروحه وذوقه ، لا يملك الموهبة الشعرية المتدفقة التي تصوغ الأوزان والقوافي بطواعية الشمع بين أصابع رجل صناع اليمين . ولا شك أن ملكته الاستقصائية الدراسية ، وعقلانيته في معالجة الموضوعات ، واعتماده في تفكيره على الحقائق المجرّدة ، وأسلوبه في سبك الجدل في قالب السخرية ، وهذه في قالب الجدل ، ونزعته الثورية الإصلاحية بين هدم وبناء . لا شك أن هذه كلها ملكت عليه أمره ، حتى إذا طارد الشعر الموزون المقفى ، أفلت منه وطار . . ثم إن في الشعر شيئاً من الوحي . نعود إلى مرثاته لابن شقيقته فؤاد ، فالقاريء يقع فيها على تفجّع وأي تفجّع ، وعلى أمى وأي أمى ، وعلى وجد وأي وجد ، ولكن

القاريء لا يغرق بالدموع ، ولا تصطك أذناه بالزفرات والآهات والنشيج .
 في هذه القصيدة نلقى قلباً حسّاساً يحزّ فيه الألم ، قلباً مثخناً بالجراح ،
 ولكنه قلب شجاع حكيم لا يبكي ولا يستبكي ولا يتهافت هلعاً وجزعاً
 ويقمى عليه ثم يشدّ القاريء باغماءته ، بل كأن الألم يشقّ لهذا القلب
 آفاقاً جديدة تتكشف عن خيال وحقيقة ، وأشباح وأحلام ، ورؤى
 وفلسفة ، فإذا الحزن والألم تجربة وقوّة وانتفاضة وانطلاقة روحانية بعيدة
 المدى ، فلا عبرات وتشتمجات وشقّ جيوب ولطم حدود وانهايار في الجسم
 وخوّر في الروح ، وهو المنهج الذي نهجه شعراؤنا الأقدمون والمحدثون
 في الرثاء ، وما أعظم المعري إذ قال :

« غير مجديّ في ملتي واعتقادي نوح بالكِ ولا ترتّم شادي »
 لولا إفراطه في السلبية .

ورثى الريحاني في مجموعته « هتاف الأودية » صديقه ورفيقه جبران
 خليل جبران بقصيدة منشورة لمت فيها جروح قلبه شعراً وبياناً وخيالاً
 وفلسفة ، ولكن لم نلمع في مراثيه دمعة . ولقد سمعنا فيها الترنيم والترتيل ،
 ولكننا لم نسمع النصيب والعويل . وهنا يبرز طابع الريحاني النفساني
 وشخصانيته وسرّ قوّته في تفكيره وصوّره وأهدافه .



ولأدب الطبيعة في شعر الريحاني المنشور طابع جليّ بارز ؛ إنه ذلك الهاثم
 المشغوف الذي انسبكت روحه وقلبه وذهنه وعينه وكل قواه في الطبيعة ،
 هذه « الأم الأزلية الأبدية » التي يفيض صدرها حناناً وعطاء ، ورواءً
 وثرأ ، وأملًا وعزاء وحباً وإيحاء ، وصلاحاً وصفاء ، وتعاوناً وإخاء ،
 وصوراً أخاذة تلتهم فيها الإنسانية الزهراء ، والكلمة العذراء ، كلمة الله
 بأسط الأرض والسماء ، وخالق الجهاد والأحياء .

أخبرنا السيد ألبرت الريحاني أن شقيقه الأمين لم ينقطع قط عن الهبوط إلى وادي الفريكة ، يتردد إليه في كل الفصول ، وما كانت الأمطار والثلوج في الشتاء لتصدّه عن زيارة الوادي والاستمتاع بخير المياه وهدير الشلالات وهطول الأمطار التي هي سيل مرّة وبجيرة أخرى ، وكان للعواصف والرياح وقعها الطروب في أذنه ونفسه ، كما كان يقف خاشعاً أمام شجرة اقتلعها السيل الجارف أو أخرى سلخت عنها العاصفة بعض أغصانها ، حتى إذا أعيّا عاد إلى المنزل ناطر ثيابه ماء ، وتفيض البهجة في صدره ، وبعد أن يستبدل ثيابه ويشرب الشاي ينصرف إلى غرفته ليترجم كل ما رأى في ذلك الوادي .

ونحن لا نستغرب بعد هذا أن يبني الريحاني الكبير معبده في أحضان وادي الفريكة حيث تجلّى له « الإيمان والدين والله » كما يقول . وهذا يعني أن حب الطبيعة كان أصيلاً كل الأصالة في أدب الريحاني ، وليس كما زعم بعضهم أنه تأثر بالأدب الغربي واقتبس منه في شعره المنشور وسائر ما كتبه . والصحيح أن شعراء المهجر عموماً من الكبار إلى الصغار ، شمالاً وجنوباً ، برعوا كل البراعة في أدب الطبيعة مدفوعين إلى الإجابة بذلك الحنين المشوب إلى الوطن النائي ، إلى سورية ولبنان ، عروسي الجمال الطبيعي في العالم . ويشوقنا بعد هذا أن نلقي نظرة خاطفة على قصيدته المنشورة « معبدي في الوادي » وقد ترجم فيها ما ارتسم في عقله وقلبه من آثار وادي الفريكة ، وكان طبيعياً أن يلتزم التسجيع كمادته في معظم شعره المنشور مدفوعاً بالتناغم وحسن الإيقاع ، فانسأقت له القوافي إلا في فقرتين حيث يقول : « وقفت على ضريح الشتاء ليلاً . فشاهدت هناك مشهداً جليلاً » ، وياه (الليل) ساكنة تتقدمها فتحة أمّا ياه (الليل) فليئنة بمدودة . وأيضاً حيث يقول : « شاهدت ربّة الوادي تقبّل جبين أبيها .

فينور الأقحوان تحت شفتيها ، ، وياه (أبيها) ممدودة لينة ، أما ياه (شفتيها) فساكنة تتقدمها فتحة .

ولنسمع هذا المنقطع الجميل الذي ترجم فيه شيئاً من صور الوادي :
 « إن في قلبي اليوم شيئاً بما في قلب جاري . وفي قلب الغاب أثراً من آثاره . إن قلبي في عقل هذا القروي » ، وعقله في قلبي الخفي . فما يراه في الأرض من نور العالمين ، أراه في أكام الورد وبراعم الياسمين . إن في ورقة التوت ، مرأ لا يكشفه اللاهوت . ولورقة التوت كما يعلم الجميع ميزة على كل أوراق الأشجار ، فهي غذاء دودة القز دون سائر النباتات ، ودودة القز ترمز إلى الموت والبعث ، فبعدما تنسج كنفها الحريري بلعابها وتنتقر في ضريحها الصغير وكأنها ماتت إلى الأبد ، لا قلبت أن تستحيل إلى فراشة تمزق الكفن وتخرج من مدفنها حاملةً بيوض الحياة إلى مئات من دود القز .

ثم ينطلق الريحاني ، وكأنه كشف عن السرّ العميق الدفين : « هناك بين أشجار البطم والمزريق وتحت أدواح الصنوبر والسنديان ، هناك في بيتي ، في بيت الطبيعة ، في بيت الله ، هناك محراب الإنشاد والتفريد ، لا منصّة التحذير والوعيد ، أبني لك أيتها النفس هيكلًا من الإيمان . أقيم فيه تمثالاً للوداد والإخاء . وأدعو إليه كل بشر تحت السماء . ولا يسعنا إلا أن نقف أمام لفظة (تمثال) لتندبر وقعها في النفس ، بعدما ارتفعت النفس إلى الحل الأرفع . إن هيكل الإيمان يضمّ أسمى ما في الكائنات ، يضمّ عجائب الله ، وحبّة الله ونور الله ، فأيّ شأن لهذا (التمثال) الذي يهبط بنا إلى الوثنية المادية في حب الطبيعة وعبادة الله ؟

ويختم الريحاني قصيدته بهذا المقطع وقد تغنّى فيه بالشوك ، وبابتسامة الشوك ، وبشماع ابتسامة الشوك ، ذلك بأن الريحاني المتحرر لم يستطع إلا أن يحاري العقيدة المسيحية القائلة بصلب السيد المسيح واستشهاده على

الصليب ، وعلى رأسه إكليل من شوك كما جاء في الأناجيل ، قال الريحاني : « إن الأريج المنتشر في هذه الأدغال ، هو البخور الذي يحرقه الربيع على مذبح الحياة والإيمان . بين هذه الأدغال الندية وتحت شعاع ابتسامة الأشواك ، يلذ لي التأمل في مَنْ مات ليحيي الحب والوداعة في الناس ، بين هذه الأشواك يحملني الخيال ، إلى حيث وضع الإكليل على رأس الشهداء » . والريحاني في هذا المقطع صرف نظره عن الصليب ، وله من القداسة ماله في العقيدة المسيحية ، وتراهى له جمال يسوع في إكليل الشوك الذي ضفوه رؤساء اليهود ووضعوه على رأسه قبل الصلب استهزاءً به وازدراءً ، فلقبي الريحاني في الشوك شيئاً من وداعة يسوع ، وابتسامة يسوع ، وشعاع يسوع ، ولعله أوّل من رفع الشوك إلى هذه المرتبة القدسية بعد ما صار إكليلاً ليسوع ، على حين أن الكنيسة المسيحية لم تُمنّ قط بهذا الإكليل الشوكي الدامي .



وتبرز لنا مذاهب الريحاني الدينية في قصيدته « إلى الله » حيث نرى قبساً صوفياً إسلامياً يواكبه قبس علمي . أمّا القبس الصوفي فيذكرنا بمجيب الدين بن عربي في أبياته المشهورة التي يختمها بقوله :

أدين بدين الحبّ أتى توجّهت ركبته فالحب ديني وإيماني

وهي حالة من الإشراق الروحي المتسامي تتجلّى فيه وحدة الحقيقة الدينية في الحب المطلق ، ولكن الريحاني الذي انساق بقلبه وحده وحسّه الباطني فكان صوفياً في نظره ، الدينية ، لا يلبث أن ينساق بعقله العلمي المفكّر مدججاً في الدين خطوطاً علمية ، ولنسمع قوله مخاطباً « الله » في القصيدة المذكورة : « فلقد توضّح لي حرف ساكن من اسمك في (الغيدا) (كتاب الهندوس) ، وحرف في الزند أفستا (كتاب زردشت) ، وحرف

في الإنجيل ، وحرف في القرآن . أجل - وفي كتاب الجمعية العلمية الملكية (البريطانية) وسجلات جمعية المباحث النفسية .

أمّا ان الريحاني يؤمن بالله إيماناً كلياً ، فهذا أمر لا شك فيه مطلقاً ، ولكنه ينظر إلى الله جل جلاله من وراء أديان إلهية وأديان غير إلهية ، ومن وراء المباحث العلمية والنفسية ، أي انه يجب حذف الشيء الكثير من الكتب الدينية لترتبط بالمباحث العلمية والنفسية ارتباطاً وثيقاً يؤلف ديناً جديداً ، وهذه بدعة البدع ، بل هذا هو الهدم عينه ، دون أن يكون لنا من وراء هذا الهدم ما نبني وما فنشيء ، مع أن الريحاني في كل مطالبه الإصلاحية كان يهدم ويبني الأفضل والأصلح والأكمل .

ولكن هذه الأحرف التي توضححت للأمين في أربعة كتب دينية ، ولا ندرى لماذا أهمل الموسوية وهي إحدى الديانات السماوية الثلاث ، فنقول هذه الأحرف التي توضححت له أيضاً في كتابين علميين ، هي في نظره أحرف ساكنة تحتاج إلى حركات لدنة وهمزات وصل ، حتى يستطيع البشر أن يحسنوا النطق باسم الله . . ، ولنتأمل هذه الانطلاقة النائية في الفضاء اللانهائي : « كل أمة من الأمم أدركت حرفاً من هذا الطلمس العظيم . لكن الحركات وهمزات الوصل لا بدّ أن يأتي بها علماء المستقبل لتعطي جموداً في أحرف الكتب المقدسة الساكنة . وتبعث فيها سلالة الماء والهواء ، وتزيل اللكنة من لسان هذا البشري الطفل ومن قلبه . »

فالريحاني مقتنع إذن كل الاقتناع بأن علماء المستقبل هم المعول عليهم في تدريب شعوب العالم على النطق باسم الله كاملاً ، ولكن متى كان للعقل المحدود أن يكشف عن غير المحدود ، ومتى كان النطق باسم الله يفتقر إلى معامل ومخاير ومعادن وغازات وصواريخ ومراصد وتراكيب كيميائية وآلات الكهرونيّة وسواها ؟

وبضيق بنا المجال عن متابعة النظر في القصائد الأخرى ونقدها ، وهي لا تقل شأنًا عن شقيقاتها ، فنكتفي بهذا القدر لنرسم ما يأتي :

(١) ان الريحاني استقى أوّل ما استقى في شعره المنثور من القرآن الكريم ، فالفقرات المجرّدة الجملة ، المصلصة النبرات ، الجديدة الاستعارات ، البارة الكنايات ، إنما هي في قوالبها وأساليبها من صور القرآن الكريم .

(٢) تمكّز الريحاني على تعابير وألفاظ قرآنية ظهرت جليّة في منظوماته الرئيسية كما ومضت الصوفية الإسلامية في تفكيره وخياله الباطني ، واستقى أشياء من نشيد الأناشيد وسفر الجامعة لسليمان الحكيم والزامير لداود ، وسفر أيوب الصديق ، وقد اشتهرت هذه الأسفار المدوّنة في التوراة ، بفقراتها الشعرية الثريّة العاطلة من السجع ، وفيها فلسفة وخيال وصوفية عميقة .

(٣) جاء في مقدمة (هتاف الأودية) أن الريحاني هو أول من عني بالشعر المنثور في الأدب العربي ، والصحيح أنه جدّد وردّد ، فالشعر المنثور المطلق ، عرفناه مترجماً إلى العربية في أسفار التوراة المذكورة آنفاً ، وعرفنا الشعر المنثور الساجع في القرآن الكريم ، وعرفناه أيضاً في أطواق الذهب للزخشمري ، كما عرفناه في مواظ قس بن ساعدة وسواه في العصر الجاهلي ، واستساغ أدباء الأندلس هذا الفن فالتفوا فيه ، وكانت مجلة (الفنون) النيويوركية التي هي صحيفة الرابطة القلمية في الشمال قد نشرت نماذج من الشعر الأندلسي المرسل .

(٤) نلقى في شعر الريحاني خصب الفكرة وقوتها وانطلاقها ، ولكن « الفكرة » كثيراً ما يتضاءل نورها أو يخبو لسوء الأداء وجود الصيغة الفنية ، هذا مع اعترافنا بأن الريحاني كاتب عربي بليغ متين العبارة متصرف في ضروب الإنشاء ، وقد اشتهر أسلوبه الإنشائي بطلاوته وسلاسته وتدقق الحيويّة في معانيه .

ومصيبة الريحاني في الشعر المنشور نفسه أنه ققيّد بالجرس الموسيقي والتسجيع والفقرات المحدودة الألفاظ ، الحصة الأنفاس ، فكان شبه متعمّل متكلف ، إذ دفع نفسه إلى غير سجيّتها وسليقتها ، فكان في شعره ينحت من صخر ، وفي فثره المرسل يعرف من بحر ، ويقطف من زهر ، ويستطرف من فجر .

(٥) لا يعتمد الريحاني في شعره المنشور على حواسّه الخارجية فقط ، بل يتخطّاها إلى الفطرة والحسّ الباطني والحدس والإشراق الروحي أحياناً وجماله أنه صهر في ثقافته العربية ثقافات متعددة المصادر .

(٦) ان الفلك الذي يدور فيه هتاف الأودية ، هو البعث الفكري والروحي والثورة على الجود والجهل . وقد عالج فيه قضايا المجتمع العربي من الناحية السياسيّة القوميّة ، ولكنه ما نظّر إلى التيارات الاجتماعيّة الاشتراكية التي كانت شائعة في عصره ، ولعله معذور إذ أخذ بالتكوين السيامي الاستقلالي أولاً أي بأيديّة النشوء .

(٧) لا يدين الريحاني بمذهب معيّن من المذاهب الدينيّة المشهورة ، فقد نشأ مسيحياً مارونياً بحكم ولادته ، ولكن عندما بلغ أشده ونضج تفكيره أخذ من كل دين بنصيب أو بالقدر الذي صبا إليه قلبه وفكره . وقد دشن حياته الأدبية بقذيفة رماها في أحضان رجال الدين (المسيحي) قالوا وقتئذ إنه مهتد بها للشهرة في دنيا العرب ، ولكن قذيفته كانت « بيضاء » لم تجرح أحداً ، ولا كسرت زجاجاً ..

(٨) آية الريحاني المثلى أنه هجر وطنه في الثانية عشرة من عمره وفي صدره الخوف بمن يتكلّم لغتهم والبغض لمن في عروقه نبيء من دمهم ، والبغض والخوف هما توأما الجهل ، كما قال في مقدمة كتابه « ملوك العرب » ثم يتابع فيقول : « جمعني الله سبحانه وتعالى بأبي العلاء المعري بعد أن

هداني بواسطة الفيلسوف الانكليزي (كارايل) إلى الرسول العربي . قرأت اللزوميات معجبا بها ، ثم قرأتها مترجما ورحلت أفاخر بأني من الأمة التي نبع فيها هذا الشاعر الحرّ الجسور الحكيم . وبعد ما وصف زيارته للأندلس يمضي ويقول : « فوقفت في (الحراء) ، وسمعت أصواتاً تناديني باسم القومية ومن أجل الوطن ، وتدعوني إلى مهبط الوحي والنبوءة » . ثم أتاح له القدر الزهّار أن يزور الجزيرة العربية ويرتادها من أقصاها إلى أقصاها ، ويحادث ملوكها وأمراءها وشيوخها ، ويطلع على العالم العربي بكتابه النفيس « ملوك العرب » الذي كان باكورة رحلاته العربية . ووجه القرابة أن يهندي عربي إلى الرسول العربي عن طريق مؤلف أجنبي ، وهذا ما أصاب الريحاني العملاق .

ولكن ابن خاله الشاعر الياس طعمة وهو الذي تكفّى بعدئذٍ باسم أبي الفضل الوليد بن عبد الله بن طعمة إمعاناً في العروبة ، كان أحسن حظاً إذ اهتدى إلى الرسول العربي بنور الحرف العربي ، فمدحه بقصائد رنّانة نشرها في البرازيل حيث كان يصدر جريدته (الحراء) متغنياً بالعرب ومجداً العرب ، كما نشر سواها في الوطن بعد عودته .

(٩) ولنا أن نتساءل بعد هذا ، ما هو الأثر الذي تركه « ويتن » الأميركي في ذهن الريحاني ونفسه ؟ أكونه أول من أطلق الشعر الانكليزي من قيود العروض مجارةً لشكسبير في اطلاق الشعر الانكليزي من قيود القافية ؟ قد يكون هذا صحيحاً من ناحية الأدب الانكليزي ، أما من ناحية الأدب العربي فلا . ذلك بأن القرآن الكريم هو الذي أطلق الشعر العربي وأرسله من قيوده ، مع الحفاظ على الجرس الموسيقي تناغماً وابقاءً وسجماً مطرداً .

وبعد فإذن الصوت الذي أيقظنا وأهاب بنا ، وأثارنا واهتاجنا ونكاد نقول مهتد لنا وقادنا يوم كنا ناشئين نذلّس طريقنا إلى النور والحياة ، لم يكن صوت الريحاني في « هتاف الأودية » وإنما كان صوته في مجموعة مقالاته الريحانيات ، والتطرف والإصلاح ، والقوميّات ، وبمجموعة كتب الرحلات العربية مثل ملوك العرب وتاريخ نجد الحديث ، وقلب العراق وقلب لبنان ، والمغرب الأقصى ، وفصل الأول . فهنا سمعناه وطربنا له واشتقناه ، وهنا رأيناه ، عملاقاً عبقرياً ، وعربياً مؤمناً وفياً ، ومفكراً جريئاً نهيئاً ، وحرفاً حراً أبيضاً ، وأديباً بارعاً ألمعياً ، هنا رأينا النسر يشق عنان السماء ، ويرتاد الفضاء ، ويناجي النجمة الزهراء ، ويعود مثقلاً بالعطاء ، والديّة الهطلاء ، والكلمة الظليّة الهدباء .

أمّا في « هتاف الأودية » فما أشبهه بنسرٍ مربوط الساق ، يفشد الانطلاق ، وارتياح الآفاق ، حتى إذا بسط جناحيه وتحفّز للسباق ، شدّه الوثاق ، وأعجزه الإخفاق ، عن اللحاق ..

واعجب بعد هذا للعلاق ، يضيع نفسه في عتمة اللحاق ..

نظير نيتون



ابن هشام أنحى من سيبويه

١ — نمرود

في طليعة العلماء العرب الأفذاذ الذين منحوا تراثنا النحوي خلوده يجيء اسم عبد الله بن يوسف الأنصاري المصري المعروف بـ (ابن هشام) صاحب الكتاب الفريد في باب (مغني اللبيب) . ولهذا الكتاب في العالم العربي اليوم شهرة كبيرة ، فهو يُدرّس في أكثر الجامعات العربية لمزايا ينفرد بها من كتب النحو الجامعة الأخرى ، وبه وبمثله من مصنفات ابن هشام النحوية فاز المؤلف بإعجاب علامة عصره ابن خلدون ودفعه إلى أن يعلن في (مقدمته) العبقرية دون تحفظ : « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالمٌ بالعربية يقال له ابن هشام ، أنحى من سيبويه ! » وسنحاول في هذا البحث أن نعرّف بهذا العالم النحوي الكبير ومصنفاته وكتابه الجامع (المغني) وخصائصه .

٢ — العصر

عاش ابن هشام في القرن الثامن الهجري (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) في مصر ، وقد كانت يومذاك تحت حكم المماليك الذين انتزعوا السلطة من أيدي سادتهم الأيوبيين منذ منتصف القرن الماضي (سنة ٦٤٨ هـ) ، وكانت القاهرة قد بدأت تنهض بالدور الحضاري الكبير الذي كانت بغداد مسرحاً له قبل نكبتها بالغزو المغولي ، واستيلاء هولاكو عليها (سنة ٦٥٦ هـ) ، وقضائه على خلافة العباسيين فيها ، وتدميره مكتباتها العامرة ، وإعماله

السيف في أهلها ، وبينهم صفوة من كبار العلماء وأعلام الأدب . وكذلك تحول مركز الإشعاع الحضاري الإسلامي إلى القاهرة ، بانتقال ذوي المواهب إليها ، فتعددت فيها المدارس ، ونشطت حركة التأليف في مختلف العلوم والفنون . وكان لتشجيع السلاطين المماليك للعلماء وتقريهم إياهم وحرصهم على نشر العلم وازدهار التأليف أثرٌ ملحوظ ، وأصبحت القاهرة تستقبل وفود المهاجرين إليها من علماء المسلمين ، من الشرق والغرب : فهم يفرون من جور المغول في الشرق كما يفرون من بطش الاسبان المتغلبين على الأندلس في الغرب ، وهم جميعاً يلقون في مصر - وفي سورية التي كانت يومذاك تابعة لها - 'مقاماً آمناً' وعيشاً مستقراً يعين على التأليف والإنتاج ، وإن تكن الكثيرة من مؤلفات هذا العصر - شأن غيره من عصور الانحطاط والظلام - قد ماتت فيها روح الابتكار وانعدمت الأصالة ، فهي جمع وتصنيف واجترار وتقليد يابس لا أثر للاجتهاد فيه !

٣ - الرجل

في هذا العصر ، وفي مدينة القاهرة ولد ابن هشام سنة ٥٧٠ هـ ونشأ فيها ، ودرس على كثير من شيوخها ، فلزم الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف ابن المرحّل ، وقرأ على ابن السراج ، وحضر دروس الشيخ تاج الدين التبريزي والشيخ تاج الدين الفاكهاني ، وحدث عن ابن جماعة بالشاطبية ، ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، وقد أتيح له أن يلقى النحوي الأندلسي المشهور أبا حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي أثناء رحلته إلى مصر ، وسمع منه ديوان زهير بن أبي سلمى ، ولكنه لم يلازمه ولم يقرأ عليه ، وكان شديد المخالفة له ، كثير الانحراف عنه ، على الرغم من أنه تولى شرح بعض كتبه : (اللمحة البدرية لأبي حيان ، وشرحه الكواكب الدرية لابن هشام ، وقد ذكره السيوطي) .

وهكذا نجد أن ثقافة ابن هشام جامعة للنحو واللغة والأدب والفقه والحديث ، وقد كان ابن هشام على همة طيبة في الجهد والطلب والتحصيل والصبر على الدرس ، وهو القائل :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله ومن يخطب الحسنة يصبر على البذل
وقد ظفر ابن هشام بنيل درجة رفيعة من العلوم التي حصلها ، وأتيح له أن يتقن العربية اتقاناً كاملاً ، حتى فاق الأقران ، بل الشيوخ - كما يقول بحق ابن حجر - وتصدّر من بعد للتدريس ، فأخذ عنه جماعة من أهل مصر وغيرهم ، ويشهد بعض تلامذته أنه كان مدرساً محبباً لدروسه طلاوة ، كما نستخلص ذلك من مرثية ابن الصاحب بدر الدين له بعد وفاته :

فما لدروس غبت عنها طلاوة ولا لزمان لست فيه جال

ويصور لنا ابن حجر مدى ثقافة ابن هشام وما امتاز به صاحبها من ذلاقة لسان وطلاقة تعبير إلى الأخلاق المتواضعة الفاضلة التي كان يتجلى بها فتعصمه من الافتتان بنفسه والغرور بعلمه ، فيقول : « وتصدّر ابن هشام لنفع الطالبين ، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البالغ ، والاطلاع المفرط ، والاعتدال على التصرف في الكلام ، والمثابة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد ، مسهباً وموجزاً ، مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب » فلا عجب بعد ذلك أن قطير شهرة الرجل في أقطار العالم الإسلامي ، فتبلغ المغرب وتفوز من علامتها ابن خلدون بتلك (الشهادة) الرفيعة : « ابن هشام أنحى من سيبويه ! ».

تحدثنا كتب التراجم أن ابن هشام ، العالم الشافعي ، تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية بالقاهرة ، وأنه تحنبل في السنوات الأخيرة من حياته (سنة ٧٥٦ هـ ، أي قبل خمس سنوات من وفاته) ، وتولى التدريس بالمدرسة الحنبلية بالقاهرة ، وحفظ لذلك عن ظهر قلب كتاب (المختصر

للخيراتي) في أقل من أربعة أشهر ، وفي ذلك دليل ذكائه وشباب حافظته ، ولا ريب في أن انتقال ابن هشام إلى المذهب الحنبلي في أواخر سني حياته دليل حي على نشاط الرجل وحرية فكره ومرونته ، وعلامة لا تحطيه على شباب نهمه العلمي ورغبته - وهو في الخمسين - أن يطل على آفاق جديدة تزيد حدود ثقافته واطلاعه بعداً واتساعاً .

قام ابن هشام بعدد من الرحلات في العالم الإسلامي ، ولكننا لانعلم اليوم عن أسفاره تلك غير ما حدثنا هو به في مقدمة كتابه (المغني) فقد قام برحلتين إلى مكة ، أولاهما سنة ٧٤٩ هـ ، وقد بقي في البلد الحرام مدة استطاع خلالها أن يؤلف كتاباً في الإعراب ، ولكنه فقد في طريق عودته إلى مصر ، والرحلة الثانية كانت سنة ٧٥٦ هـ ، وقد أتيح له خلال مجاورته للحرم في أثناءها أن يصنف كتابه الجامع الكبير (المغني) الذي يشهد له بالنبوغ والتفوق .

عاش ابن هشام بعد تأليف المغني نحو أربع سنوات ، وقد وافته منيته سنة ٧٦١ هـ في الخامس من ذي القعدة ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر بمصر ، وخلف ولدين هما محب الدين وعبد الرحمن ، وترك ثروة علمية كبيرة تشهد أنه أنفق عمره كله في تأليفها ونجيبها وكان مثلاً رائعاً للعالم المجتهد ، رحمه الله وأجزل مثوبته .

٤ - النصائيف

ألف ابن هشام وصنف عدداً كبيراً من المؤلفات والرسائل ، يزيد على الثلاثين ، ولكن ما وصل إلينا منها لا يجاوز النصف بكثير ، وهو بين مطبوع أو مخطوط محفوظ في مكتبات الشرق والغرب ! أما باقي مصنفاته فلنستأذن أنفسنا نعرف عنها غير أسمائها الواردة في كتب التراجم : وعند السيوطي نجد أسماء الكتب التالية :

- عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب (في مجلدين) .
- رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة (في أربع مجلدات) .
- الجامع الكبير .
- التذكرة (في خمس عشرة مجلدة) .
- التحصيل والتفصيل لكتاب التذيل والتكميل (في عدة مجلدات) .
- شرح الشواهد الصغرى .
- شرح الشواهد الكبرى .
- شرح البردة (ولعله شرح قصيدة كعب بن زهير المطبوع مراراً) .
- الكواكب الدرية في شرح (اللوحة البدرية لأبي حيان) .
- القواعد الصغرى .
- القواعد الكبرى .
- المسائل السفرية في النحو .
- شرح التسهيل (مسودة) .
- وذكر الزركلي في قاموس (الأعلام) امم كتاب : نزهة الطرف في علم الصرف .
- وأما ما نجد اليوم نسخاً مخطوطة منها فهي المصنفات التالية :
- الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية : وهو شرح للشواهد الشعرية التي أوردها ابن جني في كتابه (اللع) - برلين رقم ٧٦٥٢ .
- الجامع الصغير - المكتبة الأهلية ببائيس رقم ٤١٥٩ .
- رسالة في استمهال المنادى في تسع آيات من القرآن - برلين رقم ٦٨٨٤
- ويحتمل أن تكون هي الرسالة التي ذكرها ديرنبورغ في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالاسكوريال - رقم ٦٨٨٦ .
- شوارد الملح وموارد المنح : رسالة في سعادة النفس برلين - ٢٠٩٧ .

- مختصر الانتصاف من الكشف : اختصر فيه كتاب ابن المنير (الانتصاف من الكشف) في الرد على آراء المعتزلة التي وردت في (الكشاف) للزمخشري . برلين رقم ٧٩١ .
- مؤقد الأذهان وموقظ الوسنان : في الألفاظ النحوية ، ومنه نسخ مخطوطة في برلين (رقم ٦٧٤٨ ، ٦٧٤٩) والمكتبة الأهلية بباريس (رقم ٤١١٥ ، ٢ - ٤١٦٢ ، ١) ودار الكتب المصرية بالقاهرة (فهرس الكتبخانة الخديوية : ٦٩/٧ ، ١٠٤ ، ١٧٢ ، ٥٩٨) ، ويذكر « الأعلام » أن الكتاب مطبوع ، وأعله كتاب (الألفاظ) الذي سيجيء ذكره في جملة المطبوعات من مصنفات ابن هشام .
ونذكر أخيراً المصنفات المطبوعة وهي :
- قطر الندى وبل الصدى : وهو رسالة صغيرة تيسر النحو ودراسته للصبتئين ، نشرت مرات كثيرة ، ولحمد محيي الدين عبد الحميد شرح عليها .
- شرح على القطر : طبع مرات كثيرة في مصر وتونس وليدن ، وترجمه المستشرق غوغيه Goguyer إلى الفرنسية .
- شذور الذهب في معرفة كلام العرب : رسالة متوسطة في النحو طبعت مراراً .
- شرح شذور الذهب : طبع مراراً
- الإعراب عن قواعد الإعراب : رسالة مختصرة طبعت في القسطنطينية ، ونشرها المستشرق دوسامي de sacy مع ترجمة فرنسية ، وشرحها الشيخ خالد الأزهرى .
- الألفاظ : كتاب في مسائل نحوية ، ألفه ابن هشام لحزارة السلطان الملك الكامل (٧٤٦ - ٧٤٧ هـ) وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٤ هـ .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : وقد يعرف باسم (التوضيح) وطبع مرات كثيرة في الهند ومصر ، ولحمد محيي الدين عبد الحميد شروح عليه .

- شرح (بانث سعاد) : شرح القصيدة اللامية التي مدح بها كعب بن زهير النبي ﷺ ، وتاج العروس بسميه (شرح الكعبية) - مادة غزل - طبعة المستشرق غويدي Guidi في ليبسك ١٨٧١ م وطبع بالقاهرة : ١٣٠٤ هـ ، ١٣٠٧ هـ .

- رسالة في انتصاب « لغة » وفضلا « وإعراب » خلافاً وأيضاً « والكلام على « هلم جرا » وهي رسالة في إعراب هذه الكلمات ، وهي برمتها في كتاب (الأشباه والنظائر) للسيوطي : الطبعة الثانية بجيدرآباد : ١٨٧/٣ - ٢٠٥ ؛ ومن الرسالة نسخ مخطوطة في ليدن ودار الكتب المصرية .
- فوج الشذا في مسألة (كذا) وهو شرح لرسالة (الشذا في مسألة كذا) لأبي حيان ، ونجده في (الأشباه والنظائر : ١١١/٤ - ١٢٢) .
- شرح القصيدة اللغزية في المسائل النحوية : نجده في (الأشباه والنظائر : ٣٠٢ - ٣٢٣) ومنه نسخة مخطوطة في ليدن .
- وفي كتاب الأشباه والنظائر عدد كبير من رسائل ابن هشام : ٢٩٢/٢ ، ٢٩٩ - ٢/٤ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ١٠٠ إلخ .
- وأهم ما وصل إلينا من مصنفات ابن هشام كتابه الكبير الجامع في النحو (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) وسنفضل الكلام عليه .

٥ - كتاب المغني

يعده صاحب « مفتاح السعادة » من الكتب المبسطة في النحو ، وقد استوفى فيه ابن هشام أحكام الإعراب بحجة ومفصلة ، وتكامل فيه على الحروف والمفردات والجل ، فجاء نطقاً وحده في الدقة والاستقصاء والمنهج والإيجاز الجامع الوافي .

والذي شجع ابن هشام على تأليف كتابه هذا أنه شاهد انتفاع الطلاب

بكتابه « الإعراب عن قواعد الإعراب » الذي نهج فيه نهج المغني ، ورأى إقبال العلماء عليه ، على الرغم من أنه مختصر ، فعمد الى تصنيف (المغني) مطوّلاً ، وقد صنّفه أول مرة في مكة سنة ٧٤٩ هـ ثم فقدّه في طريق عودته إلى مصر ، وهو يحدثنا في مقدمة (المغني) أنه انكب ثانية على تصنيفه في رحلة ثانية إلى مكة سنة ٧٥٦ هـ فيقول :

« وقد كنت في عام ٧٤٩ أنشأت بمكة كتاباً في الإعراب ، ثم إنني أصبت به وبغيره في منصرفي إلى مصر ، ولما من الله عليّ في عام ٧٥٦ بعبادة حرم الله والمجاورة في خير بلاد الله شمرت عن ساعد الاجتهاد ثانية ، واستأنفت العمل لا كسلاً ولا متوانياً ، ووضعت هذا التصنيف ، وتتبعت فيه مَقَفَلَات مسائل الإعراب فافتتحتها ، ومعضلات يستشكها الطلاب فأوضحتها ونقحتُها ، وأغلاطاً وقعت لجماعة من العربيين وغيرهم فنبتت عليها وأصلحتها الخ .. » .

يقع المغني في جزأين يبحثان في الموضوعات التالية التي تشير إليها أبواب الكتاب الثمانية :

- الأول : في تفسير المفردات وذكر أحكامها .
 - الثاني : في تفسير الجمل وذكر أقسامها وأحكامها .
 - الثالث : في شبه الجمل (الظرف والجار والمجرور) وذكر أحكامها .
 - الرابع : في ذكر أحكام كثيرة الورد ويقبح بالمعرب جملها .
 - الخامس : في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها .
 - السادس : في التحذير من أمور مغلوطة اشتهرت بين العربيين .
 - السابع : في كيفية الإعراب .
 - الثامن : في ذكر أمور كلية تتخرج عليها الجزئيات .
- فالكتاب إذاً بحث منهجي مفصل في معاني الحروف (الأدوات) وأحوال الجمل وشبه الجمل وتبيين لأحكام الإعراب وتصحيح لما شاع من

أغلاط العربيين ؟ وقد امتاز (المغني) بجملة من الخصائص نحاول إيجازها في النقاط التالية :

١ - منهج المغني في تبويبه وترتيبه يدل على استقلال شخصية ابن هشام عن غيرها من النحاة المتقدمين ، وطريقته في تأليف المغني محاولة موفقة لتجنب مساويء من سبقه من المصنفين وعيوب طرائقهم ، ولتلافي تطويلاتهم في كتبهم ، يقول في مقدمة المغني : « واعلم أنني تأملت كتب الإعراب فإذا السبب الذي اقتضى طولها ثلاثة أمور أحدها كثرة التكرار ... والثاني إيراد ما لا يتعلق بالإعراب ... والثالث إعراب الواضحات كالمبتدأ وخبره . وقد استطاع ابن هشام أن يتخلص في المغني من هذه العيوب ، فجمع المسائل التكررة الجزئية وصنفها وأفرد لها باباً ، وحذف من الكلام على الإعراب الشواذب التي لا علاقة لها به (كالكلام في اشتقاق اسم : أهو من السمة أم السمو الخ ...) وأهمل إعراب الواضحات من المسائل ، واستعاض عن كل ذلك « بما يتبعثر به الناظر ، ويتمرن به الحاطر من إيراد النظائر القرآنية والشواهد الشعرية وبعض ما اتفق في المجالس النحوية » كما يقول هو نفسه في المقدمة ؛ وبذلك نجد طريقة ابن هشام في المغني تتلخص في جمع الأحرف (الأدوات) وضرب الأمثلة والشواهد عليها ثم تنسيق المعاني واستنباط القواعد منها ، وعلى الرغم من التزام ابن هشام حدود منهجه الدقيق فإنه لم ينج من آفة الاستطراد ، وأمثله كثيرة في كتابه .

٢ - أكثر ابن هشام من إيراد الشواهد : من القرآن حتى كاد لا يترك من آياته شيئاً ، ومن الحديث النبوي ، حتى حق للمؤلف أن يعلق في مقدمة المغني أن غايته منه أن « يتيسر به فهم كتاب الله المنزل ، ويتضح به معنى حديث نبيه المرسل » ، كما أكثر ابن هشام من إيراد الشواهد الشعرية فيه ،

وقد أفرد السيوطي (- ٩١١ هـ) لها شرحاً خاصاً (شرح شواهد المغني) وهو مطبوع ومشهور .

هذه الكثرة من الشواهد ، من أبلغ النصوص القرآنية والأدبية ، منحت كتاب المغني ميزة كبرى وهي التخفيف من جفاف النحو وقواعده بالجمع بين ذلك والأدب ، فأصبح (المغني) كتاباً في النصوص الأدبية الرفيعة والكشف عما فيها من نكات إعرابية ، ولعل واحداً ممن اختصروا كتاب المغني - واسمه أحمد المشتهر بالنائب كما يذكر صاحب كشف الظنون - قد أدرك صلة المغني بالأدب حين سمى مختصره « قراضة الذهب في علمي النحو والأدب » ، ولا ريب في أن هذه الميزة من مزايا كتاب المغني تشف عن سر من أمرار خلود الكتاب وحرص الأوساط التعليمية العليا في أقطار العالم العربي على تقريره والعناية بتدريسه منذ عصر المؤلف إلى يومنا هذا .

٣ - أسلوب ابن هشام في المغني أسلوب بالغ المتانة ، وعبارته فيه موجزة محكمة شديدة الإيجاز والإحكام ، حتى إن القارئ ليجتاح إلى كثير من النظر والتدقيق فيها قبل أن يصل إلى الفوائد الكثيرة ، ولهذا - ولأسباب أخرى - كثرت شروح المغني واستفاضت تعليقات المعلقين عليه ، وتعددت الحواشي والتقارير منذ القرن الثامن حتى اليوم ، وليس من المبالغة في شيء أن نقرر أن (المغني) ومروجه وحواشيه وتقاريره أصبح مدرسة خاصة ، أو أصبحت له مكتبة خاصة به ، وستحدث عن بعض تلك الثروة النحوية التي كسبها المغني للعربية بعد قليل .

والكلام على كثرة شروح المغني يسوقنا إلى الكلام على الشهرة المستفيضة التي نالها الكتاب ، فنجد ظهوره أقبل الناس عليه إقبالاً شديداً ، وابن هشام كان ما يزال حياً - كما يذكر ابن حجر - . ووصل الكتاب إلى المغرب

وقرأه ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) فأكبره وأثنى على مؤلفه في مقدمته ثناءً كله إعجاب وتقدير : « ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى ابن هشام من علماء استوفى فيه أحكام الإعراب بجملة ومفصلة ، وتكائم على الحروف والمفردات والجل ، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها ، وسماه بـ « المغني في الإعراب » ، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها ، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظم سائرهما ، فوفقنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها ، وكأنه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه ، فأتى من ذلك شيء عجيب دال على قوة ملكته وإطلاعه ، والله يزيد في الخلق ما يشاء ! » .

وابن خلدون يفضل ابن هشام على سيبويه ، كما قدمنا ، ويعده أنحى منه ، ويحدثنا الدماميني بما يؤكد إعجاب ابن خلدون بصاحب المغني فيقول : « حضرت يوماً مجاس شيخنا قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون - رحمه الله - وكان شديد النغالي في الثناء على مصنف هذا الكتاب (المغني) ذاهباً في تفضيله وفضيله كتابه هذا كل منذهب ، فقال للشيخ محب الدين ولد المصنف - وقد كان حاضراً في ذلك المجلس - : لو عاش سيبويه لم يمكنه إلا التلمذة لوالدك والقراءة عليه ! فقال الشيخ محب الدين : يا سيدي إذا فهم الوالد كتاب سيبويه كفاه هذا شرفاً ! أو كلاماً هذا معناه » (انظر شرح الأمير : ٢ / ٢٦) .

وليس عجيباً بعد هذا أن يعنى العلماء بالمغني فتكثر شروحه كثرة عجيبة ، وعدد كبير من هذه الشروح مطبوع ومتداول ، ونذكر منها : - تنزيه السلف عن تقوية الخلف : وهو حاشية للشيخ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن ابن الصائغ الزمردي (المتوفى سنة ٧٧٦ هـ) ، ولم تصل م (٢٠)

إلينا ، ولكن الشمئتي حدثنا عنها في مقدمة شرحه للغني وقال إنها إلى أثناء البناء الموحدة ، وانظر كشف الظنون : ١٧٥٣/٢ .

— تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب : وهي حاشية لمحمد بن أبي بكر الدماميني (المتوفى سنة ٨٢٨ أو ٨٣٣) ، ألفها بمصر ثم شرح المغني شرحاً أطول منها في رحلته إلى الهند ، ثم شرحه شرحاً ثالثاً حتى وصل إلى حرف الفاء ، ومات عنه قبل إكماله ، ويقول صاحب كشف الظنون : « ولو كمل لكان أحسن الشروح كلها » . وقد استفاد من شرح الدماميني من جاء بعده ، والأمير بسميه (الشارح) وينقل عنه كثيراً ؛ وشرح الدماميني الذي لم يتم مطبوع بهامش الجزء الأول من حاشية الشمئتي على المغني ، وهناك نسخ مخطوطة من شرحه في مكتبات لندن والإسكوريال ودار الكتب المصرية .

— كافي المغني لشمس الدين محمد بن عماد المالكي النحوي (المتوفى سنة ٨٤٤) وفي كشف الظنون أنه في ثلاث مجلدات .

— نظم المغني للشيخ أبي النجاة بن خلف المصري (المتوفى سنة ٨٤٩) ، فقد نظم المغني ثم شرحه ، كما في كشف الظنون نقلاً عن (الضوء اللامع) للسخاوي .

— اختصار المغني ، للشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم البيهقوري (المتوفى سنة ٨٦٣ هـ) كما في كشف الظنون .

— المنصف من الكلام على مغني ابن هشام : وهو حاشية لتقي الدين أحمد ابن محمد الشمئتي (المتوفى سنة ٨٧٢ هـ) ، وتقع في جزأين مطبوعين ، وقد استفاد الشمئتي مما كتبه ابن الصائغ ولخص حاشية الدماميني ، وزاد إلى ذلك أشياء أخرى نفيسة (وانظر مقدمته لحاشيته ٢/١ - ٣) .

— شرح مغني اللبيب للشيخ نور الدين علي العسكيلي المقرئ ، وهو — كما يقول صاحب كشف الظنون — من رجال القرن العاشر .

- الفتح القريب في حواشي مغني اللبيب لجلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٨٩١١ هـ) وهي حاشية غير تامة وصل المؤلف فيها إلى الأداة (حتى) وهي بخطه في دار الكتب المصرية ، وللسيوطي شروح أخرى يذكرها صاحب كشف الظنون ، وله شرح شواهد المغني كما قد منا .
- ديوان الأريب في مختصر مغني اللبيب ، وهو مختصر المغني للشيخ محمد ابن عبد المجيد السامولي الشافعي ، مرتباً على ترتيب المغني ، مهملاً أكثر الأمثلة والإعراب ، مضيفاً إلى ذلك نزرأ يسيراً يناسبه من كلام غيره ، ثم تتبع ما لحظه بجواشٍ فرغ منها سنة ٩٦١ هـ .
- مغني الحبيب على مغني اللبيب : للشيخ محمد بن ابراهيم الحنبلي الحلبي (المتوفى سنة ٩٧١ هـ) .
- شرح ابن الملا وهو أحمد بن محمد الحلبي المعروف بابن الملا (المتوفى في حدود سنة ٩٩٠ هـ) ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف - الأحمدية - بجلب .
- مواهب الأديب : وهو شرح مفيد جامع في ست مجلدات للشيخ محمد ابن محمد المعروف بوحي زاده الرومي (المتوفى سنة ١٠١٨ هـ) وقد أحسن فيه وأجاد ، كما يقول حاجي خليفة .
- شرح شواهد المغني لعبد القادر البغدادي (المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ) صاحب خزانة الأدب ، ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية .
- شرح المولى القاضي مصطفى بن الحاج حسن الانطاكي (المتوفى سنة ١١٠٠ هـ) وهو شرح مفيد كما يقول حاجي خليفة .
- حاشية الأمير على مغني اللبيب : للشيخ محمد الأمير (المتوفى سنة ١٢٣٢ هـ) وقد انتهى من كتابتها سنة ١١٨٨ هـ كما يذكر فيها ، وهي مطبوعة ومشورة .
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب : لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي

(المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ) وقد استفاد فيها من تعليقات والده على متن المغني ، كما يصرح هو بذلك في مقدمة حاشيته المطبوعة .

— فتح الصمد : وهو شرح على السبك العجيب لمعاني حروف معني اللبيب ،

لعلي المبارك (انظر : الأدب العربي لمحمود مصطفى : ١٩٨/٣) .

— الأرجوزة لمولاي عبد الحفيظ باي تونس (المصدر السابق) .

— القصر المبني على حواشي المغني : وهو تقرير على حاشية الأمير

لعمد الهادي نجا الأبياري (المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ) ويقع في جزأين

ينتهيان بأول الباب الثاني من المغني ، وهو يعترف بأنه استفاد فيها

من حاشية الدسوقي ، والكتاب مطبوع ومتداول .

وهكذا تتوالى الشروح خلال القرون ، وما يزال المغني إلى اليوم

موضع عناية الشراح والنحاة ، ولمحمد محيي الدين عبد الحميد شرح على المغني

لم يطبعه بعد ، ولأستاذ سعيد الأفغاني عملٌ كبير فيه ما يزال مخطوطاً ،

ونحاول اليوم أن نحصي طبعات المغني التي بين أيدينا فلا نجد السبيل إلى

ذلك ، ويكفي أن نذكر أنه طبع في طهران (١٢٧٤ هـ) وتبريز (١٢٧٦ هـ)

وطبع في مصر مراراً ، وهو الآن يطبع طبعة جديدة منقحة في دار الفكر

بدمشق ، بعناية بعض أساتذة العربية في جامعة دمشق . ومثل هذه العناية

الفائقة بالمغني خلال القرون ، من حياة المؤلف إلى اليوم ، دليلٌ قاطع

على نبوغ مؤلفه وخلود كتابه .

ورحم الله ابن هشام ، فإنه رغم تواضعه ، أدرك أنه صنع بكتابه المغني

للنحو ما لم يصنعه أحد من تقدمه ، وأن الأجيال من بعده ستكون

حريصة عليه ، فقال في مقدمة المغني :

« فدونك كتاباً تشد الرحال فيا دونه ، وتقف عنده فحول الرجال

ولا يمدونه ، إذ كان الوضع في هذا الغرض لم تسمح قريحة" بثاله ولم
 ينسج ناسج" على منواله .
 وليس وراء هذا الكلام غرور أو تبجح ، وحسب صاحبه أن يكون
 في رأي ابن خلدون ، وهو من هو ، أنحى من سيبويه !

الدكتور صالح الأشر

~~~~~

### مصادر البحث

- ١ - مقدمة ابن خلدون .
  - ٢ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج ٢ .
  - ٣ - بغية الوعاة للسيوطي .
  - ٤ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي
  - ٥ - مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج ١ .
  - ٦ - كشف الظنون لحاجي خليفة ج ٢ .
  - ٧ - شذرات الذهب لابن العماد ج ٦ .
  - ٨ - النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ١٠ .
  - ٩ - تاريخ آداب اللغة العربية لرجي زيدان ج ٣ .
  - ١٠ - معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سر كيس ج ١ .
  - ١١ - الأدب العربي وتاريخه لمحمود مصطفى ج ٣ .
  - ١٢ - الأعلام للزركلي ج ٤ .
  - ١٣ - دائرة المعارف الإسلامية .
  - ١٤ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان .
- وكتب ابن هشام المطبوعة والحواشي والشروح عليها .



# المعاجم اللغوية

## بين ماضيها وحاضرها

منذ كانت اللغة العربية ، كان معجمها الجامع لمفرداتها بحقيقتها ومجازها وتراكيبها بصفاتها النحوية والبيانبة ، لا يغيب من ذلك كله شيء ، معجم غير مدون ولكنه يجري على الألسنة ، وتقلقنه الأسماع ، وتعيه الحواظ . شأن اللغة العربية في ذلك شأن جميع اللغات ، وهكذا كانت صور المعاجم قبل أن يكون تدوين ، وقبل أن يكون جمع ، وقبل أن يكون قبويب . وما كان الناس في حاجة إلى غير تلك الصور غير المدونة من المعاجم يوم أن عاشوا جماعات متفرقة لم تعرف الوحدة ، تعيش كل جماعة صغيرة على مالها ... في بيئة محدودة وبين آفاق لا تعدوها ، لا يخالف يومها أمسها ، ولا يبعد غدها كثيراً عن يومها ، يكاد يكون ما على ألسنتهم هو ما يضمه معجمهم ذلك غير المدون ، ويكاد يكون ما في معجمهم ذلك غير المدون هو ما على ألسنتهم .

وما ان اتصلت الجماعات ، حتى دخل على هؤلاء ما لا عهد لهم به ، وحتى أخذ هؤلاء يستقبلون مدداً جديداً متصلاً يفوت الوعي ، ويفوت الحفظ . وإذا قللك الجماعات التي لم يكن يفوتها شيء ، وإذا هذا المعجم غير المدون الذي كان صورة ما يجري على الألسنة ، والذي كان ما يجري على الألسنة صورة منه ، يضم أكثر مما تضمه الحواظ .

وتدخل على الناس ثقافات وحضارات تعبر عنها ألفاظ وعبارات ،

وقشير إليها دلالات ، فيعرفها قوم ويجهلها آخرون ، فإذا هذا المعجم الواحد يعود معاجم مختلفة ، يخص العامة والخاصة .

وما حرص الإنسان منذ كتب له وجوده المشترك على شيء ، حرصه على أن يفهم عن أخيه ، ولن يكون له هذا إلا إذا كان معجبه ذلك غير المدون صورة مما يجري على لسانه ، وما يجري على لسانه صورة منه . من أجل ذلك كانت الندوات ، وكانت الأسواق : على الإنسان أن يحقق بها ما فاته ، ويستدرك ما أعجلته دورة الزمن عن أن يستدركه .

غير أن الناس على هذا لم يكونوا بعيدين أول الأمر عن معجمهم غير المدون بعداً واسعاً ، إذ لم تكن الحياة قد غلبتهم على كل شيء مما تقوى له الذاكرة ، بل كان ثمة شيء في ملكهم ، وثمة شيء يعز عليهم ...

من أجل هذا لم يتجه التدوين للغة في عمومها ، بل اتجه أول ما اتجه إلى هذا الشيء الذي يعز على الذاكرة ، ويند عن الحفظ . وما كان هذا التدوين حين بدأ ، يراد به العامة ، ولكن يراد به الخاصة ، إذ العامة لا يعينهم من اللغة إلا القدر الضئيل الذي عليه يعيشون ، وبه يتفهمون . ولكن الخاصة يعنون بالحدق الشامل ، والإدراك بمختلف صورته ، فمنهم الكاتب والقارئ ، والشاعر والنثر ، والمؤلف والمثقف ، وتلك كلها أمور لا تقوم إلا على دراية واسعة ، تستوعب الخاص العام .

وهكذا بدأ التدوين المعجمي بصورته الأولى الخاصة ، يلتفت إلى الشأن الخاص السامي الدقيق ، قبل أن يلتفت إلى الشأن العام البين الواضح . وما من شك في أن كثيراً مما ألف في هذا الميدان وذاك - أعني الميدانين الخاص والعام - لم يصل إلينا ، وكان أكثر ما فقد هو ما ألف في الميدان الخاص ، لأنه كان كغيره مما جاء سابقاً لم تنهياً له البيشة بالرعاية ، ولأنه كان شيئاً خاصاً لا يعني إلا قلة ، ولأنه لم يدخل إلى الميدان العام فقرأه الناس .

أوقن بهذا ؛ وأوقن أن هذا التأليف الخاص ، كان الخطوة الأولى إلى التأليف العام . فالأجزاء أولاً ، ثم من الأجزاء يكون الكل ، ثم هو كان نظاماً بدائياً عليه طبيعة العرب الأولى البدائية .

ثم لا يعنيننا نحن ، حين نؤرخ لذلك العمل ، ما اجتمع بين أيدينا من كتب فيه ولكن الذي يعنيننا أن نستجلي العقل فيما يجب أن يكون عليه عمل كهذا ..

على أن الذي وصل إلينا في ذلك الميدان الخاص ، يختلف باختلاف الغرض الذي ألف له ، ولكنه على هذا كان يحمل الطابع الجزئي الذي هو صورة من تدرج المعاجم وترتيبها .

فما من شك أن الناس التفتوا أول ما التفتوا إلى تلك المسائل الجزئية ، أو إلى تلك المسائل الخاصة التي تعني الطبقة المثقفة ، وتدق عليها وتشغلها ، وهكذا كانت تلك المسائل الخاصة ، هي التي أملت تلك التأليف الخاصة التي كانت أشبه شيء بمعاجم الألوان مستقلة ولأغراض متنوعة لكل لون معجمه ، ولكل غرض معجمه ، ثم كان من هذه المعاجم ذات الألوان المستقلة والأغراض المتنوعة ، المعاجم العامة التي انتظمت كل هذه الألوان وكل هذه الأغراض .

والأمثلة على ذلك كثيرة :

فمنذ القدم والقبائل العربية ، تختلف اختلافاً كبيراً في حرف من حروف الهجاء وهو الهمزة ، ينطقه بعضهم مخففاً ، وينطقه بعضهم سهلاً ، وينطقه بعضهم بين التخفيف والتسهيل . ولقد ظل هذا الحرف إلى اليوم مشكلة من المشكلات ، وكان هذا الاختلاف فيما مضى ، جديراً بأن يلفت النظر ، وتوجه إليه عناية الخاصة الذين شغلوا به وألفوا فيه .

فنجده لأبي بحر عبد الله بن زيد (١٢٧ هـ) فيها كتاباً ، لا ندرى أكان أسبق من ألف في الهمة أم سبقه غيره . ومن بعد أبي بحر ألف قطرب (٢٠٦ هـ) ومن بعد قطرب ألف أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥ هـ) ثم جاء بعدهم غيرهم يؤلفون في هذا الباب . فكان الحيوان في تفصيله ودقائقه غرضاً خاصاً ، يفوت العقل العام ، وكان لابد من تدوينه حتى لا يفوت العقل الخاص مع العقل العام ، فأفردوا للنخيل كتباً ، وللإبل كتباً ، ذكروا فيها كل ما يتصل بها .

فمن شغلوا بالتأليف في « الخيل » جملة كبيرة منهم : النضر بن شميل (٢٠٤ هـ) وابن السكيت : هشام بن محمد (٢٠٦ هـ) وأبو عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ) وقطرب (٢٠٦ هـ) وأبو عبيدة (٢١٠ هـ) والأصمعي : عبد الملك ابن قريب (٢١٣ هـ) وابن الأعرابي (٢٣١ هـ) .

كما أفردوا للطير والحشرات والزواحف والحوام كتباً تعرض لصفاتها وخصائصها ، وأسماء أجناسها وأسماء أجزائها .

ألف علي بن عبيدة الريحاني (٢١٨ هـ) كتاب : « النحلة والبعوضة » وألف ابن الأعرابي (٢٣١ هـ) كتاب : « الذباب » وألف أبو نعر أحمد ابن حاتم (٢٣١ هـ) كتاب : « الجراد » وغير هؤلاء ممن ألفوا في هذا اللون كثيرون . .

ثم عدوا الحيوان إلى الإنسان ، فألفوا كتباً في خلق الإنسان في أعضائه وفي صفاته . ألف في هذا الغرض الخاص : النضر بن شميل (٢٠٤ هـ) وأبو عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ) والمفضل بن مسلمة (٢٠٨ هـ) والأصمعي (٢١٣ هـ) وكثير غيرهم .

وأفردوا السلاح بكتب ، وأفردوا الملابس بكتب ، كما أفردوا النبات بكتب ، وكذلك أفردوا بعض الأطعمة بكتب ، وخصوا الصفات بكتب ، والأبنية والمصادر بكتب ، والأفعال بكتب .

وهم حين تنازلوا هذه الموضوعات الخاصة الجزئية ، تنازلوا منها خصائصها التي تدق ، وأوصافها التي تغمض ، يجمعون ما يجمعون بحاجة الاحساس ، مخافة تشقته وتوزعه ، ومخافة أن يضل مع هذا التوزع وذاك التشتت . . وكانوا كلما تقدمت بهم الحياة إلى الحضارة ، أحسوا الضرورة إلى تدوين تلك الأغراض الخاصة والمناحي الجزئية ، غلب عليهم تلك الضرورة ، فيستجيبيون لها ، حريصين على أن تبقى لهم لغتهم طيعة موائمة لبيئتهم وحاجاتهم . فلقد كان العصر عصر حياة لا تسكاد تدب الحياة في شيء ولا دبّت في غيره . واللغة نصف الحياة المؤثر والمتأثر ، وهي أداة التعبير ، إن جمدت في بيئة ، جمدت معها الحضارة في تلك البيئة من علم وفن وأدب . ولقد كان ثمة للقرآن معجم ، يجمع غريبه . ويقال إن أول من يُعزى إليه كتاب يضم فيه غريب القرآن هو : عبد الله بن عباس ( ٦٨ هـ ) ومن بعده كان أبو سعيد بن تغلب بن رباح السكري ( ٤١ هـ ) وجاء بعدهما غيرهما يؤلفون في هذا الغرض الخاص ، أو في هذا الغريب من المعاجم الخاصة . نذكر منهم مؤرجا السدوسي ( ١٩٠ هـ ) واليزيدي : محمد بن يحيى ( ٢٠٢ هـ ) والنضر بن شميل ( ٢٠٣ هـ ) وأبا عبيدة معمر بن المثنى ( ٢١٠ هـ ) . . ومن بعد القرآن الكريم بفترة طويلة ، شغل الناس بغريب الحديث ، كما شغلوا بغريب القرآن . ويقال إن أول كتاب وضع في غريب الحديث ، كان لأبي عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى : راوية أبي البداء الرياحي ، ثم كان من بعده أبو عبيدة : معمر بن المثنى ( ٢١٠ هـ ) ، ثم النضر بن شميل ( ٢١٣ هـ ) وقبعم كثير غيرهم .

وما يذكر ، أن العرب حين استقبلوا في ظل دينهم الجديد ، القرآن والحديث ، استقبلوا في ظلهم علوماً جديدة اقتضى بعضها معاجم خاصة : من هذه العلوم : علم الفقه : إذ كان له معاجم خاصة به تتناول اصطلاحاته

التي جرت على ألسنة الفقهاء ، وحملت الألفاظ اللغوية معاني لم تكن لها .  
ومن ألفتوا في هذا الغرض الخاص ، الأزهرى : أبو منصور محمد بن أحمد  
( ٢٨٢ - ٣٧٠ هـ ) وله كتاب « الزاهر » في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي ،  
ثم المطرزي : أبو الفتح ناصر بن عبد السيد ( ٥٣٨ - ٦١٦ هـ ) وله كتاب  
المغرب في ترتيب المغرب ، ثم النووي : أبو زكريا : محيي الدين بن شرف  
( ٦٣١ - ٦٧٦ هـ ) وكانت هذه المعاجم هي الأخرى ، ذات طابع معجمي  
خاص شأن معاجم غريب القرآن وغريب الحديث .

ولقد أحسن الناس وهم يجمعون هذه المعاجم الخاصة ، أنهم يصطدمون  
بلهجات القبائل وما فيها من خلاف ، وما يئليه هذا الخلاف اللفظي من  
خلاف معنوي . وهكذا انبرى لهذا الغرض الخاص تحت إملاء هذه الظروف  
قوم يؤلفون في لغات القبائل . وكان أول من ألف في ذلك الغرض  
الخاص : يونس بن حبيب ( ١٨٢ هـ ) ثم أبو عمرو : إسحاق بن مرار الشيباني  
( ٢٠٦ هـ ) والفراء ( ٢٠٧ هـ ) وتوالى بعدهم غيرهم يؤلفون في هذا الغرض  
الخاص بعد جمع مستوعب ، ودراسة مستفيضة .

وتبع هذا الجهد جهود قريبة منه ، تفرعت عنه . فلقد رأى الجامعون  
للغات القبائل ، أن منها ما يجري على ميزان الفصح ، ومنها ما تأثر بالأجنبي  
الطاريء ، فكان لا بد من تأليف خاص يتناول هذا الغرض الخاص ،  
يميز الصحيح من الدخيل ، أو المغرب كما كانوا يسمونه . ومن ألف في ذلك :  
الجواليقي والخفاجي وغيرهما من بعدهما كثيرون .

فهذه أمثلة من تلك الأغراض الخاصة التي نرى أنها كانت الخطوة  
الأولى في عمل المعاجم العامة . وما من شك في أن التدوين المعجمي خطأ  
من هذا الخاص إلى ذلك العام ، غير أن التأليف في القطاع العام ، أخذ  
ينمو ويزيد ، على حين أخذ التأليف في القطاع الخاص ، يجمد لم يتناول  
جديداً ، غير أن يصور ويشكل ويهوب على أنماط جديدة وذلك :

١ - لأن جانباً من تلك المعاجم الخاصة لم يجد عند المؤلفين اللاحقين مزيداً يزيدونه وذلك : مثل الكتب الخاصة بالإبل . فما نظن بعد الأصمعي ( ٢١٣ هـ ) مؤلفاً عنى نفسه بشيء من هذا . وكذلك كانت الحال في الكتب الخاصة بالخيول ، فما نظن بعد النحري ( ٦٥٧ هـ ) مؤلفاً شغل بهذا الموضوع . هذا إذا استثنينا محاولات هيمنة لا يعتد بها .

٢ - ثم من هذا الجانب الخاص ، بدأ يأخذ مكانه في الجانب العام ، ويكون جزءاً منه فقد استقلاله .

وما ندعي أن التأليف العام ، لم يبدأ إلا حين انتهى التأليف الخاص ، بل ما ندعيه هو : أن تلك المرحلة الخاصة سبقت المرحلة العامة في التفكير أولاً ، ثم في التأليف ثانياً لا يصرفنا عن هذا الرأي : أن التدوين الخاص كان يعاصر التدوين العام ، وكأنها نشأ معاً ، ومردّه هذا إلى ما وصلنا من المؤلفات في هذا أو ذاك ونحن نعلم ضياع الكثير من هذا التراث ، ثم لا ننسى أن التأليف الخاص كان حين بدأ شيئاً يروى حق إذا ما جاء عصر التدوين الحق ، وأخذ التأليف المعجمي العام طريقه ابتلع من هذا التأليف الخاص ما ابتلع ، وعوق أكثره عن أن يأخذ وجوده المستقل .

وحين نشأ هذا التأليف العام ، نشأ هو الآخر متأثراً بهذه الخصوصية . فلم تخضع تلك المعاجم العامة للمنهج اللفظي : أعني الترتيب الأبجدي الذي هو المفتاح الطبيعي لتلك المعاجم ، ثم هو من الناحية العامة التي يجب أن يتصف به كل ما هو عام يفيد منه العامة في يسر ، بل خضعت تلك المعاجم لمنهج خاصة ذات أسلوب عقلي يستلزم جهداً خاصاً هو للخاصة .

وكان أول معجم وصل إلينا من هذه المعاجم العامة ، هو معجم العين للخليل بن أحمد ( ١٧٥ هـ ) .

فحين أراد الخليل أن يبوب معجمه هذا ، لم يخضعه للمنهج اللفظي الميسور الذي هو المنهج العام ، بل كان لا يزال متأثراً بالناحية الخاصة .



فإذا هو يفلسف الترتيب فلسفة خاصة ، تلزم الناس بعلم خاص قبل أن ينتفعوا بهذا المعجم . فقد رتب الخليل معجمه وفق مخارج الحروف ، كما تصور الخليل تلك المخارج ، لم يجر على الترتيب الهجائي الشائع ، وإذا ترتيب الحروف عنده يبي على هذا النحو : ع . ح . هـ . خ . ع . ق . ك . ج . ش . ض . ص . س . ز . ط . ث . د . ظ . ذ . ث . ر . ل . ف . ب . ن . م . و . ي . أ . . .

وسمى الخليل معجمه بالعين لأنه يبدأ بحرف العين . . . وما أريد أن أذكر ، أن العلم الحديث ، اعترف للخليل بشيء ، وأنكر عليه شيئاً آخر ، فقد شقّ الخليل على الناس في معجمه وألزمهم أن يكونوا على علم قبل أن يفلحوا ، وهو بهذا قد جرد معجمه من صفات المعاجم العامة .

وما ألفت من هذا المنهج العقلي من لحقوا بالخليل ، فقد ألف عليه : القالي : إسماعيل بن القاسم معجمه « البارع » فقد وضع هو الآخر معجمه على مخارج الحروف ، كما رآها سيديوه لا كما رآها الخليل ، فأدخل على القول بلبلة جديدة ، وإذا هذا الترتيب يكون على النحو التالي :

هـ . ع . غ . ق . ك . ص . ج . ش . ل . ر . ن . ظ . د . ت . ص . ز . س . ظ . ذ . ث . ف . ب . م . و . أ . ي . . .

وألف بعدها الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد ( ٢٨٢ - ٣٧٠ هـ ) معجمه : التهذيب ، ملتزماً الترتيب الذي التزمه الخليل ، فجاء على ذلك النمط الخليلي .

وعلى نمط الخليل والأزهري ، ألف الصاحب بن عباد ( ٣٤٣ - ٣٨٥ هـ ) معجمه المحيط ، وكان آخر من ألفوا على هذا المنهج : ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل ( ٣٩٨ - ٤٥٨ هـ ) فوضع كتابه : « المحكم » يحكي فيه منهج الخليل مع تعديل طفيف فيه .

على أن هناك مدرسة عامة عاشت إلى جانب المدرسة الخاصة بدأت متأخرة شيئاً ما . كان على رأس هذه المدرسة الثانية - أعني المدرسة التي التزمت الترتيب الحرفي إلى حد ما : ابن دريد : محمد بن الحسن ( ٢٢٣ - ٢٢١ هـ ) فقد عدلت هذه المدرسة عن المنهج الذي وضع أساسه الخليل إلى منهج آخر أقرب إلى وظيفة المعجم وإلى طبيعته اليسيرة التداول ، القريبة المأخذ ، فوضع كتابه : « الجهرة » مرتباً على حروف الألف باء . وقد أغنانا ابن دريد عن تناول عمل تلك المدرسة الأولى بالتنقص حيث يقول في مقدمة معجمه « الجهرة » : « وقد رقبته على هذا النحو إذا كانت الحروف المرتبة على الألف باء بالقلوب أعمق وألزم ، وفي الأسماع أنفذ وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، كان طالبها من هذه الجهة بعيداً من الخيرة مشفقاً على المراد » .

ولقد صدق ابن دريد وصدق ظنه ، فما خلقت المعاجم لتكون على هذا العسر العسير الذي التزمه الخليل ومن تبعه .

وعلى نسط ابن دريد ، ألف ابن فارس أحمد : المقاييس ثم الجمل . غير أن هذه المدرسة الثانية على ما كان معها من تفسير وتقريب ، كان فيها إيجاز مضيع كالذي وقع فيه ابن فارس ، وتعقيد مفوت كالذي وقع فيه ابن دريد ، فقد قسم مادته أولاً وفق الأبنية : الثنائي ثم الثلاثي ثم الخماسي ثم السداسي ، ثم رتب تلك الأبنية على الحروف .

وغير بعيد من هاتين المدرستين ، كانت مدرسة ثالثة ، بدأت متأخرة شيئاً ، وكان لهذه المدرسة نهج جديد يجمع بين النهجين السابقين : يجمع بين الصفة الخاصة والصفة العامة ، غير أن الصفة الخاصة كانت أكثر ملاحظة . فقد عدت هذه المدرسة أواخر الكلمات لا أولها أساساً في الترتيب ، ثم مضت ترتب الكلمات بعد هذا على حروف الآلف باء ، ذاهبة إلى أن آخر

السكلمة هو الحرف الثابت ، وأن أولها تلحقه الزيادات التي تشكل صورته ، من أجل ذلك رأوا ألا يعتدوا بالأول ، كما أخرجت هذه المدرسة الباحث بأن يكون على علم بالاشتقاق ، وأن يعرف أصل كل كلمة مجرد السكلمة من الزوائد أولاً ليعرف أين مكانها من المعجم .

وهذه نظرة كما أرى ، فيها شيء من العقل ، وفيها فكر . على الباحث في المعجم أن يتدبر ويفكر قبل أن يبحث . والمستفيد من المعجم يجب أن يلقاه في أيسر صورة .

كان على رأس هذه المدرسة ، الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد ( ٥٣٠ هـ ) فقد ألف كتابه : « الصحاح » وكما تأثر بالمدرستين الأوليين ناس ، تأثر بهذه المدرسة ناس كان منهم : الصفاني ( ٥٧٧ - ٦٥٠ هـ ) فوضع كتابه : « العباب » و - « التكملة » و « الدليل » ثم « مجمع البحرين » وبعد الصفاني ، كان ابن منظور الإفريقي المعري ( ٦٣٠ - ٧١١ هـ ) فوضع كتابه : « لسان العرب » ثم الفيروزبادي : محمد بن يعقوب ( ٧٢٩ - ٨١٦ هـ ) صاحب القاموس المحيط .

وكان فيما بين هذه المدارس الثلاث المعجمية ، مدارس متفرقة ليست ذات منهج جزئي أشبه في طريقتها بتلك المدارس الخاصة الأولى ، أعني تلك المدارس الخاصة ، إن صح لها أن نسميها مدارس ، وهي التي سبقت التأليف العام وكانت مشغولة بأغراض معينة .

وهكذا كان شأن تلك المدرسة الأخيرة المتفرقة مع خلاف في الغرض بينها وبين أصحاب المناهج الأولى . فأوائل الأوائل قصدوا باباً معيناً ، وهؤلاء قصدوا مع العموم شيئاً من الخصوص ، فوضعوا معاجم عامة ، لكنها كانت حول غرض خاص ، كما فعل مع العموم شيئاً من الخصوص ، فوضعوا معاجم عامة ، لكنها كانت حول غرض خاص ، كما فعل ابن الأثير

في كتابه : «النهاية» الخاص بغريب الحديث ، وكما فعل الزنجشيري : محمود بن عمر في كتابه : «الفائق» ، وكما فعل الراغب الأصفهاني في كتابه : «المفردات» وهو خاص بغريب القرآن . فهم قد ألفوا في أغراض أقرب إلى الخصوص ولكنها خالفت ذلك الخصوص في تشكلها على أسلوب معجمي تخضع في طريقته لأسلوب المدرسة الثانية ، ويخضع لها أيضاً في أنه خرج عن الموضوعية - أعني معالجة الموضوع المستقل - إلى اللغة كلمات ، ثم شرح هذه الكلمات . وما كانت هذه وظيفة المعاجم الخاصة التي كانت تجمع أسماء الموضوع وأجناسه وصفاته دون ترتيب معجمي . وليس بعيداً عن هذا أيضاً - أعني عن تلك المدارس الأخيرة المتفرقة - ما فعله الزنجشيري في كتابه «أساس البلاغة» ، فهو وإن كان حول موضوع عام ، وهو اللغة ، من حيث هي لغة ، إلا أنه كان ذا منهج خاص ، فكانت عنايته بالمجاز ، لا يقصد إلى الجمع الشامل ولا إلى التفصيل الذي هو من حق المعجم العام .

ولقد دخلت على الشعب العربي ، حضارات أجنبية كثيرة ، كان هذا والشعب العربي على حال من التخلف مُني بها ، فاستكانت لغته شيئاً ، فكانت تلي عليه الحضارات فلا يستجيب ، ويبلبل الدخيل لسانه فلا يفار ، وإذا هو بعد غفوة طال أمدها يجد نفسه بعيداً عن لغته ، ويجد لغته بعيدة عنه ، ويجد لغته قاصرة عن استيعاب تلك الحضارات ، وإذا هو يكاد يتنكر لهذه اللغة ، بما جعله يفكر في أن يستبدل بها غيرها ، لولا بقيمة من غيرة وحمية وإيمان .

وما ذابت الشعوب في غيرها ، إلا حين تنسى لغتها أولاً ، وحين تحس أن لغتها عاجزة عن أن تسير الحياة ، عندئذ تنوزع أشتاتاً وتتخطفها حضارات مختلفة ، وتفقد طابعها الجامع حين تفقد لغتها الجامعة .

غير أن اللغة العربية ، قد ثبتت لهذه العانية وحدها بتليدها وموروثها ،  
لا تجدد إلا العون الضعيف ، والحضارات في زحفها الغازي ، واللغة في  
سكونها الهامد ، لا تملك معجماً عربياً سليماً يساير تلك الحضارات ،  
وييسر الحاجات ، ويفي بالرغبات .

ومن الحق ، أننا لانتمم تلك الفترة الغافية بالمحل ، ولا نصمم بالجذب .  
فلقد جاءت بشيء من المعاجم مكن للناس كل التمكن حين عزّ عليهم  
الانتفاع بالمعاجم الأولى كلها : صعبها وسهلها .

في ظل تلك الأزمنة ، كانت المدرسة الرابعة للمعاجم ، قد أحست  
أن المدرسة الأولى ، لم تصل إلى المعجم الحق ، الذي يخضع في ترتيبه  
للحرفية المطلقة لا يكلف الباحث عناء التلبث ، ليمتعقل ويفكر . .

وكان على رأس تلك المدرسة : بطرس البستاني الذي ألف كتابه :  
« محيط المحيط » في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم سعيد الخوري  
الشرتوني في ١٨٨٩ م الذي ألف معجمه : « أقرب الموارد في فصيح اللغة  
والشوارد » وفي سنة ١٩٠٧ م أخرج جرجس همام الشويري معجمه :  
« الطالب » وفي سنة ١٩٠٨ م أخرج الأب لويس المعلوف معجمه : « المنجد »  
وفي سنة ١٩٣٠ م وضع عبد الله البستاني معجمه : « البستان » مُعْتَمِداً على  
محيط المحيط لبطرس البستاني .

وكان ثمة معاجم أخرى ألفت في ظل هذه المعاجم ، تقرب منها  
شيئاً ، وتبعد عنها شيئاً ، ولكنها كانت كلها على هذا المنهج الحرفي ،  
يستقي بعضها من بعض ، وتستقي كلها من المعاجم القديمة .

ولكن اللغة العربية بعد تلك الأزمان القاسية ، وبعد ذلك التخلف  
الطويل ، كانت في حاجة إلى وثبة جريئة شريفة متصلة ، في حاجة إلى  
أن تقرب نفسها من الناس ، وتقرب الناس إليها على صفحات معاجم  
ميسرة مدللة ، في حاجة إلى معاجم ، تدمج إلى القديم الحديث ، وتضم

إلى اللغة ما يتصل بحياة الإنسان في غير اللغة من أشياء حول العلوم والفنون والصناعات والزراعات ، بل شئون الحياة كلها تتناوله بالقدر المعروف الموجز ، وترك تفصيله لمراجعته الخاصة .

وهكذا أصبحنا في حاجة مع هذا العصر الزاخر بحضارته الصاخبة إلى تهذيب اللغة بين يدي الناس ، لتمضي وتسائر تلك الحضارات بعلمها وفنها ، وفي حاجة إلى أن تصل الناس باللغة ، لتشيع على ألسنتهم ، فتصقلها وتقومها ، فما ولدت اللغة إلا على الألسنة ، ولا استقامت ولا نمت إلا على هذه الألسنة .

ولا ريب في أن بعض هذه المعجميات التي تشغل بعض الناس ، إنما تبشر بخير كثير ، لو أتيح لها أن تظهر إلى الوجود دون ما تعثر أو التواء ، أو ابتغاء المنفعة أو التجارة في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى بذل الجهود ، وتضافر المهتم ، لإخراج معاجم ، تسائر الحضارة ، وتضع للأجيال اللاحقة ما تبني عليه المجد والعز والجاه في ظل لغة العرب ، وبطولات الأقدمين .

(القاهرة)

أبو طالب زياد



## أبو حيان التوحيدي<sup>(١)</sup>

ربما كان هذا الأديب الفيلسوف أقل الأدباء حظاً وأكثرهم بؤساً ، ولعله ، من جهة أخرى ، كان من أقوى أهل عصره بديهةً وأشدّهم ذكاءً وأسطعهم فكراً ، وكان لا يقف في صفه منافساً ولا يتعلّق به بمائل إلا الجاحظ . وأنت تدري من هو الجاحظ عظمةً وعبقريّة تنقطع دونها الآمال وتكبو ورائها الأماني . ولست أعلم من الأدباء الذين قرأت سيرهم رجلاً تعرض لمصاعب الحياة وشقاء الوجود كأبي حيان التوحيدي ، فقد كان فقيراً إلى أبعد حدود الفقر ، وكان لا يكاد يمسك أوده أو يتبلغ بطعامه ، لشدة إعراض الأيام عنه ، وانصراف الزمن إلى غير جهته ، وكان ابن الرومي قد عناه في قوله :

|                                |                               |
|--------------------------------|-------------------------------|
| أذاقتني الأسفار ما كرهه الغنى  | إليّ وأغراني برفض المطالب     |
| فأصبحت في الإثراء أزهد زاهدي   | وإن كنت في الإثراء أرغب راغب  |
| حريصاً جباناً ، اشتبهى ثم اتقي | بلمحظي جناب الرزق لحظ المراقب |
| ومن كان ذا حرص وجبن فانه       | فقير أتاه الفقر من كل جانب    |

وكتبنا هذا ، هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، وقد اختلف في أصل كنيته والرأي الأرجح أنه انتسب للمعتزلة لأنهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ومن هنا جاءته هذه الكنية . وهو عربي أصيل ،

---

(١) بمناسبة قرب صدور كتاب « أخلاق الوزيرين » ، أو « مثالب الوزيرين » ، من مطبوعات المجمع .

عاش عمرًا مديدًا إذ ولد في أوائل القرن الرابع للهجرة ومات في نهاية هذا القرن . ودفن في بلدة شيراز عام ٤١٤ للهجرة .

ومن ظلم الزمن لأبي حيان أنه ولد في العصر العباسي الثالث ، وهو العصر الذي ارقبت فيه الأمور ، وأعضلت المشاكل ، وفسدت أمور الخلافة ، وتدخل في الدولة العربية الإسلامية من ليس منها ولا يمت إليها بصلة من جنس أو دين أو رأي أو ثقافة ، وتغلغل الأعاجم في جسم الأمة وكلهم يروم منها مكسبًا أو يسعى ليقطع مغنا ، وقام الناثرون من كل جانب يريدون أن يتقسموا هذا الملك الباذخ والرفعة المتسعة ، فابن رائق يستولي على البصرة ، والبريدي يستأثر بالأهواز ، وأبناء بويه يحتلون فارس وما يتبعها من كور ومقاطعات ، وقامت الدولة السامانية في خراسان ، وتملك بنو حمدان في الموصل وديار بكر وربيعة ومضر ، وانتقلت مصر والشام إلى الاخشيدية ؛ والبحرين واليامة في يد القرمطي ، والمغرب في حكم القائم العلوي ، والأندلس تحت سيطرة عبد الرحمن الناصر الأموي .

أما الخليفة في بغداد فقد اضطرب حبله ، وارتبك أمره ، وقام عليه من أعوانه الأتراك والفرس والديلم والأكراد من يريد الاستئثار بالملك دونه ، حتى لم يبق للخليفة المغبون الا الصورة ، بل اشتط هؤلاء الأعوان حتى أقدموا على قتل الخلفاء وخلعهم من مثل المقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي ، وهم من الخلفاء الذين ذهبوا مثلما جاءوا لم يشعر بهم أحد ولم يخلفوا في هذه الدنيا من أثر إلا الحسرة على ملكهم العربي والعبرة فيما أصابهم من ريب الزمان وغير الدهر ، وهم الذين جنوا على أنفسهم أو جنى عليهم آباؤهم في التفاتهم إلى غير العنصر العربي ، واعتمادهم على من لا يحس كما يحسون ولا يشعر كما يشعرون ، ذلك أن القومية رابطة دونها كل رابطة وآصرة أضعف منها كل آصرة ، ولو اعتمد أولئك الخلفاء على العنصر العربي وحده ، لقوي الملك ورسخت أركانه وبذخ بنيانه .



في هذا العصر عاش أبو حيان التوحيدي ، وكان أشد الناس تأثراً بهذه الأحداث التي تنقطع لها الكبد وتسيل الدموع ، ولقد نزل بغداد وهو شاب صغير ، وأقدم على الدراسة ، فالتفت إلى النحوي ثم الفقه والمنطق وعلم الكلام ، فلحظ عليه أساتذته وهم من جلة العلماء وأعيان الفكر أنه حكيم عظيم صافي الذهن يعتمد على عقله ولا يأخذ الأمور على ظواهرها ، ولا يتحيز لفئة ولا يتعصب لرأي .

وكان إجماع الأدباء على أنه أكثر الأدباء شهماً بالجاحظ ، فقد التزم طريقته في التصنيف والتأليف ، ونبع في مناحي شتى من أبواب المعرفة ، فهو شميخ في الصوفية ، وفيلسوف متأدب ، وأديب متفلسف ، وبلغ لا يدانيه بامع . جمع في فكره من العلم ما لا يستطيع احتيجانه عشرة رجال من الأذكياء ، ولكن الحظ ، والحظ وحده ، هو الذي حال دون ذبوع امم هذا النابغة ، ومنع عليه أن يعرفه الأدباء والمؤرخون معرفة صحيحة حتى قال فيه ياقوت متعجباً : ولم أر واحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ، ولا أدمجه في ضمن خطاب وهذا من العجب العجيب .

ولقد أخلص هذا الرجل الكبير للعلم إخلاصاً لا يكون إلا عند أولئك الذين تجعلهم الطبيعة وقفاً على التأليف وإخراج الكتب ؛ وأكثر أبو حيان من تأليف المؤلفات ومن أشهرها : كتاب المقابسات ، وكتاب الاشارات الإلهية ، والرد على ابن جني في شعر المتنبي ، وكتاب الإمتاع والمؤانسة ، وكتاب رياض العارفين ، وكتاب نقريظ الجاحظ ، وكتاب منال الوزيرين وهما ابن العميد والصاحب ابن عباد ، وكتاب الحج العقلي ، وغير ذلك كثير ، ويتبين من هذا التنوع والتشكيل المدى الواسع الذي كان يشرف عليه عقل هذا الرجل ، فهو كما ترى يتنقل بين الفلسفة والأدب والفن والتاريخ بما يؤكد لنا أنه كان كفؤاً لكل دراسة وأهلاً لكل تمحيص .

أما طريقته الفكرية فتتلخص في أنه كان يميل إلى أهل التصوف من أصحاب الباطن كما كان أحياناً من أهل الظاهر فقد جمع النقيضين لقوة ذهنه ورجاحة فكره ، فهو لم يكن ناسكاً متطرفاً في الإعراض عن الدنيا وإن كان يشارك هؤلاء في التفكير ولا يماثلهم في السلوك وطريقة العيش حتى عرف فيه هذان اللوان ، وقلده في ذلك جماعة جاءوا من بعده ، أما هو فلم يتقيد في حياته كلها بذهب أو نظرية ، ولكنه عاش مع هذه المذاهب وتنقل فيما بينها وساوي أصحابها أو بز أهلها حتى صار أعجوبة الزمن ومعجزة الدهر .

كان أبو حيان ، في جلالة قدره وعلو منزلته ، فقيراً معدماً مقترأً عليه في رزقه ، لم يُستعمل في الدولة لأن العمل في الدولة يناقض ما كان عليه من حب للقراءة وادمان للمطالعة وانصراف تام للاطلاع ؛ ولم يلتفت إليه أصحاب الجاه والسلطان الالتفات الذي يليق به أو يتناسب مع مقامه العالي ، وكان للتوحيدي زميل في الفقر والعلم ، فكانا يتناحيان فيما آل اليه أمرهما من فاقة وعوز ، كما كانا ينعيمان على الحظ هذا الظلم الفادح والغبن الظاهر ، كان هذا الزميل هو الفيلسوف الكبير أبو بكر القومسي ، وقد قال للتوحيدي في يوم من الأيام : ما ظننت أن الدنيا وفكدها تبلغ من إنسان ما بلغت مني : إن قصدت إلى دجلة لأغتسل منها نضب ماؤها ، وإن خرجت إلى القفار لأقيم بالصعيد عاد صلياً أملس . وهذا الوصف ذاته ينطبق على أبي حيان ، ولكن أبا حيان لم يكن صاحب شكوى إذ كان له من نفسه ما ينفعه من اظهار حاله وشرح ما يخصه .

كان ابن العميد والصاحب بن عباد وزيرين جليلين ، وكانا يتفضلان على أهل الأدب والعلم من أولئك الذين يخفضون لهم جناح الدل ، أما الذين يعرفون أقدار أنفسهم من مثل المتنبي وأبي حيان التوحيدي فلم تكن لهم

حظوة عند الوزيرين الجليلين ، والذي يبدو أن الوزيرين كانا يجبان المدح ، وكانا يريدان أن يجمعوا اليهما دنيا السياسة والأدب ، فإذا عرفا أن من يقصد اليهما من الأدباء ، أديب له منزلته العالية خافاً منه وتنكراً له ، وقلبا له ظهر المحن وتمحلا الأعذار في البخل ، وعمدا إلى الإساءة إليه ليتخلصا منه حتى لا تكون هناك فرصة للمقارنة بينه وبينهما فيغلبهما في مجال التنافس والمقارنة . وهكذا اختلف ابن العميد والصاحب مع المتنبي ، حين حسدها وحاولا الإساءة إليه ولا سيما الصاحب ، وكذلك فعلا مع أبي حيان التوحيدي بعد أن افقطن اليهما فلم ينل منها رغبتيه ، وعاد بعد ثلاث سنين قضاها عند الصاحب دون أن ينال منه دانقاً أو درهماً . ولكن التوحيدي ليس من العلماء الذين يسكتون على الضيم ويتحملون الإساءة . وقد رزق من قوة الشكيمة والاعتداد بالنفس بحيث كان يرى الوزيرين بعين فكره . وهما صغيران هينان لا يستأهلان اهتماماً ولا يستحقان التفاتاً . ولقد كلف الصاحب ابن عباد أبا حيان بذسخ رسالة من رسائله تقع في ثلاثين مجلدة ، فقال له : نسخ مثل هذه يأتي على العمر والبصر . فحقق الصاحب عليه ذلك ؟ وكانت النتيجة أن كتب التوحيدي كتابه « مثالب الوزيرين » فاستفاد الأدب كتاباً جديداً على حساب هذا الخلاف الحصب . وكان لهذا الخلاف أثر مادي في أبي حيان فقد أعرض عنه الناس ارضاءً للوزيرين وتقرباً اليهما ، وأحدثت التهم بعد ذلك بأبي حيان وكانت هذه التهم في أكثرها دينية على عادة ذلك العصر ، وكانت الزندقة هي السبة التي يمكن أن توجه إلى الأئمة ، وقد لقي العلماء وأصحاب الفن والأشخاص البارزون عناء كبيراً من هذه التهمة ، وهكذا فقد اتهم الصاحب ابن عباد ، وهو الوزير القوي ، أبا حيان بالزندقة مما اضطره إلى الاختفاء ، وتعرض للقتل ، ولجأ إلى ديار بكر حيث لقي إكراماً بالغا من الوزير حمصام الدولة بن سعدان وله ألف كتاب « الصديق والصدافة » و كتاب « الإمتاع والمؤانسة » وهما من أشهر كتبه .

أما فنّ أبي حيان فينحصر في هذه الكتب التي ألفها ، وكانت تمتاز بأسلوب قوي أقرب الى أسلوب الجاحظ من حيث تقطيع العبارة وتقصير الجملة والإحساس الرقيق بالموسيقى اللفظية ، وسلامة الإنشاء ، إذا كتب لم تشرده عنه لفظة ولم تفتنه عنه كلمة ، وهو يؤثر في ذلك بأذن سامعه وإحساسه حتى يجتذبه اجتذاباً ، واللغة عند التوحيدي وسيلة للتعبير ، لا طريقة للتزلف والتكلف ، فاذا وضع الكلمة فهي لا بد أن تقع في محلها الذي خلقت له بحيث لا يمكن إبدال غيرها منها ، لأن هذه اللفظة ذات علاقة وشيجة بالصورة التي تتكون من اجتماع الكلمات بعضها إلى بعض في عقد واحد . وقد قال أبو حيان في هذا المعنى : « والكلام إذا خرج في غير تكلف وكدة وشدة تفكر وتعمل كان سلساً سهلاً ، وكان له ماء ورواء ورقراق ، وعليه فرند لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه » .

ولعل هذه العبارة تعطيك صورة واضحة عن طريقة أبي حيان في الكتابة ، وبعبارة عن التكلف والتعمل ، وهي صنعة الأديب الموهوب المطبوع ، ولعل من أهم أسباب الخلاف الذي نشب بين أبي حيان والوزيرين ، أن الوزيرين كانا متكلفي الأسلوب متصنعين في إخراج أدبهما وهذا ما جعل أبا حيان يستثقل ظلمهما وينظر إليهما نظرة لا يخالطها إعجاب وربما صرح بذلك ، وهذا ما أحقق الوزيرين عليه ، إذ من العسير أن يصحب الأديب من لا يجود عليه بالإعجاب ، وهذه الصفة من مستلزمات الأدباء في كل الأمم والعصور .

واقراً هذه العبارة من كتابه ( ثمرات العلوم ) : « أطال الله بقاءكم ، وأدام كرامتكم ، وحرس نعمه عليكم ، وحفظ مواهبه لديكم ، ولا أخلاكم من عوائده الجسيمة ، وفوائده الكريمة ، وقد كان يقال من لم

يفضب لنفسه ناصراً ، لم يفضب لبني جندسه منتصراً ، ومن لم يقف عند العظيمة منتصفاً ، لم يرج عند النوائب مسعفاً ، ومن لم يأنف من الفدح في عرضه آيباً ، لم يبت على الحسف إلا راضياً ، والفضب وإن كان مذموماً عند بعض الخلال ، فإنه محمود في بعض الأحوال ، وكما أن استمرار الغضب في جميع الأحوال ، نوع من فساد الأخلاق ، كذلك أيضاً الرضا في جميع الأمور ضرب من ضروب النفاق ، ولا بد من التقلب بين الرضا والغضب ، كما أنه لا بد من التردد بين الراحة والتعب .

ولقد سقت لك هذه العبارة لتبين قوة الفكر وصفاته وسلاسة الإنشاء عند هذا العبقرى .

أما في الشعر فإن الزمن لم يحفظ لأبي حيان إلا بعض أبيات قالها مصادفة ، فإن نسكه كان يمنعه من ذلك ، لأن الشعر دوافع ودواعي لم تكن متوفرة له ، أما هذه الأبيات فقد جمعت في قطعة واحدة مشهورة مطلعها :

يا صاحبي\* دعا الملامة واقصرا  
ترك الهوى يا صاحبي خسارة  
إلى أن يقول هذا البيت المشهور :

يا من أحب ولا أسمي باسمها      إياك أعني واسمعي يا جارة  
وإني لأشك شكاً كبيراً في نسبة هذه الأبيات إلى أبي حيان فهي لا تنسجم مع تاريخه وحياته وأسلوبه الكتابي ؛ أو ربما كانت من شعر الصبا الذي يبدأ الأديب به حياته الأدبية حتى إذا وجد التقصير حليفه أقلع عنه كما فعل الكثيرون من الأدباء في مطلع حياتهم .

وبما يؤسف له أسفاً شديداً أن التشاؤم قد امتد بأبي حيان بعد ما أصابه من أحداث الزمان فعمد إلى إحراق كتبه ؛ ولولا أن سبق للناس تلفف ما كتبه وحفظه لحسرت اللغة العربية كل آثار هذا الكاتب

العبقري . وأبو حيان يمتدح عن إحراق كتبه بأعذار واهية إن قبل بعضها بعض أهل عصره فنحن في زمننا نردها إليه جملة ولا نقبل منها شيئاً ، لأن النتاج العقلي ملك للناس جميعاً لا للشخص الذي خرجت على يديه ، والمتنحدر لا يعذره الدين كما لا يعذره القانون ، لأن نفسه ليست له وإنما هي أمانة وضعت في جسمه .

ذلك هو الرجل الكبير الذي أوردت لك شيئاً من سيرته في هذا المقال لتقف على صورة من أزهى صور التاريخ الأدبي عند العرب في عصر من أزهى عصورهم الفكرية .

أحمد الجندي



# التعريف والنقد

( مكتب عنبر )

بقلم الأستاذ النقيب السيد ظافر القاسمي

عدد صفحاته ١٤٠ من القطع الوسط ، طبع في المطبعة الكاثوليكية  
في بيروت سنة ١٩٦٤

من تصفح هذا الكتاب للكاتب المؤرخ الأديب السيد ظافر القاسمي ،  
رأى فيه العجب العجائب ، من سيرة أئمة العربية والدين ، الذين كانوا  
مجدّين في تعليم الطلاب ، مختلف العلوم والآداب ، فقد كانوا قدوة  
صالحة في تربيتهم وتعليمهم ، وصدق وطنيتهم ، ودفاعهم عن بلادهم بما  
أوتوا من قوة ، وكان لطلابهم فيهم أسوة حسنة . رحم الله من مضى منهم ،  
وحفظ من بقي ذكراً لأمتنا وفخراً .

( مكتب عنبر ، وما أدراك ما مكتب عنبر ! )

لقد كان معقلاً للوطنية ، ومرجعاً للغة العربية بأدبها وأخلاق أهلها ،  
فن أساتذة اللغة والدين ، هؤلاء العلماء الأجلاء : الشيخ عبد الرحمن سلام ،  
والشيخ محمد الداودي ، والشيخ عبد القادر المبارك ، والشيخ سليم الجندي ،  
ومن كبار أساتذتها محمد البزم . ومن الأبطال الذين أقاموا صرح العلم  
والوطنية والأخلاق - كما قال المؤلف - : جودة الهاشمي ، ومحمد علي  
الجزائري ، وجميل صليبا ، وجودة الكيال ، ويحيى الشماخ ، وحسن  
يحيى الصبان ، وغيرهم من هذه الطبقة العالية الغالية . فقد تخرج على

أيديهم ألوف كثيرة من الطلاب . أما هذا الضعيف فقد جمعتي ببعضهم مهمة التعليم في المدارس الرسمية كمنجيزي الذكور والإناث . ومنهم من تولّى الإدارة مع التعليم . والرعيّل الأول ، الذي تخرج على أيديهم لا نظير لهم في من جاءوا بعدهم .

ثم ذكر المؤلف المحسن والمسيء من أساتذته الفرنسيين ، مقيماً ميزان النصفة والعدل بينهم ، ونوّه بالمودّة الثابتة الدائمة ، على القرب والبعد ، بينه وبين أستاذ له وصديق في مكتب عنبر من الفرنسيين <sup>(١)</sup> وبينه وبين طالب مسلم تركي ، فأما الأستاذ فيكاتبه بالفرنسية ، وأما الطالب فيمكتب بالعربية بعد سنين طويلة ، إذ يرى أنها لغة كلّ مسلم ، ويجب المحافظة عليها . وفي طليعة الكتاب مقدمة حافلة بقلم الأستاذ الكبير الشيخ علي الطنطاوي وهو من طلاب مكتب عنبر أيضاً وزميل المؤلف في حياته العلمية والأدبية ، فكانت مواردّها ومصادرهما متشابهة ، وقلمها يجري في هذا السبيل جريان الماء العذب السلسبيل .

### ( اللغة العربية والإسلام )

إن أفضل وسيلة لتعود اللغة العربية لنا ، لغة محادثة وكتابة وخطابة ، ويكون الإسلام لنا شئتنا ديناً ، علماً وعملاً واعتقاداً ، هو قيام أساتذة اللغة والدين ، بواجبهم العربي والإسلامي على الوجه المطلوب ، فإننا نرى الأجانب في بلادنا يكلمون أولادنا بلغتهم الأعجمية ليسهل عليهم تعلّمها والنطق بها ، فهل يكون أساتذتنا أقل حظاً ونصيباً في تعلّم اللغة العربية والدين من الأجانب في ديارنا . وهذه كلمة لأحد حكماء الإسلام ، في هذا الموضوع العام ، قال : أما سير الإسلام مع اللغة فقد كان من العجائب التي لم يعهد لها نظير في التاريخ :

(١) الأستاذ غوليه Gaulmier .



لم يرض على انتشار الإسلام في بلاد الروم والفرس ، وبلاد افريقية  
وغربي أوربا إلا " زمن يسير ، حتى علت اللغة العربية على لغات هذه  
الأمم ، بل نسختها كما تفسخ آية النهار آية الليل ، من غير مدارس ولا  
معلمين ينصرفون إلى تعليم اللغة . فهذا دليل على أن الصحابة الكرام ،  
ومن اهتدى بهم من الفاتحين كانوا يلغنون الناس الدين على وجه يبعثهم  
على تعلم العربية من أنفسهم ، وما كان ذلك الانتشار إلا " بهذا الوازع  
النفسي الذي يفعل ما لا تفعل السياسة ولا المدارس ، وما أوقف هذا  
السير إلا " ضعف الدول العربية ، ووثوب الأعاجم على عروشها ، وإفتاء  
علماء الأعاجم يجاوز العبادة وقراءة القرآن والذكر في الصلاة  
باللغات الأعجمية .

ويلاحظ أن اللوحة ( بعد ص ١١٢ ) وفيها صورة زيارة الملك فيصل  
لمكتب عنبر ( عام ١٩٢٠ ) أنها كانت أخذت في دار المعلمين الأولية  
في كرخ بغداد .

وأختم كلمتي بإسداء الشكر للأستاذ المؤلف السيد ظافر الذي نالني  
شرف تدريسه الحديث والتوحيد ، فقد نوه بي في هذا الكتاب الوحيد  
من نوعه ، بوصفي بما أملاه عليه فضله ونبله ، على أنني أحمد سبحانه  
وأشكره على أن كنت تلميذ علامته الشام في المعقول والمنقول : والده  
أستاذنا الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، فإليه يعود الفضل كله ، رحمه الله  
تعالى ورضي عنه ، وحفظ لنا نجله الذي يعيد لنا مجد أبيه ، جدًّا واجتهاداً ،  
وهمة ونشاطاً ، بمنه وكرمه .

محمد بهجة البيطار



ملاحظات وتعليقات<sup>(١)</sup>

على ( دِعبِل بن علي الخزاعي - دراسة تحليلية لحياة وشعره )

تأليف الدكتور : عبد الكريم الأشتر

نشر الدكتور عبد الكريم الأشتر الأستاذ بجامعة دمشق : دراسته التحليلية لحياة دِعبِل بن علي الخزاعي وشعره سنة ١٩٦٤ بدمشق ، وانتهت اليّ نسخة منها ، في وقت تعوقني فيه عدة عوائق 'قَدَر' لها أن تتزاحم وتتفاقم في وقت واحد ! فرأيت أن أُوجِل النظر فيها إلى فرصة سانحة ، ثم إلى أن يصل إلي ما جمعه الدكتور وصفه من شعر دِعبِل ، ولكن الكتاب كان 'نُصبَ عيني من جهة' ، وموضع اهتمامي من جهة أخرى ، فتركتُ ما يجب أن يكون إلى ما هو كائنٌ ، وبدأتُ أقرأ .. في ضوء فكرة قديمة عن الدكتور في معاناته الطويلة ، وأتعبه الكثيرة ، لدراسة حياة دِعبِل وشعره ، وكانت هذه الفكرة مشبعةً بالشعور بصبر الدكتور وجلده على مواصلة التتبع والتحري والاستقصاء فيما يخص هذا الشاعر الكبير والوقوف على منازعه واتجاهاته ...

وقد أفلح الدكتور الأشتر إلى حدٍ بعيد في وقفاته على مختلف الأبحاث والدراسات والكتب والمقالات - على اختلاف مذاهب ومشارب ذويها ومؤلفيها - في هذا الشأن ... ولا أراني بعيداً عن الصواب إذا ما قلتُ أنه قد أُلِمَّ بأكثرها المأماً محموداً ، وكانت الفِكْرُ والإشاراتُ التي قدّمها إلى القراء عما كُتِبَ عن الشاعر في الغابر والحاضر ، شيئاً مهماً ! .

(١) أمّبتنا أمّ الملاحظات والتعليقات الواردة في مقال الأستاذ الدجيلي ، ونعترف عن نعر البحث كاملاً لطوله .  
( لجنة المحلّة )

أما الدراسة التحليلية هذه فقد كان الدكتور موفقاً في أكثر مواردها كما وُفِّقَتْ هي الأخرى فكانت كتاباً مستقلاً عن حياة دعبل وسيرته مع لمحاتٍ عن شعره ، وقد دلّت على مدى الجهود التي بذلها الدكتور فيها ، لولا ما شأبها من تطويل في التعبير ، وتكرار في المعاني وتناقض في بعض الأفكار أو تفسير لبعض المواقف لا يتفق والواقع . ولولا عدم تبويبها .. وقد عنت لي في أثناء قراءتي ملاحظاتٍ وتعليقاتٍ هامة رأيت أن أدونها استجابةً للأخ الدكتور ، وخدمةً لهذا التراث الجليل ، وها أنا الآن أقدمها للقراء منبّهةً إلى أنها بعض ما لاحظته على كتاب الدراسة ، ولعلي أعود مرةً أخرى عند منوح الفرصة ، راجياً منه تعالى أن يمدنا بالصحة والأمان ..



- ١ - لفتَ نظري عدم افتتاح الكتاب بالبسملة ! وهذه عادة درج عليها بعض كتابنا ، لم اهتمد إلى تفسيرها !
- ٢ - في ص ٨ قال عن دعبل : « ولكنه في السنوات الأخيرة منها ( من حياته ) ، وقد استكان قليلاً ، كأنما خمدت الجذوة ، يلجأ إلى النثر فيكتب كتابين في طبقات الشعراء ومثالب العرب ومناقبها .. »
- آ - كيف نوفق بين هذه الاستكانة وهجائه للتوكل في أيامه الأخيرة ، بالبداهة ؟ بل وهجائه للملك بن طوق الذي دبّر لاغتيال دعبل ؟ ثم أليس هذا يناقض قول الدكتور ص ١٩٤ « وكان دعبل بعد ألف ولي المتوكل قد طعن في السن ولكن لم يتعب من المغالبة » ! وقوله ص ١٩٧ : « فأَي رجل في مثل السن التي بلغها دعبل تبقى له مثل هذه الأنياب الحادة ؟ وأي أنون لا يبرد في أعماقه .. »

ب - وما هو الدليل على أنه ألف كتابيه في أيامه الأخيرة ؟ أما ما ذهب اليه الدكتور من أنه ترجم لأحمد بن أبي دواد المتوفى ٥٢٤٠ هـ - كما في ص ٢٧٩ - فهو غير مقبول ، ولا يصح الاستدلال به على ذلك إذ قد يكون ترجم للمذكور في حياته - وقد كان شائعاً ، حتى اليوم تدوين ( التراجم ) في حياة ذويها ، وهو كثير في الكتب .

٣ - في ص ١٨ قال : « فلا يبعد كثيراً اذن أن تكون النسبة الى بديل من عمل رجال من الشيعة ظنوا انهم يكسبون به شرفاً يحجو ما علق به من قالة السوء » .

هذا غير صحيح ، ان الشيعة لا تزور أبداً ، لأن قالة السوء هي من تقولات المؤرخين ، وذوي النيات غير الحسنة ، مع علمنا بأن إضفاء النسب أو عمله لا يدرأ عن صاحبه قالة السوء أو يحجو ما علق منها .

٤ - في ص ٢٣ قال « وقد كان دعبل يحبل معنى اسمه حتى فسره له أبو عمرو الشيباني يوماً . » نقلاً عن الأغاني .

وأبو عمرو الشيباني هذا معاصر دعبل وقد توفي ٢٠٦ هـ وأعتقد ان الدكتور لو تأمل هذا الخبر لما كتبه ازدراء به ، الا أن يكون قد تألّى يميناً على كتابة كل شيء ! . كيف يُعقل أن يحبل معنى اسمه ( أو لقبه ) رجل من صميم العروبة ، وشاعر مثقف مثل دعبل بشهادات الدكتور ، مع أن هناك أخباراً يرويها دعبل أو يذكرها عن اسمه وما حدث له ، لم يذكرها الدكتور ! وكان تعقيبه على خبر الأغاني بقوله : « ونعتقد أنه لو كان لقباً لُقب به لما جهل معناه بعد أن تقدمت به السن » وهذا أعجب من الخبر ! ..

٥ - وفي ص ٢٧ - ٢٩ قال : « وليس في الوسع أن نقبل ما روي في مصدر من مصادر الشيعة من عدّه في المقتصدين .. » نقلاً عن معالم العلماء

لابن شهر آشوب ص ١٣٩ ثم أخذ الدكتور يفنّد ذلك ، يقنّد كون دعبل مقتصدًا بما عرف عنه من إكرام الضيف ، وذمه البخل والمطل ، ويورد الشواهد من شعره على ذلك .. وغيرها .

ثم قال في ص ٢٩ « ونعتقد ان الأصل في رواية ابن شهر آشوب عن عدة في المقتصدين ما نعرف من زيارته لسهل بن هارون الذي كان يُرمى بالبخل ويحتج له ، ورواية دعبل عنه حكاية الديك .. »

٢ - ليس في معالم العلماء لابن شهر آشوب ( - ٥٨٨ ) أية رواية بهذا المعنى إطلاقاً .

ب - وقد جاء في أواخر الكتاب ما يلي بالنص " باب في بعض شعراء أهل البيت عليهم السلام ، وهم أربع طبقات : المجاهرون والمقتصدون والمتقون والمتكافون » ثم أخذ المؤلف - أعني ابن شهر آشوب - يعدد أسماء رجال كل طبقة من هذه الطبقات بعنوان ( فصل ) . وكان دعبل مع جملة من مشاهير وكبار العلماء والأدباء والشعراء في فصل المقتصدين ... أي المقتصدين في الدعوة والمجاهرة بالتشيع ، لا المقتصدين بالإنفاق والبذل ! - كما وهم الدكتور - .

وعلى هذا فلم يقصد ابن شهر آشوب من عدة في المقتصدين المعنى الذي فهمه الدكتور .

ج - كان الأولى بالدكتور أن ينقد من اتهم دعبلاً بالبخل صراحةً ففي المنتخل - المطبوع بذيّل المنتحل للثعالي - لأحمد الأزهرى أبي علي ص ٣٢٢ قال عن دعبل : « وكان شديد البخل ونوادره في ذلك شق » !! وكنت قد رددت ذلك في الديوان ص ٤٨ .

هـ - أما ما ذهب اليه الدكتور من تفسير المقتصدين بالبخله كما يفهم من كلامه فغير صحيح ، والذي نعرفه من اللغة ان الاقتصاد ضد الافراط أي

ضد التبذير ، وفرق بين البخل والاقتصاد ، والاقتصاد هو الاعتدال والاستقامة » والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قَوَامًا - سورة الفرقان « وقيل قديماً : « لا وجود مع تبذير ولا بخل مع اقتصاد » ولا يصح تفسير ( ما عالَ مَنْ اقتصد ) - أو أعال - بن بخل ..

٦ - وفي ص ٢٩ - ٣١ قال : « وكان يكثر من شرب الخمر على عادة أغلب شعراء العصر بدليل ما بقي من شعره ... وفي ص ٣٠ : ويقلب على الظن انه ظل يشربها حتى غلب عليه الكيِّسَر ... وفي ص ٣١ : على انه كان لا يشربها صرفاً بل يمزجها بالماء لأن العرف يورث الحنف ... » ثم :

« وكان أولاده يعرفون - على ما يبدو - ولعه بالخمر حتى ان عليه وهو أكبرهم روى انه : لما حضرت أبي الوفاة تغير لونه وانعقد لسانه واسود وجهه ، فكنت الرجوع عن مذهبه فرأيت بعد ثلاثة أيام فيما يرى النائم وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء فقلت له يا أبت ! ما فعل الله بك ؟ فقال : يا بني ان الذي رأيته من اسوداد وجهي وانعقاد لساني كان من شربي الخمر في دار الدنيا .. » نقل الخبر عن ( عيون أخبار الرضا لابن بابويه ص ٢٧٠ وعنه في منتهى المقال لأبي علي ص ١٣٢ ) .

وقد بتر الدكتور الخبر من أوله وآخره ! وتتمته : « في دار الدنيا ولم أزل كذلك حتى لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء ، فقال لي : انت دعبل ؟ قلت : نعم يا رسول الله ! قال فأنشدني قولك في أولادي فأنشدته قولي :

لأضحك الله سنَّ الدهر إن ضحكك وآل أحمد مظلومون قد قهروا  
مشردون نفوا عن عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يُفتفر  
قال : فقال لي أحسنت ، وشفع في وأعطاني ثيابه وهاهي وأشار الى  
ثياب بدنه » .

هذه بقية خبر عيون أخبار الرضا ونقل الخبر عنه أبو علي في « منتهى المقال » .

أقول : أما الاستشهاد بالشعر في ذكر الحرة ووصفها ومعاطاتها وغير ذلك من الأخيلة فيها ، فلا يدل على شربها واحتسائها وقد وصفها كثير من الشعراء وصف عالم بفعلها ، خبير بمرارتها وحرارتها ، دون أن تفس شفاهم قطرة منها ، ومن هؤلاء من هم في عداد رجال الدين والعلم ، ولو كان في هذا المجال متسع لشفت ذلك بالأمثلة الكثيرة ولأوردت نماذج غير قليلة في ذلك ، كما ادعى كثير من الشعراء دعاوى عريضة في الفخر والشجاعة والكرم ، والوطنية وغيرها ولم يكن واقعهم ليدل على ذلك ! ..

٧- وفي ص ١٤٣ قال : « فأما الحجاج فلم يكن دعبل يطيقه لما نعرف من حرارة مزاجه وتوثب قلبه في الشعر ، ولأن دعوى الهاشمين في الخلافة وقد كانت قوية في أيام الكميت - ضعفت حجتها كثيراً بعد أن تولّى العباسيون الخلافة » .

والظاهر انها دعوى العلويين في أيام الكميت وبعده لدعوى الهاشمين من العباسيين ، ولم تضعف حجة هذه الدعوى - أعني دعوى العلويين في كلتا الدولتين كما هو معروف ..

٨- ص ١٩٤ قال : « فلما خرج المتوكل إلى تعقّب الشيعة شدد النكير عليهم وهدم قبور آل البيت في كربلاء والنجف سنة ٢٣٦ هـ . والمعروف عن المتوكل انه تعرض لمرقد الإمام الحسين بن علي في كربلاء ومنع الناس من زيارته ، ولم يرد شيء عن تعرضه لمرقد الإمام علي في النجف . وفي طبقات الشافعية الكبرى « ٢١٦/١ » إنتاج الدين السبكي ( - ٥٧٧ هـ ) قال عن المتوكل « وأمر بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور وان يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وتألم المسلمون لذلك

وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه دعبل وغيره من الشعراء وقال قائلهم :

تالله إن كانت أمية قد أتت      قتل ابن بنت نبيها مظلوما  
فلقد أتاه بنو أبيه بشاله      هذا لعمرك قبره مهدوما  
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوها      في قتله ، فتنبهوه رميا

٩ - وفي ص ٣٠٣ قال - عن المقدمة التي قدمت بها ( ديوان دعبل ابن علي الحزاعي ) - د .. تجميع طويل جاد .. تحكمه فكرة مسبقة بالدفاع عن الشاعر وإعلاء شأنه ومذهبه ، ولو كلفه ذلك تكذيب الموثوق من أخباره ، والطعن على معاصريه ومهجوويه .. وقد أكثر الكاتب من ادراج النقول الواسعة عن كتب الشيعة حتى وقع في استطرادات غريبة ، ونحسب أنه لم يصل - مع ذلك - إلى شيء كبير يوقف عنده .. »

هذا هو رأي الأخ الدكتور ، وفيه تحامل على الكاتب وعلى ما كتب ! فهذه المقدمة التي بلغت الثمانين بالحرف الدقيق لم تصل إلى شيء كبير يوقف عنده في رأيه ! وهذه المقدمة التي لم تكن تجميعاً لفظياً ، بل تجميعاً للمعاني المضغوطة فيها ، مرتبة ومبوبة ، قال الدكتور عن كاتبها : تحكمه فكرة مسبقة بالدفاع عن الشاعر ! ...

هذا كلامٌ ليس فيه نصّ ، ولم يكن جديداً لما يتمم به الدكتور فكثيراً ما قال مثل هذا المتقيدون غير المنصفين في المنتقدين !! وقلمنا روعيت الحقيقة ، وقد وجّهه بالنقد إلى دعبل أكثر من مرة ولم يحمد في بعض تصرفاته ، في هذه المقدمة التي عابها الدكتور .

أما ما قاله عن تكذيب الموثوق من أخباره والطعن على معاصريه ومهجوويه ، فهو في رأيه ، لأنني لم أكذب الموثوق من أخباره في رأيي ، والذي لا يحتمل الشك ورود أخبار وروايات بقصد الإساءة إليه والخطأ منه ،



وقد أورد أبو الفرج أخباراً متضاربة متناقضة ، بعيدة عن الحقيقة ، دون تحقيق أو تمحيص ، وجاء الذين أخذوا عنه فزادوا وأضافوا من ( عندياتهم ) الكثير من الطعوت ! . .

ألم يقل الدكتور نفسه ص ٣ « فأكثر هذه الترجمات أخبار متفرقة وروايات متضاربة ، موجهة في بعض الأحيان . »

ألم يقل ص ٢١٤ - ٢١٥ « ونخشى أن يكون لما فذفته به أكثر مصادرنا الأدبية ولما اختارت له من شعره أثر في الأحكام التي ترمي الشاعر بكل نقيصة حتى تجمله عصارة اللؤم المصفتى ، ونخشى أن يسأل أبو الفرج نفسه صاحب السلطان الواسع على معظم تراثنا الأدبي القديم عما شاع من ذلك في هذه المصادر ، كما يسأل عن كثير من مثل هذه الأحكام ! »

ليست الدكتور الى أقواله ويتأملها ! . .

وأود - وأنا أرجو أن أعود الى تحليل « الدراسة التحليلية » أن أذكر شذرات قليلة جداً من أقوال العلماء والباحثين عن مقدمة ديوان دعبل الذي نشرته سنة ١٩٦٢ م للموازنة بينها وبين قول الدكتور الأشتر : قال العلامة الأمير الرئيس مصطفى الشهابي في ١٩٦٢/١٢/٩ من رسالة : « وأثنى على التحقيقات الدقيقة وعلى إصناف ذلك الشاعر الفذ » . وقال الأستاذ الكبير السيد جعفر الحسني في ١٩٦٤/١/١٤ من رسالة : « أهنيكم على هذا الجهد الكبير فقد أحسنت الجمع والتحقيق والتعليق أحسن الله اليكم . . » وقال الأستاذ الباحثة كوركيس عواد في ١٩٦٢/٩/١ من رسالة « وهي تحفة أدبية رائعة قد أوفت على الغاية في بعد التحقيق والتدقيق ، وفي كل صفحة من صفحات هذا الديوان يتجلى ما بُذل من جهد وعناية بالغين في إخراجه بهذا الوجه العلمي الذي يستوجب كل مديح وثناء ، وما أثنى هذه المقدمة التحليلية التي صدرتم بها هذا الديوان للتعريف بدعبل ، وعندي أنها خير ما كتب في هذا الشاعر . . » وقال العالم المحقق توفيق

الفكيكي في بحثه الطويل المنشور في مجلة المكتبة ، تشرين الثاني ١٩٦٢ :  
 « . . . فقد كان الأستاذ الدجيلي موفقاً غاية التوفيق ، بالغاً الغاية المنشودة  
 التي كثيراً ما قصر عن بلوغها بعض أصحاب ( الدكتور ) والدراسات  
 الجامعية . . . »

هذه فقرات من عشرات ، وسنشرها ان شاء الله في المستدرك أو  
 في طبعة الديوان الثانية .

\*\*\*

#### ملاحظات وأخطاء :

لاحظت هذه الأخطاء في مصادر ومراجع ( الدراسة التحليلية ) ومنها  
 أخطاء هامة جداً ، ولم أجزم بأنها كل ما لاحظت :

١ - جاء في ص ٣٠٨ « الإرشاد لأبي علي الحسن بن محمد الطوسي  
 المعروف بالشيخ المفيد ( ت ٤١٣ هـ ) .

والصحيح : لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي .  
 وسنة وفاته كما ذكرها .

٢ - وجاء في ص ٣١٠ : البداية والنهاية لابن كثير القرشي . . .  
 عشرة أجزاء والصحيح : ١٤ جزءاً .

٣ - وجاء في ص ٣٢١ : سنة وفاة ابن النديم صاحب الفهرست  
 ( ٤٣٨ هـ ) والصحيح : ٣٨٤ هـ أو ٥ .

٤ - وجاء في ص ٣٢٣ « المصون لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن  
 سعيد العسكري ( ت ٣٩٥ هـ ) تحقيق عبد السلام محمد هاروت . .

وقد اشتبه الدكتور والتبس عليه الأمر فنسب الكتاب لأبي هلال  
 العسكري وذكر وفاته ٣٩٥ بينا المصون لأبي أحمد العسكري المتوفى ٣٨٢ هـ  
 وهو أستاذ أبي هلال مؤلف ( ديوان المعاني ) و ( الصناعتين ) وعلى المصون

اعتمد أبو هلال في النقل والنقد في كتابيه المذكورين وقد اتفقا في اسميهما واسمي أبويهما وجديهما !

٥ - وجاء في ص ٢٢٥ : تاريخ وفاة الميرزا محمد الاسترآبادي صاحب منهج المقال ( ت ١٣١٣ ) وكان الدكتور قد ذكر تاريخ وفاته في ص ٢٩٢ بالهامشية ( ١٣١٢ ) .

والصحيح أن تاريخ وفاته هو سنة ( ١٠٢٨ هـ ) .

٦ - وجاء في ص ٣٢٧ : تاريخ وفاة المؤرخ محمد بن يوسف الكندي سنة ٣٥٥ هـ والصحيح أنها سنة ٣٥٠ هـ .

✱ ✱ ✱

### أخطاء الكتاب !

وقد صححت ' الأخطاء ' التي نبه عليها يجادل في آخر الكتاب قبل قراءته غير أني عثرت على الأخطاء الآتية التي لم ينتبه اليها الدكتور لينبته عليها ، فدونتها أثناء القراءة ، وربما فاتني غيرها لم انتبه اليه :

| ص   | س  |                                                      |         |
|-----|----|------------------------------------------------------|---------|
| ٤٩  | ٤  | تشيعو                                                | تشيعوا  |
| ٥٧  | ٤  | الجائزة                                              | الجائزة |
| ٦٢  | ٢  | بيلدته                                               | بيلدته  |
| ٦٨  | -  | تكرر رقم ٣ مرتين في الأصل .                          |         |
| ٧٧  | ٤  | من ولد                                               | من ولد  |
| ٩٢  | ١٣ | ثلاثون حجة ...                                       | حجة     |
| ٩٢  | ١  | ويتراءى له آل البيت مهزواين متعبين وخصومهم غلاظ عراض |         |
|     |    | والصحيح : غلاظ عراضا .                               |         |
| ١٠٨ | ١  | ونكن                                                 | ولكن    |

| ص   | ص  |                                   |
|-----|----|-----------------------------------|
| ١٠٨ | ٢  | قبل شر الخلق — قبر شر الخلق       |
| ١١٣ | ١٢ | سنوات قلية — .. قلية              |
| ١١٧ | ٣  | على ضوء — والصحيح في ضوء          |
| ١٢٢ | ٨  | بال يمينه — بأن ...               |
| ١٢٤ | ٧  | علاقات — والصحيح علائق ، تكررت    |
| ١٢٥ | ٩  | بالمليون — بالمليون               |
| ١٤٣ | ١٣ | الدعوة التي يدعوها — يدعو إليها . |
| ١٤٤ | ١١ | علاقات — علائق                    |
| ١٤٤ | ١٢ | فاعاد بذلك تصور — ... تصور        |
| ١٥٧ | ٤  | وجيدة — وجيده                     |
| ١٦٨ | ١٣ | 'انكرهم' — 'انكرهم'               |
| ١٧٢ | —  | اختلاف أرقام الحواشي              |
| ٢٠٩ | ٣  | واسقهم — واسقهم                   |
| ٢٣٥ | ١١ | سثل — سثل                         |
| ٢٧٩ | ١١ | بما خزائن — بما في خزائن          |
| ٢٨٠ | ١٦ | المفرطة — المفرطة                 |
| ٢٩٠ | ٥  | كتبة — كتبه                       |

هذا آخر ما لاحظته في قراءتي للكتاب السريعة وأرجو المذرة من  
الصديق الدكتور ومن القراء الكرام .

(النجف)  
عبد الصامد عمرانه البرميلي الخزرجي



# آراء وأنباء

## انتخاب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

عقد بتاريخ ١١/١/١٩٦٤ مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق اجتماعاً قانونياً انتخب فيه بالإجماع العضو العامل الأستاذ عز الدين التنوخي نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية الشاغرة وصدر بذلك قرار سيادة وزير التربية والتعليم الآتي :  
قرار رقم ( ٢٤٤٣ )

### وزير التربية والتعليم

بناءً على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠ ولا سيما المادة (٨) منه .  
وعلى القرار رقم (٣١) عام ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية .  
وعلى القرار الوزاري رقم (٤٨) تاريخ ١٦/٦/١٩٦١ الصادر بتنفيذاً لحكم المادة ٢٥ من القرار ١١٤٤ المذكور .  
وعلى ضبط الجلسة القانونية التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني ١٩٦٤ والتي تم فيها انتخاب نائب الرئيس .

يقرر ما يلي :

مادة ١ - يعين الأستاذ عز الدين التنوخي عضو مجمع اللغة العربية العامل نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات من تاريخ هذا القرار .

مادة ٢ - يتقاضى الأستاذ عز الدين التنوخي نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق تعويضاً شهرياً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة الأولى ، ويصرف من الباب الأول ( الرواتب ) من موازنة المجمع .

مادة ٣ - ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ١٧/٨/١٣٨٤ و ٢١/١٢/١٩٦٤

وزير التربية والتعليم

مصطفى حيدر

## تجديد انتخاب أمين مجمع اللغة العربية بدمشق

عقد بتاريخ ١٩٦٤/١٢/١٩ مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق اجتماعاً قانونياً جدد فيه انتخاب الأمين السابق الأستاذ جعفر الحسني بالإجماع وصدر بذلك قرار سيادة وزير التربية والتعليم الآتي (١) :

## قرار رقم ( ٢٤٥٠ )

## وزير التربية والتعليم

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ ولا سيما المادة (٨) منه . وعلى القرار رقم ( ٣١ ) لسنة ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية ولا سيما المادة ٣٧ منه .

وعلى القرار الوزاري رقم ( ٤٨ ) تاريخ ١٩٦١/٦/١٦ الصادر بتنفيذاً لحكم المادة (٣٥) من القرار ١١٤٤ المذكور .

وعلى ضبط الجلسة القانونية التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق في ١٩٦٤/١٢/١٩ والتي تم فيها انتخاب أمين المجمع يقرر ما يلي :

١ - يحدد تعيين الأستاذ جعفر الحسني أميناً لمجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات من تاريخ ١٩٦٥/١/٥ .

٢ - يتقاضى الأستاذ جعفر الحسني أمين المجمع تعويضاً شهرياً معادلاً لراتب موظفي الدرجة الثالثة من المرتبة الأولى . يعترف له من الباب الأول ( الرواتب ) من موازنة المجمع .

٣ - ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق في ١٩٦٤/١٢/٢٢ و ١٣٨٤/٨/١٨

وزير التربية والتعليم

مصطفى مراد

(١) جدد انتخاب الأستاذ الأمير أميناً للمجمع للمرة الثالثة .

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

### الأعضاء العاملون

١ - الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

|    |                                        |   |                                  |
|----|----------------------------------------|---|----------------------------------|
| ١٠ | الدكتور شكري فيصل                      | ٢ | الدكتور اسعد الحكيم              |
| ١١ | الأستاذ عارف النكدي                    | ٣ | = امجد الطرابلسي                 |
| ١٢ | الدكتور عدنان الخطيب                   | ٤ | الأمير جعفر الحسني (أمين المجمع) |
| ١٣ | الأستاذ عز الدين النونجي (نائب الرئيس) | ٥ | الدكتور جميل صليبا               |
| ١٤ | الشيخ محمد بهجة البيطار                | ٦ | = حسني سنج                       |
| ١٥ | الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي       | ٧ | = حكمة هاشم                      |
| ١٦ | = محمد كامل عياد                       | ٨ | = سامي الدهان                    |
| ١٧ | الأستاذ محمد المبارك                   | ٩ | الأستاذ شفيق جهري                |

### الأعضاء المرسلون

| الجمهورية العربية السورية         | الجمهورية العربية المتحدة |
|-----------------------------------|---------------------------|
| ١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي      | ٦ الاستاذ احمد حسن الزيات |
| ٢ الاستاذ عمر ابو ريشة            | ٧ الدكتور احمد زكي        |
| ٣ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) | ٨ طه حسين                 |
| ٤ الدكتور فسطاطين زريق            | ٩ الأمير يوسف كمال        |
| ٥ الاستاذ نظير زبتون              | لبنان                     |
|                                   | ١٠ الاستاذ أنيس المقدمي   |

|                                   |                                         |
|-----------------------------------|-----------------------------------------|
| المملكة الليبية                   | ١١ الاستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير) |
| ٢٨ الاستاذ علي الفقيه حسن         | ١٢ الدكتور صبحي المحمصاني               |
| الجمهورية التونسية                | ١٣ = عمر فروخ                           |
| ٢٩ الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب    | فلسطين                                  |
| ٣٠ = محمد الطاهر ابن عاشور        | ١٤ الاستاذ قدري حافظ طوفان              |
| الجمهورية الجزائرية               | المملكة الهاشمية الاردنية               |
| ٣١ الاستاذ محمد البشير الابراهيمي | ١٥ الاستاذ محمد الشربقي                 |
| المملكة المغربية                  | الجمهورية المورقاية                     |
| ٣٢ الاستاذ عبد الله كنون          | ١٦ الاستاذ احمد حامد الصراف             |
| ٣٣ = علال الفاسي                  | ١٧ = ساطع المصري                        |
| تركية                             | ١٨ = عباس العزاوي                       |
| ٣٤ الاستاذ احمد انش               | ١٩ الشيخ كاظم الدجيلي                   |
| ايران                             | ٢٠ الاستاذ كور كبس عواد                 |
| ٣٥ الدكتور علي أصغر حكمت          | ٢١ الشيخ محمد بهجة الاثري               |
| المهند                            | ٢٢ الاستاذ محمد رضا الشيببي             |
| ٣٦ الاستاذ آصف علي أصغر فيضبي     | ٢٣ الدكتور مصطفى جواد                   |
| ٣٧ = أبو الحسن علي الحسيني الندوي | ٢٤ الاستاذ منير القاضي                  |
| باكستان                           | السودان                                 |
| ٣٨ الاستاذ عبد العزيز الميني      | ٢٥ الشيخ محمد نور الحسن                 |
| ٣٩ = يوسف البنوري                 | المملكة العربية السعودية                |
| فرنسة                             | ٢٦ الأستاذ حمد الجاسر                   |
| ٤٠ الدكتور بلاشير (رجيس)          | ٢٧ = خير الدين الزركلي                  |
| ٤١ الأستاذ كولان (جورج)           |                                         |



|                                    |                            |
|------------------------------------|----------------------------|
| اسبانية                            | ٤٢ الاستاذ لاوست ( هنري )  |
| ٥٢ الاستاذ غومن ( اميليو غارسيا )  | ٤٣ = ماسه ( هنري )         |
| النمسة                             | بريطانية                   |
| ٤٣ الدكتور اشتولز ( كارل )         | ٤٤ الاستاذ أربري ( أ. ج. ) |
| ٥٤ الاستاذ موجيك ( هانز )          | ٤٥ = جيب ( ٥. ١٠. ٠ )      |
| ايطاليا                            | ٤٦ = غابوم ( الفرد )       |
| ٥٥ الاستاذ جبرائيل ( فرانشيسكو )   | المانية                    |
| هولاندة                            | ٤٧ الاستاذ ريتز ( هلموت )  |
| ٥٦ الدكتور شخت ( يوسف )            | ٤٨ = هارتمان ( ريشارد )    |
| الدانيمرك                          | السويد                     |
| ٥٧ الاستاذ بدرسن ( جون )           | ٤٩ الاستاذ دبدرنغ ( س. )   |
| فنلاندة                            | الولايات المتحدة الاميركية |
| ٥٨ الاستاذ كرسبيكو ( يوحنا اهنين ) | ٥٠ الدكتور خودج ( يبارد )  |
| البرازيل                           | ٥١ الاستاذ فيليب حتي       |
| ٥٩ الاستاذ رشيد سليم الخوري        |                            |



أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق الراحلون

الجمهورية العربية السورية

- |                                 |                                |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ٢٣ الاستاذ قسطنطين الحمصي       | ١ الشيخ طاهر الجزائري          |
| ٢٤ الشيخ كامل الغزي             | ٢ = سليم البخاري               |
| ٢٥ الاستاذ ميخائيل الصقال       | ٣ = مسعود الكواكبي             |
| ٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني     | ٤ الاستاذ الياس قديمي          |
| ٢٧ = راغب الطباخ                | ٥ = أنيس سالم                  |
| ٢٨ = عبد الحميد الجابري         | ٦ = جميل العظم                 |
| ٢٩ = عبد الحميد الكيالي         | ٧ = سليم عنخوري                |
| ٣٠ = محمد زين العابدين          | ٨ = عبد الله رعد               |
| ٣١ الدكتور صالح قنباز           | ٩ = رشيد بقدوناس               |
| ٣٢ الشيخ سليمان الأحمد          | ١٠ = أدب التقي                 |
| ٣٣ الاستاذ ادوار مرقص           | ١١ الشيخ عبد القادر المبارك    |
| ٣٤ الشيخ سعيد العرفي            | ١٢ الاستاذ معروف الأرنؤوط      |
| ٣٥ البطريرك مار اغناطيوس افرام  | ١٣ السيد محسن الأمين           |
| ٣٦ الشيخ امين سويد              | ١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي |
| ٣٧ الدكتور جميل الخافي          | ١٥ = محمد البزم                |
| ٣٨ الاستاذ منري قندلفت          | ١٦ = سليم الجندي               |
| الجمهورية العربية المتحدة       | ١٧ الشيخ عبد القادر المغربي    |
| ٣٩ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي | ١٨ الاستاذ الرئيس خليل مردم بك |
| ٤٠ = رفيق العظم                 | ١٩ الدكتور مرشد خاطر           |
| ٤١ = احمد كمال                  | ٢٠ الاستاذ فارس الخوري         |
| ٤٢ = احمد تبحور                 | ٢١ الأب جرجس شلحت              |
| ٤٣ = احمد زكي باشا              | ٢٢ = جرجس منش                  |
| ٤٤ الدكتور يعقوب صروف           |                                |

## لبنان

- ٤٥ السيد محمد رشيد رضا  
 ٤٦ الاستاذ حافظ ابراهيم  
 ٤٧ = احمد شوقي  
 ٤٨ الشيخ احمد الاسكندري  
 ٤٩ الاستاذ اسعد خليل داغر  
 ٥٠ = داود بركات  
 ٥١ الدكتور امين المعلوف  
 ٥٢ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي  
 ٥٣ الشيخ عبد العزيز البشري  
 ٥٤ الدكتور احمد عيسى  
 ٥٥ الأمير عمر طوسون  
 ٥٦ الشيخ مصطفى عبد الرازق  
 ٥٧ الاستاذ انطون الجميل  
 ٥٨ = خليل مطران  
 ٥٩ = ابراهيم عبد القادر المازني  
 ٦٠ = محمد لطفي جمعة  
 ٦١ الدكتور احمد امين  
 ٦٢ الاستاذ عبد الحميد العبادي  
 ٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين  
 ٦٤ الدكتور عبد الوهاب عنان  
 ٦٥ = منصور فهمي  
 ٦٦ الاستاذ احمد لطفي السيد  
 ٦٧ = عباس محمود العقاد  
 ٦٨ = خليل ثابت
- ٦٩ الاستاذ حسن بهيم  
 ٧٠ الأب لويس شيخو  
 ٧١ الشيخ عبد الله البستاني  
 ٧٢ الاستاذ جبر ضومط  
 ٧٣ = عبد الباسط فنج الله  
 ٧٤ الشيخ عبد الرحمن سلام  
 ٧٥ = مصطفى الغلاييني  
 ٧٦ الاستاذ عمر الفاخوري  
 ٧٧ = بولص الخولي  
 ٧٨ = امين الريحاني  
 ٧٩ الامير شكيب ارسلان  
 ٨٠ الشيخ ابراهيم المنذر  
 ٨١ الاستاذ جرجي بني  
 ٨٢ الشيخ احمد رضا  
 ٨٣ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف  
 ٨٤ = فيليب طرازي  
 ٨٥ الشيخ فؤاد الخطيب  
 ٨٦ الدكتور نقولا فياض  
 ٨٧ الشيخ سليمان ظاهر  
 ٨٨ الاستاذ مارون عبود
- فلسطين  
 ٨٩ الشيخ سعيد الكرمي  
 ٩٠ الاستاذ نخلة زريق

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| الهند                         | ٩١ الشيخ خليل الخالدي           |
| ١٠٩ الحكيم محمد أجمل خان      | ٩٢ الاستاذ عبد الله مخلص        |
| فرنسة                         | ٩٣ = محمد اسعاف النشاشيبي       |
| ١١٠ الاستاذ فران ( جبرئيل )   | ٩٤ الاستاذ عادل زعيتر           |
| ١١١ = هوار ( كليمان )         | ٩٥ الألب ٠١ س. مرمرجي الدومني   |
| ١١٢ = يوقا ( لوسيان )         | الجمهورية العراقية              |
| ١١٣ = مانجور                  | ٩٦ الاستاذ محمود شكري الآلومي   |
| ١١٤ = كي ( ارتور )            | ٩٧ = جميل صديقي الزهاوي         |
| ١١٥ = باسه ( رينه )           | ٩٨ = معروف الرصافي              |
| ١١٦ = مبشو بلير               | ٩٩ = طاه الراوي                 |
| ١١٧ = مارسيه ( وليم )         | ١٠٠ الاب انستاس ماري الكرمل     |
| ١١٨ = دوسمو ( رينه )          | ١٠١ الدكتور داود الحلبي         |
| ١١٩ = ماسينيون ( لويس )       | ١٠٢ الاستاذ طاه الهاشمي         |
| بريطانية                      | الجمهورية الجزائرية             |
| ١٢٠ الاستاذ مرجايوث ( د. س. ) | ١٠٣ الشيخ محمد بن ابي شنب       |
| ١٢١ = بفت                     | المملكة المغربية                |
| ١٢٢ = براون ( ادوارد )        | ١٠٤ الاستاذ محمد الحجوي         |
| ١٢٣ = كريشكو ( فريتز )        | ١٠٥ = عبد الحلي الكتاني         |
| المانية                       | تركية                           |
| ١٢٤ الاستاذ هومل              | ١٠٦ الاستاذ زكي مغامر           |
| ١٢٥ = ساخاو ( ادوارد )        | ايران                           |
| ١٢٦ = هوروفيتز ( يوسف )       | ١٠٧ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني |
|                               | ١٠٨ الاستاذ عباس إقبال          |

|                                 |                               |
|---------------------------------|-------------------------------|
| ١٢٧ الاستاذ هارتمان (مارتين)    | ١٤١ = غريفي (اوجيفيو)         |
| ١٢٨ = ميتفوخ (اوجين)            | سويسرة                        |
| ١٢٩ = بروكين (كارل)             | ١٤٢ الاستاذ مونته (ادوارد)    |
| المجر                           | ١٤٣ = هس (ج. ج. ٠)            |
| ١٣٠ الاستاذ غوله صير (اغناطوس)  | بولونية                       |
| ١٣١ = ماهر (ادوارد)             | ١٤٤ الاستاذ كوفالسكي (ت. ٠)   |
| الولايات المتحدة الاميركية      | تشكوسلافيا                    |
| ١٣٢ الاستاذ ماكودتالد (د. ب. ٠) | ١٤٥ الاستاذ موزل (الوا)       |
| ١٣٣ = هرزفلد (ارنست)            | هولاندة                       |
| ١٣٤ = سارطون (جورج)             | ١٤٦ الاستاذ هورغريه (سنوك)    |
| الاتحاد السوفياتي               | ١٤٧ = اراندوك (ك. ٠)          |
| ١٣٥ الاستاذ كراشكوفسكي (أ. ٠)   | ١٤٨ = هونسا (م. ت. ٠)         |
| ١٣٦ = برتلز (ابفيكين)           | الدانمارك                     |
| اسبانية                         | ١٤٩ الاستاذ بوهل (ف. م. ب. ٠) |
| ١٣٧ الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) | ١٥٠ = استروب (ج. ٠)           |
| البرتغال                        | السويد                        |
| ١٣٨ الاستاذ لويس (دافيد)        | ١٥١ الاستاذ سترستين (ك. ف. ٠) |
| ايطالية                         | البرازيل                      |
| ١٣٩ الاستاذ جويدي (اغنازو)      | ١٥٢ الاستاذ سعيد ابوجرة       |
| ١٤٠ = فالينو (كارلو)            |                               |



## بيان ما حققه

مجمع اللغة العربية بدمشق ( المجمع العلمي العربي ) (١)  
في دورة ( ١٩٦٣ - ١٩٦٤ )

ودع مجمعا الدورة السابقة لعام ١٩٦٣ - ١٩٦٤ مرتاحاً للأعمال التي أنجزها من مشروعاته المقررة سابقاً للدورة المذكورة . وكان وافق على نشر ( ١٨ ) كتاباً ومخطوطة تم تحقيقها وأعدت للطبع بالإضافة إلى إصدار مجلته . وقد أنجز المجمع طبع قسم منها على أن ينتهي من طبع البقية الباقية في الدورة اللاحقة . وهذه أسماء الكتب التي تم طبعها :

- ١ - أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية : للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي .
- ٢ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ( الجزء الثالث والأخير ) لعبد الرزاق البيطار بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار .
- ٣ - الحيدة لعبد العزيز الكناني : بتحقيق الدكتور جميل صليبا .
- ٤ - خريدة القصر وجريدة العصر ( الجزء الثالث - في ذكر محاسن فضلاء الحجاز واليمن للعماد الأصفهاني الكاتب ) بتحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ٥ - وصف المطر والسحاب لابن دريد : بتحقيق الأستاذ عز الدين التتوخي .
- ٦ - شعر الراعي النميري وأخباره : للدكتور فاصر الحاني .
- ٧ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ( المجلد العاشر ) بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان .

(١) داء الأستاذ أمين المجمع في اجتماع مجلس المجمع المنعقد بتاريخ ١٠ تشرين الأول

- ٨ - سؤال في يزيد بن معاوية لابن تيمية بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٩ - قررة العيون في أخبار باب جيرون لابن طولون الصالحى : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ١٠-١١ كتاب الأضداد في كلام العرب ( الجزء الأول والثاني ) لأبي الطيب اللغوي الحلبي : بتحقيق الدكتور عزة حسن .
- ١٢ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( الفقه الشافعي ) وضعه الأستاذ عبد الغني الدقر .
- ١٣ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم الشعر ) وضعه الأستاذ الدكتور عزة حسن .
- ١٤-١٥ فهرس مجلة المجمع العلمي العربي للسنوات العشر الثالثة ( الجزء الثالث - القسم الأول والثاني ) وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .
- ١٦ - الألفاظ المعربة والموضوعة الواردة في السنوات العشر الثالثة في مجلة المجمع العلمي العربي جمعها الأستاذ عمر رضا كحالة .
- ١٧ - المقدمة في كتاب المسائل والأجوبة « مسألة رب » لابن السيد البطليموسي : بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي .
- ١٨ - النصف الثاني من المجلد ( ٣٨ ) والنصف الأول من المجلد ( ٣٩ ) من مجلة المجمع العلمي العربي .
- ونأمل أن يتم طبع الكتب التي تأخر طبعها بسبب تحقيقتها أو لأسباب مالية ، وذلك خلال دورة عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ .

الشؤون الادارية :

- ١ - جدد السادة أعضاء المجمع بالاجماع رئاسة سيادة الرئيس الأخير مصطفى الشهابي وصدر بذلك المرسوم ذو الرقم ( ٢٠٤ ) المورخ في ٢٦/١/١٩٦٤ .
- ٢ - تقرر بمناسبة بلوغ مجلة المجمع عقدها الخامس اصدار عدد ممتاز ، ذكرى لهذه المناسبة ، يشترك بتحريره أعضاء المجمع العاملون والمراسلون وأعلام أدباء البلاد العربية .
- ٣ - وتقرر بهذه المناسبة ان يطبع بطريقة التصوير الجزء المخطوط النفيس ( ديوان الفرزدق ) المحفوظ بدار الكتب الظاهرية .
- ٤ - استكمل المجمع معاملة استملاك المقسمين من العقارين المجاورين لدار الكتب الظاهرية بغية توسيع دار الكتب وتجهيزها .
- ٥ - اهدى المجمع مجموعات من مطبوعاته الى بعض الجامعات ودور الكتب في البلاد العربية .

دار الكتب الوطنية الظاهرية :

- أ - حققت دار الكتب بعض مشاريعها وادخلت تحسينات ادارية ملحوسة منها : عدلت دوام موظفيها في شهور الشتاء والربيع والخريف من ست ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً لتفسيح مجال المطالعة للجميع فئات المواطنين .
- ب - جردت في أيام العطلة الصيفية مستودعات الكتب المخطوطة والمطبوعة ووجدت ما تلف من جزازات فهارسها .
- ج - صورت عدداً كبيراً من مخطوطاتها ، وقد تم حق الآن تصوير نحو ثلثها ، كما انها أمنت تصوير كل ما طلب منها تصويره للبلاد الأجنبية .



- د - عهدت إلى الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني وضع فهرس لكتب الحديث المخطوطة ، وقد أنجز أكثره .
- هـ - عهدت إلى السيدة أسماء المحمدي أمينة المخطوطات وضع فهرس لكتب اللغة والأدب المخطوطة ، وقد باشرت عملها فيه .

#### إهداء كتب :

أهدى ورثة المرحوم عطا الأيوبي إلى دار الكتب الظاهرية كتب مورثهم ، كما أهدى ورثة المرحوم عبد الغني القادري كتب والدهم ، وهي كتب قيمة فاستحقوا شكر المجمع وتقديره .

#### الوفيات :

- فقد المجمع من أعضائه المراسلين في الجمهورية العربية المتحدة :
- ١ - المرحوم عباس محمود العقاد .
  - ٢ - المرحوم خليل ثابت .
- تغمدهما الله برحمته وأجزل ثوابها .

بمصر الحسني



## مشروعات المجمع

(١) - الدورية ١٩٦٤ - ١٩٦٥

يستقبل مجعنا دورته الحالية لسنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ بأمل أقوى وعزيمة أسمى تحقيقاً لأغراضه العلمية والإدارية ، معتمداً على جهود الأساتذة أعضاء المجمع وعلى مؤازرة أهل العلم والأدب .

أن نشر التراث القديم الذي أخذ مجعنا على عاتقه لإحياء نفائسه وبعث نواتجه قد حظي بتقدير أهل الفضل في سائر البلاد العربية ، وتقدير المستشرقين في البلاد الأجنبية ، وزاد الإقبال على اقتناء كل ما نشره المجمع حتى نفذ أكثره ، وهذا ما يشجع المجمع على المضي في خطته ضمن حدود مخصصاته المالية . وعزم المجمع في دورته هذه على طبع الكتب التالية :

- ١ - الجامع في أخبار أبي العلاء المعري ( الجزء الثالث والأخير ) لسلم الجندي : بتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم .
- ٢ - تراجم الأعيان من أبناء الزمان ( الجزء الثاني ) للبوريني : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .
- ٣ - أخلاق الوزيرين ( أو مثالب الوزيرين ) لأبي حيان التوحيدي : بتحقيق الأستاذ محمد بن ثابت الطنجي .
- ٤ - شعر دعل بن علي الخزاعي : للدكتور عبد الكريم الأشتر .
- ٥ - جهرة المغنين لخليل مردم بك : بمراجعة الأساتذة عدنان مردم بك وأحمد الجندي .

(١) تلاه الأستاذ أمين المجمع في اجتماع مجلس المجمع المنعقد بتاريخ ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٦٤ .

- ٦ - ديوان عبد الرحمن ابن النقيب : بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري ومراجعة الأستاذ أحمد الجندي .
- ٧ - ما بذته العرب على فعال للصفاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .
- ٨ - معاني الشعر لسعيد بن هارون الأشنانداني : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .
- ٩ - فهرس المجلدة العاصرة من تاريخ دمشق لابن عساكر : وضع الأنسة ملك هنانو .
- ١٠ - فهرس مخطوطات الظاهرية ( قسم الحديث ) : وضع الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني .
- ١١ - ديوان الغزي : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ١٢ - كتاب الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابي : بتحقيق الدكتور صالح الأشر .
- ١٣ - منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك بن ميمون ( بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي ) .
- ١٤ - خريدة القصر وجريدة العصر ( الجزء الرابع - قسم شعراء بلاد العجم ) بتحقيق الدكتور شكري فيصل .
- ١٥ - ديوان الفرزدق .
- ١٦ - معجم مصطلحات الآثار ( فرنسي - عربي ) وضع الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ، بمراجعة لجنة جمعية .
- ١٧ - مجلة المجمع العلمي ومنها العدد الممتاز .

التؤون الإدارية :

- ١ - انتخاب نائب رئيس المجمع العلمي العربي .
- ٢ - ملء شواغر الأعضاء العاملين .
- ٣ - انتخاب أعضاء مراسلين .
- ٤ - انتخاب عضوي اللجنة الإدارية .

الإنشاءات :

توسيع دار الكتب الظاهرية .

وتحقيق هذه المشروعات منوط بما سيرصد لها في ميزانية عام ١٩٦٥ .

جعفر الحسيني



# مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٥ م ٣٠ من ذي القعدة سنة ١٣٨٤ هـ

## سوانح في اللغة والمصطلحات<sup>(١)</sup>

ألقيت في الدورة الماضية لمؤتمر المجمع مجلة من السوانح في اللغة والمصطلحات . وهي خواطر شتى كانت ترد على البال عندما كنت أطلع في كتب قديمة أو حديثة .  
والى الزملاء الأفاضل مجلة أخرى من هذه الخواطر ليروا رأيهم الصائب فيها :

### ١ - ضم كواسع أعجمية إلى ألفاظ عربية :

وجدت في بعض الكتب الحديثة المؤلفة بالعربية أو المنقولة إليها بعض مصطلحات عربية كل مصطلح منها مؤلف من قسمين قسم عربي وقسم أعجمي . ففي كتاب فلسفي وضع بالفرنسية ثم نقل الى لساننا بعنوان

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع في الدورة ٣١ ( ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ) لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

« من الكائن الى الشخص » مؤلفه الفاضل الدكتور محمد عزيز الحبابي عميد كلية الآداب في الرباط وجدت مثلاً مصطلحات عربية محدثة أطلقت على بعض العلوم ، أصولها عربية وكواسعها أعجمية كالمصطلحات الآتية :

فِكْرُولُوجِيَا : Idéologie

أُسْطُورُولُوجِيَا : Mythologie

جَمَالُوجِيَا ( إِسْتِيْتِيْكَ ) : Esthétique

قِيَمَتُولُوجِيَا ( عِلْمُ الْقِيَمِ ) : Axiologie

كَائِنَتُولُوجِيَا : Ontologie

فلاقتصر على تعريب الكاسعة ( logie ) الدالة على العلم أو البحث ، أو المذهب ، ولصقها بكلمات عربية النجار ، أمر لا أظن ان الذوق العربي يسوغه . ومن الأصلح أن يقال على التتابع : علم الأفكار ، وعلم الأساطير ، وعلم الجمال ، وعلم القيم ، وعلم الكائن . وإذا أريد أن 'تترجم الكلمة الفرنسية الواحدة بكلمة عربية واحدة يمكن اللجوء الى المصدر الصناعي فيقال : فِكْرِيَّات وأُسْطُورِيَّات الخ .

أما إذا جاز مسايرة المتساهلين في شؤون التعريب وجب تعريب الكلمة الأعجمية كلها فيقال : إيدولوجية ، وميتولوجية ، وإستاتيك ، وأكسيولوجية ، وأنتولوجية ، ومع هذا فالتعريب لا يجوز في نظري اللجوء اليه في مثل هذه الكلمات التي تسهل ترجمتها .

ومن هذا القبيل كلمات قتل في علم الكيمياء على أجسام أو جذور عضوية كاللغات الأعجمية الآتية ، فقد وجدت أنها نقلت الى العربية على الشكل الآتي :

خَلْثُون : Acétone

خَلْتِيل : Acétyle

فَحْمِيل : Carbonyle

|           |   |              |
|-----------|---|--------------|
| Formyle   | : | كَتْلِيل     |
| Allyle    | : | 'ثَوْمِيل    |
| Glucoside | : | سُكَّرِيد    |
| Glucides  | : | سُكَّرِيَّات |
| Peptide   | : | هَضْمِيد     |
| Protéide  | : | هَبُولِيد    |

ولا أدري مبلغ الحاجة الى التمسك بالأصول العربية صحيحة كانت أو غير صحيحة في مثل هذه الأجسام أو الجذور . والذي أراه تعريب الكلمات الأعجمية كلها لا الاكتفاء بتعريب الكواسع فيها . والكيمياء ، على ما هو معروف ، هي العلم الذي يكون فيه للتعريب المجال الأوسع ، لأن العناصر الكيميائية التي كُشف النقاب عنها حديثاً كثيرة ، ولأن المركبات الكيميائية التي تُصنع بإضافة الصدور والكواسع ، ولا سيما باستعمال التركيب المزجي ، لا حد لها .

وهذه الملاحظات ترد في علوم مختلفة . ففي الزراعة مثلا لا نقول خيلولوجيا Hippologie بل نقول علم الخيل . وفي النبات لا نقول شجرولوجيا Dendrologie بل نقول علم الشجر . وهكذا في العلوم السائرة .

## ٢ — المتخصص والإخصائي والاختصاصي :

هذه ثلاث كلمات عربية تُطلق على ما يسمى بالفرنسية Spécialiste . وقد لاحظتُ أن عدداً كبيراً من أعضاء مجتمعنا لا يستعملون في مكنوباتهم إلا كلمة متخصص ، أو أنهم قلما يستعملون غيرها . ولاحظت أن بعض الكتاب يرجحون كلمة إخصائي على غيرها لقربها من معنى الأعجمية ، فالإخصائي هو من يتعلم علماً واحداً ، فكأنه قصر عليه جهده . ولكن كتاباً آخرين تمجّح أدواقهم هذه الكلمة لأنها هي والخصية من أرومة واحدة .

وقد سمي عن ذكر الإخصاء بهذا المعنى في المعجم الوسيط . ولم يذكر فيه إلا المتخصص .

والكتاب الذين يستعملون كلمة اختصاصي قلة . أما أنا فكثيراً ما استعملتها . ولها أشباه كثيرة في العلوم الحديثة . فنحن كثيراً ما ننسب إلى المصدر أو الاسم في مثل قولنا : « اقتصاديون واجتماعيون واشتراكيون وقوميون ووطنيون وجغرافيون » ، أو إلى اسم الفاعل كقولنا : « مؤرخون ومتخصصون وزارعون » وهلم جرا .

ويلوح لي أن استعمال المنسوب إلى المصدر أصح من استعمال اسم الفاعل في كثير من المصطلحات الحديثة الدالة على الذين يمارسون علوماً أو ينتسبون إلى مذاهب خاصة . فالاقتصادي غير المقتصد . ولا أحد يجهل أن الأول في اصطلاحنا هو الذي يمارس علم الاقتصاد أو يكون له خبرة فيه ، وأن الثاني هو الذي لا ينفق إلا الضروري في معيشته ويوفر البقية من دخله . ونجد مثل ذلك أن الاشتراكي غير المشترك والشيوعي غير الشائع وهكذا . ومن الواضح أن النسبة إلى المصادر والأسماء كثيرة في مصطلحات العلوم الحديثة .

٣ - هل يُعد قياسياً استعمال 'فُعِلَ' ( بضم الفاء ) لإصابة النبات بآفة ؟

صادفتُ غير مرة في المعجمات وفي كتب قديمة شتى مثل قولهم أَرْضَ الخشبُ : أكلته الأرضة ، وسُرِفَتِ الشجرةُ : أصابها السُرْفَةُ .

وفي الخصاص ( ج ١٥ ص ٧٢ ) ورد باب سماه ابن سيده « باب ما جاء من الأفعال على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله » . وذكر من أفعال هذا الباب عُنِيََ بالحاجة ، وغُبِنَ في البيع ، وهزِلَ الرجلُ . . . إلى أن قال : « وأَرِقَ الزرعُ : أصابه الأرقان وكذلك جميع آفات النبات » . فهذه الجملة الأخيرة هي التي استوقفت نظري ، وجعلتني أتساءل هل يجوز



لنا اشتقاق أفعال على هذا الوزن من أسماء تدل على آفات تصيب النباتات وليس لتلك الأفعال ذكر في المعجمات ؟ كأن نقول مثلاً 'فَنِرَ الزرع' : أصابه فأر الحقول ، و'قَتِيعَ الحشب' : أصابه دود القَتِيع ، و'شَقِرَ النبات' : أصابه مرض الشَقِران وهو المسمى مرض الصدأ Rouille ، و'رُصِعَ الزرع' : أصابه الرُصْع وهو اختناق الجذور لكثرة الماء في التراب Asphyxie ، و'هُدِلَ اللوز' : أصابه طفيلي الهدال أي الدُّبْتُ Gui ، وكشيتَ الكتان : أصابه الكَشُوتُ Cuscute ( الحامول في مصر والهاولك في الشام ) وهكذا .

ومن الطبيعي أن اتخاذ قرار في هذا الموضوع يحتاج الى دراسة للعثور على نص آخر علاوة على النص الذي يستوقف النظر في المخصص .

٤ - أيقال وِقَاء الحريق أي من الحريق وَوِقَاء الصقيع أي من الصقيع ؟

كثيراً ما نحتاج في ترجمة المصطلحات الأعجمية إلى استعمال باب الإضافة في لساننا ، فالقضييب المسمى Paratonnerre مثلاً سماه بعضهم موصل الصواعق ، وسماه آخرون حربة الصاعقة ، وقال غيرهم مانعة الصاعقة ودافع الصاعقة ، على حين أن هذا القضييب لا يدفع الصاعقة بل يجذبها فتتقيا البيوت المجاورة . فأرى أنه من المستحسن استعمال كلمة « الوِقَاء » في هذا الاصطلاح وأشباهه من المصطلحات الأعجمية المصدرة بالصدر Pare أو Para بمعنى الوقاية ، فيقال مثلاً وقاء الصاعقة ، ووقاء الحريق Pare - feu ، ووقاء الصقيع Paragelée ، ووقاء البرَد Paragrêle ، ووقاء الصدمات Pare - choes ، ووقاء الدخان Pare - fumée ، الخ . وكلها بمعنى ما وُقِيتَ به من الصاعقة أو الحريق أو الصقيع أو البرَد أو الصدمات أو الدخان ، ولكن الوقاء ( بالفتح والكسر ) هو ما وُقِيتَ به الشيء لا ما وُقِيتَ به من الشيء . فوقاء الصاعقة هو لغوياً ما تقى به الصاعقة ، لا ما تقى به من الصاعقة . وهكذا في بقية الأمثلة . ويكون إذن قولنا وقاء الصاعقة معناه ما يقى

الصاعقة نفسها من شيء آخر يحل بها ، وهو عكس ما نريد . وكذلك قولنا مثلاً وقام الصدمات فقد يكون معناه واتي الصدمات لا الواقي من الصدمات

وقد فلتشتُ فيما لديّ من كتب الصرف عن نص أو تخريج يميز لنا في مثل هذه الإضافات إلقاء حرف الجرّ « مِنْ » ، فلم أعر على شيء . ولكنني وجدتُ في الكامل للمبرد ( ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ) شرحاً للبيت الآتي :

أهابوا به فازداد بعداً وصَدَّهُ  
عن القرب منهم ضوء بريقٍ ووابله  
فقال المبرد : إن صاحب هذا البيت قد أضاف الوابل من المطر الى البرق وليس هو له . . الى أن قال : وقد يضاف ما كانت كذلك على السعة كما قال الشاعر :

حتى أنخت قلوبني في دياركم بخير من يحتذي نَعْلًا وحافيا  
فأضاف الحافي الى النعل والتقدير حاف منها .

قلت في وسعنا إذن أن نعمل برأي المبرد ، وهو من هو ، فنقول على السعة : وقام الصاعقة وقام الصقيع الخ . وبذلك نكون قد جعلنا المصطلح العربي مؤلفاً من كلمتين بدلاً من ثلاث كلمات . ولا يُحتمل حصول التباس في المعنى لأنه لا يتصور أحد أن المراد وقاية الصاعقة لا الوقاية منها . وكذلك في بقية الأمثلة .

هـ - صوغ مفعلة من أسماء الأعيان التي جاوزت ثلاثة أحرف ، للمكان الذي فكثرت فيه الأعيان .

من قرارات الجمع : « تصاغ مفعلة قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثرت فيه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجهاد » .

وقد كنت وضعت على هذا الوزن عدة ألفاظ عربية أمام ألفاظ  
افرنسية تدل على أماكن أعيان مثل مَكْبَسَة ومَرْبَدَة ومَقْشَدَة ومَقْطَنَة  
وموردة ومرزوة ومقصبية ومأسلة ومفرسة ومبقرة الخ .

ولكن أسماء المواليد الثلاثة ليست كلها مؤلفة من ثلاثة أصول .  
والأسماء المؤلفة من أربعة أحرف أو أكثر ليست قليلة . وفي المعجمات  
جاءت صفات الأرضين التي تكثر فيها تلك الأعيان إما على وزن مَفْعَلَة  
أو على غيره . فما جاء على وزن مَفْعَلَة قولهم مَتَفَعْلَحَة من التفاح ومدْرَجَة  
من الدُرَّاج ، ومَبْطَخَة من البطيخ ، ومَرْمَنَة من الرمان ، ومَقْنَاءَة  
من القنّاء . وما جاء على وزن فَعْلَلَة قولهم : أرض جَرْدَة من الجرذان ،  
وضَبَبِيَّة من الضبّاب . وقالوا على وزن مَفْعُولَة أرض مَذْبُوبَة من  
الذباب ، ومسروّة من السروّة الخ .

والذي استوقف نظري في التخصّص قول ابن سيده ( ج ١٤ ص ٢٠٥ ) :  
« . . . وقد قدمت » ( ج ١٤ ص ١٩٨ ) أنهم لم يستعملوا مَفْعَلَة فيما جاوز  
الثلاثة ، وأبدلوا مكانه مَفْعَلَلَة كراهية الحذف كما قدمت وذلك قولهم  
أرض مُثَعَّلَبَة من الثعالب ، ومعقربة من العقارب . وحكى أبو الحسن  
معنكبة من العناكب . وقد قالوا أرض مؤرنبّة من الأرناب ، ومخرنقة  
من الخرناق وهي أولاد الأرناب .

وجاءت هذه الألفاظ كلها على وزن لفظ المفعول . وعلل ابن سيده  
ذلك عن ميبويه ( ج ١٤ ص ١٩٨ ) بأن الوزن المذكور هو أيضاً لفظ  
المكان فيما جاوز ثلاثة أحرف . أما أصحاب الصحاح واللسان والتاج  
فقد جعلوا الألفاظ المذكورة بالكسر فقالوا مثعلبية ومعقربة وهكذا .  
وبعد أفى وسعنا ياترى أن نستعمل وزن مَفْعَلَلَة ( أو بالكسر )  
للمكان الذي تكثر فيه أجناس وأنواع من مختلف النباتات والحيوانات ،  
مشتقين هذا الوزن من أسماء جاوزت ثلاثة أحرف ؟ فالفرنسيون عندهم

الكاسعة (aie) وهي تدل خاصة على مغرس نوع من أنواع الشجر .  
وعندهم الكاسعة (erie) وغيرها ، ومن معانيها مكان الشيء أو العمل .  
أما عندنا فوزن مفعلة في هذا الباب غير قياسي ، ثم ان بعض الكلمات  
التي تصاغ على هذا الوزن بما جاوز ثلاثة أحرف قد يعجبها الذوق أحيانا .  
وهاكم بضعة أمثلة .

|              |             |                                                                                   |
|--------------|-------------|-----------------------------------------------------------------------------------|
| مُصَنَّبَرَة | Pineraie    | حَرَجة صنوبر                                                                      |
| مُزَيَّنَة   | Olivaie     | مغرس زيتون                                                                        |
| مصفصة        | Saulaie     | غيسة صفصاف                                                                        |
| ممرنة        | Frênaie     | حرجة مُرَّان                                                                      |
| مسرخسة       | Fougeraie   | كثيرة السرخس ( أرض )                                                              |
| متذرجة       | Faisanderie | مرعى التذرُّج                                                                     |
| مُدَجَّجَة   | Poulailler  | بيت الدجاج . وهو الخُصَّ . والناس<br>تقول مَدَجَّجَة على وزن مَفْعَلَة وهي أصلح . |
| مُتَنَّبَة   | Sapinière   | حَرَجة تَشُوب . ويمكن أن<br>يقال مُتَنَّبَة على وزن مَفْعَلَة .                   |
| مبرتقة       | Orangérie   | بستان برتقال                                                                      |

الخ .

ولا بد من التساؤل عما هو الأرجح ، أهو اشتقاق كلمة واحدة على  
وزن مفعلة أم الدوام على استعمال كلمتين عربيتين أمام كل كلمة فرنسية ،  
وهو ما اتبعته حتى الآن ؟ والجواب عن ذلك رهن بالذوق ، وبمدى قبول  
كل كلمة مشتقة ، ومدى شيوعها .

مصطفى السباعي



## بقايا الفصحاح

ذكرت في مقالٍ متقدم أن العامّة تقتصر في اللغة تصرفاً غريباً ، فتنتقل معنى اللفظ من وجهٍ خاصٍ الى وجهٍ عامٍ ، من هذا الشكل نقلها معنى الخشخشة ، فأنّا نجد في القاموس المحيط أن الخشخشة معناها : صوت السلاح وكلّ شيء يابس إذا حُكّ بعضه ببعض . إلاّ أن هذه المادّة لم تبق على وضعها ، فقد نقلتها العامّة في عصرنا الى معنى أعم (١) ، كما أن هذه المادّة قد نقلت في القديم الى مثل ما نقلت اليه في الحديث ، فقد نجد في المجلّدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر في أخبار بلال بن رباح ما يلي : أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال : يا بلال ، بهم سبقتني الى الجنة ، ما دخلت الجنة قطّ إلاّ سمعت خشخشتك ، إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي . وقد تكرر هذا الحديث في الأخبار نفسها على أوجهٍ شتى .

من ذلك يتبيّن لنا ان الخشخشة لم يبق لها المعنى الذي أشار اليه الفيروزابادي . فالخشخشة في الحديث الشريف الذي وردت فيه توميّ الى صوت رجل لا إلى صوت سلاح ولا الى صوت شيء يابس حُكّ بعضه ببعض فهمها تحدّد معجمات اللغة معاني الألفاظ فانها لا تستطيع أن تحدّد هذه المعاني من مجامع وجوهرها ، فلا بدّ في كثير من الأحوال من الرجوع الى المصطلح والمتعارف ، ولا بدّ لبعض الألفاظ من انتقال معانيها على

---

(١) وقوله ( وكل شيء يابس إذا حُكّ بعضه ببعض ) هو معنى عام لا خاص بالسلاح . ( لجنة المجلة )

تعاقب العصور من وجهٍ الى وجهٍ . ولفظ الخشخشة دليل على ما ذكرت ، إلا أن الذي يهمنا في هذا المقام إنما هو بقاء هذا اللفظ الفصيح حتى يومنا هذا ، ونحن نظنه عامياً ، ولكنّه في هذا البقاء تحول من وجه الى وجوه كثيرة ، فإنا نطلقه على أصوات مختلفة لم تحدّد معانيها المعجمات ، فإذا زحفت مثلاً حية بين التعاشيب وسمعنا صوت زحفتها فإنا نقول في أحاديثنا : سمعنا خشخشةً بين العشب (١) ، أو إذا سمعنا حركة ورقة تلعب بها الريح قلنا : سمعنا خشخشة ، وما أكثر المواطن التي تستعمل فيها الخشخشة على غير الوجه الذي ذكره الفيروزآبادي .

فالخشخشة من بقايا الفصاح التي تقع على ألسن العامة كل يوم . ومن هذا القبيل لفظ نترّ يده ، فقد يجوز أن نعتقد أن النتر محرّفة وأن أصلها نثر ، بالهاء ، إلا أن النثر بالهاء فصيحة ولها معانٍ كثيرة ، في جملة هذه المعاني : الجذب يجفأ وتغليظ الكلام وتشديده ، وقد حافظت هذه المادة على أصل معناها ، فإنا نجد في تاريخ ابن عساكر ، في المجلدة التي تقدّم ذكرها ، في أخبار تميم بن أوس الداري حديثاً طويلاً جاء في تضاعيفه : ثمّ ينتره ملك الموت نتره فينزع روحه من ركبتيه ، فيلقها في حقويه . فالنتر في هذا المقام يتضمّن الشدة وهذا ما دلّت عليه معجمات اللغة ، ونقول في دمشق : نتر في وجهه ، ونحن نريد بذلك تغليظ الكلام وتشديده ، فلم نخرج في قولنا هذا عن أصل معنى المادة ، فكما تنقل معاني الألفاظ على مرّ السنين من وجهٍ الى وجهٍ فكذلك قد تحافظ على أصل معناها ، كما حافظت مادة نترّ على هذا الأصل .

ومن الألفاظ التي نستعملها كل يوم في أحاديثنا ونظنّ أنّها عامية لفظ باخ ، ولست أدري هل أثمرت اليها في المقالات المتقدمة ، وكيف كان

(١) لأنها بحركتها تحرك الأشياء الباسية تحتها كالأعشاب والأوراق والبيدان فيسمع لها خفخة .  
(لجنة المجلة)

الأمر فقد ظفرت بها في موطن جديد لا بأس بذكره ، في معجم الفيروزآبادي من معاني باخ : سكن ، فيقولون باخت النار ، وباخ الغضب . جاء في شعر الشريف الرضى :

قد مضى الدهر وعفى بعدكم لا الجوى باخ ولا الدمع رقا  
فالشريف ، نضّر الله أعظمه ، استعمل هذه المادة على معناها الحقيقي ، فالجوى : الهوى الباطن أو الحزن أو الوجد الشديد ، وكل هذه الأمور قد تسكن ، إلا أن العامة في دمشق قد تصرّفت في هذه المادة ، فنقلت معناها من وجه حقيقي الى وجه مجازي ، فنحن نقول : باخ الثوب ، ونريد بذلك تغيير لونه أو ذهب بريقه من وقع الشمس أو من الفصل وغير ذلك ، ثم توسعنا في باب المجاز فقلنا : نكتة بايخة ، أي باردة لا روتق لها .

ليست الغاية من بقايا الفصاح الإتيان على الألفاظ الفصيحة في لغة العامة ، فأكثر ألفاظ العامة فصيحة ، مثل الأكل والشرب والنوم واللبس ونظائرها ، وإذا الغاية من بقايا الفصاح ذكر طائفة من الألفاظ نظنها عامية وهي فصيحة وردت في كلام المتقدمين ، إما على أصل معناها وإما على معنى معدل ، من هذا النوع ألفاظ كثيرة تتصل بالعمران والأكل واللباس ونحو ذلك ، أو ألفاظ تتصل بمخاطبة الحيوانات مثل : هيش ، وزعر بالجنس تزعيراً إذا دعاه للسفاد فقال : إزعر إزعر !

فن لغة الأكل : الناطف ، وهي أكلة شامية معروفة في أيّامنا ، فقد جاء في الأغاني في أخبار ابن هرمة ما يلي : وإذا حيال الدكان رجل بين يديه ناطف يبيعه في يوم شاتٍ ، شديد البرد ، ثم جاءت هذه المادة في شعر ابن هرمة نفسه :

لا تبغني ابن البعير وعندنا ماء الزبيب وناطف المعصار

ولا بأس بأن ننتقل الآن من المواد المفردة الى بعض الجمل الفصيحة التي لا تزال شائعة على ألسن العامة على نحو ما شاعت في القديم ، فنقولنا في دمشق "حط" عينه عليه ، والضمير في عليه إما أن يرجع الى شيء وإما أن يرجع الى شخص وغير ذلك ، ونحن نريد بقولنا : "حط" عينه عليه ، استحسنه وأراد الاستبداد به ، وقد ورد هذا التركيب نفسه في لغة المتقدمين على تعديل يسير ، فبدلاً من "حط" ، قالوا وضع ، فقد جاء في الأغاني في أخبار حماد عجرد ما يلي : كنت في مجلس فيه حماد عجرد ومعنا غلام أمرد فوضع حماد عينه عليه وعلى الموضع الذي ينام عليه . . . الى آخر الخبر . وقد نتصرف في استعمال هذا التركيب تصرفاً كثيراً فنقول في بعض مخاطباتنا : "حط" عينه على الوزارة أو على الرئاسة أي أرادها وأخذ يسمى في سبيلها .

ومن الجمل الفصيحة قولنا : لا أخليه يمشي على الأرض . إننا نقول مثل هذا القول إذا بلغ منا الغضب على فلان كل مبلغ حتى كأننا عزمنا على قتله ، وقد جاء في السيرة لابن هشام في كلامه على إسلام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ما يلي : فقال له نعم : والله لقد غرّتك نفسك يا عمر ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً . . . فلم يتغير من قوة هذا التركيب شيء في عصرنا ، فقد بقي على قوته ، إلا أننا استعملنا في لغتنا العامية : خلّى بدلاً من ترك ، وليس في هذا الاستعمال ما يضعف من قوة الكلام .

والجمل الفصيحة التي لا تزال تقع على ألسن العامة في أيامنا كثيرة ولا بأس بذكر قليل منها في خاتمة هذا المقال .

إننا نقول في بعض أحاديثنا : إنتظر حتى تهدأ الرّجُل . ونحن نرمي في ذلك الى خفة الازدحام أو الى خلوة الطريق ، وقد نجد هذا التعبير نفسه في القديم ، فقد جاء في الأغاني في أخبار عدي بن زيد ما يلي :



وقال لعدي : انتني الليلة إذا هدأت الرجل لتعلم حالي ... فلم يطرأ على هذا التعبير القديم طارئ .

كما اننا نقول في مخاطباتنا : كاني أحكي مع الحيطان ، وهو قول يدل على موت حس من مخاطبهم ، جاء في الأغاني في أخبار حنين الحميري : قال حنين خرجت الى حمص ألتمس الكسب بها وأرئاد من أستفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفتيان وأين يجتمعون ، فقيل لي : عليك بالحمائم ، فانهم يجتمعون بها إذا أصبحوا ، فجئت الى أحدها فدخلته ، فاذا فيه جماعة منهم ، فأنست وانبطت وأخبرتهم أنني غريب ، ثم خرجوا وخرجت معهم ، فذهبوا الى منزل أحدهم ، فلما قعدنا أتيننا بالطعام فأكلنا وأتيننا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم في مغنٍ يغنيكم ، قالوا : ومن لنا بذلك ، قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً ، فأتيت به ، فابتدأت في هُنَيَّات أبي عباد معبد ، فكأنما غنيت للحطيان ، لافكهوا لغنائي ، ولا سرتوا به . . . . فاذا جاوزنا ما يشتمل عليه هذا الخبر الطريف من إعلامنا بمجتمعات الناس في حمص أيتام حنين وهي الحمائم ، فابتأ نقف على هذا التعبير الطريف : فكأنما غنيت للحيطان ، وهل في اللغة تعبير أقوى من هذا التعبير في الدلالة على موت الحس والذوق ، ولم يفقد هذا التعبير شيئاً من قوته وطرافته في عصرنا هذا .

وأخيراً أي كناية أحلى من هذه الكناية : اغسل يديك منه ، نقولها كل يوم اذا قطعنا الأمل من أمرٍ من الأمور شغلنا به أذهاننا ، أو من رجل من الرجال صرفنا اليه آمالنا ، لقد عاشت هذه الكناية في لغتنا العامية ألف سنة ، فاننا نجدُها في شعر أحمد بن علي القاساني في أخباره في معجم الأدباء :

اغسل يديك من الثقات واصرمهم صرم البنات

وهكذا نجد ان العامة تميل في أحاديثها الى المجازات والكنائيات وهي لا تشعر بأنها تستعمل لغة الشعراء في كلامها .

✱ ✱ ✱

أكتفي في هذا المقال بما ذكرته من بقايا الفصاح ، وسواء أكانت هذه البقايا من المفردات أم كانت من الجمل إنا لا نشك في قوتها ، وسأعود الى هذا الموضوع حق نرى كيف نقلب معاني المفردات في بعض الحالات من وجه شريف الى وجه دنيء كما فعلنا في نقل معاني العصابة والجراثومة .

سبحي جبري



## أدب الفقهاء

- ٣ -

ولم أعرج على ذكر القضاة أمثال شريح ويحيى بن أكثم وأحمد بن أبي دؤاد ، فانهم بحكم منصبهم الكبير ومدخلتهم للخلفاء وتعلق آمال الناس بهم ومدح الشعراء لهم وقيامهم في المقامات المشهودة وتمكنهم من ناصية الكلام ، قد ارتفعوا عن مستوى الفقهاء الذين لا يُنظَن بهم الأدب وينتقد شعرهم بجفافاته لأساليب العرب . . على أن تتبع ذلك بطول فلننتقل الى طبقة الفقهاء المتقدمين من أتباع المذاهب بعد ما ذكرنا من شعر فقهاء التابعين والأئمة المجتهدين . فمنهم :

### أحمد بن المعدل

من فقهاء المالكية الكبار ، ولم يكن لمالك بالعراق أرفع منه ، كان يسمى الراهب لفقهه ونسكه ، وكان يُعدّل بأحمد بن حنبل ، وهو أخو عبد الصمد بن المعدل الشاعر المشهور وكان يسكن مع أخيه في دار واحدة . وكان عبد الصمد منهمكاً في الشراب ، فكان أحمد يكرر إلى صلاة الصبح وهو إمام المسجد ، فيمر بأخيه وهو سكران ، فيحركه ويقول : ( أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ) الآية . وغارة يقول ( أفأمن أهل القرى أن يأتهم بأسنا ) الآية . فيقول عبد الصمد ويرفع رأسه ( وما كان الله ليمدبهم وأنت فيهم ) الآية . ومن شعره ما رواه المبرد قال : رأيت أحمد بعرفات مضجياً للشمس لا يستظل . فقلت ما هذا يا أبا الفضل ؟ فقال :

ضَحِيَّتْ لَكِيما أَسْتَظِلْ بِظِلِّهِ إِذَا الظِّلُّ أَضْحَى فِي الْقِيَامَةِ قَالِصَا  
فِيَا أَسْفَى إِنْ كَانَ سَعِيكَ بَاطِلًا وَيَا حَزْنَا إِنْ كَانَ أَجْرُكَ نَاقِصَا  
قَالَ فِي الْمَدَارِكِ : وَأَنْشُدْ لَهُ الْخُضْرَمِي :

أَخُو دَنْفِ رَمْتِهِ فَأَقْصَدْتَهُ سَهَامٌ مِنْ لِحَاطِكَ لَا تَطِيشُ  
قَوَاتِلَ لَا قَدَاحَ سِوَى أَحْوَارٍ بَيْنَ وَلَا سِوَى اللَّحْظَاتِ رِيَشُ  
أَصْبَنَ سِوَادَ مَهْجَتِهِ فَأَضْحَى سَقِيماً لَا يَمُوتُ وَلَا يَعْيشُ  
كَثِيبٌ إِنْ تَحْمَلَ عَنْهُ جَيْشٌ مِنَ الْبُلُوْى أَلْمٌ بِهِ جَيْوشُ

وهذه الأبيات في رقتها وجزالتها لا تصدر إلا عن طبع مهذب وشعور عميق بالجمال ، وهو الجمال البشري المرموق المعشوق ، لا ما يرمز اليه الصوفية من جمال الحضرة العلية ، فان هذه النزعة لم تكن ظهرت في ذلك الوقت . وقد تستغرب من صاحب البيتين آنفي الذكر ، ولكن الأمر هو على ما يعمد في أصحاب النفوس ذات الحساسية البليغة ، من شدة التأثر بالمواقف العاطفية والمشاهد الوجدانية .

فشاعرنا الفقيه لما كان بعرفات متعرضاً لنفحاتها مستغرقاً في روحانية مشاعرها لم يملك إلا أن يكون كما رآه المبرد ويقول ما قاله من ذلك الشعر المطبوع بطابع الزهد والتقوى . وفقهنا للشاعر أمام العيون التي في طرفها حور لم يستطع أن يخفي انفعاله بسحرها ووقوعه في أمرها ، فقال تلك الأبيات الرائقة المعجبة التي لا تُؤْتَى من ضعف في الشكل ولا في المضمون . إنها طبيعة واحدة فما يصدر عنها وإن اختلف في صورته لا يختلف في مادته ، والشعر ليس خاصاً بالكاس والطاس وما كان من ذلك بسبيل ، فرب أبيات في المطالب العالية للنفس أقرب الى الشاعرية من كثير من الشعر الذي يقوله أصحابه في الهوى والشباب بما يظن أنه مادة الشعر الأولى . على أنه لا بد من تدبير النفس بين نزعاتها المختلفة والتنقل بها من حال الى حال :

ولله مني جانب لا أضيعه ولله مني والبطالة جانب  
وقال المبرد : ذكر الدولابي في كتاب نزهة الأسرار أن ابن المعتدل  
قال له أهله حين ورد القاضي يحيى بن أكتم البصرة : لو أتيت يحيى  
فسألته ، وقد أصابهم ضر ، فلم يجهم . ثم قال هذين البيتين :  
تَكَلَّفْتُني اذلالَ نفسي لعزها وهان عليها أن أذل وتُكثِّرَ ما  
تقول سل المعروف يحيى بن أكتم . فقلت سليه رب يحيى بن أكتم  
هكذا جعل القاضي عياض في المدارك البيتين والحكاية ، لأحمد بن  
المعتدل وجعلها ابن خلكان في الوفيات لأخيه عبد الصمد وهما بحال  
صاحبنا أحمد أشبه .

### القاضي عبد الوهاب

وممنهم القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر ، من أعلام مذهب مالك  
من أهل بغداد ، ونبت به على عادة البلاد بدوي فضلها كما قال ابن بسام  
في الذخيرة فغادرها الى مصر ، وشيعه جمع من أهلها وطلبة العلم فيها  
متأسفين لرحيله عنها فقال لهم لو وجدت بين ظهرائكم رغيفين في كل  
يوم ما عدلت عنكم فأطرقوا ولم يحجروا جواباً . وفي ذلك يقول :

سلام على بغداد في كل موطن وحق لها مني سلام مضاعف  
فوالله ما فارقتها عن قبلي لها واني بشطتي جانبتها لعارف  
ولكنها ضاقت علي بأسرها ولم تكن الأزراق فيها تساعف  
وكانت كخيل كنت أرجو دنوه وأخلاقه تنسأى به وتخالف  
وقال فيها لما ضاقت به الحال :

بغداد دار لأهل المال طيبة والنفاليس دار الضنك والضيقة  
ظلمت حيران أمشي في أزقتها كأنني مصحف في بيت زنديق

قالوا واجتاز أثناء رحيله الى مصر بعمرة النعمان وبها يومئذ أبو العلاء المعري  
فأضافه وقال فيه من أبيات :

والمالكى ابن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفرا

إذا تفقه أحيا مالكا جديلاً وينشر الملك الضليل إن شعرا

والمالك الضليل هو امرؤ القيس . وكفى بها شهادة لشاعرية هذا الفقيه من  
أبي العلاء فيلسوف الشعراء ، وطاب له المقام بمصر ورغد عيشه ولكنه  
مالئث أن اعتل ومات . وفي مرض موته قال الكلمة المأثورة :  
« لما عشنا متنا » وكانت وفاته عام ٤٢٢ .

ومن رقيق شعره في الغزل :

ونائمة قبلتها فتنهت فقالت تعالوا واطلبوا اللص بالحد

فقلت لها إني فديتك غاصب وما حكموا في غاصب بسوى الرد

خذنها وكفني عن أثيم ظلامة وإن أنت لم ترضي فألفا على العد

فقلت قصاص يشهد العقل أنه على كبيد الجاني ألد من الشهد

فقلت ألم تخبر بأنك زاهد فقلت بلى . ما زلت أزهد في الزهد

ونشير إلى استغلال القاضي عبد الوهاب لمعلوماته الفقهية وتضمينها في هذه  
القطعة الشعرية بما زادها طرافة ولم يبعد بها عن صناعة الشعر ، كما ألمعنا  
لذلك فيما مضى ، ونظرتنا له بأمثال من شعر المتنبي وغيره . والمسألة هنا  
تتعلق بالغصب وحكمه أن الغاصب إذا رد الشيء بحاله فلا تبعية عليه .  
وذلك ما تضمنته الأبيات المذكورة مع غاية التفنن .

وللقاضي عبد الوهاب أبيات في نقد المجتمع لم تزل على لسان كل واعظ  
ومصلح اجتماعي وهي قوله :

متى تصل العطاش الى ارتواء إذا استقت البحار من الركايا

ومن يثني الأصاغر عن مراد وقد جلس الأكابر في الزوايا

وإن ترفع الوضعاء يوماً على الرفعاء من إحدى البلايا  
إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المذايا

### منصور الفقيه

ومنهم منصور بن اسماعيل عرف بالفقيه وهو من فقهاء الشافعية ،  
من شعره في مدح علم الفقه :

عاب التفقه قومٌ لا عقول لهم وما عليه إذا عابوه من ضرر  
ماض شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من لبس ذا بصر  
قال ابن خلكان : ومن هنا أخذ أبو العلاء المعري قوله من قصيدته المشهورة :  
والنجم تستصغر الأبصار رؤيته والذباب للعين لا للنجم في الصغر  
فهذا فقيه شاعر يقتبس منه أحد فحول الشعراء ولا يقول في شعره مزرباً  
عليه أنه شعر فقيه :

وكان منصور ينحو في شعره منحنى أخلاقياً وهو القائل في ذم الكذب :

لي حيلة فيمن يذم وليس في الكذاب حيلة  
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

ومن شعره في تزييف ادعاءات المنجمين :

ليس للنجم إلى ضر ولا نفع سبيل  
إنما النجم على الأوقات والسَّمْتِ دليل

وله أيضاً :

إذا رأيتَ امرأً في حال عثرته بادي الصداقة ما في وده دَخَل  
فلا تَمَنَّ له حالاً يُسر به فانه بانتقال الحال ينتقل  
وكان منصور كفيفاً . وله تأليف في الفقه . وتوفي سنة ٣٠٦ هـ بمصر .

الخطابي

أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البُسْتِي 'عرف بالنسبة الى جده ، الفقيه المحدث الأديب صاحب التصانيف البديعة منها غريب الحديث ومعالم السنن وكان شافعي المذهب ، من شعره هذان البيتان المشهوران :

وما غربة الإنسان في شقة الهوى      ولكنها والله في عدم الشكل  
وإني غريب بين بُسْتٍ وأهلها      وإن كان فيها أمرتي وبها أهلي  
وله أيضاً :

فسامح ولا تستوف حَقَّك كله      وأبق فلم يستقص قط كريم  
ولا تَغْلُ في شيء من الأمور اقتصد      كلا طرقي قصدِ الأمور ذميم

وليس أدل على شاعرية المرء من أن يسير كلامه بين الناس مسير المثل ويتقبلوه ويستشهدوا به في مثل المناسبة التي قيل فيها كالبيت الأول والثاني من هذين النموذجين من شعره ، وكلاهما بما ينبيء عن عارضة قوية ولا يستطيع ناقد أن يلزمها بعيب فني لأن قائلها فقيه .

وله كذلك من هذا القبيل وارتكب فيه الجناس :

مادُمْتَ حياً فدارِ الناس كلَّهم      فانما أنت في دار المُداراة  
من يدرِ داري ومن لم يدرِ سوف يُرى      عما قليل نديماً للندامات

توفي الخطابي ببلدة بَست سنة ٣٦٠ .

المعافي بن زكرياء

كان قاضياً ببغداد وكانت على مذهب الإمام ابن جرير الطبري ، ولذلك يقال له الجَريري ، روى عن جماعة من الأئمة منهم أبو القاسم البَغَوِي وعنه القاضي أبو العلي الطبري وغيره ، وكان مشاركاً في العلوم حتى



كان أبو محمد الباجي يقول : إذا حضر أبو الفرج وهي كنيته فقد حضرت العلوم كلها ، وكان ثقة مأمونا في روايته وله شعر حسن منه هذه الأبيات السائرة في ذي الحسد :

ألا قل لمن ظل لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب ؟  
أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب  
فجازاك عني بأن زادني وسد عليك طريق الطلب  
وله كتاب المجلس والأنيس وتوفي بالتهروان سنة ٣٩٠ .

### محمد بن داود الظاهري

يكنى أبا بكر ، وهو ولد الإمام صاحب مذهب الظاهر . وكان فقيهاً عالماً متمكناً من مادته مناظراً عن مذهب أبيه ، صنف في الانتصار له وفي أبواب الفقه والأحكام تصانيف جلية . ولما توفي والده وجلس في حلقاته استصغره الناس فسأله أحدهم عن حد السُّكْر ومتى يكون الإنسان سكران ، فقال اذا عزبت عنه الهموم ، وباح بسر المكنوم ، فاستحسن ذلك منه وعُرف موضعه من العلم .

وصنف في عنقوان شبابه كتابه الذي سماه الزهرة وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائع . وقسمه الى مائة باب ضمن كل باب مائة بيت ، يذكر في خمسين منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله ، ويذكر في الخمسين الثانية أغاني الشعر الباقية . فهو من أعظم الكتب التي ألقت في الحب بالعربية وأقدمها ، ويحتوي بهذا الاعتبار على ١٠٠٠ بيت . وقد نشر منه النصف الأول باعتناء المستشرق الدكتور نيكل منذ أكثر من ثلاثين سنة . ولعله هو الذي فتح الباب لابن حزم في تأليفه لكتاب طوق الحمامة في الموضوع ، لاسيما وابن حزم كما هو معلوم على مذهب داود الظاهري والد مترجما ومن أكبر أئمنه . .

ومن شعر محمد بن داود في الحب والغزل :

أنزّه في روض المحاسن مقلتي      وأمنع نفسي أن تنال المحرما  
وأحمل من ثقل الهوى ما لو آتته      يُصبّ على الصخر الأصم تهدما  
وينطق طرفي عن مترجم خاطري      فلو لا اختلامي رده لتكلمها  
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم      فما أن أرى حباً صحيحاً مسلماً

وحكى ابن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد بن داود فجاء رجل فوقف عليه ورفع له رقعة فأخذها وتأملها طويلاً وظن تلامذته أنها مسألة ثم قلبها وكتب على ظهرها وردّها إلى صاحبها . فنظرنا فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور وإذا في الرقعة :

يا بن داود يا فقيه العراق      أفتينا في قواقل الأحداق  
هل عليهن في الجراح قصاص      أم مباح لها دم العشاق  
وإذا الجواب قوله :

كيف يفتيكم قتيل صريع      بسهام الفراق والاشتياق  
وقتيل التلاق أحسن حالاً      عند داود من قتيل الفراق

فالفقيه الذي يساجل ابن الرومي الشاعر المكثّر المبدع لا يمكن أن يقدح في شاعريته أو ينازع في صنعة الشعر . بل إن الفقيه الذي كان أول من وضع مؤلفاً شعرياً خاصاً بالحب وشؤونه حري أن يكون حجة على كل من ينكر الشعر والأدب والفن على الفقهاء .

( يتبع )

عبد الله كنوه



# صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٢ -

كيف بدأ الاستشراق في إيطاليا وفرنسا

بداية الاستشراق في إيطاليا :

خلال القرن السادس عشر نشطت الدراسات الشرقية بعض النشاط في إيطاليا لأسباب خاصة بهذه البلاد ، فقد كانت القضية التي تستأثر باهتمام البابوية إذ ذلك هي مسألة توحيد الكنائس الشرقية والغربية . وكان لا بد من معرفة اللغة العربية وسائر اللغات الشرقية للاتصال بالكنائس وامثالها . هكذا أمر البابا ( يوليوس الثاني ) في سنة ١٥١٤ بنشر الصلوات الأسبوع بالعربية للأقباط الميعاقبة في مصر . وفي سنة ١٥١٦ نشر ( جوستينياني ) أسقف ( نابو ) الزبور بأربع لغات ، منها العربية .

وكانت روما في ذلك الوقت محط أنظار الزوار من الشرق سواء رجال الدين المسيحي ، أو بعض الأمراء والرحالين والتجار المسلمين . وقد أرسل السلطان العثماني ( بايزيد الثاني ) وفدين إلى روما للمفاوضة بشأن أخيه ( جم ) الذي كان قد ثار مطالباً بالعرش ثم لجأ بعد اخفاقه إلى البابا . وفي سنة ١٥٢٠ اختطف القراصنة رجلاً من مراكش اسمه ( حسن بن محمد ) وسلموه إلى البابا ( ليون العاشر ) فتنصر الرجل على يدي البابا وأطلق عليه اسم ( ليون الإفريقي ) . وكان على علم بالجغرافية فألف في سنة ١٥٢٦ كتاباً

عن بلاد افريقيا اقتبس مواده من مشاهير الجغرافيين العرب مثل ( البكري ) و ( المسعودي ) و ( الإدريسي ) ، وأضاف إلى ذلك وصف رحلاته ومشاهداته الشخصية .

### الطباعة العربية :

من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم الدراسات الشرقية في أوربة في القرن السادس عشر تأسيس الطباعة العربية . ويرجع الفضل في ذلك إلى الكاردينال ( فرديناندو دي مديشي ) ( F. di Medici ) الذي أسس حوالي سنة ١٥٨٠ مطبعة عربية في ( طوسقانا ) . وكان الدافع إلى ذلك رغبة البابا ( غريغوريوس ) الثامن في الدعاية إلى توحيد الكنائس . ولهذه الغاية قام أيضاً بتأسيس مدرستين في روما ، أحدهما للمارونيين والثانية للأرمن . فكان لابد من طبع النصوص العربية اللازمة للدراسة والبحث . وقد تولى إدارة المطبعة شاب طلياني اسمه ( جوفاني باتيستا رايموندي ) ، كان قد أقام مدة طويلة في الشرق ، وقلم اللغة العربية ، وأتقن كتابة الخط العربي ، وبذلك استطاع أن يصنع حروفاً جميلة من السهل قراءتها . وبدأ سنة ١٥٨٦ في طبع كتابي ابن سينا : ( القانون ) و ( النجاة ) معاً ، وبسبب ضخامة المجلد لم ينته الطبع إلا في سنة ١٥٩٣ . وكان قد طبع أثناء ذلك الأناجيل ( في سنة ١٥٩٠ ) و ( الكافية ) لابن الحاجب و ( الأجرومية ) لابن أجروم ، ثم بعض الأجزاء من كتاب ( نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق ) للإدريسي . وكانت المطبعة قد نالت في سنة ١٥٨٨ امتيازاً من السلطان العثماني ( مراد الثالث ) يسمح لها بتوزيع وبيع ترجمة ( الطوسي ) لمباييء ( اقليدس ) في أنحاء المملكة العثمانية كلها . ولكن طبع هذا الكتاب لم يتم إلا في سنة ١٥٩٤ .

ثم توقفت المطبعة عن العمل مدة من الزمن . ولعل السبب في ذلك هو أن مطبوعاتها لم تلق في بلاد الشرق ما كان منتظراً لها من رواج . فقد كانت الأغلاط المطبعية كثيرة يلاحظها القارئ منذ صفحة الغلاف في كتابي ( القانون ) و ( مباديء افليدس ) ، عدا أن الجمهور في الشرق كان يقابل كل ما هو غربي بمنتهى الحذر والريبة . ولم تستأنف المطبعة نشاطها إلا بعد أن اعتلى كرسي البابوية ( بولس الخامس ) [ ١٦٠٥ - ١٦٢١ ] ورصد الأموال اللازمة لنشر الكتب الشرقية . وبعد موت ( رايوندي ) في سنة ١٦١٤ تابع قفاليدس تعليمه ( ستيفانوس بولينوس ) الذي استعان به السفير الفرنسي ( فرانسوا سافاري دو بريف F. S. de Brèves ) لتأسيس مطبعة عربية أخرى في روما .

وكان ( دو بريف ) قبل ذلك سفيراً لبلاده في استانبول ، فظل يتبع سياسة فرنسا التقليدية في الشرق ويؤيد جهود الكنيسة الكاثوليكية في سبيل الاتحاد . وقد طبع على نفقته الخاصة كتاب الصلوات للكاردينال ( بلاترين ) الذي ترجمه إلى العربية اثنان من الموارنة كانا يعلمان اللغة العربية في روما . ولما عاد ( دو بريف ) إلى بلاده سنة ١٦١٥ اصطحب معه ( بولينوس ) وحمل حروفه العربية إلى باريس ، حيث أسس « مطبعة اللغات الشرقية » .

وسرعان ما نشأت مطابع أخرى في البلاد الأوروبية ولا سيما في هولندا من قبل المستشرق ( رافلنجيوس Raphelengius ) ، وفي ألمانيا من قبل الطبيب ( كورستن Kursten ) الذي كان قد تعلم العربية ليستطيع دراسة كتب ( ابن سينا ) وغيره من الأطباء والفلاسفة العرب في لغتها الأصلية . على أن ( كورستن ) لم يجد من يشجعه من حكام بلاده فحمل مطبعته وذهب إلى السويد ...

## الرحلات إلى الشرق :

من العوامل التي دفعت الأوروبيين إلى الاهتمام بالدراسات الشرقية كتب المغامرات التي نشرها بعض الرحالين في القرن السادس عشر يصفون فيها بلاد الشرق وعجائبها وعادات أهلها وقصور حكامها وخيراتها ، ويتكلمون فيها عن أهمية العلاقات السياسية والاقتصادية مع هذه البلاد .

وكانت الوفود التي تبادلها ملوك أوروبا مع السلاطين العثمانيين وملوك الفرس والمغول ثم البعثات التبشيرية إلى الهند والصين قد مهدت الطريق أمام الرحالة المغامرين .

فإنه بينما كان ( فرانسوا الأول ) يرسل الوفود إلى تركيا لمخالفة السلطان ( سليمان القانوني ) ، أخذ ( شارلكن ) يتبادل الرسائل مع الشاه اسماعيل لمخالفته ضد الأتراك ، ومن المعروف أن الحروب كانت قد احتدمت منذ عهد السلطان ( سليم الأول ) بين الفرس والعثمانيين بسبب الاختلاف المذهبي .

سافر الرحالة الطلياني ( لودوفيقو فارثيا ) ( Lodovico Varthema ) في سنة ١٥٠٣ من البندقية إلى مصر ومنها انتقل إلى دمشق حيث تعلم اللغة العربية ، ثم انضم وهو في زي المسلمين إلى قافلة الحجاج ، فكان أول أوروبي زار مكة . وانتقل بعد ذلك إلى اليمن ومنها إلى فارس ثم إلى الهند . وقد أراد بعض الأمراء المسلمين هناك الاستفادة من مهارة ( فارثيا ) في الشؤون العسكرية ، وطلبوا منه مساعدتهم على صنع المدافع لمحاربة البرتغاليين ولكنه هرب إلى البرتغاليين وأخبرهم بأن ضميره لم يسمح له بتأييد المسلمين على المسيحيين .

وهناك مغامر آخر طلياني اسمه ( بتر دلا " فلتي ( Pietro della Valle ) سافر في سنة ١٦١٤ من البندقية إلى استانبول حيث تعلم اللغة التركية .

وهو يشير إلى أنه لم يكن ليستطيع تعلم هذه اللغة في إيطاليا خلافاً للغة العربية التي كان كثير من الأساتذة الماهرين يقومون بتعليمها هناك ؛ ثم سافر إلى مصر فسورية ، وزار القدس ، وانتقل بعد ذلك إلى العراق ففارس . وقد نال مكانة عالية في بلاط الشاه عباس الكبير ، واشترك مع الفرس في محاربة الأتراك ، كما سعى إلى عقد تحالف بين الفرس والقوزاق الروس ضد الدولة العثمانية ، وفي الأخير رحل إلى الهند . وقد وصف مشاهداته وانطباعاته في مجموعة من الرسائل ، كما ألف كتاباً تاريخياً عن الشاه عباس . ولم ينشر في حياته سوى رسائله . وهذه الرسائل لا تقتصر على وصف البلاد وأهلها ، بل تبحث أيضاً في المسائل السياسية ولا سيما حروب الشاه الذي كان يساعده الانكليز على مقاومة البرتغاليين .

وكان ( دِلا قَلِّي ) أول أوربي وصف أطلال ( بابل ) و ( برسبوليس ) ، كما أنه نقل إلى أوربة كثيراً من المخطوطات الشرقية وصوراً عن النقوش والكتابات الأثرية .

وقد أخذ الانكليز أيضاً يشتركون في استكشاف بلاد الشرق ودراسة أحوالها بعد تطور الملاحة لديهم في القرن السادس عشر .

ومن أشهر الرحالة الانكليز إلى الشرق الأخوة الثلاثة ( نوماس وآنطوني وروبرت شيرلي ( Sherley ) . وقد سافر ( آنطوني ) و ( روبرت ) في سنة ١٥٩٨ إلى إيران وبرزا في بلاط الشاه ( عباس ) ؛ وكان لهما نفوذ كبير في المملكة لمهارتهما في الفنون العسكرية . وقد قاما بتنظيم الجيش الفارسي على أسس جديدة ، فكان ذلك من أسباب انتصار الفرس على الأتراك في حروبهم التالية . ثم عهد الشاه إلى ( آنطوني ) برئاسة وفد أرسله إلى البلاد الأوربية لعقد محادثات ضد الدولة العثمانية ولكنه أخفق في مهمته . ويبدو أن ( روبرت ) قد زوج بنت أخيه من الشاه وأرسل

أيضاً بمهمة رسمية الى أوربة . أما الأخ الثالث ( توماس ) فقد سافر الى تركيا وحاول كذلك أن يلعب دوراً سياسياً هناك ، ولكن امم أمرته كانت له ممعة سيئة في استانبول بسبب مؤامرات أخويه في فارس ضد الدولة العثمانية فقبض عليه وألقي في السجن ولم يخرج منه إلا بعد ثلاث سنوات بجهود السفير الانكليزي . وقد نشرت مغامرات الأخوة الثلاثة في كتاب واحد في لندن سنة ١٦٠٧ .

وفي القرن السابع عشر زار بلاد الشرق كثير من الرحالة الفرنسيين . وكان مرشد هؤلاء الرحالة وشيخهم هو الأب رافائيل دومان ( R. du Mans ) الذي سافر في سنة ١٦٤٤ من حلب الى بغداد وانتقل بعد سنتين الى فارس ، حيث بقي حتى موته في سنة ١٦٩٦ . وقد كان له تأثير كبير في بلاط الشاه ( عباس الثاني ) ، لأنه خدم الحكومة الفارسية ترجماناً وخدمها بعلوماته الرياضية والفلكية . وقد نشر المستشرق ( شيفر Schefer ) تقريراً كان قد كتبه الأب ( دومان ) عن ( حالة فارس في سنة ١٦٦٠ ) وأرسله الى الوزير ( قولبير ) يتضمن معلومات دقيقة عن البلاد والشعب والحكومة . وخلافاً للرحالين السابقين الذين كانوا يظهرون إعجابهم بالشرق فإن الأب ( دومان ) كان يحقر الشرقيين . واذا رأيناه يفضل الفرس على غيرهم فذلك لأنهم ، حسب تعبيره ، « كالأعور بين العميان » . ونستطيع القول بأن الباحثين الأوروبيين أخذوا ، منذ القرن السابع عشر ، يشاطرون الأب ( دومان ) رأيه هذا . فقد بدأ يتبعلى في هذا العهد تفوق الحضارة الأوروبية الحديثة وصار الناس يتساءلون عن أسباب تأخر الشرق .

وقد حاول الإجابة عن هذا السؤال رحالة فرنسي آخر هو ( فرانسوا برنيه F. Bernier ) الذي زار سورية وعاش أكثر من سنة في القاهرة حيث تعلم العربية ، ثم ذهب حوالي سنة ( ١٦٦٠ ) الى الهند ، وأقام هناك ( ١٢ )



عاماً ، فتجول في أنجائها ، ووصف رحلته في قالب رسائل ، وقدم تقريراً خاصاً إلى الوزير ( قولبير ) عن حالة البلاد وعن شخصية ( المغول الكبير ) ووارداته ، كما تكلم على انخراط البلاد الشرقية عامة ، وعزا ذلك في الدرجة الأولى إلى فقدان الملكية الخاصة للأراضي سواء في الهند أو مصر وسائر بلاد الشرق الأدنى .

والى جانب أمثال هؤلاء الرحالين الذين تختلط لديهم الدوافع والأغراض المتنوعة من حب للغامرة وميل إلى التبشير الديني وطمع في الربح المادي ونزعة إلى التجسس وطموح سياسي ، أخذ يعزز ، منذ أواخر القرن الثامن عشر ، رحالون آخرون قصدوا الشرق قبل كل شيء رغبة في الاطلاع وسعياً وراء غايات علمية . نذكر بين هؤلاء الرحالة الفرنسي ( آنكيتيل - دوبرون Anquetil — Duperron ) [ ١٧٣١ — ١٨٠٥ ] الذي درس اللغات الشرقية في باريس ودخل سنة ١٧٥٤ في خدمة الشركة الفرنسية للهند الشرقية كجندي عادي . ولكن الملك ( لويس الخامس عشر ) ، لما علم بشأنه ، أمر بتخصيص راتب سنوي له ، كما أن الشركة أيضاً زادت مرتبه وساعدته على التبعول في أنحاء البلاد . وقد انصرف همه إلى البحث في مخطوطات الكتب الدينية الشرقية . فلما عاد إلى فرنسا سنة ١٧٧١ نشر ترجمة كتاب ( زند - آفستا ) المنسوب إلى ( زرادشت ) ، وكان هذا الكشف مرحلة هامة في تاريخ الدراسات الشرقية ..

ورحالة فرنسي هام آخر هو العالم ( فرانسوا فولني F. Volney ) الذي ولد سنة ١٧٥٧ ونال ثقافة عالية وقرر أن ينفق الثروة التي ورثها في الرحلات إلى الشرق . وبعد أن درس المؤلفات التي تبحث في الشرق سافر إلى مصر ، فسورية حيث قضى مدة ثلاث سنوات ( ١٧٨٣ — ١٧٨٦ ) ،

منها ثمانية أشهر في أحد الأديرة في جبل الدروز ، لانتقان اللغة العربية . وكتابه المشهور ( الرحلة إلى سورية ) لا يتضمن ما اعترضه أثناء تنقلاته من حوادث ، بل يقتصر على وصف البلاد وطريقة معيشة سكانها وعلى بيان الأسباب التي أدت إلى تأخر مصر وسورية الاقتصادي تحت حكم الأتراك . وهو يعارض الآراء التي كانت تقول بحدوث تبدل في إقليم البلاد الشرقية ولا يسلم بأن حرارة الجو تضعف مقدرة السكان على الإنتاج إذ يشير إلى أن الأحوال الطبيعية في مصر لا تختلف اليوم عما كانت عليه في عهد ازدهار الحضارة المصرية القديمة . وقد ذهب ( فولني ) نفسه إلى أن تأخر الشرق يرجع إلى فساد الإدارة الحكومية وإلى تأثير العقائد الدينية . وقال إن من الوسائل التي يمكن أن تساعد على رفع المستوى الاقتصادي حفر قناة في برزخ السويس ، إلا أنه كان يعتقد بصعوبة تحقيق هذا المشروع . وقد استمرت الرحلات إلى الشرق وبلاد العرب منذ القرن الثامن عشر حتى الوقت الحاضر ؛ ولكنها لم تكن دوماً لغايات علمية ، بل كثيراً ما كان يقصد بها التبشير الديني أو التجسس والتآمر السيامي . ويكفي أن نذكر أسماء ( بورتن Burton ) و ( دوتي Doughty ) و ( فون اوبنهايم M. Von Oppenheim ) و ( لورانس Lawrence ) و ( فليبي Philby ) لتؤكد من أن الاستشراق لا يكتفي بالدراسة العلمية ، بل يهدف أيضاً إلى أغراض استعمارية : سياسية واقتصادية ودينية ...

### بداية الاستشراق في فرنسا :

في القرن السادس عشر ازدادت العلاقات السياسية بين الدول الأوروبية المسيحية والدولة العثمانية . فقد اتسعت ممتلكات الدولة في زمن السلطان

سليم الأول ( ١٥١٢ - ١٥٢٠ ) الذي استولى على الشام ومصر ؛ ثم في زمن السلطان سليمان القانوني الذي تقدم في المجر والنمسا .

وانتهز ( فرانسوا الأول ) ، ملك فرنسا ، الفرصة للتحالف مع السلطان سليمان القانوني والاستنجاد به ضد خصمه ( شارلكن ) . وبدأت الوفود تتعاقب الى استانبول ومنح السلطان رعايا فرنسا الامتيازات الأجنبية المشهورة التي تخولهم الإقامة في بلاده ومزاولة التجارة ، وتعطي القناصل حق الفصل في القضايا المتعلقة بهم .

هكذا كانت هناك حاجة عملية لتعلم اللغات الشرقية .

وقد أوفد ( فرانسوا الأول ) عدداً من رجال العلم الى استانبول مع سفرائه للاطلاع على أحوال الشرق وإتقان المحادثة بلغاته وشراء المخطوطات الضرورية للدراسة . وكان بين هؤلاء الموفدين ( غيليوم بوستل Guillaume Postel ) ، الذي كان أول من قام بتدريس اللغة العربية في جامعة ( باريس ) . وبين تلاميذ ( بوستل ) الذين تعلموا العربية نال ( جوزيف سيكاليجر J. Scaliger ) [ ١٥٤٠ - ١٦٠٩ ] شهرة واسعة لا كاختصاصي في اللغة اليونانية فحسب ، بل كمستشرق أيضاً . وكان أبوه طبيباً طليانياً في الأصل ولكنه ولد هو وعاش في فرنسا واعتنق البروتستانتية ونولى التدريس في انكثرة وإيطالية وهولندية حيث مات .

وقد أدرك أن أستاذه لم يكن يتفنن حقاً كل اللغات التي ادعى معرفتها . وهو قد خالفه في مسائل كثيرة ، منها العلاقة بين العربية والعبرية ؛ إنه لم تخف عليه القرابة بين اللغتين ولم ينكر أن من يعرف العبرية يسهل عليه البدء في تعلم العربية ولكنه رأى أن التعمق في العربية يحتاج الى وسائل أخرى . كذلك لم يكن يشارك ( بوستل ) في إيمانه الخيالي بحكمة الشرق

السحرية . فكان يذهب الى أن الحكمة لم تنحصر كلها عند الكلدانيين وفي الشرق ، وأن البشر في الغرب والشمال أيضاً هم كائنات تقتصف بالعقل والحكمة . وقبل كل شيء كان ( سكاليجر ) بعيداً كل البعد عن اندفاع أستاذه في طريق التبشير ولم يخطر على باله أبداً أن يستثمر معلوماته اللغوية في خدمة الديانة المسيحية . إنه كان يسعى الى معرفة حقائق التاريخ وقد انصرف في أحد كتبه الى جمع كل ما أمكنه الحصول عليه من أنواع « التقويم » في جميع البلدان ومن جميع العصور ، ثم رتبها ووصفها وقارنها بالتقويم الجولياني وشرح كيف يمكن حساب الاختلافات بينها . وكان هذا الموضوع حديث الساعة إذ ذاك بمناسبة الإصلاح ( الغريغوري ) للتقويم .

وقد قام ( سكاليجر ) براسة ( أغناطيوس ) ، بطريرك أنطاكية اليعقوبي الذي جاء الى رومة في أواخر سنة ١٥٧٧ للقيام بمفاوضات الاتحاد والذي عرف بعنايته بمسائل التقويم الزمني . وهو يذكر في كتابه أجوبة البطريرك على أسئلته بنصها العربي . ثم اتصل ( سكاليجر ) بالسامريين في مصر وفلسطين ، فأرسلوا اليه من مصر تقويم سنة ١٥٨٤ مكتوباً بحروف سامرية . كذلك حصل بواسطة تاجر طلياني على تقويم الكنيسة الحبشية لسنة ( ١٥٧٨ ) نقله راهب حبشي بحروف عربية مع ملاحظات حول كل من التقويم القبطي والانطاكي والحبشي .

على أن الرأي العام في فرنسا قد اتجه في القرنين السادس عشر والسابع عشر بكل حماسة الى أخبار الصين وحضارتها أكثر من غيرها من بلاد الشرق . وكان المبشرون قد تسللوا الى تلك البلاد وأخذوا ينشرون

الكتب عنها . في هذه الفترة لا نجد إلا القلائل من المستشرقين الذين انقطعوا إلى دراسة العربية والشؤون الإسلامية .

ولم تنشط هذه الدراسات إلا في عهد الوزير ( قولبير ) الذي اهتم بالشرق الأدنى وقام في سنة ١٦٩٩ بتأليف بعثة باسم « شباب اللغات » تدرس اللغة العربية في باريس على نفقة الملك ثم ترسل إلى استانبول لإتمام الدراسة ، وبعد ذلك يلحق أفرادها بالسلك السيامي . وقد تكرر تأليف مثل هذه البعثة في سنة ١٧١٨ ثم في سنة ١٧٢١ . وهكذا فقد اتسم الاستشراق في فرنسا منذ بداية الأمر بالنزعة الدينية - التبشيرية والصبغة الاقتصادية - السياسية معاً .

( للبحث صلة )

محمد كامل عباد



# الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٢ -

## الخطيئة

|          |               |
|----------|---------------|
| Peccatum | في اللاتينية  |
| Péché    | في الفرنسية   |
| Sin      | في الانكليزية |

الخطيئة الذنب ، وقيل المتعمد منه وجمعها خطايا ، وفي الاصطلاح التهاون بشريعة الله ، أي ارتكاب ما نهى الله عنه ، والامتناع عما أمر به . وكل اثم خطيئة . ويشترط في مخالفة الأوامر والنواهي أن يكون الفعل متعمداً .

وعلماء اللاهوت يردون أصل الخطيئة الى ارتكاب أدينا آدم ما نهى الله عنه ، وليس أحد من البشر في نظرهم مجرداً من الخطيئة . وتسمى خطيئة آدم بالخطيئة الأصلية ( Peccatum originans ) وخطيئة بنييه من بعده ( Peccatum originatum ) ، وهي حالة للانسان لازمة عن الخطيئة الأولى . وللخطيئة أنواع : خطيئة للموت ، وخطيئة ليست للموت ، وخطيئة تغفر ، وخطيئة لا تغفر ، ومق نزاع الانسان روح الله من قلبه ، ابتعد عن كل شفاعة .

والفرق بين الخطيئة اللاهوتية والخطيئة الفلسفية ان الأولى تقوم على مخالفة شريعة الله ، على حين أن الثانية تقوم على مخالفة أحكام العقل ، ( راجع : الخطأ ) .

## الخفي

|          |               |
|----------|---------------|
| Occultas | في اللاتينية  |
| Occulte  | في الفرنسية   |
| Occult   | في الانكليزية |

الخفي هو المستتر ، أي ما خفي المراد منه . ويرادفه السري والباطني ، مثل قولنا : لهذا الشيء تأثير خفي .

ويطلق الخفي على كل ما نجعل أسبابه ، أو على كل كيفية لا يتمثلها العقل تمثلاً واضحاً لعجزه عن إرجاعها الى غيرها . قال ( شوبنهاور ) ، كل قوة طبيعية حقيقية فهي كيفية خفية ( Qualité occulte ) تعمل بالأسباب الإلهية لا بالأسباب الفلسفية .

ويطلق الخفي أيضاً على القوى المادية أو الروحية التي يجهل العلماء أسبابها ، أو على طرق البحث في هذه القوى ، أو على الأساليب المستعملة في إظهارها . فبينما نحن نجد العلماء يقيدون أنفسهم بطرق البحث الموضوعي نجد الباحثين في هذه القوى الخفية يحتقرون الطرق الموضوعية ويجاوزونها . انهم يشفقون من دأب العلماء في البحث ، وديب عقولهم على الأرض ، ويريدون أن يخلقوا في الفضاء ، حتى يحيطوا بكل ما كان ، وبكل ما يكون .

والعلوم الخفية ( Sciences occultes ) هي السحر ، والتنجيم ، وعلم الكيمياء القديم ، والعلوم الروحانية ( Spiritisme ) وغيرها .

## الخلاء

|                    |               |
|--------------------|---------------|
| Vacuu              | في اللاتينية  |
| Vide               | في الفرنسية   |
| Voide, Emptiness . | في الانكليزية |

خلا المكان يخلو خلواً وخلاء إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه ،  
تقول خلت الدار خلاء إذا لم يبق فيها أحد ، وخلا لك الشيء وأخلي بمعنى  
فرغ ، ومنه الإناء الخالي من الماء ، والحجرة الخالية من التلاميذ .  
والخلاء عند الفلاسفة خلو المكان من كل مادة جسمانية تشغله ، فإذا  
قلت مع ( ديكارت ) مثلاً : إن المادة امتداد لزمك القول ان الخلاء المطلق  
متناقض ومحال .

ويطلق الخلاء عند بعضهم على الامتداد الموهوم المفروض في الجسم  
أو في نفسه ، الصالح لأن يشغله الجسم ، ويسمى أيضاً بالمسكان ، والبعد  
الموهوم ، والفراغ الموهوم ، وحاصله البعد الموهوم الخالي من الشاغل .  
ويطلق الخلاء أيضاً على خلو المكان من مادة معينة توجد فيه بالطبع  
كخلاء ( البارومتر ) ، وعلى الخلو من الفكر : كخلو الجملة من المعنى ، وخلو  
الشعر من الخيال .

ويرى بعض الحكماء أن الخلاء هو البعد المجرد القائم بنفسه سواء كان  
مشغولاً بجسم أو لم يكن ، ويسمى عندهم بعداً مفطوراً وفراغاً مفطوراً .  
وما يسميه أفلاطون بعداً مفطوراً يسميه المتكلمون فضاء موهوماً ، وهو  
الفضاء الذي يشبهته الهم كالفضاء المشغول بالماء أو الهواء داخل الإناء .  
فهذا الفضاء الفارغ هو الذي من شأنه أن يحصل فيه الجسم ، وأن يكون



ظرفاً له ، وبهذا الاعتبار يكون حيزاً للجسم ، وباعتبار فراغه عن شغل الجسم إياه يكون خلاء . فالخلاء عند المتكلمين هو هذا الفراغ الذي لا يشغله جسم من الأجسام ، وهو غير موجود في الخارج بالفعل ، بل هو أمر موهوم . ومن الحكماء من لم يجوز خلو البعد الموجود من جسم شاغل له ، مثل (أرسطو) الذي قال : إن الطبيعة ترهب الخلاء ، ومنهم من جوزه . وهؤلاء المجوزون وافقوا المتكلمين في جواز المكان الخالي من الشاغل وخالفوه في أن ذلك المكان بعد موهوم .

### الخلف

|          |               |
|----------|---------------|
| Absurdus | في اللاتينية  |
| Absurde  | في الفرنسية   |
| Absrud   | في الانكليزية |

الخلف بالضم خلاف المفروض ، وهو في اصطلاحنا الحال الذي ينافي المنطق ويخالف المعقول . ويرادفه المتناقض والممتنع والباطل (راجع هذه الألفاظ) .

والخلف هو القياس الاستثنائي الذي يقصد فيه إثبات المطلوب بإبطال نقيضه ، ويقابله القياس المستقيم . (راجع كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، الجزء الأول ص ٤٨٢) . ونحن نطلق قياس الخلف على القياس الذي يقصد فيه البرهان على صدق القضية أو كذبها بإبطال إحدى النتائج اللازمة عنها ، وله وجهان : أحدهما دليل الخلف ، وهو إثبات القضية بإبطال إحدى النتائج اللازمة عن نقيضها ، والثاني الرجوع ، وهو إبطال القضية باستخراج مايلزم عنها من نتائج كاذبة أو مخالفة للمطلوب .

وقد سمي الخلف خلفاً لأن المتمسك به يثبت مطلوبه بإبطال نقيضه ، فكانه يأتي مطلوبه من خلفه أي من ورائه ، وقيل أيضاً سمي خلفاً أي باطلاً لأنه ينتج الباطل .

## الخلق

في الفرنسية Caractère

في الانكليزية Character, Temper

الخلق في اللغة السجية ، والطبع ، والعادة ، والمروءة ، والدين . وهو في اصطلاحنا حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكسر وروية . وعلى ذلك فغير الراسخ من أحوال النفس لا يكون خلقاً . مثال ذلك أن من يبذل المال في أحوال عارضة لا يقال إن خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه .

وفرقوا بين الخلق والفعل فقالوا قد يكون خلق الإنسان السخاء ولا يبذل المال إما لفقده أو لمانع آخر . وقد يكون خلقه البخل وهو يبذل المال لباعث أو رياء .

وينقسم الخلق الى فضيلة ورذيلة ، أما الفضيلة فهي كما قال (أرسطو) وسط بين الإفراط والتفريط ، فإذا اعتبرنا النفس الإنسانية مؤلفة من ثلاث قوى : العقلية ، والشهوانية ، والغضبية ، كانت الفضائل الأساسية ثلاثاً : الحكمة ، والعفة ، والشجاعة ، لأن الحكمة وسط بين الجربذة والبلاهة ، والعفة وسط بين الفجور والجود ، والشجاعة وسط بين التهور والجبن . وإذا اجتمعت هذه الفضائل الثلاث في نفس واحدة حصلت من اجتماعها فضيلة العدالة .

والخلق قد يكون حالاً للفرد أو حالاً للجماعة ، ويجمع على أخلاق ،  
فتقول أخلاق زيد أو عمر ، وأخلاق العرب أو أخلاق الفرس .  
والخلق الكريم في فلسفة الأخلاق هو أن يملك الإنسان نفسه ، وأن  
يكون سلوكه ثابتاً ومتأسكاً ، وأن يتصف بالعزم .  
والخلق العظيم عند السالكين هو الإقبال على الله تعالى ، وقيل أيضاً  
هو أن لا يخاصم المرء ولا يخاصم وأن يكون متجلداً في الشدائد والمحن .  
وفسروا قوله تعالى : « وإنك لعلی خلق عظیم » بأن الخلق هنا هو العمل  
بالقرآن من غير تكلف ، فإذا وصل الإنسان من قطعه وعف عن ظلمه ،  
وأحسن إلى من أساء إليه ، كان على خلق عظيم .  
وعلم الأخلاق هو علم السلوك . وهو من أقسام الحكمة العملية ،  
ويسمى أيضاً تهذيب الأخلاق ، والحكمة الخلقية .

### الخلق

في اللاتينية Creatio

في الفرنسية Création

في الانكليزية Creation

خلق الله العالم صنعه وأبدعه ، ويقال خلق فلان الشيء أبدعه ، وخلق  
القول افتراه . وفي القرآن الكريم : « إنما تعبدون من دون الله آوثاناً  
وتخلفون إفكاً » . والخلق أيضاً التقدير بمعنى المساواة بين الشيئين ، يقال  
خلقت النمل إذا قدرته ، فأطلق على إحيياد شيء على مقدار شيء سبق  
له الوجود .

والخلق أيضاً المخلوق ، ويطلق على الجمع ، ومنه الخليقة أي الجماعة  
من المخلوقات . تقول : إن الإنسان سيد الخليقة .

والخلق هو الإيجاد ، وقد يكون من مواد مخصوصة ، وصور وأشكال معينة ، كخلق الأشياء الصناعية ، وقد يكون مجرد إيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق . وليس الخلق الذي هو إيجاد الشيء من لا شيء إلا لله تعالى . وقد يطلق عليه اسم الإبداع .

وجملة القول أن للخلق معنيين : الأول هو إحداث شيء جديد من مواد موجودة سابقاً ، كخلق الأثر الفني أو خلق الصور الخيالية ، والثاني هو الخلق المطلق وهو صفة لله تعالى ، لأنه جل جلاله موجد ومبقي ، وابقاؤه مساو لإيجاده ، يحدث العالم بإرادته ويبقيه بإرادته ، ولو لم يرد بقاءه لبطل وجوده . فإذا كان العالم باقياً فمرد ذلك إلى أن الله يديم وجوده . هذا ما يسميه ديكرت بالخلق الدائم ، أو الإبداع الدائم (راجع لفظ الإبداع ) .

### الخلود

|              |               |
|--------------|---------------|
| Immortalitas | في اللاتينية  |
| Immortalité  | في الفرنسية   |
| Immortality  | في الانكليزية |

الخلود هو الدوام والبقاء ، تقول خلد في النعم دام وبقي ، ومنه خلود النفس ، أي بقاءها بعد الموت ، ودار الخلود الجنة .

ومعنى خلود النفس بقاءها بعد البدن بقاء غير محدود محتفظة بالصفات المقومة لذاتها الفردية . والقول بخلود النفس الفردية مذهب أصحاب الديانات السماوية ومذهب الفلاسفة الروحانيين . إلا أن بعض الفلاسفة العقليين يذهبون إلى أن الخلود كلي لا فردي . ومعنى ذلك أنه لا بقاء بعد الموت إلا للجوهر العاقل ، وهو واحد وكلي . أما النفس الفردية فإنها إذا فارقت

البدن انضمت إلى هذا الجوهر الكلي واتحدت به . وقريب من ذلك أيضاً مذهب القائلين ان البقاء للانسانية لا للأفراد ( أوغوست كونت ) . والقول بخلود النفس عند ( كانت ) موضوعة من موضوعات العقل العملي ، وهي القول إن الوجود المتناهي يستطيع أن يحقق الكمال الخلقي ، وأن يرتقي ارتقاء غير محدود حتى يبلغ درجة القداسة .

وقد فرق ( غوبلو ) بين خلود النفس والحياة الثانية ، فقال : إن الحياة الثانية ذات ديمومة تبتديء عند انفصال النفس عن البدن ، على حين أن خلود النفس حياة مستقلة عن الزمان ، ليس لها قبل ولا بعد .

ونحن نرى أن معنى الخلود المستقل عن الزمان لا يختلف عن معنى الأبدية . والأفضل أن لا يفصل الخلود عن معنى الزمان ، وأن يكون معناه ومعنى الأبدية متميزين .

### الخيال

|                  |               |
|------------------|---------------|
| Imago , Imaginis | في اللاتينية  |
| Image            | في الفرنسية   |
| Image            | في الانكليزية |

الخيال الشخص ، والطيف ، وصورة تمثال الشيء في المرأة ، وما تشبه لك في اليقظة والنام من صور .

والخيال أيضاً الظن والتوهم . وهو يدل في اصطلاحنا على الصورة الباقية في النفس بعد غيبة المحسوس عنها .

فإذا أن تكون هذه الصورة تمثيلاً مادياً لشيء خارجي مدرك بحاسة البصر ، كارتسام خيال الشيء في المرأة ، أو تمثيلاً بخطوط بيانية .

وإذا أن تكون تمثلاً ذهنياً لشيء مدرك بحاسة البصر أو غيرها من الحواس .

ومن عادة علماء النفس أن يجعلوا هذا التمثيل الحسي مضاداً للتمثيل العقلي ، إلا أن الفلاسفة الحسنيين لا يرون ذلك ، بل يذهبون إلى أن التمثيل العقلي متولد من التمثيل الحسي .

ونحن نطلق اليوم لفظ الخيال على الصور البصرية ، والسمعية ، والشمية واللمسية ، والذوقية ، والحركية وغيرها . ونطلق لفظ الصورة التالية ( Image Consécutive ) على الصورة التي تتلو الإحساس وتعبه مباشرة . مثال ذلك إذا حدثت إلى شيء خارجي ثم أغمضت عيني رأيت صورة ذلك الشيء في الظلام ، وإذا حدثت إليه ثم نظرت إلى ستار أبيض رأيت صورة ذلك الشيء بألوانه الطبيعية . وقد أراه بألوان متممة للأولى . فإذا رأيته بألوانه الطبيعية كانت صورته إيجابية ، وإذا رأيته بألوانه المتممة كانت صورته سلبية .

ويطلق لفظ الخيال المركب أو الصورة الجنسية أو النوعية ( Image générique ) على الصورة المركبة من صور الأشياء المتشابهة ، كالصور المركبة التي حصل عليها ( غالتون ) يجمع صور الأشياء المتشابهة بعضها فوق بعض بواسطة الفانوس السحري ، أو كصور أفراد الأسرة الواحدة التي ألفت منها صورة متوسطة تمثل الأسرة كلها . أو كتأليف صورة واحدة من صور مختلفة تمثل الشخص الواحد في مختلف أدوار حياته ( راجع كتابنا : علم النفس ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧ من الطبعة الثانية ) .

ويطلق الخيال على الصورة المشخصة التي تمثل المعنى المجرد تمثيلاً واضحاً . وهذا المعنى مألوف في الأدب والشعر والفن ، ويرادفه التشبيه والمجاز والرمز . والخيال عند فلاسفتنا القدماء قوة للنفس تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيوبة المادة . ونحن نسعي ذلك تخيلاً وله نوعان أحدهما تمثيلي والآخر مبدع . ( راجع لفظ التخيل ) .

والخيال عند الصوفية أصل الوجود ، لأن الناس كما قيل نيام لا يرون في هذه الدنيا إلا خيالات ، فاذا ماتوا انتموا . وكل من تجلى عليه الحق فعرفه أدرك أن هذا العالم المحسوس خيال نائم ، وأن الارتقاء الى الله لا يكون إلا بالانتباه من النوم .

### الخيلاء

Paranoia في الفرنسية

Paranoia في الانكليزية

الخيلاء في اللغة التكبر والعجب ، ولهذا اللفظ في اصطلاحنا معنيان : الأول هو الخبال الذي يعتري الإنسان فيورثه اضطراباً كالجنون ، والثاني هو هذيان العظمة ( Délire de grandeur ) أو جنون العظمة ( Mégalomanie ) . والخيال أو الخائل ( Paranoïaque ) هو الشخص المفرط في تقدير نفسه ، المتوهم أنه أعظم الناس وأحقهم بالتقدم . وله حالتان احدهما الخيلاء الخفيفة ، وهي مؤلفة من هذيانات متناسقة غير مصحوبة باختلال العقل تزداد يوماً فيوماً من غير أن تؤدي الى الجنون ، والثانية الخيلاء الشديدة ، وهي مؤلفة من هذيانات مصحوبة باختلال العقل . وسواء أكانت الخيلاء خفيفة أم شديدة فلمنا تورث صاحبها خطأ في الحكم على نفسه ، وحذراً ، وارتياباً وظنوناً ، وحساسية مفرطة تجعله محباً للعزلة قليل الثقة بالناس .

### الخير

Bene , Bonum في اللاتينية

Bien في الفرنسية

Good في الانكليزية

الخير اسم تفضيل كقولنا الحياة خير من الموت ، وهو يدل على الحسن

لذاته ، وعلى ما فيه نفع أو لذة أو سعادة ، وعلى المال الكثير الطيب ، وعلى العافية والإيمان والعفة . وهو بالجملة ضد الشر ، لأن الخير هو وجدان كل شيء كالاته اللاتقة ، أما الشر فهو ما به فقدان ذلك .

والخير المطلق هو أن يكون مرغوباً لكل إنسان ، والذسي هو أن يكون خيراً لواحد وشرّاً لآخر . وعلى ذلك فالخير قسمان : خير بالذات ، وخير بالعرض ، وكذا الشر . إلا أن بعض الفلاسفة يطلقون الخير على الوجود ، والشر على العدم ، فيقولون إن الوجود خير محض والعدم شر محض ، وكذلك الصوفية ، فإنهم يقولون : إن الوجود خير محض وبالذات لكونه مستنداً الى العزيز الحكيم ، والعدم شر محض وبالذات لعدم استناده إليه . وليس المهم أن نقول إن الوجود خير محض ، وإن الخير هو الوجود ، وإنما المهم أن نبين أن كلا من هذين المعنيين مستند الى الآخر . فالفلاسفة العقلليون يجعلون الوجود مبدأ الخير ، أما فلاسفة القيم فيجعلون الخير مبدأ الوجود .

والخير المطلق عند معظم الفلاسفة هو الوجود الذي ليس لذاته حد ولا اكماله نهاية ، لأنه خير لذاته وبذاته . وهو عند ( أفلاطون ) أعلى المثل ، ويسمى بالخير الأعلى ( Souverain bien ) ، وقد أطلق ( أرسطو ) هذا المعنى على غاية كل فعل ، وأطلقه ( كانت ) على الفعل الذي يلائم الإنسان بكيته ، لا من جهة ما هو عاقل فحسب ، بل من جهة ما هو عاقل وحساس وفاعل .

ومفهوم الخير هو الأساس الذي تبنى عليه مفاهيم الأخلاق كلها ، لأنه المقياس الذي نحكم به على قيمة أفعالنا في الماضي والحاضر والمستقبل .

وقد فرقوا بين الخير والواجب ، فقالوا : إن مفهوم الواجب يتضمن معنى الطاعة والانقياد للسلطة ، على حين أن مفهوم الخير لا يتضمن ذلك ، بل



يتضمن معنى الكمال . وقالوا إن الفعل ليس خيراً من حيث أنه كالت  
صادراً عن إرادة الفاعل الطيبة ، بل هو خير بذاته لا بنية فاعله .

ويرى المتفائلون أن خلق الخير عند الإنسان هو الغالب عليه في زمان  
صباه ، لأنه مخلوق على الفطرة المقتضية للخيرات ، وإن الخير في الوجود  
غالب على الشر ، وأن منافع الأشياء أكثر من مضارها ، فليس يناسب  
الحكمة أن يترك الخير الكثير لأجل الشر القليل . فإن قال قائل : إن الله  
كان قادراً على خلق خير محض لا يشوبه شر ، قلنا : إن ذلك لا يكون  
حينئذ مناسباً لهذا النمط من الوجود ، ولا متفقاً مع ما تقتضيه الحكمة  
الإلهية من حرية الاختيار الإنساني ، ومع ذلك فنحن نستطيع أن نتصور  
وجوداً كاملاً ليس فيه شر أصلاً ، وهذا الوجود الكامل هو الله .

جميل صليبا



# نظرات في المعجم الوسيط

- ٩ -

سابعاً : تعريف الرتب والمصطلحات العسكرية <sup>(١)</sup>

| الكلمة  | تعريفها في المعجم الوسيط                        | الملاحظات                                                                                                                             |
|---------|-------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| المُشير | ( في الجيش ) : مَنْ بلغ أعلى رتبة . ( محدثة ) . | تعريف غير دقيق ، يخشى معه بعض اللبس ، ويفضل عليه القول : المشير : رتبة عسكرية ، تعتبر ، في الدول الموجودة فيها ، أعلى رتبة في الجيش . |

(١) تنبسط الدول العربية في استعمال الألفاظ الدالة على الرتب والمصطلحات العسكرية المختلفة ، على أن النهضة العربية ، التي أثرت استقلال كل من سورية والعراق ولبنان ، دفعت الدول المذكورة ، غير متفقة ، إلى إيجاد الألفاظ العربية للرتب العسكرية المتعددة ، وإلى وضع المصطلحات لختلف ألسام الجيوش وأنواع الأسلحة الحربية ، وانتهى الأمر في الجمهورية العربية المتحدة إلى صدور « قانون الجيش » الذي وضع الألفاظ العربية الدالة على مختلف الرتب العسكرية ، وإلى تأليف لجنة لترجمة « المعجم العسكري الكندي » مستهدفة وضع المصطلحات العسكرية ، وتوحيدها في جيوش الجمهورية .

وقامت « لجنة المعجم العسكري » وكانت برئاسة الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي ، بوضع المصطلحات العربية وفقاً للقواعد القياسية والتوصيات التي اتخذها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وضمن منهج دقيق أشارت إليه في مقدمة المعجم الذي انتهى طبع النسخة الفرنسية منه في أوائل سنة ١٩٦١ م ، ثم صدرت نسخته الإنكليزية بعد ذلك بقليل ، ومنذ صدور هذا المعجم ، أصبحت المصطلحات المدونة فيه ، معمولاً بها في مختلف القوات المسلحة في كل من مصر وسورية .

الفريق رتبة من رتب الجيش كان من المستحسن الاكتفاء في تعريف الفريق العليا ، فوق اللواء ، بأنه : رتبة عسكرية فوق اللواء ، ودون ودون المشير . (محدثة) . المشير (١) .

اللواء رتبة فوق العقيد ، ودون يلاحظ أن ورود رتبة (العقيد) في هذا الفريق ، واللواء في الشرطة التعريف خطأ ، صحتها (العميد) ، كما يلاحظ أعلى رتبة من رتبها . أن ذكر كون اللواء ، أعلى رتبة في الشرطة تزيد يخرج عن طبيعة المعجم اللغوي ، لأن هذا الأمر تنظيمي يختلف باختلاف النصوص القانونية . وكان من المستحسن أن يكون التعريف هكذا : رتبة عسكرية فوق العميد دون الفريق .

العميد رتبة من رتب الجيش كان من المستحسن الاكتفاء بتعريف العميد والشرطة فوق العقيد بأنه : رتبة عسكرية فوق العقيد ودون ودون اللواء . اللواء .

= ومن مزايا المعجم الوسيط ، أخذه بالترتيب الحديث لرتب العسكرية السائد في مصر وسورية ، وهو لا يختلف عن الترتيب المعمول به في كل من العراق والأردن ولبنان ، إلا في بعض الألفاظ ، أما في بقية المصطلحات العسكرية ، فإن المعجم الوسيط ، اكتفى بنقل التعريفات الواردة في المعاجم القديمة ، مع إيراد تعريفات حديثة لبعض الأسلحة والآلات الحربية ، إلا أنها جاءت متفاوتة من حيث دقتها تفاوتاً كبيراً ، فما عرّفه المعجم الوسيط تعريفاً حديثاً : الدبابة والمصفحة والدرعة والفواصة والبندقية والرشاش والصاروخ ، وإنا نأمل أن تكون طبعة المعجم الوسيط الثانية تتضمن تعريف جميع المصطلحات العسكرية الهامة والآلات الحربية تعريفات حديثة دقيقة ، مستهدفة توحيداً في مختلف البلاد العربية .

وسنبين في هذه النظرات ما نراه من ملاحظات ، أو ما عثرنا عليه من هنات وتصحيحات ، شابت تعريف الرتب العسكرية ، مع غاذج من المصطلحات العسكرية الواردة في المعجم الوسيط وبعض الملاحظات عليها .

(١) إن التفريق بين الرتب العليا والرتب الدنيا في الجيش مرده لص القانون ، والقانون يطلق على كبار الضباط اسم « الأمراء » وعلى من دونهم « القادة » وعلى صغارهم « الأعوان » .

العقيد رتبة من رتب الجيش كان من المستحسن الاكتفاء بتعريف العقيد  
أو الشرطة فوق المقدم بأنه : رتبة عسكرية فوق المقدم ودون  
ودون العميد . العميد .

المُقَدِّم رتبة من رتب الجيش الخطأ في التعريف واضح ، وصحته : فوق  
والشرطة ، فوق الرائد الرائد ودون العقيد .  
ودون النقيب .

الرائد من رجال الجيش والشرطة : ليس من ضرورة تدعو إلى هذه الصياغة  
ضابط فوق النقيب ودون في التعريف ، ويستحسن أن يكون : رتبة  
المقدم . عسكرية فوق النقيب ودون المقدم .

النقيب رتبة من رتب الجيش يلاحظ أن الرتبة العسكرية التي تلي رتبة  
والشرطة فوق الملازم النقيب هي : الملازم الأول وليست رتبة الملازم  
ودون الرائد كما ورد في التعريف ، لهذا وجب أن يكون  
التعريف كما يلي : رتبة عسكرية فوق الملازم  
الأول ، ودون الرائد .

الملازم الأول رتبة في الجيش يلاحظ أن رتبة الملازم هي أدنى رتب  
والشرطة فوق الملازم الضباط ، أما العريف فهو من صنف الجنود (١) ،  
ودون النقيب . لذلك كان التعريف غير دقيق ، ومن المستحسن  
الملازم رتبة في الجيش والشرطة أن يكون تعريف الملازم : أدنى الرتب  
فوق العريف ودون العسكرية لضباط الجيش والشرطة .  
الملازم الأول .

(١) يلاحظ أن المعجم الوسيط نفسه لم يصر إلى كلمة عريف في مادة [ع ر ف] .

الضابط مرتبة من مراتب الشرطة والجيش. (ج) ضباط .  
المرتبة والرتبة كما وردت في المعجم الوسيط نفسه : الدرجة من السلم ، وعلى هذا فتعريف الضابط المذكور غير صحيح ، لأن جميع أصحاب الرتب التي سبق ذكر الملاحظات على تعريفاتها ، هم من الضباط ، لهذا كان التعريف الصحيح للكلمة ( ضابط ) هو : كل عسكري من أفراد الجيش والشرطة من رتبة ملازم على الأقل .

هذا وكان من المستحسن أن يشار في تعريف الضابط ، إلى معنى كل من ضابط احتياط Officer de réserve ، وضابط تلميذ Sous-officier ، وضابط صف Élève-officier

لم يكن ضرورياً إثبات تعريف هذه الكلمة الدخيلة في المعجم ، بعد أن ذكرت جميع الرتب العسكرية ، كما اصطلاح على تسميتها بكلمات عربية أصيلة ، هذا وإن التعريف غير دقيق ، فكلمة ( جنرال ) هي : رتبة عسكرية تقابل كلا من الرتب التالية : الفريق واللواء والعميد ، بحسب الأحوال . كأن يكون مثلاً ( جنرال ) فيلق أو ( جنرال ) فرقة أو ( جنرال ) لواء .

جنيرال قائد الجيش ( يقابله في الجيش المصري : القائد أو الفريق ) . ( د ) .

اختلفت الجيوش القديمة في تقسيماتها ، لذلك اختلف مدلول الألفاظ العربية التي كانت تطلق على الوحدات التي تنقسم إليها الجيوش ، وانعكس هذا الاختلاف على المعجمات القديمة ، فكان للكلمة

الجيشُ الجنُود . و - جماعة الناس في الحرب . (ج) جيوش .  
القيملقُ الكتبية العظيمة من الجيش .

|                                                                                                              |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الفرقة' من الجيش عدد' من<br>الألوية . ( محدثة ) .                                                            | الواحدة ، من الناحية العسكرية تعريفات غير<br>دقيقة أو غير واضحة .                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| اللواء في الجيش : عدد من<br>الكتائب . ( محدثة ) .                                                            | وفي العصر الحديث تختلف الدول العربية ،<br>في تسمية بعض الوحدات العسكرية ، أما لجنة<br>المعجم العسكري ، التي سبق أن أشرنا إليها .<br>فقد انتقت من الكلمات العربية الصالحة (١)<br>الألفاظ التالية : الجيش ، الفيلق ، الفرقة ،<br>اللواء ، الفوج ، الكتيبة ، السرية ، الفصيلة ،<br>الزمرة ، على التتابع أمام الألفاظ الفرنسية التالية :<br>Armée , Corps d'armée , Division ,<br>Brigade , Régiment , Bataillon , Compagnie ,<br>Section , Escouade . ولقد نقلنا التعريفات<br>التي أوردها المعجم الوسيط لهذه الكلمات ،<br>وبرغم أنه أشار في بعضها الى المعنى الحديث ،<br>فلأن التعريفات جاءت متداخلة غير دقيقة .<br>والأمل أن يتلافى المعجم الوسيط هذا النقص<br>في طبعته القادمة ، فيعرف المصطلحات المذكورة<br>تعريفاً علمياً حديثاً . |
| الجماعة من الناس . و -<br>الجماعة المارة السريعة .<br>(ج) فزوج وأفواج .                                      |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
| الكتيبة الجيش . و - الفرقة<br>العظيمة من الجيش تشمل<br>على عدد من السرايا .<br>( محدثة ) .                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
| السرية قطعة من الجيش ما بين خمسة<br>أنفس إلى ثلثائة (٢) . أو<br>هي من الخيل نحو أربع مائة .<br>( ج ) سرايا . |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
| الفصيلة' ( في الجيش ) ثلاث<br>جماعات (والجماعة اثنا عشر<br>جندياً) .                                         |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |
| الزمرة الفوج' والجماعة' .<br>( ج ) زمرة' .                                                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |

(١) هناك ألفاظ عربية صالحة لإطلاقها على الوحدات العسكرية وبعضها يطلق فعلاً في بعض الجيوش  
العربية ، مثل : الطليعة والكوكبة والنسر والفصيل والجناح والرتل الخ ...  
(٢) كذا في الأصل ، وصححها : ثلاثائة .

التأبور جماعة العسكر من ثمان مائة الى ألف . و -  
 الصف . و - الخامس ( في العرف السيامي ) :  
 أنصار العدو من أهل البلد أو المقيمين فيه . واللفظ بجميع معانيه ( د ) من التركمية .  
 [ مادة ت ب ر ]

( الطابور ) لفظة تركية يكتبها الأتراك بالطاء ، وكذلك يكتبها رجال الصحافة العربية ويلفظها الناس ، ولكن المعجم الوسيط ، لم يثبتها إلا بالتاء ، تبعاً لرأي قال به أصحاب نادي دار العلوم سنة ١٩١٠ م ، ورأينا أن لضرورة لإثبات هذه الكلمة العامية في معاجنا اللغوية ، ما دام في العربية ما يقوم مقامها ، فإذا أريد إثباتها فيجب أن يكون ذلك بالطاء كما في لغتها الأصلية ، وكما يلفظها الناس في مختلف الأقطار العربية .

أما قول المعجم الوسيط : إن ( الطابور الخامس ) اصطلاح في العرف السياسي ، فمسألة فيها نظر ، رغم شمول هذا الاصطلاح على السنة الناس منذ الحرب الأهلية الاسبانية سنة ١٩٣٦ ، إلا أنه لم يرق الى مستوى العرف السيامي ، كما أنه لم يدخل في أي معجم لغوي أجنبي يشبه الوسيط بالصفة المذكورة .

ناوَر فلاناً . شافه -  
 خَدَعَه . ( مو ) . و -  
 فِرَقَ الجيش بعضهم -  
 بعضاً : قاتل بعضها بعضاً  
 ناوَرَه في اللغة : شانه وعاداه ، ويقال بينهم مناورة ومنايرة ، أي عداوة ، وولّد المتأخرون معنى جديداً لفعل ناوَر فقالوا : ناوَرَه إذا خادعه .  
 على سبيل التمثيل والتدريب . ( مو ) .  
 [ مادة ن و ر ]

وشاع في عصرنا استعمال كلمة ( مناورة ) تعريب كلمة Manœuvre الفرنسية للدلالة على شبه المعارك التي يقوم بها الجيش على سبيل

التدريب ، ومنها ولّد رجال الجيش وتبعهم  
الناس فقالوا : ناور الجيش إذا قام به ( مناورة )  
وهو فعل يقابله بالفرنسية فعل Manceuvrer ؟  
هذا تاريخ فعل ( ناور ) بالمدنى الثالث الذي  
ورد في المعجم الوسيط ، وأشير إلى أنه مولد  
وهو في حقيقته دخيل .

ويلاحظ أنه كان من المستحسن أن يثبت  
المعجم الوسيط في مادة [ ن و ر ] كلمة مناورة بمعنى  
Manceuvre . فقد أثبت المعجم العسكري هذه  
الكلمة المعربة والشائعة في الجيوش .

أورد المعجم الوسيط تعريف هذه الكلمة  
الدخيلة في مادتين دون أن يربط بينها بأي  
إشارة ، وهذا نقص كبير ، يضاف إليه أن  
التعريفين جاءا مختلفين بعض الاختلاف ، وكان  
إيراد الكلمة في مادة [ ت ر ب ] مستغرباً لأن  
الكلمة شاعت على الألسنة معربة بالطاء دون التاء .  
وأصل الكلمة في الفرنسية Torpille ،  
وقد وضع المعجم العسكري عربيتها :  
التسيففة .

التسيففة نوع من الغدائف الشديدة  
الانفجار تطلقه الغواصة  
أو السفينة . ( ج )  
تراييد . ( د ) .  
[ مادة ت ر ب ]

التسيففة قذيفة ضخمة تطلقها  
غواصة أو زورق أو طائرة  
على سفن العدو أو  
بلادها . ( د ) .  
[ مادة ط ر ب ]



شاعت كلمة النَسَافَة للدلالة على السفينة الحربية المسماة بالفرنسية Torpilleur ، وقد أُنبت لها المعجم الوسيط كما وردت في المعجم العسكري ، لذلك كان من حق القذيفة التي تطلقها هذه السفينة أن تسمى : النسيفة ، كما في المعجم العسكري . أما النَسِيفَة ( بتثنية النون ) وكذلك النَسِيفَة والنسيفة التي في الأمهات فهي قد وضعت أمام حجارة الحرّة المسماة Basalte . وقد أقرها مجمع اللغة العربية مع المعربة (١) .

النَسَافَة سفينة حربية تنسف القلاع ونحوها . ( محدثة ) .

النَسِيف المنسوف .

النَسِيفَة النَسِيفَة .

النَسِيفَة حجارة سود ذات نخاريب يُنْسَف بها الوسخ عن الأقدام في الحمامات ..

المنجنيق كلمة فارسية دخلت العربية قديماً ، وفي القاموس : المنجنيق ، وبكسر الميم ، آلة ترمى بها الحجارة ، كالمنجنوق مُعَرَّبَة ، وقد تَدَكَّر . ج منجنيقات ومجانيق ومجانيق ، وقد جنقوا يجنقون وجنقوا تجنيقاً ، وجنقوا عند من جعل الميم أصلية .

والمعجم الوسيط أثبت فعل ( جنق ) المولد في مادة [ ج ن ق ] دون أن يشير إلى أصله ، أو يحيل إلى المادة التي أورد فيها تعريف المنجنيق كما فعل في مادة [ م ن ج ] بدون ضرورة ؛ وفي مادة [ م ج ن ] عرّف المنجنيق دون أن

جنقه جنقاً : رماه بالمنجنيق فهو جانيق .

جنقه جنقه .

الجُنُق أصحاب تدبير المنجنيق .

و - حجارة المنجنيق .

[ مادة ج ن ق ]

المنجنيق انظر : ( م ج ن ق )

[ مادة م ن ج ]

المنجنيق آلة قديمة من آلات الحصار ، كانت ترمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار

يذكر فعل ( مجنق ) أو يشير الى فعل ( جنق )  
 كما ذكر فعل جَلَقَ وجَلَّقَ وكأنها عربين  
 لا معربين !

فتهدمها . ( مؤنثة ) .  
 ( مع ) .  
 [ مادة م ج ن ]

ونلاحظ أن المعجم لم يذكر جموع المنجنيق ،  
 بينما ذكر جمع صيغة منجنيق ، وهو لم يشير  
 إلى أن الكلمة قد تذكّر ، كما في القاموس .  
 كما أن المعجم لم يشير أيضاً الى صفة كلمة ( المنجنيق )  
 وقد أوردتها صاحب القاموس بصيغة التذكير .  
 وفي كل هذا نقص واضطراب يستحسن تلافيه .

جَلَقَ الحِصْنَ ونحوه : رماه  
 بالمنجنيق .  
 جَلَّقَ الحِصْنَ ونحوه : جَلَقَهُ .  
 المنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة .  
 ( ج ) كَجَلَّقَ .  
 [ مادة ج ل ق ]

كان من المستحسن أن يقال في التعريف :  
 العرّادة : من آلات الحرب القديمة .

العرّادة آلة من آلات الحرب ،  
 وهي منجنيق صغير .

المعروف أن البارجة ، وهي بالفرنسية  
 Cuirassé ، سفينة كبيرة من السفن الحربية ،  
 وجاء في المعجم العسكري أنها تسمى الدارعة  
 أيضاً . وهي في الجملة أكبر من الطرّادة المسماة  
 بالفرنسية Croiseur ، لهذا فتعريفها في  
 المعجم الوسيط ناقص ، أما انها معربة فلم أجد  
 عليه دليلاً .

البارجة سفينة من سفن الأسطول  
 الحربي . ( مع ) . وقد  
 استعملها المسعودي .

الطبر هو : الفأس من الأسلحة القديمة .

الطَّبْر نوع من السلاح له فأس . ( مع ) .

الضئير' الدبابة كانت تتخذ من  
 خشب يفتش بالجلد ، الاكتفاء بالقول بأن الضئير : من آلات الحرب  
 يحتمي به الرجال ويتقدمون القديمة تشبه الدبابة .  
 إلى الحصون لدق جدرانها  
 ونقيا .

العرض العسكري : مرور فيرق  
 نموذجية من القوات المسلحة  
 أمام رئيس الدولة في يوم  
 مجموع له الناس . (محدثه) .  
 [ مادة عرض ]  
 هذا التعريف اقرب لأن يكون في كتاب  
 أدبي من أن يكون في معجم لغوي ، إذ ليس  
 من شروط العرض العسكري أن تمر فرق نموذجية  
 أمام رئيس الدولة في يوم مجموع له الناس ،  
 فقد يكون العرض لقوات محاربة ومن قبل  
 شخصية رسمية غير رئيس الدولة ، ودون أن  
 يجمع الناس لرؤية ذلك !

عدنان الخطيب

( يتبع )



## استدراكات ومقترحات

كان عمر بن عبد العزيز يقول للناس : «تحدثون ونحدث لكم»  
يريد : تحدثون أفعالاً ، فنحدث لها أحكاماً .

وعلى قدر ما يصح هذا في الشريعة ، يصح في اللغة أيضاً . فلا بد  
للغة من أن تضع أو تستعير من الألفاظ والمباني ، ما يفي بحاجة ما يحدث  
من المقاصد والمعاني . والعربية لم تخرج ، ولا تملك أن تخرج عن  
هذه السنة .

«يحدث فتحدث» وإلا وقعت في جود يأخذ بخناقها ، فيقطع  
عليها أنفاسها .

ومن فضول القول - وقد كرره كل من كتب في اللغة ، أو في  
موضوع لغوي - أن العصور تتعاقب ، ويحدث في كل عصر من الحاجات  
ما لم يُعرف مثله في عصر غير . فالزمن يسير ، والأغراض والأشياء  
تجدد ، فلا بد من السير في ركب الحياة ، وقافلة الحضارة .

على أن يكون لوضع الألفاظ ونقلها ، أو استعارتها ، قواعد وقيود ،  
فلا يكون الأمر مباحاً لا رابط له ، بل يجري على سنة صحيحة ،  
وأصول قوية ، وهو الرأي الذي عليه النقات المخلصون من أبناء العربية .  
ومن حق الجامع العربية ، من لغوية وعلمية ، أن تفرض على محدثي  
الألفاظ وباعثيها ، عرض ما يختارونه ، وان تستمع لما يُعرض عليها ،  
ومتناوله بالبحث والتمحيص ، ولا سيما ما ينشر في مجلاتها .

وقد يكون من المفيد ، إبداء الرأي في اللفظة ، والاستماع الى مختلف الآراء فيها ، ليكون قرار القبول أو الرفض ، مستنداً الى اجماع - أو في أقل ما يكون الى اتفاق ، يكسب اللفظة حق دخول حرم اللغة . وعلى هذا أحببت أن أتناول الألفاظ التي اقترحها الأستاذ وديع فلسطين ، ونشرت في الجزء الثالث من المجلد التاسع والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي . فهو يرى :

١ - أن تترجم لفظة Téléphoner بـ هاتف . وما أحسب أننا في حاجة الى هذا ، ذلك أن ( هتف ) الثلاثية التي ورد عليها النص ، تعني عن استعمال كلمة لم يرد عليها نص .

ففي لسان العرب : هتفتُ بفلان : أي دعوته . وفي حديث 'حنين' : « لهتف بالأنصار » أي نادهم وادعهم :

ولا 'يراد من « هاتف » المقترحة غير ما تضمنته ( هتف ) من معنى <sup>(١)</sup> .

٢ - المحرزات Achievement تترجم اليوم بـ « المنجزات » ولعلها أدل على معنى الكلمة من المحرزات .

(١) ملاحظة : « الهاتف » ، أول من استعملها المجمع العلمي العربي بدمشق .

وقد تكون من موضوعات الأستاذ المغربي رحمه الله . وهي ترجمة موفقة للتلفون . والتلفون معناه الحرفي : ( صوت من بعيد ) وقد استند في وضعها الى ما في ( الهتف والهتاف ) من معنى يتصل اتصالاً وثيقاً بما وضع له . فن معاني ( الهتف ) و ( الهتاف ) الصوت الجافي العالي ، والصوت الشديد وتقول : سمعت هاتفاً يهتف ، إذا كنت تسمع الصوت ، ولا تبصر أحداً . وقد قام جدل طويل في هذه اللفظة انتهى باقرارها ، وحسن استعمالها وعم ، ولا يندح بصحة هذا الاستعمال ، اذا رافق - في مستقبل الأيام - صوت المتكلم صورته . فالعبارة المعنى الذي توضع له الكلمة أول ما توضع ، ولا عليها ما يطرأ بعد ذلك من تطور وتبدل .

٣ - مقالة الصدر . خير استعمالاً من الافتتاحية ، غير أن هذه شاعت منذ زمن بعيد . وهي لفظة مفردة ، والمفرد خير من المركب . على أنه لا ضير أن تستعمل اللفظتان ، الى أن تغلب احدهما اختها فتميتها .

والغريبون يقولون : Article de fonds

ويقولون : Article éditorial

٤ - المواعدة : حسنة جداً . وتصلح للزمان والمكان . يقال : واعدته الوقت والموضع . وهي من الألفاظ القرآنية وكما جاءت ( واعد ) جاءت ( تواعد ) .

٥ - انطباعات ( Impressions ) يقول الأستاذ فلسطين : ( وقد جرى كثير من الكتاب على ترجمة Impression بلفظة انطباعات . وشاعت هذه اللفظة كثيراً في الصحف والإذاعات وعنوانات الكتب ، وفي ظني أنه ربما كان من الأوقع في الاذن ترجمة هذه اللفظة بجملة متعددة الكلمات مثل : « ما انطبع في نفسي » ) : نقول : ان ترجمة اللفظة الواحدة بجملة غير مستحب الا في الضرورة القصوى . وانطباعات : تفيد معنى شيء انطبع في الذهن أو في النفس ، وفي ذلك غنى عن ترجمة اللفظة بجملة . فان كانت هذه اللفظة لم تؤد هذا المعنى ابتداء ، فقد أقره الاستعمال .

أما ( الارتسامات ) التي استعملها الأمير شكيب أرسلان - رحمه الله - في كتابه « الارتسامات اللطاف » فما أحسب العلامة الارسلاني أراد أن يترجم لفظة ( Impressions ) فهو قد ألّف كتاباً عربياً عن قطر عربي ، لا موضع فيه للترجمة .

على أنه مهما يكن من أمر ، فان « الانطباعات » أبلغ أثرًا في النفس من « الارتسامات » وان تشابه المعنى فيها بعض الشيء ، ولا ينبغي استعمال احدهما في موضع ولعنى ، من استعمال اللفظة الأخرى في موضع آخر ، ولعنى آخر .

٦ - ( Laissez - faire ) ترجمة هذه اللفظة بـ ( دع المقادير تجري في أعنتها ) ترجمة نوافق الأستاذ في أنها صحيحة ، كما أنا نوافقه في أنها شعرية ، ونقف عند هذا ، فلا نخفي معه في جواز استعمالها مع « شعريتها » في المجال الاقتصادي ، فلكل علم ولكل فن لغته وأسلوبه .

ويمكن أن يترجم هذا المعنى في المعاملة التجارية بـ ( دع الأمر في مجراه ) أو ( دع الأمور في مجاريها ) وهو اختصار لاقتراح الأستاذ . أما في غير المجال الاقتصادي فقد تترجم بـ ( دعه وشأنه ) أو ( أنت وشأنك ) .

٧ - ( ذات العلاقة ) هذه من التعبيرات التي استقبحها الأستاذ وفضل عليها ( ذات الشأن ) أو ( المعنية بالأمر ) والقول : ( الدول المعنية بالأمر ) تفضيل في محله . وقد يستغنى مع الزمن عن ( بالأمر ) ويكتفى بـ ( الدول المعنية ) فيصبح التعبير أوجز .

وفي اللسان : « عنيت بحاجتك » أعنى بها ، وأنا بها معني ، على مفعول .... ويقال : هذا أمر لا يعنيني ، أي لا يشغلني ولا يهني .

(٨) رجل دولة : هذا تعبير حسن بليغ ، يؤدي المعنى المقصود منه على أتم وجه . فإذا قلنا : ( فلان رجل دولة ) معناه : أنه الرجل الذي يصلح أن يتولى الحكم . كما ان قولنا : ( فلان رجل الدولة ) معناه أنه القائم بأعباء الحكم ، الملقاة على عاتقه مهامه بحق .

ولا نرى أن ( السياسي الحنك ) الذي يقترحه الأستاذ ، تقوم هنا مقام ( رجل الدولة ) .

٩ - ( فلان استدارت شخصيته ) هذا تعبير يخالف الأستاذ فيه كل المخالفة . فالاستدارة والشخصية تعبير لا تستسيغه العربية ، فهو مخالف

لأسلوبها بجملة وبمفرده . والعربية غنية عن ( الاستدارة ) و ( الشخصية ) بكثير من تراكيبها ، نقول : هذا ( رجلٌ كلُّ الرجل ) ، و ( رجلٌ جيدٌ رجل ) و ( تام الرجلوه ) و ( كاملها ) ، و ( رجلٌ وحده ) و ( قريع دهره ) - الى عشرات من هذه التراكيب التي تدل على ( استدارة الشخصية ) . . . . . وتقني عنها .

١٠ - يقول الأستاذ فلسطين : ( وكثيراً ما يرد في مصادر القضايا الجنائية تعبير في وصف زيد من الناس دارت من حوله الشبهات ، وُظن أن له في القضية يدأ . وقد لاحظت أن المترجمين يضربون في ترجمة هذه العبارة في متاهات شتى . ففهم من يقول ( متورط ) ومنهم من يرى استعمال ( داخل ) أو ( مشارك ) لوصف من طاردته الاتهامات . وفي ظني أن خير ترجمة لهذه اللفظة هو ( له ضلع ) أو ( له يد ) .

عبارة الأستاذ يحتمل ظاهرها معنيين : التعبير القانوني ، أو التعبير الإنشائي ، أي الاستعمال المطلق غير القانوني . فان كان يريد هذا الأخير فكل الكلمات التي انتقدها صحيحة جائز استعمالها ، في المواطن التي يقتضيها المعنى وسياق الكلام ، كما ان ما يقترحه صحيح بليغ .

أما إذا أراد التعبير القانوني فلاحظته في غير محلها .

فالمشاركة في الجريمة ، غير المداخلة فيها . فهي حالات مختلفة ، لكل منها عقوبة تختلف عن أختها فلا يصح التعبير عنها تعبيراً واحداً ، فيقال لفلان ( ضلع ) أو ( يد ) قولاً مطلقاً في جميع الحالات ، وعلى الحصر في الحالتين اللتين أشرنا اليهما (١) .

(١) فالمعريك من يشترك مع الفاعل مشاركة ما كان الجرم لولاها ليم . وأما المتدخل فهو من يساعد الفاعل مساعدة بالواسطة . ولو قيل : الدخيل ، بدلاً من المتدخل ، فكان الاستعمال أفضل وأوزن .



١١ - المنهرجون : أطلقها السيد فلسطين على القوم يجمعهم المهرجان ، قال : وقد وافقه عليها الأستاذ تيمور . وهي لفظة نترك أمرها لرأي الجمهور . فقد يصلحها الاستعمال فتألفها الآذان ، فيستساغ مذاقها ، ويجوز استعمالها .

١٢ - أما « تحت الطلب » و « رهن الطلب » اللفظتان اللتان اقترحهما للواتي « يحترفن فنون الحب وتوجه الدعوة الهن بالهاتف » فقد يكون أصلح منها أن يقال : ( فتيات الهاتف ) أو ( بنات الهاتف ) أو ( بنيات الهاتف ) وهي الترجمة الحرفية التي أشار اليها الأستاذ . ولا غبار عليها من حيث المبنى والمعنى . وقد تكون ألطف وقمًا من ( تحت الطلب ) . هذه تعليقات، عابرة على ( الألفاظ المرتجلة ) .

عارف النكدي



## « كلمات » من المغرب الأقصى

كان الأمير شكيب أرسلان ، رحمه الله ، يقول : المغرب والمشرق في العروبة صنوان ، وقد جعل هذه القولة عنواناً لبعض مقالاته التي كتبها للدفاع عن عروبة المغرب وأصالة بنييه في التمسك بلغة الضاد تمسكاً جعل منها اللغة القومية الوحيدة التي احتضنت تراثهم الأدبي والعلمي والفني منذ الامتداد العربي الأول إلى الآن ...

وكانت العوامل الإقليمية في الوطن العربي الفسيح الأرجاء 'تحمي' وتحمي من الألفاظ والتراكيب ما لا عدد له ، فتحيا كلمة عربية في القيروان أو في فاس أو قلستان أو قرطبة أو غرناطة ، بينما تموت في دمشق أو بغداد أو القاهرة ، والعكس واقع أيضاً .

وجاءت راجفة الامتداد التركي وقبعتها رادفة الاستعمار الأوربي فكانت كل منها للعربية بالمكيال المعروف ، وزاحت كلتاها اللغة القومية في الماديات والمعنويات ، لكن لغة الضاد أقوى وأعمق من أن تكون فريسة راجفة من الرواجف ، أو ضحية رادفة من الروادف ، وكان لسان حالها يقول :  
كنّا طحـ صخرة يوماً ليؤهنها فلم يضرها وأوهى قرنّه الوعل'

ولعله قد حان الوقت ليصفي العرب حسابهم مع الطفيليات اللغوية التي نشأت هنا وهناك ، ولينظروا بعوي وتبصر في قائمة الأموات والأحياء هنا وهناك ، وليتمهدوا للضعيف ، ويقوموا بالمعوج ويقبّسوا ويعربوا باختيارهم ما هم في حاجة إليه من مصطلحات الحضارة التي نعيش فيها ، والثقافة التي نفكر بها .

ويجب أن تكون عملية النصفية والتعمد نتيجة لعملية تسبقها وهي عملية الإحصاء والجمع والاطلاع والدراسة لكل الألفاظ والتعابير المستعملة حالياً في الوطن العربي بشرقه ومغربه .

ففي اللهجة التي نسميها دارجة أو عامية ألفاظ ومصطلحات حية مانت في المعاجم والمراجع وعند امعان النظر فيها نجد لها عريضة المبنى والمعنى ولكنها ليست قاموسية .

وفي الأمثال التي نسميها دارجة أو عامية الشيء الكثير من هذا القبيل . وأنا شخصياً قد وجدت مادة خصبة عندما كنت أجمع الأمثال المغربية .

وليس في هذه العملية إحياء للهجات العامية على حساب اللغة العربية ، وليس فيها خطر على لغتنا القومية الفصحى التي هي لغة الضاد ، ولكن فيها شيء آخر هو إحياء ما أماتته المعاجم من الألفاظ الفصحى .

وقد ارتأيت أن أبدأ بتقديم كلمات من المغرب الأقصى لها مدلول خاص توارثه الخلف عن السلف واستعمله المغاربة في آثارهم الأدبية والعلمية والفنية منذ قرون ، وما زال هذا المدلول معروفاً إلى الآن بينهم .

وفي الوقت نفسه أربط الصلة بين المدلول الاصطلاحي والمدلول اللغوي وأعني به القاموسي إذ دائرة اللغة أوسع من دائرة القواميس .

وأمل أن تجد هذه الفكرة صداها عند المعنيين بالحفاظ على اللفظ العربي في حاضره ومستقبله لتتقدم للأجيال المقبلة لغة محددة الألفاظ والمعاني ، ومعاجم جامعة لكل التراث الذي اشتركت في تكوينه عبقریات من مشرق العروبة ومغربها .

## القيسارية

في التنظيم العمراني للمدن المغربية القديمة منها والحديثة نجد السوق المركزية لأنواع الثياب وأصناف البزّ يطلق عليها اسم القيسارية . وتحتل هذه السوق مكانة مرموقة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان المدن المغربية لا سيما في العصور القديمة حيث كانت أثمان البزّ بمنزلة «البورصة» المنتوجات المغربية في الميدان الفلاحي والصناعي ، كما أن تجار هذه السوق كانوا يمثلون المنصر النشط في الحياة المغربية العامة . لهذا نجد المؤرخين لمدينة فاس لا يذسون الكلام على هذه السوق وتاريخ تأسيسها وما يتعلق بها من قضايا ومشاكل شغلت الفكر العام ودفعت العلماء الى التأليف والفتوى فيمن يجوز اعتباره بهذه السوق ، ومن يُمنع من ذلك لاعتبارات خاصة .

كما أن الرحالين والجغرافيين الذين تسكّموا على مدينة فاس ومراكش لم يهملوا الحديث عن القيسارية وحوانيتها وتجارتها وما يعرضون من أنواع مختلفة من ثياب الصوف والقطن والحرير .

غير أن هناك شيئا أساسيا من ناحيتي البحث اللغوي والعلمي يتعلق بكلمة قيسارية أهمل إهمالاّ عند الباحثين المتقدمين ولا سيما رجال المعاجم والمراجع مما جعلنا نتساءل عن هذه الكلمة :

ما أصلها ؟

أهي قيسارية أم قيسارية ؟

وهل هناك علاقة بينها وبين قيصير ؟

وما شأن هذه الألف التي جاءت بعد السين أو الصاد ؟

كل هذه الأسئلة تثيرها كلمة قيسارية .

والمعاجم التي بين أيدينا لها موقف معروف من هذه الكلمة ، فتارة تهملها إهمالاً فلا تذكر لها اسماً ولا مُسَمًّى وتارة تشرح المسمى وتهمل الاسم وأصله ، وتارة تشير الى أنها محرفة عن القيصرية .

ونحن في هذا التحقيق اللغوي حول هذه الكلمة يجب أن نجعل أمامنا هذه النتائج التي وصلنا إليها بعد الاستقراء والتتبع للكلمة عند المؤرخين والرحالين واللغويين والمؤثقيين ، وذلك قبل أن نذكر الدليل .

لا علاقة لغوية بين كلمة قيسارية وكلمة قيصر .

لا علاقة لغوية بين المدينتين : قيسارية الشامية وقيسارية الرومية اللتين ذكرهما ياقوت الحموي في معجم البلدان وبين كلمة قيسارية التي استعملها الأندلسيون والمغاربة اسماً للسوق المعروفة عندنا وعندهم .

ان المؤرخين والرحالين الذين كتبوا عن القيسارية حافظوا على رسمها بالسين ولم يشذوا عن ذلك ، فيما نعلم ، إلا صاحب الاستبصار وهو من رجال العصر الموحدي ، فقد رأيناها عنده ص ( ١٤٠ ) مكتوبة بالصاد ، مع أنه كتبها مرة أخرى في نفس الكتاب بالسين . ولعل ذلك تصحيف . هذه هي النتائج التي هدانا إليها البحث عن أصل الكلمة ؛ وبطبيعة الحال لا بد للباحث أن يشرح دليلاً شرحاً يعطي للنتائج قيمتها اللائقة بها . وكلمة قيسارية كلمة عربية المبنى والمعنى دخلها تغيير بسيط وهو زيادة الألف فقط . وذلك أننا نجد في اللغة القَيْسَرِيَّة بمعنى الكبير <sup>(١)</sup> . فالرجل القَيْسَرِيَّة والسوق القَيْسَرِيَّة يعني الرجل الكبير والسوق الكبيرة أو العظيمة . ولعل الأصل في هذا الاستعمال اللغوي الفصح انهم كانوا يقولون :

السوق القيسرية أول الأمر ، ثم حذفوا الموصوف واقتصروا على الصفة كما هو الشأن في كثير من الأعلام الاصطلاحية حيث تلعب الصفة دورها الأساسي في غيبة الموصوف .

وإذن فلا مجال هنا للصاد ولا لقيصر . فالكلمة عربية في أصلها واستعمالها ولو كره أصحاب المعاجم والمراجع الذين أهملوها إهمالاً أو ذكروا المسقى دون البحث في الاسم وأصله اللغوي الصحيح .

على أن هناك ملاحظة لا بد من الإشارة إليها وهي هذه الألف التي جاءت بعد السين ما شأنها ؟

والحقيقة التي يصل إليها الباحث بالتتابع لرسم الكلمة عند المتقدمين والمتأخرين ، ولا سيما في رسوم الأملاك والعقارات والأحباس ، هي أن الألف زيدت على ألسنة العوام ثم انتقلت إلى الأقلام على مر العصور والأجيال . والغريب المستغرب أفني وقفت على كتابتها بدون ألف بخط بعض المحققين من علماء وموثقين فيقولون مثلاً :

« الحانوت الرابعة عن يمين الداخل للقيصرية » بلا ألف ، وهذا دليل على أنهم كانوا يعرفون ، في الغالب ، الأصل اللغوي الصحيح للكلمة . هذا تحقيق لغوي لكلمة القيسارية ، أما دور هذه السوق في الحياة الاجتماعية والفكرية فله قصة أخرى ستعرفها فيما بعد .

## الْمَخْزَن

في التنظيم السيامي والإداري للمغرب الأقصى نجد كلمة « مخزن » تعني الحكومة وسلطانها التنفيذية بمصالحها ومظاهر نفوذها في الشرطة والجيش ورجال الحكم الممثلين لها في المدن والأقاليم ، بل حتى في بعض العادات والتقاليد وهيئة اللباس وأسلوب الرسائل والمخاطبات ونظام الحياة العمرانية في البناء والزخرفة في الدور والقصور وغيرها .

فالمخزن يعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية .  
 والمخزن يجمع الجيوش وينظم القلاع والحصون .  
 والمخزن يؤدب العصابة ويحكم بين الناس بالعدل .  
 والمخزن يسهر على حماية الأمن الداخلي والخارجي للبلاد .  
 والمراسلات المخزنية تكتب بأسلوب خاص بلغ النهاية في الجودة والدقة  
 وامتثال المحسنات البديعية مع الاصطلاحات الخاصة التي صارت من التقاليد  
 المغربية المعروفة عند رجال المخزن .

وكلمة « مخزن » اسم مكان من ( خزن يخزن ) كما هو واضح أما كيف  
 أصبح يدل اصطلاحياً على الحكومة فهو ما سنحاول اجماله في هذه السطور .  
 في تاريخ المغرب السياسي لا نجد ظلاً لهذه الكلمة على عهد دول الإدارة  
 والمرابطين والموحدين . ولكننا نجدها في دولة بني الأحمر بغرناطة وعند  
 وزيرهم لسان الدين بن الخطيب في كتابه « الإحاطة » على الأخص .  
 ودولة بني الأحمر ووزيرها لسان الدين بن الخطيب عاصرا دولة بني  
 مرين في فاس . ووجود الكلمة في قلم ابن الخطيب أولاً معناه أن الاصطلاح  
 كان أندلسياً أولاً ثم مغربياً ثانياً .

وابن خلدون وهو معاصر لابن الخطيب ومن كتاب دولة بني مرين لم  
 يستعمل كلمة « مخزن » فيما نعلم من آثاره .

ومن أجل ذلك نستنتج أن هذا الاصطلاح انتقل من الأندلس إلى  
 المغرب في أواسط القرن الثامن الهجري على عهد بني مرين .  
 ولا نشك أن الاطلاق كان من أجل أن الحكومة كانت لها ( مخازن )  
 للسلاح والميرة والمال . وتلك المخازن هي رصيد قوتها ودليل وجودها  
 واستمرارها في نظر أصدقائها وخصومها .

ومن أجل أن « المخزن » قوام الحكومة أطلق عليها وصارت  
 لا تعرف إلا به .

وبدأت كلمة « مخزن » قديماً لتفسح الطريق أمام كلمة « حكومة » في السنوات الأخيرة .

### السَّيْبَة

كانت الأقاليم التي تشق عصا الطاعة على الحكومة الشرعية « المخزن » يقال لها أقاليم السَّيْبَة أو بلاد السَّيْبَة ، ثم صارت هذه الكلمة تعني الفوضى واضطراب الأمن والنظام .

ولا شك أن المادة لغوية قاموسية فسَّابَ الماء : جرى وذهب كل مذهب ، والسَّابَة في الجاهلية الناقة التي تُسَيَّب أي تُهْمَل وتُتْرَك لِتَنْذِرٍ أو نحوه .

فالكلمة إذن عربية المبنى والمعنى فهي إذن اسم مَرَّة أي فَعْلَة من سَابَ يسيب ، ثم حُرِفَتْ بكثرة الاستعمال فَكُسِّرَتْ سينها بعد الفتح .

### المَشْوَر

تطلق هذه الكلمة في المغرب ، وقد أُطلقت في الأندلس من قبل ، على الرحاب الواسعة التي يتخطاها الزائر قبل أن يدخل إلى القصر الملكي « دار المخزن » .

وتكون هذه الرحاب عادةً محل وقوف الحراس والجنود واستعراض خيل « المخزن » وجنده في الأعياد والمواسم والحفلات .

وفي القواميس نجد المَشْوَر بالالف المكان الذي تُعرض فيه الدواب . فهل يكون الاصطلاح المغربي جاء من هنا حيث أن رحاب « دار المخزن »



تعرض فيها الخيول ؟ ثم حُرِّفَت الكلمة فحُذِفَت أَلِفُهَا وَفُتِّحَت مِيمُهَا هذا احتمال أول .

وهناك احتمال آخر وهو أن كلمة « مَشَاوَر » اسم مكان من شَاوَرَ على غير قياس إذ القياس في اسم المكان من غير الثلاثي أن يكون على صيغة المصدر الميمي « مُشَاوَر » .

وهذا الاحتمال الثاني يؤديه أن زائر القصر لا بد أن يقف منتظراً في المشور نتيجة المشاورة التي يقوم بها حارس خاص يُسَمَّى « المشاوري » الذي يكون واسطة بين الزائر والمزور ، يعني يشاور المزور هل يمكنه استقبال الزائر في ذلك الوقت ؟

### الْمَرْوَزِيَّة

المروزية طعام مغربي يحضّر باللحم والزبيب وعدة توابل يسمى مجموعها « راس الحانوت » .

وهو منسوب إلى مدينة « مرو » الفارسية ولا شك أنه ينسب إلى هذه المدينة على القياس فيقال : مَروِي . وعلى غير قياس فيقال : مَرْوَزِي ، كما يقال في النسبة إلى الري رَازِي .

وقد حافظ المغاربة على هذه النسبة الغريبة منذ أقدم العصور إلى الآن . وما زالوا يستعملون المروزية إلى هذا الزمن .

عبد القادر زمام

فاس ( المغرب الأقصى )



## مصطلحات شدياقية

بين الآثار العديدة النفيسة التي خلفها جبار القرن التاسع عشر - كما يحلو للأستاذ شفيق جبيري أن يسميه - أحمد فارس الشدياق ، كتابان ضمهما في مجلد واحد ، سمى الأول منها : « الواسطة » ، في معرفة أحوال مالطة » ، وسمى الثاني « كشف المخضب » ، عن فنون أوربا <sup>(١)</sup> . وقد طبع الكتابان طبعة أولى ، لم أثر عليها ، ولم أعرف تاريخها ، ثم طبعا طبعة ثانية في عام ١٢٩٩ هـ ، في مطبعة الجوانب بالقسطنطينية . وقد اعتمدت الطبعة الثانية في هذا البحث .

الكتابان يدخلان في أدب الرحلة . وهو فن قديم معروف . وليس غرضي دراسة ما جاء في الكتابين ، فلا يتسع لذلك مقال في مجلة ، بل إنها خليقان بأن يفرد لهما كتاب برأسه أو أكثر ، لما تضمننا من المعلومات الجغرافية والتاريخية ، والاحصاءات العديدة ، والطرف الأدبية ، والفوائد اللغوية ، والإحاطة في وصف ما رأى المؤلف في دياره لم يكن يعرف عنها أحد من أهل المشرق شيئا ، والغوص على أخلاق الشعوب وخصائصها ومزاياها ومحاسنها ومساوئها ، والمقارنة بينها ، والدراسة للحياة الاجتماعية في مختلف مظاهرها ، وللأنظمة السياسية التي عرفها ، وللمناهج الثقافية التي اطلع عليها ، وغير ذلك مما حفل به الكتاب من ألفه إلى يائه . دون أحمد فارس ذلك كله بأسلوب اتسم بالجد حيناً ، واتصف بالتهكم أحيانا .

---

(١) كذا رسم « أوربا » بالألف ، والعرب رسمتها « أوربة » بالباء المربوطة . ثم إنه سمى كتابه في ص ٦٧ « كشف الخبا » ، عن قدن أوربا .

وما أعرف كتاباً من الكتب التي ألفت خلال القرن التاسع عشر ، في هذا اليسير الذي عرفت ، خلا من التكلف ، وتنزه عن الإسفاف في الأسلوب ، وبعث العربية بعثاً كان مزيجاً بين طبع العصر الأموي ، وتقيد العصر العباسي تقيداً مقبولا ، كهذا الكتاب الفريد ، وكالكتب الأخرى التي خلفها الشدياق .  
وانما غرضي أن أعرض ناحية من نواحي للكتاب تتصل بأهداف الجمع العلمي العربي ، وبأغراض مجلته : تلك هي المصطلحات الحديثة التي وضعها أحمد فارس في كتابه هذا .

عاش أحمد فارس في مالطة حيناً من الدهر أستاذاً للغة العربية ، في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فرأى في هذه الجزيرة مظاهر حضارة حديثة جاء بها الإنكليز الذين استعمروها ، وكانت هذه المظاهر متصلة بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها ، ثم رحل في عام ١٨٤٨ الى بريطانيا ، بجواز بلاد الفرنسيس . وأقام في الأولى عشرين شهراً أو أكثر ، وسكن الثانية مدة لم يحددها ، فرأت عينه ، ووعى عقله أموراً ليس لها وجود في بلاده التي فارقه ، فسجلها على النحو الذي بدا له ، فجاء بالعجب العجيب .

وآية أحمد فارس التي تميز بها بين الأقران ، أنه اصطدم بهذه المخترعات ، فدهش لفوائدها ، وعرف أنظمة الحكم السائدة يومئذ فادرك أسسها ومناهج تطبيقها ، ودرس ما في المجتمع كله دراسة عميقة كل العمق ، وأخذ بعد ذلك في تطويع لغة العرب لهذا الباب الضخم الذي فجأه ، وحده من غير أن يستعين بإنسان ، أو لجنة من اللجان . كان علمه وحده هو الذي أوحى بما وضع من مصطلحات .

أضف إلى ذلك أنه استعمل ألفاظاً ليست من المصطلحات الحديثة ، وانما هي ألفاظ عربية موجودة في المعاجم ، أهملها الناس فأحيائها .

ومها يكن من أمر ، فان أحمد فارس قد كان بفردده مجمعا علميا ، أصاب حظا من التوفيق مرات ، وأخطأه التوفيق مرات . وسترى من المفردات التي تتبعتها في هذا الكتاب وحده ، أنه قد سلك طرقا عدة : أولها — بحث ألفاظ عربية تقابل المصطلحات الأعجمية ، أو اعتقد أنها تقابلها .

ثانيها — الترجمة الحرفية ، وقد عمد إلى إيضاحها ليقينه أنها ستكون مغلفة على القارئ .

ثالثا — التعريب ، وإجراء الألفاظ المعربة على أوزان العربية إذا أمكن ، وإلا فابقاؤها على حالها .

رابعها — التعبير بجملة عن اللفظ حين الحاجة .  
خامسها — استعمال ألفاظ عامة درجت على الألسن وألفها الناس .  
واليك هذه الألفاظ كما وردت في ترتيبها بالكتاب ، وربما فاقني منها شيء لم أنقبه إليه :

١ — البسّال . داء المفاصل ص ١٤ Rhumatisme ، وقد اختير له اليوم لفظ الرثية .

٢ — فلانلة : Flanelle وقد سماها : غلائل الصوف ، ص ١٤ .

٣ — كشك<sup>(١)</sup> : Kiosque ، وسماها : روشن ص ١٨ . واللفظ يستعمله حتى اليوم أهل حمص وحماه ودير الزور لما يدل عليه اللفظ الأعجمي ، ويراد منه المأوى الذي يقام على ضفاف الأنهر ، أو في الحدائق ، من أعمدة خشبية ، ومن أوراق الشجر .

(١) كشك كما جاء في لاروس تركية ، والعرب سموه الجوسق وهو في معجم الألفاظ الفارسية من (جوسه) بمعنى القصر .  
(لجنة المجلة)

٤ - أَطَنَ الجرس : Sonner ص ٢٠ ، واصطلاح اليوم على لفظ « دَقَّ » بدل « أَطَن » وهو غير صحيح ، ولكن شاع استعماله ، وأضحى من ألفاظ المولدين .

٥ - المتشكزون : أراد بها : المواطنين الذي قلدوا الانكليز في لباسهم وعاداتهم ... ص ٢١ .

٦ - الكرنيفال : Carnaval - كذا رسمها بالياء . قال موضعاً ( ص ٢٣ ) : « ومن ذلك - أي اللهو - ثلاثة أيام في الرفع ، ويعرف بالكرنيفال ، وهي : الأحد والاثنين والثلاثاء . يلبس فيها الرجل كالمرأة ، والمرأة كالرجل ، ويتزيون بهيئات متنوعة ، وأشكال مختلفة ، ويفطون وجوههم يجلود على هيئة الوجه ، ويطوفون في المدينة حيارى سكارى ، ويسمون هذا التشكل مسكرة ، وكأنه محرف عن المسخرة ... »

٧ - الملهى : Théâtre ( ص ٣٤ ) قال : الملهى وهو المسمى عندهم بلفظة « الشياطر » أو « الشياطرو » . وردَّ إطلاقه هذا اللفظ الى نص عربي قديم جاء فيه : « والظاهر ان المسامين كانوا يطلقون على هذا الموضع اسم الملهى ، فقد كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب مانصه : اني فتحت مدينة المغرب وفيها أربعمئة ملهى » ١٠٠ . والمعروف اليوم : المسرح .

٨ - البدال : بيع الأطعمة ( ص ٢٥ ) صحح فيها ما جاء في القاموس من أن بيع الأطعمة هو البقال .

٩ - القَرَبَتَى : دكان البقال .

١٠ - مدرسة جامعة : Université ( ص ٢٥ ) .

١١ - المشائخ ج شيخ : Professeur ( ص ٢٦ ) . واستعمل في ص ١٢٥ لفظي : المعلم والأستاذ . وشاع اللفظان الأخيران في هذا الزمان ، واقتصر الأول على رجال الدين .

- ١٢ - دار كتب : Bibliothèque (ص ٢٦) ويقال اليوم أيضاً : مكتبة .
- ١٣ - المستشفى : أطلقه في ص ٢٧ على مأوى العجزة ، ووصف سكانه وصفاً بالغ التأثير . وسماه في مكان آخر : المارستان . راجع فقرة ١٣٥
- . Asile des vieillards
- ١٤ - الدستور : Constitution (ص ٢٩) .
- ١٥ - برنيطة : Chapeau (ص ٣١) وما رأيته استعمل لفظ «قبعة» أبداً .
- ١٦ - الخواتين ج خاتون : (ص ٢٣) وهو لفظ أعجمي ، معناه : المرأة ذات الصون . ونص عبارة القاموس : المرأة الشريفة . وما زالت مستعملة عند العامة في العراق حتى اليوم .
- ١٧ - الجُبَّات والجُبَّب ج جُبَّة : Pardessus (ص ٣٤) ، واستعمل الناس الآن لفظ : معطف .
- ١٨ - المتعة أو التسري : أراد بهما الزواج العرفي (ص ٣٨) Concubinage .
- ١٩ - بارون : Baron (ص ٤١) .
- ٢٠ - مركيز : Marquis (ص ٤١) .
- ٢١ - دكتور ودكتور : Docteur (ص ٤١) وجعل مؤنثها : دكاترية ص ١٧٥ . قال (ص ١٩٧) : « يوصف بها كل من الطبيب والرباني والفيلسوف على حد سوى » . والمشهور اليوم بالثناء لا بالطاء .
- ٢٢ - بوسطة المكاتب : Postes ص ٤٥ . وورد في ص ١٤٤ لفظ : البريد ، ولا يستعمل اليوم إلا اللفظ الأخير : البريد .
- ٢٣ - تقييد الصكوك : Notariat (ص ٤٥) . وسمى الكاتب بالعدل Notaire : كاتب الصكوك والعقود (ص ٢٢٨) .
- ٢٤ - الكرفنتينة : Quarantaine (ص ٤٥) واصطاح على تسميتها : الحجر الصحي ، أو العزل .

- ٢٥ - الحاكم : Gouverneur ( ص ٤٥ ) .
- ٢٦ - كاتب السر : Secrétaire ( ص ٤٥ ) .
- ٢٧ - ناظر الخزينة : Trésorier ( ص ٤٥ ) ويعرف اليوم باسم :  
خازن ، أو أمين صندوق .
- ٢٨ - مدير الحسابات : Directeur des finances ( ص ٤٥ ) ، ويسمى  
اليوم : مدير المالية .
- ٢٩ - مستوفي الأموال : Percepteur ( ص ٤٥ ) ويطلق عليه الآن  
لفظ : الجابي .
- ٣٠ - ناظر الجمر : Douanier ( ص ٤٥ ) .
- ٣١ - كبير القضاة : Juge suprême ( ص ٤٥ ) .
- ٣٢ - كبير الشرطة : Directeur de la police ( ص ٤٥ ) وهو  
اليوم : مدير الشرطة .
- ٣٣ - الجمعية : La hière ( ص ٤٦ ) .
- ٣٤ - هرموني : Harmonie <sup>(١)</sup> أوضحها بقوله : « أي ان الأصوات  
تتألف على الغناء » ( ص ٥٢ ) .
- ٣٥ - حافلة المُجيد : Diligence ( ص ٧٠ ) وأضاف في ص ٧١ :  
« حافلة المجد : المعروف بالدليجانس » ( كذا ) ولعله خطأ مطبعي ،  
فالصواب : المعروفة . فأما لفظ « حافلة » فلعل الشدياق أول من وضعه  
لوسائل النقل المشتركة وأضاف اليه « المُجيد » تعبيراً عن السرعة . وهو  
كما ترى وان كان ترجمه حرفية ، إلا أنها ترجمة موفقة .
- ٣٦ - قَبْوَة : Tunelle ( ص ٧٠ ) قال : « دخل الرتل - أي  
القطار - في قبوة مظلمة منقورة في الصخور فسار فيها نحو عشر دقائق ،
- (١) ونهاب اليوم بكلمة السجام واتساق . ( لجنة المجلة )

فكان أمراً عظيماً لمن لم يرمثه من قبل ، ( راجع فقرة رقم ١٨١ ) .  
واقترع الناس في هذا العصر على لفظ : نَقَقَ .

٣٧ - جرنال : Journal ( ص ٧٤ ) وسماها أيضاً صحيفة الأخبار  
( ص ١٦٢ ) . قال ( ص ٣٥١ ) : « ومعنى الجرنال يومية ، وهي لنظة  
فرنساوية » . ولا يستعمل الناس في هذا الزمان إلا لفظ : جريدة ،  
أو صحيفة .

٣٨ - فقهاء الشرع : Avocats ( ص ٧٤ ) وسماهم ( ص ٢٣١ ) وكلاء  
الدعوى . ويسمون اليوم : المحامون .

٣٩ - دوائي : Pharmacien ( ص ٧٤ ) وسماه : عقاقيري ( ص ٢١٨ )  
وسماه : صيدلي ( ص ٣٧٢ ) . وشاع استعمال الأخير وحده .

٤٠ - دواوين الميري : Ministère des finances ( ص ٧٥ ) وتسمى  
اليوم : وزارة المالية .

٤١ - القورمة : وهو لفظ عامي ، لعله تركي الأصل ، يراد منه :  
« اللحم الذي يقلى ويحفظ طول السنة » .

٤٢ - الميزر : La bière في القاموس : الميزر نبيذ الذرة والشعير .  
( ص ٧٨ ) راجع فقرة ٣٣ لفظ : الجمعة ) .

٤٣ - ميزان الهواء : Baromètre ( ص ٩١ ) ، ويسمى اليوم : مقياس  
ضغط الجو ، وسماه الأستاذ التنوخي : مضغط ، واختار لهذه الموازين  
المنتهية بـ Mètre وزن مفعال .

٤٤ - إبرة المغنطيس : Boussole ( ص ٩٨ ) ، وعرف باسم : بوصلة ،  
وحك ، وبيت الابرة .

٤٥ - رسم النقطة ( ص ٩٨ ) Fleur de lys . قال : « ولم يعلم مخترعه .  
وزعم الفرنسيون أنه من مخترعاتهم . وان رسم النقطة الأربع الأصلية انما



هو رسم عما يقال له ( فلور دولي ) أي : زهر السوسن ، انما هو رسم عما يسمى بالعربية موسالا<sup>(١)</sup> ( لعلمها مسلة ) ، وكانت العرب تتخذها لادارة الابرة . ا ه .

ولم أفهم المقصود ، ولعل أهل الاختصاص يوضحون ما أراد .  
٤٦ - أداة الابرة : Compas ( ص ٩٩ ) قال : « فأما اختراع أداة الابرة المسماة عند الافرنج بالكومباس . . . » ويسمى اليوم : فرجار ، أو بيكار ، أو دواة .

٤٧ - سكك الحديد : Chemins de fer ( ص ٩٩ ) .  
٤٨ - الرتل : Train ( ص ١٠٠ ) وقد ورد للمرة الأولى في ص ٧٠ ) ولا يعرف اليوم إلا باسم : القطار .

٤٩ - مجلس الشورى : Conseil d'administration ( ص ١٠٠ ) ، واصطلاح اليوم على تسميته : مجلس الإدارة .

٥٠ - مَرْجِيَّة Locomotive ( ص ١٠١ ) . قال : « وهي الآلة التي يقال لها انجن ( بالانكليزية ) Engine » وعرفت اليوم باسم : القاطرة .  
٥١ - التلغراف : Télégraphe ( ص ١٠٢ ) وشاع استعمال لفظ « البرق » للدلالة عليه .

٥٢ - كواغد مالية : Monnaie en papier ( ص ١٠٣ ) والمستعمل في هذا الزمان : الأوراق المالية .

٥٣ - المثابات الحافلة : Lieux publics ( ص ١٠٤ ) قال : « حيث يكثر تردد الخواتين للشراء وغيره . . . » وتعرف اليوم باسم : « الأماكن العامة » وأرى أن اصطلاح الشدياق أرشق .

(١) اللفظة الإيطالية Bussola ولها كانت الباء مبدلة من اليم موسالا أي مسلة ( لجنة المحلة ) وهي الابرة .

٥٤ - المرافد (ص ١٠٧) ، لم أفهم مراده . قال : « فأما نساء الفرنسيين ، فانهن أكثر زهواً واعجاباً من جميع نساء الافرنج . وقد كانت النساء هنا يرسلن على طلاهن سوائف مجمدة ، تفعل ذلك منهن الطويلة الشعر ، عجباً به ، فصرن الآن يسوينه منسرحاً على أفواذهن ، اقتداء بالملكة ، إلا ما ندر . ومثل هذه العادة في القلة عادة المرافد . » اهـ ولعل من عنده علمها يعلّمنا .

٥٥ - الظِّلَل ج ظِلَّة : Parasol ، للاتقاء من الشمس . وقال الفرنجي عما يتقى بها من المطر : Parapluie ، ونحن اليوم لا نفرق بينها فنسمي كليهما شمسية .

٥٦ - الجِلَاء (ص ١١٢) قال : « ليس لهم جِلَاء : أي لقب تعظيم » . وعبارة القاموس : « وما جلاؤه ؟ - بالكسر - أي : بماذا يخاطب من الألقاب الحسنة . » Titre de grandeur .

٥٧ - الرث (ص ١١٥) قال : « ومن طبع الانكليز الرث وهو البلادة وقلة الفطنة .. » ولم أجدها في المعاجم .

٥٨ - البيف ستيك (ص ١١٥) ، قال : « أعني شواء البقر المشرح » Beaf - stak ورسمه في ص ١٨٠ « بيفتك » .

٥٩ - جبني (ص ١٢٠) : أراد بها الجنيه ، ورسمها كما يلفظها الانكليز Guinée .

٦٠ - الملاكمة (ص ١٢٠) : Boxe .

٦١ - المسابقة : Escrime .

٦٢ - التفقه (ص ١٢٥) قال : « وان تكن - كمبريج - لا تشوق أحداً للسكنى فيها غير من يقصدها للتفقه في الفنون ... » كأنه أراد : الاختصاص Spécialisation .

- ٦٣ - الفقه ( ص ١٢٧ ) : Droit واصطلاح اليوم على إطلاق لفظ :  
حق ، بدلاً من الفقه .
- ٦٤ - صك ( ص ١٢٧ ) : Diplome ، وتعرف اليوم باسم : شهادة .
- ٦٥ - المندل ( ص ١٣٣ ) . قال : « ومنهن من تدعي احضار الغائب  
وتشخيصه لعين السائل في مرآة ونحوها كما في مندل مصر » . والمندل  
معروف في بلاد الشام بهذا المعنى أيضاً . وهو من ألفاظ المولدين .
- ٦٦ - مجلس المشورة ( ص ١٣٦ ) : Parlement ، وصفه في ص ١٤٦  
بقوله : « النائب عن الجمهور » . قال في ص ٣١٣ و ٣١٤ : « واعلم  
أن أهل المجلس ينقسمون الى قسمين : « الأول يقال له مجلس الأعيان  
Chambre des Lodes والثاني مجلس النواب Chambre des Communes... »  
وقد ألف الناس لفظ ( البرلمان ) المعرب في هذه الأيام .
- ٦٧ - المُنْشَبِت ( ص ١٣٦ ) : Anesthésique ، وقد اختير له في  
هذه الأيام لفظ « المخدر » .
- ٦٨ - الجوري ( ص ١٣٦ ) : Jury ، وهم المعروفون اليوم بالمحلفين .
- ٦٩ - الفقهاء : علماء القانون ( ص ١٣٧ ) : Juriste .
- ٧٠ - المجلة ( ص ١٣٧ ) ، قال : « المجلة التي يسمونها مكنا كارتا  
Magna carta وترجمتها الحرفية : الميثاق الكبير ، وهي بمعنى الدستور .
- ٧١ - الصك ( ص ١٣٧ ) ضبط Procès - verbal ، ويسمى اليوم : الضبط .
- ٧٢ - الشرع ( ص ١٣٨ ) القانون Loi . وغلب اليوم استعمال اللفظ  
الثاني : القانون .
- ٧٣ - المناصع ( ص ١٣٩ ) : Pissoires publiques — urinoires .  
قال ( ص ٢٧٣ ) : « هي المواضع التي يتخلى فيها الانسان للبول أو لقضاء  
الحاجة » . وهذا نص عبارة القاموس .

- ٧٤ - كُتَّاب الصكوك : Notaires ( ص ١٤٠ ) ، ويعرفون اليوم باسم : الكتاب بالعدل . وفي الشمال الافريقي باسم : الموثقوث .
- ٧٥ - الأحكام الديوانية ( ص ١٤٠ ) : Arrêté administratif ، واصطليح اليوم على تسميتها : القرارات الادارية .
- ٧٦ - الامضاء ( ص ١٤٢ ) : Signature .
- ٧٧ - شرطة الديوان ( ص ١٤٥ ) : Police Secrète « وسماها « الثقاف » (ص ٣٠٣) قال : « ومن هؤلاء الشرطة من يتزيا بزى العامة حتى لا يكون معروفاً ويسمى الثقاف . . . » ولم أجده في المعاجم . وتعرف اليوم باسم : الشرطة السرية ، أو شرطة المباحث .
- ٧٨ - الطابع ( ص ١٤٧ ) : Timbre .
- ٧٩ - صاحب البوسطة : Directeur des postes ، ص ١٤٧ .  
ويسمى اليوم : مدير البريد .
- ٨٠ - بنك ( ص ١٢٧ ) : Banque . وسماه المصرف ( ص ٢٤٦ ) .
- ٨١ - الديوان ( ص ١٤٨ ) : كأنه أراد به النيابة العامة أو قاضي التحقيق .
- قال : « وليس للشرطي حق أن يدخل بيت أحد إلا بأذن الديوان لسبب خطير . . . » Parquet — Juge d'Instruction .
- ٨٢ - ديوان المشورة ( ص ١٤٩ ) : كأنه يعني مجلس العموم . قال : « حتى ان ديوان المشورة لا يبت شيئاً إلا بعد استقراغ الكلام فيه . . . »  
Chambre des Communes .
- ٨٣ - ناظر ( ص ١٥١ ) : وزير ، Ministre ، « ناظر الخارجية » .
- ٨٤ - ناظر ( ص ١٥١ ) : رئيس ، Président ، « ناظر مجلس المشورة » .
- ٨٥ - تذكرة ( ص ١٦٠ ) : Carte visite ، قال : « لا بد من أن يعطي - الزائر - الحاجب تذكرة مكتوبة باسمه فيناولها الخادم سيده في صفحة من الفضة . . . » . وشاع اليوم استعمال لفظ « بطاقة » بدلاً من تذكرة .

- ٨٦ - جنتل مان ( ص ١٦٢ ) : Gentilman قال : « أي متخصصاً متصفاً بصفات الخاصة » ، واشتق منها « الجنتلمانية » ص ١٦٤ .
- ٨٧ - المنتدى ج منتديات ( ص ١٦٩ ) : Club . قال : « المنتديات أي الكلوب » .
- ٨٨ - "نجي" ( ص ١٧٠ ) : Secrétaire ، ويسمى اليوم : أمين سر ، كاتب ، أمين .
- ٨٩ - كُتّاب الحوادث ( ص ١٧٠ ) : Rédacteurs . كأنه أراد به : محرري الصحف . ويعرفون اليوم باسم : المنشئين .
- ٩٠ - حصص مضاربة ( ص ١٧١ ) : Actions . وقد عرفت في هذه الأيام بالأسهم .
- ٩١ - ديوان الحكم ( ص ١٧٣ ) : Justice .
- ٩٢ - الجهاز ( ص ١٧٣ ) : Dot .
- ٩٣ - قمر العسل ( ص ١٧٤ ) : Lune de miel ، واصطلح على ترجمتها بتعبير : شهر العسل .
- ٩٤ - الـمت ( ص ١٧٦ ) : La dame . ولا أدري لماذا لم يقل : السيدة !
- ٩٥ - السهرية ج السهريات : Bal - soirée .
- ٩٦ - الكمفورت ( ص ١٧٩ ) : Confort . قال : « وهذا هو أوفر الهناء الذي يعبرون عنه بلفظة كمفورت » .
- ٩٧ - هسبيتاليتي ( ص ١٩٧ ) : Hospitalité . قال : انهم يقتضرون بالهسبيتاليتي وهي قيرَى الضيف وبرّ الغريب .
- ٩٨ - طوست ( ص ١٧٩ ) : Toast ، قال : « ومن هنا جرت العادة عند الانكليز أن يشربوا على ذكر احدى الخواتين ويقال لها : طوست ... » .
- م ( ٦ )

- ٩٩ - ركطر القرية ( ص ١٨٦ ) : شيخ البلد Rector .
- ١٠٠ - ضابط البلد ( ص ١٨٦ ) Maire . ويعرف اليوم باسم : مختار ، أو عمدة .
- ١٠١ - ديوان الأسقف ( ص ١٨٦ ) : Tribunal - Conseil - Ecclésiastique . المحكمة الروحية .
- ١٠٢ - المزمره ( ص ١٩٤ ) : Hypnotisme . قال : « وهي امرار اليد على وجه انسان حتى يفتيق عن الإدراك ، وهي نسبة الى رجل نمساوي اسمه مزمر ، فاشتقوا منه فعلا . يقال : مزمره أي عالج به امرار اليد . . . » . وقد اصطلح على تسميتها في هذه الأيام بالتنويم المغناطيسي . وسماه ( ص ٢٥٢ ) السمننبول Somnambule ، وواضح أنه يعني المشي في النوم <sup>(١)</sup> ، وهو غير التنويم المغناطيسي .
- ١٠٣ - كاتب الجمعية ( ص ١٩٨ ) : Secrétaire .
- ١٠٤ - مستر ( ص ١٩٨ ) : Mister .
- ١٠٥ - قاعة البلد ( ص ٢٠٠ ) : Hôtel de ville . وتسمى اليوم : دار البلدية .
- ١٠٦ - جعل ( ص ٢٠٦ ) : Taxe ، ولا يستعمل الناس في هذه الأيام إلا لفظ : رسم .
- ١٠٧ - الجمعية ( ص ٢٠٧ ) : Société ، ولعلها هنا بمعنى الشركة .
- ١٠٨ - كاتب ديوان التلغراف ( ص ٢٠٧ ) : Télégraphiste ، ويسمى اليوم : موظف البرق ، أو مبرق .

(١) وأطلق عليه الأستاذ ساطع الحصري اسم السرمنة أي السير في المنام .  
( لجنة المجلة )

- ١٠٩ - الطائرة ( ص ٢٠٩ ) : Avion ، وما أدري إذا كان قد عني الطائرة المعروفة اليوم . ففي وصفها ، كما أورده ، التباس واضح .
- ١١٠ - آلة تنقط الحبر على ورق ( ص ٢١٠ ) : من أدوات البرق ، ولم أعرف مقابلا .
- ١١١ - المكتبة الموقوفة ( ص ٢١٠ ) : Bibliothèque Nationale ، واصطلح اليوم على تسميتها : المكتبة الوطنية .
- ١١٢ - الكنارة ( ص ٢١١ ) : Clarinette .
- ١١٣ - النيشان ( ص ٢١٢ ) : Médaille ، وعرف في هذه الأيام باسم : وسام .
- ١١٤ - دوفان ( ص ٢١٢ ) : Dauphin ، وهو ولي العهد .
- ١١٥ - الألواح ج لوح ( ص ٢١٤ ) : Pancarte ، وشاع اليوم اسم : لافتة ، أو لوحة إعلانات .
- ١١٦ - مُتْنَعَف ( ص ٢١٥ ) : Musée .
- ١١٧ - عَيْنَبَة ج عياب ( ص ٢١٦ ) : Valise ، وغلب اليوم استعمال لفظ : حقيبة .
- ١١٨ - جواز ( ص ٢١٦ ) : Passe - port ، قال : « واعلم أنه من يدخل فرنسا فلا بد له من أن يبرز جوازه في الثغور ، أي : الباسبورت » .
- ١١٩ - ديوان الخزانة ( ص ٢٢٠ ) : Trésorerie ، ودرج اليوم استعمال لفظ : الخزانة ، والخزينة .
- ١٢٠ - البلفار ( ص ٢٢١ ) : Boulevard ، ويستعمل اليوم الناس لفظ : الجادة ، مقابلا له .
- ١٢١ - الأَزْج آزاج أو القنطرة ( ص ٢٢٥ ) : Arc ، وغلب لفظ « قوس » اليوم على ما عداه .

١٢٢ - كارتيه (ص ٢٢٦) : Quartier ومعناه : حي\* ، وأصله أن باريس لما بنيت بعد أن أحرقها النورمان ، كانت أربعة أحياء ، فأطلق على كل حي لفظ كارتيه أي الربع .

١٢٣ - هوتيل دوفيسل (ص ٢٢٦) : Hôtel de Ville ، راجع فقرة (١٠٥) .

١٢٤ - بستان النباتات (ص ٢٢٦) : Jardin botanique ، واصطلاح اليوم على تسميتها : حديقة النبات .

١٢٥ - غيضة شانزلزي (ص ٢٢٦) : Champs Elysées . وسماها (ص ٢٤٠) : غيضة الأصفياء .

١٢٦ - بالي روابال (ص ٢٢٧) : Palais Royal يعني : القصر الملكي .

١٢٧ - مجلس المشورة العام (ص ٢٢٧) : Parlement (راجع فقرة ٦٦) .

١٢٨ - سقيفة ، معبر (ص ٢٢٧) : Passage .

١٢٩ - النفل (ص ٢٢٨) : Batard .

١٣٠ - ذوو الأحكام النظامية (ص ٢٢٨) : Avocat . قال : « وفي باريس تسعة آلاف من ذوي الأحكام النظامية ، وهم أهل علم ودراية ... » (راجع فقرة ٣٨) .

١٣١ - مكتب (ص ٢٢٨) : Communal (كومونال) .

١٣٢ - انستيتوسيون (ص ٢٢٨) : Institution . وتسمى اليوم : مؤسسة .

١٣٣ - مراب (ص ٢٢٨) : Pensions . قال : « وفي باريس ألف وسبعة مراب ويقال لها بنسيونات » . ولم أعرف اشتقاقها بالمربية<sup>(١)</sup> .

١٣٤ - قابلة (ص ٢٢٨) : Sage - femme .

(١) مراب جمع سربي : مكان العيش والزينة ، ويطلق أيضاً على Pension كلمة سكنة لأن أصحاب الدار يكفلون معيشة المستأجرين . (لجنة المجلة)



- ١٣٥ - مارستان ( ص ٢٢٨ ) : مأوى عجزة Asile des vieillards .
- ١٣٦ - مجزر ج مجازر ( ص ٢٢٩ ) : Abattoire . ويسمى أيضاً : مسلخ .
- ١٣٧ - الهال ( ص ٢٣٠ ) : Halles .
- ١٣٨ - حقة النساء ( ص ٢٣٠ ) : Sac .
- ١٣٩ - مشيخة ( ص ٢٣٠ ) : Académie . وسماها أيضاً : مشيخة للعلوم ( ص ٢٥٨ ) . واتفق على تسميته اليوم : مجمع :
- ١٤٠ - ميداي ( ص ٢٣٠ ) : Médaille . ( راجع فقرة ١١٣ ) .
- ١٤١ - الكومسيون ( ص ٢٣١ ) : Commission ( العمولة ) .
- ١٤٢ - المصور على نور الشمس ( ص ٢٣١ ) : Photographe .
- واقترع اليوم على لفظ : مصور .
- ١٤٣ - موقف سكة الحديد ( ص ٢٣١ ) : Gare . وعرف اليوم باسم : محطة .
- ١٤٤ - المجلس ( ص ٢٣٢ ) : Assemblée .
- ١٤٥ - أوبرا ( ص ٢٣٢ ) : Opéra .
- ١٤٦ - ثريا ، نجفة ( ص ٢٣٢ ) : Lustre .
- ١٤٧ - المكس ( ص ٢٣٢ ) : Taxes municipales البلدية الرسوم .
- ١٤٨ - دين الأمة ( ص ٢٣٣ ) : Dette nationale .
- ١٤٩ - وزير ( ص ٢٣٣ ) : Ministre .
- ١٥٠ - مجلس المشورة العام والخاص ( ص ٢٣٣ ) : Chambre . Sénat .
- ١٥١ - رتاج ( ص ٢٣٣ ) : Entrée . ويقال له اليوم : مدخل .
- ١٥٢ - بواب ( ص ٢٣٣ ) : Concierge .
- ١٥٣ - مصب للماء ( ص ٢٣٥ ) : Siphon . ويسمى اليوم : سحارة ، ومص .

- ١٥٤ - دفتر ( ص ٢٢٦ ) : Carte - Menu . قال : « وأول ما يجلس المستطعم يأتيه الخادم بدفتر فيه أسماء الطعام . . . » ويعرف اليوم باسم قائمة الطعام ، وعرب فعرف الناس لفظ ( كارت ) .
- ١٥٥ - مائدة عمومية ، تأبل دوت ( ص ٢٢٧ ) : Table d'hôte . قال : « ان بعض الديار يصنعون مائدة عمومية يسمونها تأبل دوت ، أي : مائدة الضيوف . . . » .
- ١٥٦ - أرباب الرئاسة ( ص ٢٣٧ ) : Police municipale . قال : « واعلم أن أرباب الرئاسة هنا يتعهدون صحة الرعية فيما يباع من المأكول والمشروب . . . » والتعبير غريب ، ولا فندري كيف ولماذا وضعه ! . ويقال لهم اليوم : الشرطة البلدية .
- ١٥٧ - تأبلو فيفان ، الصور الحية ( ص ٢٣٩ ) : Tableau vivant .
- ١٥٨ - جاردن ( ص ٢٤٠ ) : Jardin ، وتعرف اليوم باسم : حديقة .
- ١٥٩ - المجلس الخاص ( ص ٢٤٥ ) : Sénat . وأطلق عليه اليوم اسم : مجلس الشيوخ ، أو الأعيان .
- ١٦٠ - ديوان الحسابات ( ص ٢٤٥ ) : Cour des comptes . ويسمى اليوم : ديوان المحاسبات .
- ١٦١ - دار مجتمع العلماء ، انستيتو ( ص ٢٤٥ ) : Institut . وعرف اليوم باسم : معهد .
- ١٦٢ - دار السكة ( ص ٢٤٥ ) : Hotel de la monnaie . ويسمى : دار المسكوكات .
- ١٦٣ - المصر ( ص ٢٤٦ ) : لعله أراد به المصفق Bourse . قال : « المصر ، أي مجمع التجار . . . إذا سمعهم أحد ظن أنه بين نور تهمهم . . . » وفي ( ص ٣٥٨ ) : البورس .

- ١٦٤ - بارجة ( ص ٢٤٨ ) : Cuirassée .
- ١٦٥ - مادام ( ص ٢٥٧ ) : Madame .
- ١٦٦ - إعلام ( ص ٢٥٩ ) : Affiche . ويقال اليوم : اعلان .
- ١٦٧ - أهل الشورى ( ص ٢٦١ ) : Députés . ويسمون اليوم : النواب .
- ١٦٨ - الحليل ( ص ٢٦٢ ) : Nation . ولا يعرف اليوم لها مقابل إلا لفظ : الأمة .
- ١٦٩ - نقود زائفة ( ص ٢٧١ ) : Fausse - monnaie .
- ١٧٠ - كواغد بنك مزورة ( ص ٢٧١ ) : Faux billets de banque .
- أوراق مزورة .
- ١٧١ - ديوان المدينة ( ص ٢٧٢ ) : Municipalité . وتسمى اليوم : البلدية .
- ١٧٢ - ناظر المكتبة ( ص ٢٧٣ ) : Bibliothécaire . واصطلاح اليوم على تسميته : القيتم .
- ١٧٣ - معرض التحف ( ص ٢٧٥ ) : Exposition . قال : « وهو المسمى عند الفرنسيين اكسبوزيسيون » . وعرف اليوم باسم : معرض .
- ١٧٤ - وكيل دولة ( ص ٢٧٦ ) : Représentant<sup>١</sup> . ويعرف اليوم باسم : ممثل .
- ١٧٥ - أصونة ومخادع ( ص ٢٧٦ ) : Pavillon . ويعرف اليوم باسم : جناح ، راية ، خيمة ، فسطاط .
- ١٧٦ - التصوير السخري ( ص ٢٧٧ ) : Caricature .
- ١٧٧ - المنطاد ( ص ٢٧٧ ) : Ballon .
- ١٧٨ - رئيس كتاب الدولة ( ص ٢٧٩ ) : Président du Conseil .
- Premier Ministre . وما زال هذا الاصطلاح مستعملاً حتى اليوم في تونس .
- وقد اختارت بقية الأقطار العربية لفظ : ( رئيس مجلس الوزراء ) .

- ١٧٩ - كالن ( ص ٢٩١ ) : Galon .
- ١٨٠ - التريمة ( ص ٢٩٢ ) : Place . وتسمى اليوم : موقع ، موضع ، مكان ، ساحة ، ميدان .
- ١٨١ - المجاز ( ص ٢٩٦ ) : Tunelle . قال : « ومعنى الطنل : القبر أو السُرْب أو النفق » . ( راجع فقرة رقم ٣٦ ) .
- ١٨٢ - ورقة مطبوعة ( ص ٢٩٨ ) : Ticket . قال : « ومتى دخلت العاجلة أعطاك السائق ورقة مطبوعة .... » .
- ١٨٣ - الغمان ( ص ٢٩٩ ) : Assurance . وقد يسمى اليوم : التأمين .
- ١٨٤ - جمعية شرعية ( ص ٢٩٩ ) : Société ( بمعناها التجاري ) . ولا يطلق عليها اليوم إلا لفظ : شركة .
- ١٨٥ - العراف ( ص ٣٠٠ ) : Banquier .
- ١٨٦ - الكنج اكنان ( ص ٣٠٥ ) : Loge ( للمسرح ) ويسمى اليوم : مقصورة . Orchestre الحضيض
- ١٨٧ - لاعب ولعبة ( ص ٣٠٥ ) : Acteur, actrice . ويستعمل اليوم لفظ : ممثل .
- ١٨٨ - « وقد يوارون شخصاً بيده الكتاب الذي تحفظ منه تلك الحكايات في مكان حق اذا ذهل المتكلم عن شيء رده » ( ص ٣٠٦ ) Souffleur . ويسمى اليوم : الملحن .
- ١٨٩ - تراجميدي ( ص ٣٠٧ ) : Tragédie . واصطلاح على تسميتها اليوم : المأساة .
- ١٩٠ - كوميدي ( ص ٣٠٧ ) : Comédie . واصطلاح على تسميتها اليوم : الملهة .
- ١٩١ - « ومن أعجب ما يرى من أحوال هؤلاء اللاعبين واللاعبات

هو أن الشيخ منهم يتفق في زيه وأطواره وكلامه حتى لا تحسبه لإفقي ،  
والفقي يتشيخ بحيث تحسبه مما رماً ، فلو ظهرا في المرة الآتية ما عرفت  
منهم أحداً . ( ص ٣٠٩ ) Maquillage . وربما كان لفظ « التخفي »  
يفيد المعنى .

١٩٢ - بنطوميم ( ص ٣١٠ ) Pantomime قال : « وهو لعب بالإشارة  
والحركة من دون محاورة » وهو ما يسمى اليوم : التمثيل الإيمائي .

١٩٣ - تمثيلية ( ص ٣١٢ ) : Pièce théâtrale .

١٩٤ - بانوراما ( ص ٣١٢ ) : Panorama .

١٩٥ - دار الاختبارات العلمية ( ص ٣١٣ ) Centre de Recherches  
Scientifiques . ويسمى اليوم : مركز الأبحاث العلمية .

١٩٦ - راموز ج رواميز ( ص ٣١٨ ) : Affiches .

١٩٧ - المألك العام ( ص ٣١٨ ) : Postes .

١٩٨ - القبطان ( ص ٣٢٧ ) : Capitaine .

١٩٩ - الكله <sup>(١)</sup> ( ص ٣٣٠ ) : Bombe . وشاع اليوم استعمال  
لفظ « القنبلة » . والقنبلة صحيحة أيضاً .

٢٠٠ - الضريبة ( ص ٢٣٦ ) : Impôt .

٢٠١ - إسكاف ( ص ٣٤٣ ) : Cordonnier . وهو المعروف بالحذاء ،  
وعند العامة : كندرجي .

٢٠٢ - اليد القصيرة ( ص ٣٥٣ ) : Short hand . وهو المعروف  
اليوم بالاختزال .

(١) مصغرة عن « قنبلة » لأن هذه الفذيفة كانت بشكل القنبلة العراقية ، فهي أنصج  
من قنبلة وقتيرة . ( لجنة المجلد )

٢٠٣ - المجلة ( ص ٣٥٦ ) : Constitution . واتخذ اليوم لفظ « الدستور » مقابلاً له .

٢٠٤ - جرائد الضحك والتهكم ( ص ٣٦٠ ) : Journaux satiriques . وعرفت اليوم باسم : « الجرائد الهزلية » .

هذا ما هدتني اليه دراسة هذين الكتابين الفريدين . ولا بد لي من أن أوضح أن الألفاظ الأعجمية الموضوعة الى جانب الألفاظ العربية ، ليست من الأصل ، وإنما افترضت انها هي التي نقلها الشدياق أو فسرهما ، وقد أورد بعضها مرسوماً باللغة العربية كما رأيت .

وغني عن البيان أن قسماً من هذه المصطلحات لم يعش ، وإنما بقي في تاريخ المحاولات الجريئة التي بذلها هذا العالم الجريء وحده في أواسط القرن التاسع عشر ، في موضوع يكاد يكون بكرة ، لم تمد اليه إلا أقلام بعض علماء مصر الذين أوفدهم محمد علي الكبير للدراسة في فرنسا ، وعادوا منها لينقلوا الى لغة العرب بعض ما عرفوا . إلا أن قسماً آخر من هذه المصطلحات قد عاش ، وما زال على أقلام العلماء والكتاب حتى اليوم ، وأصبح من الشائع المألوف .

وقسم ثالث جدير بالإحياء ، كم أتمنى أن يكتب له الانتشار . خذ مثلاً لفظ ( المناصع ) . فلقد عرفت اليوم في المدن الكبرى ، في جميع أنحاء العالم العربي ، وكانت معروفة بالقرب من المساجد ، ووضعت لها ألفاظ ينقصها الجمال ، وحسن الوقع في السمع ، كالمباول والمطاهر والمراحيض وما مائلها ، وأظن أن لفظ المناصع ، إذا درج على الألسن والأقلام ، وألفته الأذان ، كان أحرى بالقبول من غيره .

ولست أرى بأساً في أن نستعمل لفظ (نجي) ، بدلاً من سكرتير الذي درج على الألسن والأقلام ، أو بدلاً من لفظ أمين مر ، أو من غيرهما ، لما فيه من دقة في أداء المعنى ، ومن رقة في اللفظ .  
كذلك أرى أن لفظ (الجهاز) يؤدي كل ما يراد من لفظ (دوطة) الذي لا يكاد الناس يعرفون غيره .

وقل مثل ذلك في كثير من الألفاظ التي مورت بك .  
كان أحمد فارس الشدياق حجة زمانه ، وباقعة عصره ، وأضحت كتبه نادرة الوجود ، حتى في المكتبات العامة ، ولعل المهمة تجدد لإحيائها ، وإعادة طبعها ، على نحو يبسر الفائدة منها ، ويقربها من أيدي العامة والخاصة من القراء .

ظافر القاسمي



# الشيخ عبد القادر المغربي

( جانب مجهول من سيرته )

كان ذلك سنة ١٣٣٨ ( ١٩٢٠ م ) أي قبل أكثر من أربعين عاماً حيث كنت نزيل دمشق الشام مقيماً في فندق يطل على شارع بغداد<sup>(١)</sup> وكانت لنا ندوة في الفندق يفشاها - عدا أصدقائنا من دمشق - رهط من أنجبهم بلاد العراق والشام وفلسطين ولبنان من المعنيين بالقضايا القومية سياسية واجتماعية . وفي أصيل يوم من تلك الأيام أقبل علينا كهل بهي الطلعة بادي البشر حسن العمة فأخذ مكانه بيننا وكان برفقة الشيخ زائر آخر من أبناء المدينة .

تحدث الشيخ إلينا بلهجة عذبة في بعض المسائل الأدبية ، وتساءل عن مميزات الشعر العراقي في جزالته وشدة أمره ، ورغب إليّ في تعليل نهضة الشعر الأخيرة ونبوغ النوابع ( حلة بني مزيد ) ( والنجف ) وشعراء آخرين في العراق فأجبتّه جواباً أعجب به وأقرني عليه . وفلت للشيخ : لا شك أن حرارة العاطفة وصدق الشعور من بواعث الإبداع والتجويد في نظم الأشعار .

ما كان ذلك الزائر أو العالم الباحث غير الشيخ عبد القادر المغربي رحمه الله . فلمّا ذلك العصر - وقد مضى عليه أكثر من أربعين سنة -

---

(١) في سنة ١٩٢٠ م لم يكن شارع بغداد قد افتتح ، لعله يريد أن يقول شارع النصر .  
( لجنة المحلة )



تعود أول معرفة لي به وبطبقة من شيوخ الأدب وأعلامه في دمشق وجمهرة من شباب العرب المعنيين بالشؤون القومية في الشام نفسها . وكنا نلتقي في مكاتب بعض الصحف وفي دور الكتب ومعاهد العلم ومنها المدارس المحسنية نسبة إلى مؤسسها العلامة السيد محسن الأمين العاملي ، وكنا نفشى أيضاً بعض الأندية وفي مقدمتها ( النادي العربي ) . وكان هذا النادي في الواقع منبراً يتعاقب عليه خطباء موهوبون وشعراء مجودون في تلك الفترة . وكانت تقام في النادي حفلات أدبية وتعمد اجتماعات سياسية ، هذا ولم يذأ المجمع العلمي العربي بعد ( وإنما انشأ بعد مبارحتي دمشق الشام إلى العراق بأكثر قليلاً من سنة واحدة ، ومعنى هذا ان ( النادي العربي ) أقدم قليلاً من المجمع ) من حيث التأسيس<sup>(١)</sup> .

مضت لنا إذ ذاك عهود جميلة وأوقات حميدة في الشام كنا نقطع الليالي بالقراءات والسماعات . والخلاصة كان ذلك في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وقد غمرت العالم العربي يقظة انتظمت أقطاره وفي مقدمتها العراق وسورية وفلسطين ولبنان فراودتها أعذب الأملاني وأحلى الأحلام في بعث الأنجاد القومية والحضارة العربية ، وكان من مظاهر تلك اليقظة أيضاً ضرب من التزاور والتعارف وتعزيز الصلات من سياسية واجتماعية .

لم يقدر لي بعد ذلك الاجتماع العابر بالشيخ المغربي في دمشق أن أتحدث إليه مرة أخرى ، فإنني بارحت دمشق إلى بيروت وتوكت الداخل إلى الساحل . ولم يطل لبثي كثيراً بين جبل لبنان وجبل عامله وإن كانت لي في صيداء ذكريات لا تنسى من وفاء أهلها ومحبتهم في تلك الأيام فعدت ثانية إلى دمشق الشام .

كانت دمشق إذ ذاك في شغل شاغل من السياسة . وكان شيوخها

وشبابها وزعمائها معنيين بالشؤون القومية والنهضة العربية ، حتى ان السياسة استنفذت مجهود الناس واستغرقت أوقاتهم في ( وقائع المؤتمر السوري ) وفي التظاهرات السياسية ، ولاحظت يومئذ أن شباب العرب المعنيين بالشؤون القومية قد ارزوا من كل ناحية إلى الشام كما تأررز الحية إلى جحرها ، فكان منهم فريق يمثل العراق ، وآخر يمثل فلسطين ، إلى آخرين يمثلون مختلف الأقطار العربية . وكان في طليعة من لقيناهم يومئذ من طبقة المغربي أو من زملائه السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار . وكان لقائنا في الجهة الغربية من ( الجامع الأموي ) حيث كان للسيد حلقة يلي فيها درساً في التفسير . ومن ثم أخذنا سبيلنا إلى شارع بغداد (١) المؤدي إلى محطة قطار الحجاز وقد احتفلوا قريباً بفتح هذه الجادة . وكان السيد رشيد يتحدث عن شؤون الساعة ويتناول حديثه قضايا الإصلاح الاجتماعي والسياسي وذلك قبل التثام ( المؤتمر السوري ) الذي اختير رئيساً له . وهو مؤتمر نادى باستقلال البلاد وحريتها وان سورية دولة مستقلة ذات سيادة ( ٨ آذار سنة ١٩٢٠ م ) .

كانت دمشق حافلة بطبقة واعية مجهزة بغرب من الكفاية علمياً وعملياً . وعلى الإجمال كان أول لقائي بالشيخ المغربي بالشام في تلك الفترة أي في أعقاب الحرب العالمية الأولى ( ١٩٢٠ م ) . وكنت قد وصلت إلى الشام من الحجاز حيث ناهزت إقامتي في سورية سنة كاملة عدت بعدها إلى العراق فور احتلال الفرنسيين لدمشق كما فعل كثير من العرب المناوئين للاستعمار . وظلت الرسائل بعد هذه الفترة أحسن واسطة للاتصال بيني وبين الشيخ المغربي فقد واقتني بعض رسائله إلى بغداد في التاريخ المذكور ، وبعد ذلك إلى سنة ١٩٢٥ م . وقد حمل إلي بعض رسائله شباب قدموا إلى العراق

تخدمهم الخدمة في معاهد التعليم فكان لهم ما أرادوا ، وأدى فريق منهم واجبه على أحسن ما يرام . ثم حالت الشواغل والقواطع حتى عن المراسلة مدة طويلة ولم يقدر لنا الاجتماع إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية وذلك في القاهرة وفي دار المجمع اللغوي سنة ١٩٤٨ ثم في دورات مؤتمرات المجمع السنوية المتوالية إلى أن وافاه الأجل المحتوم وكانت فرحة اللقاء في القاهرة عظيمة بعد ذلك الفراق الطويل الذي دام نحواً من ثلاثين سنة .

شاء زملاؤنا في مجمع اللغة العربية في القاهرة أن انضم إلى حظيرتهم سنة ١٩٤٧ حيث كان الشيخ الزميل عضواً عاملاً في المجمع قبل ذلك . وفي أول إقام لنا استعرضنا ذكريات دمشق الشام وعمودها الحميدة . وما دار بيننا من المراسلات بعد ذلك . استعرضنا ذلك في قاعة المؤتمر اللغوي وفي مكاتب المجمع وكنا لا نفترق في أعقاب كل جلسة من جلسات المؤتمر إلا لنلتقي في ناد أو فندق أو في حفلة أو دعوة ، وقد لاحظت أن روح الصداقة والألفة والمحبة من سجايا الشيخ القوية الراسخة فيه فإن له في بلاد العرب - دع عنك دمشق - أصدقاءه الكثير . ولا شيء أحب إليه من زيارة أصدقائه ومعارفه ولا بد للشيخ أينما كان أن يأوي في سهراته إلى ناد يتجاذب مع من فيسه أطراف الأحاديث . وكم حدثني عن تلك السهرات الجميلة .

ما كان يدور في خلدي أن دورة المؤتمر اللغوي التي عقدت صبيحة الخميس ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ ( ٢٩ كانون الأول سنة ١٩٥٥ ) ستكون آخر دورة يشهدها الشيخ ، فبينما كنت متأهباً للذهاب إلى المؤتمر اللغوي في مقره من القاهرة ابلغتني إحدى كريمتيه وهم نزلاء الفندق الذي اقيم فيه قائلة: إن أباهما نقل إلى المستشفى لأن رجله أصيبت ، وقدمه زلت . وقلت لها سأزور المستشفى بعد قليل ، ثم اتجهت إلى دار المؤتمر ومن هناك ذهبت إلى المستشفى ومعني مراقب المجمع الذي شاطرني كثيراً من الأمس في

الحادثة . ويقع المستشفى الذي نقل الشيخ اليه ويدعى ( مستشفى الجمهورية ) في شارع عابدين . دخلنا على الشيخ وهو مسجى في مريده ، لم تفارقه بشاشته ولطف سياه ، وأخبرنا أن الحادث لا يبدو أن يكون رضى بسيطاً وانهم لم يجدوا كسراً في الساق . والواقع أن الإصابة كانت أبلغ من ذلك . وهكذا دعونا له بالشفاء وتقينا له العافية ، وهكذا لم يشهد الشيخ إلا الجلسات الثلاث الأولى من دورة المؤتمر المذكور . واضطره الحادث إلى الغياب عن بقية الجلسات . وكان له في الجلسة الثالثة من تلك الدورة بحث لغوي موضوعه ( الفرنسية وكيف دخلت إلى العربية ) ألقاه بنفسه . أما بقية بحوثه التي أعدها للمؤتمر فقد القيت بالنيابة عنه ومنها بحث عنوانه ( أصل كلمة التضحية ) . ولا بد لنا من القول ان المغربي كان يعالج الموضوعات اللغوية في بحوثه التي يعدها للمؤتمر غالباً ، وقلما عالج بحوثاً أدبية أو ثقافية فيه . فالمغربي والحق يقال عالم مجرمي بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . ولذلك كانت مصيبة الجامع اللغوية بفقدته فادحة بل كانت ثلثة يصعب سدها . فانه انتقل إلى جوار ربه بدمشق في ٢٧ من شوال سنة ١٣٧٥ هـ الموافق لليوم ١٩٥٦/٦/٧ م بعد جهاد طويل وصبر جميل تغمده الله برحمته .

(بغداد)

محمد رضا السبيعي



# نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا. ل. كليرفيل

هذه إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط

وعبد صلاح الدين الكواكبي

( لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق )

استدراك وتعقيب

— ٨ —

رقم المصطلح

رقم المصطلح

E

4548 Eau Albumineuse

٤٥٤٨ ماء آحيني

وأقر بجمع اللغة ترجمة ( Albumine ) بزلال<sup>(١)</sup> ، فتصبح ترجمة اللفظة

ماء زلالي .

4549 Eau alimentaire , Eau

٤٥٤٩ ماء الشرب ، ماء شروب

de boisson , potable , de table

وأملت اللجنة ترجمة اللفظتين الأولى والأخيرة ، فتكون الترجمة الكاملة :

ماء التغذية أو المشروب ، ماء الشرب ، ماء شروب<sup>(٢)</sup> ( كما أقرها

بجمع اللغة ) ماء المائدة .

(١) الصفحة ٦٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في القاموس : المشروب الماء الذي يشرب . والماء الشروب والشرب : الذي بين

العذب والملح . وقيل الشروب الذي فيه شيء من عذوبة وقد يشربه الناس

على ما فيه ، والشرب دونه في العذوبة وليس يشربه الناس إلا عند ضرورة ،

وقد تشربه البهائم ، وقيل الشرب العذب وقيل الماء الشروب الذي يشرب .

- ٤٥٥٠ ماء المِزْج Eau d'amandes douces 4550  
وأرجح ماء اللوز المر دفعاً للالتباس (١) .
- ٤٥٧٠ ماء مَعْدِنِي بِثَانِي فَحْمَاتِ أُمَاءِ قَلْبَوِي Eau minérale bicarbonatée ou alcaline 4570
- ٤٥٧١ ماء مَعْدِنِي بِثَانِي فَحْمَاتِ الْكِلس Eau minérale bicarbonatée calcique 4571
- ٤٥٧٢ ماء مَعْدِنِي بِثَانِي فَحْمَاتِ الصُّود (فلوي) Eau minérale bicarbonatée sodique (alcaline) 4572
- ٤٥٧٣ ماء مَعْدِنِي بِثَانِي فَحْمَاتِ وَكَبْرِيتَاتِ الصُّود Eau minérale bicarbonatée sulfatée sodique 4573
- وأرجح تعريب Carbarbonate بكربونات شأن ما تقدم في لفظة Carbon (٢) وكما أقره جمع اللغة . لذا تصبح ترجمة هذه الألفاظ : ماء معدني بثاني كربونات أو ماء قلوي ، وماء معدني بثاني كربونات الكلس وماء معدني بثاني كربونات وكبريتات الصود .
- ٤٥٧٥ ماء مَعْدِنِي بِكَلُورُورِ الصُّودِ أَوْ مَاءِ مِلْح Eau minérale chlorurée ou salée 4575
- ٤٥٧٦ ماء معدني بكالورور الصوديوم Eau minérale chlorurée sodique chaude 4576

(١) في اثنان : والمِزْج والْمَزْج السَّلْ ، وفي التهذيب الشَّهْد قال أبو حنيفة 'محمي منجماً لأله مزاج كل شراب حلو طيب به . وفي مكان آخر : والمِزْج المَزْج المُر' ، قال ابن دريد لا أدري ما صحتة ، وقيل إنما هو المَزْج .

(٢) الصفحتان ٦٣٢ و ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة . وجاء في تعريف لفظ Carbon في المجلد الأول من مجموعة المصطلحات الطبية والفنية التي أقرها الجمع ( الصفحة ١٦٥ ) : كربون . عنمر لاناري يوجد على صور مختلفة بعضها غير متبلور كالساج والفحم وهما صورتان تقويتان وببعضها متبلر كالاس والجرافيت

ولا أرى لزوماً للترجمة اللفظية الفرنسية لكloror الصود أو الصوديوم ،  
والصحيح في اللفظة الأولى ماء معدني بكlor الصود أو ماء مِلْح وفي  
الثانية ماء معدني حار بكlor الصوديوم .

- ٤٥٨٠ Eau minérale oligomé- ماء معدني حار قليل المعادن  
tallique chaude , Eau  
thermale oligométallique ,  
Eau inerte indéterminée chaude .

وأرجح سَحْمَةً قليلة الغازات أو ماء معدني حار قليل الغاز ( وقد أقر  
بجمع اللغة ترجمة Métale بفاز ) ، سَحْمَةً غُفْل (١) ( غير معروفة الخواص )  
وقد أهملتها اللجنة .

- ٤٥٨٢ Eau ( minérale ) ماء ( معدني ) مُسَهَّل ، ماء  
purgative , Eau sulfatée والكبريتات الصودا والمانيزا  
sodique et magnésienne

وأرجح : ماء (معدني) مُسَهَّل ، ماء كبريتاتي صودي ومغنيسي ، مخصصاً  
لفظة صودا ترجمة لـ ( Carbonate de soude ) ومانيزا لـ ( Magnésie )  
( شأن ما فعلته اللجنة في اللفظة ٨١٠٨ ) ، وقد أقر بجمع اللغة تعريب  
المعدن ( Magnésium ) بمغنسيوم . ولفظة ( Sufate ) بكبريتات وسلفات .

- ٤٥٨٣ Eau minérale sulfatée ماء معدني بكبريتات الصودا  
وأرجح ماء معدني سلفاتي صودي أو كبريتاتي صودي .

- ٤٥٨٦ Eau minérale sulfureuse ماء معدني كبريتي حار  
chaude

وأرجح سَحْمَةً كبريتية .

(١) في اللسان : الغُفْل الغَيْد الذي أغفل فلا يرحى خبره ولا يخفى شربه .

- ٤٥٨٨ Eau oxygénée ، محلول فوق اكسيد  
soluté de peroxyde محلول ثاني اكسيد  
d'hydrogène, soluté الهيدروجين  
de bioxyde d'hydrogène الهيدروجين
- 4588 وقد أقر مجمع اللغة تعريب ( Oxygène ) بأوكسيجين و ( Hydrogène )  
بايدروجين . لذا تصبح ترجمة هذه الألفاظ : ماء اكسيجيني و ( أراها  
ألطف من مؤكسج ) ومحلول فوق اكسيد الايدروجين ومحلول ثاني  
اكسيد الايدروجين .
- 4598 Eau souterraine ماء النفور
- وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالمياه الجوفية . وجاء في التعريف : الماء  
الذي يتخلل الصخور تحت الأرض .
- 4606 Ébranlement émotif ، هزّة  
secousse émotionnelle انفعالية ، صدمة تأثرية  
choc émotif
- وأرجح ارتجاج انفعالي ، هزّة انفعالية ، صدمة انفعالية .
- 4607 Ebranler , émouvoir خلخل ، زلزل
- وأرجح زعزع وزحزح .
- 4624 Ecchymosé , ée قارت
- وأقر مجمع اللغة ترجمة ( Ecchymose ) بككدم ( ج كدوم ) وهي  
اللفظة الدارجة<sup>(١)</sup> فتكون ترجمة اللفظة مككدم أو مقروت .

(١) في اللسان : الككدم والككدم أثر اللعش وجهه ككدموم . والككدم اسم أثر الككدم  
يقال به ككدموم والككدم المضض . وقترت الدّم يقرت ويقرت قرّاً ومفروفاً ،  
وقترت يابس بعبه على بعب أو مات في الجرح ، ورّم فارته قد يابس بين  
الجلد والاعم وقترت الظفر مات فيه الدّم وقترت جلده احقرت عن الغرب .



- ٤٦٣٥ نموذج Echantillon 4635  
وأقر بجمع اللغة عَيْثَة . وجاء في التعريف جزء من المادة يؤخذ من  
أجزائها المختلفة نموذجاً لسايرها .
- ٤٦٣٩ استحماء، اغتسال بالماء الحار . Echandage, échandure 4639
- ٤٦٤٠ استحجم ، اغتسل بالماء الحار Echander 4640  
والصحيح كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين سَخَن الشيء تسخيناً  
خفيفاً أو حَرَقَه بسرعة فائقة ، وغسل الشيء بالماء الحار . هذا بالنسبة إلى  
لفظتي ( Echandage ) و ( Echander ) ، أما لفظة ( Echandure ) فيقصد  
بها الحرق بالماء الحار (١) .
- ٤٦٤١ مُسْتَحِمِّتون Echandés 4941  
والصحيح نوع من الحلويات الفرنجية ( Gateau ) المصنوعة بالعجين المغطوس  
في الماء الغالي بضع دقائق (٢) وعلى ذلك جاءت ترجمة اللفظة بالإنكليزية في  
المعجم الأصلي ( Puff - pasty ) أي الحلوى المورقة .
- ٤٦٤٧ داء المكورات المشوكة Echinococcose 4647
- ٤٦٤٨ شريطية مشوكة Echinocoque , ténia 4648  
échinocoque
- وأقر بجمع اللغة تعريب اللفظة الثانية بأخينوكك وعرفها بأنها ديدان شريطية  
صغيرة . وتصبح اللفظة الثانية داء الإخينوكك أو الاكينوكية (٣) .
- ٤٦٥٢ إرجاج Eclampsie 4652
- ٤٦٥٣ إرجاجي Eclamptique 4653

(١) لاروس القرن العشرين ( Larousse du XXe siècle ) في لفظتي

( Echandage ) و ( Echandure ) .

(٢) المرجع نفسه في مادة ( Echandé ) .

(٣) الصفحة ٦٠٦ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بتشنج كحلي وإكلمسية ، وجاء في التعريف : تشنجات وغيبوبة تحدث أثناء الحمل بسبب تسمم ، وتصبح ترجمة اللفظة الثانية إكلمسي .

٤٦٥٦ Eclatement إنشداخ ، انقطاع ، تفرقع  
وأرجح انفجار وانفلاق (٢) .

٤٦٥٧ Eclateur , déchargeur ( كهربا ) مُفْرِغَة ( كهربا )  
( electe. )

وأرجح مُفَجِّرَة ومفْرِغَة .

٤٦٥٩ Économie hydrique إدخار مائي

والصحيح تناسق الماء كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢) وسبق لي أن ترجمت لفظة ( Economie ) بالانسجام الحيوي في موضع آخر (٣) . وما يعنى باللفظة ليس ادخار الماء كما ذهبت اليه اللجنة بل التناسق (٤) والنسبة بين ما يرد منه إلى البدن وما يخرج منه من الطرق المختلفة وبالأشكال المختلفة .

٤٦٦٩ Écoulement purulent سَيْلَانٌ قَيْمِجِي  
وأرجح سَيْلَانٌ قَيْمِجِي أو صديدي وليس للفظه إصدار أن تعني بالمعنى (٥) .

(١) في اللسان : والفلق المكان به انشق وفلقت النخلة وهي فالق اشقت عن الطلع والكافور والجمع فلق . الشدخ الكمر في كل شيء وفيل هو التثشيم يعني به كسر اليابس وكل أجوف . الفرفرة تنقبض الأصابع وقد لوقمها ففرفرمت .

(٢) ( Fluid intake and out put ) ومعناه الوارد من السائل والمطروح منه ، شأن ما يكون في مقدار ما يعطى للمريض من الماء أو أي سائل آخر عن طريق الفم أو الوريد أو تحت الجلد وما يخرج منه بشكل سائل أو بخار الماء .

(٣) الصفحة ٢٩٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) في اللسان اللتقي من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد . وناسق بين الأمرين تابع بينهما . أقول وأرى في المتابعة بين الصادر والوارد من الماء إلى البدن ومنه تناسقاً .

(٥) في اللسان : وأصده صرته .

٤٦٧١ رِبْدَة Ecouvillon 4671

٤٦٧٢ تنظيف الرَّحِيم بِقَطِيلة Ecouvillonnage 467  
وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بِخِرْقَة التنظيف أو ماسحة والثانية التنظيف  
بخرقة أو ماسحة (١) .

٤٦٧٦ كِتَابَة بَيْتَنَة ، على صفائح لَامِيعة ، Ecriture en miroir ,  
écriture spéculaire 4676

والصحيح عكس ما ذهبت اليه اللجنة ، إذ تدل اللفظة على اضطراب  
بيّن في الكتابة يصادف في بعض الخلط الطارئ على مراكز الإفصاح في  
الذماغ . فقد جاء في معجم لاروس القرن العشرين (٢) في تعريف اللفظة  
ما يلي : فساد الكتابة بحيث يكون تتابع الكلمات والأحرف من اليمين إلى  
اليسار بخيل معه كأن ما كتب يقرأ بالمرآة ( من المصابين بالخَرَس Aphasia  
من يعمد الى الكتابة بالمرآة باستعمال اليد اليسرى ) والكتابة المستشفة  
( Ecriture spéculaire ) لا تكون نوعاً من الخَرَس بل هي الكتابة الغريزية  
( Instinctive ) الطبيعية عند استعمال اليد اليسرى . لذا أقول في ترجمة  
اللفظة الأولى الكتابة بالمرآة والكتابة المستشفة (٣) .

٤٦٨١ طَبَقَة ' الْمُضَغَغَة الظَّاهِرَة Ectoderme , ectoblaste 4681  
وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالأدَمَة البرانية . وتكون الثانية

(١) جاء في القاموس : والرَبْدَة واحدة الرَبْد وهي 'عبون' تعاقب في أوقات الإبل ،  
والرَبْدَة الخُرقة 'مُتَنَأ'ها والرَبْدَة خُرقة الخائض وخُرقة الصائغ التي يغلوها الخلي .  
وأما اللطيفة ، فقد جاء في القاموس : واللطيفة قطعة كداء أو ثوب يثقب بها  
الماء ، ولا أراها تدل بالمعنى المطلوب .

(٢) ينظر في لفظة ( Miroir ) في المعجم المذكور .

(٣) في القاموس : الثَنف والثَنف الثوب الرقيق وقبل الست الرقيق 'يري ما وراءه  
وجمها 'مُخَفوف' ، و'ثَنف' الست يثقب 'شفوفاً' و'شفيفاً' واستشف ما ظهر وراءه واستشفه  
هو رأى ما وراءه .

الأرومة الظاهرة أو البرانية أو البلاستولة الظاهرة كما أقره المجمع<sup>(١)</sup>  
( وقد أهملتها اللجنة ) .

٤٦٨٤ Ectoplasme طبقة الميولى البرانية

وأقر مجمع اللغة الحبيطة الخارجية ، وجاءت في مصطلحات علم الرمد  
البلازما الخارجية .

٤٦٨٥ Ectopion شَمَر خارجي

وأقر مجمع اللغة الشمر الخارج ( انقلاب الجفن )<sup>(٢)</sup> .

٤٦٨٨ Eczéma كَمَلَة ( اكزما )

وأرجح تعريب اللفظة بأكزما<sup>(٣)</sup> .

٤٦٨٩ Eczéma érythrodermique كَمَلَة حمّاموية

وأفضل اكزما إحمارية أو حمراء لتخصيص لفظه حمّامى ترجمة  
لـ ( Erythème ) شأن ما فعلته اللجنة ( اللفظة ٥١٧٦ ) .

٤٦٩٥ Eczématisation كَمَلَة ، اتخاذ شكل الكَمَلَة

وأرجح التعريب بتأكزم ، لانتباس لفظه تنمّل<sup>(٤)</sup> بالنمّل  
( Forumillement ) .

٤٧٠١ Effacement du col ( obs. ) إِمحاء العُنُق ( قبالة )

وأقر مجمع اللغة انحاء العنق وجاء في التعريف : اتساع العنق تدريجياً

(١) الصفحة ٤٧٣ من هذا العدد .

(٢) في اللسان : الشمر انقلاب في جفن العين فلما يكون خلفه والشمر غففة فمالك بها .

(٣) في اللسان : والنملة شيء في الجلد كالقروح وجما تنمّل ، وقيل النمل والنملة  
فروح في الجنب غيره . انول لأراها تدل على معنى اللفظة .

(٤) في اللسان : وتنمّل القومُ غرّكوا ودخل بعضهم في بعض .

بحيث يصبح جزءاً من الشدفة السفلى . وإعلاء العُنُق أفضل (١) .  
 ٤٧٠٢ Effecteur مُنْجِز ، مُتَمِّم  
 وأرجح 'مُحَقِّق' ومُنْجِز تاركاً لفظة متمم ترجمة لـ ( Complément )  
 كما فعلته اللجنة ( اللفظة ٢٩٤٧ ) .

٤٧٠٣ Effémination تَأْنِث ، تَخْنِث  
 والصحيح تَأْنِث أو تَخْنِث بالتعدية ، وتَأْنِث أو تَخْنِث هي ترجمة  
 ( Féminisation ) كما فعلته اللجنة ( اللفظة ٥٥٨٩ ) .

٤٧٠٩ Effet Compton حَادِثَةُ كُنْتِن ، كَهَيِّزْرُوبَةُ النُّقْطَةِ رُ ،  
 électron de recul

وأقر بجمع اللغة تعريب لفظة ( Electron ) بالكثرون وقد شاعت .  
 ٤٧١٤ Effet tampon فِعْلٌ وَقَاءٌ  
 وأرجح تَأْثِيرٌ رَاصِدٌ (٢) .

٤٧١٦ Effilé — ée مُذَلَّقٌ

وأفضل ترجمة اللفظة بِمُسْتَدَقٍ (٣) وحاد ، وعلى ذلك فقد جاء شرح  
 اللفظة في لاروس القرن العشرين ( Mince long et étroit ) أي رقيق  
 طويل وضيق وكذلك جاءت ترجمة اللفظة بالانكليزية في المعجم الأصلي (٤)  
 أما المذَلَّقُ فهو الحاد (٥) وقد تكون هذه اللفظة أحد معاني الكلمة .

(١) في اللسان : بما الشيء يحويه ويحاط به . وأجى الشيء يُجَسَّسُ  
 أمعاء الفمل وكذلك امتعى إذا ذهب أثره ، وكره بعضهم امتعى والأجود  
 امتعى والأصل فيه اغشى .

(٢) الصفحة ٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان ومُسْتَدَقٌ كل شيء ما دق منه واسترق .

(٤) ( Taping ) .

(٥) في اللسان : اللاتى حِدَّة الشيء وحده كل شيء ذاته ، وذَلَّق كل شيء حده ويقال  
 شياً مُذَلَّقاً أي حاد .

٤٧١٧ ذَلَّقَ Effiler 4717

لم ترد في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي ولا الترجمة الألمانية (١) ما يشير إلى هذا المعنى الذي ذهبت اليه اللجنة في ترجمة اللفظة ، كما ان معجم لاروس القرن العشرين (٢) لم يذكر في شرح لفظة ( Effiler ) ما يدل على الذَلَّقَ . وعلى ذلك فإن معنى اللفظة هو التَدَفُّفُ (٣) أو نتف الألياف أو اتلاف النسيج .

٤٧١٨ ذَلَّقَ (انبوباً زجاجياً) Effiler (un tube de verre) 4718

والصحيح دَقَّقَ أنبوب الزجاج (٤) ، إذ المقصود باللفظة جعل أنبوب الزجاج الغليظ دقيقاً من أحد طرفيه ، وذَلَّقَ تدل على جعله حاداً الأمر الذي لا يمكن أن يكون في أنبوب الزجاج (٥) .

٤٧١٩ تَمَسَّسٌ ، مَسَّسٌ Effleurage 4719

وأرجح ذلك (٦) خفيف كما جاء في الترجمة الانكليزية (٧) للمعجم

(١) to tease out في الانكليزية و Auszupfen و Ausfasern في الألمانية وكما يدل على تبديد النسيج أو تسيل ألبانه أو إزالة ما بدا من تشعث في الشعر وما إليه .

(٢) جاء في شرح اللفظ : défaire, détisser fil à fil : effiler une toile

أي تبديد وتفكيك النسيج خيطاً بعد خيط : تبديد الشاش أو ( التوال ) .

(٣) في اللسان : التَدَفُّفُ طرق القطن باليد لتدَفُّف . والتدَفُّف نزع الشعر وما أشبهه .

(٤) في اللسان : دَقَّقَت الشيء وادققته جعلته دقيقاً . والدقيق الذي لا غلط له خلاف الغليظ .

(٥) لقد جاء في الترجمة الانكليزية لللفظة في المعجم الأصلي ( to taper , to draw

out glass tubes ) ومعناه تدقيق أنبوب زجاج وسحبه وكذلك في الترجمة الألمانية ( Ausziehen ) .

(٦) في اللسان : دَاكَّكْتُ الشيء بيدي أدلكه دلكاً قال ابن سيده ذلك الشيء يدلكه دلكاً مره وعركه .

(٧) وهي : effleurage, stoking, light massage

الأصلي وفي لاروس القرن العشرين نفسه تاركاً لفظة لمس ومس ترجمة  
لـ ( Toucher ) كما فعلته اللجنة ( اللفظة ١٣٥٠٠ ) .

٤٧٢٨ استنضاب ( الخِضار ) ( Egoutter ( les légumes ) 4728

وأرجح نَشَفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُفُF (١) ماء الخُفَصَر أو الخُفَصَرَاوات (٢) لا الخِضار .

٤٧٢٩ قراءة الصُور بالبصيرة Eidétisme 4729

وأفضل التَّخَيُّيلُ الفكري ، أذ لا صلة لهذه القراءة بالصور الشعاعية  
كما قد يفهم من الترجمة .

٤٧٣٢ إِنْضَاج ، إِحْكَام Elaboration 4732

وأرجح استِصْنَاعُفُفُفُفُF (٣) ، إذ يقصد باللفظة مجموع الأعمال التي يقوم  
البدن بها لتحويل المواد الغذائية الداخلة في أنبوب الهضم إلى نسج ومواد  
أخرى كالدم والصفراء واللعاب وغيره .

٤٧٣٣ نَاضِجٌ ، مُحْكَمٌ ، مُنْتَظِمٌ Elaboré , ée 4733

وأرجح مصنوع .

٤٧٣٤ داء التخرش الزيتي الغُبَارِي Elaiœconiose , bouton 4734  
بَشْتَرُ الزَيْتِ d'huile

وأرجح داء الاغبرار الزيتي وحبّة الزيت (٤) أو عُدُ الزيت (٥) .

٤٧٣٥ أَهْنِيفٌ Elancé , ée 4735

والصحيح تَمَشُّوقٌ ، لأن ما يعنى باللفظة الفرنسية هو الطويل مع النحافة .

(١) في القاموس : تَشَفِيفُ الماء يابس وتَشَفِيفُ الأرض تَشَفُفُفُF والاسم التَشَفِيفُ .

(٢) مجمع الألفاظ الزراعية للأمبر مصطفى الشهابي .

(٣) في القاموس : واستِصْنَعُ الشيء دعا إلى صنعه .

(٤) سبق لجنة أن ترجمت لفظة Bouton بمجبة ( اللفظة ١٨٤٤ ) .

(٥) ترجمة لللفظة الإنكليزية Oil acne في المجمع الأصلي .

ولا أرى لفظة أهيف تفى بالمعنى (١) .

٤٧٣٨ Electro - aimant ( مغناطيس كهرباوي )

وأقر جمع اللغة ترجمة ( Electromagnetism ) بالمغناطيسية الكهربائية .  
وجاء في التعريف : العلم الذي يبحث فيه عن العلاقة بين المغناطيسية والكهربية  
بوجه عام وعن حدوث المغناطيسية بفعل التيارات الكهربائية على الوجه الخاص .

٤٧٤٢ Electrocoagulation , تخثرية ( تخثير كهرباوي )  
diathermocoagulation تخثير بالحرارة النافذة

والأفضل التخثير الكهربائي والتخثير بالحرارة النافذة .

٤٧٤٣ Electrocuton "موت" بالكهرباء ، صَعَتَق

وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة بالصعق الكهربائي . وجاء في شرحها : الموت  
من أثر التيار الكهربائي .

٤٧٤٤ Electrode مَنَفَذَ كهرباوي

وأقر بجمع اللغة تعريف اللفظة بالكثود وجاء في تعريفها : وهو الموصل  
الذي عنده يدخل أو يخرج التيار الكهربائي عند مروره في سائل أو غاز .

٤٧٤٦ Électrode non polarisable مَنَفَذَ كهرباوي لا يستقطب

وأرجح الكثود لا مُسْتَقْطَب

(١) في اللسان : والحيث بالتحريك رفعة الحفر وضور البطن مَبِيفَ مَبِيفاً وهاف  
مَبِيفاً فهو أهيف .

ورَجُلٌ مَشِيقٌ ومشوق خفيف اللحم ، وفَرَسٌ مَشِيقٌ ومشوق أي ضامر ،  
يقال فرس مشيقٌ مشيقٌ مشوق أي فيه طول وفلة لحم وجارية مشوقة حسنة  
الدوام قليلة اللحم . وجاء في معجم لاروس القرن العشرين في شرح لفظة  
Grêle, mince : elancé et de haute taille أي نحيل ، دقيق وطويل الغامة .



- ٤٧٤٧ *Electrolyte* 4747 مُتَحَلِّكِيْب (متحلل بالكهرباء)  
وأقر مجمع اللغة : الما ينحلّ بالكهرباء ( الما ينحل بالكهربية ) وجاء  
في التعريف : هو ما يتحلل بواسطة التيار الكهربائي .
- ٤٧٤٨ *Electrophorèse* 4748 استشراد  
وأرجح تعريب اللفظة بكَهْفَرَة قياساً على تعريب اللفظتين المائلتين  
( *Cataphorèse* ) بكَتَفَرَة <sup>(١)</sup> و *Anaphorèse* بأنْفَرَة <sup>(٢)</sup> ، وإن اللجنة  
استعملت لفظة استشراد ترجمة لـ ( *Ionophorèse* ) ( اللفظة ٧٥١٠ ) .
- ٤٧٥٣ *Élément morphologique* 4753 عُنْصُرٌ تَقْطِيعِي  
جاء في المعجم الأصلي وحذاء الرقم المذكور ( *Élément figuré ou morphologique* )  
لذا أرجح ترجمة اللفظة عُنْصُرٌ مَصَوَّرٌ أو عُنْصُرٌ مُشَكَّلٌ  
أي ذو شكل <sup>(٣)</sup> . ولا أرى لفظة تقطيعي قفي بالمعنى .
- ٤٧٥٦ *Eléphantiasis, pachydermie* 4756 فَيْسَل (داء الفيل) التهاب الجلد الجَسَنِي  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بداء الفيل ، وأرجح في الثانية التهاب  
الجلد الضخامي أو الجَسَنِي إذ سبق للجنة أن استعملت لفظة جُسْأَة ترجمة  
لـ ( *Ankylose* ) ( اللفظة ٧٨٤ ) <sup>(٤)</sup> .
- ٤٧٦٥ *Elimination, excrétion, sécrétion* 4765 إَطْرَاج ، إِخْرَاج ، إِفْرَاز  
وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة ( *Excrétion* ) بإفراز وجاء في التعريف :  
إخراج الفضلاب .

(١) الصفحة ٢٥٧ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٥٤ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) وجاء الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي : *Elementary constituent, formative, morphological element*

(٤) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

- ٤٧٧٧ Emasculation, castration, مَنَس , خِصاء , مَنَس  
4777 Stérilisation d'un homme تعقيم رَجُلٍ

وأقر بجمع اللغة ترجمة (Stérilisation) بإعقام وعرفتها : تعطيل الإنسال .

- ٤٧٧٨ Emaux radioactifs , مَوَانِيء مُشِعَّة , أجهزة مسطحة  
4778 appareils plats aux من أملاح الراديوم  
sels de radium

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بالصفائح المشعة وفاقاً لما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي<sup>(١)</sup> ولأن لفظة مَوَانِيء جمع ميناء ( Email ) استبعد صلاحها .

- ٤٧٨١ Embarrure كسر القحف المنخفض  
4781 وأقر بجمع اللغة إنخساف عظام الجمجمة .

- ٤٧٨٥ Embolie graisseuse سَدَّة دَسْمِيَّة

- ٤٧٨٦ Embolus , embolie سَدَاد صِمَام

وأقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالسداد الشحمي والثانية بالسداد فقط . وقد جاء في التعريف : جلطة صغيرة دموية أو كتلة من البكتيريا أو جسم غريب آخر تسد وعاء دمويًا .

- ٤٧٩٢ Embryologie علم المَضَغَّة

- ٤٧٩٣ Embryon مَضَغَّة

وأقر بجمع اللغة ترجمة لفظة Embryon بالجنين . وجاء في التعريف : ثمرة الحمل في الرحم حتى نهاية الأسبوع الثامن وبعده يدعى بالحميل . لذا تصيح ترجمة اللفظة الأولى علم الأجنة .

- ٤٧٩٤ مُضْغِي Embryonnaire 4794  
جنيني كما أقرها مجمع اللغة .
- ٤٨٠٢ مَشَارِير أوردَة سنْتُورِينِي Emissaires , veines de Santorini 4802  
وأقر مجمع اللغة ترجمة ( Veines émissaires ) بالأوردَة المصدره .
- ٤٨٠٣ قَذْفُ المَغَاط ، تَغْطُط Émission des glaires 4803  
والصحيح قذف المخاط (١) ولا أرى لفظة المغاط (٢) والتغطت قفيان بالمعنى .
- ٤٨٠٦ مُطْمَمَّات Emménagogues 4806  
وأقر مجمع اللغة : مدرات الحيض ومدرات الطمث .
- ٤٨١٣ مُؤَثِّر ، مُسَبِّبُ العاطفة Emotif , ive , affectif , ive 4813  
وأفضل انفعالي وعاطفي .
- ٤٨٢٢ انتفاخ اللَحْمَة Emphysème cellulaire , sous - cutané 4822  
وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بأمفزيا .
- ٤٨٤٤ ذُبَال ، ذات جَنْب قَيْمِيَّة Empyème , pleurésie purulente 4844  
وأرجح تعريب اللفظة الأولى بأمبيا ، وذات الجنب القيمية ولا أرى  
لفظة ذُبَال تقي بالمعنى ، كما أن لها معاني أخرى (٣) .

(١) لقد جاءت الترجمة الانكليزية في المعجم الأصلي : Discharge of mucus  
(٢) في اللسان : التغط من الشيء يستطيله وخس بعضهم به من الشيء ابن كالمعان  
ونحوه والتغط في عدو الفرس ان يد ضربه حتى لا يزيد مزبدا في جريه .  
(٣) في اللسان : ذبَل النبات والعنم والإنسان يذبَل ذبلا وذُبُولًا ذق بهد الرمي  
فهو ذابل أي ذوى وكذلك ذبَل . والذابة الفتية التي تسرح والجمل ذبال .  
والذبال النمليات وكذلك الذبال بالذال والذال .

٤٨٤٨ يُسْتَحْلَب Emulsif, ive 4848

٤٨٤٩ مُحَلِّبَة، مُسْتَحْلِب Emulsificateur, émulsifiant 4829

وأرجح في اللفظة الأولى مُسْتَحْلِب ومُسْتَحْلِبَة لأنها جاءت صفة بدليل إلحاقها بأداة التانيث . أما اللفظة الثانية فأرجح ترجمة الأولى منها بأداة أو آلة الاستحلاب والثانية بِمُسْتَحْلِب كما أقرته اللجنة ، ولا أرى لفظة محلبة على وزن مفعلة تفي بالمعنى .

٤٨٦٧ رَئِم الدِّمَاغ Encéphalographie 4897

وأرجح تخطيط الدماغ ، وهو الشائع قياساً على ما أقرته اللجنة بترجمتها لفظة ( Electro - cardiographie ) بتخطيط القلب الكهربائي ( اللفظة ١٧٤٠ ) .

٤٨٦٨ آفة دِماغ زرنِخية بنزولية Encéphalopathie 4868  
arsénobenzolique

ودرجت على ترجمة السكاسة ( Pathie ) باعتلال . أقول الاعتلال الدماغي الأرسنوبنزولي باعتبار لفظة أرسنوبنزول اسم مركب خاص ، كما ان اللجنة سبق لها أن خصصت لفظة آفة ترجمة لـ ( Lésion ) ( اللفظة ٧٨٠٥ ) .

٤٨٧٠ مُنْذَمَج Enchâtonné, ée 4870

٤٨٧١ اندماج الشَّخَر Enchâtonnement du placenta 4871

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بِمَحْتَبَس أو محصور ، إذ سبق للجنة ان استعملت لفظة اندماج ترجمة لـ ( Inclusion ) ( اللفظة ٧١٦٧ ) ، أما اللفظة الثانية فأرجح ترجمتها باحتباس الشَّخَر ، وفاقاً لما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (١) .

- ٤٨٧٣ ز'كام Enchifrénement 4873  
وأفضل ترجمة اللفظة بالزكام المزمّن وفافاً لما جاء في الترجمة الإنكليزية للمعجم الأصلي (١) .
- ٤٨٩٠ جِدْعَةٌ داخلية Endoblaste 4890  
وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة Blast ببلاستولة كقوله أدمة البلاستولة ترجمة ( Blastoderm ) وقد عرف البلاستولة بأنه طور جنيني تقتظم فيه الخلايا في طبقة واحدة تحيط بتجويف . لذا أرجح ترجمة اللفظة بالبلاستولة الداخلية أو الباطنة ، وصبق للجنة ان استعملت لفظة جذع ترجمة لـ ( Tronc ) ( اللفظة ١٢٧٤٢ ) .
- ٤٨٩٢ مَشْغُوفٌ Endocardiaque 4892  
والصحيح شَغافي ، فقد جاء في المعجم الأصلي حرف A بجذاء اللفظة للدلالة على أنها صفة ، كما أن الترجمتين الإنكليزية والألمانية للمعجم المذكور تؤكدان ذلك (٢) .
- ٤٨٩٤ ذات الشَّغاف الحميدة المُهِمَكِلَة Endocardite bénigne 4894  
الشُّلُولِيَّة plastique , verruqueuse  
وأرجح التهاب الشغاف السليم التنبئي (٣) ، الشُّلُولِي .
- ٤٨٩٥ ذات الشَّغاف البَاطِنِيَّة الخبيثة Endocardite lente 4895  
داء جاكود - أُوسلر infectieuse maligne ,  
maladie de Jaccoud - Osler  
وأفضل التهاب الشغاف البطني الانتفائي (٤) الخبيث ، داء جاكود أو سِلر .

(١) Chronic coryza, chronic nasal catarrh

(٢) في الإنكليزية endocardial, endocardiac وفي الألمانية - Endokard .

(٣) في الترجمة الإنكليزية للمعجم الأصلي ( Vegetative endocarditis ) .

(٤) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

- ٤٨٩٨ داخلُ القَحْطَف Endocrânien , enne 4898  
وأقر مجمع اللغة داخل الجُمُجُمة .
- ٤٩٠٠ نامٍ من الداخل ، تَكُونُ داخلاً Endogène 4900  
وأرجح داخلي المنشأ إذ لا يشترط أن يكون ثمة نمو .
- ٤٩٠٣ وَرَمٌ بِطَانة الرَّحِمِ ، التهاب Endométrioime , 4903  
بطانة قَرْنِي الرَّحِمِ solénoime  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بورم بطاني رحمي والصحيح في الثانية  
ورم بطانة قرني الرحم .
- ٤٩٠٥ التهاب بطانة الرَّحِمِ السَّاقِطِي Endométrite déciduale 4905  
وأقر مجمع اللغة التهاب السَّاقِطِط . وجاء في التعريف وهو التهاب  
بطانة الرحم في الحمل .
- ٤٩٠٦ التهاب بطانة الرحم الساقطي Endométrite déciduale 4906  
النزلي ، سيلان الرحم الحامل catarrhale , hydorrhée  
الساقطي déciduale de l'utérus gravide  
وأرجح التهاب الساقط النزلي ، السيلان الساقطي في الحامل .
- ٤٩١٢ تحال ، تَنَافُذ Endosmose 4912  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بتناضح .
- ٤٩١٣ ذيفان داخِلي Endotoxine 4913  
وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Toxine) بـتُكْسِين فتصبح اللفظة تُكْسِين داخلي .
- ٤٩١٧ تَصَلَب الجِلْد Endurcissement de la peau 4917  
وأرجح قساوة الجلد تاركاً تصلب الجلد ترجمة لـ ( Sclerodermie ) .
- ٤٩١٨ قُدْرَة نَعَضَانِيَّة ، قُدْرَة Energie cinétique , 4918  
حَرَكَية ، قُدْرَة التَّأثير , énergie dynamique ,  
d'action

وأقر مجمع اللغة ترجمة ( Energie ) بطاقة ( وهي الدارجة )  
( Cinétique ) بحركية وتعريب ( Dynamique ) بديناميكا وديناميكية  
في النسبة إلى اللفظة .

وجاء في تعريف اللفظة الأخيرة : يغلب إطلاق الاسم في الاصطلاح  
الحديث على علم القوى على الوجه الشامل سواء نشأت عنها الحركة أو اتزنت  
وترتب على ذلك سكون الأجسام ، وبهذا الاعتبار يقسم قسمين : ( علم الحركة )  
Kinetics ويبحث فيه عن الحركة على الوجه الذي يراعى فيها القوى المحركة  
والثاني ( الاستاتيكا ) ويبحث فيه عن شرائط اتزان القوى وسكون الأجسام .  
وعليه تصبح ترجمة اللفظة : طاقة حركية ، طاقة ديناميكية وطاقة العمل  
( وأرجحها على الثانية ، لأن هذه اللفظة مستعملة ترجمة لـ Induction )<sup>(١)</sup> ،  
ولا أرى حاجة لاستعمال التفعيضان ترجمة للفظـة<sup>(٢)</sup> .

٤٩٢٤ طِفْل مُغَذًى بِالرَّضَاعَةِ Enfant élevé au biberon 4924

وأرجح رَضِيع بِالرَّضَاعَةِ أو بِالمَصَاص كما هو دارج في سورية .

٤٩٣٥ طِفْل مَغْذَى بِالرَّضَاعَةِ ( بالثدي ) Enfant élevé  
ou sein 4925

والأفضل رَضِيع من الثدي . وقد أقر مجمع اللغة ترجمة ( Allaitement  
au sein ) بالإرضاع والرضاعة وجاء في التعريف إرضاع الرضيع من الثدي .

( للبحث صلة ) الدكتور حسني سبيع



(١) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .  
(٢) في اللسان : تَفَضَّ الشيءَ يَتَفَضَّه تَفَضًّا وَتَفَضًّا وَتَفَضًّا وَتَفَضًّا وَتَفَضًّا  
فَحَرَكَ واضطراباً والتَفَضُّ هو أي حركته كاللينة تجيب من الشيء . ويقال تَفَضَّ  
الإن أيضاً رأسه يَتَفَضُّ ولا يَتَفَضُّ . والتَفَضُّان تَفَضُّ الرأس والأُمنان في  
الرجف إذا رجفت لؤلؤ تَفَضَّت .

# ومضات من التاريخ

وفترات دامية من بدء عصر الانهيار

.. في تاريخنا الكثير من القصص والحكايات ذات الدروس والعبر لو أخذ الناس يقيسونها على ما يجري في عصرنا هذا لما وجدوا أي فرق من حيث النتائج ، وانتهوا إلى أن الطبيعة البشرية هي عند انسان اليوم . وان ما يتبدل في الواقع هو المظهر لا أكثر ولا أقل .

ويتناول هذا البحث بعض خلفاء العصر العباسي ، وبعض مظاهر الحياة في ذلك العصر ، ولا سيما فترات الانهيار التي سادت فيها الفوضى ودمت الفساد بعد ان زال أو كاد ذلك الملك الضخم الذي وطد أركانه اولئك الهداة الأطهار والبناة الأخياري منذ صدر الإسلام حتى بداية العهد العباسي .

## ثامن الخلفاء

ويعلم الذين درسوا تاريخ العرب في عصورهم المختلفة أن عوامل الانهيار قد بدأت منذ خلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد « ٢١٨ - ٢٢٧ هـ » ، ٨٣٢ - ٨٤١ م » ثامن الخلفاء العباسيين - هذا الخليفة الذي لا يذكر المؤرخون من صفاته بالنسبة لإخوته سوى قواه العضلية حتى قالوا انه كان يحمل ألف رطل من الحديد ويمشي بها خطوات ، وانه إذا اعتمد باصبعه



السبابة والوسطى على ساعد انسان دقه ! وكان يلوي الحديد حتى يصير  
فلوقاً (١) ، أو يشد على الدينار باصبعه فيمحو كتابته !  
وسواء أكانت هذه الصفات صحيحة أو مبالغاً فيها ، وقد تكون إلى  
التهويل أقرب ، فالشيء المتفق عليه انه كان أمياً قليل الذكاء ، وان قواه  
العضلية هي أبرز صفاته ! ..

### بداية الانهيار

أقول ان انهيار الدولة العباسية قد بدأ منذ عهد المعتصم الذي جزّ  
على العرب كل البلاء .  
فقد اعتمد على الجنود الأتراك فأقبل على شرائهم من مواليهم بالعشرات  
والمئات حتى اجتمع له منهم أربعة آلاف جندي ألبسهم أنواع الديباج والمناطق  
والحلي المذهبة وميئزهم على سائر جنود المملكة من أبناء العرب الخالص !  
وقد كان هؤلاء الجنود الدخلاء الذين اصبحت السلطة بيدهم وبيد قادتهم  
الأثر السيء في نفوس الأهالي وفي نفوس الجنود المواطنين .  
وبالرغم من الحمس الذي ساد أوساط الشعب وبعض وحدات الجيش  
فإن المعتصم لم يصنع لهمسات المعترضين ولا لصيحات الناقين بل ازداد في  
رعايته لهم وعطفه عليهم بأن أقطعهم أماكن ومزارع خاصة بهم وظلّت  
الكلمة العليا لهم حتى نهاية خلافته . وحتى خلافة ولده «الرائق» الذي  
كانت له بعض صفات أبيه وأمهها الميل إلى مجالس اللهو والغناء ..  
ولم تطل خلافة الرائق ولم تتميز بجداث جسيم سوى بظهور بعض  
الانتفاضات والثورات الداخلية التي أخذت فوراً .

(١) الفلق : نصف المي .

### نيرون العرب

وجاء بعده المتوكل الذي اتفق بعض المؤرخين على أن يطلقوا عليه لقب « نيرون العرب » ففي عهده بدأ انحلال الامبراطورية العربية وتسرب الفساد في جسم الدولة « ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ = ٨٤٨ - ٨٦١ م » .  
وليس هذا فقط بل اتجه إلى هذه التصرفات التي تفسد كرامة الخلافة وصولاً إلى الملك - فقد اتجه انجماً رجعياً في إدارة شؤون المملكة - كان من نتائجه أن أقصى رجالات الفكر عن مناصب الدولة وزج الأبرياء في السجون وعطل الحلقات العلمية التي كانت تلقى فيها دروس العلم والفلسفة . واضطهد اليهود والنصارى ، ولم يكتف باقصائهم عن الوظائف الكبرى بل حرّمهم جميع الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في عهد أسلافه الخلفاء ! ..

### كرهه لآل البيت

نعم ، لم يقف في تصرفاته الشاذة عند هذا الحد ، أي لم تكن كراهيته موجّهة إلى الذميين وإلى المفكرين وأصحاب العقول الرجيمة بل بلغ من كراهيته لعلي بن أبي طالب وآل بيته انه أمر بهدم قبر الحسين في كربلاء .. وأمر بزرعه وسقيه ..

ان الثغرة التي فتحتها المعتصم للأتراك وجاء المتوكل فوسع من نطاقها . ان هذه الثغرة قد جرّت عليه البلاء كما جرّت الوبال على خلافته ..  
فقد استعمل الشدة في إدارة شؤون المملكة ، وكان من نتائجها أن طعنّت حرية الفكر في الصميم .

ولم يشفع له ازدهار الحياة الاجتماعية في عهده ، فكانت في مظاهرها بريقاً زائفاً ، وقل مثل هذا عن انضام بعض رجال العلم والأدب حوله

للحوار والمناظرة فقد شطرت هذه المجادلات العقيمة الناس شطرين دون أن تؤدي الفائدة المرجوة ..

### كان ينثر الأموال بغير حساب

هذا ، وقد كان ينثر الأموال بغير حساب ! ..  
فقد دخل عليه البحري يوماً - وكان من شعرائه المقربين اليه وقد أخلص اليه وأفاد منه أموالاً طائلة - أقول دخل عليه وهو في مجلس شراب يمدحه بقصيدة مطلعها :

عن أي ثغر تبتسم وبأي طرف تحتكم  
وكان في هذا المجلس شاعر آخر اسمه أبو العنبرس وقف يلقي قصيدة ثانية يعارض فيها البحري ، وكانت من الهجاء المقذع .  
وليس أكثر إثارة لقرائح الشعراء المداحين من هذه المناسبات التي يتأكل الحسد فيها قلوب بعضهم بعضاً ..

ماذا كان مطلع قصيدة أبي العنبرس ؟

لقد خاطب البحري بقوله :

من أي سَلَح تلتقم وبأي كَفْ تلتطم

أدخلت رأسك في ... وعلمتُ أنك ممنهزم

وقبل أن ينتهي من قلاوتها ترك البحري المجلس لأنه لم يملك أعصابه لسماع هذا الهجوم المقذع الذي أضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه !

وقد روى أحد شهود هذه المعابشة بقوله :

جاءني البحري فقال لي يا أبا خالد : أنت عشير وابن عم وصديق ، وقد رأيت ما جرى عليّ ، أترى أن أخرج إلى منبج بغير إذن ، فقد ضاع العلم وهلك الأدب ، فقلت : لا تفعلن من هذا شيئاً ، فالملك تزعج بأكثر

من هذا ، ومضيت معه إلى الفتح بن خاقان فشكا إليه ذلك . فقال له نحواً من قولي ، وعوضه ، فشكر لي ذلك .

وكان رصيد هذه المعايضة بين الشعراء ان خسر بيت المال أو خسرت موازنة الدولة بتعبير اليوم ، مبلغاً ضخماً ثمناً لهذه المفاكمة الباردة ١ . عشرة آلاف درهم للشاعر المهجاء أبي العنيس . وعشرة آلاف درهم للبحثري ترضية له .

وعشرة آلاف درهم لرجل من البصرة .. يظهر ان دوره في هذه الجلسة كان دور المهرج الذي يقوم بفصول « كشكشية » .. وإذا كان الدينار عشرة دراهم كما قدره أحد المؤرخين فيكون المتوكل قد دفع في ساعة من ساعات لهوه وشرابه وعلى مفاكمة باردة ثلاثة آلاف دينار ذهبي ! .

وهذا مبلغ ضئيل بالنسبة للمبالغ الطائلة التي كان ينفقها على لهوه وشرابه ١ .

### حكم دام خمسة عشرة سنة

كانت هذه المناسبات تتكرر كل يوم مدى حكمه الذي دام خمس عشرة سنة وكانت الامبراطورية العربية في طريقها إلى الانهيار والاضمحلال سواء بما بدا منه أو من كان على طرازه ! ويصف المؤرخون المتوكل بأنه كان أنيق الملبس ، يعنى بهندامه وزينته كل العناية .

وكان يلبس في الربيع ، وحين تفتتح الورد ، الثياب الحر ، ويأمر بالفرش الأحمر ولا يرى الورد الا في مجلسه . وكان يقول :

« أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياض ، وكل منا أولى بصاحبه ..

### بعض مظاهر التخنث

وقبل أن يتولى الخلافة كان يرسل شعره على قفاه في زمن أخيه الراحل الذي كان يرى في ذلك لونا من التخنث ، فأمر وزيره ابن الزيات ، وكان وزيراً حازماً صلد القلب ، مهيب الجانب ، تخافه الرعية - أمره ان يحز شعر المتوكل وان يعيد له مظاهر الرجولة .

فلم يتردد الوزير ، فحز شعر قفاه . وضربه في وجهه ! .  
وقد أثرت هذه العملية في نفسه فتلقى الإهانة بصبر ، وسكت على مضض !  
ولما أصبح خليفة أحب أن ينتقم من الوزير . فأمره ان الانتقام فكر فيه ؟  
هل يقيه من منصبه ؟

هل يصادر أمواله ؟

هل يأمر بنفيه ؟

لا . . فمن وسائل التعذيب المعروفة في عهده زج المفضوب عليه في تننور من الحديد ، رؤوس مساميره إلى داخل قائمة مثل رؤوس المسال .  
فإذا غضب على فرد من أفراد الرعية أدخل فيه وحبس عنه الطعام حتى يقضى عليه !

وهذا التننور من اختراع وصنع الوزير ابن الزيات الذي أمر بصنعه للذين كان يغضب عليهم من الرعية .

اذن من أولى بهذا القصر الجهنمي من الوزير الذي جز شعر قفاه وضربه

في وجهه ؟ ..

### الوزير في التنور

ففي ساعة من ساعات غضب المتوكل وحقده . وبايحاء من خصوم ابن الزيات صدرت أوامر الخليفة - المتوكل على الله أو على الشيطان لا أدري - صدرت أوامره بزج " الوزير في ذلك التنور الجهنمي الذي اخترعته مخيلته ليعذب فيه الأبرياء ..

من القصر الفخم إلى التنور المظلم ..

وحين ضمه هذا القفص الحديدي الخائق احسن " بنهايته ودنو أجله .. لقد ذهب نفوذه وجبروته وسطوته نتيجة هفوة لا يد له فيها ! وقبل أن تحين منيته طلب دواة وبطاقة ليطلب فيها كلمة استرحام . ولبثى طلبه .

فماذا كتب ؟

فكر طويلاً ثم كتب البيتين الآتين :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ماتريك العين في النوم  
لا تجزعن رويداً انها دول دنيا تنقل من قوم إلى قوم  
ولكن هذه العظة التي أراد أن تصل إلى أذن الخليفة وان تنس " شفاف قلبه فيتمتع ، ويذكر القبر الذي ينتظر كل جبّار عنيد ، لم تصل إلى « نبيرون العرب » إلا بعد أن قضى الوزير نحبه !

### من جنود مرتقة إلى حكام متسلطين

وقد لعب القواد الأتراك ، خلال هذه الفترات ، أو في عهدي المعتمد والمتوكل - لعبوا أدواراً خطيرة ..

فبعد أن كانوا «جنوداً مستأجرين» استخدمهم لدعم نفوذهم أصبحوا الكل في الكل .

ولما تولى المتوكل الخلافة قوي نفوذهم طمعاً منهم في مناصرتهم له على « الشيعة العلوية » فما عتصموا ان قويت شوكتهم وبسطوا سلطانهم على الخلافة نفسها . يرفعون مَنْ شايهمم ويعزلون أو يقتلون من ثار على طغيانهم . وقد اطمأن المتوكل إلى اخلاص مواليه من الفرس والترك فانصرف إلى أهوائه وملذاته ، يشرب ويطرب ، يلهو ويلعب ، ويقضي الليالي الحمراء مع خلّائه وخليلاته ..

ولم يكن في هذا الاطمئنان بعيد النظر . فقد ظن ان سطوته المستمدة قوتها من القواد الأعاجم . وتصرفه بأموال الدولة ينفق منها على المحاسيب والأنصار بسخاء ، ظن ذلك كفيلاً بدوام سيطرته .

وان هذا الملك المريض الذي آل اليه سيظل في حوزته مادام قواده الأتراك يعملون تنكيلاً بـ « الشيعة العلوية » ، خصومه الألداء ! .. وبلغ به الغرور والخيلاء ان فكّر في ساعة من ساعات صفوه ولهوه ان يقسم الدنيا التي آلت اليه بين أولاده الثلاثة .

فما هي لحظات حتى جمع وزيره الفتح بن خاقان وبعض أصحابه وخلّائه ومَنْ بيدهم أمور المملكة وقسم الدنيا التي تحت حوزته كما يلي :

### تقسيم الامبراطورية

١ - أعطى ابنه الأكبر محمداً المنتهر رقعة واسعة من عريش مصر إلى افريقيا - المغرب كله - حيث سلطانه ..

وأضاف اليه جند قنسرين والمواصم والثغور الشامية والجزيرة وديار بكر وربيعة والموصل والفرات وهيت وعانة والخابور ودجلة والحرمين واليمن

واليامة وحضرموت والبحرين والسند وكرمان وكور والأهواز ومايندان ومهرجان وشهرزور وقم\* وقاشان وقزوين والجبال ..

٢ - وأعطى ابنه المعتز بالله خراسان وطبرستان وماوراء النهر والشرق كله ..

٣ - وأعطى ابنه المؤيد بالله ابراهيم أرمينية وأذربيجان وجند دمشق والأردن وفلسطين ..

هكذا ، قسم الامبراطورية الكبرى التي جاءته بعد أن قام أولئك الفاتحون البررة بفتحها بقوة ايمانهم - هذه الامبراطورية العظيمة المترامية الأطراف التي تناثرت وتفتكت بعد أن آلت إلى اناس لم يحسنوا صناعة الملك فأصبحت مناطق نفوذ لأمراء مختلفي المذاهب والميول ومختلفي العقائد والعصبيات .

### في ثورة من الزهو والكبرياء

كان المتوكل ، بعد أن قسم دنياء العريضة على أولاده - في ثورة طاغية من الزهو والكبرياء .. - أي كان في غفلة عن أحداث الدنيا وتقلباتها ، وفاته ان الدنيا كما وصفها الحكماء - لا يدوم نعيمها ، ولا يؤمن غدرها ونكباتها ، ولا يتم فيها سرور ، ولا يؤمن فيها محذور ، قد قرنت السراء بالضراء ، والشدة بالرخاء ، والنعم بالسلوى . فمع نعيمها البؤس ، ومع سرورها الحزن ، ومع صحتها السقم ، ومع حياتها الموت ! ..

ان المتوكل لم يكن من الغفلة بحيث لا يدرك هذه الأشياء ، ولكن أهواؤه طغت على تفكيره ، فما كاد يصحو من سكرته الطويلة حق رأي نفسه أمام الكارثة وجهاً لوجه ..



أية كارثة ؟

مؤامرة تحاك له في الخفاء لازاحته عن صولجان الملك والقضاء عليه .  
وَمَنْ هم المتآمرون ؟

القواد الأتراك الذين اعتمد عليهم في بسط سيطرته ودعم نفوذه !  
لقد شعر في أيامه الأخيرة ان أوامره لم تعد نافذة كما كانت سابقاً ..  
أي أخذ يشعر ، وبعد فوات الأوان ، ان سطوة الخليفة أخذت في  
التقلص والانكماش ..

أصبح جوّ بغداد في نظره موبوءاً ..

ولم يعد يطيب له فيه المقام ..

لقد تفرق أولئك الذين كانوا عدته وأصفياءه وقبوعوا في بيوتهم بعد  
أن أصبحت السلطة المطلقة بيد الحثالات من الأعجام يفرضون طغيانهم  
ويسيطرون على خلص العرب من السادة والأشراف .

أصبحت إشرافة بغداد ظلمة اصطبغت بالنجيع الأحمر ..

كيف الخلاص من هذا الجوّ الموبوء ؟

لقد قرر الهجرة ..

من بغداد إلى دمشق

قرّر أن يهجر بغداد إلى دمشق ، وأن يعيش في جوّ عربي خالص .

وبالفعل فقد شدّ الرحال إلى دمشق ..

وفي عاصمة الأمويين تنفّس الصعداء ، وكأنه قد لقي ذاته ..

وقد أشار شاعره البحتري إلى هذا بقوله :

قد رحلنا عن العراق وعن قطبها النكد  
حبذا العيش في دمشق إذا ليلها برد

حيث يستقبل الزمان ويستحسن البلد  
سفر جددت لنا اللهم — وأيامه الجدد

جاء دمشق ليحيي ليلاليه الساحرة في بغداد .. ولكن مواليه الأتراك  
كانوا له بالمرصاد ، فلم يتركوه ينعم في هذا الجو الجديد ويقضي أياماً هنيئة  
في جزء من أجزاء مملكته بل لحقوا به إلى دمشق وأخذوا يضايقونه .  
فتركها ونزل في قصر المأمون بعيداً عن دمشق ، وهو قصر فخيم  
يقع بين داريا ودمشق ..

لقد ابتعد زيادة في الحيلة والحذر ..

ولكن نبأ قدومه دمشق لم يكذب ينتشر حتى انتهت عليه الطلبات من  
مختلف الأفراد والهيئات .. وكل فرد يريد قضاء مصالحه وحاجاته ..  
وكان كعادته يبذل بسخاء ولا يرد طلب أحد ..

### ثورة الجنود

وكان من الممكن ان يوطد مركزه في دمشق ولكن مواليه الأتراك  
قد أثاروا الجنود وحرضوهم على الثورة ..

لقد أمسكوا عنهم رواتبهم وجعلوا الخليفة هو المسؤول عن ذلك ..  
وثار الجنود يطلبون رواتبهم المتأخرة .

ولم تكن ثورة لفظٍ وكلام بل ثورة دامية لعب فيها السلاح والرمي  
بالذئاب فكانت السهام ترتفع في الرواق مستهدفين الخليفة بالذات مما  
أثاره وأقلقته وأقضى مضجعه ..

وسرعان ما أصدر أمره بتوزيع الرواتب على الجنود .

وما هي إلا ليلة ظلماء تأكلته فيها الهواجس حتى قرر العودة إلى العراق .

وكانت المؤامرة قد نسجت خيوطها لقتل المتوكل وهو في دمشق .  
ولكنه استطاع بفطنته ورفطنة وزرائه أن يسلم بنفسه وان يعود إلى العراق ..  
وقد قصد المتآمرون أن يتخلصوا من المتوكل وأن يستلموا هم زمام السلطة .  
وكانت مؤامرتهم في ظاهرها الدفاع عن العلويين ، وفي باطنها التخلص  
من الخليفة واستصفاء السلطة للعنصر التركي .

### خصومة بين الأب والابن

وإذ عرف المتوكل ببغضه للعلويين فقد جعلوا من ابنه خصماً له .  
... والواقع ان ابنه المنتصر كان يخالف أباه في هذا الاتجاه ..  
وتروى قصص مثيرة بين الأب والابن حول حب علي وكرهيته ، ولا نريد  
أن نتوسّع في هذا الموضوع وهو ذو ذيل طويلة ومريعة في آن واحد .  
وهكذا ، فقد حيكت هذه المؤامرة من خيوط هذا الخلاف وان  
كان الاتجاه في حقيقة القضاء على الأب والابن معاً !

### المتوكل في أيامه الأخيرة

عاش المتوكل أيامه الأخيرة في جوٍّ موبوء من الدسائس والتزلف والرياء ،  
وقد اعتلّت صحته من كثرة السهر والادمان على الشراب ، وكان المحيطون  
به يفاجئونه كل يوم ، بل كل ساعة ، بنخب لا يدخل السرور إلى نفسه ..  
كان كمن سبقه من الخلفاء يصلي الجمعة بالناس ، ولكنه امتنع في  
الأيام الأخيرة عن الصلاة بالناس .

وأقبل عيد الفطر ، وكان يريد في هذا الجو المموم ، أن يقبع في  
قصره .. ولكن جاءه وزيره ابن خاقان يقول له :

ياسيدي لقد تطلّع الناس إلى رؤية أمير المؤمنين في يوم الجمعة فاجتمعوا  
واحششوا فلم يركب أمير المؤمنين .

ولا نأمن ان هو لم يركب أن يرجف الناس بعلمته ، ويتكلموا في أمره ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسر الأولياء ويكبت الأعداء بركوبه فعل ..

### صلاة وتوبة

وكان لمشورة وزيره أثرها في نفسه فأمر رجال القصر بالتأهب والتهيؤ للصلاة .  
 وضرب له المصاف نحو أربعة أميال .  
 وترجل الناس بين يديه .  
 فصلّى ورجع الى قصره .  
 ولم يكده يدخل عتبة القصر حتى أخذ حفنة من التراب ووضعها على رأسه .  
 وسئّل عن ذلك ..  
 فقال : لني رأيت كثرة هذا الجمع .. ورأيهم تحت يدي ..  
 فأحببت أن أتواضع لله عز وجل ..  
 وقبع في قصره خلال أيام عيد الفطر الثلاثة دون أن يدعو اليه ندماءه . لا لعزوف نفسه عن اللهو والعبث بل كان يشكو العليل والأمراض فكانت توبته توبة العاجزين !  
 وقد اشتى لحم الجزور فسمح له به أطباؤه . وأمر بمدّ الأسطة ودعا اليه الندماء والأصدقاء وشعر في ذلك اليوم بسرور لم يعرفه من أيام ملكه !

### هدية زوجته قبيحه

يقول ابن الحفصي : لم يكن أمير المؤمنين في يوم من الأيام أمر منه في ذلك اليوم .

لقد أخذ مجلسه ودعا بالندماء والمغنين فحضروا ، وأهدت اليه « قبيحة »  
 مطرف خز" أخضر لم ير الناس مثله حسناً ..  
 وقبيحة هذه فتاة رومية ، كانت فائقة الجمال ، وهذا من أسماء الأضداد .  
 تزوجها المتوكل وأنجبت له المعتز الذي أصبح خليفة .  
 ونظر المتوكل الى هديتها الجميلة وأطال النظر .. فاستحسنه ، وكثر  
 تعجبه به . وأمر به فقطع نصفين ثم أمر برذه عليها ..  
 وقال للرسول : أشكرها على صنيعها وعلى هديتها ، وعلى ذكرها لي ..  
 ثم التفت الى ندمائه يقول :  
 إن نفسي لتحدثني اني لا ألبسه ، وما أحب أن يلبسه أحد بعدي ،  
 وانما أمرت بشقه لئلا يلبسه أحد بعدي ..

### نهاية رهيبة

كان المتوكل يشعر من الأعماق أن أيامه الأخيرة قد دنت . وأنه قد  
 اقترب أجله نتيجة هذه المؤامرات التي يحكوها له قواده الذين اعتمد  
 عليهم في السيطرة !

قال له الندماء : يا أمير المؤمنين هذا يوم مرور ونعيذك بالله أن تقول هذا ..  
 وسكت على مضض .. وبدأ يشرب على غير وعي منه .. وما كاد  
 يفرغ الكأس الرابع أو الخامس حتى انهمرت الدموع من عينيه وقال :  
 أنا والله مفارقكم عن قليل ..

وطمأنه الندماء وخلص أصحابه ..

وعاد إلى الشرب . واستمر في لهوه ومروره إلى أخريات الليل ..  
 ولكن هذا السرور كان مشوباً بمخاوف .

كان يشعر في قرارة نفسه أن المتآمرين يدبرون خطة جهنمية للتخلص منه والقضاء عليه ، ولا سيما بعد أن سيطر الأتراك على الموقف سيطرة تامة .. وفي ليلة من ليالي شوال ، وفي اليوم الرابع بالضبط ، وبعد أن أعدوا كل خيوط المؤامرة دخلوا عليه بالسيوف ، فلم يكد الحراس يشعرون بدخولهم القصر من باب الشطّ حتى صاحوا بهم ما هذا أيها السفلاء .. ولكن السيوف كانت تلتصع في دجنة الليل .. وإذا هم وجهاً لوجه مع القواد الأتراك ، مع بفلون التركي وباغر ومومى بن بغا وهارون بن صوازيكن وبغا الشراي ..

وأفاق المتوكل مدعوراً على دوي هذه الجلبة وسأل قائده : ما هذا؟ قال : هؤلاء الحرس الذين يبيتون على باب سيدي أمير المؤمنين .. وتراجع المتآمرون خطوات .. وقرروا الفرار .. ولكن بغا التركي صاح بهم محرضاً وقال : أيها الأندال انكم مقتولون ان لم تقتلوا المتوكل ، وعليكم أن تقدموا وأن تموتوا كراماً .

وعادوا الى باحة القصر ..

ونزل المتوكل يواجه الموت بايمان قوي ..

وبالرغم من وقوفه في وجههم موقف الصنديد الشجاع دفاعاً عن نفسه ، ووقوف وزيره الفتح بن خاقان أمامه ليحميه ، فقد انهالوا على الوزير فقبضوا بطنه - أي طعنوه بالرمح - ثم انهالوا على المتوكل فقطعوه إرباً إرباً .. وهكذا ، فقد لقي حتفه ومات أبشع ميتة نتيجة اعتياده على رجال من غير بني قومه ، على القواد الأتراك الذين سولوا لابنه بريق الملك ولذة الحكم فاندفع وراءهم دون أن يحسب لجسيات الأمور أي حساب فنفذت المؤامرة وكانت نهاية رهيبة واجهها المتوكل بعد أن تربع على صولجان الحكم خمس عشرة سنة كاملة ..

### رثاء شاعره البحري

وقد كان البحري من شهود هذه المأساة ، وقد أشار في رثائه للخليفة المتوكل الى أكثر ظواهرها فمن قوله :

ولم أنس وحش القهر ، إذ ريع سربه  
وإذ صيح فيه بالرحيل ، فمُتِيكت  
وَوَحْشَتُهُ ، حتى كان لم يقم به  
كان لم تَبَيَّتْ فيه الخلافة طَلَقَةً  
ولم تجمَع الدنيا اليه بهاءها  
وإذ ذُعِرَتْ أطلاؤه وجاذِرُهُ  
على عَجَلٍ أَسْتارُهُ وسنائرُهُ  
أنيسٌ ، ولم تحسُنْ لعينِ مناظره  
بشاشتِها ، والملاك يشرق زاهره  
ويهجتها ، والعيش غَضٌّ مكاسره

الى أن يقول :

حلومٌ أضلّتها الأمانى ، ومُدَّةٌ  
ومغتصبٍ للقتل لم يَخْشَ رَهْطُهُ  
صريع تقاضاه السيوف حُشاشَةً  
أدافع عنه باليدين ، ولم يكن  
ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي  
حرامٌ عليّ الراح بعدك ، أو أرى  
تناهتٌ ، وحنفٌ أوشكته مقاديره  
ولم تحتثم أسبابه وأواصره  
يخود بها ، والموت حمر أظافره  
ليثني الأعادي أعزل الليل حامرُهُ  
درى الفاتك العجلان كيف أساوره  
دماً بدم يجري على الأرض مائره

ثم يشير الى تغرير قواد الأتراك بابن المتوكل بقوله :

وهل أرتجي أن يطلبَ الدم واترٌ  
أكان وليُّ العهد أضمر غدره  
وفي مثل هذه الأحداث التي تتكرر كل يوم عظة وأي عظة !!

سامي الكبيالي



# شعر دعبل

## في نظر القدامى والمحدثين

هذه مجموعة لأهم الأحكام التي وصلت إلينا على شعر شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي ، مرتبة ترتيباً تاريخياً يبين نموّها ويصوّر من خلالها ذوق النقاد والأدباء على اختلاف العصور ، منذ عصر الشاعر حتى اليوم . ولهذا الأحكام قيمتها الفنية الذاتية ، فقد أبدى القديم منها قوم كان شعر الشاعر كله في أيديهم ، فأحكامهم عامة تستغرق ما وعوا من شعر الشاعر وتصور تأثرهم به . فمن النافع حقاً - وقد ضاع اليوم شعر الشاعر فلم يتبق منه في أيدينا إلا قصائد قليلة ومقطعات وأبيات ممزقة (١) - أن نراجع هذه الأحكام ونقرأ ما تبقى من الشعر في ضوءها ، لتكتمل لنا صورة هذا الشعر وتجتمع لنا نواحيه كلها .

ومن النافع أيضاً أن نقرن أحكامنا الحديثة فيه بالأحكام القديمة حتى يبين ما قلناه عن معرفة وذوق وتذوّج ، وما قلناه عن تقليد وترديد وتعميم مفرط .

وأحسب أنه يحسن أن نصنع مثل هذا السرد التاريخي للأحكام الفنية التي وصلت إلينا في شعر كل شاعر من شعرائنا ، ليكون لنا من ذلك ما يقرب أن نسّميه - حين نجمع بعضه إلى بعض - خرائط نقدية عامة نفيد منها في دراساتنا وموارثنا ، ونستخلص منها ، في أيسر كلفة ،

---

(١) جمعنا هذا الشعر وصنّفناه صنفاً منهجية فانظره في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق لسنة ١٩٦٤ .



آراءنا في النقد والنقاد والشعر والشعراء ، وفي العصور الأدبية وأدواقها وتفسيرها للأدب والحياة .

على أن هذا كله يرتبط ، دون شك ، بحركتنا الناشطة في نشر تراثنا المخطوط ورعايته والسهر عليه ، والتخطيط لعملنا فيه تخطيطاً عاماً علمياً متكاملًا يستمد حوافزه من إدراكنا العميق لقيمة هذا التراث الإنساني الرفيع في فهم حياتنا العامة ، وحياتنا الوجدانية بصورة خاصة ، فضلاً عن قيم الجمال الفني المبثوث فيه إحساساً وتعبيراً .

— م —

### أمطاس القدامى

١ - « لم أقل فيه [ يعني : أباسعد الخزومي ] إلا أبياتاً سخيقة يلعب بها الصبيان والإماء » .

دعبل

الأغاني ١٣٣/٢٠

٢ - « فيها أخبار وغريب » .

دعبل ( عن نصيده اليمانية الكبيرة : أفيقي من ملامك يا ظئنا ... )

الأغاني ١٢٤/٢٠

٣ - « وسئل [ دعبل ] وأنا حاضر عن أجود شعره فقال : القديمة » .

ابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ )

الشعر والشعراء ٨٢٧/٢

٤ - « إن أحببتَه [ يعني : أباسعد الخزومي ] يجواب مثله انتصفت ،

ولولا فإن هذا اللغو الذي فغرت به يسقط وتفضح آخر الدهر » .

محمد بن علي الطائي ( معاصر لدعبل ) من كلامه لدعبل

الأغاني ( ١٣٣ )

٥ - « أحسنت ملء فيك وأسماعنا » .

أبو نواس ( ت ١٩٨ هـ ) حين أنشده دعبل :  
ابن الشباب وأية سلكا  
تاريخ بغداد ٣٨٥/٨

٦ - « وأي شيء ينفعني ؟ إني أجود الشعر فلا يروى ، ويرذل [ دعبل ] فيروى . ويفضحنى برديته ، ولا أفضحه يجيئني » .

٧ - « . . . فما أجتاز بموضع إلا سمعته [ ردي دعبل ] من سفلة يهذون به هذا . فمنهم من يعرفني فيعيبني بي ، ومنهم [ من ] لا يعرفني فأسمعه منه لسهولته على لسانه » .

أبو سعد الخزومي ( ت حوالي ٢٣٠ هـ )  
الأغاني ١٢٢/٢٠ - ٤

٨ - « سألت مولاي أبا تمام عن نسب دعبل فقال : هو دعبل ابن : ضحك المشيب برأسه فبكى » .

الفتح ( غلام أبي تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ )  
الأغاني ١١٣ / ٢٠

٩ - « ختم الشعر بدعبل » .

القاسم بن مهرويه ( معاصر لدعبل وأحد المتعاملين على أبي تمام )  
الأغاني ٧١/٢٠

١٠ - « أهجى أهل زماننا » .

أحمد بن علي الأباري ( معاصر لدعبل )  
الأوراق ( أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ) ٣٣٠

١١ - « كنا في مجلس الأصمعي فأنشده رجل لدعبل قوله :  
لا تمجني يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فاستحسنه . فقال الأصمعي : إنما سرقة من قول الحسين بن مطير :

.....

كل يوم بأقحوات جديد      تضحك الأرض من بكاء السماء » .

الأصمعي ( ت ٢١٧ هـ )

الأغاني ٧٧/٢٠

١٢ - « ومن عسى في هؤلاء [ أبي الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن رزين وطاهر بن الحسين وابنه عبد الله ] أن يسأل عن شعره سوى دعبل ؟ » .

١٣ - « قاتله الله [ يعني : دعبلًا ] ما أغوصه وأطفه وأدهاه ! » .

١٤ - « إنه [ يعني : دعبلًا ] وجد والله مقالاً ، وقال ببعيد ذكرهم [ آل البيت ] ما لا يناله في وصف غيرهم » .

١٥ - « لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه :

ألم يأن للسفر الذين تحمّلوا .....

ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري وهجّيراي  
ومسليتي حق أعود » .

الأمون ( ت ٢١٨ هـ )

الأغاني ١٠٧/٢٠ - ٨

١٦ - « شديد الأمر ، محكم الصنعة ، قليل الطلّالة ، مفحش

الهجاء ، غير مقنع المديح » .

أبو حاتم السجستاني ( ت ٢٥٥ هـ )

ديوان أبي نواس ( المقدمة ) ١١

١٧ - « قال مسلم بن الوليد :

مستعبر يبكي على دمنسة ورأسه يضعك فيه المشيب  
فسرقه دعبل فقال :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى  
فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه .

أبو هفّان ( ت ٢٥٧ هـ )

الأغاني ٧٥/٢٠

١٨ - « دعبل أشعر عندي من مسلم بن الوليد ... لأن كلام دعبل  
أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم » .

١٩ - « يدخل يده في الجراب ولا يخرج شيئاً ! » .

البحري ( ت ٢٨٤ هـ )

الأغاني ٨٧/٢٠ والموشح ٣٢١

٢٠ - « قال دعبل بن علي يرثي ابن عم له من خزاعة نعي إليه ...  
ولقد أحسن فيها ما شاء ! » .

المبرد ( ت ٢٨٥ هـ )

الأغاني ٨١/٢٠

٢١ - « وما يستملح لدعبل أرجوزته في المأمون . وهي فصيحة سهلة » .

٢٢ - « وهو صاحب القصيدة الثائية في آل الرسول ... وهي  
أشهر من الشمس » .

ابن المعتز ( ت ٢٩٦ هـ )

ملقات الشعراء ٢٦٦ و ٢٦٨

٢٣ - « شاعر متقدم مطبوع » .

٢٤ - « قصيدته : مدارس آيات ... من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام » .

أبو الفرج الأصفهاني ( ت ٤٣٠٦ )  
الأغاني ٦٨/٢٠ و ٦٩

٢٥ - « دعبل بن علي الخزاعي . . من المطبوعين » .

الأمدي ( ت ٤٣٧٠ )  
الموازنة ٢٤٦

٢٦ - « وكان دعبل هجاء ، هجى الخلفاء واحداً بعد واحد ، ووجوه كتابهم وقوادهم وحاشيتهم . وهجى حتى قبيلته وأخاه وزوجه وجاريته . ولم يكن يفلت من هجائه وطعنه أحداً نظماً ونثراً من أحسن إليه ، فضلاً عن أساء إليه . وكان ينتقل في البلدان خوفاً على نفسه . وكان مع ذلك يرجع إلى مروءة وحسب وحسن رياس . فجرى يوماً بين يدي عبد الله بن طاهر ذكره فغضب منه ، فقليل له : إنه صاحب مروءة . فقال : تبأ له ولو كان كذلك . كيف تكون مروءة لمن يعصي الرحمن ويطيع الشيطان ويهجو السلطان ! »  
الثعالي ( ت ٤٤٢٩ )

مرآة المروءات ورقة ٣٤٥

٢٧ - « دعبل أكثر القوم [ قومه : الشعراء من أمرته ] شعراً . وهو وأبو الشيص بجران » .

٢٨ - « وكان دعبل مع جودة شعره وفخامة لفظه رجلاً ذاهمة ونبل في نفسه . ويهجو من الخلفاء فما دون . وكان شعره أكثر من شعر نظرائه » .  
٢٩ - « وشعره قليل السقط » .

٣٠ - « وكان دعبل عالماً بصيراً بالغريب والأخبار وأيام العرب . وشعره يدل على ذلك » .

الثعالي ؟ ( ت ٤٢٩ )

تراجم الشعراء المنسوب إليه ، الورقة ٨٥ و ٨٦

٣١ - « وكان دعبل مداماً لأهل البيت ، كثير التعصب لهم والغلو فيهم . وله المراثية المشهورة [ الثانية ] وهي من جيد شعره » .

الحصري الفيرواني ( ت ٤٥٣ هـ )

زهر الآداب ١٠٢/١

٣٢ - « ومن طبقة أبي نواس : العباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد وصرع الغواني والفضل الرقائبي وأبان اللاحقي وأبو الشيص والحسين بن الضحاك الخليلع ودعبل ونظراء هؤلاء . ساقتههم دعبل . ليس فيهم نظير أبي نواس » .

٣٣ - « ودعبل ما أصاب مع أبي تمام طريقاً ، على تقدمه في السن والشهرة » .

ابن رشيق ( ت ٤٥٦ هـ )

العمدة ١٠١/١

٣٤ - « وأما دعبل فهدبو مقبل : اليوم مدح وغداً قدح . يجيد في الطريقتين ويسى في الخليقتين . وله أشعار في العصبية تحسنها الحمية والطبيعة الغضبية . وكان شاعر علماء وعالم شعراء » .

ابن شرف الفيرواني ( ت ٤٦٠ هـ )

رسائل الانتقاد ٢٣

٣٥ - « خبيث اللسان ، قبيح الهجاء » .

الخطيب البغدادي ( ت ٤٦٣ هـ )

تاريخ بغداد ٣٨٣/٨

٣٦ - « له شعر رائع » .

ابن عساكر ( ت ٥٧١ هـ )

تاريخ دمشق ٣/ورقة ٢٧ و

٣٧ - « شاعر مطبوع مقلق » .

ياقوت ( ت ٦٢٦ هـ )

معجم الأديباء ١١٠/١١

٣٨ - « كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان ينديء اللسان ، مولعاً بالهجو والخط من أقدار الناس » .

ابن خلكان ( ت ٦٨١ هـ )  
وفيات الأعيان ٣٤/٢

٣٩ - « شاعر زمانه ... كان خبيث اللسان والنفس ، حتى إنه هجأ قبيلته خزاعة » .

٤٠ - « الشاعر مفلق » .

٤١ - « رافضي بغيض صباب » .

الذهبي ( ت ٧٤٨ هـ )

سير أعلام النبلاء ٨/ ورقة ١٣٨ ط وميزان الاعتدال ٣٢٨/١

٤٢ - « كان هجاء خبيث اللسان ، حثيث الركائب بالأذى إلى كل إنسان . يأكل الأعراض أكلاً ، ولما ، ويحب الاعتراض بالمعائب حباً جماً . ألف ألا يعرف إلادماً ، لا يبيري من السب أباً ولا أما » .

٤٣ - « له شعر شان ، الاختيار فيه منخفض . شان المختار منه أنه لما تعدى ولاء أهل البيت إلى الرفض رفض » .

ابن فضل الله العمري ( ت ٧٤٩ هـ )

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٩/ ورقة ٢٨٤ و ٢٨٦

٤٤ - « كان خبيث اللسان قبيح الهجاء » .

الصفدي ( ت ٧٦٤ هـ )

الوافي بالوفيات ٨/ ورقة ٥٣

- ب -

## أعظام المحرّبين

٤٥ - « إذا نظرنا إلى أشعار دعبل نظرة نقدية فإننا لا نجد فيها إلا القليل من الشعر الذي يسمو إلى مرتبة الشعر الجيد . كما أننا لا نجد له من الشعر الذي يمتاز بجلال موضوعه إلا بضع قصائد مفردة . وبعض قصائده معانيث مسلية قليلة الغناء . أما أغلب قصائده فهجاء مفحش وأغان مبتذلة تغنى الناس بها في الطرقات » .

شادة Schaade

دائرة المعارف الإسلامية ٩/٢٤٤

٤٦ - « ظل يحيد أساليب الشعر القديم حتى كان الباحث يفضله على مسلم بن الوليد لإحسانه مسالك القدماء . ولكنه انحرف بعد ذلك عن منهجه بهجائه المتأدي في الفحش لأبي سعد الخزومي بضع سنين ، حيث أخذ يذكر مثالب عدنان ويفخر عليها بمناقب قحطان . ثم اجتأ على هجاء الرشيد وبني العباس . حقاً لقيت نغمته السوقية في الهجاء ذيوماً ونجاحاً موقوتاً . ولكنها فضحت ذكره ، وأخلت شعره عند المتأخرين » .

بروكلمان Brockelmann

تاريخ الأدب العربي (ترجمة النجار) ٢/٣٩

٤٧ - « فأنت ترى شاعرية هذا الرجل . لكن شعره خمل بسبب هجوه الخلفاء » .

جرجي زيدان

تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٨٢



٤٨ - « وما كان هجوه ، لو بحثت في أسبابه ، إلا ضرباً من قطع الطريق على الناس اشتهاه ، في أكثر الأحيان ، للذة الصيد والقنص ونزوة المطاردة والتخويف ، لا طمعاً في المال أو طلباً للثرات . »

عباس محمود العقاد

مراجعات في الآداب والفنون بعد ١٩٤٤

٤٩ - « بل لعله [ يعني : شعر دعبل ] أدخل في كلام العرب من شعر كل الشعراء الذين تقدموه في الدور الأول للدولة العباسية . »

٥٠ - « متين السبك ، شديد أمر التراكيب ، فحل الأسلوب حتى لو دعت الضرورة أن يقول شعراً في أقل الأمور التي لا تدعو إلى الاحتفال بالشعر ولفظه . »

عبد الحليم عباس

مجلة الرسالة : السنة ٥ ص ١٥٨٧

٥١ - « إن الفرق بينها [ يعني : مذهب دعبل ومذهب ابن الرومي في الهجاء ] كان فرقا بين المذهب البدوي والمذهب الحضري في الهجاء . فقد كان دعبل بدوياً نافعاً بفطرته ، وكان ابن الرومي حضرياً أنيساً بفطرته . فإذا تبرم ابن الرومي بالناس فلأنما يتبرم بهم تبرم من يألفهم ويأنس إليهم ويماني ما يماني من عشرتهم . ثم يسخط عليهم لأنه مقيد بهم لا يستطيع الفكك منهم . فسخطه أساسه المودة والألفة وليس أساسه القطيعة والثفرة ، كما كان السخط في نفس صاحبه دعبل الخارج على الجماعة ، القاطع الطريق . ولهذا الفرق أثره في موضوع المثالب التي يلقيها كل منهما على مهبويه . فدعبل يسلب المهجو جميع الفضائل التي تعز بها النفس الصارمة البدوية : يسلبه النخوة والكرم والبأس وطيب النخوة ، ويجعله رجلاً يسمع البدوي صفاته فيقول : إنه حقير مرذول . وابن الرومي يسلب مهبوه الفطنة

والكياسة والعلم ، ويلصق به كل عيوب الحضارة التي يجمعها التبذل والتهالك على اللذات » .

٥٢ - « نشأ ابن الرومي ودعبل . . مستحسن الشعر بين من يؤثرون الفحولة اللغوية ، مفضل على المحدثين من طبقته كما قال البحترى » .

عباس محمود العقاد

ابن الرومي : حياته من شعره ٢٢٦ و ٢٤٥

٥٣ - « ولا غرو أن يبتعد دعبل عن التصنع ويأنس بكلام العرب الخلتص ، فهو عربي النبعة لا أعجميتها كأستاذة [ مسلم بن الوليد ] ، بدوي النزعة لا حضريتها . وقضى حياته هارباً من وجه السلطان مستخفياً في الجبال والقفار ، فلم يترك نفسه زخارف الحضارة ومباهجها ، فظل شعره أقرب إلى الطبع من شعر مسلم ، وأدخل منه في كلام العرب العرحاء » .

٥٤ - « يمتاز شعره برشاقته وحسن انسجامه وطلاوقه ووقع أنغامه . فهو لطيف على غير ضعف ، قوي على غير خشونة . ولولا إيمانه في هجاء الخلفاء وإمرافه في سفاسف القول لكان من أسير الشعراء شعراً لسهولة ألفاظه ووضوح معانيه . ولكنه أفسد هذا الشعر بالفحش والإفداع وشم الملوك والأمراء ، فأهمل الرواة بعد موته وأخلوا ذكره » .

٥٥ - « د منزلة دعبل قائمة على شعره الهجائي ، ولا سيما السيامي منه . وهو يشبه بشاراً بإفداعه وفحشه وسلاطته على الأعراض ، ولكنه يفوقه خطراً لنسبته في خزاعة وقشيعه للعلاويين » .

بطرس البستاني

أدباء العرب في العصر العباسي ١٣٥ - ٦

٥٦ - « كان الشعر الشيعي يجمع بين الاحتجاج والتصوير . وكان الكميت الأسدي يتزعم ناحية الاحتجاج في هاشمياته ... ولعل دعبلاً

الحزاعي في مقدمة الذين نهضوا بالجانب التصويري المؤثر في تأنيته التي قصد بها علي بن موسى الرضا بخراسان .

أحمد الشايب

تاريخ الشعر السياسي ١٩٢

- ٥٧ - « صار شاعراً فغلبت سجية اللؤم على شعره » .
- ٥٨ - « مع هذا الشاعر العربي الخالص بلغ الهجاء الذروة . كان مع الأخطل وجريرو والفرزدق هجاء أموات أو هجاء أناس أحياء كالأموات ، فصار هنا هجاء ملوك ووزراء كالملوك ، صار هجاء سياسياً » .
- ٥٩ - « لقد بدت طلائع هجاء دعبل السياسي مع بشار العقيلي ، ولكنه بلغ حده وتجاوز المدى الأبعد مع هذا الشاعر الشاطر » .
- ٦٠ - « تراني أخالف غيري فأجعل دعبلًا من الرؤوس ، وهو عندي من كبارها ، اللهم في الهجاء الذي جاء فيه بالبدع » .
- ٦١ - « أما هجاء الوجه فابتدأ مع دعبل ، وتم عند ابن الرومي » .
- ٦٢ - « إذا قرأت شعر دعبل فلا ترى إلا عريان الكلام ، ومع ذلك تجد شعره حياً ينبض ، لأن روح قائله الشائنة المتمردة تتردد فيه » .

مارون عبود

الرؤوس ١٣٦ و ١٣٩

- ٦٣ - « إلا أن دعبلًا ما فتىء سحابة حياته بدويًا ينفر من التصنع المفرط والتعقيد . فلم يكن تأثره بمسلم إلا كتأثر البحترى . وقد حرص على ألا يدخل في شعره شيئاً من الصعب وغير المأنوس ، وحفظ صناعته أبداً بسيطة قريبة إلى الطبع العربي الصافي العريح . ولم يتورط في إسراف إبي تمام وغموضه ... وهو ، على الإجمال ، سهل الالفاظ واضح المعاني حسن الانسجام ، تتردد فيه أنغام موسيقية عذبة » .

حنا الفاخوري

تاريخ الأدب العربي ٥٠٧

٦٤ - « اختلط الهجاء - في صورة عامة - بالمديح اختلاطاً شديداً عند شعراء هذا العصر [ عصر ازدهار الأدب كما سمّاه ] . ويمكن أن نذكر في هذه المناسبة شاعراً قتل سنة ٨٦٠ م وهو دعبل الخزاعي . . . وكان شعره بخاصة مقطعات لاذعة في لغة منحطة ! »

شارل بلا C. Pellat

Langue et littérature arabes P. 114

٦٥ - « لم يسلك دعبل سبيل كثير والسيد الحميري في هجاء الصحابة وسبهم ، بل اكتفى بمدح العلويين والظعن في أعدائهم من أمويين وعباسيين . »  
 محمد سيد كيلاني  
 أثر التشيع في الأدب العربي ١٣٠

٦٦ - « أوحى صنيع الرافضة في السب إلى الشعراء المجتآن أن يلونوا الهجاء ، فينقلوه من طابعه العربي إلى طابع يتفق وما عليه هؤلاء المجتآن من استهتار بالأعراض . . . وها هو ذا دعبل الخزاعي ، وإن لم يكن قد عاشهم فقد تأثر بمنهجهم ، وجرى في حلبتهم . . . قال يرمي المتوكل بالأبنة . . . » .  
 ٦٧ - « بقي الهجاء [ في الكوفة ، بعد ذهاب الأمويين ] طعناً وسباً ونهشاً في الأعراض . . . وحل لواءه دعبل الخزاعي . . . فكان هجاءه طعناً وكذباً ، وفيه كل ما اتصف به هجاء المجتآن من تعريض بالأعراض ، وإلصاق التهم بالأبرياء . »

.....

وخلاصة القول في هذا الهجاء الكوفي الذي شهدته القرنان الثاني والثالث الهجري ، أنه كان أثراً من آثار البيئة التي ضمت بين ظهرانيها الروافض ، ومنهم السبابون الذين أخذوا طريقة السب والشتم ونهش الأعراض وسيلة لنقد خصومهم من المسلمين الأحياء والأموات .

الدكتور محمد جابر عبد العال

حركات الشيعة المتطرفين ١١٤ و ١٢٢ و ١٢٥

٦٨ - « كان [دعبل] يتخذ من هجاء هؤلاء [يعني : خلفاء بني العباس] وسيلة لمداخ أوليائه من آل البيت ، في بعض الأحيان » .

٦٩ - « ... كدعبل بن علي الخزاعي الذي تعلمد لمسلم بن الوليد فتأثر به أول الأمر ، ثم خرج عليه وعاد إلى تقليد القدماء واقتباع طريقتهم » .  
٧٠ - « ظهر عند هؤلاء المجددين [ في العصر العباسي ] هجاء ليس من طراز الهجاء القديم ولا من قبيل ما روينا من الهجاء البذيء المسف . ولكنه هجاء يعتمد على السخرية من المجهو والاستهزاء به وإضحاك الناس عليه . . . وقد كان هذا الطراز من الهجاء مما شاع عند شعراء القرن الثاني ، ومن أخذ فيه من شعراء القرن الثالث دعبل بن علي الخزاعي » .

الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى

الشعر في بغداد ١٠٧ و ٢٣٣ و ٢٤١ - ٢

٧١ - « ولم ينس الأدب الشيعي في هذه الفترة [ العصر العباسي ] أن يتحدث عن الفواجع العلوية . . . ولدعبل من هذا النوع كثير ، ولكنه ضاع ولم يبق إلا القليل النادر . ولو وصلنا كله لورثنا أدباً قوياً جريئاً يمثل نفس دعبل وقوتها وجراتها » .

عبد الحسيب طه حميدة

أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ١٥٨ - ٩

٧٢ - « إن دعبلاً ، بالرغم من قسوته وربما إقذاعه في الهجاء ، يمثل في الشعر العربي ملهماً من ملامح الكرامة الإنسانية لم يكده يسمو إليه المتنبي الذي لم يتجرأ على هجاء كافور إلا بعد أن هرب من بلاطه ، والذي أمرف في التذلل للأمرء والخلفاء » .

٧٣ - « هجاؤه يومض من خلال حدس متفوق قائم تتعفى فيه بقايا المعاني الهجائية القديمة ، وتبهري لنا معانٍ جديدة تثيرنا ببيكارتها وموافقتها

لمقتضى الحال . ولقد سما دعبل بهذه المعاني عن شعراء الهجاء السابقين ، حيث كان الهجاء نوعاً من السباب والشتائم دون أي فضيلة فنية » .

٧٤ - « لئن كان دعبل في هجائه السيامي يدافع عن عقيدته بشجاعة لا تسكل ، إنه في هجائه العادي المباشر يتخطى الخطيئة في الإلحاح والتهديد والانتكاص . ونكاد لا نشهد له هجاء إلا وكان قد سبقه بمدح . ذلك أن الشاعر كان يتوسل بشعره في سبيل اكتساب المال » .

٧٥ - « شعر دعبل ليس أقل إيلاً من شعر أولئك [ الهجائيين الذين سبقوه ] وليس أقل توسلاً بالمعاني المنكرة المقذعة ، لكنه يختلف عنهم بأنه يعتمد إلى الصور الكثيرة التفصيل ، والمقتبسة من الواقع ، بينما كان أولئك يتوسلون باللفظة العارية الموبقة منحطين بالعمل الفني إلى مستوى الشئمة السوقية الرعناء » .

٧٦ - « لقد اعتمد دعبل في هجائه السخرية الداخلية التي تتولد من اختلال الأحوال في النفس . فهو يتولى العامة اليسيرة الضئيلة ، ويفتق لها بتعليل كثير الغلو والغرابة ، حتى نغطن لكل ما يستر من مضاعفات وجدانية . لا شك أنه لا يتعمق في دراسة النماذج تعمق الجاحظ ولا يستوفي وجوهاً استيفاء ابن الرومي ، ولكنه بالرغم من ذلك فهو يوفق باستثارة التهمك والاستخفاف ، ويترجح في هجائه بين اللعنة والنقمة ... والجزء والتندر » .

الملاحق

فن الهجاء ١٤١ و ١٤٧ و ١٥١ و ١٥٢

يتبين لنا من استعراض هذه الأحكام أن القدماء اتفقوا على أن الشاعر لم يسلك ممالك المحدثين في عصره وتمسك بما سماه النقاد من بعد ( عمود الشعر ) حتى عد الباحثي شعره أدخل في كلام العرب من شعر مسلم بن الوليد . فإذا ذكرنا أن الخصومة الأدبية المثمرة بين التاميتين والبحثيين ، أو بين أصحاب الصناعة وأصحاب الطبع لم تكتب مقدماتها الصحيحة في كتب النقد القديم عندنا أدركنا أن هذه الخصومة بين أصحاب مسلم وأصحاب دعبل هي - وإن لم تدون أخبارها كلها - بدايتها المثيرة . على أنها لم تثر من الغبار ما أثارته في مراحلها الأخيرة بين أصحاب أبي تمام وأصحاب البحثي .

فأما المحدثون فأحكامهم على شعر دعبل يقع كل منها على قدر ما عرف من هذا الشعر . وما عرفوه لا يتجاوز أكثره - في أحسن حال - ما جاء في كتاب الأغاني . وأحسنه - في رأينا - رأي العقاد في هجاء الشاعر ، وأضله رأي المستشرقين . وما تبقى فأكثره ترديد لأراء القدماء وأحكامهم وأقله ينظر إلى ما سبقه من أحكام المحدثين .

المركنور عبد الكريم الأشتر



# التعريف والنقد

## فصول في اللغة والأدب

الأستاذ السيد ظافر القاسمي

عدد صفحاته ٢٤٥ من القطع الوسط طبع في المطبعة الكاثوليكية

بيروت سنة ١٩٦٤

الأستاذ الفاضل ظافر القاسمي الذي كان نقيباً للمحامين بدمشق ، لم يعرفه الناس إلا محامياً مبدعاً ، ووطنياً مخلصاً متحمساً يدرأ عن قومه ويحمي ذمار وطنه ، ويتعصب لحزبه وينافح عن مبادئه ، وطالما قلت في نفسي متمنياً لو أنه أهتم بالعلم كوالده الجليل القاسمي " عالم الشام والإسلام وانصرف إلى البحث والدرس والتصنيف لحفظ ذكر أبيه وأمرته ، وقد كانت دمهشق تفتخر الدنيا بعلمائها وأدباؤها وبيوتات العلم والفضل فيها ، واشتغل أبناء الأمر العلمية بغير ما اشتغل به آباؤهم فانطفأت بدمشق بمشاغل العيش وفرط حب أبناءها للوظائف مشاعل تلك الأمر ومصابيح المعارف .

وكتابه هذا ( فصول في اللغة والأدب ) يشتمل على أبحاث متنوعة طريفة عن الإيلاف أو المعونات غير المشروطة ، وعن ( اليازجي والقرآن والأمثال ) ، ولغة العرب ، وتمازجها مع اللغات الأخرى الفصحى ، والدولة والعروبة ، وعن الفنون الجميلة وفكتور هوغو ، والصدقة والصديق للتوحيد ، وعن أرض السحر ، وعن قرطبة دمشق الأندلس ، وصورة من صور الثورة السورية ، ومرآة نابوليون في يومياته السرية ، وابن المقفع والمرآة ، ونداء الباعة في دمشق القديمة ، وعهد المدينتين العاتية والفاضلة ، إلى غير ذلك من طرائف القول والأبحاث الممتعة .



وفي بحثه عن العربية وتمازجها بغيرها من اللغات بحث عن معجم دوزي ( ملحق المعاجم العربية ) ، وأعجب بفرط تتبعه واستقصائه مع كثرة أخطار الأسفار في عصره ، وقلة المراجع العربية من المخطوطات الموزعة في بلاد الغرب والشرق ، كما أعجب باتقانه لكثير من اللغات الحية والميتة فضلاً عن العربية وألفاظها العامة .

ويرى السكاتب الفاضل أنه بتمازج الثقافات ، واختلاط الأمم يتسرب إلى لغاتها كثير من الألفاظ الأجنبية ، وإن مثل ابن بسام صاحب الذخيرة لم ير بأساً ولا حرجاً في تعريب الألفاظ الأجنبية فيقول : قنبانية للفظة Compagne وهي في الفرنسية تطلق على عدة معان كالصاحبة والرفيقة والشريكة والقرينة ، ومثل ابن بسام في ذلك ابن حيان صاحب تاريخ الأندلس .

ثم بحث عن لفظتين إحداهما عربية انتقلت إلى اللغات الأخرى ، والثانية أعجمية انتقلت إلى لغة العرب ، فالعربية لفظة (معونة) وعرفها دوزي بأنها ضريبة استثنائية يفرضها الأمير حين تنفذ أموال الخزانة العامة ، وانتقلت إلى اللغات اللاتينية الأصل باسم Almonya أو Almaona ، وأما الأعجمية المنتقلة إلى العربية فهي ( طارقة ) اقتبسها العرب من الصليبيين ، وهي لا تعني غير ما يعنيه اللفظ الفرنسي Targe وهو الترس الكبير الذي يزيد طوله على عرضه ، ودخلت هذه اللفظة في كلام أدباء العرب فقال العماد الاصبهاني : ( لمعت بوارق بيارقه ، وراعت طوارق طوارقه ) . وفي كتاب اصلاح الدين : ( سأمحو هؤلاء الصليبيين ما وجدت مع واحد منها طارقة ولا ربحاً إلا النادر ) ، وكان في القاهرة شارع يسمى ( حارة الطوارق ) ؟ وقد قطور معنى هذا اللفظ ( الترس ) في أوربة إلى معنى الجدار المنقّل الواق ، أو لوح من خشب الصنوبر كان المحاربون يقفون وراءه ليتقوا السهام والحجارة .

وفي هذا الكتاب أقصوصة المروءة لصورة من صور الثورة السورية بطلمها عثمان الغبرا صهر المؤلف ، وقد أبدى من ضروب الفتوة والمروءة

العربية ما هو مضرب المثل ، ولولا ضيق النطاق في هذه الكلمة لقصصت قصة هذا الرجل الدمشقي يوم ضرب الفرنسيون دمشق بالقنابل ( ١٩٢٥/١٠/١٩ ) وخشي أهل حي قصر الحجاج من هدم المنازل فهربت منه الرجال والنساء والأطفال إلى حي "المهارة" وفيه حارة البطل المعروفة بزقاق عبد الهادي ، وإلى هذه الأقصوصة الصادقة ألفت نظر القراء ، وهي لعمرى جديرة بأن تشتمل عليها كتب القراءة المدرسية عسى أن يحذو الصبيان حذو البطل عثمان ! ولا عيب في الكتاب إلا اشتغاله على كثير من الطرائف والنوادر والمحسن السوافر ، ولا ينقصه إلا بعض الشروح البسيطة فقد ذكر مثلاً في الصفحة ١١٨ ديوجانس وفيثاغورس وأنكساغورس وكل من هؤلاء الفلاسفة الثلاثة في حاجة إلى بضعة أسطر من الحاشية .

وهناك من السهو الذي لا يحتاج إلى سجود إذ لا عصمة منه لمؤلف قوله ص ٥٨ في السطر الأول : ( ولا أراها متسقة النغم مع السخر والسكر والراح أليس كذلك ؟ ) والصواب ( مع السحر ) بلحاء لا الحاء المعجمة ؟ وقوله في السطر الثامن : فما بال شاعرنا ( يصخو من ورد الحدود وتفاحها ؟ ) والصواب ( يصحو ) بلحاء المهملة .

وفي الصفحة ٦٠ والسطر الخامس هذا البيت وهو من البسيط :

إذا تلاحم منقارهما اختلجا وامتدّ عنقان من عطشى وملتحا والصواب ( منقارهما ) بدليل ثنية ( اختلجا ) .

وقوله ( ١٧/٦٠ ) أي في الصفحة ٦٠ والسطر ١٧ : ( . . . ) ولكن اللفظ حوشي - ألا ترى أن فيه من الحوشية حرفي الشين والحاء ؟ ألم ينهنا أسانئتنا عن استعمال الألفاظ الحوشية في الترسل فما بالك في الشعر ؟ ) . أما قوله أن اللفظ حوشيّ مشيراً إلى لفظ ( شاح ) من عجز البيت الثاني : ( هذي "تزق" وذا مستطعم شاح ) وجعلت الناقدة هذا اللفظ حوشياً لأن فيه من الحوشية حرفي الشين والحاء ! والحوشية منسوبة إلى

الحوش من الجن ، والحوشي من الليل المظلم ومن الكلام الغامض المستهيم ، وهو الغريب الذي لا يفهم ، و ( شاح ) اسم فاعل من شحافه اذا فتحه ، وليس كل لفظ فيه شين وحاء من الحوشية الغريبة النافرة فهذان الحرفان في شحط الديار والبلدان ، وشحم الغنم والبقرات السماء ، وفي الحش من الإنسان ، وفي شحوب الألوان ، وفي الشحارير من أطيوار الألمان ، الى غير ذلك من الألفاظ المستعملة الفصاح الحسان .

ومما لا يحتاج الى بيان قوله ( ١٢/٧٧ ) : ليس هنالك من لفظ يوم مقام الضوضاء ، والصواب : ( يقوم مقام الضوضاء ) ؛ وقوله ( ٢٠/٧٩ ) : تزيد رواء وقد قرده قبيحاً ، والصواب : تردته قبيحاً ؛ وقوله ( ٨٦ ) في الحاشية : قول ابي ضخر الهذلي ، وهو أبو صخر الهذلي ؛ وقوله ( ٥/٨٩ ) : ولا أجد كتاباً ولا خطأ ، ولعل الصواب ولا خطأ ، بدون همز ؛ وقوله ( ٣/٢٣٨ ) : ليست في دول من أول العرب ، والصواب : من دول العرب ؛ وقوله ( ٨/٢٢٩ ) : ورئيس جناجم البيض ، والصواب : جاجم البيض لأنها ترجمة للام الانكليزي Egg Head ؛ وقوله ( ١٢/٢٤١ ) : يتساوى في ذلك فيزيائهم ، يريد فيزيائهم مثل كيميائهم . . . الى غير ذلك مما لا يخلو منه كتاب لا ينظر صاحبه في تصحيح تجاربه حين الطبع ، وهذا لا يتيسر لكتاب يطبع في بيروت ومؤلفه المهام في دمشق الشام . والله أسأل أن يطيل عمر المؤلف الأديب البارع ابن شيخي الجمال القاسمي حتى أراه بين الكتاب الأديباء كما رأيت أباه بين العلماء ، « ليعالج كما يقول الأستاذ شفيق جبيري من دقيق الموضوعات ما يقوي روح القومية أي روح اللغة والأدب » فيخدم بذلك قومه العرب .



## رحلة الى المغرب الأقصى للأستاذ محمد رضا الشبيبي

مقتبسة من المجلد الثاني عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي ، عدد صفحاتها ( ٥٣ ) صفحة  
من قطع الوسط . طبعت بمطبعة المجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٦٥

دوّن في هذه الرحلة صاحبها وقائع رحلته التي قام بها في خريف سنة ١٩٦٠ من العراق الى المغرب لحضور مهرجان جامعة القرويين في مدينة فاس .  
تشتمل هذه الرحلة بالإضافة الى تعريف البلدان وصفًا لجملة أوضاع المجتمع المغربي وأحواله ، ومن طريف ما كتبه أبحاثًا عن مجالس المغرب وبرامج التعليم ، وبحث في التربة ، والتقديم والجديد ، والحلي الجامعي ، وخزانة الكتب ، وفكرة التوحيد ، والمحافظون والمجددون ، والعربية في المغرب ، ولهجة المغاربة ، والمصطلحات في العامية المغربية ، والبربرية واللغة البربرية ، والتعليم في عهد الاستقلال ، والخط المغربي ، وغيرها من الأبحاث .  
وما أحوج أبناء أقطار المشرق العربي الى مثل هذه الرحلة ليتعرفوا من جديد الى بلاد أشقائهم في المغرب العربي بعد أن باعدت بينهم الأوضاع السياسية والسيطرة الأجنبية .

نحمد لصاحب الرحلة هذه المأثرة ونشكر له ما دون فيها عن مشاهداته

في هذه الرحلة .

ع.ع



## عصر النبي عليه السلام

### وبيئته قبل البعثة

صور مقتبسة من القرآن الكريم ، ودراسات وتحليلات قرآنية

تأليف : الأستاذ محمد عزة دروزة

طبعة ثانية منقحة ، ومن منشورات دار اليعقبة العربية للتأليف والترجمة والنشر في بيروت

عدد صفحات الكتاب ٨٤٨ صفحة من قطع الوسط ، طبع سنة ١٣٨٤=١٩٦٤

أقسام مواضيع الكتاب الرئيسية هي :

الباب الأول - في الإقليم والسكان ومعاشهم .

الباب الثاني - في الحياة الاجتماعية .

الباب الثالث - في الحياة العقلية .

الباب الرابع - في الأديان والعقائد .

عالج الأستاذ المؤلف هذه المواضيع بالتوازن وتروية وأناة وتبصر .  
صور فيها عصر النبي ( ﷺ ) وبيئته قبل البعثة أصدق تصوير ، استخلص  
جل أبحاثه من القرآن الكريم وهو أوثق المصادر وأقدم ما يمكن أن  
يعتمده كاتب أو باحث . وزاد الكتاب طرافة وفائدة المواضيع الجديدة  
التي توصل إليها وأهملتها كتب السير القديمة بما يجعله فريداً في هدفه  
وأسلوبه ومصدره .



شعر الراعي النعميري وأخباره

جمه وقدم له وعلق عليه

الأستاذ ناصر الحاني

راجعه وجمع شواهد ووضع نهارسه

الأستاذ عز الدين التنوخي

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، في ٢١٥ صفحة من القطع الوسط

طبع في مطبعة الترقى بدمشق

حقق الأستاذ ناصر الحاني هذا الديوان ، بما لا يدع فضلة لمستزيد ، أو باحث وراء شعر هذا الشاعر دون أن يجد إشارة في صلب هذه المجموعة إلى الشوارد التي تبعثرت هنا وهناك في شتى المراجع ، أو كتب الأدب ، أو دواوين الشعراء .

ولقد بدأ المحقق ديوان الراعي النعميري بمقدمة ، تناول فيها تحقيق لقب الشاعر واسمه ، واختلاف مؤرخي الأدب حول هذا الاسم الذي عرف به الشاعر ، وأورد رأي البغدادى وغيره ، وأثبت كثيراً من الشعر الذي يدل على هذا الاسم ، ثم ذكر مقام الشاعر من قومه ، ومقامه بين الشعراء ، وهجاء جرير له ، والعمل على هدمه ، حتى هرب قومه من نير ، وفضلوا الانتساب إلى عامر بن صعصعة ، خوف الفضيحة ، ووصمة العار ، وإن يكن الشاعر قد قضى نحبه في تلك السنة غماً وكمداً ، فضلاً عن انكسار شوكته ، وترديه في الضعة في أواخر حياته .

على أن تواضع الأستاذ ناصر الحاني ، في تحقيق هذا الديوان ، ولم هذا الشعر المتناثر في أرجاء الكتب ، يتسم بالانتصاف لهذا الشاعر ، الذي ضاع في أواخر عمره ، وهو لا يخلو في الوقت نفسه ، من إعطاء القارئ صورة ،

لما كان عليه هذا الشعر : « لأن هذا الذي جمعنا من شعره قليل بالإضافة إلى كنه الحقيقي كله ، وكل ما يقال عنه ، صور مُنتزعة من بعض شعره ، وإذا ما تهيأ لنا غداً العثور على الضائع منه ، وهو كثير ، فإن هذه الصور قد تبدو بعيدة عن حقيقة الشاعر الصادقة ، ولكي نعطي القارىء فكرة عن حجم شعره ، يكفيننا أن نتذكر أن ياقوتاً الحموي ، قد استشهد به بأكثر من مائة موضع بكتابه الفذ معجم البلدان ، وهذه الشواهد تشير إلى معرفة الراعي بالجزيرة العربية ومعالها ، وبالأماكن التي تقع بين الشام والبحرة خاصة ، ولعله مر على الكثير منها بأسفاره » .

ومع أن الراعي النيمري ، وقف شعره على الإبل ، إلا أن الأستاذ المحقق ، قد تعدى هذا إلى أن للشاعر : « ابتكاراً ناجحاً ، وصوراً فريدة ، ليس بينها وبين ما نعرف من شعر الجاهليين أو المخضمين نسب بين ، وأمل هذا ما جعل الجاحظ يفرد بالبديع بين شعراء عصره » .

وتناول الأستاذ ناصر الحافي ، ولد الشاعر « جندل » وأهل بيته وكرمه وحسن ضيافته وعفته ، وشهامته وجراوته ، وقصته مع الخليفة عبد الملك ابن مروان ، وصفاته الجسمية . وضروب الشعر التي تناولها ، والخلفاء والحكام الذين خصم بشعره .

ولقد وقف المحقق وقفة تحمده ، فقلّب وجوه الرأي بين كتب المراجع في إثبات شعر الراعي ، وساق البراهين على وجوه هذا الشعر وإن كان البغدادي قد أسقطه من خزائنه ، إلا أن « ياقوت الحموي » قد قال ، عند الحديث عن قول الراعي :

يحث بين الحاديان كأنما يحثان جباراً بعينين مكرعا

« قال ثعلب ... عينين مكان بشق البحرين به نخل ، والمكرع ، الذي يسرع في الماء » .

ولم يفت المحقق قول علي بن المغيرة ، صاحب الأصمعي وأبي عبيدة ، وإشارة ابن النديم إلى أن أول من صنع كتاباً بشعر الراعي هو أبو سعيد السكري ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وإن كان صنع هؤلاء من بين تراثنا الضائع ، الذي ينتظر البعث ، ويبغي الحياة .

والذي استحق به القناء ، الأستاذ ناصر ، وإن كان ثناء لا يحمل في طياته الإغراء بهذا الفعل المقرون بالحمد ، أنه قد عانى الشيء الكثير في جمع هذا الشتات الذي تناثر في كتب اللغة والتراجم والمعاجم ، وضاع منه ما ينفع أو يفيد ، وأخرجه في هذه المجموعة الميسرة ، والموضحة بأقلام أصحابها .

ومهما يكن من أمر هذا الجمع ، فإن الأستاذ ناصر الحائي ، والأستاذ عز الدين التفوخي ، قد قدما إلى قراء العربية ثروة جهاد نافع ، وقربا ما كان مستعصياً على كثير من الذين يعينهم هذا الشعر ، فليس من الهين أن يجمع باحث ، بيت شعر ، ثم يحري وراء آخر في مرجع قد لا يكون ميسوراً ، أو تحت يد أحد ليضم بيتاً إلى آخر ، ثم يعمل بعمره وفكره وراء ثالث ، ويلم الشروح ، وينقب عن التعليقات إلا أن يكون هذا من الذين وهبوا أنفسهم لخدمة العلم ، واستلذوا التعب ، وكتبوا على أنفسهم الجهاد ، والصبر ، والاستشهاد .





## كتاب الحيدة

للإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني

تحقيق وتقديم الدكتور : جميل صليبا

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، في ٢٤٨ صفحة من القطع الوسط

طبع في مطبعة الترقى بدمشق

كانت المكتبة العربية ، وما تزال ، في حاجة إلى بعث هذا التراث المجيد ، الذي يتصدى له هؤلاء الأعلام الأفذاذ ، ممن أخذوا بهذه الأبحاث العربية الثالدة . التي تبين عن كنوز العرب ، وغنى الضاد في جلّ المجالات . وكتاب الحيدة فريد وحده ، بين كتب التراث العربي ، فهو يحوي تلك المناظرة العاصفة التي كانت بين عبد العزيز الكناني وبشر المريسي بين يدي المأمون في مسألة خلق القرآن ، وما تبع ذلك من شغب العامة على ذلك العالم الجليل .

لذلك كان اختيار الدكتور جميل صليبا ، تحقيق هذا الكتاب ، واستخلاصه من بين الأشتات الكثيرة التي أحاطت به ، اختياراً موفقاً من عدة وجوه :

- ١ - اكتنف هذا الكتاب الشك في نسبه إلى صاحبه .
- ٢ - كان هذا الكتاب لا يزيد على عشر ورقات .
- ٣ - كثرة الحذف والتزويد في بعض أجزاء المناظرة .
- ٤ - مصادفة هذه الرسالة لهوى الناس .
- ٥ - وجل عبد العزيز الكناني من المأمون .
- ٦ - ثورة المعتزلة على عبد العزيز .

- ٧ - المجادلة في أخطر مشكلة .
- ٨ - موقف المأمون بجانب بشر المريسي .
- ٩ - دين الدولة بخلق القرآن .
- ١٠ - اتجاه الرأي العام .

ولقد أراد الدكتور جميل صليبا ، أن يكون طُلعة في هذا التحقيق ، شأنه دائماً في تحقيقاته وتفريعاته ، فنهني بمناقشة كل مسألة من هذه المسائل على حدة ، مسهباً في بيان كل دقيقة من دقائقها الكثيرة التي يختار دونها العقل ، ويقف مشدوهاً أمام تياراتها المختلفة ، التي تحف بها من كل مكان .

لكن لا يأخذ القارئ العربي المعجب ، إذا عرف إمام الدكتور صليبا الواسع ، بما تضم المراجع العربية من مناقشة هذه المسائل الكثيرة المتشعبة ، ولا يكون جديداً بالنسبة للذين يعينهم هذه المباحث ، إذا ما أورد المحقق شكك بعض المؤرخين في إسناد كتاب الحيدة إلى عبد العزيز الكناني ، وناقش ما ذهبوا إليه ، ورد كل قول إلى صاحبه ، ووقف أمام كل رأي من هذه الآراء وقفة العالم المتمكن من هذه الأمور الشائكة ، إذا ما علمنا أن الدكتور صليبا ، قد اجتاز هذه الشكوك كلها ، وأثبت أن كتاب الحيدة هو من وضع عبد العزيز الكناني وحده .. !

على أن الدكتور المحقق ، قد أورد اسم الكتاب من عدة مراجع ، وأثبت اسمه وما دار حول هذا الاسم من انحرافات ، وأبدى رأيه في مسألة خلق القرآن ، معتمداً على براهين المعتزلة ، والكناني نفسه ورأي الجاحظ في هذه المسألة ، وساق آراء الفقهاء والمحدثين ، وفصل القول في المسائل التي خالف فيها المعتزلة عقيدة أهل الحديث ، وموقف المأمون من جبل هذه المسائل وعرض مسألة الخلق في زمن خلفاء المأمون ، أو من أتى بعده من الحكام ...

غير أن الأمر الذي يشهد للدكتور صليبا ، بطول المعاناة ، ويجعله على رأس المحققين ، إحاطته الشاملة الواعية ، بالنص المحقق ، واستيعابه لكل ما فيه من أمور ، وإلمامه بكل الاتجاهات التي يدخل في إطارها البحث . فتلخيص كتاب ووضعه في هذه العجالة ، لا يمكن أن يتسع له عقل ، إلا من ترمس بمثل هذه الأعمال ، وعرك نافرهما ، وطامن من غلوائها ، وبلا من مرها ، حتى إن من يقرأ هذه الخلاصة ، يصيبه الغنى عن تصفح المناظرة ، أو الكتاب الذي أهّل له :

ومن دون شك ، أن الدكتور جميل ، قد أتى على كتاب الحيدة فهماً ، قبل أن يأتي عليه تحقيقاً ، فرأى أن يصب ما يحويه الكتاب في قالب من بيانه ، ليسهل على القارئ مشقة المطالعة ، ويضع يده على مضمون الكتاب ، قبل الغوص في ثنايا لوجه ، وتياراته المتلاطمة .

بدأ التلخيص بمسألة الخلق ، ثم تنوّى بمسألة العلم ، والإخبار والجعل ، والقول المفصل ، والقول الموصل ، والنظر والقياس ، ثم مساق حجج كل من الجانبين بما يريد : « وأحسن ما يقال في هذه المناظرة ، أنها محاورة جميلة بين عالين ، يثلان اتجاهين مختلفين ، فبشر المريسي يمثل أهل التأويل والنظر والقياس ، وعبد العزيز الكنفاني يمثل أهل الحديث والسنة ، وإذا علمنا أن بشرأ المريسي كان من الموالي ، وأن عبد العزيز كان من كنانة ، أمكننا أن نقول إن مناظرتها تمثل جانباً من الصراع الفكري الذي قام في بغداد بين الشعبية والعرب » .

ولقد اعتمد الدكتور جميل صليبا ، في تحقيق كتاب الحيدة على أربع مخطوطات : ثلاث منها في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، والرابعة في مكتبة « توبنجن » بألمانيا ، ولم يكتف المحقق ، بذكر هذه المخطوطات ، دون شرحها ، فذكر عدد صفحات كل مخطوطة ، وعدد أسطر كل صفحة ، وقطعها ، وقلعها ، ومدادها ، ونوع ورقها ، وما أثبت على كل صفحة ،

والنسخة المطبوعة ، وعدد صفحاتها وأسطرها ، وهي مطبوعة بمطبعة السعادة ببحار محافظة مصر ، وأشار إلى تصحيحها وتحريفها وأغلاطها ، وتقديمها وتأخيرها ، والشبه الكبير بينها وبين النسخة الظاهرية .

ولشد ما يأخذ القارىء العربي العجب ، حين يطالع أمانة الدكتور جميل صليبا في طريقة تحقيقه الفريدة : « أما طريقتنا في التحقيق ، فهي الطريقة التي مرنا عليها في تحقيق الرسالة الجامعة . فقد كنا نقرأ النص في إحدى النسخ ، ونعارضه بغيره من نصوص النسخ الأخرى ، فنختار منها ما هو أصح وأصدق ، ونذكر في ذيل الصفحات ، اختلاف الروايات في سائر النسخ » .

ثم رمز إلى النسخ المختلفة برموز ، لتسهيل على القارىء مشقة البحث ، وترجع به إلى المخطوطات دون عناء ، وأورد نصوصاً مختارة من كتب التراجم وغيرها ، ونشر صورة خطية من كل نسخة اعتمد عليها وهي صفحة واحدة ، للتأمل والمقابلة والدقة ، ثم أثبت الهوامش في كل صفحة من صفحات المناظرة ، مرقمة حسب ورودها في صلب الكتاب ، مراعيًا في ذلك كل صفحة على حدة ، حتى لا يختلط هامش بهامش ، أو يضل القارىء في هذه المتاهات ، غير فهرس الأعلام ، والبلدان والمواضع ، والشعوب والقبائل والدول والفرق والمذاهب ، والمصطلحات ، والفهرس العام .

والواقع ، أنني لا أخال الدكتور جميل صليبا ، إلا رجلاً اكتملت لديه كل مقومات التحقيق ، من علم وفن ووقت ، حتى كان هذا الكتاب الذي يغني عن كتب ، والذي يعتبر مجهوداً مضمناً ، يسجل للدكتور جميل ، بكل ما يتضمن من مسائل ، وما يحوي من مقابلات ، وما بذل من وقت وسهر ، وهو له يوم توزن الأعمال ، ويأتي كل واحد بكتابه في يمينه .



## جهرة المغنين

تأليف : خليل مردم بك

تأليف : عدنان مردم بك وأحمد الجندي

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق في ٢٩٧ صفحة من القطع الوسط

طبع في المطبعة الهاشمية بدمشق

القيمة الكبرى في هذا الكتاب ، انه وليد عقلية لم تتجاوز الثامنة عشرة ، عكفت على البحث ، وثابتت على المطالعة والدرس ، وهي في سن ، لا يجوز فيها ، أن تدرك ما يدركه الشيوخ ، أو تعي من هذا الزاد ، ما يعجز عن بلوغ كنهه الفحول من الأدباء ، وأرباب اللسان من الكتاب .

فالجمهرة ؛ « تاريخ موجز عن المغنين المسلمين وسيرهم في أزهى عصور الخلافة الإسلامية ، أيام بني أمية وبني العباس إلى زمن الرازي ، وبه بحث تمتع عن تاريخ الغناء والمغنين وتأثير الغناء وآلاته ، ومن دونت له صنعة في الغناء من الخلفاء وأولادهم مع ترجمة لابن النقيب » .

والمطالع لهذا الكتاب ، يأخذه العجب ، ويستولي عليه الرعب ، حين يدرك أن صاحبه لاقى من الصعوبات في جمع مادته ، والتنقيب عن الأخبار في مصادر أكثرها لم ير النور بعد ، أو هو حين يطالع : « ما زلت ألتقط من كل كتاب نادرة ، وسفر شاردة ، وكناش فائدة ، ونشرة نكتة ، فيما له مساس بعملي هذا ، أضما بعضها إلى بعض ، وأقرب المسافات بينها بالمناسبات حتى أتممت في حولين إلا إياماً » يدرك أن خليل مردم بك ، قد أوتي ملكة يحد عليها ، وجلداً في البحث قل أن يجتمع في غيره ، فهو أديب وشاعر ومحقق ، لذلك فقد صادفت هذه الجمهرة ، هوى في نفسه ،

ونفذت إلى أعماقه فخلع عليها من مطالعاته الكثيرة ، ما أصبحت به فريدة وإن كان قد حاكى فيها : الجاحظ ، شيخ البيان .

استهل المؤلف جهرته بمقدمة ، عرّف بها الغناء ، ثم أتى على تاريخه ، وأول من دورنه ، وتأثيره وآلاته ، ومن دونت له صنعة في الغناء من الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم ، وما احتج به في جواز الغناء ، وتاريخ المغنين ومنزلتهم ، وترجمة بليغة للسيد عبد الرحمن حمزة ، ثم شرح القصيدة ، وترجمة من ذكر فيها اسمه من المغنين والأعلام ، والمستدرك على الجهرة ، ثم ذلك الفصل الذي ألحق بها عن المغنية العربية : أم كلثوم ...

والواقع ، أن هذا الكتاب الذي توافر صاحبه عليه نحو عامين ، ينقب في ثنايا ثمانية وعشرين مرجعاً ، ما أخذ مكانه اعتباراً بين كتب المكتبة العربية ، أو سلك مسلكه بإشارة من صاحبه ، وإنما هو دراسة وافية للغناء وأدواره ، ورجاله وقيناته ومجالسه ، وما أحيط به من صنوف المتع ، وضروب اللهو ، وما لعب من أدوار في حياة الخلفاء والحكام .

ولقد كان خليل مردم بك في كل مساقه للأخبار ، وتقديره ، يتحفظ ، ولا يسلم بكل خبر يجده في كتب الرواية ، وإنما يعمل فيه عقله ، ويستعرضه على كافة وجوهه ، ثم يصوغه صياغة من يعلمه من مصادره ، بأسلوبه الجاحظي المتدفق الذي يسيل رقة وتدفقاً ، ويستطرد به في غير التواء أو تعثر .

ومها قيل في الدافع لخليل مردم بك ، على تأليف هذا الكتاب ، فليس أقن من أن يقول هو نفسه : « الغناء عصمك الله ، راحة الروح ، وترجمان الوجدان ، ومثير الحس ، ترتاح إليه النفوس على السراء والضراء وحين اليأس ، وينفت الإنسان به ما أكنه صدره من كمين التأثيرات ، وحين في حنايا ضلوعه من خفي السرائر ، مما لا يدركه الوهم ، ولا يتوهمه الإدراك .. »

وليس أفعل في النفس من مساق الخليل رحمه الله ، قول ابن عبد ربه في العقد الفريد فيما احتج به في جواز الغناء ، قال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى : « يزيد في الخلق ما يشاء » هو الصوت الحسن ، وقال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري ، لما أعجبه حسن صوته ، لقد أوقيت زمماراً من زمامر آل داود . وقال ﷺ : حسن الصوت زينة القرآن ، وقال أيضاً : حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد في القرآن حسناً .

بهذا التوجيه ، كان خليل مردم بك ، أول من فكر في شرح قصيدة ابن النقيب ، وترجمة من ورد بها من المغنين والأعلام ، وهي قصيدة استطرادية ، تعرضت لكثير من شغلوا بالغناء ، أو لعبوا الدور الهام في السمو به ، وبخاصة من ولي الخلافة ، أو كان بمن اتصل بهم ، أو انحاز إلى مجالسهم ، غير الشرح الماتع لجل الألفاظ ، والمعنى الإجمالي لكل بيت من أبيات القصيدة على حدة ، ثم ذكر أكثر الأخبار التي قنصل بالغناء ، وما وقع في مجالس الابهو ، أو مجالس الجد ، من النكات النادرة ، والفكاهات المستملحة ، وتحقيق ما ورد من أسماء البلدان ، ومناقشة الروايات المختلفة التي وردت تحمل كثيراً من الاختلافات حول اسم من الأسماء ، أو موضع من المواضع .. على أننا لا ننسى فضل أستاذين عظيمين ، وقفوا على طبع هذا الكتاب القيم ، وعلفوا عليه بما يستأهل من بذل الجهد ، في التصحيح ، والترتيب وعمل الفهارس ، حتى إن عملها يعد مفخرة ، حبذا لو أتبعنا عملها هذا بأعمال أخرى ، تكون لها ، وإن سجل اسمها من قبل في مقدمة العاملين : المحققين والمؤلفين .

أبو طالب زيان



# آراء وأبناء

## مصطلحات جدد

### ( لكلمات افرنجية )

سألي بعض الزملاء الأساتذة الأفاضل : ألم يجد لديكم مصطلحات حديثة لكلمات أفرنجية ليس لها بعد ، مقابل ؟ قلت بلى ، وقد بلغت عشرات في مختلف العلوم والشؤون العامة . وسأنشرها ، ان يسر الله ، في مجلتنا التي تعنى بذلك عنايتها بالموضوعات العديدة : التاريخية واللغوية والأثرية ( المخطوطات ) بما هو من صميم أغراض المجمع العلمي العربي .

ومرّت أيام مريّة عليّ حالت ، برهة ، دون الإنصراف الى جمع ما تناثر منها بين طيات الأوراق ، وترتيبها على شكل يناسب النشر .

وها أنا اليوم ، وقد سنحت الفرصة ، أنشر هذه المصطلحات الجدد التي تيسر لي وضعها لما يقابلها من الكلمات الافرنجية . فعمى أن يفيد منها من يراها ملائمة للغرض الموضوع له ، أو تكون موضوعاً للنقد والتعديل والتصويب فيكتب البقاء للأصح والأصلح من كثير يحاكيها موضوعاً قبلاً ، او بما يضع لها الناقد التزيه مستهدفاً وجه الصواب .

### ١ Analeptique منَعَشَة

وزان مفعلة من ( نَعَشَه الله ) كمنع ، رفعه كأنعشه . وفلاناً جَبَرَه بعد فقر . وانتعش العاثر ، انتفض من عثرته . أطلقتها على الأدبية التي تنعش .



٢ Archéologue قائف<sup>(١)</sup>

وهو ( من يعرف الآثار كما في القاموس ، جمع قائفه ) بدلاً من ( عالم بالآثار ) .

## ٣ Astic ميصقل

من ( الصقل ) للقطعة العظيمة التي يصقل بها صانعو الأحذية ، الجلود .  
والكلمة الافرنجية : ( قطعة من عظم الخيل تتخذ لصقل الجلد ) .

## ٤ Bocale بوقال

وهو الكوز بلا عروة ، كما في القاموس . ولعل الكلمة الافرنجية مأخوذة من العربية لفظاً ومعنى وإنما خُصصت عندهم لقارورة زجاجية فوها . ( قطرميز ) .

## ٥ Chélaté متحجن

من ( حَجَنَ العود بحجنه عطفه كحجته ... وفلاناً جذبه بالمحجن ) :  
أطلقها على الحالة التي تكون عليها الشاردة المعدنية متحجنة ، أي مجذوبة ،  
في الذرة الهيمولية كأنها مشبوكة بالكتلاب .

## ٦ Chélater حجن

من الكلمة الآتفة ، للعمل الذي يتم به جذب الشاردة المعدنية في  
الذرة الهيمولية .

## ٧ Chélation حجن ، تحجن

من الكلمة الآتفة . فنقول مثلاً : معقد أو مركب تحجني  
( - Complex ou composé ) لما ينتج عن معالجة المادة الهيمولية بحلول  
معدني ما فتتحجن الشاردة المعدنية بها .

(١) القائف الذي ينتج الآثار ويعرفها ويرف شبه الرجل بأخيه والولد بأبيه وقيل للذي  
ينظر الى شبه الولد بأبيه قائف كما في لسان العرب . ( لجنة المجلة )

## ٨ Crosse ( Clubes ) مِيجَار (١)

وهو شبه صولجان تضرب به الكرة ، كما في القاموس ( وهو غير المِطْثَة (٢) التي تضرب بها كرة التنس ) وهو الذي تضرب به كرة ( الجولف Golfe ) .

## ٩ Couvents أَرْكَاح

وهي بيوت الرهبان ، كما في القاموس .

## ١٠ Démarche en draguant ; en fauchant نَعَثَلَة

هي أن يمشي 'مفاجئاً' ويقلب قدميه كأنه يغرف ، كما في القاموس ، وهي خير من ( مشية الجارف ، زَيْفَان ) اللذين يستعملهما بعض الزملاء .

## ١١ Démembrer مَزَعَ

من ( المَزْعَة ، بالضم والكسر : القطعة من اللحم أو النشفة منه .

## ١٢ Dénaturation مَسْنَح

من ( مَسْنَحَة ، حَوَّلَ صورته إلى أخرى أقبح . والمَسْنَح ، المشوّه الخلق . فنقول : ( آحين مسنح ) أي تحوّلت طبيعته الأصلية إلى أخرى ببعض العوامل الفيزيائية كالحرارة ؛ أو الكيميائية بجمضٍ ما أو قنوي . ونقول ( عَوَّلَ مسنح ) أي مشوّه بما أضيف إليه من صبغ أزرق ونحوه لئلا يصلح إلا للخرق .

## ١٣ Désioniser خَسْرَدَ

نحتاً من ( خسف - شرّد ) للعمل الذي يتم به خسف الشوارد من محلولٍ ما .

(١) جاء في معجم دوزي أن كلمة Crosse هي الجوكان .

(٢) المِطْثَة Raquette الفرنسية والانكليزية مأخوذة من كلمة الراحة العربية .

( لجنة المجلة )

١٤ Eau - de - vie ماءٌ لاصعج

من ( لَصَعَجَ في الصدر : خَلَجَ ، والجِلْدَ أَحْرَقَهُ ، والبدنَ آلَهُ .  
وَالْعَج النارَ أَوْقَدَهَا كما في القاموس ) . وفي شرب الأَشْرَبَةِ الغولية ما يُوجِّع  
النار في البدن عامةً ويؤْله . وليس هو ( ماء الحياة ) ألبتة كما يسميه  
بعضهم ترجمةً حرفيةً وكان الأجدر بهم أن يسموه ( ماء الموت ) إذ لم يبق  
ريب - بعد الدراسات والتجارب الحديثة - في سُمِّيَةِ الأَشْرَبَةِ الروحية  
ومسَخها الخلايا الحية والقضاء عليها .

١٥ Ebriété légère فُتَار

وهو ابتداء النشوة ، كما في القاموس ، بدلاً من ( نشوة خفيفة ) .

١٦ Echantillonneuse مُنَمِّدِجَة

لآلة التي تقوم بعمل النمذجة ، اشتقاقاً من ( النموذج ) .

١٧ Élégance بَيْكَلَة (١)

وهي : الزيُّ والحال ، كما في القاموس ، وهي الأناقة والتنوّق .

١٨ Élégant بَيْكِل

من الكلمة الآتية . فيقال ( جميلٌ بَيْكِل ) أي متنوّق في لبسه ومشيه  
كما في القاموس . يرادفها Chic ببعض معانيها ( وبالانكليزية : Dandy ) .

١٩ Fœtus جَنِين

كما وضعتَه لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب . وقد ورد ذكر  
( الأَجِنَّة ) في القرآن الكريم . والجَنِين هو الولد في البطن ، جمعه :  
أَجِنَّة وأَجْنُن كما في القاموس ، لأنه مستور أي جنين وزان فتعيل الدال  
على مفعول كالجريح أي المجرّوح . والعجيب أن يوضع للكلمة الافرنجية :

(حميل) . وهذه لها معان شتى . . . الدّعيّ - الغريب - الشّرك - الكفيل - الولد في بطن أمه اذا أخذت من أرض الشّرك - ومن السيل الغشاء - والمنبوذ يحمله قومه فيرمونه . فأبي الكهنتين أولى بالتخصيص ؟ (الجنين) ذو المعنى الخاص بما في البطن أي الولد ؟ أم (الحميل) ذو المعاني العديدة أي المحمول والمنبوذ والدّعيّ . . . الخ بما سردنا من معاني ؟ ولا يصح استعماله للجنين إلا إذا كان في بطن أمه وأخذت من أرض شركٍ بحسب النص الوارد في المعاجم . فما الذي حملهم على اتخاذ (الحميل) بدلاً من (الجنين) إذن ؟ لم أهنئ بعدُ الى الأسباب الوجيزة .

٢٠ Frémissement cataire رَعَس

وزان فَعَل الدال على داء أو علة أو حال غير طبيعية . من (الرّعس) ، بالسّين ، وهو الإرتعاش والانتفاض (كما يشاهد في السفانير) . بدلاً من (ارتعاش سنثوري) ترجمة حرفية .

٢١ Hémolyser (s') تحلّل دم

نَحْتَمَن (حل - دم) على المطاوعة، للتّحلل الذي يعانيه الدم بعوامل شتى .

٢٢ Hydroxy - acide حمض هيدروكسيل

نَحْتَمَن من (حمض - هائل) ويرادف كلمة Acide - alcool الجسم الذي يحتوي على وظيفة حمض ووظيفة غول مترامنتين .

٢٣ Inféconde أروط

وهو العاقر أي لا يولد له ولد ، كما في القاموس ، وذلك لعدم إلقاحه وهو العقيم Stérile كذلك .

٢٤ Lyophilisation لَيْفِيلَاة ، تَكَدَوْبُج

الأولى ، تعريفاً وهي حادثة انحلال أو ذوبان مع تهلثم ترادفها كلمة Hydrophile . والثانية : نَحْتَمَن من (كدوب - انتباج) وهو ذوبان الغرويد وانتباجه في غير الماء كالبنزين مثلاً (يقابله الذوبان للبلوريات) .

٢٥ Pellicule تِبْرِية

وهي كالنخالة في أصول الشعر كما في القاموس . وهي أكثر ملاءمة من ( قشرة الرأس ) ومن ( هِبْرِية ، التي لها معان شتى ، ما طار من زغب القطن - ما طار من الريش - ما تعلّق بأسفل الشعر مثل النخالة من وسخ الرأس ) . فالتبرية كالنخالة في أصول الشعر ، لا عن إتساخ في الرأس . فتخصص لما هو ذاتي طبيعي في الشخص .

٢٦ Phosphorylé مُفَعَّرَل

تعريفاً من ( الفعرة Phosphorylation ) : للعمل الكيميائي الذي يتم معه ادخال الفسفوريل ، مادة عضوية - مثال : فصرلة الغلوكوز أي جملة ( غلوكوز - فصفاة ) ، فالغلوكوز مفصّرل .

٢٧ Photo - chimique ضَوْو كيمي

ما ينتج من التفاعلات الكيميائية بتأثير أشعة الشمس المافوت مسجية .

٢٨ Pic شعفة

وهي رأس الجبل ، ومن القلب رأسه عن معلق النياط كما في القاموس . والكلمة الافرنجية كثيرة الاستعمال في الخطوط البيانية الإستشرادية ويقصد بها الدروة . فالشعفة اذن تلائم المعنى المطلوب - اصطلاحاً - من الكلمة الافرنجية تماماً .

٢٩ Raffinerie مَرْفَنَة

وزان مفعلة المكان ، من ( الترفين raffinage ) التي وضعتها لما يراد به الحصول على المادة بأجود صورة وأنقاها بتكرار تصفيتهما كترفين السكر مثلاً أي تصفيته مراراً للحصول عليه بأجود حال . فالمرفنة إذن هي المكان أو المعمل الذي يتم فيه هذا العمل .

٣٠ Raffineur مَرْفَنَة

من الترفين أيضاً ، الآلة التي يحصل بها على المادة بأجود حال .

## ٣١ Regression رَكْس

وهو الرجوع إلى الحالة الأولى . من Regressio اللاتينية أي العودة ( retour ) لما يرجع عوداً إلى بدء .

## ٣٢ Rouleau du pâtissier مِرْقاق

وهو ما يُرَقّ به الخبز ( وهو الذي يُجمل به الرُقاق ، بالضم ، أي الخبز الرقيق واحدته رُقاقة بالضم ، ولا يقال رِقاقة ، بالكسر ، فإذا جُمع قيل رِقاق بالكسر ) . اما الشُّوبَق - وهو خشبة الخباز - فهو معرَّب . وكذا ( المحور كمنبر وهو خشبة يُنَسِّط بها المبعين . وحوار الخبزة هيئتها ) . والمِرْقاق أخص .

## ٣٣ Sautoire مِرْسَلَة

وهي قلادة طويلة تقع على الصدر ، كما في القاموس أطلقتها على ما قضعه النساء ، حديثاً ، من القلائد الطويلة حتى لتكاد تبلغ البطن بله الصدر .

## ٣٤ Serre صِرَّة ، مَصْرَّة

مصرة ، وزان مَقْطَعَة ، من ( الصَّرَّ وهو شدة البرد أو البرد كما في القاموس ) ولعل الكلمة الافرنجية مأخوذة من العربية وخصصت للسكان الذي تحفظ فيه النباتات شتاءً انقاء البرد .

## ٣٥ Suffixe وَصْمَة

من ( وَصَمَ ، يَصِمُه ) وهي أثر الكي أي ما يلحق منه في الموضع الموسوم . ومنه ( سمة الجوازات ) وهي علامة لاحقة الإذن بدخول البلدة المقصودة . أريدُ بها ما يزداد في آخر الكلمة . يقابلها ( خَزْمَة préfixe ) (\*)

(\*) الخَزْمَة ، من الخَزَم وهو زيادة تكون في أول البيت في الشعر . واصطلاحاً حرف يزداد في أول الكلمة كما هو المقصود من اللفظة الافرنجية أيضاً . مثال : poly - tri - bi - sesqui - ortho - proto . الخ . وهي خير من كلمة ( الصَّدْر ) التي يستعملها بعضهم ، لوفرة معانيها ، ولأنها لا تفيد الإلحاق والزيادة .

وكلمتنا خير من (الكاسمة) التي يستعملها بعضهم ولا تقفي بالفرض لاختلاف معناها عن معنى اللفظة الافرنجية اختلافاً يبتنا . و (الكُسمة) بالضم هي النكتة البيضاء في جبهة كل شيء ، ولعلها أولى بأن تجعل لما يقابل (préfixe) التي فيها معنى (قبل وأول) وذلك للزوم النكتة في جبهة كل شيء .

### ٣٦ Télévision مِينَصَار

من (بَصُرَ به ككرم وفرح ، بَصَرًا وبَصَارَةً ، صار مُبْصِرًا . وقوله تعالى في سورة القصص : ( فَبَصَرْتُه عن جُنُبٍ أي من بُعدٍ ) . والمُبْصِر : الأسد يُبْصِرُ الفريسة من بُعدٍ فيقصدُها ) وهو المقصود من الكلمة الافرنجية . فالْمِرْآة : للرؤية عن قرب ، والمنظار : لرؤية النجوم السماوية Telescope ، والمبصار : لرؤية الأجسام المعروضة من بُعد .

### ٣٧ Thixotrope نَكُوس

من (نَكَسَ أي انقلب) صفة لهامة تعود فتذوب بعد تهلُّم . فيقال : هامةٌ نَكُوس أي قابلةٌ للذوبان بعد التهلُّم .

### ٣٨ Thixotropie نَكُوسِيَّة

من الكلمة الآنفة الذكر . صفة الجسم الهلامي الذي يتصف بها .

### ٣٩ Timon خَنْدَاف

وهو سَكَّان السفينة ، كما في القاموس ، اخترتها لإمكان الإشتقاق منها كما ترى في الكلمتين التاليتين .

### ٤٠ Timonier خَنْدَاف

وهو الذي يُدير السكان . وكلمة واحدة خير من (نوبي الإشارة) . ولا مانع من تخصيص (خنداف) لما هو في الافرنجية (Homme de barre) .

### ٤١ Timonerie مَخْدَافَة

على اسم المكان . فإن أُريد بالكلمة الافرنجية ، الصناعة ، فهي (الخندافة) بدلاً من (مصلحة الإشارات) وفيَعَالَة ، للصناعة كما هو معلوم .

## ٤٢ Toron قتلُس

وهو جبل ضخم من ليف أو خوص من ( قُلُوس سفن البحر ) .

## ٤٣ Tremblant ( de vieillesse ) كَهيد

وزان ( فَعِيل ) نعتاً . كالكَوْهَد وهو المرتعش كَيْبَرًا . أما الرَّعُوس فهو من يرجف رأسه نعلماً .

## ٤٤ Tremblement ( de vieillesse ) كَهيد

وزان فَعَّل الدال على مرض أو حال غير طبيعية ( من الكَوْهَد ) وهو الإرتعاش كَيْبَرًا . وكذا ( السَّعْسَعَة ) فهي اضطراب الجسم كَيْبَرًا . أما الرَّعْسَان ، بالسین ، فهو تحريك الرأس ( خاصة ) كَيْبَرًا .

## ٤٥ Verrat خَنْزُوان

بفتح الحاء : وهو ذكر الخنازير .

الكواكب





## أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

— ٣ —

( ٢٥ )

مادة غ ر ب - مَغْرِب

قال « وبين المغرب الأقصى ( في الحساب الفلكي ) والمغرب الأدنى مئة وثمانون مغرباً وكذلك بين المشرقين » . والصواب « من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى مئة وثمانون مغرباً » أو « بين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى مئة وثمانية وسبعون مغرباً » ، فالخطأ وقع بسبب استعماله « بين » بدل « مِنْ » وهو يُريد أن يشمل الأول والأخير في العدد . وإذا كانت « مِنْ » تصلح للشمول وعدم الشمول فالظرف « بين » لا يدل « إلا » على عدم الشمول .

\*\*\*

( ٢٦ )

مادة غ ر ب - يَغْرُب

هذه التنبذة لا تبحث في خطأ بل تشير إلى تثبيت غير نافع يذكر مضارع غَرَبَ بضمّ الراء دائماً فيفهم الدارس أنه لا يجوز إلاّ الضمّ يَغْرُبُ . على أن كسر الراء جائز بناءً على مبدأ شامل مفيد يُنسب إلى الإمام عليّ وجميع المصنفين الكبار من أصحاب المعاجم وسواهم أثبتوه في كتبهم وهو ان الفعل المفتوح العين في الماضي إذا لم تكن عينه أو لامه

حرفاً حقيقياً ، لك أن تغمّ عينه أو تكسرهما في المضارع بشرط أن تحيد عن الأفعال المشهورة مثل يكتب وينصر وينزل ويضرب وينزل وهذا أمر طبيعي لأن المشهورة كثيرة الاستعمال لا يحتاج أحد في ضبطها إلى إجهاد ذاكرته .

غَرَبَ مفتوح العين في الماضي وعينه ولامه ليستا من أحرف الحلق . وهو ليس من رتبة كتب ونصر ونزل وضرب في الشهرة وله أكثر من معنى واحد ولكل معنى مرادف مثله في الشهرة أو أكثر مثل غربت الشمس وغابت وغرب عنا وغاب عنا أو ابتعد أو اغترب . لذلك جاز في عينه الكسر وجواز الكسر لا يمنع من الضمّ من يفضّل الضمّ في النطق . وجواز الكسر فيه فائدتان : الأولى : الميّز بين مضارع مفتوح العين ومضارع مضمومها [ غَرَبَ كلامه ] فمضارع مضموم الراء في الماضي مضموم الراء حتماً لا اختيار فيه ولكن المفتوح العين في الماضي فيه اختيار منعاً للتبس إذا شاء المتكلم - وهذا توسيع من غير إخلال - الثانية : اسم المكان من غَرَبَ ( المفتوح ) مَغْرِبَ ( بكسر الراء ) - قال صاحب اللسان وغيره القياس فتح الراء ولكنهم قالوا بالكسر أي على غير قياس - وعلى غير قياس تعني شذوفاً . ولكن الواقع أنها على القياس - فإن كانت اسم المكان من غَرَبَ يَغْرُبُ مَغْرِباً ( بالفتح ) فشابه اسم المكان من غَرَبَ يَغْرُبُ مَغْرِباً ( بالفتح ) قالوا اسم المكان من غَرَبَ يَغْرُبُ مَغْرِباً ( بالكسر ) فغريب جاءت بموجب القياس من غَرَبَ يَغْرِبُ ( بكسر الراء في المضارع ) ولم نجتمع بين اللبس والقول بالشذوذ وفي الإمكان تجنبها ؟ فلو قال غَرَبَ يَغْرُبُ ويحوز فيه الكسر لكان أجاد كلي الإجابة .

## ( ٢٧ )

مادة سلع - السلعة

قال : « السلعة بكسر السين الضوأة وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الغدّة » فلو اكتفى لكان أحسن ولكنه شاء النقل عن الأزهرى ...  
« وقال الأزهرى هي الجذرة تخرج بالرأس وسائر الجسد تمور بين الجلد واللحم إذا حرّكتها ( درنة ) وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيره وقد تكون من حمصة إلى بطيخة » هـ .

ما معنى قوله « وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيره » بعد أن قال « بالرأس وسائر الجسد » وفات الأزهرى وابن منظور ( والفيروزبادي مثلها ) ان يحدثا حجم البطيخة أو وزنها فإن كانت بإقاربة كانت معقولة وأما خربوطية فلا .

في مادة س ل ع لا يذكر ابن منظور فعل أسلّع : كأن يقال أسلّع الأمر فلاناً بمعنى صيره صاحب سلّع ( أموال ) .

يقول المسلع صاحب السلعة - فيكون قد ذكر اسم الفاعل من فعل لازم لم يذكره وهو أسلّع أي صار صاحب سلعة - على أنه ورد في الكامل ( وابن منظور يحترم المبرّد ويأخذ عنه ) أسلّع ( المتعدي ) أي صيره صاحب سلعة أي أغناه أو درّ عليه المال .  
وقد يُسلّع المرء اللئيم اصطناعه ويعتلّ نقد المرء وهو كريم

توفيق داود قربان

( سنهپولو )

يتبع :



## في دائرة المعارف الإسلامية

في اجتماع اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية المعقود في لندن في الحادي والثلاثين من آب (أغسطس) سنة ١٩٦٤ قررت اللجنة بالإجماع انتخاب سيادة الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق عضواً مشاركاً .

ومن المعروف أن اللجنة أخذت تصدر طبعة جديدة لدائرة المعارف الإسلامية بالانكليزية والفرنسية مستعينةً ببحوث صفوة من العلماء المستشرقين ومن العلماء المسلمين عرباً كانوا أو غير عرب .



### أغلاط مطبعية وتصويبات

( الجزء الأول والثاني من المجلد ٤٠ )

| الاصواب                                       | الخطأ          | صفحة | سطر           |
|-----------------------------------------------|----------------|------|---------------|
| بالشرابيشية                                   | بالشرابيشية    | ٩٤   | ٧             |
| مغني اللبيب                                   | السيرة النبوية | ١٠٩  | حاشية رقم (١) |
| كُشِتِ الكتان                                 | كُشِتِ الكتان  | ٣٦٥  | ٧             |
| أصابه الكشوت                                  | أصابه الكشوت   | ٣٦٨  | ١٣            |
| سقط بعد «وهي أصلح» كلمتا : «والصحيح مَدَجَّة» | الخضراوات      | ٤٦٧  | ٤             |
| الخضراوات ( بالفتح )                          | خمس عشرة سنة   | ٤٨٥  | ١٣            |

وجاء في الصفحة ٦٦٢ من : ٥ ( الجزء الرابع من المجلد ٣٩ ) : كسب وصوابه : كشب .



# مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز (يوليو) سنة ١٩٦٥ م ٣ من ربيع الأول سنة ١٣٨٥ هـ

## توحيد المصطلحات العلمية العربية

عندما أخذ علماءنا ينقلون العلوم الحديثة الى لغتنا العربية في القرن الماضي كان أشق عمل يأتونه لإيجاد مصطلحات عربية صحيحة أو سائغة لتلك العلوم . ومع تقدم العلوم واتساعها لم تقل تلك المشاق في زمننا هذا عنها في الزمن الماضي . ومنذ جعل التعليم يزداد انتشاراً في أقطارنا العربية ازداد عدد نقلة العلوم الحديثة وازداد معهم عدد المصطلحات العربية الموضوعة للمعنى العلمي الواحد حتى أصبح ذلك داءً من أدواء لساننا ، فلا غرابة بعد هذا أن يكثر في أيامنا هذه الداعون الى توحيد المصطلحات العربية للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة .

وقد بدأت الحاجة الى توحيدها تُرى عياناً منذ أن انفصلت الشام والعراق وجزيرة العرب عن الدولة العثمانية عقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) . ففي ذلك الزمن اتخذ العراق وسورية اللغة العربية لغة رسمية للتدريس في مدارس الحكومتين بدلاً من اللغة التركية .

وأنشأ العراق مدارس عديدة في عهد الملك فيصل الأول بن الحسين ، واحتاج الى الكثير من المعلمين والمدرسين فاستدعى معظمهم من سورية ومصر ولبنان . وهناك بدأ احتكاك بعضهم ببعض ، وبدأوا يشعرون جميعاً باختلاف المصطلحات العربية للمعنى الواحد ، لأن كل فريق منهم أتى بما عنده من تلك المصطلحات في قطره .

وزادت بعدها وسائل الاتصال بين الشعوب العربية . وجعل طلاب الجامعات وتلاميذ المدارس الثانوية يتزاورون ويتباحثون في شتى العلوم المدرسية ، فلهسوا هم وأساتيذهم ، في أحاديثهم ، اختلاف المصطلحات العلمية العربية في أقطارهم المختلفة .

وعندما جلا الفرنسيون عن سورية سنة ١٩٤٦ ، وأغلقوا بعض مدارسهم ، أنشأت وزارة التربية والتعليم السورية مدارس حكومية بدلاً منها ، واحتاجت الى مدرسين ، فطلبتهم من القطر المصري . وأتذكر أن بعض المدرسين السوريين كانوا يختلفون هم وزملائهم المصريون على بعض المصطلحات ويسألونني عن رأيي فيها ، وكل من الفريقين يتعصب لمصطلحاته ، لأنها هي التي تعلمها في مدارس قطره .

وللصالحين العرب مؤتمرات يعقدونها ويدخلون المصطلحات القانونية وتوحيدها في مجلة بحوثهم . ومن أشباه ذلك أعمال مؤتمرات الجمعية الطبية المصرية ، واجتماعات لجنة المواصفات الدائمة في جامعة الدول العربية ، ومؤتمرات الأدباء ، ومؤتمرات الاتحاد العلمي العربي ، ومساعي الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، ومساعي مكتب التعريب الدائم في الرباط ، وقرارات مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية في مدينة الجزائر الخ .

فمن الواضح أن الشعور بضرورة توحيد المصطلحات العلمية أصبح شعوراً عاماً في بلادنا العربية . ولكن ما هي الوسائل التي يجب اتخاذها لبلوغ هذا الغرض ؟ إن تحديد هذه الوسائل وطرائق اتخاذها مما بيت القصيد

في هذا البحث . فمن المؤكد عندي وعند المعارف بهذا الموضوع أن توحيد المصطلحات العلمية العربية لا يتم جدياً إلا بإيجاد أداة مستقلة تعمل على تصنيف معجم إنكليزي عربي ( ومعجم إفرنسي عربي ) المصطلحات العلمية في نطاق مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وبالوسائل التي ذكرتها منذ عشر سنين في الطبعة الأولى من كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » ، وأجملتها في الجزء الأول من المجلد ٣٢ من هذه المجلة .

و كنت منذ سنة ١٩٥٤ ذكرت هذه الوسائل في بحث عنوانه « توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية » ألقيته في الدورة الحادية والعشرين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ونُشر في الجزء الحادي عشر من مجلة المجمع المشار اليه .

وأنا على يقين من أن الأسس التي يقوم عليها هذا البحث لا تزال أصلح أسس يمكن الاعتماد عليها في بلوغ الغرض الذي نسعى اليه ، أما بعض التفاصيل الواردة فيه فمن الممكن تحويلها على حسب الوضع والحاجة . وما كم ما كنت قلته في البحث المذكور :

### وسائل توحيد المصطلحات : (١)

لا بد ، قبل البحث عن وسائل توحيد المصطلحات ، من القول بأن وضع المصطلحات نفسه سيظل ، مدة طويلة من الزمن ، عملاً من أعمال الأفراد ، لا من أعمال المجامع اللغوية والعلمية وحدها . ومتى كان الأمر على ما ذكرت ،

(١) الطبعة الأولى من كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية في التقديم والحديث ، القاهرة سنة ١٩٥٥ س ١٢٩ - ١٣٥ ، والطبعة الثانية ، دمشق سنة ١٩٦٥ س ١٤١ - ١٤٧ .

يكون من المحتم حصول اختلاف على الألفاظ العربية الدالة على معنى علمي واحد ، لأن لكل عالم من علمائنا القادرين على وضع المصطلحات رأياً خاصاً في معالجة كل لفظة علمية أعجمية ، كاللجوء ، في نقلها إلى العربية ، إلى الترجمة أو الاشتقاق أو النحت أو التركيب المزجي أو التعريب . ثم إن أذواق هؤلاء العلماء تختلف أيضاً . فكلمة ( Amibe ) مثلاً سميتها النفاضة في معجمي . وسمهاها الأب أنستاس المُسَمَّوْرَة . وقبل جمع مصر الكلمة الأخيرة . فإذا بي أقرأ رأياً لأحد الأساتيد يقول فيه : « ان اصطلاح المتصورة مخالف للذوق اللغوي ، ومن الوحشي ، والأميبة تفضله » . فما هو الذوق اللغوي هذا على الضبط ؟ ومن هو الذي يستطيع تفضيل ذوق زيد على ذوق عمرو في موضوعات كهذه ؟ وما هي شروط التحلي بهذا الذوق ؟ وهل يكفي الذوق وحده للعدول عن كلمة عربية إلى كلمة أعجمية ؟ (١) .

كل ذلك يحتاج إلى أداة حكيمية فعالة للترجيح يمكن الركون إلى رأيها ، وتخضع الحكومات العربية والأفراد من العلماء والأساتيد لحكمها . فما هي أداة الترجيح هذه يا ترى ؟ وما هي الطرائق التي يجب أن تتبعها لكي تحصل لنا في مدة وجيزة على جملة كافية من المصطلحات العربية الراجعة في مختلف العلوم

---

(١) تخضرت في موضوع الذوق نكتة جرت في حديث لي مع الفقيه الأستاذ أحمد أمين ، فقد استغل مرة كلمة الكَنْهَوْر ، وهي تدل على التراكم من السحاب . فقلت له لأنك بإصاح تستغلها ، عندما تلفظها مفردة . ولكن ضحها في مكانها بين أسماء اليوم في كتاب علمي ، تبدو لك غير ثقيلة ؟ بل ضحها في مكانها في النثر الأدبي ، حتى في الشعر ، تبدو لك سائغة . فقلت أيام الشباب من قصيدة لي عنوانها « حنين إلى القاهرة » :

أين الكَنْهَوْرُ في جوِّ الشَّامِ إذا كانونُ هاجِ أعاصيرُ مُفادِينِنا  
من رائقِ الجوِّ في مصر وقد تَسَمَّتْ رَيًّا تداعب في الروض الرياحينا

فضحك ، رحمه الله ، وقال : من الواضح أن الأعاصير والبرد الفارس في شهر كانون عندكم تحتاج إلى مثل كلمة الكَنْهَوْر . فقلت وهو كذلك ! .



المصرية ، ولكي تحمل الأقطار العربية كافةً على استعمال تلك المصطلحات من دون غيرها ؟

إن أول الأسماء التي تتبادر إلى ذهننا اسم مجمع اللغة العربية في مصر . فهذا المجمع قد تفرد منذ سنين بمعالجة شؤون اللغة العربية ومصطلحاتها . ثم إن مقره في عاصمة أكبر قطر عربي ، حيث يوجد أكبر عدد من العلماء باللغة العربية وبالمصطلحات العلمية ، وحيث تكثر المراجع التي يستعان بها . ولكن الغرض الذي ننشده هو عمل قومي كبير لا تكفي في تحقيقه وسائل المجمع المتيسرة له ، ولا السبل التي يسلكها في وضع المصطلحات ونشرها في البلاد العربية .

وقبل أن نبحت عن الوسائل التي نراها ناجعة في تحقيق غرضنا ، لا بد من تحديد هذا الغرض على وجه الضبط . فنحن نريد :

(١) أن يكون في الأقطار العربية معجم إفرنسي عربي ، ومعجم إنكليزي عربي للمصطلحات العلمية والفنية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة ، يشتملان على أصح الألفاظ العربية أو أرجحها ، مما يحتاج إليه في التعليم الثانوي وفي قسم من التليم العالي على الأقل ، على أن تعرف ألفاظها بالعربية تعريفاً علمياً مختصراً دقيقاً يناسب حجم كل من المعجمين .

(٢) ونريد أن تلتزم الحكومات العربية استعمال ألفاظ المعجمين العربية دون غيرها ، في إداراتها ومحاكمها ومدارسها الرسمية والأهلية .

(٣) ونريد أخيراً أن يتم وضع المعجمين في بضع سنين أي في مدة قصيرة . ويتضح من كلامي هذا أن هنالك ثلاثة عوامل لا بد من توافرها في الأداة التي يُطلب منها تحقيق هذه الرغبات ، وهي :

(١) إمكان الحصول على أموال كافية .

(٢) الاستعانة بأكبر عدد من الاختصاصيين بالمصطلحات العلمية العربية لقاء

تعويضات عادلة .

(٣) التأثير في الحكومات العربية .

فجميع القاهرة لا تتوافر فيه هذه العوامل في أيامنا هذه ، لأن موازنته محدودة ، ولأنه لا يجوز أن تتحمل الحكومة المصرية وحدها نفقات هذا العمل الكبير ، وأخيراً لأن المجمع يُعَدُّ مجعاً مصرياً ، ولا يشترك اليوم في أعماله إلا ثلاثة أعضاء عاملين من البلاد العربية <sup>(١)</sup> . فمن الطبيعي أن لا يكون قادراً على حمل الحكومات العربية والعلماء العرب في أقطارهم على استعمال المصطلحات التي يضعها مهما تكن حسنة ، لأن الأثرة في البشر داء ليس من السهل التغلب عليه . وفي هذه الحال يظل الاختلاف على المصطلحات قائماً ، وتظل الحاجة إلى توحيدها تحز في نفوسنا .

ولا بد لنا إذن من النظر إلى المشروع نظرة قومية شاملة فيظل جمع القاهرة هو الأداة التي تسعى لتحقيقه ، على أن تدم الدول العربية كافة بالمال ، وعلى أن يستعين على إتمام العمل ، في مدة قصيرة ، بجهود أكبر عدد من علماء الأقطار العربية الصالحين لهذا العمل .

ومجلس جامعة الدول العربية هو في نظري أصلح أداة تصمن إشراك دول الجامعة بالنفقات اللازمة لتنفيذ المشروع . ويتوقف تنفيذه إذن على قيام تآزر وثيق بين مجمع اللغة العربية ، والأمانة العامة للجامعة الدول العربية ، ورهط الاختصاصيين بالعلوم ومصطلحاتها . والطريق التي أرى أن تسلك هي: <sup>(٢)</sup>

(١) تؤلف لجنة مشتركة من المجمع ومن الأمانة العامة للجامعة ، (الإدارة الثقافية) ، فتضع تقريراً محكماً في ضرورة تصنيف المعجمين ، وفي الطرق التي يجب سلوكها لإتمامها في بضع سنين ، وفي مقدار المال اللازم لهذا العمل .

(١) كان ذلك قبل قيام الجمهورية العربية المتحدة وإدخال عشرين عضواً عاملاً من البلاد العربية في المجمع (عدا أعضاء مجمع دمشق) .

(٢) هذا رأي علمتيه التجارب سواء في الحكومة السورية أو في مجلس جامعة الدول العربية ولجانه . ولا أحزم صحة هذا الرأي . ولكني لا أعرف رأياً آخر يفضل في أيامنا هذه . وبأيت العلماء الأثبات ورجال الدلالة المحنكين فينا يدلون بما قد يكون مندم من آراء صائبة ووسائل عملية تنفيضي للتحقيق هذه الأمنية .

(٢) تعرض الأمانة العامة للجامعة هذا التقرير على مجلس الجامعة . وفي عقيدتي أن المجلس سيقر المشروع ، ويقر تخصيص المال الضروري له بلا تسويق ، لأن جميع الدول العربية تقدر أهميته ، ولا تحجم عن الاشتراك في نفقاته . وقد لمست ذلك مرات في أحاديثي مع كثيرين من ممثلي الدول العربية في مجلس الجامعة .

(٣) عندما يحصل المال في صندوق الأمانة العامة للجامعة بحول دفعه واحدة إلى صندوق الجمع ، على أن يفتح له حساب خاص مستقل غير تابع لقيود وزارة المالية و «لوائحها» .

(٤) تؤلف في الجمع لجنة تسمى « لجنة معجم المصطلحات العلمية » أو « لجنة المعجم الأعجمي العربي » يكون لها شخصية اعتبارية واستقلال مالي . وهذه اللجنة هي التي تنظر في شؤون تصنيف المعجمين ، وفي الإنفاق على هذا العمل ، على أن يشرف عليها رئيس الجمع وكاتب مره ، وعلى أن يكون أمين الجامعة العام حق الإشراف على نفقاتها .

(٥) تعتمد اللجنة إلى معجم أعجمي كمعجم لاروس مثلاً ، فتجرد ألفاظه ، وتستخرج منها المهم من الألفاظ العلمية ، وتفصل بعضها عن بعض على حسب العلوم . وهذا العمل صعب . وهو من أهم أعمال اللجنة .

(٦) توزع اللجنة المواد الأعجمية المذكورة بين علماء الأمة العربية في مختلف أقطارها ، سواء أكانوا من أعضاء الجامعات اللغوية والعلمية ، أم من أساتيد الجامعات القادرين على وضع المصطلحات العربية ، أم من الأفراد الذين اشتهروا بالتخصص بعلم من العلوم ومصطلحاته . وتطلب اللجنة اليهم وضع أصلح ما عندهم من ألفاظ عربية مقابل تلك الألفاظ الأعجمية ، مع تعريف كل لفظة بالعربية تعريفاً علمياً موجزاً<sup>(١)</sup> .

(١) للتعريف العلمي الذي يناسب حجم المعجم قواعد دقيقة لا بد من إرشاد واضعي المصطلحات العربية إليها .

ويتم هذا العمل بموجب عقد بين المجمع والأفراد الاختصاصيين ، لقاء تعويض عادل ، على حسب أهمية كل عمل من حيث الكمية ، ومن حيث السهولة أو الصعوبة . ويجب أن تحدد اللجنة مهلة معلومة ينهي فيها كل اختصاصي عمله .

(٧) كلما أنهى أحد الاختصاصيين عمله ، يبعث المجمع بنسخ منه إلى حكومات دول الجامعة العربية ، طالباً منها عرض المصطلحات على علماء تلك الدول ليعيدوا ملاحظاتهم عليها في مدة محددة .

(٨) وبعد انتهاء تلك المدة تستدعي لجنة المعجم واضعي المصطلحات العربية ، وتناقشهم هي وخبراء المجمع في كل لفظة ، حتى يستقر الجميع على أصلح الألفاظ العربية .

(٩) تعرض نتائج الأعمال كلها قباعاً على مجلس المجمع فيقر الألفاظ العربية وتعريفاتها العلمية بعد المناقشة فيها بحضرة الاختصاصيين واضعي الألفاظ وخبراء لجان المجمع .

(١٠) يُعرض المعجم كاملاً على مؤتمر المجمع لإقراره . ولا يتناقش أعضاء المؤتمر إلا في ألفاظ مهمة اختلف عليها الفنيون وأعضاء المجمع .

(١١) المجمع هو الذي يطبع المعجم ( أو المعجمين ) وينشره في الأقطار العربية بثمن بخس ، أو يبعث إلى كل دولة من دول الجامعة بنسخ كافية منه بالجان ، وهي تتولى بيعه بثمن زهيد لقاء مشاركتها في نفقات تصنيفه . والحكومات العربية التي ترى أنها قد شاركت مالياً وعلمياً في وضع المعجم تكون مبالغةً طبيعياً إلى فرض ألفاظه على مؤلفي الكتب المدرسية ، وعلى إدارات الحكومة ، وعلى المحاكم ، وعلى كل ما لها سلطة عليه من المؤسسات العامة . أما الأدباء والصحافيون فانهم يستعملون ألفاظ المعجم عندما لا يجدون ما هو أصلح منها .

ومع هذا ربما مست الحاجة إلى طبع المعجم طبعة منقحة ومزيدة في كل بضع سنوات .

(١٢) لا بد لإتمام المعجم في دقة وسرعة من منح العاملين في تصنيفه عوضاً عن أتعابهم ، سواء في ذلك أعضاء لجنة المعجم ، أو الاختصاصيون واضعو الألفاظ ومحققوها ، أو خبراء المجمع أو أعضاء مجلس المجمع ، أو غيرهم ممن يستعان بهم . ويتفق رئيس المجمع والأمين العام للجامعة على أسس منح التعويضات المذكورة .

هذا هو رأيي في أسرع طريقة وأنجعها لتصنيف معجم أعجمي عربي في المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة ، وفي فرضه حكومياً أو أدبياً على البلاد العربية .<sup>(١)</sup>

وآمل أن لا أكون ، في بيان هذا الرأي بشيء من الإسهاب ، كصاحب جرة الزيت ، أو كالذي يسلم الدب ويتمتع بفروته ، قبل أن يقتله أفاًنا أريد من صميم قلبي أن أكون متفائلاً ، وأن أقول مع القائل :  
 'مَنْىَ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى' وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً أو أقول مع الآخر :

إِكْذِيبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا      إِنْ صَدَقَ النَّفْسَ يُزْرِى بِالْأَمَلِ<sup>(٢)</sup>

مصطفى الشهابي



(١) من المعلوم أن تصنيف هذا المعجم يجب أن يسبق تصنيف الموسوعة ( دائرة المعارف ) ، إذ لا كبير فائدة في موسوعة مصطلحاتها العلمية العربية سقيمة أو مرجوحة أو غير صحيحة .

(٢) من المشجيات القول بأنه بعد مرور عشر سنين على إلقاء هذه المحاضرات وطبها طبعة أولى في القاهرة لم تنتج الوسائل التي ذكرتها أو ما يشبهها في صنع المعجم الملح إليه ، بل عُقد في مدينة الجزائر في سنة ١٩٦٤ مؤتمر سمي مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية أوصى بأن تتخذ جامعة الدول العربية الوسائل الآيلة إلى توحيدها فتأمل !

## لسان بشار

لم يكن بشار في جملة الذين خلقهم الله تعالى في أحسن تقويم ، فالذي تنأى الينا من صورته أنه كان ضخماً ، طويل القامة ، عظيم الخلق والوجه والهامة ، أسجج الخدين ، تامّ الألواح ، مجدوراً ، جاحظ المقلتين ، قد تغشاهما لحم أحمر ، أقبح الناس عى ، وأفظعهم منظراً ، ولا شك في أن سحنة مثل هذه السحنة قد حملت أهل عصره على العبث به ، فكان بعضهم يشبهونه بالكلب وبشر من الكلب ، ويرون أن ريح الخنزير أهون من ريحه ، أو كأنه فيل عرضه أثقل من طوله ، أو إذا تبطّح في دهليزه فكانه جاموس لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حرّ كنه من موضعه .

وكما عبثوا به من ناحية صورته فقد عبثوا به من ناحية حسبه ونسبه ، فهو مرّة غير زاكي الفرع في نظرهم ومرّة غير معروف الأصل ، وقد أعانهم على ذلك صنعة أبيه الذي كان طيئناً يضرب باللبن ، وتهاون أمه به التي باعته بدينارين ، فما كان أرخص سعره وأعلى شعره !

ولم يكتفوا بالطعن على بشار من هذا الأفق وحده ، فقد امتدوا إلى أفق من أخلاقه ، فرأوا فيه كثرة التلون في رلانه ، مرّة يتمصّب للعجم ، ومرّة يفتخر بولائه في بعض القبائل ، ثم يتبرأ من ولاء العرب .

وقد زاد في تمادي الناس في السخرية منه طرز إنشاده ، فكان إذا أنشد صفّتي بيديه وتحنّج وبصق عن يمينه وشماله .

ولعلّ ما رآه من أهل عصره جعله يتبرّم بالناس حيناً وبنفسه حيناً ، فقد كان ضيق الصدر ، حتى قال : الحمد لله الذي ذهب ببصري لئلا أرى ما أبغض !

فكيف كان أسلوبه في معاملة الناس وهو على مثل هذه الحال من التعرض لعبثهم وسخريتهم وطعنهم وما شابه هذه الأمور ، ما هي الفلسفة التي اختارها لنفسه في هذه المعاملة ، أيميل إلى الرفق واللين فيساير ويحامل ويداهن ، أم يميل إلى الشدة والخشونة فيسلط لسانه على من تحدته نفسه بالتنادر عليه حتى يسلم من شرّ الناس وحتى يأمن غوائلهم ؟

انّا نجد أن الناس في مثل هذه الحال التي كان عليها بشار طبقتان : طبقة تجنح للسلم ، فتتجنب إلى الجماعات ، وتصانهم وتظهر الودّ لهم وتستقبلهم بما يحبّون ، فلا تخاشنهم ولا تعامرهم ولا تجاهيهم بما يكرهون ، فتنبج على هذا الشكل من أذاهم ، وربما أنشأ لهم هذا السلم شيئاً من الحرمة في الصدور أو المحبة في القلوب ، وطبقة تختار الحرب وقد رسخ في أذهان أصحابها سوء الظن بلؤم البشر ، فلا تسمع شراً إلاّ جابهت بشرّ منه ولا يتطاول عليها متطاول إلا كانت أشدّ تطاولاً عليه ، فلا تغضي على كلمة خبيثة ولا تفضّ الطرف في عبث أو سخرية أو طعن ، فيخافها الناس في الظاهر ويتجنبون شرّها ويبعدون عن الوقوع في أسننها ، فتسلم على هذا النحو من كل مكروه .

من أيتة الطبقتين كان بشار ؟ إذ أنه لم يكن له بدّ من سلاح يحصّن به نفسه من الناس الذين يحيطون به ، لم يكن له بدّ من شيء يدفع به عن نفسه شرّ ما يسمع ويؤله سماعه .

لم يؤثر بشار فلسفة السلم في معاملة الناس وإنّما مال إلى الغلظة في القول والخشونة في الجواب ، فالقاعدة التي طبّقها في شعره طبّقها في حياته ، لمّا قيل له : انك كثير الهجاء قال : اني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضع الشاعر من المديح الرائع ، ومن أراد من الشعراء أن بكرم في دهر اللئام على المديح ، فليستعد للفقير ، وإلاّ فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى .

لجأ بشار في شعره إلى الهجاء المؤلم طمعاً في الإكرام ، فقد كان دهره في معتقده دهر اللثام ، فالهجاء كان سلاحه في حمل اللثام على إكرامه ، فما الذي لجأ إليه في حياته الخاصة طمعاً في السلامة من عبث العابثين وضحك الضاحكين وسخرية الساخرين ؟

اعتمد بشار في هذه الحياة على سلاطة اللسان ، فقد رزقه الله تعالى لساناً مثل المبرد أو أحد ، وأعطاه ورآء هذا اللسان الطويل سرعة الجواب وقوة الحججة والظرف وخفة الروح والسخرية ، فلم يكن ثقیل الظل على الرغم من قبح منظره ولا كان جامد الهواء ، كان جوابه في كل فرصة تمر على طوف لسانه ، لم يتهيب أمراً من الأمور ولا مجلساً من المجالس حتى كان الناس يخافونه ويتقون شره ولو كانوا في طبقة الأخفش أو سيبويه ، وكذلك كان يهابه الشرفاء ويخشون معرفته لسانه .

فلنسمع شيئاً من سلاطة لسانه ؟ لم يسلم من هذه السلاطة أصدقاؤه أنفسهم ، قال له أحدهم مرة يمازحه : إن الله لم يذهب ببصر أحد إلا عوّضه بشيء ، فما عوّضك ؟ قال : الطويل ، العريض ، قال : وما هذا ؟ قال : أن لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء .

كيف لا يتبرم بشار بالناس وفيهم من يذكره ذهاب بصره ، أي شيء أشد على الأعمى من هذا التذكير ، وكيف لا يستقبل الناس بمثل جوابه الخبيث ، فلا ريب في أن مثل هذا الجواب قد يمنعهم من الرجوع إلى أشباه هذه السؤالات المؤلمة .

وإذا كان الأعمى يألم من التعريض بذهاب بصره فكذلك الشاعر يألم من التعريض بسرقة الشعر ، سواء أكانت هذه السرقة صحيحة أم كانت باطلة ، فقد أنشد بشار مرة بيتاً من الشعر فاتهمه رجل بأخذه هذا البيت من قول أشعب ، فكيف كان جواب بشار في هذه التهمة ؟ قال : إن كنت أخذت هذا من قول أشعب فأنك أخذت ثقل الروح والمقت من الناس جميعاً ، فانفردت به دونهم .



فهل يحسر أحد بعد جواب من هذا النوع على أن يتم بشاراً بسرقة إن كان قد سرق ؟

وكما كان يتبرم بالثقلاء فقد كان يتبرم بالبلهاء ؛ ربما أتاه منهم من يسأله عن منزل من المنازل ، فيذكره له ويفهمه فلا يفهم ، فيأخذ بشار بيده ويقومه إلى المنزل وهو يقول :

أعمى يقود بصيراً لا أبا لكم قد ضلّ من كانت العميان تهديه  
حق إذا صار بشار إلى المنزل قال للسائل : هذا هو منزله يا أعمى !  
هذه طائفة من جوابات بشار المؤلة في مجالس الثقلاء والبلهاء ، فكيف كانت حاله لو لم يرزقه الله لساناً طويلاً وهو من هو في قبح النظر ؟  
لم يرحم بشار المغفلين حتى في مجالس الخلفاء ، وحتى لو كان لهؤلاء المغفلين صلة رحم بالخليفة ، فما قولنا في رجل هو خال المهدي يسأل بشاراً في مجلس المهدي عن صناعته بعد أن فرغ من قصيدة كان ينشدها ويمدح بها الخليفة ، كيف يكون بشار في مثل هذا السؤال ، أيسكت عن الجواب حرمة للخليفة والسائل خاله ، أم يجرد لسانه ، فيجري على طبعه ، فلا يبالي بالخليفة ، لما قال له السائل : يا شيخ ما صناعتك ؟ قال بشار : أثقب اللؤلؤ ! فلم يتالك المهدي من الضحك على الرغم من السخرية من خاله ، ثم قال لبشار : أقتنادر على خالي ، قال بشار : وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته !

لقد نفعت سلاطة اللسان بشاراً في كثير من المواقف ، فإذا كانت نجته من ثقل الثقلاء وبلاهة البلهاء فقد مهّدت له سبيلاً إلى قضاء حاجاته في بعض الحالات . انه لما حضر باب الأمير محمد بن سليمان قال له الحاجب : اصبر ، فقال بشار : ان الصبر لا يكون على بلية ، فقال له الحاجب : إني أظن أن وراء قولك هذا شرّاً ولن أتعرض له ، فقم وادخل ، وهكذا نجد أن كلمة واحدة قد سهّلت لبشار أمره ، فلم يطل وقوقه على

باب من أراد الدخول عليه ، لقد فطن الحاجب إلى ما وراء كلام بشار من شرّ فأنقذته فطنته من هذا الشرّ . ويظهر ان بشاراً كان إذا حاجه أحد درّت أوداجه فترتعد فرائص من كان ينوي أن يطأطئ منه لقبح منظره وعظم جشّته ، ويقشعر جلده ويعظم بشار في عينه حتى يقول في نفسه : الحمد لله الذي أبعدني من شرّ .

وقد صحب سلاطة لسان بشار شيء من سرعة الجواب ؛ فاذا رفع غلامه اليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم صاح به بشار وقال : والله ما في الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يحلوها عشرة دراهم ! ولم تخل سرعة جواباته في بعض الأحيان من قوة الحجة ؛ فازعه رجل في اليانية والمضرية ، فأذن المؤذن خلال هذه المنازعة ، فقال بشار للرجل : رويداً تفهم هذا الكلام ، فلما قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله قال بشار : أهذا الذي نودي باسمه مع امم الله عز وجل من مضر هو أم من صُداء وعك وحير ، فسكت الرجل .

وإذا كان بشار خبيث اللسان ، سريع الجواب ، قوي الحجة ، يخافه الناس ويتهيبونه فلم يكن تهيبه الناس أقل من تهيب الناس إياه ، ولكن من هم الناس الذين كان يبالي بهم ، هل كانوا من طبقة أم كانوا من طبقة لاقدانيه ؟ كان بشار يخاف الناس الذين هم دونه في الشعر أو في غير الشعر ، فمن هو أبو الشمقمق إذا قيس ببشار حتى يعطيه كل سنة مائتي درهم خوفاً من لسانه وقد جاء في بعض السنين وقال له : هلمّ الجزية يا أبا معاذ ! فقال له بشار : ويحك ، أجزية هي ؟ هل أنت أفصح مني ، أم هل أنت أعلم مني بمثالب الناس ، أم هل أنت أشعر مني ، فيعترف أبو الشمقمق بأنه دون بشار في الشعر ولكنه يهدّده بالهجوم ثم يندفع في هجائه ، فيخاف بشار ويمسك فاه ويدفع اليه مائتي درهم ثم يقول له : لا يسمعن هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق !

يعلم بشار موقع الهجاء ويعلم عبث الصبيان به إذا بلغهم شيء من هذا الهجاء فيسترضي أبا الشمقمق ويعطيه ما عودته عطاءه خوفاً من أن يقع في لسانه وألسنة الصبيان في الأزقة .

وإذا قلنا ان أبا الشمقمق شاعر وقد هجو بشاراً ويشيع هجاءه في الناس ، ولكن من هو حمدان الخزاط حتى يخافه بشار ، كان حمدان يتخذ جامات للناس بالبحرَة يصور لهم فيها صور طير تطير ؛ وكان بشار يجلس عنده في بعض الأحيان ، فسأله أن يتخذ له جاماً فيه صور طير تطير ، فاتخذ له وجاءه به ، إلا أنه لم يصور فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنه يريد صيدها ولم يعلم حمدان بأن بشاراً كان هذا مراده ، فغضب بشار وقال له : علمت أنني أعمى لا أبصر شيئاً ، وهذا الهجاء ، فقال له حمدان : لا تفعل فانك تندم ، فقال بشار : أو تهددني أيضاً ، فقال حمدان : نعم ؟ فأحب بشار أن يعلم ماذا يستطيع أن يصنع به إذا هجاه ، فلما قال له حمدان : أصورك على باب داري بصورتك هذه وأجعل خلفك قرداً يفعل بك ما يفعل حتى يراك الصادر والوارد ، فخاف بشار وقال : أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجد !

أي مزاح هذا ؟ إن بشاراً لم يخطر بباله مزاحه ولكنه لما رأى ما عزم عليه حمدان إذا هو هجاه خاف ما خاف من معرفة الصورة وتنادر الناس عليه فكف عن الهجاء وذهب في سبيله .

وسواء أكان بشار خبيث اللسان ، أم كان مريع الجواب ، وسواء أكان يخافه الناس أم كان يخاف الناس ، أنه لم يخل من الظرف وخفة الروح . لا ريب في أنه كان يشعر بضخامة جسمه ولكنه تجاهل هذه الضخامة وصور جسمه في صورة بلغت من الرقة المبالغ ، فما قولنا في رجل يشبهونه بالقبيل وبالجاموس فيقول بعد هذا التشبيه :

إن في بردي جسمًا ناعلاً لو توكتأت عليه لانهدم

وهو يعلم كل العلم أنه لو توكلنا على هذا الجسم جبل بحضضه ورأسه لما هدم ناحية منه ، أفلا نرى في هذه المناقضات ظلاً من خفة الروح ؟ ومن هذا الشكل تفسيره لبعض أسماء أو ألفاظ في شعره غير معروفة ، فقد كان يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها . أنشد يوماً شعراً له فقال فيه :

غنثني للغريض يا ابن قنان ا

ف قيل له : من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغثي البصرة فقال : وما عليكم منه ، ألكم قبله دين فتطالبوه به ، أو ثار تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به ، فإذا غاب طالبتموني بإحضاره ؟ إنه رجل يغثي ولا يخرج من بيتي فيقولون له : إلى متى ، فيقول : مذ يوم ولد وإلى يوم يموت ا ومن هذا النوع ورود لفظ البردان في شعره ، فيقول له الناس : أين البردان هذا ، لا نعرفه بالبصرة ، فيقول : هو بيت في بيتي ، سميته : البردان ، أفعلكم من قسمتي داري وبيتها شيء فقسألوني عنه ا

إننا لانشك في أن الذين سألوهم هذه السؤالات لم يكن همهم معرفة حقيقة الألفاظ التي وردت في شعره ، وإنما كانوا يؤمنون بظرف بشار وخفة روحه ، فكانوا يسألونه أمثال هذه السؤالات ليسمعوا الجوابات التي سمعوها ، وهذا دليل على أنهم كانوا يولعون بممازحته وبمجالسه طمعاً في خفة ظله . الا أن وراء هذه الروح الخفيفة سخرية قد تكون لطيفة حيناً وقاسية حيناً ، فما قولنا في شاعر من طبقة بشار يقول شعراً يميل القلوب ويلين الصعب مثل قصيدته الرائية :

قد لامني في خليلتي عمر' واللوم في غير كنهه ضجر

وفيها ما فيها من محاسن وصف القبلة والعضة واللمسة والمصّة ، أو من وصف الساق والكف والشفة ، أو من وصف لحية بشار وقوته ، أو من

خوف الخلية التي يتغزل بها من لسان أمّها ، ما قولنا في شاعر ينظم مثل هذه القصيدة التي هي من أرق الشعر فتظهر فيها على خلية بشّار آثار العضّ واللمس والمصّ فتخاف هذه الخلية من أمّها إذا وقعت عينها على هذه الآثار ، وتقول لبشار :

كيف بأمي إذا رأّت شفيق      أم كيف إن شاع منك ذا الخبر  
قد كنت أخشى الذي ابتليت به      منك فماذا أقول يا عبّير

فيقول لها بشّار :

قولي لها : بقّة لها ظفر      إن كان في البق ما له ظفر !  
أيّ سخرية أرق من هذه السخرية ، فما معنى قرص البقة بعد عضّات  
بشّار ولسانه ومصّاته وخشونة لحيمته ، أيّ سخرية ألطف من ذكر البقة  
في حالٍ مثل هذه الحال !

وقد يسخر أحيانا من نفسه سخرية لطيفة لا قساوة فيها ، فقد سأله  
بنّته : يا أبت ! مالك يعرفك الناس ولا تعرفهم ، فقال لها : كذلك  
الأمير ، يا بنيّة !

أيّ أمير هذا ؟ والناس يعبثون بنسبه وبأصله وفرعه ، اللهم إلا إذا  
أراد : أمير الشعر !

وإذا كانت سخرية بشّار في هذه المقامات ليّنة فلم يكن لسخريته  
في المقامات التالية مثل هذا اللين ، حتى في دار المهدي ، فقد كان في  
هذه الدار مولى من موالى المهدي يسأل الناس وهم ينتظرون الإذن :  
ما عندكم في قول الله عزّ وجلّ : وأوحى ربّك الى النحل أن اتخذي  
من الجبال بيوتا ومن الشجر ، فيقول له بشّار : النحل التي يعرفها الناس ،  
إلا أن ذلك المولى لم يعجبه جواب بشّار فأحبّ أن يفسّر وأن يُغرب  
في التفسير ، فقال لبشّار : هيهات يا أبا معاذ ! النحل : بنو هاشم ، وقوله :

يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس بمعنى : العلم . فهل يسكت بشار عن مثل هذا التفسير الغريب ؟ انه لا يسكت ولو كان في دار المهدي ، فإن سخريته على طرف لسانه ، وهي هذه المرأة مؤلمة ، قال لذلك المولى : أراني الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم !

أي سخرية أشد من هذه السخرية ولما حدثوا المهدي بالقصة ضحك حتى كان يمسك على بطنه من شدة الضحك .

ومثل هذه السخرية المؤلمة ما اتصل بنا علمه في موت حمار بشار ، لما مات هذا الحمار رآه بشار في النوم فقال له : لمَ مت ؟ ألم أكن أحسن إليك ، فقال له الحمار أحياناً وردت في جللتها لفظة : الشيفران ، فسأل بشاراً أحد الناس : ما الشيفران ، فقال بشار : ما يدريني ، هذا من غريب الحمار فإذا لقيته فاسأله .

فقد أصبح للحمير في عصر بشار لغة خاصة وفي هذه اللغة بعض الغريب ، فإذا لم يفهمه أحد فليسأل الحمير عنه !

ورجال السخرية والعريقون فيها يحبونها ولو كانت السخرية منهم ، قالت امرأة لبشار : أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ، فقال بشار : أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان فقالت المرأة : أمّا قولك فحسن في السمع ، ومن لك أن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع ، فكان بشار يقول بعد هذا الجواب : ما أفحمني قط غير هذه المرأة .

وإذا تسامح الناس في قوارص السخرية واحتملوها في بعض أمورهم فانهم لا يحتملوها في أمور الدين ، فقد قالوا في بشار انه يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ، ويصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين وإن

كان ورد في آخر ترجمته في الأغاني ما يدلّ على حسن إيمان بشار ، إلا أن هذا الأمر خارج عن موضوع المقال ، فإن الذي يهمنا في هذا المقام سخريته ؛ وقد امتدت هذه السخرية في بعض الأوقات إلى أمور تقتصل بالدين فإذا غنت جارية وطرب بشار لم يتذمّم من أن يقول : هذا الغناء أحسن من سورة الحشر .

وإذا تحاور رجلان في شيء وأدّى هذا التحاور إلى التشتات ، فشمّ أحدهما أمّ الآخر وغضب المشتوم من شتم أمه دخل بشار بينهما وقال للمشتوم : والله لو كانت أمك أمّ الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كله . وإذا وصف قاصّ من القصّاص قصراً من قصور الجنة ، صحّنه ألف فرسخ في مثلها وعلوّه ألف فرسخ ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرة فراسخ في مثلها قال بشار إذا سمع هذا الوصف : بشت والله الدار هذه في كانون الثاني !

وإذا نهق حمار في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار التي يكون فيها بشار فارتجعت الناحية وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل يذقها بها دقاً شديداً قال بشار : نفخ يعلم الله في الصور وقامت القيامة !

وإذا فرغت شاة في السطح فقطعت حبلها وعدّت فألقت طبقاً وغضارة إلى الدار ، فانكسرا وتطاير حمام ودجاج كنّ في الدار لصوت الغضارة وبكى صبيّ في الدار قال بشار : صحّ والله الخبر ، ونشر أهل القبور من قبورهم ، وأزفت يشهد الله الآزفة ، وزلزلت الأرض زلزالها ، فيعجب السامعون من هذا الكلام وربما غاظهم .

أو إذا حضر الظهر والعصر والمغرب ولم يصلّ بشار وقيل له في ذلك فيقول : ان الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة !

هذه نماذج من سخرية بشار في أمور تتصل بالدين ، وإذا كانت هذه السخرية تنطوي على النكتة أكثر من انطوائها على شيء من الاستخفاف فإن بعض الناس كانوا لا يحتملونها وربما غاظتهم .

كيف كانت عاقبة هذا اللسان الطويل ، لا بل كيف كانت عاقبة هذه الروح وهذه النكتة وهذه السخرية ؟ لقد كانت من أفجع العواقب ، لما اتهم بأنه يؤذّن وهو سكران ، وأمر بضربه بالسوط ، بأن الموت فيه فألقي في سفينته ، فحمله الماء فأخرجه الى دجلة ، فأتى به أهله ، فدفنوه ، فأخرجت جنازته ، فما تبعها أحد إلا أمة سوداء سندية عجباء ما تفصح تصيح خلف جنازته : واسيداه ! واسيداه !

وأفجع من ذلك أنه لما نعي إلى أهل البصرة قباشر عامتهم وهنا بعضهم بعضاً وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا منوا به من لسانه !  
يا بؤس ميت لم يبكه أحد أجل ولم يفتنقه مفتقد !

سفيان مبري





نظرة في  
معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

قله إلى العربية الأساتذة سرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط  
ومحمد صلاح الدين الكواكبي  
( لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق )

استدراك وتعقيب

— ٩ —

رقم المصطلح

رقم المصطلح

4932 Enfoncement de la voûte القَحْف انخفاض قُبَّةُ الخفّاف  
du crâne

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بانخفاض عظام الجمجمة . وجاء في التعريف :  
انخفاض بعض عظام جمجمة الحميل وقت الولادة . وأفضل ترجمة اللجنة .

4934 Engagement de la tête ( قبالة ) تداخل الرأس  
( obs. )

وأقر مجمع اللغة دموج الرأس .

4935 Engagement synclitique ( قبالة ) تداخل انطباقي  
( obs. )

وأقر مجمع اللغة دموج التزامل . وجاء في شرح التزامل ( Synclitisme )  
انطباق محور الجزء الناقى من الحميل على محور الحوض . وترجمت اللجنة  
لفظة ( Synclitisme ) بتوازي السطوح ( اللفظة ١٣٠٥٦ ) أيضاً .

4936 Engelure, érythème خَصَر ، حمامي ، شَرَاث ، ١٢٦  
pernio, pernion

وأقر مجمع اللغة الخُصار<sup>(١)</sup> أيضاً ، وجاء في التعريف : حكة وحمى موضعة في الأصابع والأباحس والأذنين . ولا أرى مسوغاً لاستعمال لفظة 'حمى' وحدها هنا بعد أن خصصت اللجنة استعمال اللفظة ترجمة لـ (Erythème) (اللفظة ٥١٧٦) وأرى الاكتفاء بالشرث دون غيرها .

٤٩٣٧ جَمَعَ ، كَتَلَ Englobier 4937

وأرجح جَمَعَ واشتمل على .

٤٩٣٨ تورّم الغُد Engorgement ganglionnaire 4938

والصحيح تورم العقَد ، فقد ترجمت اللجنة لفظة (ganglion) بمقدّة (اللفظة ٦١٤٩ وما يليها) . وتخصّص الغدة ترجمة لـ (glande) .

٤٩٣٩ إمتلاء (أو فيض) اللبن إمتلاء Engorgement laiteux 4939

الثدي ، حَشَشَكَ mammaier , rétention lactée

وأرجح تمفّل<sup>(٢)</sup> الثدي باللبن وحَشَشَكَ<sup>(٣)</sup> وأقر مجمع اللغة ثدي حافل . وأعملت اللجنة ترجمة اللفظة الأخيرة وهي احتباس اللبن .

٤٩٤١ مَدَّلَ Engourdi, ie 4941

٤٩٤٢ مَدَّلَ ، ذَهُول Engourdissement , torpeur 4942

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بمخدّر لأن لمَدَّلَ معنى آخر يدعو للالتباس<sup>(٤)</sup>

(١) في اللسان : الشَّرْثُ غَلْظُ الكف والرجل وانتفاخها وقيل هو تشقق الأصابع . وقيل غلظ ظهر الكف من برد الشتاء . وقد شرث شرثاً فهو شرث وقد شرث يده شرث . وفي اللسان : والخصر بالتحريك البرد يجده الإنسان في أطرافه . الحُمير الذي يجده البرد . وخفير الرجل إذا آله البرد في أطرافه يقال خفبرت يدي وخفير يومنا أشد برده .

(٢) في اللسان : حَفَلَ اللبن في الفُرع يَحْفِلُ حَفْلاً وحَفُولاً وحَفْلٌ واحتفل اجتماع وحَفْلُهُ هو وحَفْلُهُ ، وضرع حافل أي مملئ لبناً .

(٣) في اللسان : الحَشَك شدة الدرة في الفُرع وقيل سرعة تجمع اللبن فيه .

(٤) في اللسان : المَدَّل الضَجَر والقلق ، مَدَّل مَدَّلاً فهو مَدَّل والأشئ مَدَّلة . والمَدَّل البازل لما عنده من مال أو برّ وكذلك إذا لم يقدر على ضبط نفسه ، وجاء فيه أيضاً : ومَدَّلَت رجله مَدَّلاً ومَدَّلاً ومَدَّلت تخديرت .

والثانية بخندَر وهوود أو خود ترجمة لِـ (Torpeur) . وليس اللفظة  
ذمول (١) أن بقي بالمعنى المطلوب .

٤٩٤٤ Engourdissement du sens      مذلّ حاسة اللمس  
tactile

وأرجح فتور (٢) حاسة اللمس .

٤٩٥٥ Enlever les ovaires, أضهى ، أضمى  
couper castrer un animal femelle

وأرجح ترجمة اللفظة بسكّ البيضين أو نزعها أو جبهها ولا أرى لزوماً  
لاستعمال ضهى وأضهى (٣) .

٤٩٥٨ Enragé , ée      كليلب

ومسنمور (مصاب بالسعار) .

٤٩٦٠ Enrhumer ( s' )      زُكيم ، خبيط

والصحيح زكم فقط (٤) وأرى في لفظة خبيط ما يوقع في الالتباس (٥) .

(١) في اللسان : الذَّهْل تركك الشيء . تناساه عن سَمَد أو يمشغلك عنه شغل  
تقول ذهلت عنه وذهلت وذهلت وذهلت كذا كذا عنه . وفي التزيل المزير :

« يوم تذهل كلّ مريضة عما أوضحت » .

(٢) في اللسان : الفتشرة الانكسار والضمف وتر الشيء . والحر وفلان يفتشتر  
ويفتشتر فتوراً وفشاراً سكن بعد حدة ولان بعد شدة .

(٣) في اللسان : السّل انتزاع الشيء وإخراجه في رفق ، سلّه يسأله سلاً واستلّه فأنزل  
وسلّاه أسأله سلاً . أقول وقد سبق لأطباء العرب استعمال اللفظة في انتزاع الحصيتين .  
في اللسان : الحبّ القطع . حبّه يحبّه حبّاً وجباً وجباً واجتبه وجب خصاص حبّاً  
استأمله . وتعني محبوب بين الحباب . والمحبوب الخفي الذي قد استعمل ذكره  
ومخصيه وقد حب حبّاً .

في اللسان : امرأة ضباه لا يظهر لها ثدي وثيل هي التي لا تحيض . الضباه  
والضباه من النساء التي لا تحيض ولا يذبت ثديها ولا تعمل وثيل التي لا تلد وإن  
حاضت ، ضببت ضباً . أقول ولم أعر في اللسان على صيغة التمدي من  
فعل ضباه ، ولا يوجد ضبي باعتبار الأمر خاصاً بالنساء .

(٤) الصفحة ٥٩٥ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) في اللسان : والخبيطة كالزكم تأخذ قبل الشفاء وقد خبيط فهو مخبوط . والخبيط  
بالهم داء كالجنون وليس به وخبيطه الشيطان وخبيطه .

- ٤٩٦٧ Ensemble de cas سريرية أحدات مجموع حالات  
cliniques ayant servi à une في بيان طبي  
communication médicale
- وأرجح مجموع حوادث سريرية اشتملت عليها نشرة طبية أو مقال طبي .
- ٤٩٨٢ Entéroclyse رَحَضٌ مِعْوِي
- وحَقْنَةُ (١) . لأن المقصود من اللفظة كما جاء في معجم بلاكستون (٢) :  
حقن أحد السوائل في المستقيم لأجل التغذية أو العلاج أو التنظيف . بينما  
الرحض (٣) هو الغسل فقط .
- ٤٩٨٣ Entéro - colite التهاب المِعْيِ والقولون
- وأقر بجمع اللغة : التهاب الأمعاء ( الدقاق والغلاظ ) .
- ٤٩٨٩ Entonoir à filtration chaude قَمْعٌ للترشيح الحار
- قَمْعٌ وقَمْعٌ ( وهذه هي اللفظة الدارجة والمشهورة ) .
- ٤٩٩٣ Entorse , distorsion , foulure وئي ، مَلَنَح
- وأقر بجمع اللغة : الوثء والوئي والمَلَنَح .
- ٥٠٠٣ Entremets مَتَبَلَات ، مَخْلَلَات الطَّعَام
- ويعنى باللفظة ما يقدم من أحد ألوان الطعام قبل الحلوى أو الفاكهة ،  
فليس هو من المتبلات أو التوابل ، ومخللات يفهم أحد أنواع التوابل أيضاً ،  
لذا أرجح ترجمة اللفظة بما يتغلغل الوجبة .

(١) في اللسان : والحَقْنَةُ دواءٌ يُحقَنُ به المريضُ الحَقْنَتَيْنِ ، واحقن المريض بالحَقْنَةِ ومنه الحديث : انه كثرَ الحَقْنَةُ هي أن يمتلئ المريضُ الدواءَ من أسفله وهي معروفة عند الأطباء .

(٢) معجم بلاكستون في اللفظة ( Enteroclysis ) : Blakiston's New Gould

Médical Dictionary

(٣) في اللسان : الرَّحَضُ الغسل . رَحَضَ يَدَهُ والإثاء . والنوب وغيرها رَحَضَهَا و يَرَحُضُهَا رَحَضاً غليها .

- ٥٠٠٦ عُلْبَصَة ، فَصْعُ Enucléation 5006  
والصحيح القلع أو النزع أو الاستئصال . لأن المعنى الاشتقاقي لهذه  
اللفظة هو نزع النواة من الثمرة ، ثم أصبح معناها الدارج القلع والاستئصال  
وليس اللفظي عليها<sup>(١)</sup> ولا فصع<sup>(٢)</sup> أن تفيا بالعرض .
- ٥٠٠٧ عُلْمَصَة ، تَجْنِصُ الْعَيْنِ Enucléation du globe oculaire 5007  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بـتَجْنِفُ الْمُقْلَةَ . وعندني أن تَجْنِصُ<sup>(٣)</sup>  
المقلة أفضل من نقفها<sup>(٤)</sup> . إذ المقصود من اللفظة هو اقتلاع المقلة أو نزعها .
- ٥٠١٦ إِنْزِيَاب ، إِنْقِشَاب ، إِنْدِعَاف Envenimation , enveniment 5016  
وأرجح الاندحام بِسْمِ الْأَفْعَى أو زبيديها .
- ٥٠٢٠ نَسْرُ الظُّفْرِ Envie de l'ongle 5020  
وأقر مجمع اللغة السَّأَفُ<sup>(٥)</sup> وجاء في التعريف تشقق البشرة حول الظفر .
- ٥٠٢٢ كَخِيرَة دَوَابَّة Enzyme , ferment soluble 5022  
وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بأنزيم .

- (١) في اللسان : المِلْهَاس صام الفارورة ، عُلْبَسَ الفارورة إذا استخرج صمامها .  
(٢) في اللسان : فَصَع الرُّطْبَة يَفْصِمُهَا فَصْماً وَفَصْماً إذا اخذها بإصبعيه لصرها  
حتى تنفطر وكذلك كل ما دلكته بإصبعيك لِئَلَّا يَنْفَتِحَ عما فيه .
- (٣) في اللسان : التَجْنِصُ مصدر تَجْنَسَ عينه بخصها بخصاً أغارها إلى أن قال  
وتَجْنَسَتْ عينه اجتصها بخصاً إذا قلعتها مع شحمها ، بخص عينه وبجذرها وبجصها  
كأنه يلقى لها .
- (٤) في اللسان : النَّقْفُ كسر الهامة عن الدماغ ونحو ذلك كما يَنْقِفُ الظَّاهِرُ  
الحظال عن حبه ، وَتَقْدَعُ الحظال أي شقوقه ونقب الرمانة إذا قشرها ليستخرج  
حبها وانقفت التي استخرجته .
- (٥) في اللسان : سَنِفَتْ يَدُهُ تَسَافَ سَأَفاً فهي سُنْفَة وسأفت سَأَفاً تشقق ما حول  
أظفارها وتشمث . وقال ياقوت : هو تشقق في أنف الأظفار .
- في اللسان : والدَّشِير لحمه صلبة في باطن الحافر كأنها حصة أو نواة وقيل هو  
ما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه وقيل باطن الحافر والجمع مُنْشُور .

- ٥٠٢٣ Epaississement , v. تكثيف ، انظر تكاثف  
condensation  
وأرجح ثَخَنَ أو غَلِظَ تاركاً تكثيف ترجمة لـ ( Condensation )  
كما فعلت اللجنة ( اللفظة ٣٠٠٥ ) .
- ٥٠٢٤ Épaississement de la plèvre ، كثافة غشاء الجنب ،  
Callosité de la plèvre جسء غشاء الجنب  
وأرجح ثَخِنَ الْجَنْبَةَ <sup>(١)</sup> أو غَلِظَهَا وصلابة <sup>(٢)</sup> الجنبية .
- ٥٠٢٨ Epancher , décharger. répandre انصب ، انسكب  
وأرجح ترجمة اللفظات الثلاث تبعاً : انصب ، انطلق وانتشر .
- ٥٠٢٩ Epargneur d'albumine مُنْصِيكُ الْآحِينِ ، مُدَبِّرُ الْآحِينِ  
والصحيح مستقبلي الزلال <sup>(٣)</sup> ( كما أقره مجمع اللغة ) أو مُدَبِّرُهُ  
أو ( مُوَفِّرُهُ ) ، وليس في الأمر إمساك ولا ضبط ولا تدبير .
- ٥٠٣٨ Epices أبازير ، أفاروية  
أبازير وأفاروية ( لعله غلط مطبعي ) وتوابل .
- ٥٠٤٠ Epidémicité اجتياحية ، حالة الوباء المحتاح
- ٥٠٤١ Epidémie جائحة
- وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الثانية بوباء وتكون الأولى وبائية  
أو جائحية لا اجتياحية .
- ٥٠٥٥ Epidural, ale , sus - عَجْزُزِي ، فوق الأمْجَافِيَّة  
- durmérien , enne  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بخارج الجافية <sup>(٤)</sup> .

(١) كما أقرها مجمع اللغة انظر الصفحة ٢٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .  
(٢) في اللسان : جأ الشيء جِئاً جِئاً وجِئاً فهو جِئٌ صلب وخشن ،  
ولا أرى حاجة لاستعمال هذه اللفظة العاموسية مكان الصلابة .  
(٣) الصفحة ٦٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .  
(٤) الصفحة ٤٦٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

5062 Epilepsie marmottante صَرَْعٌ مُدْتَنِدٌ  
ويقصد بهذه اللفظة أحد أنواع الصرع الذي يتخلل النوبة لفظ المعرّوع  
كلمات غير مفهومة لذا أرجح صَرَْع التَّغَمُّغُم (١) .

5065 Epileptiforme صَرَْعِي الشَّكْل  
وأقر جمع اللغة صَرَْعَانِي .

5071 Épine de l'omoplate شوك اللّوْح  
وأقر جمع اللغة عَيْنَر الكَتِف (٢) .

5073 Epiphyse مُشَاشَة  
وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة بكُردوس (٣) وكلاهما صحيح وأفضل  
الكردوس (٤) .

5079 Epithélioma baso - سرَطَان ظِهْرِي قَاعِدِي الْخَلَايَا ،  
رَصْفِي أَنْبُوبِي مَلْبِيغِي غَيْرْمَثَالِي ،  
cellulaire , pavimenté ,  
tubulé , malpighien atypique

وأقر جمع اللغة ترجمة لفظة ( Epithelioma ) بورم الظهارة وبسرطان  
الظهارة في موضع آخر . ولعلّ الأولى هي الفضلى باجتناب لفظة السرطان  
الخفيفة . لذا فلاني أرجح أن تكون الترجمة ورم الظهارة القاعدي الخلايا ،  
الرصفي ، الأنبوبي المالبغي اللاغوزجي .

(١) في اللسان : التَّغَمُّغُم والتَّغَمُّغُم الكَلَام الذي لَا يُبَيِّن .

في اللسان أيضاً : الدَّالَّةُ أَنْ تَسْمَعَ مِنَ الرَّجُلِ كَفْأَةً وَلَا تَقْهَمُ مَا يَقُولُ وَقِيلَ الدَّالَّةُ  
الكَلَامُ الْخَفِيُّ .

(٢) في اللسان : وكل عظم ثالث من البدن عَظْرٌ ، وتَعَيَّرَ الْقَدَمُ الثَّانِي مِنْ ظَهْرِهَا .

(٣) في اللسان : الكُرَادِيْسُ رُؤُوسُ الْعِظَامِ وَاحِدُهَا كُردوس وكل عظمة يُنْزَلُ الْفَتْحُ فِي  
مَعْنَى صِلِ لَمْ يَكُردوس نحو الْمَنْكَبَيْنِ وَالرَّكْبَتَيْنِ وَالْوَرَكَيْنِ .

(٤) الْمَشَاشُ رُؤُوسُ الْعِظَامِ مِثْلُ الرَّكْبَتَيْنِ وَالْمَرَقَيْنِ وَالْمَنْكَبَيْنِ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ  
وَالْمَشَاشَةُ وَاحِدَةُ الْمَشَاشِ وَهِيَ رُؤُوسُ الْعِظَامِ الْبَنَى الَّتِي يُمْكِنُ مَضْمِنُهَا .

- ٥٠٨٢ سرطان ظهاري قنامي ، Epithélioma mélanique  
ورم قنامي خبيث  
melanoma malin  
وأقر جمع اللغة تعريب لفظة ( Melanine ) ميلانين فتصبح الترجمة  
ورم الظهارة الميلاني ورم ميلاني خبيث .
- ٥٠٨٣ سرطان ظهاري مخاطي أو شبنغري ، Epithélioma  
سرطان شبنغري أو هلامي ، muqueux ou coloïde  
cancer colloïde ou gélatineux  
وأقر جمع اللغة ورم الظهارة المخاطي أو الغرواني، سرطان غراواني أو هلامي .
- ٥٠٨٤ سرطان ظهاري خالي، سرطان ، Epithélioma naevique  
خالي غُدّي  
naevo - carcinome  
ورم الظهارة الشامي سرطان شامي كما أقرها جمع اللغة .
- ٥٠٨٥ سرطان ظهاري مننوي ، Epithélioma séminifère  
ورم مننوي  
Séminome  
وأقر جمع اللغة ورم الظهارة المنطيفية .
- ٥٠٩٤ قُدَاد Epreintes  
والصحيح زَحِير (١) . إذ المقصود من اللفظة الألم الشديد يشعر به العليل  
المصاب بالزُّحَار أو التهاب القولون قبل التقوط (٢) . وليس للفظة قُدَاد  
أن تدل على ذلك (٣) .
- 
- (١) في اللسان : الزحير والزُّحَار والزُّحَارَة إخراج الصوت أو النفس بأنين عند سحر  
أو شدة . والزُّحَار داء يأخذ البعير فيزحَر منه حتى يتقلب مُسَرَّمه فلا يخرج  
منه شيء . والزُّحِير تقطيع في البطن يُعَشِي دماً . الزحير استطلاق البطن  
وكذلك الزُّحَار . ومن الشائع ترجمة ( Dysentérie ) بزحار .
- (٢) معجم غاربه ودولامار في لفظة ( Epreintes ) : M. Garnier et Vet  
Delamare, dictionnaire des Termes Techniques de Médecine .  
وكذا في الترجمة الانكليزية المعجم الأصلي .
- (٣) في اللسان : والقُدَاد زَجِيع في البطن وقد قُدَّ .



- ٥١٢٣ ثَبْنَعَة ، ورم لثي " Epulide , épulie , éulis 5123  
وأرجح ورم لثي . وإن جاز له أن يتكون من صفاق الفك أو  
العظم نفسه ، وليس للفظ ثبنة أن تفني بالمعنى المطلوب ولا سيما وإنما لما  
تستدعي الالتباس بورم الشفة (١) .
- ٥١٢٤ متساوي الكئون Equipotentiel , elle 5134  
متكافئ الكئون أو الجهد الكهربائي كما أقرها مجمع اللغة (٢) .
- ٥١٣٥ تساوي القيمة ، تعادل القيمة Equivalence 5135  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بتكافؤ .
- ٥١٤٦ مِهْمَاز الجَوْدَر ، أرغوت Ergot de seigle 5146  
وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بإرغوت وأرجح دائرة الشينلَم  
أرغوت الشينلَم على مهماز الجودر باعتبار الأخيرة لفظاً تركية (٣) .
- ٥١٥١ إئتسكال ، تحات ، قَرَض ، مَسْحُج Eration 5151  
وأقر مجمع اللغة لفظاً تحات وحدها .
- ٥١٥٤ مَسَّ شَبْتَقِي Erotomanie 5154  
وأرجح الوَكْع الجنسي ، وسبق للجنة أن ترجمت كاسعة ( Manie )  
بِهَوَس وإدمان واعتماد (٤) .

(١) في اللسان : ثَبِنَت الشفة ثَبْنَعً وبَشَنَت كَفْلُظ لَحْمًا وظهر دمها . وشفة  
كائبة بائمة متمثلة بحمرة من الدم ورجل أبشع ، شفته كذلك ، وشفة بائمة  
تقلب عند الضحك . ولِثْنَة بائمة وبَشَوَع وبَشِنَعَة كثيرة اللحم والدم والام  
منه البَشَوَع . قال الأزهرى ثَبِنَت لِسْنَةُ الرَّجُل ثَبْنَعً بَشَوَعاً إذا خرجت  
وارتفعت حتى كأن بها ورماً وذلك عيب .

(٢) الصفحة ٢٩٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشاهي .

(٤) هوس الشراب ( اللفظة ٤٣٠٣ ) إدمان هوس ، اعتماد هم ( اللفظة ١٣٥٣٧ ) .

- 5165 Eruption , exanthème اندفاع ، طَفَح  
وأقر جمع اللغة طَفَح ( ج طفوح ) وجاء في التعريف : آفة جلدية  
ظاهرة ناتجة عن أمراض عامة كالحميات تميزها غالباً ، واللفظة الثانية نَمَش .
- 5167 Éruption des dents إسنان ، نبت الأسنان  
وأرجح إئثار (١) .
- 5176 Érythème aigu infectieux , 'حمامى حادة سَخْجِيَّة  
érythème simple marginé ,  
mégalyérythème , cinquième maladie  
وأرجح حمامى حادة انتانية أو عقنة (٢) ، وحمامى بسيطة هامشية ،  
الحمامى الكبيرة أو المتسعة ، المرض الخامس . وقد أهملت اللجنة ترجمة  
الألفاظ الثلاثة الأخيرة .
- 5177 Érythème annulaire 'حمامى دائريَّة ، حلقيَّة  
وأرجح 'حمامى حلقيَّة لاحلقيَّة ( ولعله خطأ مطبعي ) .
- 5180 Érythème émotif 'حمامى تَهْيِجِيَّة ، ناثريَّة  
وأفضل 'حمامى انفعالية .
- 5183 Erythème induré de Bazin حمامى بازن الصلْبِيَّة  
وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة بالحمامى الجاسئة وجاء في التعريف : عجيرات  
تحت الجلد تتقرح قروحاً نخرة تشاهد عادة في حماة الساق وقليل على  
الفخذين والذراعين .
- 5185 Érythème noueux , 'حمامى عَقِيْدَة التهاب الجلد  
dermatite contusioforme , 'شَرَى  
urticaire tubéreuse عَجْجَرِي  
وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالحمامى العَجْجَرِيَّة . وجاء في التعريف :

(١) الصفحة ٢٩١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٩٥ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

التهاب جلدي حاد يتميز بعجيرات حمراء حساسة مؤلمة وخصوصاً على الظنبوب  
 ناتجة عن ارتشاح الدم والمصل .

٥١٨٦ Erythème polymorphe حمى كثيرة الأشكال  
 وأقر بجمع اللغة حمى متعددة الشكل . وجاء في الشرح : مرض  
 حاد معد مصحوب بصداع تظهر فيه على الجلد بثور وبقع وعجيرات .

٥١٨٨ Erythrasma قوباء الأرفاغ الفطرية

وأرجح إحرار الأرفاغ (١) . وما يعنى بهذه اللفظة مرض جلدي  
 يتأتى عن أحد الطفيليات يستقر في نواحي الأربية والصنف والإبطين بادياً  
 باندفاعات حر أو الى الصفرة مع تقشر (٢) . وليس للفظه قوباء أن  
 تشير الى ما تقدم (٣) كما أن اللجنة قد استعملت قوباء ترجمة لـ ( Impetigo )  
 ( اللفظة ٧١٠٨ ) .

٥١٨٩ Erythémie , polycythémie ازدیاد إحميرار الدم ،  
 الكُرَيَراوات ، داء فاكرز  
 maladie de Vaquez

وأرجح إحرار الدم ، فرط الكريات الحمر ، داء فاكرز .

٥١٩٠ Erythroblastose داء الجِذَعِيَّات الكُرَيَراويَّة ،  
 وجود كُرَيَراوات مُضْغِيَّة .

وأقر بجمع اللغة ترجمة ( Erythroblaste ) بالبدائيات الدموية ، فتصبح  
 ترجمته داء البدائيات الدموية .

(١) في اللسان : الرُشغ والرُشغُ أصول الفُخِذين من باطن وهما ما اكتنفا أعالي  
 جاني المانة عند ملتقى أعالي بواطن اللُخِذين وأعلى البطن وهما أيضاً أصول الإبطين .

(٢) معجم Blakiston's في لفظة ( Erythrasma ) .

(٣) في اللسان : وَتَقْوَبَ جلده تَقْلَح عنه الجُتَرَب وانحلق عنه الشَّعر وهي القُوبة  
 والقُوبة والقُوباء والقُوباء . والقُوباء الذي يظهر في الجلد ويخرج  
 عليه داء معروف .

- ٥١٩١ Erythrocyanose des jam- حمزَرَقَة السَّاقين ؛ خَزَب  
bèdes , jambe hypo- الاختنافي  
-génitale, œdème stru- المتناظر ( في البنات الفتيات )  
-meux ou asphyxique  
symétrique des jambes  
( des jeunes filles )  
وأرجح زرقَة الساقين الخراء ، ساق القصور الجنسي ( وقد أهملتها اللجنة )  
وذمة الساقين ( أو اوديميا كما أقرها مجمع اللغة ) الاسترومية ( كما أقرها مجمع  
اللغة معربة ) أو الاختناقية المتناظرة ( في الصبايا ) .
- ٥١٩٢ Érythrocytes achromatiques ، كُرَيَراوات نَوَاض ،  
hématies décolorées كُرَيَراوات مُبَوَّصَة  
وأرجح كريات حمر غير ملونة ، كريات حمر فاقدة اللون .
- ٥١٩٣ Érythrocytes basophiles كُرَيَراوات محبة الأساس  
وأقر مجمع اللغة ترجمة ( Basophiles ) بمستقدمات وجاء في الشرح هي  
الكريات التي تألف الأصباغ القاعدية ، فنصبح ترجمة اللفظة كريات  
حمر مستقعدة .
- ٥١٩٤ Érythrocytes non arrivés كُرَيَراوات غير بالغة  
à maturité , immatures النضوج ، فيجئة  
وأرجح كريات حمر غير ناضجة .
- ٥١٩٥ Érythrocytes orthochro- كُرَيَراوات مُعْتَدِلَة اللون  
-miques  
والأفضل كريات حمر سوية اللون .
- ٥١٩٦ Érythrocytes polychro- كُرَيَراوات كثيرة الألوان  
-matiques  
وأرجح كريات حمر متعددة اللون .

- ٥١٩٨ داء الكُرَيَراوات البدئية Erythrocytose primitive  
داء اسكوديرو maladie d'Escudero
- والصحيح كثرة الخلايا الحمر البدئية كما أقرها مجمع اللغة ، وليس للكريات الحمر البدئية أي صلة بهذه الحال المرضية ، داء اسكوديرو .
- ٥١٩٩ 'حمى خَزَبِيَّة وبائية ، Erythroedème épidémique ،  
التهاب الجلد والأعصاب , dermato - polynévrite ،  
العديدة ، داء سويغت - polynévrite pellagroïde ،  
سِلْتِر - فير ، داء - acrodynie infantile , tro-  
وردي - phoder matonenrose ،  
maladie de Swift - Selter - Feer,  
pink disease maladie rose
- وأرجح الودمة الحمراء الوافدة ، التهاب الجلد والأعصاب العديدة ،  
التهاب الأعصاب العديدة نظير البلاغرا ( وقد أهملتها اللجنة ) ألم النهايات  
الطفلي المؤلم ( أهملتها اللجنة أيضاً ) الداء الجلدي العصبي الاغتنائي ( لم ترجمه  
اللجنة ) ، داء سويغت - سِلستر - فير ، الداء الوردي .
- ٥٢٠٠ 'حمى ضُمُورِيَّة ، التهاب Erythromélie , acro-  
الجلد المنتشر المزمن المضمَّر ، -dermatite chronique  
داء بيك هرزهايمر atrophiante, maladie  
de Pick - Herxheimer
- وأرجح احمرار النهايات ، التهاب جلد النهايات المنتشر المضمَّر ،  
داء بيك هرزهايمر .
- ٥٢٠٣ خشكيشة ، قِشْرَة Escarre , eschare , croûte  
الموات الجاف de gangrène sèche
- أرجح خشكيشة وقشرة الفانفرينا الجافة . م (٣)

- ٥٢٠٤ Escarre de décubitus ، نخرة ،  
nécrose de décubitus ، قرحة الاضطجاع  
décubitus aigu ، ulcère décubital  
وأقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بقروح الفراش .
- ٥٢٠٧ Espace , étendue فراغ ، فضاء ، مُتَسَّع  
وأقر بجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بِحَيْثُز .
- ٥٢٠٨ Espace épidual فراغ عَجْزِي ، فوق الأجمافية  
حَيْثُز خارج الجافية كما أقرها بجمع اللغة (١) .
- ٥٢١١ Espace intermédiaire ، خِلال ،  
intervalles ، interstice فُرْجَة  
وأرجح حَيْثُز متوسط ، فواصل وخِلال تاركاً لفظة فُرْجَة ترجمة  
لـ ( Hiatus ) وقد أقرها بجمع اللغة .
- ٥٢١٢ Espace interscapulo - ver- فُرْجَة بين اللوح والفقار  
- fébral ، région hilaire ناحية نَقِيرِيَّة  
وأرجح الحيز بين اللوح والفقار ، ناحية مرة الرئة .
- ٥٢١٨ Espace pleural فُرْجَة غِشاء الجنب المتممة ،  
complémentaire, sinus غشاء رَجْع الجنب  
de la plèvre , cul - de - sac pleural الجنب  
وأرجح حيز الجَنْبَة (٢) المتمم جيب الجنبَة وردب (٣) الجنبَة أو رَجْعها .
- ٥٢٢٠ Espace sous - arach- فُرْجَة تحت العنكبوتية  
- noïdien  
والصحيح حيز ما تحت العنكبوتي .

(١) الصفحة ٥٦٢ من هذا العدد والصفحة ٦٧ ؛ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٢٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٦٠٢ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

- ٥٢٢٧ أنواع مُرِضَّة ، أنواع مُعَرِّقَة Espèces sudorifiques  
وأفضل أنواع مُعَرِّقَة فقط .
- ٥٢٣٧ عِطَر الرَّجَوَز ( رَجُل ) Essence de chénopode ,  
الأوز ( de chénopodium, chénanthol )  
رَجُل الأوز كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية ، وأقر جمع اللغة  
تعميب لفظة ( Chenopodium ) بكينوبوديم ذاكراً أنه يستخرج من نبات  
النسنتة أو الأمبروسيا ويسمى هذا النبات شاي المكسيك والماتي . وتصبح  
ترجمة اللفظة عِطَر رجل الأوز أو الكينوبوديم وكينانتول .
- ٥٢٤٤ مَشَّس<sup>(١)</sup> بِسَبِيخَة ، تَزْع بِسَبِيخَة ، Essuyer au tempon ,  
enlever au tempon  
وأرجح المَشَّح بِسَبِيخَة<sup>(٢)</sup> أو قَطِيَة<sup>(٣)</sup> والإزالة بِسَبِيخَة أو قَطِيَة .
- ٥٢٤٦ أَسْتَرَة Estérification  
وأقر جمع اللغة استر - تأستر ، وجاء في الشرح : مصدر الفعل  
أستر - تأستر .
- ٥٢٥٣ مَمْعِدَة ذات فَصَّيْن ، مَمْعِدَة , Estomac biloculaire ,  
كالساعة الرَّمْلِيَة ( أشعة ) en sablier ( rad. )  
وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة بِالْمَعِدَة المَخَصَّرَة . وجاء في التعريف  
حالة تضيق فيها المعدة عند وسطها .

(١) في اللسان : مَمَشَّشَت النافقة حلبها ومش النافقة يَلْشَها مشاً حلبها وترك بعض اللبن  
في الفرج ، والمش الخلاب بالانصاء وامتش ما في الفرج وامشع إذا حلب جميع  
ما فيه ومش يشه يشها مسحاً بشيء ، الى أن قال والمش المَشَّح .

(٢) في اللسان : والسَبِيخَة القطنَة وتيل هي القطنَة من القطن 'تَعْرَضُ' لوضع لها  
دواء وتوضع فوق جرح .

(٣) في اللسان : والقَطِيَة قطنَة كساء أو ثوب ينشأ بها الماء .

- 5260 Etablissement de cure      بناء للمعالجة الطبيعية  
naturiste  
وأرجع مؤسسة للاستشفاء بالوسائل الطبيعية أو بتدبير الغذاء بالماء البارد  
كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي<sup>(١)</sup> .
- 5267 État affectif      حالة انفعالية  
حالة عاطفية كما أقرها مجمع اللغة<sup>(٢)</sup> .
- 5273 État de gel      حالة هلامية  
وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بجل . وجاء في التعريف غراواني  
هلامي القوام .
- 5277 État de mal (épilepsie) (صرع)      حالة النوبة (صرع)  
وأقر مجمع اللغة غمرة الصرع ولا شك أنها أفضل وجاء في التعريف :  
وهي نوبات صرعية شديدة متلاحقة لا تكاد تنقطع<sup>(٣)</sup> .
- 5289 État de sol      حالة الانحلال الكاذب ، حالة حلالة  
وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بصُل . وجاء في التعريف : محلول  
غراواني له صفات السائل .
- 5297 Ethérification      أترجة  
وأفضل تأثر قياساً على لفظة تأستر التي أقرها مجمع اللغة ترجمة  
لـ ( Estérification ) ولالتباس اللفظة بأثرج الشجر المعروف .
- 5303 Ethmoïdal , ale      غير بالي  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بميصفاوي .

(١) Institution for treating by diet and cold water

(٢) الصفحة ٣١١ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .



- ٥٣٠٥ أنيل ( جذر ) Ethyle ( radical ) 5305  
وأقر مجمع اللغة إيثيل .
- ٥٣٠٩ أثيلن Ethylène 5309  
وأقر مجمع اللغة إيثيلين .
- ٥٣١٦ غُصَّة ، جَرَضَ Etouffement , suffocation 5316  
وأرجح ضَيْقَ الصَّدْر ، اختناق . ولا أرى في لفظي غُصَّة وجرَضَ<sup>(١)</sup>  
أن يفيا بالمعنى المطلوب .
- ٥٣٥٣ اندحاق أو فتق حجابي Éventration ou hernie 5353  
diaphragmatique  
وأقر مجمع اللغة تقبُّب الحجاب الحاجز ( ازدياد تقبب الحجاب الحاجز )  
وجاء في التعريف : وهو ضمور خِلقي في الجانب الأيسر فيرق ويرتفع  
في الصدر . وعندى أن لفظة اندحاق<sup>(٢)</sup> الحجاب أو فتقه أفضل ، وليس  
لتقبب أن تفي بالمعنى المطلوب .
- ٥٣٥٤ إنقلاب Eversion 5354  
والصحيح الكُفَّة المخاطية أو الكفاف المخاطي<sup>(٣)</sup> . وما يعنى بهذه اللفظة  
الحوية المتكونة بجذء إحدى الفوهات الطبيعية ، بالقشاء المخاطي المنفتق  
جزئياً أو كلياً ككفاف النقاط الدماغية<sup>(٤)</sup> . وليس للفظه إنقلاب أن تدل  
على المعنى المطلوب .
- (١) في اللسان : الضربة الشدا وغصصت باللفة والماء .  
في اللسان : الجرَض الجهد ، جرَض جَرَضاً غصاً والجرَض والجرَض  
غصص الموت ، والجرَض بالتحريك الريق يقدس به وجرَض غصاً كأنه يتسلقه .
- (٢) في المعجم الوسيط : كدحت الحامل بالجنين اجمضته ودحت برحها اخرجه بعد  
الولادة ودحت الشيء دفعه والدحت بطنه اتسع .
- (٢) في اللسان : كفاف الشيء حناره ، وكُفَّة الشيء هي ما سال منها على التفرس .  
وكل مَقَم شيء كفافه ومنه كفاف الأذن والظفر والذير .
- (٤) معجم M. Garnier et V. J. delamare

- ٥٣٥٦ كَمْخِينِ الصَّخْرَةِ وَالْحُشَاءِ - Evidement pétro -  
- mastoïdien

وأرجح إفراغ الصخرة والحششاء . إذ المقصود من هذه اللفظة التوسط الجراحي المجرى في عظم الحششاء والصخرة في الأذن لإفراغ ما فيها من نسيج ملتهب ، فالصخرة من العظام الصلبة وليس في الحششاء من (١) .

- ٥٣٦٦ إَشْتِدَادُ الْحُمَةِ تَفَوُّغٌ - Exaltation de la virulence  
وأقر جمع اللفظة اشتداد الفوعة .

- ٥٣٧٥ إِمْتِحَانُ التَّحَمُّلِ - Examen de tolérance  
وأقر جمع اللفظة اختبار الإطاقة . وجاء في تعريف الإطاقة القدرة على تحمل الاستعمال المتكرر أو المتزايد لأي عقار .

- ٥٣٨٧ طَفَّحِي ، نَمَشِي - Exanthémateux , exanthé-  
-mateuse , exanthématique

والصحيح نَمَشِي فقط لتخصيص لفظة طفح (٢) ترجمة لـ ( Eruption ) .

- ٥٣٨٠ تَقْعِيرُ الْحَوْضِ - Excavation pelvienne

- ٥٣٨١ تَقْعِيرُ الْحَوْضِ ( الْقِسْمُ الْأَشَدُّ ضَيْقًا مِنْ ) - Excavation pelvienne  
( partie la plus étroite de l' )

- ٥٣٧٢ تَقْعِيرُ الْحَوْضِ ( الْقِسْمُ الْأَكْثَرُ عَرْضًا مِنْ ) - Excavation pelvienne  
( partie la plus large de l' )

وأقر جمع اللفظة ترجمة اللفظة الأولى بتجويف الحوض . وأرجح في اللفظة الثانية الجزء الأضيق من . وفي الثالثة الجزء الأوسع من .

(١) في اللسان : أُلْمِغَ رِغْمُ الْعَظْمِ وَفِي التَّهْدِيبِ رِغْمُ عِظَامِ الْعَصَبِ ( أي عظام اليدين والرجلين والأصابع ) وَفِي تَخْرِجِ الْعَظْمِ وَأَمْنِ مَخْرَجِهِ وَتَمَكُّنِهِ وَنَحْمَةِ مَخْرَجِهِ أَخْرَجَ عَنْهُ .

(٢) الصفحة ٥٦٤ من هذا المجلد .

- ٥٣٩٢ منبهات القلب الطبيعية Excitants naturels du cœur 5392  
وأقر مجمع اللغة ترجمة ( Excitation ) بإثارة فتصبح ترجمة اللفظة  
مثيرات القلب الطبيعية .
- ٥٣٩٤ 'محرّض' ، قُطْبُ نشيط ، Excitateur , electrode 5394  
فاعل  
مثير ، الكترود (١) ناشط أو نشيط .

الدكتور حسني سبيع

( للبحث صلة )



# صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٣ -

## بداية الاستشراق في ألمانيا :

العامل الأول في نشأة الاستشراق بألمانيا إنما هو الدافع الديني . ذلك ان الحركة البروتستانتية كانت تلج على ضرورة الرجوع إلى التوراة ودراسة نصوص الكتب المقدسة في لغتها الأصلية حتى يتسنى فهمها على حقيقتها ؛ فكان لابد أولاً من دراسة العبرية والسريانية ، ثم كان ينبغي ثانياً الاستعانة بالعربية .

فقد لاحظ اليهود في العهد الإسلامي القرابة بين اللغتين العربية والعبرية ، وقاموا يقلدون كتب النحو العربية في تحليل لغتهم وضبط قواعدها . وظل المسيحيون الأوروبيون يعتمدون في دراسة قواعد اللغة العبرية على كتاب الخاخام ( داود القمحي ) الذي مات سنة ١٢٣٥ والذي اقتبس أكثر مصطلحاته وشواهد من المصادر العربية . ومازال علماء اللاهوت عند دراسة التوراة يستعينون باللغة العربية لتفسير كثير من الكلمات والعبارات والصيغ العبرانية الغريبة .

وكان يقوم بتدريس اللغات الشرقية في ( هايدلبرغ ) منذ سنة ( ١٥٦٠ ) الأستاذ ( تريليوس Tremelius ) وهو في الأصل يهودي من إيطاليا اعتنق الكاثوليكية ثم أصبح بروتستانتيًا . وقد أصدر في سنة ( ١٥٦٩ ) كتاباً في ( قواعد اللغة الكلدانية والسريانية ) ، كما نشر من مجموعة المخطوطات التي اشتراها أمير البلاد من ( بوستل ) الترجمة السريانية للإنجيل مع ترجمة

لاتينية حرفية . وكان تلميذه وصهره وخليفته في كرسي الأستاذية ( فريدريك يونيوس F. Yunius ) قد تعلم اللغة العربية فنقل ترجمة الإنجيل العربية إلى اللاتينية . وبين تلاميذ ( يونيوس ) برز ( يعقوب كريستمان Y. Christmann ) [ ١٥٥٤ - ١٦١٣ ] الذي استفاد من اللغة العربية في دراسة الطب والعلوم الطبيعية . كذلك برز عالم لاهوتي اسمه ( شباي Spey ) دعا إلى تأسيس مطبعة عربية ، وإلى طبع الترجمة العربية للإنجيل وإرسال نسخها إلى الشرق « ليقبض أهل الديانة الصحيحة والنور الحقيقي » . ولكن لم يرض أحد من الأمراء الألمان بدفع المال اللازم لذلك فأخفى مشروعه التبشيري .

### بداية الاستشراق في هولندا :

وأما في هولندا فكانت الظروف ملائمة لتطور الاستشراق . فأرسل السكان كانوا يعرفون أهمية التجارة مع البلاد الشرقية ولا سيما مع جزر الهند الشرقية التي تدر عليهم أرباحاً طائلة ، كما كانوا يدركون فوائد معرفة اللغات الأجنبية في توطيد العلاقات الاقتصادية والسياسية .

وقد احتلت هولندا مكانة مرموقة في تاريخ أوربة بعد ثورتها على إسبانيا ، وإعلان استقلال جمهورية الولايات الهولندية المتحدة ، وازدهار تجارتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وكان للهولنديين علاقات تجارية وسياسية وثيقة بالبلدان العربية من مراكش والجزائر وليبيا إلى سورية ، تدفعهم إلى تعلم اللغة العربية كما إنهم ، بعد استيلائهم على مراكز البرتغاليين في الهند الشرقية ، كان لا بد لهم من أن يدرسوا العقائد الإسلامية ليستطيعوا فهم نفسية المسلمين هناك الذين يؤلفون أكثرية السكان والذين يقصد الآلاف منهم مكة للحج كل سنة .

أضف الى ذلك أن حركة الإصلاح البروتستانتي التي اهتمت بدراسة الكتب المقدسة وتفسيرها كانت تتطلب العناية بالعبرية والعربية .

ويرجع الفضل في وضع الأساس المتين لدراسة اللغة العربية ليس في هولندا وحدها ، بل في اوروبا كلها إلى المستشرق الهولندي ( توماس أبرنيوس Thomas Eprenius [ ١٥٨٤ - ١٦٢٤ ] ) الذي بدأ بدراسة اللاهوت في ( ليدن ) ، ولكنه تحول الى دراسة العربية بنصيحة من المستشرق الفرنسي ( سكاليجر ) . وقد انتقل لهذه الغاية إلى باريس في سنة ١٦٠٩ ، إذ لم يجد في هولندا وانكثرة الوسائل اللازمة للدراسة الصحيحة ، فاتصل هناك بالقيم على مكتبة الملك ( اسحق قازوبونوس Isaac Casaubonus ) [ ١٥٥٩ - ١٦١٤ ] الذي كان من أكبر علماء عصره ، فسمح له باستخدام الكتب والمخطوطات العربية والاطلاع على مذكراته اللغوية . ولكنه ، قبل كل شيء ، سعت له الفرصة في باريس للاجتماع بأحد اليعاقبة المصريين واسمه ( يوسف بن أبي ذؤن Yoseph Barbatus Abudaonus ) ومحدثته بالعربية . ثم التقى في ضواحي باريس بتاجر مراكشي اسمه ( احمد بن قاسم الأندلسي ) بحث معه في العقائد الإسلامية . وهو يقول ان محاوراته الطويلة مع هذا التاجر المسلم قد أقنعتة بأنه ليس من السهل ، كما يتوهم بعضهم ، إقحام المسلمين واكتسابهم إلى العقيدة المسيحية .

وقد أدرك القارئون على جامعة ( ليدن ) ، التي تأسست في سنة ( ١٥٧٥ ) ، أهمية الدراسات العربية فقرروا انشاء كرسي خاص بها ، وعهدوا في سنة ( ١٦١٣ ) بهذا الكرسي إلى ( أبرنيوس ) الذي عرفوا نبوغه . وهو في المدة القصيرة التي قضاها في التدريس حق وفاته سنة ( ١٦٢٤ ) قد برهن على كفاية كبيرة وترك أثراً عميقاً . وقد ألف كتاباً قيماً في قواعد اللغة العربية كما انه نشر كتاب « تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية » تأليف الشيخ المكين ( جرجس بن العميد ) .

ومثلها أنشأ ( أبرنيوس ) بماله الخاص ( مطبعة ليدن ) التي اشتهرت بطبع المؤلفات العربية كذلك وقف مجموعة مخطوطاته العربية والعبرية على مكتبة جامعة ( ليدن ) . وقد أضاف إليها اثنان من تلاميذه المشهورين هما ( غوليوس Golius ) [ ١٥٩٦ - ١٦٦٧ ] و ( وارنر Warner ) [ ١٦٠٨ - ١٦٦٥ ] اللذان توليا التدريس بعده ، عدداً كبيراً من المخطوطات العربية الثمينة جمعها من إسطنبول وسورية والمغرب الأقصى .

ثم برز بين المستشرقين الهولنديين ( هادريان ريلاند H. Reland ) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة ( اوترخت ) ، فكان يهتم باللغة العربية في الدرجة الأولى قائلاً انها تساعد على تفسير الكتاب المقدس ، إلا أنه كان أيضاً قد أدرك بوضوح ضرورة العناية بالديانة الإسلامية وبتاريخ الشعوب الناطقة بالعربية وحضارتها .

وبفضل جهود أمثال هؤلاء المستشرقين استطاعت هولندا أن تسبق الأمم الأوروبية الأخرى في الدراسات الشرقية وتحفظ بالزعامة في هذا الميدان مدة قرنين .

### بداية الاستشراق في بريطانيا :

في بريطانيا أيضاً بدأت دراسة اللغة العربية قبل كل شيء لأسباب دينية ، ففرى أن ( جون سelden John selden ) [ ١٥٨٤ - ١٦٥٤ ] لم ينشر في سنة ١٦٤٢ ذلك القسم من تاريخ ( ابن البطريق ) الذي يتعلق بنشأة كنيسة الاسكندرية الا لأنه يتعرض فيه إلى مراتب رجال الدين ودرجاتهم . وكان الجدل قد احتدم في تلك الفترة حول هذا الموضوع بالذات بين البروتستانت والكاثوليك .

كان القرار بمباشرة تدريس اللغة العربية في جامعة ( أكسفورد ) سنة ( ١٦٣٦ ) إنما صدر استجابة لطلب الأسقف ( لاند Land ) . وكان

المستشرق ( أدوارد بوكوك Ed. Pocock ) [ ١٦٠٤ - ١٦٩١ ] أول أستاذ شغل هذا الكرسي وهو من رجال الكنيسة . وقد عني بنشر ( تاريخ مختصر الدول ) لابن العبري الذي يتضمن وجهة النظر المسيحية في التاريخ الإسلامي .

وقد برز من أسرة ( بوكوك ) في القرن الثامن عشر مستشرق آخر هو ( ريتشارد بوكوك ) فقام برحلة إلى الشرق الأدنى ، ونشر كتاباً عن مصر في سنة ( ١٧٤٣ ) ، ثم كتاباً آخر يتألف من جزئين عن فلسطين وسورية والعراق وقبرس وآسيا الصغرى واليونان ( في سنة ١٧٤٥ ) .

كانت أنظار الإنكليز متجهة اذ ذاك إلى الهند . ولكن بعد فرض سيطرتهم عليها في أواخر القرن الثامن عشر أخذوا يفكرون في تأمين الطريق إليها ، وشغل اهتمامهم الشرق الأدنى أيضاً . وقد عني الإنكليز ببلاد العرب خاصة فبدأوا يدرسون اللغة العربية واللهجات المحلية ؛ ورحل علماءهم إلى جزيرة العرب يجولون في أرجائها ويتحدثون إلى ملوكها وزعماء قبائلها ، ويبحثون في امكانياتها الاقتصادية والبشرية .

إن دراسات المستشرقين الانكليز كانت تنصف دوماً بالصبغة السياسية ، وقد دأب الاستعمار البريطاني على الاستعانة بهذه الدراسات في رسم خططه التوسعية .

### بداية الاستشراق في روسيا :

وإذا انتقلنا الى روسيا نجد أنه كانت لها علاقات تجارية ودبلوماسية منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر مع الأتراك العثمانيين والفرس الصفويين ؛ إلا أن روسيا كانت هي نفسها متأخرة من الناحية العلمية خاصة فلم يظهر فيها أي مؤلف يبحث في البلاد الشرقية إلا في أوائل القرن السابع عشر . وأهم كتاب هو ( السجل الروسي Russkü Khronograff )



يبحث في الأتراك والإسلام ويبدو أنه قد ألف من قبل رجال الحكومة بالاستناد إلى تقارير السفراء الروس وبالاقتباس من مصادر صربية ومن بعض الكتب الغربية .

وبعد توطيد الحكم القيصري المطلق في أواخر القرن السابع عشر اشتد النزاع مع الدولة العثمانية ومع إيران فازدادت الحاجة إلى الاطلاع على أحوال الشرق . وقد أسس ( بطرس الأكبر ) في سنة ( ١٧٠٢ ) أول معهد لتدريس اللغات الشرقية استدعى اليه أساتذة من البلاد الأجنبية . ثم أرسل في سنة ( ١٧١٦ ) خمسة موفدين التحقوا بالسفارة الروسية في ( طهران ) لدراسة اللغات العربية والفارسية والتركية . وفي سنة ( ١٧٢٤ ) أرسل بعثة مماثلة إلى استانبول .

وفي أثناء الحروب الروسية - الفارسية سنة ( ١٧٢١ - ١٧٢٢ ) استولى الروس في مدينة ( دربند ) على كثير من المخطوطات الشرقية بين عربية وفارسية وتركية ومنغولية وأرمنية . فأمر ( بطرس الأكبر ) بجمع هذه المخطوطات مع غيرها من الوثائق والمتحف في خزانة خاصة أصبحت نواة لمتحف الآسيوي الذي تأسس في سنة ( ١٨١٨ ) وألحق بالجمع العلمي الروسي . وتعتبر مجموعة المخطوطات في هذا المتحف من أغنى المجموعات في العالم كله .

على أن الدراسات الشرقية في الجامعات الروسية لم تبدأ إلا في أوائل القرن التاسع عشر بعد صدور مرسوم في سنة ( ١٨٠٤ ) ينص على إحداث كراسي للغات والآداب والديانات الشرقية في جامعات ( موسكو ) و ( قازان ) و ( خاركوف ) و ( بطرسبورغ ) .

وفي سنة ( ١٨٢٣ ) أسس في ( بطرسبورغ ) معهد خاص تابع لوزارة الخارجية الروسية لتدريس اللغات الشرقية واعداد مستشرقين يعملون في السلك الخارجي . وفي سنة ١٨٥٤ أسس في ( موسكو ) معهد ( لازاريف ) للغاية ذاتها وفيه كرسي للغة العربية تعاقب عليه أساتذة من السوريين والأميريين .

وهكذا كان الاستشراق في روسيا خاضعاً في بادئ الأمر للأغراض السياسية . ثم تأثر بعد ذلك بالاعتبارات الدينية ولم يبرز في روسيا مستشرقون لهم مكانة علمية عالمية إلا في أواخر القرن التاسع عشر ...

### عوامل تطور الاستشراق :

يتبين من استعراض بداية الاستشراق أن الأوربيين بدأوا يدرسون اللغات الشرقية لأهداف دينية :

- ١ - الرد على المسلمين ومجادلتهم .
- ٢ - التبشير بالمسيحية بين المسلمين واليهود والصينيين والهنود وغيرهم .
- ٣ - قراءة الكتب المقدسة بلغاتها الأصلية والاستعانة بالعربية في تفسيرها وفهمها .

إن هذه الدوافع الدينية قد تضاعف شأنها مع تعاقب الأيام ، وكادت تزول في بعض العهود ، وصار الكثيرون من المستشرقين ينكرون أحياناً الانقياد إليها ، وكثيراً ما يحاول آخرون إخفاءها . ولكن تأثيرها ما زال ظاهراً في معالجة الموضوعات الشرقية عامة . ويلاحظ أن عدداً كبيراً من المستشرقين الأوربيين والأمريكيين قد بدأوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل الانتقال إلى الدراسات الشرقية ، وأن البعض من هؤلاء ظلوا يتولون وظائف دينية وتبشيرية ، وأن طائفة منهم ما زالت تتصف بالتعصب الشديد حتى في هذا العصر .

وعلى كل حال لم يكن الدافع الديني وحده كافياً لتقدم الدراسات الشرقية واتساعها . وفي الحقيقة لم يتطور الاستشراق إلا بتأثير الاستعمار ، ولأجل تحقيق أغراضه السياسية والاقتصادية . فقد رأت الدول الاستعمارية أن الدراسات الشرقية ، التي كانت قائمة من قبل لأهداف دينية ، يمكن الاستفادة منها في معرفة عقلية الشعوب الشرقية للسيطرة عليها واستثمارها .

لذلك نرى أول حاكم انكليزي عام للبنغال ( وارن هاستنغس Warren Hastings ) بوجه بعض موظفي الشركة الإنكليزية للهند الشرقية في أواخر القرن الثامن عشر إلى دراسة لغات الهند وتاريخها وحضارتها ثم إلى تأسيس ( الجمعية الآسيوية للبنغال ) في سنة ( ١٧٨٤ ) ، وهي أول جمعية علمية للمستشرقين ، وذلك لأن الحاكم العام كان يريد إقامة السيطرة البريطانية في الهند على أساس متين من معرفة البلاد وإمكانيات استثمارها . وعندما تأسست ( الجمعية الآسيوية ) في فرنسا سنة ( ١٨٢١ ) كتب القائمون عليها في نشرة الإعلان عنها أن غايتها هي ، قبل كل شيء : « جمع الوثائق الثمينة اللازمة للأعمال الدبلوماسية في الشرق الأدنى والمشاريع التجارية في آسيا كلها ، ثم جمع المعلومات عن الصناعات الهامة مثل النسيج والخزف ( الفاشاني ) التي يسهل الاطلاع عليها في مؤلفات الشرقيين . » وإلى جانب هذه الأهداف السياسية والاقتصادية الاستعمارية لا تلتصق الجمعية الإشارة إلى مطالب المحافل الدينية ذات النفوذ الكبير في ذلك العهد فتصرح بأن الدراسات الشرقية التي سوف تعنى بها : « من شأنها أن تمهد السبيل للبشرين وتفيدهم في نشر الديانة المسيحية . » ولم تقتنع الدراسات العربية في فرنسا إلا بعد الاستيلاء على الجزائر . وإذا رأينا المستشرقين الفرنسيين يوجهون كل عنايتهم إلى قبائل البربر وعاداتها وتقاليدها فذلك لأن سياسة فرنسا الاستعمارية في المغرب العربي كانت تقوم على إثارة التفرقة والعداوة بين العرب والبربر .

وبعد أن وطد الاستعمار الغربي أقدامه في البلاد الشرقية تطورت مهمة الاستشراق وأصبحت تهدف في الدرجة الأولى ، إلى إشاعة « ايدولوجية » أي مثالية معينة بين المثقفين من السكان « الأصليين » ، وذلك باعتبار أن الشرق يختلف اختلافاً جوهرياً عن الغرب في أسلوب معيشته وطريقة تفكيره ، وأن أديانه وفلسفاته القديمة حقائق أبدية لا تخضع للتطور التاريخي !

ولما كانت العلاقة بين الاستعمار والاستشراق متشعبة ومتشابكة ومعقدة فلا بد لنا من التعرض إلى مسائل كثيرة عويصة : فيجدر بنا مثلاً أن نتابع تطور دراسات المستشرقين واختلاف الموضوعات التي كانت تسترعي انتباههم في شتى أدوار الاستعمار من دور الغزو والتوسع إلى دور توطيد النفوذ الأوربي في الشرق ، ثم دور مقاومة الثورات القومية التحررية . وينبغي أن نحصل على معلومات كافية عن المهات التي كان يعهد بها إلى علماء الاستشراق ، إذ من المعروف أن كثيرين بين هؤلاء لم يكونوا أساتذة في الجامعات والمعاهد العلمية وأعضاء في البعثات الأثرية فحسب ، بل كانوا أيضاً مستشارين وموظفين وجواسيس في وزارات الخارجية ودوائر المستعمرات والاستخبارات ! ولا بد لنا من التساؤل : ما هي الأسباب التي تدفع المستشرقين عامة إلى تركيز اهتمامهم على تاريخ الشعوب الشرقية في الماضي البعيد ، وإهمال تطور هذه الشعوب في العصور الحديثة ، والسكوت عن نهضاتها القومية وحركاتها التحررية الحاضرة ؟ ثم لماذا يبالغون في تمجيد الحضارات الشرقية القديمة ، ولكنهم يقتصرون على وصف العناصر البالية والمينة في هذه الحضارات دون الإشارة إلى عناصرها الصالحة للحياة والتي كان لها تأثير في تقدم الإنسانية ؟

إن أبحاث المستشرقين في النهضة العربية الحديثة قليلة جداً . وهي مختصرة وسطحية ، على العكس من دراساتهم عن تاريخ العرب القديم وعن التاريخ الإسلامي فإنها كثيرة لا تحصى ، وهي تتعرض إلى عدد كبير من المسائل ولكنها تحوم في الناب حول الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام والتفسخ . وهذه الدراسات قلما تعالج الحياة الاقتصادية والاجتماعية والحركات الشعبية وتطور الأنظمة السياسية . وإنما تتركز في المسائل اللغوية والنصوص الدينية وأخبار قصور الملوك والأمراء والحفريات الأثرية . ومن الغريب أن نرى المستشرقين يبذلون كل جهودهم للكشف عن العوامل الخارجية

والعناصر الغربية التي كان لها بعض التأثير في نشأة الإسلام والحضارة العربية في حين أنهم يذكرون في اختصار أو بالأحرى يهملون كل الإهمال مظاهر التطور والتجديد والابتكار عند العرب . إن هؤلاء المستشرقين الذين يحاولون إرجاع الفلسفة والعلوم العربية إلى أصولها اليونانية يعمدون من جهة ثانية ويتوسعون في بيان الفروق الجوهرية بين الشرق والغرب وينكرون على الشرقيين ، وبينهم العرب ، أن يكونوا قد بلغوا مستوى اليونان القدماء وبالتالي مستوى الأوروبيين الحديثين في إدراك فكرة الإنسانية ومفهوم العلم وحقيقة الفن !

لا شك في أن هناك عوامل أخرى كان لها أيضاً تأثير في تقدم الدراسات الشرقية . مثال ذلك تقدم علم التاريخ في القرن التاسع عشر . فقد أدرك الباحثون أنه لا يمكن الكشف عن قوانين التطور التاريخي العام إلا بالطريقة المقارنة التي تفرض العناية بتاريخ الأمم الشرقية إلى جانب تاريخ الغرب . كذلك لا ننكر أن بعض المستشرقين قد اندفعوا إلى دراسة تاريخ العرب أو حضارة الصين بدافع من حب المعرفة والبحث عن الحقيقة . ولكن الجهود العلمية التي يبذلها أمثال هؤلاء الأفراد لا يمكن أن تبدل الاتجاه العام في حركة الاستشراق .

ومهما كان رأينا في نوايا المستشرقين فلا بد لنا من الاهتمام بأعمالهم . فنحن بحاجة إلى اقتباس طرائقهم في البحث العلمي والنقد التاريخي . ولا يمكننا إدراك نقاط الضعف فينا وتكوين فكرة صحيحة عن أنفسنا إلا إذا عرفنا ما يقوله الآخرون عنا . ولا جدال في أن كل من يرغب في دراسة تاريخ العرب وحضارة الإسلام لا بد له ، في الوقت الحاضر ، من الرجوع إلى أبحاث المستشرقين . فإن هؤلاء قد سبقونا وأخذوا منذ أوائل القرن التاسع عشر ينشرون أهم المصادر عن تاريخنا وحضارتنا مع بذل أعظم الجهود في تحقيقها تحقيقاً علمياً ووضع الفهارس الضرورية والشروح الوافية لها .

وقد أعيد طبع بعض هذه المصادر في البلاد العربية ، ولكن ، مع الأسف ، بصورة ناقصة ، مغلوطة ومشوهة ، في حين أن قسماً آخر هاماً لم نقدم على نشره حتى الآن . وإذا كنا قد بدأنا في السنوات الأخيرة نقبع طريقة المستشرقين في إحياء تراثنا القديم فإننا ما زلنا عند دراسة تاريخنا مضطرين الى الاعتماد على الطبوعات الأوروبية لمصادر عربية أساسية مثل الطبقات الكبرى لابن سعد ، وفتوح البلدان للبلاذري ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، وتجارب الأمم لمسكويه ، والآثار الباقية عن القرون الحالية للبيروني ، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للدريسي الخ .

كذلك سبقنا المستشرقون الى التنقيب عن آثار أجدادنا . وقد انتقل أكثر هذه الآثار ، ولا سيما النقوش الكتابية التي ظهرت في اليمن ، الى المتاحف الأوروبية . أضف الى كل ذلك الدراسات التي قام بها المستشرقون بالاستناد الى الأخبار والوثائق والآثار التاريخية . ومن العسير جداً إحصاء المؤلفات التي نشرها المستشرقون منذ القرن السادس عشر حتى اليوم والتي تبحث في تاريخ العرب والإسلام من مختلف النواحي السياسية والدينية والفكرية والفنية . ولا بد من الاعتراف بأننا ما زلنا عالة على هؤلاء المستشرقين عند دراسة النقوش الكتابية في اليمن وتدمير البتراء ، وعند معالجة الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب القديم على عهد الآشوريين والآراميين واليونانيين والرومان والبيزنطيين والتي تتطلب معرفة اللغات القديمة .

والآراء متضاربة بشأن أبحاث المستشرقين في سيرة الرسول ( ﷺ ) ، وفي الفتوحات العربية ، وحكم الأمويين والعباسيين ، والحروب الصليبية والحضارة الإسلامية ، والنهضة العربية الحديثة . إلا انه لا بد لنا ، على كل حال ، من الاطلاع على هذه الأبحاث سواء للاستفادة منها أو للرد عليها .

وقد كان من نتائج تطور الاستشراق واتساع موضوعاته أن شعر الباحثون بضرورة التخصص ، فنشأت فروع عديدة مثل الدراسات الإسلامية ( Islamologie ) والدراسات الهندية والصينية وغير ذلك . وكانت « الدراسات الإسلامية » مدار جدال مدة من الزمن فاعتقد بعضهم أن الاختصاص يجب أن يكون على أساس اللغة وأن تفصل لذلك الدراسات العربية عن التركية والفارسية بينما رأى آخرون أن الصلات الوثيقة بين الشعوب الإسلامية ووحدة حضارتها تقتضي الجمع بينها . ولم تكن المناقشة تجري من وجهة النظر العلمية ، بل بالنسبة إلى حاجات الدول الغربية التي تعنى بالدراسات الشرقية وقبلاً لمصالحها الاقتصادية والسياسية .

ومهما كان الأمر فإن كلمة ( استشراق ) ما زالت شائعة يشمل مفهومها جميع هذه الدراسات ، لأنها في الواقع دراسات نشأت معاً وهي متشابكة بعضها ببعض ؛ وقد تطورت كلها مع التوسع الاستعماري ، وأصبحت اليوم تجابه المشاكل والصعوبات نفسها في مختلف البلدان التي هبت شعوبها للتحرر من سيطرة الغرب ونفوذ ، كما أن هناك مؤسسات عديدة تربط بينها من جمعيات ومجلات ومؤتمرات دولية .

إن الواجب يفرض علينا دراسة تاريخنا وحضارتنا بأنفسنا ومن وجهة نظرنا حتى نستطيع تصحيح أخطاء بعض المستشرقين ومغالطاتهم والرد على دسائسهم ومطاعنهم بالطريقة العلمية الانتقادية التي يتبعونها .

محمد كامل عياد

( للبحث صلة )



# تظرات في المعجم الوسيط

- ١٠ -

ثامناً : تعريف نجوم السماء والمصطلحات الفلكية <sup>(١)</sup>

| الكلمة                                                                                      | تعريفها في المعجم الوسيط                                                                                                                                    | الملاحظات |
|---------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|
| الكوكب انظر ( ك ك ب ) .<br>[ مادة ك و ك ]<br>الكَوْكَبُ النجم في السماء . ( ج )<br>كواكِب . | عرّف المعجم الوسيط كلمة الكوكب تعريفاً لغوياً ، ثم عرّف الجمع تعريفاً علمياً ، مما كان يستحسن معه أن يضاف الى تعريف الكلمة :<br>و - : أحد الكواكب السيارة . |           |

(١) المعجم الوسيط معجم لغوي قبل كل شيء ، إذ أنه - كما ورد في مقدمته - قد : « قصر حمت على اللغة قديمها وحديثها » ولكن المعجم ، على ذلك كله ، توسع كثيراً في بعض المصطلحات الطبية الشائعة ، وخاصة في النواحي الطبية وبعض جوانب العلوم الأخرى ، وإذا لم يكن مفروضاً في مثل هذا المعجم ، التوسع في إيراد المعلومات المنصلة بالنجوم والمصطلحات الفلكية ، إلا أن الكتب العربية القديمة ، وقد كان للعرب باع طويل في معرفة دروب السماء ورصد النجوم وتحليل الصور النجمية وإطلاق الأسماء عليها - حوت الكثير من المعلومات عن النجوم وأسمائها ومختلف المصطلحات الفلكية ، غير أن مؤلفي تلك الكتب ، وأكثرهم لم يمان علم الفلك ، نقلوا المعلومات التي كان أعراب البادية يتناقلونها أو نقلوا ما قرأوه في كتب من تقدمهم ، مما جعل المعجمات القديمة تجمع أشتاتاً من المعلومات غير الدقيقة أو التي لا يقرها العلم الحديث ، وهذا يدعو واضعي المعاجم الحديثة الى الاحتراز من نقل أي معلومات لا يقرها العلم ، إلا إذا كان ذكرها ضرورياً لفهم النصوص القديمة ، على أن يشار إلى ذلك .

ونحن في هذه النبعة سنجمع الأمثلة عما في المعجم الوسيط من كلمات وتعريفات تتصل بالنجوم والكواكب ودروبها في السماء ، مع بيان ملاحظتنا عليها .



أما تعريف كلمة الكواكب فينقص فيه بعض الدقة ، وكان من المستحسن ، قبل كل شيء ، إضافة لفظة ( السيارة ) صفة للكلمة فيقال : الكواكب السيارة ، لأن التعريف منصب على الكواكب بالصفة المذكورة .

والتعريف العلمي الدقيق هو : الكواكب السيارة : أجرام سماوية تدور حول نفسها وحول الشمس وتستضيء بضوئها ، وهي على نوعين : كواكب رئيسة وعددها تسعة ، وكواكب ثانوية أو كويكبات (١) .

إن الكواكب السيارة الرئيسة التي كشفها العلم ، حتى اليوم ، تسعة ، كما ورد في المعجم الوسيط ، غير أن ترتيب أسماءها ، إذا أُريد تعدادها ، فيختلف بحسب القاعدة التي تتبع من أجل ذلك ، والتعداد الذي أورده المعجم الوسيط

الكواكب : أجرام سماوية تدور حول الشمس ، وتستضيء بضوئها ، وهي تسعة : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، وعطارد ، والزهرة ، والأرض ، وأورانوس ، ونبتون ، ويلوتو . ويقال : ذهبوا تحت كل كوكب : قفروا . ويوم ذو كواكب : ذو شائد كأنه أظلم حتى رُئيت فيه كواكب السماء .

[ مادة ك ك ب ] (٢)

(١) توجد طائفة كبيرة من الكواكب السيارة الصغيرة ، وأفلاكها تقع ما بين كوكبي المريخ والمشتري ، ويبلغ عددها نحو ١٦٠٠ وقليل منها الكبير ، وأكبرها ( سيرس ) وقطره نحو ٤٨٠ ميل ، وهي كلها تدور حول الشمس كما تدور الكواكب الكبيرة . انظر كتاب أحمد زكي « مع الله في السماء » ص ١٥٨ القاهرة ١٩٥٦ .

(٢) مما يلاحظ أن المعجم الوسيط لم يعرف كلمة ( كوكب ) في مادة [ ك و ك ] بل أحال فيها إلى مادة [ ك ك ب ] وقد اختلف القدماء في موضع ذكر الكلمة . قال شارح القاموس : الكوكب : ذكره الليث في باب الرباعي ، ذهب إلى أن الواو أصلية . قال الأزهري : وهو عند حذاق النحويين من باب ( و ك ب ) صدر بكاف زائدة والأصل وكب أو كوب ، ونقله الصاغاني أيضاً هكذا وسلمه : قلت : الكاف ليست من حروف الزيادة ، ولذا صرح جماعة بأصله فلا بد من تفيد أنها زائدة على خلاف الأصل . ثم قال الصاغاني : إلا أني تبعت الجوهري في إيرادها هنا غير راض به ، ولعله تبع فيه الليث ، فإنه ذكرها في الرباعي ذاهباً إلى أن الواو أصلية . فتأمل .

لا يرتبط بأي قاعدة من القواعد المتبعة ، وأشهر تلك القواعد بنيت على اعتبار قرب الكواكب من الشمس أساساً للترتيب ، فأقرب الكواكب منها هو : عطارد ، ثم الزهرة ، ثم الأرض ، ثم المريخ ، ثم المشتري ، ثم زحل ، ثم أورانوس ، ثم نبتون فأبلوتون .

إن الكواكب السيارة التي عرفها العرب ، وورد تعريفها في المعاجم العربية ، ستة ، ومن مقارنة التعريفات التي تبناها المعجم الوسيط ، نلاحظ فقدان التماثل بينها وتفاوتها من حيث الصعوبة والدقة العلمية ، فنجد مثلاً الأمور التالية :

أولاً : إن عطارد : نجم من السيارات التسعة ، والمريخ : نجم من الخنافس ، والزهرة والأرض ، كوكبان ، والمشتري وزحل : من الكواكب السيارة ؛ بينما جميعاً : من الكواكب السيارة التسعة .

ثانياً : إن بُعد الكوكب عن الشمس قد أُشير إليه صحيحاً في تعريف كل من عطارد والزهرة ، بينما أُشير إليه بما يخالف الحقيقة العلمية في العصر الحديث ، في تعريف زحل ، أما في بقية التعريفات فقد أُغفلت الإشارة إلى بُعد الكوكب عن الشمس .

ثالثاً : أُشير إلى الأساطير الإغريقية في كل من زحل والزهرة ، كما أُشير إلى أسطورة

عطارد نجم من السيارات التسعة ، وهو أقربها إلى الشمس ، وابن « المشتري » كبير الآلهة في الأساطير .

الزهرة : إلهة الجمال عند الرومان ، وهي أفروديت عند الإغريق . - كوكب شديد اللبمان يدور حول الشمس بين عطارد والأرض .

الأرض الكوكب الذي نساكنه .

المريخ نجم من الخنافس ، يقول القدماء : إنه في السماء الخامسة ، وهو بالفارسية ( بهرام ) . و - إله الحرب في الأساطير . وهو مارس .

رومانية في تعريف الزهرة ، بينما ذكرت  
الأساطير مجردة في تعريف كل من عطارد  
والمريخ والمشتري ، وكان الواجب يقضي ببيان  
عند أي الشعوب كان المشتري كبير الآلهة ،  
والمريخ إله الحرب .

المُشْتَرِي أكبر الكواكب السيارة .  
وهو في الأساطير : كبير  
الآلهة .

رابعاً : أشير إلى الأسماء الأعجمية في تعريف  
كل من الزهرة والمريخ دون بقية الكواكب  
وخاصة المشتري كبير الآلهة ، الذي هو (جوبيتر) .

خامساً : أشير في تعريف المريخ إلى قول  
بعض القدماء من أنه في السماء الخامسة ، وكان  
من المستحسن اغفال مثل هذا القول .

زُحَلْ أعظم الكواكب السيارة ،  
وأبعدها في النظام الشمسي .  
و- في الأساطير الإغريقية :  
كبير الآلهة .

سادساً : أشير في تعريف الزهرة إلى أنها  
إلهة الجمال عند الرومان دون ذكر اسمها الشهير  
(فينوس) ، كما ذكر اسمها الإغريقي (أفرديت) ؛  
بينما اغفل المعجم الوسيط ذكر كلمة (أناميد) الاسم  
الشاعري للزهرة ، حتى في مادة [ن ه د<sup>(١)</sup>] .

سابعاً : أشير في تعريف المريخ إلى أن  
اسمه بالفارسية (بهرام) وأثبتت هذه الكلمة في  
مادة [ب ه ر] في المعجم الوسيط ، وبينما لم يشر  
في تعريف المشتري<sup>(٢)</sup> إلى اسمه بالفارسية ، أورد

(١) أهل أكثر أصحاب المجلات ذكر كلمة (أناميد) ، بينما أوردتها الفيروز آبادي في باب الدال وقال : أناميد  
اسم الزهرة عن ابن عباد ، أو فارسي غير معرب ، وبالدال فلا مدخل له حيث ذكر في الكلام .  
أما صاحب التاج فقد جاء على ذكرها في بابي الدال والذال قائلاً : وهو بالوجهين .  
(٢) في مقاييس اللغة لابن فارس : [ وبعض العرب يسمي النجم الذي يقال له المشتري : « الأحمور » ] .  
ولم يرد هذا المعنى للكلمة في المعجم الوسيط .

المعجم في مادة [ ه ر م ] أن كلمة (هرمز) تعني بالفارسية : كوكب المشتري .

ثامناً : ذكر في تعريف المشتري أنه أكبر الكواكب السيارة ، بينما ذكر في تعريف زحل أنه أعظم الكواكب السيارة ، والقول عن المشتري أنه أكبر الكواكب السيارة هو الصحيح دون القول الآخر .

هذا والكواكب الستة الأولى عرفها العرب ، وورد ذكرها في المعجمات القديمة ، ونقل المعجم الوسيط تلك التعريفات ، ولكنه رغم الإشارة إلى الكواكب الثلاثة الأخرى ، التي كشفها العلم في العصور المتأخرة ، عند تعريفه كلمة (كواكب) ، فقد أغفل تعريف كل منها في موضعه ، والكواكب الثلاثة هي :

- ١ - أورانس (Uranus) : كوكبٌ سياريلي زحل بعداً عن الشمس ، وقد كُشف سنة ١٧٨١ م .
- ٢ - نبتون ( Neptune ) : كوكبٌ سياريلي أورانس بعداً عن الشمس ، وقد كُشف سنة ١٨٤٦ م .

- ٣ - أبلوتون <sup>(١)</sup> ( Pluton ) : كوكبٌ سياريلي نبتون بعداً عن الشمس ، وقد كُشف سنة ١٩٣٠ م .

(١) سمي هذا الكوكب عند كشفه باسم إله الموت وملك الجحيم ، وهو ابن زحل في الأساطير القديمة ، وقد عربه أمين الماغوط : فقال : « بلوطون أو أفلوطون أو فلوطون » انظر المعجم الفذكي ص ٨٠ و ٨٧ . أما نحن فنرجع تعريبه بلفظة « أبلوتون » أما المعجم الوسيط فقد أورده كما ينطق بالإنكليزية Pluto .

أثبت المعجم الوسيط كلمة ( بهرام ) في مادة [ ب ه ر ] وأغفل الإشارة الى أنها فارسية أو معربة ، على رغم أنه أشار الى ذلك عند تعريف كلمة مرتيخ .

وفي مادة [ ه ر م ] ذكر المعجم الوسيط أن كلمة ( هرمز ) فارسية من معانيها : كوكب المشتري ، وكان من المستحسن اغفال هذا المعنى ، خاصة لأنه لم يذكر في تعريف ( المشتري ) .  
ويلاحظ أن لفظة ( هرمز ) ليست فارسية أصلاً بل معربة (١) .

بِهْرَام المِرْيَخُ .

هَرْمُزُ كلمة فارسية من معانيها : الله ، وكوكب المشتري ...

يبدو أن المعجم الوسيط ، فرّق في أكثر التعريفات الحديثة التي جاء بها ، بين ( النجم ) و ( الكوكب ) تفريقاً علمياً ، فعرف النجم بأنه أحد الأجرام السماوية الثابتة والمضيئة بذاتها ، ولكن المعجم على رغم هذا التعريف الدقيق ، ظل يردد الكلمتين ، كما في المعجمات القديمة ، كأنها مترادفتان ، فعرف الشمس بأنها كوكب ، وكان من حقها بأن توصف بأنها نجم ، وبها

النجم أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها ، ومواضعها النسبية في السماء ثابتة ، ومنها الشمس . و — علم على الثريا خاصة . و — الكوكب .

(١) جاء في المعجم الفلكي : المشتري هو بالفارسية ( هرمزد ) ، وفي كتب الأنواء : المشتري اسمه بالفارسية ( برجيس ) وفي شفاء الفليل : « المشتري ( زاد مرد ) وبعضهم يسميه ( البرجيس ) » و ( بهرام ) المربخ ، و ( مهر ) الشمس ، و ( هرمس ) عطارد ، و ( ماه ) القمر ، و ( كيوان ) زحل ، و ( تير ) عطارد ، و ( أناهيد بالإجمام والإجمال ) الزهرة . قال بعض الشعراء :  
لازت نبغى وترقى لعلأ أبداً مادام للسبعة الأفلاك أحكام  
مهر وماء وكيوان وتير معاً وهرمس وأناهيد وبهرام  
ومما نلاحظه أن ( هرمس ) هو الاسم الإغريقي للكوكب عطارد Hermes .

الشمس الكوكب الذي تدور حوله الأرض ، وسائر المجموعة الشمسية .

ضرب المعجم نفسه المثل في تعريف النجم ، كما أن المعجم جعل الزهرة في تعريف الكوكبة من النجوم ، وهي في الحقيقة من الكواكب كما ورد في تعريفها الذي سبقت الإشارة إليه .

الكَوْكَبَةُ النجم ، أو الزهرة من بين النجوم . و — مجموعة من النجوم تمثل بصورة معينة تعرف بها ، كالنسر الطائر والنسر الواقع .

هذا ويلاحظ في تعريف الشمس : عطف جملة (وسائر المجموعة الشمسية) على الأرض في الدوران حول الشمس ، لهذا كان من المستحسن أن يكون التعريف المذكور كما يلي: الشمس: النجم الذي تدور حوله الأرض ، وسائر كواكب المجموعة الشمسية.

وفي تعريف الكوكبة ، أطلقت الكلمة على الصور السماوية وهو إطلاق موفق (١) ، أما اختيار النسر الطائر أو الواقع مثلاً على تلك الصور فضعيف ، لأن كلام النسرين اسم لنجم معروف في صورة سماوية اشتهرت باسم النجم النير فيها ، وكان من المستحسن أن يضرب المثل بصورة الجوزاء أو الجبار (٢) ، وهي أجمل صور السماء وأشهرها على الإطلاق .

(١) وضع أمين الملووف مقابل كلمة : Contellation : صورة ساوية ؛ صورة نجمية ؛ كوكبة ؛ ثم قال : والكوكبة قليلة الاستعمال لم يستعملها إلا الفزوني في ما أعلم ، والصورة أحسن منها . انظر المعجم الفلكي ص ٤٢ و ص ٢٧ .

(٢) الجبار — كما في التاج — اسم الجوزاء لأنها بصورة ملك متوج على كرسي ، كما ذكره الزخرفي في الأساس .

تعريف المجرة في المعجم الوسيط نقل عن المعجم القديمة ، وهو غير جدير بإثباته في معجم حديث ، فلهاء العرب ممن اشتغلوا بعلم الفلك عرّفوا أن :

المجرة : مجموعات كسيرة من النجوم تركزت وتكاثفت حتى تراءت من الأرض كوشاح أبيض يعترض السماء .

ومن الأسماء التي أطلقها العرب على المجرة : أم النجوم ، وقد أطلق عليها تأبط شرأسم : أم النجوم الشوابك<sup>(٢)</sup> ، لهذا كان من المستحسن أن يأتي المعجم الوسيط بتعريف للمجرة يتفق وحققتها ؛ خاصة لأنه أثبت في مادة [تب ن] الاسم الذي تطلقه العامة على المجرة ، إذ شبهوها بالدرب الذي تسلكه التبانة تاركين عليه من التبن المتساقط من أحمالهم أثراً يدل عليهم ، مشيراً في التعريف إلى أن الاسم من مصطلحات علم (الفلك) .

أما تعريف السديم بمعناه الثاني ، فيبدو أنه تعريف وضع حديثاً ، غير أننا نلاحظ فيه عدم الدقة العلمية ، إذ أن العلماء اليوم لا يطلقون

التبانة سلة التبانة (في الفلك)   
 المجرة . ( مو ) .

المجرة البيضاء المعترض في السماء<sup>(١)</sup> ، والنسيران من جانبيها . ويقال : نهر المجرة .

السديم الضباب الرقيق . وجموعه نجوم بعيدة جداً تظهر كأنها سحابة رقيقة ، ومنه المجرة . ( ج ) سُدُم .

(١) في أكثر المعجمات القديمة أن اسم المجرة جاء من اعتراضها السماء ، وقال ابن فارس في مقاييس اللغة : الجيم والراء أصل واحد ، وهو مدّ العي وسحب ، وسميت مجرة السماء مجرة لأنها كالنهر المتجر .

(٢) في تاج المروس : شبكت النجوم واشتبهت وتشابكت : دخل بعضها في بعض واختلطت ، وقيل اشتباك النجوم ظهور جميعها .

الكلمة على مجموعات من النجوم البعيدة فحسب ،  
ال يطلقونها على سحب منتشرة في الفضاء ومنها  
المجرة . والتعريف الدقيق هو :

السديم : لطخات سحابية متوهجة أو  
معتمة في الفضاء ناشئة عن تكاثف أو تصادم  
عدد لا يحصى من الأجرام السماوية .

وهذا التعريف للسديم أقرب إلى أصل المعنى  
اللفوي للكلمة (١) .

بروج السماء : صور النجوم التي يترامى  
للناظر اليها أن الشمس تقطعها في دورة تامة خلال  
سنة شمسية ، وعددها إثنا عشر برجاً ؛ لكل  
فصل ثلاثة بروج ، وترتيبها بدءاً من فصل  
الربيع هو : الحمل ، والثور ، والجوزاء ||  
السرطان ، والأسد ، والسنبلة || الميزان ،  
والعقرب ، والقوس || الجدي ، والدلو ، والحوت .

لقد أشار المعجم الوسيط إلى عدد بروج  
السماء في مادة [ ب ر ج ] دون تعدادها ، وفي  
المواد المتفرقة في المعجم وردت أسماء أكثر  
البروج ، معرفة تعريفاً مقتضياً ، وفيما يلي بعض  
الملاحظات على ما ورد في المعجم من تعريفات :  
١ - أغفل المعجم ذكر برج الميزان في  
مادة [ و ز ن ] .

البُرْج أحد بروج السماء  
الإثني عشر .

الأسد أحد بروج السماء .

الثور 'برج' من بروج السماء .

الجَوَزا 'برج' من بروج السماء .

الجدي 'برج' في السماء يجوار الدلو .

الحمل 'برج' من بروج السماء .

الحوت 'برج' في السماء .

الدلو 'برج' من بروج السماء .

السرطان 'برج' في السماء .

(١) في مقاييس اللغة : السبن والبال والميم : أصل في شيء لا يمتد لوجهه .



٢ - لم يشر المعجم الى أسماء اشتهرت بها بعض البروج ، مثل العذراء لبرج السنبلة ، والتوأمن لبرج الجوزاء ، وقد ورد هذان الاسمان في المعجمات القديمة .

٣ - اختلفت صياغة التعريف بين برج وبرج ، فهذا : أحد بروج السماء ، وذلك : برج من بروجها ، وغيرهما برج في السماء ، وبينما خُصَّ برج الجدي بذكر جواره ، خُصَّ القوس بذكر ترتيبه بين البروج ، لقد كان من المستحسن أن تكون جميع التعريفات متماثلة .

السنبلة برج في السماء .

العقرب برج من بروج السماء .

القوس بُرْج في السماء ( هو تاسع البروج ) .

يطلق العلماء اليوم كلمة « قمر » على كل جرم سماوي ، يدور حول كوكب سيار آخر ، وإذا كان للأرض قمر يدور حولها ، فإن لبعض الكواكب الأخرى أقماراً كثيرة <sup>(١)</sup> . ولما كانت المعجم الوسيط خص كلمة « كواكب » بالسيارة منها ، تبعاً لما يقره العلم الحديث ، كان الواجب تعريف كلمة « القمر » على الشكل التالي :

القمر : جرم سماوي يدور حول أحد الكواكب السيارة . وعلم على الكوكب السيار الذي يستمد نوره من الشمس ويدور حول الأرض ويُضيئها ليلاً . الخ ..

الكوكب السيار الذي يستمد نوره من الشمس ويدور حول الأرض ويُضيئها ليلاً . و - الصناعي : كرة يقذفها في السموات صاروخ حتى إذا تخلصت من جاذبية الأرض دارت في الفضاء حول الأرض أو غيرها من المجموعة الشمسية ، وبها أجهزة علمية للكشف والتصوير . (مج) . (ج) أقمار .

(١) من الثابت اليوم أن لكوكب المريخ قرين ، وللمشتري ١٢ قرأ ، ولزحل ٩ أقار ، ولأورانوس ٥ أقار ، ولنبتون قرين .

الْمَنْزِل ... ومنازل القمر : مداراته التي يدور فيها حول الأرض يدور كل ليلة في أحدها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه ، وهي ثمانية وعشرون ، لكل منها اسم معين ، منها : الشَّرَطَان ، والبُطَيْن ، والشَّرِيَّان ، والدَّيْرَان . ولكل فصل من فصول السنة سبعة منازل .

في هذا التعريف بعض الغموض على رغم الإسهاب فيه ، ومنازل القمر : مجموعات من النجوم الثابتة يقطعها القمر في دورة تامة حول الأرض خلال ثمانية وعشرين يوماً ، وهو في كل ليلة يتأخر منزلة ، وفي الليلة الأخيرة يدرك القمر نجوم المنزل الأول وهي في جهة الغرب .

ومما يلاحظ في تعريف المعجم الوسيط ، إيراد أسماء أربعة منازل من ثمانية وعشرين منزلاً ، وبينما عرّف المعجم نجوم أكثر المنازل في مواضعها ، مشيراً إلى أنها من المنازل حيناً ومغفلاً ذلك حيناً آخر ، نجده أغفل أسماء بعض المنازل البتة ، وسنشير إلى ما أغفله المعجم في ثنايا ملاحظتنا على أسماء المنازل المعرفة في مختلف المواد .

الشَّرَطَان نجمان في برج الحمل ، وهما المنزل الأول من منازل القمر .

الشَّرَطَان نجمان يقال لهما : قَرَرَا الحَمَل ، يظهران في أول الربيع .

التعريف الدقيق للثريا هو : الثَّرِيَّان مجموعة من النجوم في صورة الثور ، وكلمة « النجم » علمٌ عليها ، وهي المنزل الثالث من منازل القمر .

الثَّرِيَّان نجم ، سمّي بذلك لكثرة أنجمه مع صفر منظره .

ومما نلاحظه أن المعجم الوسيط أغفل تعريف ( البُطَيْن ) وهو المنزل الثاني من منازل القمر في مادة [ ب ط ن ] ، وتعريفه :

البُطَيْن : ثلاثة أنجم في برج الحمل ، وهي

المنزل الثاني من منازل القمر .

الدَّبران ( في علم الفلك ) خمسة  
كواكب من الثَّور ،  
يقال : إنها سَنَامه .  
وهو من منازل القمر .  
وقيل : نجم بين الثَّوريَّين  
والجوزاء .  
الدَّبران محرّكة منزل للقمر ، كما ورد  
في القاموس ، وجاء في مقاييس اللغة : الدَّبران :  
نجم سُمِّيَ بذلك لأنه يَدَّبر الثَّوريَّين .  
فالدَّبران نجم ، وتعريفه — كما ورد في  
المعجم الفلكي — نَيْرُ الثَّور ، وهو المنزل الرابع  
من منازل القمر (١) .

الحَقِعةُ ثلاثة نجوم قريب بعضها  
من بعض عند رأس  
كوكبة الجبار ، وهي  
منزل من منازل القمر .  
يبدو أن هذا التعريف وضع حديثاً ، لأن  
أكثر القدماء كانوا يطلقون على صورة الجبار  
اسم الجوزاء (٢) .  
والحققة : ثلاثة نجوم عند رأس الجبار ،  
وهي المنزل الخامس من منازل القمر .

ويلاحظ أن المعجم الوسيط الذي أشار في  
تعريف الحققة إلى ( كوكبة الجبار ) أغفل في  
مادة [ ج ب ر ] الإشارة إلى الكوكبة المذكورة  
وهي أجمل صور السماء ، تخيلها القدماء على  
هيئة رجل يحمل بيده اليمنى هراوة ( دوساً )  
وفي يسراه ترساً ، وفي وسطه نطاق تدلى  
منه سيف .

(١) انظر ص ١٠١ .

(٢) انظر ملاحظات أمين المطوف في المعجم الفلكي ص ٨٣ .

الذَّراعُ نجم من نجوم السماء على شكل الذَّراع .  
 إن التعريف الدقيق للذَّراع أو ما يُسمى بالذَّراع المبسوطة لصورة الأسد ، هو :

الذَّراع : نجمان في الجوزاء ، هما المنزل السابع من منازل القمر (١) .

وبما يلاحظ على المعجم الوسيط إغفاله الإشارة إلى المنزل السادس المسمى ( الهنعة ) ، إذ لم ترد الكلمة في مادة [ ه ن ع ] وتعريفها : الهنعة : نجمان في الجوزاء ، هما المنزل السادس من منازل القمر .

النَّشْرَةُ كوكبان في السماء بينهما قدر شهر .  
 نقل المعجم الوسيط عن معجم قديم هذا التعريف الذي كان يستحسن استبعاده ، أمّا التعريف الصحيح فهو :

النَّشْرَةُ : عنقود من النجوم في صورة السرطان ، وهو الثامن من منازل القمر (٢) .

جبهة الأسد : أربعة أنجم ينزلها القمر .  
 جبهة الأسد أربعة أنجم في صورة الأسد وهي العاشر من منازل القمر .

وبما يلاحظ أن المعجم الوسيط عرّف في مادة [ ج ب ه ] جبهة الأسد ، وأغفل طرفه وزبرقه صرفته في مواضعها من المعجم ، وكلها من منازل القمر وتعريفها كما يلي :

(١) الظر المعجم الفلكي ص ٥٧ و ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٨ .

١ - الطَّرَف : نجم في صورة الأسد ، وهو التاسع من منازل القمر .

٢ - الزبرة : نجمان في صورة الأسد ، وهما المنزل الحادي عشر من منازل القمر .

٣ - العَرْفة : نجم في صورة الأسد ، وهو الثاني عشر من منازل القمر .

ذكر هذان التعريفان في المعجم الوسيط متتاليين ، وكان من المستحسن لو أغفل الأول منها .

والعواء : خمسة أنجم من برج السنبلة وهي المنزل الثالث عشر من منازل القمر .

العواء ١ منزل من منازل القمر .

العواء ٢ منزل من منازل القمر .

السماكان نجمان نيران في صورتين سماويتين مختلفتين وتعريفهما كما يلي :

١ - السماك الرامح : نجم فيتر من أسمائه حارس الشمال .

السماكان نجمان نيران ، أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح ، والآخر في الجنوب وهو السماك الأعزل .

٢ - السماك الأعزل : النجم النير في برج السنبلة وهو الرابع عشر من منازل القمر .

الغَفَرُ ، كما في المعجم الفلكي ، ثلاثة أنجم في برج السنبلة (١) ، خلافاً لما ورد في بعض المعجمات القديمة من أنها من الميزان ، وهي المنزل الخامس عشر من منازل القمر .

الغَفَرُ منزل للقمر . ثلاثة أنجم صفار وهي من الميزان .

كان من المستحسن أن يضاف إلى هذا التعريف في مادة [ ز ب ن ] ما يلي :

والزبانيان : نجمان في الميزان هما المنزل السادس عشر من منازل القمر .

زُبَانِي العَرَبِ قَرْنُهَا . وهما زُبَانِيَتَانِ .

الشَّوْلةُ منزلة من منازل القمر ، وهي كوكبان نيران متقابلان في برج العقرب ينزلها القمر ، يقال لها 'حمة' العقرب ، تشبيهاً بها ، لأن البرج كله على صورة العقرب ، وسميت هذه المنزلة بشوالة العقرب .

تعريف مسهب ، الى جانب اغفال نجوم أخرى في برج العقرب تعتبر من المنازل ، إذ يوجد في هذا البرج ثلاثة منازل وهي :  
١ - الإكليل : أو اكليل الجبهة : أربعة أنجم في العقرب ، وهي المنزل السابع عشر من منازل القمر .

٢ - قلب العقرب : النجم النير في العقرب ، وهو المنزل الثامن عشر من منازل القمر .  
٣ - الشَّوْلة : نجمان في العقرب ، وهما المنزل التاسع عشر من منازل القمر .

النعام : ثمانية أنجم في برج القوس وهي المنزل العشرون من منازل القمر .

جاء في اللسان : الأُدْحِي : من منازل القمر شبيه بأُدْحِي النعام ، وجاء في موضع آخر الأُدْحِي ، منزل بين النعام وسعد الذابح . يقال له البلدة .

وفي اللسان أيضاً في مادة [ ب ل د ] :  
البلدة : من منازل القمر بين النعام وسعد الذابح خلافاً لإلا من كواكب صغار ، وقيل : لا نجوم فيها البتة ، وفي التهذيب : البلدة في السماء موضع لا نجوم فيه ليست فيه كواكب عظام ، يكون علماً وهو آخر البروج ، سميت بلدة ، وهي من برج القوس ، وفي الصحاح : البلدة من

النعام منزلة من منازل القمر ، صورتها كالنعام .

الأُدْحِي منزل للقمر بين النعام وسعد الذابح . (ج) أداح .

منازل القمر ، وهي ستة أنجم من القوس تنزلها الشمس في أقصر يوم في السنة .

هذا ما ورد في المعجمات القديمة ، والمعروف في كتب الأنواء : أن القمر إذا نزل بين النعائم وسعد الذابح نزل رقعة تسمى البلدة ، وقد أغفل المعجم الوسيط الإشارة إليها ، قال الأجدايي : وربما عدل عن البلدة فنزل بالقلادة وهي الأدحي (١) .

ان التعريف الصحيح للكلمتين المذكورتين هو كما يلي (٢) :

البلدة : رقعة من السماء لا نجوم فيها ، وهي المنزل الحادي والعشرون من منازل القمر (٣) .

الأدحي : أربعة نجوم في وسط النهر مع الخمسة التي في جانبه الآخر ، شبهت بأدحي النعام لقربها من النعائم .

(١) انظر كتاب الأزمنة والأنواء لابن الأجدايي ، تحقيق عزة حسن ص ٨٨ دمشق ١٩٦٤ .

(٢) انظر المعجم الفلكي لأمين الملو ف ص ٧٧ و ٥٥ و ٢٩ .

(٣) انظر القاموس مادة [ ب ل د ] .

السُّعُودُ نجوم ، وهي عشرة (٢) أربعة منها من منازل القمر ، والستة الباقية هي : سعد ، تَائِشَرَة ، وسعد المَلِك ، وسعد البِهْمَام ، وسعد الهُمَام ؟ وسعد البارِع ، وسعد مطر . وقد ذكر المعجم الوسيط سعد البارِع . وأغفل الخمسة الباقية .

أما منازل القمر من السُّعُود فهي :

١ - سَعْدُ الذَّابِح : نجمان من الجدي ، وهما المنزل

الثاني والعشرون من منازل القمر .

٢ - سَعْدُ بُلْع : أو سعد بالِع : ثلاثة أنجم

من الدلو ، وهي المنزل الثالث والعشرون

من منازل القمر .

٣ - سَعْدُ السُّعُود : ثلاثة أنجم من الدلو

والجدي ، وهي المنزل الرابع والعشرون

من منازل القمر .

٤ - سَعْدُ الْأَخْبِيَّة : أربعة أنجم من الدلو ،

وهي المنزل الخامس والعشرون من منازل القمر .

السُّعُود (١) : سَعُودُ السُّجُوم :

عِدَّةٌ كَوَاكِبُ يُقَالُ لِكُلِّ

وَاحِدٍ مِنْهَا : سَعْدٌ

كَذَا ، وَمِنْهَا سَعْدُ السُّعُودِ ،

وَهُوَ أَحَدُهَا .

البُلْعُ سَعْدُ بُلْع : من منازل

القمر .

سَعْدُ البارِع : نجمان في الفرس .

البَارِعُ سَعْدُ البارِع (٣) : نجم .

(١) كذا وردت في الأصل وصحتها بضم الدال .

(٢) انظر كتاب الأزمدة والأنواء لابن الجدي . ص ٧٥ . الذي سبقت الإشارة إليه وانظر

التاج مادة [ س ع د ] .

(٣) كذا في الأصل وقد جاءت الرأء معجمة تصحيحاً ، وفي المعجم الفلأكي ويسمى سعد النازع .



الرَّشَاءُ منزل للقمر، وهو كواكبُ صفارٌ على صورة السمكة ، يقال لها بطن الحوت ، وفي مُمرِّها كوكب نيثر ينزله القمر . (ج) أرشيية .

تعريف الرشاء هذا نقل عن التاج مجموعاً من قولين مختلفين ، وأُغفل فيه قوله : على التشبيه بالحبلى .

والرَّشَاءُ : نجم نيثر في الحوت وهو الأخير من منازل القمر . ويسمى بطن الحوت .

ويلاحظ أن مما أغفله المعجم الوسيط من منازل القمر ، ولم يسبق أن أشرنا إليه المزلين التالين :

- ١ - الفَرَّغُ الأول : نجمان من صورة الفرس، وما المنزل السادس والعشرون من منازل القمر .
- ٢ - الفَرَّغُ الثاني : نجم في الفرس ، وهو السابع والعشرون من منازل القمر .

الدُّبُّ الأكبر صورة سماوية عظيمة المساحة ، تعرف بواسطة النعش الأكبر وبناته . ولقد جاءت المعجمات القديمة كلها تقريباً على ذكر هذه الصورة وتعريف نجومها المختلفة ، إلا أن تلك المعاجم كانت متفاوتة من حيث صحة التعريفات الواردة فيها بالنسبة الى المتنق عليه عند علماء الفلك ، مما يجعل الاعتماد عليها وحدها يورث الاضطراب والوقوع في أخطاء علمية ، وهذا ما وقع فيه المعجم الوسيط .

وإذا رجعنا الى كتب القدامى من علماء الفلك العرب وجدناهم متفقين على أن : بنات نعش الكبرى : سبعة نجوم نيرة ، الأربعة منها على

الدُّبُّ الأكبر : سبعة نجوم أخرى على الصورة السابقة ولكنها أكبر منها .

بناتُ نَعَشٍ سبعة كواكب تُشاهد جهة القطب الشمالي ، شَبَّهَتْ بِحَمَلَةِ النَّمَشِ . الواحد : ابنُ نَعَشٍ . وجاء في الشعر « بنونعش » قال النابغة الجعدي : « إذا ما بَنَوْ نَعَشٍ دَنَوْا فَتَصَوُّبُوا » النَّعَاشِ السُّهْمُ أَوْ سَطُّ بَنَاتِ نَعَشٍ .

ويقال : « هو أخفى من نَعِيش في بنات نَعِش » .

شكّل التربيع وهي التي تسمى نَعِشاً ، والثلاثة بنائه . وحذاء الأوسط من النبات نجم صغير جداً ، يكاد يلتقي به ، يُسمى السَّهْمُ ، وبه يضرب المثل في الخفاء (١) .

إن أهم ما يلاحظ على التعريفات الواردة في المعجم الوسيط هي :

١ - جعل الدب الأكبر مرادفاً لبنات نَعِش .  
٢ - عدم التفريق بين بنات نَعِش الكبرى وبنات نَعِش الصغرى .

٣ - التعليل الذي أورد . لتسمية النجوم السبعة ببنات نَعِش .

٤ - ذكر أن النعِش أوسط بنات نَعِش .  
٥ - ذكر أن السها نجم في بنات نَعِش .  
٦ - التردد بين بنات نَعِش الكبرى والصغرى ، الوارد في تعريف نجم السَّهْم .

٧ - ذكر أن الواحد من بنات نَعِش يُسمى : ابن نَعِش ، لأنه على رغم ورود هذا القول في المعجمات القديمة ، لم أعثر على نص قديم أطلق فيه على نجم من بنات نَعِش اسم ابن نَعِش ، سوى ما ورد في الشعر من ذكر ( بنو نَعِش ) بدلاً من بنات نَعِش .

٨ - وصف الحَوَر بأنه النجم الثالث دون تحديد موقعه .

السَّهْمُ  
كوكب صغير خفي الضوء  
في بنات نَعِش الكبرى  
أو الصغرى . وفي المثل :  
« أُرِيسا السَّهْمُ وتُرِيفي القمر » . يضرب للدهوش الذي يُسأل عن شيء فيجيب جواباً بعيداً .

الحَوَرُ  
النجم الثالث من بنات نَعِش الكبرى .

(١) انظر كتاب الأزمئة والأنواء لابن الأجداني وقد سبقت الإشارة إليه .

لقد كان من المستحسن أن تكون التعريفات  
في معجم حديث كالوسيط ، كما يلي :  
الدُّبُّ الأكبر : مجموعة من النجوم تؤلف صورة  
سماوية ، تعرف بواسطة نجوم بنات نعش  
الكبرى ، وبها يُهتدى إلى معرفة النجم القطبي .  
بنات نعش : مجموعتان من النجوم أحدهما كبرى  
والثانية صغرى .

بنات نعش الكبرى : سبعة نجوم نيرة ، أربعة  
منها على شكل مربع فشبهت بالنعش ، والثلاثة  
كالذيل سميت بنات نعش ، ثم أطلق هذا  
الاسم على النجوم السبعة ، وبواسطتها يُهتدى  
إلى بنات نعش الصغرى التي فيها النجم القطبي .  
بنات نعش الصغرى : سبعة نجوم على هيئة بنات  
نعش الكبرى ، والنجم الثالث من الذيل في بنات  
نعش الصغرى : نجم يُترى يسمى النجم القطبي .  
النُّعَيْش : نجم السُّها .

السُّها : نجم خفي ملاصق للنجم الأوسط من  
الذيل في بنات نعش الكبرى المسمى  
العَتَّاق ، وفي المثل ...

الحَوَّار : النجم الثالث من الذيل في بنات نعش  
الكبرى ، وهو الملاصق للنعش .  
القائد : النجم الأول من بنات نعش الكبرى ،  
وهو طرف الذيل .

## الدخيل في العربية

كثر الكلام على الدخيل في العربية على مر العصور . غير أن كلام القدامى في هذا الموضوع مفتقر الى الدقة والتثبت كما سنرى ، أما المحدثون فقد تهيأ لهم من وسائل البحث ما جعلهم أقرب الى العلم الصحيح منه الى الحدس والظن .

أقول : « ما جعلهم أقرب الى العلم الصحيح » ؛ وأنا أقصد أنه لم يسلك جميع المحدثين النهج العلمي في بحثهم عن هذا الموضوع ، فالمستشرقون مثلاً هم أصحاب النظرية العلمية في علم اللغة التاريخي وعلم اللغة المقارن (١) . وفي تطبيق هذه النظرية يتجلى البحث العلمي الذي ينأى عن أسلوب الحدس والظن ، أما غيرهم من المحدثين ولا سيما بعض الآباء المسيحيين فقد أخذوا بضرب من الفوضى للغة الآرامية فحسبوا أن جميع ما في العربية آرامي بالأصالة ثم دخل العربية . وهذا سبيل ينأى عن العلم الصحيح كما سنرى .

وها أنا أعرض للعصنقات في هذا الموضوع مبتدئاً ب :

(١) كتاب المعرب من الكلام الأعجمي لأبي منصور . وهوب بن أحمد ابن محمد بن الحضر الجواليقي وقد طبع في ليبسيك وفي مصر . والجواليقي في هذا الكتاب يعتمد على أبي عبيدة وابن قتيبة والأزهري وابن دريد وغيرهم . وهؤلاء قد أشاروا الى الفارسي المعرب إشارات صحيحة ،

(١) انظر في توضيح هذا الموضوع :

A. Meillet — La Methode Comparative En Linguistique Historique .

Paris 1954

A. Meillet — Linguistique Historique et Linguistique Générale

فأما ما خلا ذلك فلم يكونوا على علم أكيد به ، فقد لخوا في الألفاظ اللون المعرب فقالوا : أعجمي معرب كالباشق من الطير مثلا ، وقالوا في « الباسور » : قد تكلمت به العرب ، وأحسب أن أصله معرب كما جاء في معرب الجواليقي . وعبارة « اللسان » : الباسور كالناسور أعجمي داء معروف . و « التاريخ » كما يذكر الجواليقي الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض وأن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب .

ولم يكن القدامى على علم بأخوات العربية من اللغات السامية فقد ذكر الجواليقي في باب الهاء :

قال مؤرّج : والنبيط تسمى المحبوس المهرزق بالهاء ،  
وقال أبو عبيد : حرزقته حبسته ، قال الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربّه بسابط حتى مات وهو محرزق  
أقول : لم يعرف القدامى ما خلا العربية من اللغات السامية . فالمراد بالنبيط الآراميون ، والنبطية هي الآرامية عندهم ، وقد يذكر السريانية وهم لا يميزون بين النبط والآراميين وقد يجهلون الفرق التاريخي في التسمية بـ « السريانية » ، كما أنهم لم يهتدوا إلى القرابة بين هذه اللغات وبين العربية وأن كثيراً من المواد اللغوية تدخل في باب المشترك بين هذه اللغات جميعها . ذكر الجواليقي : قال أبو بكر فأما الديوث فكلمة أحسبها عبرانية أو سريانية .

وذكر : وفي اللسان « ربان السفينة الذي يحرقها ويجمع على ربابين . قال أبو منصور : وأظنه دخيلاً » . والذي أراه أن الكلمة عربية فقد نص ابن دريد على أن ربان كل شيء أوله .

والربانيون ، قال أبو عبيد : أحسب الكلمة ليست بعربية وإنما هي

عبرانية أو سريانية ، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين<sup>(١)</sup> .  
قال أبو عبيدة وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم . قال : وسمعت رجلاً عالماً  
بالكتب يقول : الربانيون العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي .  
وذكر : أن السجنجل المرأة بالرومية .

والأمثلة كثيرة على ذلك ، نخرج منها إلى أن هذا الصنف من الكتب  
لا يمكن أن يكون مادة يطمئن إليها الباحث في الأصول اللغوية .

(٢) كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي  
وقد طبع مراراً في مصر . وطريقة الكتاب ومادته يفتقران إلى الدقة  
العلمية التي تحدثنا عنها ، والكلام عليها كالكلام على المعرب للجواليقي .  
(٣) معجمات العربية المطولة كالمجهر والصحاح ومقاييس اللغة والمجل  
واللسان والقاموس والتاج .

(١) قد عرفت العرب ( الربانيين ) وقد وردت في كتابهم العزيز الأول : « كونوا ربانيين » ،  
وعلماء العرب ، غير أبي عبيد الذي حسبها ليست بعربية ، ذهبوا إلى أنها عربية  
فهذا سيدييه يقول : زادوا ألفاً ونوناً في الرباني إذ أرادوا تخصيصاً بعلم الرب  
دون غيره كأن معناه صاحب علم الرب دون غيره من العلوم ، وهو كما يقال :  
شعراني ولحياني ورقباني إذا مُخِص بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة ،  
فاذا نسبوا إلى الشعر قالوا شعراني ، وإلى الرقبة قالوا رقباني ، وإلى اللحية لحياني ،  
والرَبَّيَّ منسوب إلى الرب والرباني الموصوف بعلم الرب .

وقال ابن الأعرابي ، الرباني العالم الملم الذي يفقه الناس بصغار العلم قبل كبارها  
وقال محمد بن علي بن الحنفية لما مات عبد الله بن عباس رضي الله عنها : اليوم  
مات رباني هذه الأمة ، وروي عن علي أنه قال : الناس ثلاثة : عالم رباني  
ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق .

وقال ابن الأثير وهو من علماء العرب : هو منسوب إلى الرب بزيادة الألف  
والنون للبالغة ؛ وعلق ابن منظور على قول أبي عبيد بقوله : وذلك أن أبا عبيدة  
زعم أن العرب لا تعرف الربانيين ، فقول أبي عبيد ظن وحسبان ، وقول أبي عبيدة  
من اللزائم المحتاجة إلى برهان ، والله أعلم . ( لجنة المحلة )

(٤) في كتاب الإتقان للسيوطي فصل كبير فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب .

- (٥) رسالة في تعريب الألفاظ الفارسية لابن كمال باشا طبعت في مصر .  
 (٦) كتاب التقريب لأصول التعريب للشيخ طاهر الجزائري طبع في مصر .  
 (٧) كتاب الاشتقاق والتعريب لعبد القادر بن مصطفى المغربي طبع في مصر .  
 (٨) كلام على التعريب والمعرّبات في مقدمة إلياذة هوميروس المترجمة لسليمان البستاني .

(٩) كتاب الألفاظ الفارسية العربية لأدي شير طبع في بيروت .  
 وقد عقب أحد العلماء الإيرانيين على هذا الكتاب فأخذ عليه مأخذ كثيرة .  
 وهناك تصانيف أخرى اقتصرت على ذكر ما هو آرامي في العربية .  
 وهأنا أورد جملة ما هو مطبوع منها :

(١) كتاب « الدوائر السريانية في لبنان وسورية » للأب يوسف حبيقة البسكنتاوي الراهب الماروني اللبناني ، والكتاب مطبوع في جنوة ، وهو في جزئين صغيرين طبع الجزء الأول سنة ١٩٠٢ ، والثاني سنة ١٩٠٤ ، وقد اشتمل هذا الكتاب على صغر حجمه على الاستدراكات والنصحيجات والتعقيبات والمحقات وغير ذلك . وهذا الكتاب قد حوى من الكلمات العربية ما ظن البسكنتاوي أنه آرامي وحقيقته من باب المشترك بين اللغتين أو حتى بين أكثر من اللغتين . وسنرجع الى الموضوع نفسه .

(٢) كتاب « اللغات السامية المحكية في سورية ولبنان » لفيليب حتي . وهو رسالة صغيرة تقع في ٤٦ صفحة طبعت في بيروت سنة ١٩٢٢ تناول فيها صاحبها الناحية التاريخية للغات التي كانت في سورية ولبنان منذ أقدم العصور ، كما تناول آثار الآرامية في عامية هذه البلاد وأتى بأمثلة على ذلك .  
 (٣) الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية للدكتور داود الجليلي الموصلية وقد طبع في الموصل سنة ١٩٣٥ . وهو كتيب يقع في ٩٠ صفحة .

- (٤) مقالات في الألفاظ السريانية الآرامية الدخيلة في العربية للبطريرك أفرام الأول برصوم التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي .
- (٥) كتاب الألفاظ السريانية الآرامية في اللغة العربية للأب يوسف حبيقة البسكنتاوي وقد نشره الأب بطرس ساره في مجلة المشرق في الجزء الرابع والخامس لسنة ١٩٦٣ ، وهو كتيب يقع في ٤٨ صفحة .
- (٦) العربية وشقيقتها السريانية الوقية لمار أغناطيوس يعقوب الثالث وهي مقالة نشرت في الجزء الأول من المجلد الأربعين من مجلة المجمع العلمي العربي لسنة ١٩٥٦ .

Siegmund Frankel — Die aramaischen fremdwörter (٧)  
im arabischen , Leiden 1886 .

Rudolf Dwōrak — Ueber die fremdwörter im Koran , (٨)  
Wien 1885 .

والذي حفزني الى كتابة هذه المقدمة كل من مقالة مار اغناطيوس يعقوب الثالث المتقدم ذكرها وكتاب الألفاظ السريانية الآرامية في اللغة العربية للأب يوسف حبيقة . كانت المقالة الأولى مقدمة تاريخية في تشابه الآرامية بالعربية وعرضاً لنواحي التشابه ثم يعقب على هذه المقدمة بقوله : « اننا لن نحاول هنا أن نحكي بعض من سبقنا الى بحث هذا الموضوع ، بل نبعثه بطريقة مبتكرة ، تاركين الحكم للقارئ الكريم أن يقول كلمته في اللغة التي اقتبست هذه الألفاظ من الأخرى . ولكننا في الوقت نفسه نؤكد جازمين في أن العربية اقتبست من السريانية الألفاظ التالية » . ويبدأ في عرض هذه الألفاظ .

والذي يلوح لي أن هؤلاء الفضلاء قد اندفعوا فبعدوا عن العلم الصحيح ، وإلا كيف تكون الكلمات الآتية سريانية دخلت العربية ولا تكون عبرانية أو بابلية قديمة ( اكدية ) ، ولم لا تكون من المشترك السامي الذي وجد في كل هذه اللغات ودونك شيئاً من ذلك :



(١) **Chemcha** شمس : أقول **לֹא** لا تكون هذه الكلمة هي أيضاً **לֹא** **לֹא** العبرانية ، ثم هل تكون هذه الكلمة عبرانية دخلت العربية أو عبرانية دخلت الآرامية أو أننا نرجع الى العلم الصحيح فنقول : إنها كلمة سامية قديمة ، وما يدل على أصالتها السامية وجودها في هذه اللغات السامية جميعها .

(٢) **Richa** راس ، وهي في العبرانية **רִיחָ** : وسبيلنا في هذه الكلمة أيضاً أنها من المشترك بين هذه اللغات .

(٣) **Nafcha** نفس ، وهي في العبرانية **נַפְחָ** : وهي من الموضوع نفسه .

(٤) **Erah** غرب ، وهي في العبرانية **עֵרָה** : وهي من المشترك بين هذه اللغات .

(٥) **Maavta** مغارة والمادة العربية هي ( غور ) في المعنى نفسه ، وفي العبرانية **מַאֲוָתָא** ، وهي من المواد المهمة كما في :

Gesenius' Hebrew And Chaldee Lexicon .

(٦) **Araa** أرض ، وهي في العبرانية **אַרְצָא** : فليست لا تكون أرض من العبرانية ، ولم لا يكون الجميع مشيراً الى الأصل القديم السامي ؟

(٧) **Gamla** جل ، وفي العبرانية **גַּמְלָא** .

(٨) **Regla** رجل ، وفي العبرانية **רַגְלָא** .

وأحب أن أقول لقداسة المار أغناطيوس يعقوب الثالث أن العربية أخذت من السريانية كما أخذت من غيرها ، وهذا أمر طبيعي في علم اللغة التاريخي ، ولكن لا بد لنا من أن نسلك في ذلك سبيل التثبيت لنتم الفائدة العلمية .

أما كتاب الألفاظ السريانية الآرامية في اللغة العربية للأب يوسف حبيقة البسكنتاوي المنشور في « المشرق » فهو معجم صغير مرتب على الحروف الهجائية وهو يحوي كل شيء عجب من الخبط والخلط . وصاحبه حاطب ليل ولا أقول أكثر من هذا ، وإلا فكيف يجوز أن يكون « أب » و « أخ » و « أبد » و « أبال » ( راعي الإبل ) و « آدم » و « آخر » و « أكمل » و « لبس » من الألفاظ السريانية التي اقتبستها العربية . ثم كيف يكون « ابريق » و « آجر » من الألفاظ السريانية وقد ثبت أنها من الفارسي المعرب .

وأستطيع أن أرد المثات من هذه الألفاظ التي اشتمل عليها الكتاب الى الوجه الصحيح والغالب فيها أنها من اللفظ السامي المشترك لوجودها في أكثر اللغات السامية . فهل يمكن أن نقول إنها في جميع هذه اللغات قد جاءت من السريانية ؟ هذا بما لا يصدق من له اليسير من الاطلاع على هذه الناحية اللغوية التاريخية .

وقد عجبت أن تنشر مجلة المشرق هذه المادة وهي التي قد عرفت بخدمتها الصادقة للثقافة المسيحية . ومن الإنصاف لهذه الثقافة أن تبقى في حيز العلم .

الدكتور إبراهيم السامرائي



# مصطلحات جديد

## لكلمات افرنجية

— ٢ —

— A —

دَمَشْ Agitation

وهو الهيجان من حرارة أو شرب دواء . تخصيصاً للاضطراب الطفيف العارض الذي يشعر به المريض إثر تناوله بعض الأدوية .

أَنْشَجَر Ancre

وهو مِرْساة السفينة ، معرب ( لَنْكَر ) الفارسية . وبما ألاحظه أن الكلمة المعربة إذا لفظت بالميم المصرية وافقت لفظاً ومعنى الكلمة الافرنجية . وكذا الهَوَجَل - كالفَجُول - وهو أنجر السفينة .

عَنْصَ Angoisse

وهو ضيق الصدر ، وقد عنص كفرح عنوصاً . أما ( Anxiété ) فالضجر والملل .

مَنْزَقَة Anticoagulant

وزان مَفْعلة الدال على الذي يفعل ، من ( المنزف ) ، لتلك المواد التي تعمل ضد الإرقاء .

مَنْفَاء Antilaiteux

من ( السفاء وهو انقطاع لبن الناقة ) . وكذا ( مَنْصَعَة : من مَصَع لبن الناقة : ولتي ) ، خصصتها لما يقطع اللبن . بدلاً من كلمتي ( مَنْضَبَات اللبن ) . ومن مرادفات الكلمة الافرنجية : ( Agalactagogue ) .

مُشَرَّجَع Arrondi

وهو ما لا حروف لنواحيه . مثال : إذا كانت الحشبة مربعة فأمرته بنحت حروفها قلت : مُشَرَّجِعُهَا . ( العامة تقول : مَشْطُوف ) .

تخصيصاً لبعض الآلات والأواني الزجاجية التي 'تسرجع' أثلاً تجرح يد مستعملها . ومثلها ( 'مدَمَلِكْ ) من : ( حَجَرٍ وَسَهْمٍ مَدَمَلِكْ ، مستدير مخلّق أي ممّلس وهو المقتول المعصوب . [ والمصدر ، 'مَرَجَعْ Arrondir ] .

### Arthrite فُقّاس

وهو داء في المفاصل كما في القاموس <sup>(١)</sup> . بدلاً من كلمتي ( التهاب المفصل ) وبهذا يستفاد في وضع المصطلحات التالية :

Arthrite déformante ( ou sèhe ) 'فُقّاس مشوّه' ( أو جاف )  
بدلاً من ( التهاب المفصل المشوّه <sup>(١)</sup> ) .

Arthrite déformante juvénile 'فُقّاس مشوّه فتّوي'  
بدلاً من ( التهاب المفصل الفتوي <sup>(١)</sup> ) .

Arthrite fongeuse 'فُقّاس كَمَثِي'  
بدلاً من ( التهاب المفصل الكمثي <sup>(١)</sup> ) .

Arthrite du genou 'فُقّاس الركبة'  
بدلاً من ( التهاب مفصل الركبة <sup>(١)</sup> ) .

Arthrite sénile 'فُقّاس شيخوخي'  
بدلاً من ( التهاب المفصل الشيخوخي <sup>(١)</sup> ) .

Arthrite suppurée 'فُقّاس متقيّح'  
بدلاً من ( التهاب المفصل المتقيّح ) .

Arthritique ( diathèse ) 'فُقّامي' ( نَأْهَبْ )  
من الكلمة الآتفة . بدلاً من ( نَأْهَبْ 'فُقّامي' ) . انظر الكلمة التالية :

### Arthritisme فُقّاس

وزان فَعْل الدال على علة أو مرض أو حالة غير طبيعية . من

(١) والذي جاء في لسان العرب ( فقس ) : والـفُقّاس داء شبيه بالذئب ( البجّة ) .

( الكلمة الآنفه : 'ففاس' ) . أما ( 'قفص' ) التي يستعملها بعض الزملاء فهي ( داء في الدواب يُبيد قوائمها ) .

— B —

#### Ballonnement دَحْقَلَة

وهي انتفاخ البطن كما في القاموس . بدلاً من ( سَبَط ) الذي هو : آثار الجرح أو السياط بالبدن بعد البرء أو الآثار الوارمة أو هو انتفاخ البطن من أكل الذُّرَق ، والداء : ( حَبَاط ) . يرادف الكلمة الافرنجية ( Météorisme ) .

#### Bon de sortie 'فُرُوغ

من ( 'فَرَّغَ منه كمنع وسمع ونصر فروغاً : خلا ذرعاً . وتفرغ الظروف : إخلأوها ) يقصد من الكلمة : العوض الذي يأخذه من وافق على ( 'فُرُوغ ) مكانه لآخر دكاناً كان أو بيتاً أو أرضاً . فيقال : ( أخذ فلان فروغاً عن دكانه — مثلاً — عشرين ألف ليرة ) . وهو في رأي من السُّحَنَت أي الحرام ، وما خَبِثَتْ من المكاسب ، وضرب من الاعتصار والابتزاز . وحيداً لو اتُّخِذَ قانونٌ يمنعه ألبتة دفعاً للضرر وقطعاً للشر .

— C —

#### Capsule ( de coton ) بَيْلَم

وهو جوز القطن . ومثله ( عَفَازَة ) . وأما الحَبَّ فهو ( الفُرْزُوع ) كقنفذ ، و ( الحَبْسَة نُوج ) انظر : ( Grains de coton ) .

#### Chapeau melon أُرْصُوصَة

وهي قلنسوة كالبطيخة . بدلاً من ( قبعة كالبطيخة ) ، لما هو مشهور بهذا الاسم الفرنسي من القبعات .

#### Chanteuse رُنَم

وهن المغنيات المجديات .

#### Chaulage تَصْرِيح

من ( الصاروج وهو الجير ، وصرَّج الحوض جيره ) ، خصصتها لذلك العمل الكيميائي الذي تعالج فيه عصارة الليمون أو الشوندر ، بالجير في

صناعي حمض الليمون أو السكر أو الصناعات الأخرى بغية ترسيب المادة المطلوبة ، بحالة ملح كلسي أو معقد كلسي ، لفصلها عما يشوبها من المواد الأخرى الموجودة في العصاره .

Chèvre - feuilles أصابع الفتشيات<sup>(١)</sup>

وهي ريحانة تعرف بالفرنجمشك . و ( بالتركية : خانم ألي أي يد السيدة ، ويراد بها أصابعها تشبيهاً ) .

Clifoire مضخة

وهي قصبة في جوفها خشبة يرمى بها الماء ، كما في القاموس ، وهي التي يلعب بها الصبيان . وفي اليوم الحاضر أطلقت الكلمة العربية تعبيراً على الآلات الحديثة التي تنضج بها المياه لما يقابلها بالافرنجية ( Pompe ) .

Col étroit ( flacon au ) محزوقة العنق ( قارورة )

أي ضيقة العنق من ( حَزَقَ الشيء : عَصَرَهُ وضيقه ) ومنه : إبريق محزوق العنق ضيقها ( ومثلها بالفرنسية : étranglé ) .

Combinaison<sup>(٢)</sup> قرقل

وهو قميص للنساء لا كُمِّي له ( جمعه قراقل ) . فنَصَّ القاموس صريح ، لاتخاذ الكلمة العربية لما تتبدل به النساء في مباحثهن : من الثياب

(١) وفي معجم الألفاظ الزراعية : صرعة الجددي وسلطان الجبل ( اللجنة )

(٢) والذي جاء في تعريف Combinaison انه الثوب للركب من القميص والسروال ممّا يلبس تحت الثياب ، وإن كان المراد القميص بلا كمين ففي العربية ما هو أخف وألطف من قرقل مثل الإنب والثوذر والعنقة والصدار كما جاء في لسان العرب .

( اللجنة )

الرفيقة الذسبج العديّة الكمّين . وكذا ( الشفّ ) ويكر : الثوب الرقيق وهو مارق فحكى ما تحته . و ( الشفّشاف ) مثله كذلك . وكذا ( الهفّفاف ) وهو من القمصان ، الشفّاف . والقرقل أخص .

### Combustible حَرُوق

وزان فمول ، لكل ما هو قابل للإحتراق . فإذا استعملت الكلمة الافرنجية بالجمع ( Combustibles ) فيقابلها ( وقود ) ، بدلاً من ( المحروقات ) .

### Confiné ( air ) زَهيم ( هواء )

من الزَهيم والزُهيم والزُهومة وهي رائحة الجسد من صُمان أو نَتْن . انظر ( miasme ) .

### Corbeille à ouvrage مَشْبَعَة

قُبَّة للمرأة لقطنها ونحوه . ومن مرادفات الافرنجية Panier à ouvrage .

### Corset أُضْخُومَة

( وكذا أعظومة ) وهي 'عظامة المرأة أي ما تعظم به عجيزتها' (١) .

### Couronne de fleurs رُعْلَة

وهي الإكليل من ريجان وآس . بدلاً من ( اكليل من الزهور أو الورود الخ . ) ففي كلمة ( رُعْلَة ) ما يُغني عن الوصف بإضافة كلمة الزهور أو الورد الخ .

### Crakage ( = craking ) تَبْعِيض

من ( بَعْضه تبعضاً : جزأه فتبعض : تجزأ ) ، وبعض ' كل شيء ' ، طائفة منه ، كما في القاموس ) وهي أكثر ملاءمة من ( تحطيم ) من ( حطمه فتحطّم : تكسّر وتهشّم ) . ومن ( تكسير ) من ( كسره

(١) الذي يقابل Corset هو المشد المستعمل في بلادنا وهو أصبح وأدل على المعنى لأد المفرد بها الهيف والنحول لا الضخامة وتنظيم الأرداف ، ( اللجنة )

فتكسر وتهشم) . فليأ فيها من معنى الجزء وطائفة من الكل ، خصصتها للعمل الذي يتم به تجزئة الذرات الثقالة [وعلى وجه عام ذرات الفتحشورات (= الفجوم الهدرجينية) العالية الفحم من ٢٠ فصفاً فأكثر] الى فحمورات أبسط بنية ، وهي بعض من كل ، وذلك على نمطين : نمط الصفحة الغازية ، ونمط الصفحة المائعة ، فتقول مثلاً : تبعيض البترول أي تجزئته الى فحمورات ذوات ذرات أبسط مما كان يحتوي عليه من الفحمورات ذوات الذرات الضخام .

#### Croc - en - jambe نَسَفَة

من التسنّف في الصراع : أن تقبض بيده ثم تعرّض له رجلك فتعثره . وكذا ( الشغريّة : اعتقال المصارع رجله برجل آخر وصرعه اياه ) والعامّة تقول ( شَقْلَبَة ، إبدالاً ) . ومثلها ( الشغريّة ، بالزاي ) . أما ( الشّرّص ، في الصراع فهو أن يضعه على وركيه فيصرعه ) .

#### Cryoscopie قياس الجوس

الجوس هو الجود وأكثر ما يستعمل في الماء ، وليلة "جاسيّة" باردة" يجبّس فيها الماء . أما الكلمة الافرنجية فهي من اليونانية Kruos = برّد ) و ( skopein = اختبار ، فحص ) . وقياس الجوس : طريقة في الغيزاء لاختبار نقطة جوس المحلولات ( point de congélation ) على وجه عام .

#### Cure de sudation إستحناف

من ( إستحنف ، اضطجع في الشمس ليعرق ) بدلاً من ( معالجة بالتمريق ) .

#### Cymbale وكن

وهو الصنج الذي يُضرب بالأصابع ( القاموس ) .



# شيخ شيوخ حماة

## الشرف الأنصاري

(٥٨٦ - ٦٦٢ هـ = ١١٩٠ - ١٢٦٤ م)

حياته وآثاره

سراجل حياته

في دمشق الفيحاء ، وفي درب الكشك ، أحد أحيائها القديمة ، ولد الشاعر الكبير شيخ شيوخ حماة ، ورئيسها صاحب شرف الدين (١) ، أبو محمد ، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف ، المعروف بـ « ابن الرفاء » ، ضحى الأربعاء في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة ٥٨٦ هـ .

وهو عربي صميم من قبيلة أوس الأنصارية ، وكانت تسكن كفر طاب (٢) مع سكانها من بهراء وتنوخ ، وقد أشار إلى نسبه في شعره بقوله :

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٥ ص ١٠٨ ، وابن شاکر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ ، وأبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ٢٣١ ، وابن تقي بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٢٣١ ، والنهل الصافي (مخطوط) ج ٢ و ٣٢٩ ، واليويني : ذيل سرآة الزمان (مخطوط) و ١١٩ ، وأبو الفداء : المختصر ج ٤ ص ٣ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ص ١٠٣ ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٠٩ ، والسيوطي : بشية الوعاة ، ج ٣ ص ٣٠٩ ، والصابوني : تاريخ حماة ص ١٣١ .

(٢) كفر طاب : ذكر ياقوت أنها بلدة بين المعرة وحلب في برية معطشة ، وأهلها ليس لهم شرب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج (معجم البلدان ج ٤ ص ٤٧٠) .

وإذا ما الأوس عدوا فلاني من ذوهم في لباب اللباب<sup>(١)</sup>  
هاجت الروم والفرنجية هذه المدينة ، فشتتت شمل سكانها ، إذ أخرجتهم  
من ديارهم ، فانتقل أبوه إلى دمشق ، وجمع بين عمله التجاري في سوق  
الخواصين ، والنيابة عن ضياء الدين بن الشهرزوري في القضاء والأوقاف  
سنة ٥٨٢ هـ ثم انتقل أبوه بعد ذلك إلى حماة ، وولي نظر أوقاف الملك  
المنصور الأول بطلب منه ، وكان في الوقت نفسه ناظر أوقاف الخليفة  
العباسي . يؤكد ذلك قوله للرشيد المصري القائم على وزارة ماله لما امتنع  
عن الحضور عنده : « وهذا ليس لك عليه اعتراض ، ولا رايته إلا بالإكراه  
ليكون ناظر أوقاف الخليفة ناظر أوقافي »<sup>(٢)</sup> .

يؤكد هذا الخبر أنه انتدب من قبل الديوان العزيز ببغداد لعقد نكاح  
بعض ممالك الخليفة على بعض جواريه : فارتجل بديهاً أمام الحاضرين خطبة  
من روائع خطب العقود<sup>(٣)</sup> ، إذ المعروف عنه أنه كان ماهراً في الخطابة  
والترسل ومطبووعاً على نظم الشعر . وقد حاول أن يدرب ابنه عليه بتلك  
المطارحات الشعرية الجميلة منذ نعومة أظفاره .

وكان شرف الدين معجباً بأبيه ، وقد أشار إلى جلالة قدره وكريم محتده  
في معرض قوله يفتخر به :

|                        |                                      |
|------------------------|--------------------------------------|
| نُفِرْ كالحر المستنفر  | أجفلت هاربة من قسورة                 |
| طلبوا مأوي ولما يلحقوا | بعد لأي من غباري أثره                |
| من يسألني أسأله ومن    | رام حربي فإليه المئذنة               |
| وأبي من قد علمتم قدره  | بجهر بالخطبة المسحنفرة               |
| من يشاجره يصادف قومه   | جل من بايع تحت الشجرة <sup>(٤)</sup> |

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٨ .

(٢) اليوناني : ذيل سرآة الزمان ( مخطوط ) و ١٣٨ .

(٣) اليوناني : ذيل سرآة الزمان ( مخطوط ) و ١٤١ .

(٤) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٥ .

في مملكة حماة الأيوبية وفي بيئتها العلمية التي ازدهرت في عهد ملوكها من أحفاد الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين ، وفي عصرها الذهبي خلال حكم أكبر ملوكها المنصور الأول ، الأديب العالم الذي سمع الحديث في الإسكندرية عن الحافظ السلفي ، وصاحب التأليف المشهورة ، نشأ شرف الدين فاستكمل علومه الدينية والأدبية بإشراف والده ، وقرأ القرآن الكريم برواياته المختلفة ، واشتغل بالأدب على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي ، وسمع منه كثيراً (١) ، حتى إذا نال قسطه من العلوم والمعرفة ، شرع يرتحل مستزيداً من ثقافته وعلمه ، والتقى بمشايير العلماء في عصره ، نذكر منهم شيخه سيف الدين الآمدي وكان يلقبه (٢) . كما ذكر ابن شاکر أن والده رحل به ، وأسمعه جزء ابن عرفة من ابن كليب وأسمعه المسند كله من عبيد الله بن أبي الجعد الحرابي (٣) .

نظم الشاعر في بعض رحلاته عن حماة في أيام صباه قصيدة ، صور نفسيته ووصف طموحه الى الجهد والمعالي :

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| أأمل كتمان الهوى وهو واضح     | ودمعي يوم البين بالسر بائع    |
| لعمري لقد حاولت ما لا أناله   | كما حاولت إمساك قلبي الجوارح  |
| لعل بعادي عن حماة يعيدني      | تخاف السطى مني وتُرجى المنايح |
| لأهزم جيش المال وهو عرمم      | وأدفع صدر الخطب والخطب فادح   |
| على أنني قد كنت فيها مكرماً   | تراع لكراتي القروم الجحاح     |
| مقياً برقع الدبر جسمي وصحبتني | وقلبي برقع القصر غاد ورائع    |

(١) البونيني : ذيل سراًة الزمان ( مخطوط ) و ١١٩ ، وابن شاکر : فوات الوفيات ،

ج ١ ص ٣٦٥ .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الصرف الألباني ، ل ٩ .

(٣) ابن شاکر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ .

يخرج أشجاني به كل ليلة وتصرفني عما يقول النواصح  
بدور من الباب المصرع <sup>١</sup> طلع ومسك من الباب المصرع فائع <sup>(١)</sup>  
كان سعيداً في حماة خلال سني طفولته وصباه ، فأبوه قاضي قضائها  
يثقفه ويرعاه ، وكانت ملامح النجابة تلوح عليه منذ صغره ، فاعب الغرور  
نفسه في مثل هذه السن المبكرة .

صحب والده فزار بغداد وغيرها ، وسمع فيها عن مشاهير علمائها  
ومحدثيها ، وعاد إلى بلاد الشام ، وتنقل في أرجائها فترة من الزمن ، وأثر  
عنه أنه حدث بدمشق وحماة والقاهرة ، وانتهى به المطاف إلى بعلبك  
فأقام فيها وقتاً قصيراً ، تخرج على يديه تلامذة كثر ، منهم تلميذه ابن  
الموفق البعلبكي وكان يكاتبه <sup>(٢)</sup> ، ويظهر أنه ترك في هذه المدينة القديمة  
صدافات وثيقة استمرت مدى حياته .

لم تطل إقامته فيها طويلاً ، فرجع إلى حماة واستقر فيها نهائياً ونسب  
إليها ، ولقي الإقبال عليه والنشجيع من ملوكها ، فنبه شأنه ، وسار ذكره  
في الأفاق ، فأمه طلبة العلم ، وغدا كعبة القصد ، يذلفون إليه ليمانوا منه  
الإجازة من مختلف الأقطار والأمصار ، نذكر منهم : الدميضطي ،  
وأبا الحسين ، وابن الظاهري ، وبدر الدين بن جماعة ، وعز الدين بن القاضي  
الفاضل ، وسبط ابن الجوزي ، وغيرهم كثير ، وكان بعضهم أكبر منه سناً ،  
وقد عده الأقدمون من أذكىاء بني آدم المعدودين <sup>(٣)</sup> .

كانت منزلته العلمية في صعد مستمر : فأصبح يدعى بشيخ شيوخ حماة  
بجانب والده الذي كان قاضي قضائها ، فاحترمه ملوكها ، ونظروا إليه

(١) البونيني : ذيل مرآة الزمان ( مخطوط ) و ١٣١ .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ١٣ .

(٣) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ ، والسبكي : طبقات الشامية ،

نظرة الإجلال والتقدير ، فاعتمدوا عليه في توطيد أركان ملكهم ، واستشاروه في كثير من أمرهم ، لأنه كان مستقيماً في سيره .

مدح الشاعر الملك المنصور الأول بمدح كثيرة ، فهو وزيره وشاعره ، ولما ولدت له زوجته ولده محموداً ، لم يقتصر على مدحه بل مدحها بقصيدة مستقلة . وذكر في عنوانها « وقال يمدح الملكة عصمة الدين مهنناً » :

|                                |                              |
|--------------------------------|------------------------------|
| يا عصمة الدين والعليا والحدود  | لك الهناء بعز غير محدود      |
| يا من غدت خير أملاك الزمان لقد | ولدت ملك البرايا خير مولود   |
| ظفرت بالحمد منا إذ أتيت به     | مظفراً من بني أيوب محمود     |
| وإني يبشر من ميلاد إخوته       | في إثره بالملوك السادة الصيد |
| فدام في ظلك الضافي ودمت له     | ونلت منه وفيه كل مقصود       |
| وإن يكن جاء بعد العيد مولده    | فإننا كل يوم منه في عيد (١)  |

مات المنصور الأول واضطرب أمر الملك من بعده ، فاستولى الملك قَلج أرسلان على زمام الحكم سنة ٦١٧ هـ بمساعدة خاله الملك المعظم صاحب دمشق وهو ليس بصاحب الحق الشرعي ، ذلك أن أخاه المعهود إليه بالملك كان غائباً بمصر في زيارة خاله الملك الكامل ، ولما عاد لتسلمه حذره وخوفه من التعرض لأخيه ، لكن المظفر الثاني لم يكف عن المطالبة بحقه فحاصر حماة بمساعدة عمه ، وراسل حكامها خفية ، وافق معهم أن يفتحوا له باب النصر في وقت السحر ، فتم له ما أراد ، ودخل المدينة مظفراً وتربع على عرش الملك سنة ٦٢٦ هـ .

كان الشاعر من أنصاره ، وكان على رأس المهنتين ، فمدحه بقصيدة جاء فيها قوله :

تناهى إليك الملك واشتد كاهله وحل بك الراجي فحلّت رواحه

ألا هكذا فليمنع المجد مانع      ألا هكذا فليبذل الرفد باذله  
 سبقت إلى ورد العلا كل سابق      فما زال إلا فضل ما أنت ناذه  
 إذا فاعل رام ارتفاعاً بفعله      ففعلك مرفوع لأنك فاعله  
 أبرقني الدين جوداً وسودداً      فتمت عطاياه وقت فضائله  
 فما لبني أيوب ملك مساجل      ولا في بني أيوب ملك يساجله<sup>(١)</sup>  
 تؤكد هذه القصيدة أن الشاعر كان غير راض إطلافاً عن حكم الملك  
 المقتصب حق أخيه ، فمارضه وناهضه حتى عاد الحق إلى نصابه وكان  
 هذا الحدث فاتحة عهد جديد في حياته .

اختاره المظفر الثاني ليلي وزارقه ، ويسوس أمور الملك بما عرف عنه  
 من رجاحة العقل وأصالة الرأي وطيب الاحدوثة ، فدحه بقصائد كثيرة ،  
 نذكر منها تهنئته بميلاد ولي عهده المنصور الثاني ، وجاء فيها قوله :

غدا الملك محروس الذرا والذواعد      بأشرف مولود لأكرم والد  
 ملك ثمنته الممالك حقبة      فأرقي عليها مرغماً كل حاسد  
 حبيننا به يوم الخميس كأنه      خميس بدا للناس في شخص واحد  
 وصميته باسم النبي محمد      وجديه فاستوفى جميع المحامد  
 كافي به في سدة الملك جالسا      وقد ساد في أوصافه كل سائد  
 ووافاك من أبنائهم وبنيهم      بأنجم سعد نورها غير خامد  
 ألا أها الملك المظفر دعوتي      سيوري بها جدي ويشدد ساعدي  
 هنينا لك الملك الذي بقدمه      ترحل عنه - كل هم معاود<sup>(٢)</sup>

يتضح لنا بما تقدم أن شرف الدين كان مكين الصلة بالأميرة الأيوبية  
 الحاكمة ، وهو في الواقع القاعدة الراسخة التي أقيمت عليها دعائم هذا

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ل ٢٥ ، ٢٦ .

الحكم المستقر بحياة ، وهو في غيرها يعتوره الاضطراب والتقلب حتى زال نهائياً ، وبقي وحده في حماة خلال عصر سلاطين المماليك .

تناكد هذه الحقيقة فتبدد جليلة حين موت الملك المظفر ، وكان ولي عهده المنصور الثاني حدثاً غراً لم يتجاوز العاشرة من عمره وتبعه الأنظار إلى إقامة أوصياء على الحكم ، ويمر الأمر بسلام ويكون الإجماع على الشاعر ليكون الرأس المدبر لهذا المجلس الذي أقامته أم المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل ، وأما سائر أعضائه فهم الوزير بهاء الدين بن التاج ، والطواشي مرشد ، وسيف الدين طغرل . تربع المنصور على عرش ملكه بعد بلوغه سن الرشد ، وساد الأمن والاستقرار في ربوع المملكة ، حتى إذا ماتت غازية خاتون برز الخلاف على أشده بين الملك وأخيه الأفضل ، فعزم على أن ينتزع عن حماة ، ويغادر أخاه ، بيد أن شرف الدين تدارك بحكمته هذا الخلاف ، فاجتمع بهما ، وأزال ما كان عالقا في خاطريهما من سوء وعادت الأمور على خير مما كانت ، وساد ملك حماة السلام والوثام بين الأخوين .

كان المنصور يحب وزيره الشاعر ، وكانت تربطه به صلة من الصداقة ، فقد كتب إليه مرة يعاتبه فأجابه قائلا :

|                              |                                         |
|------------------------------|-----------------------------------------|
| برق مرى من غوادي جلق فغدا    | لنوره مثل قدح النار في كبدي             |
| أهدى إليّ عتاباً من مليك هدى | أرق من والد يخنو على ولد                |
| مولاي عتبك محمول على كبدي    | وترب رحلك مقدي بذات يدي                 |
| أودى بجوهر لفظي بعدكم مرض    | أفنى الذي أبقث الأيام من جلدي           |
| وسار في ركبكم قلبي وذبت ضنى  | فأعجب لروح بلا قلب ولا جسد              |
| حتى أتانيّ سال ، رد لي فرحي  | فرحت أرفل في أفواه الجدد <sup>(١)</sup> |

أسهم شرف بما له من مكانة في توطيد الصلات بين ملوك مصر والشام على السواء ، إذ كان أبعد نظراً من هؤلاء الذين كانوا يثيرون الخصومات ، ويرون ضرورة استقلال كل ملك ببلده ، ويود لو عادت الوحدة السياسية كما كانت في زمن مليكها صلاح الدين وأخيه العادل سيف الدين ، ولهذا السبب كنا نراه يتردد على دمشق والقاهرة في مهمات ملكه المنصور . يؤكد ذلك أنه سافر إلى القاهرة صحبة الملك الناصر سنة ٦٤٨ هـ ، وأغلب الظن أن سفره كان بسبب الخطر الداهم بعد استفحال أمر التتار القادمين من الشرق ، والذين بانوا يهددون معالم الحضارة الإسلامية في بلاد الشام بعد أن طرقت أبواب بغداد . ولم تمر أعوام معدودة حتى حدث ما كان في الحسبان ، فأحرقت بغداد ، واكتسحت جيوش هولاكو الغازية أرض الشام بعد عام واحد من سقوط بغداد .

فر الملك المنصور إلى مصر بجزء من أولاده ، وطلب نجدة السلطان قطز ، فلم يطلبه ، وخرج على الفور معه ، إذ بات الخطر يهدد مصر نفسها ، وهكذا التقى الجمعان ، وولى التتار الأدبار ، ولانوا بأذيال الفرار ، وهرب معهم خسرو شاه عامل هولاكو على حماة ، وعاد المنصور إلى ملكه ، فأقبل عليه شاعره شرف الدين مهنتاً ومادحاً :

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| رعت العدا فضمنت تل عروشا    | ولقيتها فأخذت قل جيوشها     |
| نازلت أملاك التتار فأنزلت   | عن فحلها قسراً وعن أكديشها  |
| فعدا لسيفك في رقاب كمانها   | حصد المناجل في بييس حشيشها  |
| رويت أكباد القنا بدمائهم    | لما أطال سواك في تعطيشها    |
| أقدمت مقتحمات على نشايها    | تكسو الجياد رياشها من ريشها |
| دارت رحى الحرب الزبون عليهم | فغدت رؤوسهم حطام جديشها     |



وطوبت عن مصر فسيح مراحل ما بين بركتها <sup>(١)</sup> وبين عريشها  
حق حفظت على العباد بلادها من رومها الأقصى الى أحبوشا <sup>(٢)</sup>  
وذكر هذه الموقعة الهامة الفاصلة في التاريخ الإسلامي ، في مدحة  
ثانية ، جاء فيها قوله :

محمد خير ماجد يقظ يرضى هداة محمد القرشي  
صادم جيش التتار مفتحاً وأجشأت نفسه ولم تجش  
لما طغى كبشه تعمده فصير الرأس منه في الكرش  
فأسلموا الشام بعد ما طعموا في ملك أرض الحجاز والحش <sup>(٣)</sup>

كما كان يترسل إلى الخليفة في بغداد وغيره من ملوك الأقاليم ، وكان  
مؤثماً ومحبوباً لدى الجميع لنبل أخلاقه وسمو مقصده ، وكانت له صداقات  
شخصية تربطه بكثير من عرفهم من ملوك عصره ، نخص بالذكر منهم  
الملك الناصر والملك الأجد وغيرهما . وكنا أثرنا إلى أنه توجه إلى مصر  
صحبة الملك الناصر ، وكثيراً ما كان يرأسه ويكتب إليه بخطه رسائل  
يضمنها بعض شعره الذي ينظمه في مدحه ، وكان في بعض الأحيان يوفد  
إليه رسولا يستدعيه ليقم عنده بعض الوقت ، كما حدث ذلك عندما توجه  
إلى حلب وعمان .

حدث ذات مرة أن توجه الناصر إلى حلب ، فأرسل إليه كاتبه  
يستدعيه للقاءه فحضر إليه ، وأقام عنده ، ثم عزم على العود إلى حماة  
لخدمة مولاه ، فخرج الملك الناصر لوداعه ، فلما أبعد عن البلد أقسم  
شرف الدين عليه فأنشده :

(١) بركتها : نظن أنها بركة الحبش ، وهي أرض في وهدة من الأرض واسعة طولها

نحو ميل ومعرفة على نيل مصر خلف الغرافة ( معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٠١ ) .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الصرف الأنصاري ، ل ٤٣ ، ٤٤ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٤٣ .

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدمكم عدم  
 فأجابه شرف الدين ببیت آخر من قصيدة المتنبي نفسها :  
 إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم  
 فقال له : « والله لتعودن » فرجع وأقام عنده عشرين يوماً أخرى<sup>(١)</sup> .  
 تلك هي حياة الشاعر الوزير ، مرت يهدوء وسلام فأجبه الناس ،  
 واصطفاه الملوك لأنفسهم ، ولم يعرف أنه أساء إلى إنسان أو انتقم منه ،  
 ولم يعرف عنه أنه اضطهد أو عزل من أحد مناصبه خلال حياته المديدة  
 التي عاصر فيها معظم الملوك للأيوبيين في حماة ، وشملت في الوقت نفسه  
 شطرين من تاريخ الأيوبيين والمماليك على السواء .  
 استمر في عمله مدى حياته حتى أيام المظفر الثالث ، فوافته منيته  
 ليلة الجمعة الثامن من رمضان سنة ٦٦٢ هـ ، ودفن بظاهر حماة في القربة  
 الخاصة التي أعدها قبيل موته .

### آثاره الأدبية

نظم شرف الدين في حياته الشعر الكثير ، وقد عرف الأقدمون غزارته  
 فأشار إلى ذلك قطب الدين اليونيني بقوله : « وللشيخ شرف الدين أشعار  
 كثيرة لا يحصها ديوان ، وكان من حسنات الدهر ومحاسنه »<sup>(٢)</sup> .  
 أشار الأقدمون إلى وجود ديوان له ، فذكر ابن حجة أنه رآه واختار  
 منه زاوية أنحف بها خزانته<sup>(٣)</sup> ، وذكر ابن نباتة المصري أنه اختار منه

(١) ابن تيمري بردي : النهل الصافي ( مخطوط ) ج ٢ و ٢٣٠ .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ( مخطوط ) و ١٣٨ .

(٣) ابن حجة : الخزائن ، ص ٢٥٦ .

جملة ، وصنفها في مجموع خاص<sup>(١)</sup> . توجد من هذا الديوان نسخة مخطوطة نفيسة بخط الشاعر نفسه في مكتبة بابا زويد في استنبول ، ولكنها لا تجمع أشعاره الكثيرة ، إذ ثبت لدينا أن الشاعر أسقط منها قصائد كثيرة ، بل أنه أهمل إيراد حتى بعض الأبيات التي لم ترقه ، أو التي تحمل طابع المبالغة ، وهي مرتبة بحسب الحروف الأبحدية .

أشار الصفدي إلى وجود ديوان آخر له ، فذكر « أن له في لزوم ما لا يلزم مجلداً كبيراً<sup>(٢)</sup> » ، بيد أننا لم نهند إلى مكان وجوده . وأغلب الظن عندنا أن قصائد هذا الديوان موجودة في الديوان الأول المار ذكره ، وآية ذلك أننا لاحظنا كثرة اللزوميات فيه بشكل يستدعي الانتباه ، حتى إنه كان في معظم الأحيان يشير إلى كل لزومية واردة فيه ، ويكتب الحرف الذي التزم في القافية بالإضافة إلى الروي .

يضاف إلى ما ذكرناه أن الشاعر نظم هذه اللزوميات - على الأغلب - في أواخر حياته ، وأن معظمها يدور حول المعاني الذاتية التي عبر بها الشاعر عن نفسه وأحواله .

ثمة مؤلفات أخرى للشاعر ، أشار صاحب كشف الظنون إلى اثنين منها : أولهما « نظرة المشوق إلى وجه المشوق »<sup>(٣)</sup> ، وقد ذكر الزركشي أن العكس في التسمية أولى كما يتبادر ، وثانيها « تذكارات الواجد بأخبار

(١) ينظر في كتابنا ابن نباته المصري ، ص ٢١٩ ، وقد طبعته دار المعارف بالقاهرة

في سلسلتها الدورية ( مكتبة الدراسات الأدبية ) سنة ١٩٦٣ .

(٢) ابن شاطر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٢٨٩ .

(٣) حامي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ص ١٩٦٠ .

الوالد» ، وهو منظومة تحدث فيها عن والده وشيوخه ورحلته (١) ، وقد أورد قطب الدين اليونيني شيئاً منه في ترجمة والده ، وأشار إليه بقوله : «وقفت على كتاب جمع فيه الشيخ شرف الدين المذكور أشياء من أخبار والده» (٢) .

كما أن المصادر القديمة كذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات وخزانة الأدب وغيرها أوردت في معرض ترجمته نماذج كثيرة مختارة من شعره ، بعضه بما لم يرد في الديوان .

الدكتور محمد موسى باشا



(١) حاشي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ص ٣٨٢ .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٣٨ .

# أغلاط المنجد

- ١ -

في قسم الأدب والعلوم من « المنجد » أغلاط وهنات كثيرة هاكم بعضها :  
جاء في الصفحة ١٥ قوله « الأرموي » عبد المؤمن موسيقي البلاط  
وأمين المكتبة للمعتصم ، دخل في خدمة هولاغو بعد فتح بغداد ، توفي  
سنة ١٢٩٤ ، من مؤلفاته : الأدوار والإيقاع .

ولقد تقيمت بنقل هذه النبعة لأقابلها بنبعة أخرى وردت في الصفحة  
٣٠٦ وهي قوله :

« صفى الدين عبد المؤمن البغدادي من شعراء العرب الذين اشتغلوا في  
درس الموسيقى ، كان من مغنمي وندماء الخليفة المستعصم نحو ١٢٨٥ م  
له « كتاب الرسالة الشرقية في النسب التأليفية » والأدوار و « في علوم  
العروض والقوافي والبديع » .

ويستبين من ذلك أن البندين لعلم واحد ، وكلتاها تشتمل على عدة  
أخطاء ، عدا إهمال الضبط والدقة ، وذلك على ما يلي :

١ - ورد في الصفحة ٥٠٢ قوله « المعتصم بالله الخليفة العباسي الثامن »  
فبين أن عهده في سنة ٧٩٥ - ٨٤٢ .

٢ - وفي الصفحة ٥٥٧ عند ذكره هولاغو يبين أن عهده سنة ١٢١٧ - ١٢٦٥ .

٣ - وبوفاة الأرموي سنة ١٢٩٤ هـ يكون قد بلغ من العمر ٤٥٢ سنة  
إذا قابلناها بوفاة المعتصم سنة ٨٤٢ .

٤ - وقوله أنه « اي الأرموي » من نداء الخليفة المستعصم صحيح ،  
وأما الخطأ ففي قوله الرسالة الشرقية ، بالقاف المثناة . والصواب الرسالة

الشرقية بالفاء الموحدة ، نسبة للأمير شرف الدين هارون الجويني تلميذه « أي تلميذ الجويني » .

والعالم الموصوف هنا هو صفى الدين عبد المؤمن البغدادي الأرموي نسبة لأرميا .

وفي ص ٢٢ عند ذكر أسماء بنت أبي بكر الصديق ، قال « لقيت ذات النطاقين لأنها شقت زنارها قطعتين لتحمل قربة الماء وكيس الخبز الى محمد وأبي بكر عند الهجرة .

وفي هذا النص تحريف ، وذلك ان الرواية الصحيحة تقول « وأنتها «أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بسفرتها ونسيت أن تحمل لها عصاماً . فلما ارتحلت ذهبت لتعلق السفرة ، فاذا ليس فيها عصام فتحل نطاقها ، فتجعله عصاماً ثم علقها به ، فكان يقال لأسماء ذات النطاق أو ذات النطاقين . قال ابن هشام : سمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ( ذات النطاقين ) وتفسيره انها لما ارادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر (١) .

فترى في هذه الرواية أن لا ذكر لكيس الخبز أو قربة الماء ولا للزنار ، بل ذكرت السفرة ، والسفرة بضم السين . سكون الفاء وفتح الراء ، طعام يتخذه المسافر .

وفي ص ٢٧ عند ذكر أمية بن أبي الصلت قال « أشاد بدين يسميه الحنفية » وفي الصفحة ١٣٠ عند ذكر الجاهلية قال « وهناك بدعة دينية من الموحدين تعرف بالحنفية ، وهذا خطأ والصواب الحنيفة ، ثم ان الحنفية لم يسمها ابن أبي الصلت ، وليست بدعة ، بل هي دين ابراهيم الخليل عليه السلام ، وكان الحنيف في الجاهلية يحج البيت ويقتسل من الجنابة ويختتن فلما جاء

الإسلام كان الحنيف المسلم ، وقيل حنيف لمدوله عن الشرك واعتزاله الأصنام .  
« ما كان ابراهيم ' يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان  
من المشركين » الآية ٦٧ من سورة آل عمران .

وفي ص ٣٢ يقول عند ذكر ألف ليلة وليلة ، ان شهرزاد تحكيها على  
أمير المؤمنين . وزاد على ذلك صورة عرفها بأنها صورة شهرزاد ودنيازاد  
في حضرة أمير المؤمنين .

ولا أعلم وجهاً يبيح المؤلف أو لغيره اقحام أمير المؤمنين ؛ وهو  
لقب الخلفاء ؛ في موضوع ألف ليلة وليلة ، المعروف من صراحتها أن  
شهرزاد كانت تقصها على شهریار الذي كان يتحظى كل ليلة بجارية ثم يأمر  
بقتلها ، حتى جاءت شهرزاد فأنقذت بقصصها المتسلسلة أترابها من الهلاك ،  
وشهریار ملك اسطوري كما هو معروف ومثله شهرزاد ودنيازاد !

وفي ص ٥٩ يقول عند ذكر باسيل بن اسطفان « في هايولا علاج الطب »  
ولما رأيتني عاجزاً عن ادراك فهم هذا الطلمس ، فقد استوضحت أهل علم  
الطب عن مؤلف بهذا الاسم ، فإذا عجزهم يفوق عجزني . وظل كتاب  
« هايولا علاج الطب » اعقد من ذنب الضب ، ولعله يقصد الهيولا ، وللفلاسفة  
مؤلفات في الهيولا .

وفي ص ٦٦ عند ذكر البحرين ، يقول ، اسم قديم لإقليم الحسا ، خطأ ،  
والصواب الأحساء ، « بفتح الألف وسكون اخاء بعدها الف بمدودة فهمزة »  
والأحساء جمع حسي « بكسر الخاء وسكون السين بعدها ياء مثناة » .  
والحسي الرمل المتراكم اسفله جبل صلد فإذا 'مطر الرمل تشيف ماء المطر  
فإذا انتهى الى الجبل الذي أسفله أمسك الماء ومنع الرمل ' حر الشمس ان  
ينشف الماء فإذا اشتد الحر نثب وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع بارداً  
عذباً ، اللسان ح س ا .

وفي البادية احساء كثيرة ، احساء بني سعد ، واحساء خرشاف ، واحساء القطيف وهذه هي المفصودة هنا .

وفي ص ٦٦ يقول بجيرا ويضبطها بضم الباء وفتح الحاء وسكون الياء المثناة خطأ ، والصواب بفتح الباء وكسر الحاء ، ثم يقول ، انه راهب قيل انه كان على مذهب النساطرة ، وكان يتعاطى النجامة والسحر ، فحرمه رئيسه وطرده فسار حتى وصل الى جزيرة العرب فابتنى له صومعة على طريق القوافل ، وكان يدعو العربان إلى التوحيد . وهذا بيان لا يسلم إلا بتفنيده على الوجه التالي ، لما ورد في الأخبار الصحيحة من ذكر بجيرا في تاريخ حياة الرسول ﷺ :

١- ليس القول « قيل انه كان » مما يعتمد عليه في مثل هذه الرواية ، فكان يجب أن يذكر ما اعتمد عليه من المصادر الموثوق بصحتها .

٢- وقوله « انه كان على مذهب النساطرة وكان يدعو العربان إلى التوحيد » تخريج غريب وما نعلمه ان مذهب النساطرة هو التثليث فكيف يصح التوفيق بين التثليث والدعوة الى التوحيد ؟ !

وليس هاما بعد أن استرسل في « ماهية » مذهب النساطرة ، ولكن الهام هو أن التوفيق جانب هذه الرواية البعيدة عن الدراية ، بغية الايهام والتشكيك ، وحقيقة خبر بجيرا في المصنفات الصحيحة هو انه كان قد استضاف ركب تجار قريش في بصرى من أرض الشام وفي الركب أبو طالب ابن عبد المطلب يصحبه ابن اخيه محمد بن عبد الله وكان حدثا ، فلما تفرس فيه بجيرا قال لعمه ، انه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، ثم حذرره عليه من يهود .

وقوله النجامة خطأ والصواب الننجيم وصاحبه النجّام والمنجّم .

وفي ص ٩٢ عند ذكر بيالة باشا ، يقول ، وزير مع ثلاثة أذئاب جواد خطأ ، فانه ليس معقولا أن يكون جواد بثلاثة أذئاب ، والا فذلك من



الخوارق العجيبة ، وللفادة ، والتصحيح ما ورد من البيان بهذه النبذة اقول :  
انه لما كان السلطان يخص أحد المرموقين برتبة ما أو يتولى الوزارة كان شعارها أو طرازها خصلة أو اثنتين أو ثلاثاً من أذئاب الخيول ، وكانت تسمى « طوخ » وكان التقليد الرسمي ان صاحب الرتبة لما يزائل منزله إلى عمله الرسمي أو العثول بين يدي السلطان كان يخرج فارساً ويواكبه تابعه حاملاً سارية يحملوها الشعار ، وقد ألغي هذا التقليد من المملكة العثمانية بعد ابتكار الأوسمة .

وفي ص ١٢٠ عند ذكر ثقيف ، يقول قبيلة عربية اسمها قسي ، خطأ ، والصواب ، ان اسم القبيلة ثقيف . وقسي كنية ، وثقيف حي من قيس وقيل أبو حي من هوازن واسمه قسي ، هذا ، وليس في العرب قبيلة بامم قسي ، وقسي لقب ثقيف ، لأنه مر على أبي رغال وكان مصداقاً فقتله فقتل قسي قلبه فسمي قسيًا ...

وفي ص ١٣٤ عند ذكر جذية ، يضبطها في ثلاثة مواضع بضم الجيم وقتع الذال بصيغة التصغير خطأ والصواب بفتح الجيم وكسر الذال وزان كريمة وقديمة ، ويقول ابن الأبرش ، خطأ ، والصواب جذية الأبرش ، وهو ملك الحيرة من الأزدي ، ويقول « جذية بن عدي بن كنانة زعيم قبيلة قاتلها خالد بن الوليد ثأراً بعمه الفاكة بن المفريق » ، وبما ان أمر هذا التمثال يطول شرحه ، فأكتفي بتصويب ما ورد من الأخطاء .

١- قوله جذية بن عدي خطأ ، والصواب أن الذين قاتلهم خالد ابن الوليد هم بنو جذية بن عامر بن عبد مناة بن كنانة .

٢- وان عم خالد بن الوليد اسمه الفاكة لا الفاكة وهو ابن المفريق لا المفريق .

وفي ص ١٣٨ يقول جعدة عامر فيضبطها بضم الجيم خطأ والصواب بفتحها ، ويقول جعدة بن كعب منها الشاعر تابعة الجعدي خطأ والصواب النابغة الجعدي .

وفي ص ١٥١ يقول حبيب بن مُسْلِمَة بضم الميم وسكون السين وكسر اللام « خطأ والصواب بفتح الميم وسكون السين وفتح اللام والميم ، ثم يقول من بني فهد خطأ والصواب من بني فهر « بكسر الفاء وسكون الهاء » وهو أبو عبد الرحمن حبيب بن مُسْلِمَة الفهري القرشي .

وفي ص ١٦٦ يقول حمزة الإسلامي خطأ والصواب الأسلمي نسبة إلى أسلم ، وأسلم بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه أبو قبيلة في مراد . وفي ص ١٦٧ يقول حمزة بن رافع الروسي خطأ والصواب الدومي ، بفتح الدال وسكون الواو نسبة إلى دؤس قبيلة من الأزد .

وفي ص ١٧٧ يقول الخضر بضم الخاء وسكون الضاد خطأ والصواب بفتح الخاء وسكون الضاد . ثم يقول : « انه أحد أولياء المسلمين رفعه القرآن فوق الأنبياء » ، وهو تحريف وتشويه ، وذلك انه ليس في القرآن ذكر لأحد اسمه الخضر ولم يرد قط في القرآن ولا في غيره من الكتب من رفع فوق الأنبياء ، ولا نعلم أحداً قال بهذا .

وأما إذا كان يقصد من قوله ، الخضر ، صاحب مومى عليه السلام فليس في علمنا إلا أنه الخضر الذي أوتي من علم الله ما لم يؤته مومى كما جاء في بعض روايات تفسير الطبري . وأما إن كان الياس ، فهو نبي ورد ذكره في القرآن في أكثر من آية . وغاية ما وقفنا عليه ان الخضر نبي من بني اسرائيل وهو صاحب مومى رُوي انه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز خضراء وبذلك سمي الخضر .

وفي ص ١٨٣ يذكر رشيد الخوري المعروف بالشاعر القروري ، ولكم  
وددت أن يذكر الى جانبه ، مثلاً ، بشارة الخوري المعروف بالأخطل الصغير  
وهو من عرفنا في شعره الرقة والجزالة ولست أجد وجهاً لإغفال ذكره  
اللهم الا اذا كان شفيع رشيد الخوري قصائده التي كان يقرع بها المشايخين  
لفرنسا والموالين لها ، من مثل قوله في قصيدة له أيام الثورة السورية الكبرى ،  
يخاطب الثوار :

فأوقدتم لها جثثاً وهاماً      وأوقدنا المباخر والشموعا  
أحببوا بعضكم بعضاً وعظما      بها ذئباً فما نجت قطيعا  
فيا حنلاً وديماً لم يخلف      سوانا في الوري حنلاً وديما  
ألا أتزلت انجيلاً جديداً      يعلمنا إباءً لا خنوعاً ؟  
إذا مارمت رفع الضيم فاضرب      بسيف محمد واترك يسوعا

وليساعه الله على اغفاله ذكر الكثيرين من الشعراء الفحول المعاصرين  
أمثال خليل مردم بك وبدوي الجبل وأحمد الصافي النجفي وعبد المحسن  
الكاظمي وعمر أبوريشة وحافظ ابراهيم واسماعيل صبري وشفيق جبيري  
والجواهري والشبيبي وأحمد رامي ... الخ .

وفي ص ١٨٤ عند ذكر خيبر يقول « غزاها النبي وضرب الإثابة على  
سكانها اليهود » . وهذا البيان تحريف وتشويه ، وذلك ان أمر غزوة خيبر  
كان بسبب ان اليهود « قرظة والنضير » عاهدوا النبي ﷺ على أن لا يظاهروا  
على الإسلام ، فأمنهم ، فلما نكثوا العهد ونبذوه وقدموا مكة على قريش  
ودعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم حتى نستأصله  
ثم ذهبوا الى غطفان ودعواهم كذلك وحرصوهم وقالوا لهم إن قريشاً قد  
أبغواهم على ذلك فكان من أمر تأليبهم ومظاهرتهم المشركين ان اجتمعت  
قريش وغطفان ومن والاهما من العرب ، فقدموا على المدينة ٣ ألقا ،

وكان الحصار « وقعة الخندق » ثم انتهى تجمعهم بالفرار ، ففزا الرسول ﷺ بني قريظة من اليهود فأذاثهم الله ، وفتح المسلمون بلادهم وحازوا أموالهم ، وبعد سنة وفي محرم سنة سبع للهجرة غزا بني النضير في خيبر ذات الحصون القوية ، وافتتح حصونهم حصناً حصناً حتى إذا لم يبق من حصونهم إلا حصناً الوطيط والسلام ، وقد جهد اليهود من طول الحصار والقتال ، نزل من نزل من أهلها على الجلاء ، وهم ، أي اليهود ، الذين سألو الرسول أن يجلسهم ويكف عنهم دمائهم ، فجلا من جلا منهم ؛ ثم قال لهم رسول الله بعد أن حاز المسلمون أموالهم ؛ إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم على ما أقركم الله ففعلوا وكان في ذلك منجى لهم ، وبالأحرى كان عقوبة وقصاصاً على ما أسلفوا وفرطوا . وتفصيل هذه الأمور مدونة في ابن هشام والسيرة الحلبية ... الخ

فإن هذه الحقائق من قوله « ضرب الإثابة » ؟ واليهود لولا أنهم نكثوا العهد وخرضوا أعداء الإسلام على غزو المدينة لما غزاهم الرسول ولظالموا في ديارهم آمنين محرزين أموالهم ، ولقد عاملهم الرسول بالرفق وأحسن إليهم وأجابهم إلى ما سألوا .

وفي ص ٢٠٨ يقول « ذوريدان » عاصمتها ظفر ، خطأ والصواب ظفار بفتح أوله .

وفي ص ٢٠٨ يقول « ذو الكفّل » بفتح أوله وثانيه خطأ والصواب بكسر أوله وسكون ثانيه ، والكيفّل المثل والضعف ، يقال لك كفلان من الأجر أي مثلان .

وفي ص ٢١١ عند ذكر الراعي يقول « هو أبو جندل الهوازني » خطأ والصواب النميري ونمير من هوازن ، وهوازن قبيلة من قيس ، وقيس تجمع عدة قبائل ، وقد هجا الشاعر جرير الراعي بقوله :

ففض الطرف إنك من نعيمٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً  
وامم الراعي عبيد بن حصين .

وفي ص ٢١٧ عند ذكر ابن رشيق قال : من مؤلفاته « العمدة في صيغة الشعر » ، خطأ والصواب العمدة في صناعة الشعر ونقده ، وقال : ولد في الحمدية خطأ قال ابن بسام وقال غيره ولد بالمهدية سنة ٣٩٠ وتوفي سنة ٤٦٣ هـ كما جاء في « العمدة » ط مصر ١٣٢٥ هـ .

وفي ص ٢١٩ قال عند ذكر الرقيق الأبيض « حاية الفتاة من النخاسة التي يتعاطى بها أصحابها » ، خطأ والصواب يتعاطاها ، والتعاطي : تناول ما لا يحق ولا يجوز تناوله ، يقال تعاطى فلان ظلمك ، وتعاطى أمراً قبيحاً وتعطاه ، كلاهما : ركبته .

وفي ص ٢٣٧ قال زهير بن جناب بن هبل ، بفتح الهاء من هبل ، خطأ والصواب بضمها وفتح الهاء المرحدة ، وهبل بالضم أمم رجل ، معادل عن هابل : معرفة .

وفي ص ٢٣٧ يقول زور بضم الزاي ، خطأ والصواب بفتحها وسكون الواو ، ثم يقول أمم يضاف لأعلام بعض القرى في سوريا ، خطأ والصواب سورية ، والزور هو الأراضي الواقعة على ضفتي الفرات على امتداده ، والزور لغة : الصدر وبناته أي ما حواليه من الأضلاع ، والزور : الميل « بفتح أوله وثانيه » . وسبب اضافة الزور لبعض المواضع هو ان الأرض تملو ثم تأخذ بالميل حتى توازي ضفة النهر ، فما ارتفع وعلا منها يسمى حاوياً أو ظهرة بعرف اليوم ، وما كان ضفة فهي الزور ، وهذه كذلك ترتفع عن مستوى سطح الماء .

وفي ص ٢٤٠ يقول زينب بنت جهمش ثم يقول بنت رثاب ، خطأ والصواب بنت جهمش بن رثاب .

وفي ص ٢٥١ يقول مروج بضم السين ، خطأ والصواب بفتحها .

وفي ص ٢٥٦ عند ذكر أبي سفيان يقول انه « قادم جيشاً من الجناح الكبير الذي زحف لحصار المدينة في وقعة مؤتة ، ثم اعتزل الحرب وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة » ، ولبتت أفكر في عجائب ما اشتمل عليه هذا النص من « التخليط » والتشويه . وما أدري أمتبع هذا عن تعمد ، أو عن سهو ؟ فإنه شتان ما بين حصار المدينة ووقعة مؤتة ، وذلك أن حصار المدينة - أو وقعة الخندق - كانت في شوال سنة خمس للهجرة ، ووقعة مؤتة كانت سنة ثمان ، هذا الى أن المدينة في شمالي جزيرة العرب ، ومؤتة في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء وعمّان وفيها مدافن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة ، وما بينها وبين المدينة نحو ألف كيلو متر ، وبين الوقعتين واحد وثلاثون شهراً . وقوله ، ثم اعتزل الحرب وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة ، وهذا بطل وتحريف فان أبا سفيان لو استطاع يومئذ أن يحلب على الإسلام من صواعق السماء لفعل ، فقد كان ومثركو قريش عاجزين عن صد الإسلام الذي غا واشتد بعد الهجرة ، وأما أمر مكة فقد كان فتحاً ونصراً عزيزاً بالرغم من أبي سفيان والمشركين ، والغريب أنه يقول في الصفحة ٤٨٠ عن النبي ﷺ « انه دخل مكة ظافراً » ، وقد تم الفتح بقيادة رسول الله ﷺ كتائب المهاجرين والأنصار ومن أسلم من العرب ، عشرة آلاف مقاتل ، في شهر رمضان سنة ثمان للهجرة - وبين هذا التاريخ ومعاهدة الحديبية التي عقدت في أواخر سنة ست للهجرة نحو عشرين شهراً - وبعد دخوله

مكة فاتحاً ، قام على باب الكعبة ، فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده الى أن تلا الآية ١٢ من  
سورة الحجرات ، « يا أيها الناس ' إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ  
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » إِنَّا أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » ،  
ثم قال يا معشر قريش ما ترون إني فاعل فيكم ، قالوا خير أخ كريم  
وابن أخ كريم ، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

فأين هذه الحقائق من قوله : وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة ؟

( يتبع )

منير العمادي



# طرق على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ١ —

( المجلد الأول )

أتخف العلامة الأستاذ عبد العزيز الميمني مجلة المجمع العلمي العربي بهذا المقال المفيد الذي صحح فيه الأخطاء التي عثر عليها في معجم الأدباء لياقوت طبعة مرجليوث . ورتب ملاحظاته حسب تسلسل المجلدات والصفحات والأسطر وبين النص الصحيح من دون أن يشير إلى الأصل المصحح . ورأينا لزيادة الفائدة أن ننتفع بنسخة مطبوعات دار المأمون المصرية من الملاحظات المشتركة والمكررة في الطبعتين فأضفنا الأرقام التي تشير إلى أجزاء وصفحات وأسطر النسخة المصرية بين هلالين ( . . ) ليرجع إليها ويفيد منها من عنده النسخة المصرية :

( لجنة المجلة )

ص ٤ س ٧ قوله ظنه لذلك . كذا وانظر ،

ص ٤ س ١٧ صواب المغربي المعري ، وله ترجمة في البقية ٣٩٦ ،

( ١ : ٤٨ / ٢ ) .

ص ٧ س ١٣ الصواب مبسر لما خلق له ، ( ١ : ٥٢ / ١٤ ) .

ص ٨ س ١٠ الصواب وأما صاحبه فقير ، ( ١ : ٥٤ / ٧ ) .

ص ١٤ س ٣ لعل الأصل دعوة جاهل ، ( ١ : ٦٣ / ٧ ) .

ص ١٦ س ١١ الصواب سهل بن محمد ، ( ١ : ٧١ / ١ ) .



- ١٩ : ٣ الصواب ما تقيم به الكلام ، ( ٦ / ٧٦ : ١ ) .
- ١٩ : ٦ الصواب الحرف منه ، ( ١١ / ٧٦ : ١ ) .
- ٢٠ : ١٠ لها . للعربية وان لم يجد لها ذكر .
- ٢٠ : ١١ قرع . مضت الحكاية ص ١٤ عن ابراهيم النخعي .
- ٢٠ : ١٣ الصواب ايوب السخيتاني ، ( ٧ / ٧٩ : ١ ) .
- ٢٠ : ٢٠ ح ( ٢ ) . اشطب الحاشية ، ( ١٧ / ٧٩ : ١ ) .
- ٢١ : ٢ الفتيح الرسول معرب بيك فارسية ، ( ٥ / ٨٠ : ١ ) .
- ٢١ : ١٧ الصواب يصرف الكلام ، ( ٢ / ٨٢ : ١ ) .
- ٢٢ : ٣ الصواب أمغطى منى على بصري بالحب وانظر السمط ١٥ .
- ٢٣ : ١٣ بعض الشعراء هو إسحق بن خلف البهراني الكامل ١ : ٢٣٩ والصواب تعظمه .
- ٢٤ : ١ علوية نسبة الى عالية نجد ، ( ١٨ / ٨٥ : ١ ) .
- ٢٤ : ٣ فراده - انظر ما صوابه ، ( ٢ / ٨٦ : ١ ) .
- ٢٤ : ١٣ الشاكرية بفتح الكاف الخدم معرب الجاكرية فارسية ، ( ٣ / ٨٧ : ١ ) .
- ٢٦ : ١٥ و ٢٠ الصواب الخطفتى جذجرب . وهو ابن بدر أيضاً ( ٨ / ٩٠ : ١ ) .
- ٢٧ : ٦ كتبهم ، ( ٦ / ٩١ : ١ ) .
- ٢٨ : ٩ الصواب غيبة ، ( ١١ / ٩٣ : ١ ) .
- ٣٠ : ٤ الصواب فوجته الى من ، ( ١١ / ٩٦ : ١ ) .
- ٣٠ : ١١ الصواب فان ابن مقبل ، ( ١٨ / ٩٧ : ١ ) .
- ٣٠ : ١٣ الصواب الغمى . وانظر السمط ٦٦ ، ( ١١ / ٩٧ : ١ ) .
- ٣٠ : ١٥ خلوا . هو علي بن جبلة انظر الأغاني ٥٣٢٠ ، ( ٢ / ٩٨ : ١ ) .
- ٣١ : ٤ الصواب تحني بياء واحدة ، ( ١٣ / ٩٨ : ١ ) .
- ٣١ : ١٤ الصواب الأشعار منك وما ، عن الأغاني . ( ٥ / ١٠٠ : ١ ) .
- ٣١ : ١٧ آدم ترجمته في الزهرة ٤٦٨ والمنظم ١٢٩ ج ١٠ ، ( ٢ / ١٠١ : ١ ) .

- ١ : ٣٢ لعله سكن بلخ ، ( ١ : ١٠١ / ٥ ) .
- ٢٠ : ٣٢ قوله لعله الخ اشطب الحاشية .
- ١٨ : ٣٤ الصواب عُسْكَابَة ( ١ : ١٠٧ / ٥ ) .
- ١ : ٣٥ الطومسي والنجاشي ٧ .
- ١٥ : ٣٥ الطومسي والنجاشي ١٠ ، ( ١ : ١٠٩ / ٥ ) .
- ١٣ : ٣٦ الصواب سُبَيْتِل بن كَزْرَة الضُبُعِي ترجمته النديم ٤٥ ،  
وترى ترجمته عند ابن الجزري رقم ١ وعنده أبو سعد الربيعي .  
( ١ : ١١٠ / ١٠ ) .
- ١٩ : ٣٦ ح وكذا هو قوزون في البغية والوفيات ، ( ١ : ١٠٩ / ٢٠ ح ) .
- ٤ : ٣٦ ترجم له الخطيب ٣٠٥٣ .
- ١٧ : ٣٧ لعله صاحب ثعلب وخلق كثير .
- ١٦ : ٤٢ الصواب وأخرى حازها كما عند الخطيب أيضاً ٣٠٥٩  
وله ترجمة في القوات ١ : ٤ أيضاً ، ( ١ : ١٢٢ / ١٠ ) .
- ٦ : ٤٦ الصواب كَحْرَمَة .
- ٩ : ٤٦ الصواب مسند صفوان .
- ٩ : ٤٦ الصواب عمرو بن العاص .
- ١٣ : ٤٦ ترجمته في نكت الهميان ٨٧ ، ( ١ : ١٢٩ / ١٤ ) .
- ٥ : ٤٧ المنتظم ج ٦ رقم ٢٩٠ .
- ٨ : ٤٧ الصواب إحدى عشرة ، ( ١ : ١٣٠ / ٩ ) .
- ١٢ : ٤٧ الحكاية الآتية في النشوار ١ : ١٣٤ .
- ٨ : ٤٨ الحكاية في النشوار ١ : ٤٢ أيضاً .
- ١٢ : ٤٩ الصواب خازن الخطيب ٣١٢٦ ، ( ١ : ١٣٤ / ٨ ) .
- ١٩ : ٤٩ الصواب اعرض عليّ على رسمك ، الخطيب والنشوار ( ١ : ١٣٥ / ٢ ) .
- ٤ : ٥٠ الصواب أبي اسحق بالملازمة الى ان الخطيب ( ١ : ١٣٥ / ٨ ) .

- ٥٠ : ١١ البيتان يعزيان للمؤمن في خبر بنائه ببوران . وانظر الوفيات ( الزجاج ) ، ( ١ : ١٣٦ / ٣ ) .
- ٥٠ : ١٤ الخطيب والمنظم : ابليس وأحكمه ، وألحمه من اللعنة وهو حسن .
- ٥٠ : ١٦ قائمه . الخطيب والمنظم ، ( ١ : ١٣٦ / ٩ ) .
- ٥٠ : ١٧ لفظته .
- ٥١ : ٣ الخطيب اسمه احمد لا ابراهيم ، ( ١ : ١٣٧ / ١ ) .
- ٥١ : ٣ الصواب زيد بن الحسن وهو الحافظ أبو اليُمْن ، ( ١ : ١٣٧ / ٢ ) .
- ٥١ : ٥ الصواب الحسين ولعبد السلام ترجمة في كتابي على أبي العلاء ، ( ١ : ١٣٧ / ٤ ) .
- ٥١ : ٦ الشمشاطي . وقد نقله عن كتابه النزّه والابتهاج الذي يوجد منه جزء باستنبول صاحب الأشباه ٤ : ١٣٣ أيضاً .
- ٥٢ : ٨ الصواب وتعمل صالحا ، ( ١ : ١٣٩ / ٢ ) .
- ٥٢ : ٩ الصواب ويعمل صالحا كما في الأشباه ، ( ١ : ١٣٩ / ٣ ) .
- ٥٢ : ١١ الصواب في الآيتين . الأشباه ، ( ١ : ١٣٩ / ٦ ) .
- ٥٣ : ٤ الصواب وحسابا والحسب .
- ٥٣ : ٩ الشاعر على عمرة ابنة الحارس وأسطارها في شرح مختار بشار ٢٣٧ ، ( ٢١ : ١٤ / ١٢ ) .
- ٥٣ : ١٤ الصواب قلت معزوي . الأشباه .
- ٥٣ : ١٦ الصواب بكذا فقولك بكذا نقض لما أصلت . الأشباه ، ( ١ : ١٤١ / ٦ ) .
- ٥٥ : ١ وانتصار ابن برقي لشعلب مرده صاحب الأشباه في ٤ صفحات . ( ١ : ١٤٣ / ٧ ) .
- ٥٥ : ٦ لابن كُنْانة عند الخطيب ٢٩٢٠ في ترجمته وتوفي في سنة ٢٠٧ هـ والنويري .

- ١٦ : ٥٥ الموازنة . هذا كتاب جليل بقيت منه نسخة بالية بخزانة مصر ، ( ١ : ١٤٤ / ١٣ ) .
- ١ : ٥٩ المطبوع من مؤلفات الزجاج فعلت وأفعلت وأما معاني القرآن وخلق الإنسان فهما نسختان .
- ٨ : ٥٩ إبراهيم بن سعدان . الخطيب ٣١٢٥ ، ( ١ : ١٥١ / ١٠ ) .
- ١٣ : ٦٠ لعل الصواب لا تفعل ، ( ٣ : ١٥٤ ) .
- ٢ : ٦١ الصواب أبا الكرم الحَوَزي وترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ ٥٦ : ٤ ، ( ١ : ١٥٥ / ١ ) .
- ٦٢ : ٣ و ٦٥ و ٦٠ الصواب الحَوَزي ، ( ١ : ١٥٧ / ٢ و ٥ و ٦ ) .
- ١ : ٦٤ الجَمَاز هذا ترجم له ابن المعتز في الحديثين ١٧٦ وانظر ذيل اللآلي ٢٤ ، ( ١ : ١٦٠ / ٩ ) .
- ٢ : ٦٥ في طبعة الدمية المقتضية هذه ص ٣٠٤ و ٣٠٨ أبو صالح الورثاق ويأتي في الأدباء ٢ : ٢٦٧ أبو اسحق صالح الوراق وفي ٢٦٩ كما هنا ، ( ١ : ١٦٢ / ٦ ) .
- ٥ : ٦٥ الدمية : وبنات خبت ، ( ١ : ١٦٢ / ١١ ) .
- ٩ : ٦٥ حفظي كدُوْدٌ كدود القزّ والدمية : قراه ، ( ١ : ١٦٣ / ٧ ) .
- ١١ : ٦٥ الدمية : بالرجال الهواسج ، ( ١ : ١٦٣ / ١١ ) .
- ٧ : ٦٨ ديوان مهبّار ٣ : ٣٤٤ .
- ٩ : ٦٨ الديوان وعمر ..... وفيكم ساهرون ، ( ٢ : ١١١ / ٦ و ٧ ) .
- ١٠ : ٦٨ الديوان بنا أنتم ، ( ٢ : ١١١ / ٨ ) .
- ١١ : ٦٨ الديوان يقون ، ( ٢ : ١١١ / ١٠ ) .
- ١٢ : ٦٨ الديوان كفى خيرة .
- ١٣ : ٦٨ الديوان عما عهدته .... تَتَقَسَّمُ ، ( ٢ : ١١٢ / ١ ) .
- ١٨ : ٦٨ الديوان وعن قوم "نميز" ونكرم .

- ٦٩ : الديوان ٢٨ : ٣ لي وللمرسلين بنوم ، ( ٢ : ١١٣ / ٦ ) .
- ٧ : ٦٩ الديوان علي " ذلائل .
- ٨ : ٦٩ الديوان المشتب عندنا والغازل .
- ٩ : ٦٩ هذا الخبر رواه أبو شجاع في الذيل الأصل ص ٢٧٢ .
- ١٢ : ٧٠ خبائه . يظهر من الذيل أن الكلمة ( خيانة ) وموضع قبر
- الصاحب معروف باصيهان الآن سنة ١٣٦١ هـ يزار .
- ١٤ : ٧٠ الصواب ان شاء الله وصلت الناس ، ( ٢ : ١١٦ / ٧ ) .
- ١٨ : ٧٠ الصواب بن أحمد ، وفيما يأتي ، الصواب عن غيرتوبة كما في الذيل .
- ١ : ٧١ الصواب وقرّر أمرهم ، كما في الذيل .
- ٤ : ٧١ الصواب والمتصرفين فيها كما في الذيل .
- ١٤ : ٧١ بالنزول ، الصواب بالترجل كما في الذيل ، ( ٢ : ١١٨ / ٤ ) .
- ٨ : ٧٢ المساحة صوابه المساحة كما في الذيل .
- ١٣ : ٧٢ التناء كسكتان الدهاقين ، ( ٢ : ١١٩ / ١٢ ) .
- ١٦ : ٧٢ الصواب التزموا كما في الذيل ، ( ٢ : ١٢٠ / ٦ ) .
- ٧ : ٧٣ لعله وضمّ جيوش ، ( ٢ : ١٢١ / ٥ ) .
- ٩ : ٧٣ لعله الجميلة ، ( ٢ : ١٢١ / ٨ ) .
- ٦ : ٧٤ في النشوار ١ : ١٨٦ الشذرات سنة ٣٩٨ هـ قلت وبآخر نسخة
- ديوان زهير بإسبانيا ان ابا هاشم بن شبيب ، ( ٢ : ٢٠٠ / ٦ ) .
- ١٠ : ٧٤ الصواب المعرتي في . ويأتي على الصواب ١ : ٢١٥ و ٣ : ١٩
- وغيرها وله ترجمة في أبي العلاء وما اليه ٢١٦ ، ( ٢ : ١٢٥ / ٧ ) .
- ١٠ : ٧٥ الصواب في انتفاش .
- ١ : ٧٦ البيتان في الإيخاز مصر ٢٤٨ ل محمد بن عمر النضري ،
- ( ٨ ) م
- ( ٢ : ١٢٦ / ٦ )

- ٧: ٧٦ البيتان في الإيجاز والإعجاز مصر ٢٠٨ لأبي الحسن بن الموسوي وهو الشريف الرضي ، ( ٢ : ١٢٧ / ٣ ) .
- ٧٦ : ١٦ و ٢٠ البيت الآتي لا يعرف لأبي تمام فلا وجه لقوله لعله أبي تمام .
- ٧٧ : ١٣ الأبيات في النشوار ١ : ١٨٦ . ( ٢ : ١٢٩ / ٧ ) .
- ٧٧ : ١٨ الصواب المانز وحي ، ( ٢ : ١٢٩ / ١٢ ) .
- ٧٩ : ١٤ لعله أو اقتأت ، ( ٢ : ١٣٣ / ٥ ) .
- ٨٠ : ٢ المهارج جمع المهرجان ، ( ٢ : ١٣٤ / ٥ ) .
- ٨٢ : ١ المنتظم ج ٦ رقم ٣٦٦ الزهية ٣١٦ الخطيب ١٦٣٥ ، ( ٢ : ١٣٥ / ٤ ) .
- ٨٢ : ٥ عن أبي لهب . الخطيب والمنتظم أبي كُريب ، ( ٢ : ١٣٨ / ٧ ) .
- ٨٢ : ١٢ المدينة يريد مدينة المنصور ، ( ٢ : ١٣١ / ٤ ) .
- ٨٢ : ١٣ الصواب وكان ثبنا . كما عند الخطيب ، ( ٢ : ١٣٩ / ٧ ) .
- ٨٢ : ١٥ الصواب في مسيئلات كما عند الخطيب ، ( ٢ : ١٣٩ / ١٥ ) .
- ٨٢ : ١٩ الصواب ورعا متخشنا كما عند الخطيب ، ( ٢ : ١٣٩ / ١٥ ) .
- ٨٣ : ١٠ الخطيب مع أبي الحسن ، ( ٢ : ١٤٠ / ١٤ ) .
- ٨٣ : ١١ الخطيب : وهو يومئذ يخلف أباه أبا عمر ، ( ٢ : ١٤٠ / ١٤ ) .
- ٨٤ : ٥ الخطيب ودأب معه ، ( ٢ : ١٤٢ / ٤ ) .
- ٨٤ : ٧ الصواب جعلت كما عند الخطيب أيضاً ، وكذا عنده كأتك ، ( ٢ : ١٤٢ / ٧ ) .
- ٨٤ : ١٧ الخطيب جعفر إلى آخرها كابن الأنباري ، ( ٢ : ١٤٣ / ٧ ) .
- ٨٤ : ١٧ لعله قريباً من " وربما نلعم " ، ( ٢ : ١٤٣ / ٧ ) .
- ٨٥ : ٦ من الكلواذاني ، ( ٢ : ١٤٤ / ٣ ) .
- ٨٧ : ٨ لعله يا أبا جعفر ( ٢ : ١٤٧ / ١ ) .
- ٨٧ : ٩ لعله لست حاكماً ، ( ٢ : ١٤٧ / ١٥ ) .

- ٨٩ : ١٦ لعله هلال : تستل .
- ٨٩ : ٧ الصواب حضر حامدا ، ( ٢ / ١٥١ : ٢ ) .
- ٨٩ : ١٦ فيما مرّ أبو عمرو ، ( ٢ / ١٥١ : ١٤ ) .
- ٩١ : ١٣ لعله أجزت .
- ٩١ : ١٨ انظر هل الصواب بعد فكبة .
- ٩٢ : ١٩ لعله الدم والقرفا ، ( ٢ / ١٥٧ : ١٣ ) .
- ٩٣ : ١٦ لعله أن يخبينا بيشره فنقنع ، ( ٢ / ١٥٩ : ١٢ و ١٣ ) .
- ٩٤ : ١٢ لترجمته المعاهد ٢ : ٣٤ .
- ٩٥ : ١٦ قوله ( ق ٣٧٥ ) غلط لا يمنح اليه .
- ٩٦ : ٤ قوله ويروى من النثر كذا هو وانظر .
- ٩٦ : ١٢ الصواب : أبي الحسين بن فارس ، ( ٢ / ١٦٥ : ٧ ) .
- ٩٦ : ١٥ الصواب بالدهم خذاه كما سيأتي ١٠٦ وهناك أبو سعد ، ( ٢ / ١٦٥ : ١١ ) .
- ٩٩ : ٧ الصواب أبو الفتح ، ( ٢ / ١٧٠ : ١٢ ) .
- ٩٩ : ٩ الصواب كل طريفة ، ( ٢ / ١٧١ : ٣ ) .
- ١٠٠ : ٤ لعله أن يزقته ، ( ٢ / ١٧٢ : ٩ ) .
- ١٠١ : ١٧ الصواب أما تستحي .
- ١٠٢ : ١١ لعله أن يعترف ما لا ينصرف ، ( ٢ / ١٧٦ : ١٥ ) .
- ١٠٣ : ١٤ الصواب أحامقه . وهما بيتان معروفان ، جواهر الحصري
- ١٣ عقلا المجانين ٣٦ ، ( ٢ / ١٧٨ : ١٢ ) .
- ١٠٤ : ١١ ضادية أبي الشيص في المحدثين لابن المعتز ٢٧ وانظر السمط ٣٢٧ .
- ١٠٦ : ١٤ الصواب بالدهم خذاه ، ( ٢ / ١٨٣ : ١١ ) .
- ١٠٧ : ٢ الصواب ولا تغر ، ( ٢ / ١٨٤ : ٩ ) .
- ١٠٧ : ٣ الصواب ولا تعين العدو ، ( ٢ / ١٨٤ : ١٠ ) .
- ١٠٧ : ٦ اشطب [ فقال الصاحب ] ، ( ٢ / ١٨٤ : ١٥ ) .
- ١٠٨ : ٩ ولو جاملته ، ( ٢ / ١٨٦ : ١٤ ) .

- ١٠ : ١٠٨ المساع انظره .
- ١١ : ١٠٨ الصواب وقوما بالنصب .
- ١٢ : ١٠٨ البيتان لزهير ، ( ٢ : ١٨٧ / ٤ ) .
- ١ : ١٠٩ موقت خبر لقوله ( ورأيه ) .
- ٤ : ١٠٩ الصواب من خشن كما في الرسائل وجواهر الحصري ٢١٤ ، ( ٢ : ١٨٨ / ٤ ) .
- ٧ : ١١٠ البيت لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ومعينها في الرسائل تحريف انظر الكامل .
- ١ : ١١١ وفي جواهر الحصري كما في الرسائل ( صاعاً عن مند ) وهو الأليط . وفيها بنية .
- ١٠ : ١١١ من بيت أبي نواس : ( ٢ : ١٩١ / ٢ )
- لا أفود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره
- ١٣ : ١١١ حُكَّ الواد من ( ولم تُفَعَّد ) ، ( ٢ : ١٩٢ / ١ ) .
- ٢ : ١١٢ البيتان للتني ، ( ٢ : ١٩٢ / ٩ ) .
- ٦ : ١١٢ الصواب ولم يخترق ، ( ٢ : ١٩٣ / ٢ ) .
- ٦ : ١١٢ البيت للفظمّش الضي من خمسة في الحماسة مع التبزي
- بولا ٣ / ٤١ ، ( ٢ : ١٩٤ / ١٣ ) .
- ١٣ : ١١٥ كلب القمر الكلب يذبح حين يرى ضوء القمر والذنب في ذلك ذنبه .
- ١٥ : ١١٥ الصواب كيا يقيم .
- ١٩ : ١١٥ بشر رومة اشتراها عثمان من ماله لمسلمي المدينة وجعل دلوه كدلاء أحدهم ، ( ٢ : ١٩٩ / ٩ ) .
- ١٣ : ١١٦ لا تكسع الغ بيت معروف للهارث بن حِلْزَة اليشكري ، ( ٢ : ٢٠٠ / ٩ ) .
- ١٦ : ١١٦ هو 'حجر بن عدي' ولعل الصواب ( والحَرَّان وكربلان ) حيث الوقائع ، ( ٢ : ٢٠٠ / ١٢ ) .
- ٥ : ١١٧ الصواب إفِ الأهل ، ( ٢ : ٢٠٦ / ٧ ) .



- ١١٨ : ٦ لترجمته نكت الهميان ٩٦ ، ( ١٠/٢٠٢ : ٢ ) .
- ١١٩ : ٩ عَرَّام بن الأصبغ السلمي الأعرابي له كتاب أسماء جبال  
تهامة أعدده للطلع . وأبو الميثل صاحب ما اتفق لفظه ترجم له ابن خلكان .  
والصواب أبو العذافر ، ( ١٧ : ٣ / ٧ و ٨ ) .
- ١٢٠ : ٣ الصواب وكيف ينبغي . والمصراع من داره الحزن من  
داره اللوب معروف سائر ، ( ١٢/١٨ : ٣ ) .
- ١٢٠ : ٤ الخبر عنه في الأشباه ٣ : ٢٣٣ ، ( ١٣/١٨ : ٣ ) .
- ١٢٠ : ١٠ الصواب ( باشيخ لا ترع ) .
- ١٢٠ : ١٢ الصواب من كان ورجعنا ، ( ٨/١٩ : ٣ ) .
- ١٢١ : ٦ عَدَّوه في الأشباه .
- ١٢٣ : ١٧ ديوان جرير الصاوي ٤٧١ وهذا الخبر عن ياقوت في الأشباه  
٤٣٣ : ٣ ، ( ١/٢٦ : ٣ ) .
- ١٢٤ : ١٠ عبد الله بن حود هذا ترجم له ابن الأثير في التكملة  
برقم ١٢٦٠ ، ( ٦/٢٧ : ٣ ) .
- ١٢٤ : ١٠ الصواب وكان من عِدَاد ، ( ٧/٢٧ : ٣ ) .
- ١٢٤ : ١٤ ندارة كذا ؟
- ١٢٧ : ٤ في ترجمته ٣ : ٨١ لُغْدَة والكُذْه ولعل ما هنا تصحيف  
ورأيت للغة هذا كتاب الأمانة بالنجف عند القاضي محمد السماوي ،  
( ١٠/٣٢ : ٣ ) .
- ١٢٧ : ١٠ يسق كذا الضي رقم ٤٠٠ والظاهر سبق ، ( ١/٣٣ : ٣ ) .
- ١٢٨ : ١٩ الخطيب رقم ١٨٤٠ : وأكثرَ فائدته . وترجم له  
كابن الجزري ٢٣٣ والفهرست ٢٣٠ والمنتظم ٢٦٧ ج ٥ ، ( ٣/٣٦ : ٣ ) .
- ١٢٩ : ٤ الخطيب عليّ بين أن لا أحدث وهو الصواب ،  
( ٩/٣٦ : ٢ ) .
- ١٢٩ : ٦ الخطيب ما استفيد فردة ، ( ١٠/٣٦ : ٣ ) .
- ١٢٩ : ١٢ الخطيب كثير الكتاب ، ( ٧/٣٧ : ٣ ) .

- ١١ : ١٣٠ الصواب كتاب الحِلَتي والشيات وعندي كتاب بهذا الرمم لابن المناصف القرطبي ، ( ٣ : ١٨/٣٩ ) .
- ١٣ : ١٤ قوله ( وكلهم ) مصحف لا محالة عن ( وكلتهم أو ووكلمهم الى غيرهما ) ، ( ٣ : ١٢/٣٩ ) .
- ١٣١ : ٤ لعله أَصْفِي .
- ١٣١ : ١٠ رمزقتها .
- ١٢٢ : ١٥ الصواب ان شاء الله كفاجر ذي عَنَد في دينه وحُوب والحب الاثم ، ( ٣ : ٤٥/٥ و ٦ ) .
- ١٣٢ : ١٧ لعله وحربِ خصم هجَّتْها ، ( ٣ : ٩/٤٥ ) .
- ١٣٤ : ١١ ترجم له ابن الجزري ٢٤٤ ، ( ٣ : ١١/٤٩ ) .
- ١٣٥ : ٥ الصواب أبا عَمَرَ وعُني .
- ١٣٥ : ١٩ الخطيب رقم ١٨٦٠ ، وكل ما هنا عنه لا غير ، ( ٣ : ٣/٥٣ ) .
- ١٣٦ : ٣ الخطيب : طاهر الناصي المعروف بابن قنينة ( ٣ : ٨/٥٣ ) .
- ١٣٧ : ١٢ الصواب دُرّ مَشْرُف أي مجلّو .
- ١٣٧ : ١٨ الصواب فأصارني .
- ١٤ : ٢ البيتان من معروف شعر كثير وهي كلمة في ٧٨ بيتاً في منتهى الطلب رقم ١٩٥ أرل الجزء الثالث وروايته تزينون البلاط . فقد أصبح الراضون ( وهو الصواب ) إذا أنتم بها ، مسوس البلاد ، ( ٣ : ٣/٦٢ ) .
- ١٤١ : ٣ الصواب عن ابن الأعرابي ، ( ٣ : ٤/٦٤ ) .
- ١٤١ : ٨ ترجمة أبي زيد في لسان الميزان رقم ٥٨٥ وتمة صوان الحكمة رقم ٢٢ ، ( ٣ : ١٠/٦٤ ) .
- ١٤٥ : ١٣ قوله أو محكرا لعل صوابه مُحَكِّمٌ كيرا فارسية من خنياگر المفتي انظر ترجمة جعظلة ، ( ٣ : ٥/٧٢ ) .

- ١٤٧ : ١٨ : الصواب ' حُسْن استبصار .
- ١٥٢ : ١٦ : لترجمته الخطيب ١٩٠٠ ( ٣ : ٨٧ : ٣ ) .
- ١٥٣ : ٤ : الفهرست ١١٦ جعفر بن حمدان ولكنه قال في ص ١٤٣ ان الباهر لأبي أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم المتوفى سنة ٣٠٠ هـ وهناك البارع الذي يتيمة الشعالي ذيل عليه لأبي عبد الله هارون ابن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم ووصف الوفيات ( هارون والعماد السكاك ) للبارع يشبه وصف النديم للباهر فانظر ، ( ٣ : ٨٧ : ١٢ ) .
- ١٥٣ : ١٠ : ( من الكمول ) في نسخة تونك من الفهرست ، ( ٣ : ٨٨ : ٨ ) .
- ١٥٣ : ١٠ : الصواب أبو هفّان الميمزّمي ، النديم ١٤٤ ، ( ٣ : ٨٨ : ٩ ) .
- ١٥٣ : ١٩ : الصواب أبو علي البصير لا غير راجع السمط ٩٣١ .
- ١٥٤ : ١٥ : الفهرست نسخة تونك : مرثية .
- ١٥٥ : ٣ : الفهرست تونك : البعثري .
- ١٥٥ : ٤ : الفهرست تونك ابراهيم بن المدبر ، ( ٣ : ٩١ : ١١ ) .
- ١٥٥ : ١٢ : الصواب اختيار شعر ابن الدُمينة ، ( ٣ : ٩٢ : ١٠ ) .
- ١٥٥ : ١٣ : الصواب عبید الله بن قيس الرقيّات لا غير ، ( ٣ : ٩٢ : ١١ ) .
- ١٥٨ : ١ : النديم ١٤٩ و ٢٦١ وذكر سبب مقتله مفصلاً ومؤلفاته ( وابن أبي أصيبعة ١ : ٢١٤ القفطي ولسان الميزان ج ١ رقم ٦٠١ وطبقات الأمم لصاعد ٥٢ ، والظاهر أن ياقوت لم يراجع ، ( ٣ : ٩٨ : ٦ ) .
- ١٥٩ : ١١ : الحكاية رواها أبوشجاع أصل الذيل ص ٥٨ ، ( ٣ : ١٠١ : ٨ ) .
- ١٦ : ٥ : الصواب وقد اشتبه ، ( ٣ : ١٠٢ : ١٠ ) .
- ١٦ : ١٦ : ترجمة الولاة والقضاة للكندي ص ٤٨٥ وعن رفع الاصر ٥٤٦ وأخبار اصبهان لأبي نعم ١ : ١٣٣ ، وحسن المحاضرة ١٢٩٩ : ١٨ : ٢٠٩ ، ( ٣ : ١٠٣ : ١٢ ) .
- ١٦٢ : ٦ : الطَّبْطُبِي لا غير وترجم له الضبّتي رقم ١٠٦٥ ، ( ٣ : ١٠٧ : ٢ ) .

- ١٦٢ : ٩ : الصواب عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ابن سليمان بن داود . عن الخزينة والعدل ، وهذا غلط من ياقوت لعله ويأتي له أو لمرجليوث أغلاط في أنساب آل سليمان الآتين ، ( ٣ : ١٠٧ / ٤ ) .
- ١٦٢ : ١٢ : الصواب بَرَفِج ، ( ٣ : ١٠٧ / ٩ ) .
- ١٦٣ : ٤ : قوله جدّه ، الصواب جدّه جدّه كما في العدل . وكذا الصواب في قوله ( عم أبي العلاء ) على ما في العدل ( جسد أبي الشيع أبي العلاء ) ، ( ٣ : ١٠٨ / ١٤ ) .
- ١٦٣ : ٧ : الصواب لقد سُدّت كما في العدل والتحري لابن العديم ٨٤ ، ( ٣ : ١٠٩ / ٣ ) .
- ١٦٣ : ١٣ : قوله ثم بعده أخوه ، الصواب على ما في العدل ( ثم جد أبي العلاء أبو الحسن سليمان النخ ) ، ( ٣ : ١٠٩ / ٩ ) .
- ١٦٤ : ١٣ : الصواب أبو المجد محمد بن عبد الله بن أبي المجد محمد [ أخي أبي العلاء ] وأبو المجد الثاني النخ . وهذا السقط من الناسخ أو المصحح وهو على الصواب في العدل والخزينة ، ( ٣ : ١١١ / ١٣ ) .
- ١٦٤ : ١٤ : ابنه هو حفيده كما سيأتي وكما في العدل ، ( ٣ : ١١٢ / ١ ) .
- ١٦٥ : ٥ : الصواب الفِرَار على ، ( ٣ : ١١٣ / ٤ ) .
- ١٦٥ : ١٩ : داهر له غلام سندي ، ( ٣ : ١١٤ / ١٣ ) .
- ١٦٦ : ١٢ : الصواب على ما في العدل أيضاً شاكِر بن عبد الله بن محمد أبي المجد بن عبد الله بن محمد [ أخي أبي العلاء ] بن عبد الله بن سليمان ، ( ٣ : ١١٦ / ٧ ) .
- ١٦٧ : ٦ : الصواب فقدا القلب ، ( ٣ : ١١٧ / ١٣ ) .
- ١٦٨ : ٢ : النعمان هذا يوجد خط قراءته بآخر نسخة نقائص جرير والأخطل بالكتبخانة العمومية باستنبول ق ١٤٤ هكذا ( قراءته جميعه في المهرّم من سنة ٥٢٥ وكتب النعمان بن وادع بن عبد الله بن مسلم ) كذا

- هو ( بن مسلم ) ولا يصح لأن أبا مسلم كنية والده كناه بها أبو العلاء نفسه .  
انظر كتابي أبو العلاء ص ٣٢ ، ( ٧ / ١٢٠ : ٣ ) .
- ١٦٨ : ٦ العدل : أبو المرشد ، ( ٨ / ١٢٠ : ٣ ) .
- ١٦٨ : ١١ للبيتين ثالث في العدل ، ( ١٢ / ١٢٠ : ٣ ) .
- ١٦٨ : ١٣ الصواب ٥٥٣ كما في العدل ، ( ٣ / ١٢١ : ٣ ) .
- ١٦٩ : ١ دُرُوغ كلمة فارسية بمعنى الكذب ، ( ٢ / ١٢٢ : ٣ ) .
- ١٦٩ : ٥ العدل : المنيبي ، ( ٧ / ١٢٢ : ٣ ) .
- ١٦٩ : ١٣ كذا المعروف ورأيت في البغية ٢١٣ خبراً يشبهه لجُنادة اللغوي في مجلس الصاحب ، ( ٥ / ١٢٣ : ٣ ) .
- ١٧٠ : ١١ الصواب سِتًا وثمانين وتصحيح ( سِتًا ) بـ ( شِبًا )  
قديم في الحديث من صام رمضان وأقبه ستًا من شوال الخ ، ( ٣ / ١٢٥ : ٣ ) .
- ١٧١ : ٦ أبو يوسف هذا ترجمته في المنتظم ج ٩ رقم ١٣٠ والشافعية ،  
( ٩ / ١٢٦ : ٣ ) .
- ١٧٢ : ٧ سوادبي . هو دعبل ، ( ١٠ / ١٢٨ : ٣ ) .
- ١٧٢ : ١٣ الصواب ولخط .
- ١٧٢ : ١٥ الدلفي . ترجمنا له في أبي العلاء وما إليه ٢٢٠ ،  
( ١١ / ١٢٩ : ٣ ) .
- ١٧٢ : ١٧ الصواب بالشرنج والورد .
- ١٧٣ : ٣ الصواب أحلى ، ( ٦ / ١٣٠ : ٣ ) .
- ١٧٣ : ٥ قال الخ لا يوجد في طبعة التتمة ، ( ٩ / ١٣٠ : ٣ ) .
- ١٧٣ : ٩ أنساب السمعاني رسم التنوخي ، ( ١ / ١٣١ : ٣ ) .
- ١٧٣ : ١٢ مفاضة ، مفاجأة وعلى غيرته .
- ١٧٣ : ١٢ الصواب ستين لأن أبا زكريا أقام عنده ستين وأشهرها ،  
( ٥ / ١٣١ : ٣ ) .

- ١٧٣ : ١٥ السَّبَقُ الدرس وقد بقيت الكلمة في إيران والهند بهذا المعنى ،  
( ١٠ / ١٣١ : ٣ ) .
- ١٧٤ : ٣ اللامية من السقط ، ( ٦ / ١٣٢ : ٣ ) .
- ١٧٥ : ٣ أبو الوليد ترجمت له في أبي العلاء ٢١٩ والأبيات من السقط ،  
( ١١ / ١٣٤ : ٣ ) .
- ١٧٥ : ٩ الصواب المعرّي لنفسه . والصواب أن البيتين للظاهر كما  
في رسالة ابن القارح من رسائل البلغاء ٢٠٠ . وليعلم أن الشريف بندي  
لا يوثق بمثله انظر كتابي ٢٩٧ ، ( ٧ / ١٣٥ : ٣ ) .
- ١٧٥ : ١٦ الأبيات في المعاهد ١ : ٥٠ أيضاً ، ( ٢ / ١٢٦ : ٣ ) .
- ١٧٥ : ١٨ الصواب وهو مأواك ويروى مارك راء لغة في رأى ،  
( ٧ / ١٣٦ : ٣ ) .
- ١٧٦ : ٢ الصواب ذا ياس .
- ١٧٧ : ٥ من اللزوم ، ( ٦ / ١٣٩ : ٣ ) .
- ١٧٧ : ٨ الصواب الصرفة .
- ١٧٧ : ١٥ هذه الغاية ( السورة ) مقتضية عما في الفصول ٢٤٣ ،  
( ٦ / ١٤٠ : ٣ ) .
- ١٧٨ : ٩ الصواب كان زاهداً .
- ١٧٨ : ١٤ الصواب كأننا لي غاية .
- ١٧٩ : ١٢ الصواب بنمّي .
- ١٧٩ : ١٤ وفي نكت الهميان حاشدة ، وزاد في آخر الأبيات :  
وجميع ما فاهوا به كذب لعمرى حَسْبَ رِيَتْ  
رهريت من الهَرَّتْ ممزق العَرَض والمهريت أيضاً الخطيب الواسع الشيدقين ،  
( ١ / ١٤٥ : ٣ ) .

- ١٧٩ : ١٦ الصواب أحد . إذ لا أعرف أحد في من استملى له .  
وفي العدل من مؤلفاته ٦٧ كتاباً وذكرت في كتابي ٧٧ كتاباً .  
١٨٠ : ٢ ابوالحسن انظر كتابي ٢١٨ والعدل ١١١ ، ( ٣ : ١٤٥ / ١١ ) .  
١٨٠ : ١٤ قَرِيّ قافية واشطب الحاشية ، ( ٣ : ١٤٧ / ٢ ) .  
١٨٠ : ١٧ الشاذن العدل الشاذن الذهبي وخليفة السادن القفطي السادر ،  
( ٣ : ١٤٧ / ٧ ) .

١٨١ : ٢ الذهبي وابن خلكان ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على المجلد الأول منه بعد المائة قال ولا أعلم ما يعوزه بعد ذلك . العدل : لم أقف منه إلا على جزء واحد وبعضه موقوف بالنظامية ببغداد وكانت بخزانة مصر منه نسخة صارت إلى القاضي الفاضل ثم إلى ولده ثم إلى الملك الصالح وأظنها في ٦٠ مجلداً وقال القفطي في إنباه الرواة له لم أجد أحداً يقول رأيته ولا رأيت منه شيئاً إلى أن نظرت في فهرست وقف نظام الملك فرأيت فيه أنه ٦٣ مجلداً ١٥ العاجز وجدت في إبريل سنة ١٩٣٦ عند الصديق الشيخ راغب الطباخ نسخة مخرومة من أوج التحري عن حيثية المعري ليوسف البديعي في ٩١ ق أورد فيه من الايك نحو ٥ صفحات ، ( ٣ : ١٤٧ / ١١ ) .

- ١٨١ : ١٠ الصواب لكل جنس من العدل .  
١٨٢ : ١٣ العدل : كتاب دعاء ساعة ، دعاء الأيام السبعة ، حيرز الخيل ، جزء فيه حرز وتعويد ، ( ٣ : ١٥٠ / ٩ ) .  
١٨٢ : ١٩ الصواب بونفة الواعظ .  
١٨٣ : ٨ الكلمة القالي ٢ : ١٠٩ ، ١٠٧ ، وانظر السمط ٧٣٥ ، ( ٣ : ١٥٢ / ١ ) .  
١٨٣ : ٩ كلمة الشنفرى مفضّلية رقم ٢٠ ص ١٩٤ . ( ٣ : ١٥٢ / ٤ ) .

عبد العزيز الميمني

( يتبع )



# التعريف والتقد

المعجم القانوني ( انكليزي - عربي )

للأستاذ حارث سليمان الفاروقي

جزءان في ١٤٩٨ صفحة - دار النعم القبية

لا شك ان أية دراسة مقارنة للتيارات القانونية الأجنبية التي أفادت منها البلاد العربية خلال النصف الأول من هذا القرن ستظهر بوضوح ضآلة الأثر الذي تركه الفقه الانكليزي في نهضتنا التشريعية إذا قيس إلى أثر فقه الدول اللاتينية في هذه النهضة . وعلى الرغم من تفاوت هذا الأثر بين دولة وأخرى تفاوتاً فرضته طبيعة العلاقات التي كانت تصل بين دول أوربة ودول المنطقة العربية فإن من المؤكد ان النظم الحقوقية العربية قد حذت حذو النظم اللاتينية من حيث تصنيفها ومناهجها وقواعد تقنينها . وقد يردّ هذا كله إلى ان اللغة الفرنسية كانت ، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، لغة القانون والدبلوماسية . ولكن في ظني ان تقاليد الفقه الانكليزي وأعرافه وإلحاحه على السابقات القضائية جعلت الافادة منه خارج نطاق النفوذ الانجلوساكسوني أمراً صعباً .

ولكن السنين التي تلت الحرب العالمية الثانية شهدت تغييراً جذرياً في ميزان القوى الدولية واتساعاً في الأبعاد الجغرافية للمبادلات التجارية والدبلوماسية أدّى إلى قهقر اللغة الفرنسية في ميدان السياسة والعلاقات الدولية وحلول اللغة الانجليزية محلها .



وكان طبيعياً أن تزداد صلات الأوساط العربية ، الحكومية منها والاقتصادية ، بالنظم الحقوقية الانجلوساكسونية . وكان طبيعياً أيضاً أن تزداد الحاجة الى قاموس قانوني انجليزي عربي يزيل الصعوبات اللغوية والفنية أمام ذلك التبادل ويساعد على الإلمام بالأساليب القضائية والطرائق القانونية التي تنظم هذه الصلات .

وقد نهض لهذا الأمر مؤلف من ليبيا الشقيقة هو الأستاذ حارث سليمان الفاروقي فنظر في المعاجم القانونية الانجلوساكسونية ثم نظر في المعاجم العربية والمصطلحات الحديثة التي درج استعمالها ، ووضع معجماً قانونياً انجليزياً عربياً أبادر فأقول انه اضافة ثمينة إلى المكتبة الحقوقية لأنه لا يمتنع بأن يكون معجماً فحسب ولكنه ، بشروحه وتفاصيله ، يوشك أن يكون مقدمة ضرورية لدراسة الفقه الانجلوساكسوني . فالمؤلف لا يكتفي بإيراد الألفاظ والصيغ القانونية ووضع ما يقابلها في العربية ، ولكنه يحاول ، وبخاصة عندما تكون هذه الصيغ ذات صفة تاريخية ، أن يعطي القارئ العربي نبذة عن نشأتها ، وطرق استعمالها وتطورها خلال العصور . ومثال ذلك محاولته ترجمة كلمة Equity ، وكلمة Trust وأصولها في الفقه الانجليزي . ولذا جاء كتابه كتاباً فريداً حقاً يشي بالجهد الكبير والاطلاع الواسع والسنوات الكثيرة التي انفقت في إعداده .

والمؤلف يعنى عناية كبيرة بالمصطلحات المدنية والجزائية . كما انه يخصص حيزاً هاماً لبقية فروع القانون كالتجارة والأعمال وأعمال البنوك والطيران المدني وغيرها . وهو حريص على الإشارة إلى بعض القوانين الأخرى كالقانون الفرنسي أو الاسكتلندي عندما يجد ان صيغة ما قد اتخذت معنى جديداً أو خصصت بفرض معين . ولكن من الملاحظ ان المؤلف الكريم لم يعن العناية السكافية بمصطلحات السياسة والعلاقات الدولية . ومن الأمثلة أن المؤلف أورد لفظي Mandate ( ص ٩٠٠ ) و Trusteeship ( ص ١٤٠٨ )

فأشار الى معنى الأول في القوانين التجارية والمدنية ، وعرف الثاني بأنه « وصاية » دون أن يشير إلى معنى هذين اللفظين في الدبلوماسية ودون أن يشير الى نظام الانتداب الذي أقره مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ والذي طبق على بلاد المشرق العربي ، أو نظام الوصاية الذي أقرته الأمم المتحدة والذي يعمل به حالياً . وكذلك وردت كلمة Recognition ( ص ١١٧ ) على أنها اعتراف بأمر أو اقراره وتصديقه ؛ وأغفل المؤلف معناها في القانون الدولي وهو الاعتراف بدولة سواء أكان اعترافاً بحكم الواقع أو اعترافاً بحكم القانون . أما لفظة Abstention ( ص ١١ ) فقد اكتفى المؤلف بترجمتها إلى احجام أو امتناع . وقد درج استعمالها في المؤسسات الدولية على أنها استنكاف عن التصويت . وهناك كلمة See ( ص ١٢٥٧ ) ومعناها في القانون الكنسي الدائرة التي يمارس فيها الأسقف اختصاصاته . ولكن المؤلف أغفل المصطلح الأهم وهو The holy See والمراد منه المركز البابوي ذاته .

وعلى الرغم من حرص المؤلف على دقة الألفاظ التي ينتقها وسلامة معناها فإنه وقع في التباسات قليلة نورد بعضها . فقد ترجم نظرية جان جاك روسو The Social Contract بنظرية الاتفاق الاجتماعي بينما تعارف الباحثون على تسميتها اليوم بنظرية العقد الاجتماعي . وترجم كلمة Consensus ( ص ٣١١ ) بقبول ، رضا ، اتفاق ، ولكن لم يشير إلى أن هذا الاتفاق يجب أن يكون جماعياً يشمل كافة الأطراف . أما كلمة Deputize ( ص ٤٣١ ) فقد ترجمها المؤلف بـ : يندب ، ينيب ، يعين نائباً ، وهذا خطأ ، فالكلمة تعني أن يقوم شخص ما مكان شخص آخر وأن ينوب عنه . ولعل المؤلف قد خلط بين فعل To Depute وفعل To Deputize for . أما كلمة Allowance ( ص ٧٣ ) فقد وضع المؤلف مقابلاً : جعل ، جهالة ، علاوة . والكلمة تعني في الحقيقة علاوة أو تعويضاً ،

ولذا فلا محل لكلمة جمالة التي تعني رسماً أو ضريبة تفرض على شخص ما لا علاوة تمنح له .

وقد لاحظت أيضاً ان المؤلف يقتصر في بعض الأحيان على إيراد جانب من المعنى أو الاختصاصات دون الجوانب الأخرى . فهو يصف The Supreme Court of the United States of America ( ص ١٣٤ ) بأنها محكمة التمييز ( النقض والإبرام ) في نظام القضاء الاتحادي الأمريكي . والحقيقة أن دور المحكمة العليا لا يقف عند هذا الحد . فهي مكلفة أيضاً بتفسير القوانين والتأكد من دستورية التشريعات التي يسنها الكونغرس الأمريكي . كما ان المؤلف أورد في ترجمة Territorial waters ( ص ١٣٦٨ ) بأنها المياه الإقليمية وهي التي تشمل مياه البحر الواقعة على مسافة لا تتجاوز ثلاثة أميال من الساحل . والحقيقة أن هذا التحديد لم يقبل قبولاً مطلقاً ، وأن كثرة من الدول تدعي مياهاً إقليمية تصل الى اثني عشر ميلاً أو أكثر . وهناك كلمة Fund ( ص ٦٣٠ ) التي أسهب المؤلف الكريم في إيراد المصطلحات التي تعنيها ولكنه لم يشر إلى التسمية الحديثة التي درج استعمالها اليوم وهي كلمة « الصندوق » كصندوق النقد الدولي International Monetary Fund . وعندما تعني مبلغاً من المال مخصصاً لغرض معين .

ولكن ماذا تكون هذه الهبات الطفيفة ازاء تلك الثروة اللغوية والقانونية التي جمعها المؤلف فأحسن جمعها . ان كتاب الأستاذ الفاروقي مساهمة جديدة كبيرة في حقل الدراسات الحقوقية جديدة بأن تجد مكانها في مكتبة كل حقوقي .

الدكتور عمر النص



## « مي » أديبة الشرق والعروبة

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن ( ٣٣٥ ) صفحة

من منشورات مؤسسة « عالم الكتب » في القاهرة

الآنسة مي أديبة كبيرة مشهورة ، وهي أكبر أديبة من النساء في هذا الجيل الذي نحيا فيه ، فقد اتصفت بصفات تدل كل واحدة منها على مزية أديبة ، وميزة فنية ، فهي كاتبة ، وخطيبة ، ومترجمة ، ومحدثة ، وهذه الخطوط هي التي تكوّن شخصيتها الفذة ولعل من دواعي شهرتها أنها أنشأ ، فإن الأدبيات في مطلع عصرنا هذا كن نادرة وكان عددهن قليلا جداً ، فلما نبغت هذا النبوغ اعتبرت من حسنات الزمن .

امتاز ادب « مي » بالمحافظة على أنوثة صاحبته فإذا قرأت لها شيئاً أحسست أنها تتحدث بطبيعة المرأة وتفكيرها وهذه فضيلة كبرى للأدبيات على حين أن عيب الأدب الذساني في بلادنا انه ، في أكثره ، تقليد لأدب الرجال مما يضيع ميزته ويذهب بلونه الخاص الذي ينبغي أن يبدو عليه دائماً ، لأن للمرأة طبيعة تختلف عن طبيعة الرجل ، فمن الحق أن يكون أدبها مختلفاً عن أدب الرجل تبعاً لاختلاف طبيعتهما . فأدب « مي » اذن يمثل هذا الأدب النسوي الذي امتاز بالركة والدماقة وفهم الأمور بمقل المرأة وحسها المرهف .

ولقد قسم الأستاذ عبد الغني حسن كتابه الى ثلاثة فصول : أولها « دراسات وملاحح » وتحدث فيه عن صورة مي ، وعن أحزانها وأفراحها ، كما تحدث عن مزاياها الأدبية في أسلوبها وسخريتها ، وعن شعرها وموسيقاها وصالونها وكتبها .

وثانها «أحاديث عن مي» وهذه الأحاديث اختارها السكاك من بين الآراء التي أدلى بها أدباء مصر المعاصرون في السكاكبة النابغة من مثل الشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور طه حسين والعقاد والمازني والشاعر مطران وغير هؤلاء .

وثالث هذه الفصول يتضمن «منتخبات من مي» وهي تتناول بعضاً من رسائلها الى الادباء من مثل جبران والريحاني والرافعي وأحمد لطفي السيد ، كما تناولت عدداً من خطب مي في الحفلات التي كانت تدعى اليها .

بقي أن نتحدث بكلمة عن الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، فقد عرفناه شاعراً وأديباً منذ أكثر من ربع قرن في المجلات البارزة بمصر ، فهو أديب ناصع الأسلوب مشرق الديباجة ، وهو بهذه الصفات وبما خبره من الفقيده مي وحياتها خير من يستطيع تصوير حياتها وأدبها الرفيع .



### معجم الموسيقى العربية

تأليف الدكتور حسين علي محفوظ

من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد العراقية في عام سنة ١٩٦٤ - بغداد  
يقع الكتاب في ( ٢٢٤ ) صفحة

لا تزال المعاجم التي وضعت باللغة العربية قاصرة عن أداء مهمتها وقأدية غايتها من حيث إحاطتها بالعلوم والفنون الحديثة ، ولقد وجدنا عند الأمم الغربية اليوم معاجم تتناول كل علم وتقتد الى كل فن ، ولو حاولت أن تستعين بمعجم من هذه المعاجم المختصة أو ما يدعى بمعاجم المصطلحات لاضطرت الى البحث عن ذلك في اللغات الأجنبية ، لهذا فان المعجم الذي يوضع لفن من الفنون أو علم من العلوم خاصة هو معجم بالغ الأهمية ظاهر الفائدة ،

ولقد ظهر في الحفبة الأخيرة بعض المعاجم العربية المفيدة كمعجم الألفاظ الزراعية ، ومعجم المصطلحات الحراجية ، ومعجم الثياب ، وقاموس الأعلام ، ومعجم المؤلفين ، فكان ظهورها معيناً لأصحاب البحث والدرس . ولقد أصدرت مؤخراً وزارة الثقافة والإرشاد العراقية معجماً صغيراً للموسيقى العربية من تأليف الدكتور حسين علي محفوظ . والدكتور محفوظ من ثقات المشتغلين بالثقافتين العربية والفارسية ، وله كتب عديدة في هذا المجال نذكر منها العلامات والرموز ، والألفاظ التركية ، والنوروز ، ومعجم الآلات والأدوات ، ومعجم الصناعات والبياعات والمحترفين ، وهذان المعجمان الأخيران هما أصل هذا المعجم الموسيقي كما يقول في مقدمته ، وقد جعل معجمه الجديد على قسمين تناول أولهما الاصطلاحات القديمة كما تناول القسم الثاني اصطلاحات مجمع اللغة العربية .

والمعجم برغم افادته يحتاج الى المراجعة وإعادة النظر من حيث شموله واتساعه لكل الاصطلاحات الموسيقية الفنية اللازمة للباحث المطلع .

ولقد لاحظنا ، بهذه المناسبة وعلى مقدار معرفتنا ، أن هنالك ألفاظاً تعرضت للخطأ في هذا المعجم الموسيقي ، وانا لنثبت فيما يلي بعض هذه الألفاظ المقلوطة مبينين الى جانبها صحتها والصفحة التي وردت فيها .

| الصفحة | الخطأ                    | الصواب                             |
|--------|--------------------------|------------------------------------|
| ٥١     | المنصور - ناي            | المنصور - ناي له طبقة حزينية معينة |
| ٨٠     | ساز - لحن                | ساز - آلة                          |
| ٨٠     | السجّاح - النغمة الثقيلة | السجّاح - قرار النغمة الحادة       |
| ١٢٠    | فانفار - تركية           | فانفار - فرنسية                    |

وهذه الكلمات ليست كل ما يمكن أن يلاحظه ناقد الكتاب لأن هنالك ألفاظاً أخرى يمكن إعادة النظر فيها ، ولا يقدح هذا بالجهد المبذول في

هذه السبيل ، وحبذا لو كان هذا العمل عملاً مشتركاً يسهم فيه عدد من المختصين لتصحيح الأخطاء وإيزيد عدد الكلمات والاصطلاحات .  
ورغمًا عن الملاحظات السالفة فإن هذا المعجم يمكن اعتباره اللبنة الأولى في معاجم الموسيقى وهو بدء مشكور وجهد حسن نرجو استمراره واطراده .



### ديوان السلطان سليمان بن سليمان النبهاني

يقع في ( ٣٧٢ ) صفحة من القطع المتوسط

من مطبوعات المطبعة العمومية بدمشق عام ١٩٦٥

هذا ديوان لشاعر من عمان ، ولعمان ذكر في تاريخنا العربي الإسلامي ثم خبا هذا الذكر بعض الشيء الى أن عاد الى اللعمان هذه الأيام ، وعلى أثر الانتفاضة التي بدأها الشعب العماني في ثورته العارمة على الاستعمار الأجنبي ، هذه الثورة التي هي الآن ملء سمع الدنيا وبصرها ، فكانت بادرة طيبة أن عمد الناشران سليمان وأحمد أبناء محمد السالمي الى نشر هذا الديوان ، وأن أشرف على تصحيحه والتعليق عليه أستاذنا الجليل عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

والسلطان سليمان هذا إذا قرأت تاريخه قد كرت امرأ القيس الكندي الشاعر الضليل والذي كان ملكاً على قبيلته ، ومن العجب العجيب أن يتشابه السلطان والملك في قوه الشعر وجزالته ، وفي طريقة الحماسة ، فحياة امرئ القيس معروفة لدينا ، وكذلك حياة شاعرنا سليمان النبهاني فقد كان محباً للهو والمجون كسلفه وصافاً لمعشوقاته الكثيرات وصفاً يذكره بالشاعر الضليل ، ولكن النبهاني كانت حياته مقسمة بين المجون والجد ،

ولم يكن يخلط هذا بذاك ، إذ كانت له وقائع حربية ومعارك ما زال ذكرها في مسمع التاريخ العماني . ومن الغريب أن يحب شاعرنا الجديد تقليد امرئ القيس ومعارضته ، حتى إنه يذكر المواقع التي مرت بشعر امرئ القيس ، كما أنه يتشبه به في طريقة النظم ، فالاقتراس عنده لفظي ومعنوي ، كما قلد شاعرنا عدداً من شعراء الجاهلية مثل عنترة وطرفة وعمرو بن معديكرب .

أما لغته ، كما يقول الأستاذ التنوخي ، « فبدوية منتزعة من لغة البادية وحياتها » ، ومن يراجع الديوان ير تحقيق هذا الرأي وصحته . وقد ولد هذا الشاعر في النصف الأول من القرن التاسع للهجرة ، وتوفي حوالي سنة ٩١٥ هـ و ١٥١٠ م .

وعلمت أن الذسخ المخطوطة التي اعتمد عليها الأستاذ المحقق كانت كثيرة الأخطاء . وقد أفرغ الأستاذ جهده في تصحيحها وتنقيحها ، ولا ضير في بعض الأخطاء المطبعية ، لأن الخطأ المطبعي في كتبنا العربية يكاد يكون أمراً طبيعياً .



### أبو العتاهية

أشعاره وأخباره ، تحقيق الأستاذ الدكتور شكري فيصل

عدد الصفحات ( ٧٢٢ ) صفحة من منشورات مطبعة جامعة دمشق عام ١٩٦٥

أبو العتاهية شاعر عباسي صاحب لون خاص في الأدب العربي ، فقد امتاز بلون الزهد والتحدث عن الحياة والموت والعلاقة بينها ، وإن تخلل ذلك بعض الغزل والمدح ، واشتهر الرجل بعدم العناية بشعره لاستطاعته النظم بسهولة لم تعرف عند غيره من الشعراء ، لذلك كثرت سقطه حتى قيل فيه « شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يلقي فيه الحزف والجوهر » كناية عن اشتغال هذا الشعر على الجيد والردئ .



وقد قام مؤخراً الأستاذ الدكتور شكري فيصل عضو المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق ديوان الشاعر وقدم له مقدمة ضافية تحدث فيها عن أسباب تحقيق هذا الديوان والدوافع التي دفعت الى ذلك وأهمها أنه اختار أبا العتاهية ليكون نموذجاً لشعر الزهد في دراساته عن الشعر العباسي ، كما نشر المحقق مقدمة ابن عبد البر وهو صانع الديوان الأول وعلى نسخته اعتمد .

أما الديوان الجديد فقد طبع طبعاً متقناً مشكولاً . وصنفت قصائده على الحروف الأيجدية مع ذكر البحر العروضي الذي نظمت عليه القصيدة ، يضاف الى كل هذا شروح مستفيضة إلا أن هذه الشروح اقتصرت على ذكر الاختلافات في الرواية بين النسخ المخطوطة التي استأنس المحقق بها في تحقيقه ، وكنا نرى أن يلجأ الى شرح بعض الألفاظ الغريبة العويصة التي لا يخلو شعر أبي العتاهية منها في بعض الأحيان رغم سهولته .

وألحقت بالديوان تكملة صنفت أيضاً على الحروف الأيجدية ، واستغرقت ما بين الصفحتين ( ٤٧٢ ) و ( ٦٨٠ ) ، وأضيف الى هذه الطبعة الجديدة استدراك امتد من الصفحة ( ٦٨١ ) حتى صفحة ( ٧١١ ) ، كما ألحق بالديوان بيان بالمصادر ، وبيان آخر للخطأ والصواب ثم فهرست يضم محتوى الكتاب .

وما لا ريب فيه أن تحقيق هذا الديوان عمل جليل وجهد لا يفكر ككل الأعمال الأدبية التي يقوم بها الدكتور شكري فيصل .



ابن نباتة المصري ( أمير شعراء المشرق )

تأليف الدكتور عمر موسى باشا

٣٣٥ صفحة من القطع المتوسط طبع في « دار المعارف » - القاهرة سنة ١٩٦٣

وضع هذا الكتاب الدكتور عمر موسى باشا .

وابن نباتة المصري شاعر عاش في عصر الاضطرابات من التاريخ العربي فهو مخضرم بين عهد الأيوبيين وعهد المماليك البحرية إذ ولد عام ٦٨٦ وتوفي عام ٧٦٨ للهجرة وهو مخضرم أيضاً في حياته لأنه ولد في مصر وعاش في بلاد الشام حقبة طويلة .

ويضيق اسم هذا الشاعر بين اسم جده عبد الرحيم بن نباتة الذي كان خطيباً لسيف الدولة ، وابن نباتة السعدي الشاعر الآخر الذي عرف في بلاط سيف الدولة ، لذلك دعي صاحبنا هذا بابن نباتة المصري تمييزاً له من غيره . كما اختلف في لفظ كنيته « نباتة » أهو يرفع النون أم نصبها ؟ والكتاب يقع في مقدمة مختصرة وبابين اشتملا على البحث كله ، أما الباب الأول فيبحث في عصر الشاعر وحياته ومراحل هذه الحياة الطويلة المتنقلة كما يبحث الباب الثاني في أدب ابن نباتة وآثاره الشعرية والنثرية وينتهي بخاتمة وبثبت يبين مصادر البحث .

وال مؤلف يتعرض في بحثه عصر الشاعر الى الملوك الأيوبيين والمماليك البحريين ولكنه يترك بحثه مبتوراً لأنه اقتصر على ذكر بعض الملوك الذين عاصروا الشاعر ونرى أن طبيعة البحث تقتضي أن يخصص بحث يتناول رجال هذين العهدين فيأتي على ذكرهم جميعاً ولو باختصار لتمت الصورة التاريخية للمهد الذي يتناوله الكتاب .

ثم إن الحواشي التي وضعت للكتاب قاصرة على ذكر المراجع دون التعرض للأشخاص والأماكن إلا في القليل النادر وهذا مما يجعل القارئ في حيرة من أمره حين يريد دراسة الشاعر ؛ فالكتاب لم يذكر شيئاً على التقريب عن شخصية بارزة مثل ابن منظور أو عبد القاهر الجرجاني أو الجلال القزويني ، وكان البحث يقضي أن يذكر عن هؤلاء شيء ولو في الحاشية يوضح شخصياتهم ويدل الباحث عليهم دلالة مفيدة .

وحين ينتقل المؤلف الى بحث « أدب ابن نباتة » تجده يؤكد عظمة الشاعر وعبقريته مستنداً في ذلك الى آراء الأقدمين في العصر الذي عاش فيه الشاعر كقولهم : شاعر العصر ، أو شاعر الشرق ، أو حامل لواء الشعر في زمانه ، ويرى المؤلف بعد ذلك أن شاعرنا قد « خص بهذه الألقاب دون غيره » مع أن مثل هذه الألقاب كانت أهون شيء عند أدباء هذا العصر ، وعندني أن الألقاب التي كانت تكال جزافاً لا تعطي أية فكرة عن الشعر أو الشاعر وأنا أحيل المؤلف على « بتيمة الدهر » ليرى الأوصاف والألقاب كيف توزع بحيث لا يمكن التفريق بين شاعر وآخر . وفي هام لفت نظري في الكتاب أن الشعر الذي ورد فيه لم يضبط من ناحية الوزن ، كما جاء في البيت الثامن من أبيات ابن مطروح « الصفحة ١٧ » أو البيت الحادي عشر من قصيدة ابن دانيال « الصفحة ٦٢ » كما وردت أخطاء نحوية نغزوها الى المطبعة وكان من حق الكتاب أن يلحق به جدول للخطأ يعين القارئ على الإفادة الكاملة .

قدمنا لك نقدنا للكتاب لنخلص الى القول ان البحث بحث متزن يكاد يكون مستوفياً موضوعه وهو يعطيك صورة عن العصر الذي عاش فيه الشاعر وعن الشاعر نفسه ، يضاف الى هذا أن عبارة الكتاب سهلة محببة وقريبة من القلب ولا بدع في ذلك فان الدكتور عمر موسى باشا أديب مطبوع وهو من خيرة الأدباء الذين يستطيعون النهوض بمثل هذه الأبحاث المفيدة .



## النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ

تأليف الأب فيكتور شلحت اليسوعي

كتاب يقع في ( ١٩٢ ) صفحة ، طبع في دار المعارف بمصر عام ١٩٦٤

هذا الكتاب رسالة جامعية تقدم بها المؤلف جامعة القاهرة وقد أشرف عليها الدكتور شوقي ضيف ، والكتاب محاولة طيبة وبحث واف قصد منه صاحبه توضيح « الميزة العقلية » في مؤلفات الجاحظ ، وأنت علم « الكلام » قد كان له أثر قوي في أسلوبه ، ولكي يصل الكاتب الى غايته هذه قسم موضوعه الى تمهيد وبابين وفتحة ، فبحث في التمهيد موضوع المتكلمين وأثرهم في الثقافة والأدب ليخلص الى فكرة تأثر الجاحظ بعقلية « أصحاب الكلام » واعتماده على المنطق العقلي في كثير مما كتب ، كما بحث في الباب الأول « عناصر أسلوب الجاحظ » وعلاقة هذا الأسلوب بالبلاغة ، ثم قضية التعبير وطريقة التفكير عنده ، وانتقل الى الباب الثاني الذي يبين فيه العناصر الكلامية في أسلوب الجاحظ ، وفي خاتمة الرسالة تعرض المؤلف للنزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ ومذهبه الكلامي ، وأنهى الكتاب بفهرس للمراجع وآخر الموضوعات .

ويحسن بنا الإشارة الى أن الموضوع درس دراسة متقنة وأن البحث كان حسن الاطراد والاتساق بحيث يبدأ قارئه وينتهي دون أن يجد صعوبة في فهم ما أراده الكاتب .

كما أن الناحية الشكلية بالكتاب مغرية بالقراءة ، فالإخراج جميل والطبع متقن والأخطاء الطبعية نادرة ، وهذه ميزة لها أهمية بالغة في المطبعة العربية وهي تدل على العناية الفائقة والتأني المثمر .

بقي أن نشير إلى أمر هام في نظرنا وهو الموضوع ذاته الذي تعرض له المؤلف ، فنحن نرى أن الجاحظ لم يكن مأخوذاً بالمنطق والعقل ،

ولو خالفنا في هذا ابن العميد ، ونخلص من هذا الى القول بأن « الكلام » لم يكن أثره بارزاً في كتب الجاحظ كلها لأن صفة « الأديب » عند هذا الرجل غلبت عنده كل صفة أخرى . ولعل المؤلف قد اطلع على بعض المخطوطات التي انحاز فيها الجاحظ الى البحث العقلي .

إن الناحية الفنية هي التي تميز الجاحظ من غيره من الكتاب ، على حين أنك تجد أثر العقل ظاهراً عند ابن المقفع وعبد الحميد والحوارزمي مثلاً ، فلقد شغل الجاحظ برواية القصص الصغيرة يخرعها ، وإيراد النكات الطريفة يصنعها عن نفسه أو غيره رغبة منه في إدخال السرور على القارئ أو إراحته من غذاء الجد والتفكير ، ورجل هذه طبيعته لا جرم يعد من أصحاب الفن أكثر مما يعد من أصحاب العقل والمنطق .

ولعل ما يدعم رأينا هذا ، قصر عبارة الجاحظ ، وكثرة استطراداته ، وانصرافه الى التجويد اللفظي فمل الأدباء الموهوبين ، ولا يستطيع الذهن المشغول باللفظ أن ينفصل الى جانب ذلك بالمنطق والعقل لأن الشغلين ضدان أو نقيضان .

على أننا لا نخفي إعجابنا بطريقة البحث التي لجأ اليها المؤلف فهي الطريقة المثلى التي يمكن أن يسار عليها في البحث العلمي الجدي ، والكتاب جدير بكل تقدير وإعجاب .

أحمد الجندي



# آراء وأنباء

## حول رؤية ابن بطوطة لابن تيمية

قلت في بحثي عن ابن بطوطة المنشور بالجزء الخاص من هذه المجلة لمناسبة افتتاح مجلدها الأربعين : « ان رسالتنا لم يأخذ عن ابن تيمية وان قال انه رآه » . وهي كلمة 'معبّرة' كشفت لجنة المجلة عما وراها بالتعليق الذي كتبته عليها .

وسألني أحد الأصدقاء ما تعني لجنة المجلة بتعليقها هل هو الطعن في ابن بطوطة وانه أخبر بغير الواقع ؟ فأجبتُه إن كان هناك طعن فأنا الذي بدأتُ به ، لأن قولي « وإن قال انه رآه » صيغة أقل ما تفيد الشك في هذه الرؤية .

والواقع ان ابن بطوطة تكلم في ابن تيمية بما لا يخلص له منه إلا بتأويل بعيد . ولذلك لجأنا الى الشك في خبره عنه . فقد تكلم عنه بما لا يعدو أن يكون كلام خصومه فيه ، وذكر سجنه أولاً ثم إطلاق صراحه - قال - « الى أن وقع منه مثل ذلك ثانية ، وكنت بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من درج المنبر . فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء » الخ ما قال . والتاريخ الذي ذكره ابن بطوطة لدخوله دمشق هو يوم الخميس ٩ رمضان عام ٧٢٦ وقد أثبت العلماء أن ابن تيمية في هذا التاريخ كان معتقلاً بقلمه دمشق وانه دخلها يوم الاثنين بعد العصر ٦ شعبان من السنة

كما عند الحافظ ابن كثير وغيره<sup>(١)</sup> فكيف يصح قول ابن بطوطة هذا مع تلك الفاقرة التي نسبها الشيخ الإسلام في تفسيره لحديث النزول بما هو من قول المجسّمه المخالف المذهب السلف الذين يعد ابن تيمية قطباً من أقطابهم ؟ إننا لا نرى إلا أن الخبر قد وقع فيه تزويد من خصوم ابن تيمية ورواه رحالتنا على علاقته فنُسب إليه . ومعلوم أن الرحلة لم يكتبها هو وإنما أملاها على الكاتب ابن جُزَيّ بأمر من السلطان كما بُيِّن ذلك في البحث المذكور ، فيجوز أن هذا الكاتب توهم حضور ابن بطوطة للواقعة المزعومة ، في حين أنه إنما كان يحكي ما سمع . وسياق الخبر في الرحلة قد يؤيد هذا ، لأنه يذكر دخول الشيخ إلى السجن وبقائه فيه إلى أن توفي رحمه الله ، فليس بعيداً أن يكون صدى سجنه منذ شهر ما يزال يتردد في دمشق ، وسبب هذا السجن الذي أن لا بد أن يذهب فيه الناس مذاهب شتى قد أُلقي إلى رحالتنا الغريب كما رواه ، فجاء الكاتب بعد ذلك فحوّره على ما يوجد في الرحلة من أنه كان شاهيداً .

والمقصود بهذه الكلمة هو : أولاً التّضح عن شيخ الإسلام ونفي تلك الفرية عنه ، مع التّمس الخرج لرحالتنا ابن بطوطة من قسبيعتها ، لاسيما وهو قد عرف بالدين والورع والتّثبت فيما يروي . وثانياً بيان أن تعليق لجنة المجلة على تلك الجملة من البحث هو في محله وإني بتلك العبارة المشكّكة كنت أُلح إلى هذا الذي ذكرته اللجنة المحترمة مع عدم تجريح الرجل ، فلما أبدى الصديق المشار إليه ملاحظته على ذلك التعليق لم يبق بد من بيان الحقيقة وإزاحة الستار عن أصل الحكاية والله الموفق .

عبد الله كنون



(١) انظر شرح نونية ابن القيم للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى ج ١ ص ٤٩٧ وما بعدها .

مقارنات سامية<sup>(١)</sup>

يسرني أن أشكر الأستاذ ربحي كمال لتعليقاته النفيسة على المقارنات اللفظية في العبرية والعربية التي نشرت في مجلة «عبر النهرين» . وبما أن الأستاذ تفضل بطلب رأيي فيما أبدى أجتزىء فأزيد ملاحظة أو ملاحظتين . أولاً : يقابل الأستاذ אֶבֶן بالفتح ولا شك أن اقتراحه أصلح مما اقترحته .

ثانياً : أما אֶבֶן فيوجد هنا سوء تفاهم لأن العمود الأول في الجدول يتضمن ما ورد في المعجم العبري ويتضمن العمود الثاني معنى الكلمة الصحيح . واقتراح الأستاذ أن الكلمة العربية المقابلة لـ אֶבֶן هي إهاب ولكن في العبرية الكلمة هذه هي אֶבֶן .

ولم أفهم موضع قول الأستاذ «تخيّل للأستاذ المستشرق أن القِداح بمعنى الأقداح فترجها بالإنكليزية بكلمتي Cup , bowl بمعنى القَدَح أو الإناء» وسها عن الأستاذ فيما يبدو أن المقابل الذي اقترحته في مقالي لم يكن «أوب» بل «وَأَب» وفي اللسان (وَأَب) نجد «وقَدَحَ وَأَب وإناء وأب ولوابة النقرة في الصخرة تمسك الماء» .

ثالثاً : أما אֶבֶן فاتمك برأيي أن المقارنة يجوز أن أجدر من المقارنة بأخزر لأن المحتاج إليه هو رجل قاسٍ وعنيف . والمعنى الأصلي للأخزر في اللسان «كسر العين بصرها خيلقة» . ومن ينظر بمؤخر عينه فهو داهية جباناً كان أو جباراً . وقال الأستاذ «ليس في العبرية صفات على وزن أفعل» وأهل אֶבֶן = أكذب و אֶבֶן = وأئن وهما من أسماء التفضيل . وقال أيضاً «وكلمة جزّار في العربية لا تستعمل بمعنى قاسٍ إلا على

(١) المنشور في الصفحة ٥٨٢ من الجزء الرابع من المجلد التاسع والثلاثين .



سبيل المجاز» ومع ذلك فالجزار هو الذبّاح سواء كان ذبيحهُ حيواناً أو انساناً . وورد في محيط المحيط «الجزار الذبّاح والقصاب ولقب وزير في سورية اسمه أحمد كان ظالماً سفاكاً للدماء» .

رابعاً : وأما ٢٩٦٦ بمعنى خارج الشيء فإني ما قابلته بالاسم «حوز» بل قابلته بالفعل حاز وقد جاء في التاج «حزت الشيء إذا جمعته أو تحييته» . ويقال أيضاً «يقال للأولياء الخازوا عن العدو وحاصوا وتحوز وتحيز عنه تنحى» .

خامساً : أما ٢٩٦٧ فمن الممكن أن الأستاذ أصاب بقوله «مقابل هذا الفعل هو لأظ بقلب مكاني وإبدال الصاد العبريّة طاء في العربية» ولكن يجب أن تصحّح الغلطة المطبعية الى طاء مهمة .

سادساً : وأما ٢٩٦٨ ففي رأيي مقابلة في العربية هو حيس لاتفاق الصيغتين ٢٩٦٩ وحيس في اللغتين وأيضاً لأنها تعلقتا ببطل .

سابعاً : أما ٢٩٦٩ قطع فقد كانت ملاحظاتى زيادات أو تصحيحات للمعجم العبري وفيه الفرق بين ٢٩٦٩ جدّ قطع و ٢٩٦٩ غزا بيتن وفي رأيي أنه لا صلة بين «غلبه في الجود» وغلبه في الحرب كما زعم الأستاذ . ثامناً : أما ٢٩٧٠ ففعل الأستاذ أصاب في قوله «مقابلة دفع» .

ثامناً : ٢٩٧١ كما بيتن المعجم العبري لا يوجد هذا الفعل إلا بوزن أفعَلَ ولذلك فإن معنى «ضجاً» هو أقام فيجب أن يكون معنى أضجى وَضَعَ . وقال الأستاذ «لا وجود لهذا الفعل في المعجم» ولكن جاء في اللسان «ضجاً بالمسكان أقام حكاه ابن دريد قال ليس بثبت» . وعندى أن تصحيح كلمة عربية قديمة أخرى من طرحها إذا أثبتتها العبرية والله أعلم . هذا وأكرر شكري الجزيل للأستاذ رجائي كمال على ملاحظاته القيمة .

## أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

— ٤ —

( ٢٨ )

مادة نظر — تناظر

قال « تناظرت النخلتان = نظرت الانثى منهما إلى الفُحْصَال فلم ينفعها تلقيع حتى 'تلقح' منه' » .

تناظر وزن يفيد اشتراك الفاعلين - فتفسير تناظرت بنظرت إخلال لأن الصواب نظر أحدهما إلى الآخر ؟ وهو إخلال أيضاً لأنه تفسير المادة بنفسها . وزيادة على هذا جعل النخلة تختار وتُصير على اختيارها كمن يعقل فيفهم الطالب أن " نظرت بمعنى سددت بصرها - مع أنه لا شيء من هذا فيه . تناظرت النخلتان معناه تقابلتا ولا تعين فيه لذكر أو لانتى - وناظرت داري دارك = قابلتها - كانت بإزائها - ونظرت دور آل فلان إلى دور آل فلان كانت مقابلة لها وهذا قول ابن منظور نفسه في صفحة أخرى . ويقول أيضاً إذا نظر إليك الجبل فخذ عن يمينه أو يساره أي إذا قابلك .

\*\*\*

( ٢٩ )

مادة دن ر دينار

قال : « الدينار فارسي معرب أصله دينار بدليل قولهم دنانير فقلبت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فيعال ( مثل كينتاب )

ومثله قيراط وديباج وأصله دبّاج « ا ه - وفي مجلد آخر يقول قيراط أصلها قيرَاط أو من قرط عليه .

أما الدليل الذي اتخذته ( بدليل قولهم دنانير ) ضعيف لأنه كما جاز أن نفرض أن النون قلبت ياءً في المفرد يجوز لنا أن نفرض أن جمع دينار في الأصل دنانير ثم قلبت الياء نونا - فرض مقابل فرض - وهما متساويان في الصحة وعدمها . وقالوا انهم خافوا من التباس الجمع بالمصدر على وزن فِعْعال . ولكن هذا الخوف في غير محله لأن المصدر على فِعْعال نادر لا يخيف وعلاوة على هذا فإن دِنَّار يستحيل أن تلتبس لأنه لا يوجد فعل دَنَر ( دَنَرٌ ومَدَنَرٌ غير مشتقين من دَنر بل مُخْرَجَانِ من دينار ) . وديباج ليست من دبّاج بل من الفارسية دبيا - وزيادة الجيم في آخر الألفاظ الفارسية شائعة عند العرب مثاله ( ماله صارت مالج وفالوده صارت فالودج وسكبا صارت سكباج ) وقس عليه - ولكن علام هذا التدويم والكلمة لاتينية الأصل Denarius ومعناها « ذو العشرة » . لأنه كان يساوي ( في رومية القديمة ) عشرة 'فلوس' . [ وكان عندنا مثال آخر من تسمية القطعة من النقود بما تساويه من القطعة التي أسفل منها - بشلك = ذو الخمسة ] .

وأما قيراط فيونانية الأصل وقد أصاب صاحب محيط المحيط في قوله « من اليونانية كيراتون » . [ النون في آخر اللفظة تتوقف على موقع الكلمة في الجملة فقد ترد Képatو بلا نون - ومعناها قرن - والحبثات الأربع في القرن ، [ وعاء البزر أو الخريطة - خريطة يونانية - أي كيراتو بإبدال الحاء من الكاف ] اتخذها اليونان وحدة للوزن . ولسان العرب يكتفي بالقول إن القيراط من الوزن معروف .

## ( ٣٠ )

مادة ر م د وميد

قال : « وقد وميد اليوم ومنداً فهو وميد وليمة وميدة » . ويقال ليلة وميد بغير هاء ومنه قول الراعي يصف امرأة .  
 كأن بَيْض نعامٍ في مَلَحَفِها إذا اجْتَلَاهُنَّ قِيظاً ليلة وميد هـ اه  
 أخل بالنظام وتخلى عما كان قد قاله ( ليلة ومدة ) لكي يخرج قول الراعي . ولنفرض أن الراعي قال هذا مُضْطَرّاً فهل نجعل إخلال الراعي قاعدة ؟ ومثل هذا الاسترخاء في الشرح كثير جداً . ولكن قبل أن ننتهم الراعي بالإخلال للضرورة لماذا لا نفرض جواز الغلط في الرواية فنرفض البيت المخالف ؟ والواقع أنه حصل خطأ في الرواية . وإعراب البيت كما أثبتته ابن منظور لا يعلي شأن الراعي - اجتلاهن : فعل ماضٍ فاعله يجب أن يكون مذكراً ولكنه في البيت ليلة . على أن الراعي لم 'يخيل' ، لأنه لم يجعل نعت الأنثى مذكراً ولا جعل فعلاً مذكراً لفاعل مؤنث مفرد ، وإنما قال : إذا اجْتَلَاهُنَّ قِيظاً ليلة وميد .  
 راجع الكامل للمبرد ترا الرواية الصحيحة .

\*\*\*

## ( ٣١ )

مادة ق ح ط . قَحْطُوط ( عَظَمَ غير منصرف ) .

ورد في الكامل للمبرد لأوس بن حجر [ والمبرد وأوس من أهل الثقة عند أصحاب المعاجم ] .  
 الحافظ الناس في قَحْطُوط إذا لم يُرْسِلُوا تحت عائدٍ ربعا لم يذكر قحوط .

\*\*\*

( ٣٢ )

مادة لبُ ألبوب .

قرأ طالب الجملة الآتية : « الصلّام = الذي في داخل نواة التّبيفة يؤكل وهو الألبوب » . فأراد أن يرى تفسير ألبوب ليتحقق عدم وجود فرق بين الصلّام والألبوب ، فطلبها في اللسان فلم يجدها - وكانت الجملة المقرّوة التي وردت فيها ألبوب لابن منظور نقلاً عن الأزهري .

\*\*\*

( ٣٣ )

مادة ص ل م . على الهامش .

على هامش اللسان يقرأ الطالب تنبيهاً أو استدراكاً أو تصحيحاً لمصحح اللسان ففي مادة صلّم هذا التّنبية : « قوله فاعتبوا رواه الأزهري فأغضبوا فتكون الروايات ثلاثة » .

المصحح لا يجمل أحكام العدد ولكن هم الطابعون - ومثلها قوله : « مرّ يجدي أسك أي مصطلم الأذنين » ( بكسر اللام ) اصطلم فعل متعدّ معناه قطع . فالصحيح مصطلم ( بفتح اللام ) هذه أيضاً من الطابعين - والضّرر واحد .

\*\*\*

( ٣٤ )

مادة ع ي د تعيّد

قال : « تعيّد العائن على ما يتعيّنه = تشمّق عليه وتشدّد ليلالغ في إصابته بعينه » - وفي مادة ش ه ق لا تجد تشمّق .

## ( ٣٥ )

مادة ف ط ء . دَخَلَ

قال « فطاً البعيرَ حمل على ظهره حملاً ثقيلاً حتى اطمأنَّ ودخلَ » .  
وفي مادة دخل لا يذكر دَخَلَ بمعنى يفسر هذه الجملة . وأقرب  
ما جاء في الصفحات الثلاث التي ملأتها المادة قوله « الداخِل في جوفه الهُزال » .  
ولكن قرب هذا المعنى مثل بُعدُه - قال دَخَلَ فالمنضَى تفسير « دَخَلَ »  
لأن المعجم ليس للحزر والاستخراج .

و « القاموس » أيضاً لا يذكر دخل في بابها بمعنى مفسر للجملة أعلاه  
ولكنه يفسرها في باب فطاً حيث يقول « حتى اطمأنَّ ودخل أي تطأطأ » .

\*\*\*

## ( ٣٦ )

مادة ن ف ف - الننف

قال « ..... والننف أسناد الجبل الذي تعلوها منها وتهبط منها » .  
فمن يفهم هذا الكلام ؟ والمصحح والمراجع تأمنا عنه - ولولا فضل الفيروزبادي  
لنقل « معجمي » التاسع عشر والعشرين كلام « اللسان » حرفاً بحرف .  
قال المجد : « أسناد الجبل التي تعلوه منها ( أنت تعلو الجبل من تلك  
الأسناد ) وتهبط منها » .

\*\*\*

## ( ٣٧ )

ومن المطبعيات قوله مسندودة ( بضم الميم ) في الآية الثامنة من سورة  
هود وهو يفسر كلمة أمة ( بمعنى حين ) « ولئن اخترنا عنهم العذاب  
إلى أمة مسندودة » .

## ( ٣٨ )

مادة طرد

قال « يُقال طردته فذهب لا مضارع له من لفظه » . وكيف يكون هذا وهو يستعمل التفسير بقوله طرده يطرده طرداً ؟ ولو انتبه المصحح على الهامش لكذب « هكذا في الأصل ولعله يقصد لا مطاوع له من لفظه » .

\* \* \*

## ( ٣٩ )

مادة ل ع ن - لعين

قال « قال الجوهري واللعين شيء يُنصب وسط الزرع تستطرد به الوحوش » . وفي باب طرد لا يذكر 'تستطرد' بمعنى 'تذعر' وتُستطرد به الوحوش = يُراد به طرد الوحوش .

\* \* \*

## ( ٤٠ )

مادة ر ه ج - مرهج

قال « الرهّج والرهّج الغبار » - وأرهج الغبار آثاره [ المجد يقول أرهج = آثار الغبار - وإذا كان الرهّج هو الغبار فلا حاجة إلى ذكر الغبار بعد أرهج ] .

بعد تفسيره أعلاه أورد بيتاً من الشعر :

ففي كل دارٍ منك للقلب حسرةٌ      يكون لها نوءٌ من العين مرهّجٌ  
وفسّر البيت [ رغم أن تفسير البيت غير مطلوب منه ] بالمعنى الذي تقدم فقال : « أراد شدة وقع دموعها حتى كأنها تثير الغبار » ، وهو

لو صبر ووضع البيت بعد قوله ونوء مرهج كثير المطر مقدماً إياه شاهداً على نوء مرهج أي نوء كثير المطر لأصاب وما أدخل الغبار في شرحه للبيت لأن المعنى ظاهر : حسرة شديدة قسيل الدمع كما ينزل المطر الذوء المرهج - والزخشري أصاب لأنه ذكر البيت شاهداً على نوء مرهج .

\* \* \*

## ( ٤١ )

مادة عوز - أعوز

قال : أعوزني الشيء = أعجزني على شدة الحاجة ؛ اشتدت عليّ وعسر ؛ قلّ عندي مع حاجتي إليه .

وقال : أعوز الرجل = ساءت حاله ؛ افتقر .

ثم قال : فهو معوز ( بكسر الراء ) ومعوز ( بفتح الواو ) والأخيرة على غير قياس . « اهـ » .

ولكن لماذا على غير قياس ؟ معوز ( بكسر الواو ) اسم فاعل من المعنى الثاني ، ومعوز ( بفتح الواو ) اسم مفعول من المعنى الأول . فكلتاها على القياس .

\* \* \*

## ( ٤٢ )

مادة عوز - عوز

لا يذكر العوز - عوز جمع أعوز وعوزاء [ من عوز الرجل ] = افتقر : هذه يذكرها . [ وعوز واردة في شعر عنقرة ] أو في الشعر المنسوب إلى عنقرة [ فحلّوا لنا عوز النساء وجبّوا ( مفردتين تحنيتين ) عابدين منها مستقيم وجامح ]

\* \* \*



## ( ٤٣ )

مادة رأى - رئة .

قال : « الرئة موضع النفس والريح من الإنسان وغيره . »  
لو ترك الريح لكان الخطأ في عدم الإتمام فقط - ولكن صاحب  
البستان صحح فحذف النفس واستبقى الريح .

\*\*\*

## ( ٤٤ )

مادة ج د ب الجذب .

قال : « الجذب مد لك الشيء وعن الحكم ( ابن سيده ) الجذب  
المد - جذب الشيء يجذبه جذبا مده » .

لفعل مد معان كثيرة فلا يصلح لتفسير جذب - فمد الماتح ( المستقي  
الواقف على رأس البئر ) هو الجذب - مد الماتح الجبل وبالجل = شد  
نحوه ليرفع الدلو . = جذب الجبل - ومنه « قائل كلمة الزور ( الماتح )  
والذي يمد بجبلها ( الماتح ) في الإثم سواء » [ تمثيل الماتح والماتح في حديث  
علي لصاحب اللسان ] .

في المعنى المتقدم جذب ومد يتفقان ولكنها لا يترادفان رغم قوله  
الجذب المد والمد الجذب فلا يصح تفسير الواحد بالآخر ، وفي الجمل  
التالية عبرة :

عن اللسان : شيء مديد ومدود ورجل مديد الجسم فهل نقول رجل  
مجنوب الجسم ؟

عن اللسان : وقوله تعالى ويمدّهم في طغيانهم يعمهون فهل نقول  
ويمجذبهم في طغيانهم يعمهون ؟

عن اللسان : ومدّه في غيّه أي أمهله وطول له فهل نقول  
جذبته في غيّه ؟

عن اللسان : وفي التنزيل العزيز وعند له من العذاب مدًا فهل نقول :  
ونجذب له من العذاب جَذْبًا ؟

عن اللسان : ومد الله في عمره - أو مد يدك فهل نقول  
وجذب الله في عمره ؟ أو أجذب يدك ؟

عن اللسان : قال ثعلب قال مطرف وجدت الإنسان ملقى بين الله  
والشيطان فإن لم يجذب به اليه جَذْبَهُ الشيطان - فهل نقول إن لم يمتد  
مده الشيطان ؟

ويقول نقلاً عن سيبويه « جذب به = حوَّله عن موضعه » ، فإذا حوَّلنا  
كرسيًا عن موضعه في الردهة أي نقلنا الكرسي من مكانه إلى مكان  
آخر نكون قد جذبناه ! ثم يقول : « جاذبه مثل جذبته » وبعد قليل  
يقول جاذبته الشيء نازعته إياه - فالقول الثاني صحيح - فجاذب فيه  
معنى جذب مكرراً أو مشتركاً فيه - فالمشترك فيه جاذبته الشيء  
ويتعدى إلى مفعولين - وأما المكرر فما قدم ابن منظور مثاله :

ذكرتُ والأهواء تدعو للهوى والعيس بالركب يحاذين البُرى

و « معنى جذب مكرراً = شد به نحوه فلم يُطع فكرراً الشد » .  
وبعد ما تقدم يقول جذب فلان حبلَ وصاله (وجذّمته) إذا قطعه .  
وإذا خطب رجل امرأة فردته قيل جذبته وجذبته - هذا صحيح والمعنى  
واضح : « قطعت حبل رجائه » فلا يحتاج إلى تطويل ولكن « اللسان »  
يعود إلى « التذيب » فيجاريه : « وكأنه من قولك جاذبته فجذبته  
أي غلبته » ولكن هل كانا يتباريان في من هو أشد جذباً للآخر ؟  
هي لم تحاول جذبته (أي سحبه نحوه) وإنما رفضته .

## ( ٤٥ )

مادة ف ح ل .

بروي: تأبّري يا خَمِيرَة الفسيل تأبّري من حَمَدٍ فَشُولِ

إِذْ ضَمَّنَ أَهْلُ النَّخْلِ بِالْفَحُولِ

يفهم الفارسي من صورة فَشُول أنها فَعُول من فشل وهو شيء غير موجود . ولكن إذا سَمَّرَه الدرس إلى ح ن ذ وقف على الصحيح فيصير للكلام معنى .

كتابة الكلمة أعلاه فَشُولِي : مركبة من الفاء وفعل أمر المخاطبة من شال يشول أي رفع ذنبه . فخيال الشاعر شبه النخلة بالناقصة ( حَمَدٌ قرية بالقرب من المدينة فيها نخل كثير ) .

\*\*\*

## ( ٤٦ )

مادة ص ع د

من ارتخاؤهم المشوش والمعشر أنهم لا يفتنون بيتاً رؤي لهم ولو كان محشواً خطأ ورأوا الخطأ . لا يطلب منهم أن يعاقبوا أحداً على غلطيه ولكن الواجب كان إهمال القول المغلوط فيه - أمّا هم فأدخلوا الخطأ في المعاجم وعلّلوا عنه فكأنهم يُغفرون الآتين بعدهم بارتكاب مثله . وهذا ما حصل فعلاً لأنه إذا نسبنا أحد على خطأ مرعنا إلى المعاجم أو إلى كبار الشراح وعدنا هازئين أعلام المكابرة وقائلين : فلان أثبتنا وفلان جوازها وأصررنا على بخالفة القواعد . وهذا هو التشويش كما إن الإكثار مما يجب استظهاره من غير لزوم أو فائده هو التفسير .

مثاله - قال صاحب اللسان « واستعاره بعض الشعراء فقال :  
 [ لو كان على الأقل يعرف من هو الشاعر الذي استعاره . . . ]  
 فأصبحن لا يسألنّه عن بما به أصعّد في علو الهوى أم تصوّبا  
 وعلّق على البيت بقوله « أراد عمّا به » فزاد الباء وفصل بها بين عن  
 وما جرّته ، وهذا من غريب مواضعها - اعترف بأن هذا من مواضع  
 الباء وإن كان غريباً ، واحتفظ بالبيت - وخطأ الشاعر في أمر آخر  
 فقال : « وأراد أصعّد أم صوّب فلما لم يمكنه ذلك ( للوزن ) وضع  
 تصوّب موضع صوّب » - ففي نظر المصنّف هذه غلطة ثانية ولكنه  
 حافظ على البيت - على أن تعليقه الثاني غير صحيح بل هو حيز حرّية  
 الشاعر في انتقائه ما يريد من الصحيح - تصوّب معناه الخدر وإذ أراجعنا  
 اللسان في مادة ص و ب قرأنا قوله « والتصوّب الانحدار » .

\* \* \*

( ٤٧ )

مادة أي ي

قال : « أيّ حرف استفهام عمّا يعقل وما لا يعقل » .  
 لا شكّ في أن « حرف » استعملها القدماء بمعنى كلمة أو لفظة - ولكن  
 مباحث العرف والنحو لها اصطلاحات محدّدة - فالكلام اممّ أو فعل  
 أو حرف - لذلك وجب القول إن أيّ امم استفهام لا حرف استفهام -  
 وعمّا يعقل فيها نظر لأن « ما » امم موصول لغير العاقل فلا تكون جملة  
 يعقل صلة لغير عاقل . هذا إذا صرفنا النظر عن مواضع يُودَل فيها بين  
 ما و من بدوافع فنيّة غايتها حسن الوقع والأناقة في الذوق ، فهذه الروائع  
 الفنية لا تغيّر قواعد النحو التي يُبنى عليها الكلام المعتمد - وبعد أربع  
 صفحات من البحث في « أيّ » يميّد الكرّة فيقول نقلاً عن الجوهري غير

منتبه إلى الاختلاف بين قوله وقول الجوهري : « أي اسم مُعرب يستفهم بها ويجازى بها [ اسم استفهام واسم شرط ] في مَنْ يعقل وما لا يعقل » .  
كلام الجوهري هو الصحيح .

\*\*\*

### ( ٤٨ )

ورد لحسان ( في العمدة ) : « متاريك أذئاب الأمور إذا اعترت » .  
في مادة ت ر ك لا يذكر متاريك لا بصورة الجمع ولا بصورة المفرد مِيتْرَاك .

\*\*\*

### ( ٤٩ )

مادة ر ي ش - الرائش .

هذا تنبيه إلى ما كتبه المصحح وإلى ما فعله الطابع أو الناشر المتراجع .  
اسم الفاعل من راءش راءش . واللسان أورد اسم الفاعل ثلاث مرات متتابة فمرة قال والراءش الذي يُسدي بين الرائي والمرثي - وقال الرائش الذي يسعى بين الرائي والمرثي ليفضي أمرهما وقال الرائي الذي يتردد بينها ( الرائي والمرثي ) في المصانعة فيريش المرثي من مال الرائي » .  
زالت يد ابن منظور فكتب الرائي ( اللفظة المعلّمة ) بدل الرائش كما تولى يد كل كاتب - هي غلطة ولكن لا فظاعة عقلية فيها إنما الفظاعة على الهامش حيث نقرأ « قوله الرائي الذي يتردد » بينها هكذا في الأصل وحرّراه مصححة » - فأين التصحيح يا مصحح ؟ أظهر المصنّع شكّه ولكنه لم يشأ حمل مسؤولية الإشارة بالتصحيح فقال « هكذا في الأصل » .

\*\*\*

## ( ٥٠ )

مادة ري ش - استراش

استراش = طلب حسن الحال ؛ طلب العطاء الوافر من « كبير » ،  
وردت في العمدة لابن رشيق :

أي مزارٍ ومُنْاخٍ ومَحَلٍّ خائفٍ ومستريشٍ ذي أَمَلٍ  
لم يذكرها اللسان .

\*\*\*

## ( ٥١ )

مادة رد ف

كل فعل من باب عليم ( بكسر اللام أي عين الفعل ) مضارعُه مفتوح  
العين . فإذا أُهْمِلَ مضارع هذا الباب في المعجم لم يحصل ضرر - ولكن  
مصدر هذا الباب يأتي على صور متنوعة فذكره واجب .

في مادة رد ف يثبت اللسان بتكريره ذكر الفعل أكثر من عشر  
مرات أنه مكسور العين - ولكنه لا يذكر مصدره : رد ف مثل  
عليه ، أو رد ف مثل سمع ، أو رد ف و رد ف و رد فة مثل  
تبع وتباع وتباعة .

\*\*\*

يتبع : ( سنپولو ) نوفيں داود فرہانہ



## الفصائل اللغوية<sup>(١)</sup>

ثانياً - اللغة المصرية Egyptian ; Egyptian ; Ägyptisch  
منطقة انتشارها مصر ، وتعرف تاريخياً منذ حوالي ٣ آلاف سنة قبل الميلاد . ومراحل تطورها كما يأتي :

١ - المصرية القديمة : Ancien Egyptien ; Ancient Egyptian :  
Altägyptisch

لغة المصريين في الدولتين القديمة ( ٣٢٠٠ - ٢٢٤٠ ق . م والوسطى ( ٢٢٤٠ - ١٧٤٠ ق . م ) ، ويرجع أقدم نصوصها التي وصلت الى حوالي ٣ آلاف سنة قبل الميلاد . وكتبت بالخط الهيروغليفي . وظلت لغة كتابة وكلام الى الدولة الحديثة ( أي حوالي ألفين قبل الميلاد ) ، فاقصر استعمال لغة الكتابة على الكهنة حتى عهد الرومان .

٢ - المصرية الحديثة : Néo - Egyptien ; New Egyptian ;  
Neu - ägyptisch

تبدأ من الأسرة الثامنة عشرة ، وظلت سائدة حتى عهد البطالمة ، ولها خصائص ميزتها عن المصرية القديمة . وكانت تكتب أحياناً بالكتابة الهيروغليفيه وأحياناً بالخط الهيراطيقي .

(١) أقر مؤتمر جمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الدورة الثلاثين ( ١٩٦٣ - ١٩٦٤ ) القسم « أولاً » من فصيلة اللغات السامية - الحامية ، وهو اللغات السامية . وقد نصرناه في الجزء الثالث من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة . وفي الدورة الحادية والثلاثين للمؤتمر ( ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ) عرضت عليه الأقسام التالية فأقرت بدعديلات قليلة في التعريفات من حيث اليان اللغوي .

## ٣ - الديموطيقية : Demotic ; Demotisch . 3 — D motique :

في أواخر القرن السادس قبل الميلاد تطورت المصرية الحديثة وأخذ الخط الهيروغليفي صورة مختصرة غير الهيراطيقية وهي ما أطلق عليها الديموطيقية ، واستمرت كتابة المصرية القديمة بالخط الديموطيقي في كل من العصور : الصاري واليوناني والروماني . وظل يكتب بها حتى انتشار المسيحية .

## ٤ - القبطية Copte ; Coptic ; Koptisch . 4 —

لغة المصريين منذ استقرار المسيحية في مصر . وقد كتبت بأبجدية أخذت أربعة وعشرين حرفاً من الأبجدية اليونانية وصبعة أحرف من الخط الديموطيقي .

## ثالثاً - اللغات الحامية : Langues Hamitiques ; Hamitic Languages ; Hamitisch Sprachen.

مجموعة من اللغات عرفت بين الدارسين اصطلاحاً بالحامية نسبة الى حام بن نوح ، ومنطقة انتشارها قديماً وحديثاً في الشمال الشرقي من افريقية وتشمل على :

## ١ - الليبية (اللاوية) - البربرية - Libyco - Berb re ; Libyan . 1 —

Berber ; Libysch - Berberisch .

اللغات التي تشمل شمال افريقية ( من سيموه الى المحيط الأطلسي ) وتشمل :

## أ - الليبية ( اللاوية ) القديمة . Libyque ; Libyan ; Libysch . a —

وهي لغة نقوش . ( حوالى ألف نقش ) عثر عليها في منطقة تمتد من شبه جزيرة سيناء الى جزر كنناريا ( الخالدات ) وكتبت بأبجدية عدد حروفها ٢٥ . وهذه النقوش ليست أقدم من القرن الثاني قبل الميلاد .



ب - البربرية b — Berbère ; Berber ; Berberisch .

لغة في شمال افريقية - عدا وادي النيل - ، لها عدة لهجات وصل اليها منها نقوش بالخط العربي منذ القرن الثاني عشر الميلادي . ولا تزال تُتكلّم حتى الآن في بعض تلك المناطق .

٢ - الكوشية 2 — Couchite ; Cushitic ; Kuschitisch .

تشمل الركن الشرقي لافريقية فيما عدا المناطق المنتشرة فيها اللغات الحبشية السامية . وتمتد شمالاً في الأراضي المصرية بين النيل والبحر الأحمر وجنوباً الى كينيا . أما في الغرب فتحدها المنطقة الجبلية في أثيوبيا . وقد بدأت دراستها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وليس لها أدب مدون سوى بعض أسفار من الكتاب المقدس نشرت في الإرساليات الدينية في بعض اللغات الكوشية ، ومنها :

أ - البجة a — Bedja ; Beja ; Bedga ( To - Bedawiya ) .

تنتشر في شمال أرتريا ، وهي لهجات متعددة أشهرها لهجة البشارية ، ولهجة الهدندوة ، ولهجة الخلنجا ، ولهجة بني عامر .

ب - العفر b — Afar ; Afar ; Afar Sprache .

وهي منتشرة في جنوب أرتريا .

ج - الجالا ( الغالا ) 2 — Galla ; Galla ; Galla .

لغة قبائل تعيش غربي هضبة أثيوبيا وتنقسم الى لهجات مختلفة ، ولها أدب شعبي مدون بالحروف اللاتينية ، وتُرجم اليها الكتاب المقدس ، ونشر بالحروف الحبشية .

د - الصومالية d — Somali ; Somali ; Somalisch .

لغة منتشرة في بلاد الصومال وفي مقاطعتي هرر والارجادين في أثيوبيا ، وفي جزء من شمال كينيا .

## اللغات الهندية الأوروبية

Langues Indo - Européennes ، : فصيلة لغوية كبيرة يدخل تحتها :

Indo - European Languages , Indo - Europäische Sprachen

أولاً - الهندية الإيرانية : 1 — Langues Indo - Iraniennes ,

Indo - Iranian , Indo - Iranisch Sprachen

تمثل الفصيلة الهندية الأوروبية في آسيا مجموعتين من اللغات : الأولى الهندية ،  
والثانية الإيرانية ، وهما وثيقتا الصلة إحداهما بالأخرى ، بما جعل اللغويين  
المحدثين يطلقون عليها اسماً واحداً هو الهندية الإيرانية .

أ - الهندية a — Langues Indiennes , Indian Languages ,

Indische Sprachen .

إحدى المجموعتين المشار إليهما آنفاً . وتشمل لغات رئيسية هي :

١ - السنسكريتية : 1 — Sanskrit , Sanskrit , Sanskrit .

لغة دينية أدبية قديمة دُون بها منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، وكتب  
بها الكتاب المقدس المسمى فيدا ، كما كتبت بها ملحمتان وبعض مؤلفات  
لغوية وأدبية ، ونثرية وشعرية .

٢ - البالية : 2 — Pali , Pali , Pali

اللغة المقدسة عند البوذيين في سيلان والهند الصينية . وقد دُون بها  
منذ القرن الأول قبل الميلاد .

٣ - الهندستانية : 3 — Hindoustani , Hindustani ,

Hindustanisch

هي اللغة الأساسية في غربي الهند ، وأطلق هذا اللفظ اصطلاحاً على  
أكثر اللغات انتشاراً في الهند وقد ظهرت الهندستانية في ضواحي ميروا  
وفي شمالها . وصارت لغة خطاب بأسواق دلهي . ومن دلهي انتشرت  
في شمالي الهند . ولهذه اللغة صورتان أدبيتان هما :

أ - الأوردية ( أوردو ) a — Ourdou , Ordo , Urdu  
وهي في الأصل لغة الجيش ، وتكتب بالأيجدية العربية . وتشمل ألفاظا  
عربية وفارسية كثيرة .

ب - الهندي b — Hindi , Hindi , Hindi  
وتكتب بالحظ الهندي . وفيها ألفاظ سنسكريتية كثيرة .

٤ - السنجالية ( السنغالية ) — السنهالية 4 — Singhalais ,  
Singhalese , Singhales - Sprache .  
وهي لغة منتشرة في القسم الجنوبي من جزيرة سيلان ، وقد أصبحت  
اللغة الرسمية لها بدلاً من الانجليزية منذ أول عام ١٩٦٤ .

٥ - البنغالية : 5 — Bengali , Bengali , Bengalisch .  
أوسع لغات شرق الهند انتشاراً ولا سيما في دلتا نهر الجنج ( الكنگ )  
ولها أدب قديم . وكتب بها طاغور .

٦ - المراتية : 6 — Marathe , Marathi , Marathi - Sprache  
تنتشر في منطقة بومباي . ولها أداب شعرية . وهي قديمة ترجع كتابات  
منها الى القرن الثاني عشر الميلادي .

٧ - البنجابية : 7 — Pendjabi , Punjabi , Penjab - Sprache  
وهي أهم لغات شمال الهند الغربي ويتكلم بها سكان لاهور والطائفة  
المعروفة بالسرخ وانتشرت في مناطق أخرى من الهند حتى وصلت الصين .

٨ - السبجائية : 8 — Tsigane , Gepsies Language ,  
Zigeuner - Sprache

في خارج الهند فرع من اللغات الهندية الأوربية ينسب لغة الى قوم  
يسمون بالسيجان وهم في الأصل من الشمال الغربي للهند ، هاجروا منه  
حوالي القرن الخامس الميلادي وانقسموا الى فرعين : فرع أسيوي ، وفرع  
أوربي هاجر مخترقاً بلاد فارس وأرمينيا الى أوروبا في القرن الثاني عشر .

وقد تشكلوا بحسب البلاد التي هاجروا اليها . وتعتبر لغتهم أحياناً لغة سرية بمفردات سيجان مع قواعد لغات البلاد التي هاجروا اليها مثل عجم أرمنييا .

ب - الإيرانية : b — Langues Iraniennes , Iranian

Languages , Iranische Sprachen

إحدى مجموعتي اللغات الهندية والإيرانية وتشمل :

١ - الفارسية القديمة : 1 — Vieux perse , anciant persian ,

Altperisch

لغة الفرس في الجنوب الغربي من إيران . وصلت اليها عن طريق النقوش التي دونها ملوك الدولة الكبائية . وهذه النقوش مكتوبة بالخط المسماري . وكانت هذه اللغة مستعملة فيما بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد .

٢ - الأستية : 2 — Avestique , avestan , Awestisch

لغة نصوص دينية قديمة ، كتب بها الكتاب الديني المعروف بالأفستا ( الأبستاق ) وترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد . وكانت سائدة في الشرق من إيران .

٣ - البهلوية : 3 — Pehlevi ( Pahlavi ) , Pehlevi ( Pahlavi ) :

Pehlewi Sprache ( Pahlawi . Sprache )

اللغة الإيرانية المتوسطة ، وكانت سائدة في الغرب ، وكانت اللغة الرسمية في العصر الساساني من القرن الثالث الميلادي الى منتصف القرن السابع . وكتبت بالخط الأرامي .

٤ - الفارسية : 4 — Persen , Persian , Persisch

إحدى اللغات الإيرانية التي لا تزال حية الى اليوم ، وهي اللغة الرسمية لدولة إيران في الوقت الحالي وتكتب بالخط العربي - وأول نصوص وصلت اليها منها ترجع الى القرن الثامن الميلادي . وهي ذات آداب غزيرة . وبلغت أوج ازدهارها على يدي الفردوسي في القرن العاشر الميلادي ثم دخلتها بعد ذلك ألفاظ عربية كثيرة ، ولها عدة لهجات .

٥ - الكردية : Kurde , Kurdish, Kurdisch — 5  
لغة الأكراد في شمالي غربي إيران ، وعدد المتكلمين بها نحو خمسة ملايين ، ولا يزال كثير من آدابها غير مدون .

٦ - القزوينية : Dialectes caspiens , Caspian Dialects , Kaspische Dialekte . — 6  
مجموعة لهجات متجانسة في منطقة قزوین وما حولها . عرفت آدابها منذ العصور الوسطى .

٧ - البلوخية ( البلوتشية ) : Balotchi , Balouchi , Belutschi . — 7  
لغة يُتحدث بها في جنوب مرفي إيران ، أتت من الشمال الغربي في القرن العاشر الميلادي . وقد ورد اسم هذه اللغة لأول مرة عند الفردوسي .

٨ - الأفغانية ( الباشتو ) : Afghan ( Paštu ) , Pushtu , Afghanisch . — 8  
وهي في المنطقة الشرقية من منطقة مجموعة اللغات الإيرانية . وقد عرفت منذ القرن السادس عشر الميلادي ، واتخذت لغة رسمية لأفغانستان منذ سنة ١٩٣٦ وتكتب بالحروف العربية وهي متأثرة بالفارسية وكثير من آدابها لم يدون بعد .

ثانياً - الحيثية : Hittite . Hittite , Hethitisch . —  
لغة شعب قديم كانت له دولة في وسط آسيا الصغرى . وعرفت هذه اللغة عن طريق نقوش ترجع الى ما بين القرنين التاسع عشر والرابع عشر قبل الميلاد ، وتتضمن هذه النقوش نصوصاً سياسية ودينية وقانونية .

ثالثاً - الأرمنية : Arménien , Armenian , Armenisch . —  
لغة سادت في البلاد الجبلية الممتدة فيما بين العراق والأودية الجنوبية للقوقاز وعلى الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود . ولها أيديّة خاصة تتكون

من ٣٦ رمزاً ، وتعد مثلاً دقيقةً للأبجدية الصوتية . وأول المخطوطات التي عُثر عليها من هذه اللغة ترجع إلى القرن التاسع الميلادي ، ولا تزال يتكلم بها في جمهورية أرمينيا من الاتحاد السوفيتي وفي مناطق أخرى مثل جورجيا وأذربيجان .

رابعاً — اليونانية : d — Grec , Greek. Griechisch

لغة عدة قبائل وفدت من الشمال واحتلت شبه جزيرة البلقان ، وجزر بحر إيجه والشاطئ الغربي لآسيا الصغرى . وتسمى هذه القبائل بالقبائل الاغريقية وفي لغتهم بالهلينية وسماها العرب اليونانية . وقد اشتقت أبجديتهم من الأبجدية الفينيقية وكتبوا بها لغتهم ، وكانت تكتب أولاً في شكل خطوط المهرات ، أي من اليمين إلى الشمال ثم من الشمال إلى اليمين ثم من اليمين إلى الشمال وهكذا . ثم كتبت في عصر مبكر في اتجاه واحد وهو من الشمال إلى اليمين . وأقدم النقوش اليونانية المؤرخة التي وصلت إلينا النقش الذي وجد في « أبو سنبل » عن حملة إسماتيك الثاني على أثيوبيا من سنة ٩٥١ ق . م . وهناك نقوش أخرى يظن أنها ترجع إلى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد عثر عليها في تيره . وابتداءً من القرن السادس قبل الميلاد وصل إلينا كثير من النقوش يبين مدى انتشار هذه اللغة في العالم الهليني . أما النصوص الأدبية فأقدم ما وصل إلينا من مخطوطاتها يرجع إلى القرن الثالث الميلادي . وتتمثل هذه النصوص في نسخة الألياذة المحفوظة في الأمبريزانة في ميلانو ، وكذلك ثلاث مخطوطات من الكتاب المقدس ترجع إلى القرن الرابع محفوظة بالفاتيكان . ونسخة الكتاب المقدس التي عُثر عليها في دير سانت كاترين بطور سيناء ترجع إلى أواخر القرن الرابع الميلادي . وقد احتفظت أرض مصر بنصوص أدبية لهذه اللغة كتبت على ورق البردي منها ما يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد . وكل هذه النصوص

الأدبية السابقة مدونة بالحرف الكبير Capital Letter الذي يعد بمثابة الخط الثلث في العربية .

ومنذ أن 'عرفت هذه اللغة كانت متشعبة الى لهجات مختلفة أشهرها :

١ - الدورية : 1 - Dorien , Doric , Dorisch

لهجات مختلفة انتشرت في كورنث ومسينا وصقلية ، وفي جزر كريت ، ورودرس ، وقوس ، وقيره .

٢ - الأيونية : 2 - Ionien , Ionian , Ionisch

أهم هذه اللغات وهي لغة منطقة أيونيا الواقعة في شرق اليونان التي ازدهرت فيها الحضارة أولاً منذ القرن السابع قبل الميلاد .

٣ - الأتيكية : 3 - Attique Attic , Attisch

اللغة القديمة لأثينا والتي أنتجت في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد أدباً لا يزال يشع على العالم المتحضر .

٤ - الكوينية : 4 - Köine , Koine , Koiné

اللغة التي توحدت فيها اللهجات اليونانية القديمة وخاصة اللهجة الأتيكية ابتداءً من القرن الرابع قبل الميلاد ، وأصبحت اللغة المشتركة ( أي كوينية ) لليونانيين ، وسادت في العهدين الهيلينستي والروماني في شرق البحر المتوسط ، وبها كتب العهد الجديد وهو يعد أقدم وثيقة كتبت بهذه اللغة ، وهي اللغة التي سماها العرب بالرومية .

٥ - اليونانية الحديثة : d - Grec moderne , mondern  
greek , Neu - Griechis

صورة منبثقة عن اللغة الكوينية واستعملت في أوائل عهد المسيح كلغة دارجة ثم تطورت وأصبحت اللغة الرسمية للامبراطورية الرومانية الشرقية من سنة ٣٩٥ م الى سنة ١٤٥٣ م ( سقوط القسطنطينية ) . ولا تسكاد تختلف اللغة اليونانية الحديثة عن اللغة الكوينية في الناحية الصوتية ، وانما

الاختلاف في النواحي الصرفية والنحوية والمفردات . وتحاول دولة اليونان في الوقت الحاضر ، وتؤيدها الكنيسة ، أن تقترب ما أمكن من اللغة الكوينية . أما اللغة اليونانية التي تستعمل لغة للحديث (الشعبية) فتتمثل فيها لهجات كثيرة لم تدرس دراسة كافية . وقد بدأت في الظهور منذ القرن السادس الميلادي ، ثم أخذت صورة اللغة المشتركة منذ القرن الثامن عشر على حين بدأت هذه اللهجات المختلفة في الاختلال ، وانتشرت في اليونان وفي جزر بحر إيجه وأيونيا .

خامساً - الألبانية Albanais , Albanian , Albanische e  
وتسمى عند أهلها بالاشكيب ( Škip ) وهي من اللغات الهندية الأوروبية الحديثة . وقد افترض كثير من مفرداتها من اللغات الكبرى المجاورة لها مثل اللاتينية واليونانية والإيطالية والصربية . وأقدم ما وصل إلينا من نصوصها المخطوطة يرجع إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، وأول نصوص مطبوعة ترجع إلى منتصف القرن السادس عشر . وفي القرن التاسع عشر جمعت بهذه اللغة أغان كثيرة وقصص شعبية . ومعظم المتكلمين بهذه اللغة يعتقدون الدين الإسلامي ويعيش نحو نصفهم خارج ألبانيا .

سادساً - البلطية ( البلطيقية ) - السلاقية f — Langues Balto - Slaves , Balto - Slavic Languages , Balto - Slawische Sprachen

مجموعة من اللغات تشترك في كثير من الخصائص اللغوية التي تميزها عن المجموعات اللغوية المجاورة لها وهي تنقسم إلى شعبتين :

الأولى - البلطية ( البلطيقية ) 1 — Langues Baltes , Baltic Languages , Baltische Sprachen

مجموعة من اللغات منطقتها الجهات الشرقية لبحر البلطيق ولها فروع أهمها :

( ١ ) اللتية Lette , Lettish , Lettisch .

لغة لتيا على بحر البلطيق ، وطبعت منها نصوص في منتصف القرن



السادس عشر الميلادي ، وقد تطورت وأصبحت لغة قومية ذات أدب منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي .

(٢) اللاتفية Litvanien , Lithuanian , Litauisch. (2)

لغة لتوانيا على بحر البلطيق . وتحفظ بخصائص قديمة للفصيلة الهندية الأوروبية أكثر من أي لغة أوروبية أخرى ، ونشر بها بعض كتب دينية منذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي وأصبحت لغة قومية لها آداب منذ القرن التاسع عشر الميلادي .

الثانية - السلافية b — Langues slaves ; Slavic languages ; Slawische sprachen

تكون السلافية أهم مجموعة لغوية في أوروبا من حيث العدد وتنقسم إلى ثلاثة فروع : الجنوبي والغربي والشرقي .

أ - الفرع الجنوبي :

منطقته تمتد من البحر الأدرياتي إلى البحر الأسود وفيها لغات أهمها :

١ - السلوفينية : Slovène ; Slovenian ; Slowenisch (1)

يتكلم بها في المنطقة الجنوبية للنمسا على ساحل الادرياتيک . وأقدم ما وصل إلينا من نصوصها يرجع إلى القرن العاشر الميلادي ، ولها أدب مكتوب منذ القرن الثامن عشر الميلادي .

٢ - الصربية - الكرواتية : Serbe · Croate , Serbo — croatian ; Serbisch · kroatisch

لغة منطقتهما جمهورية يوغوسلافيا وهي اللغة الرسمية لها في الوقت الحاضر ، وأهم أقاليمها الصرب ، وكرواتيا ، والبوسنة ، والهرسك ، والجبل الأسود ، ولها ثلاث لهجات محلية متميزة ، ويكتننها المسيحيون الأرثوذكس بالأيحودية الكريلينية والساكنوليك بالأيحودية اللاتينية وقد وصل إلينا بعض آثارها الأدبية

من القرن الخامس عشر الميلادي ، إلا أنها لم تصبح لغة حضارة إلا في القرن التاسع عشر .

٣ - البلغارية : Bulgare ; Bulgarian ; Bulgarisch — 3

لغة جمهورية بلغاريا ، وتكلم أيضاً في بعض المناطق المحيطة بها ، وعلى الأخص في جهة الشرق مثل أوكرانيا . وقد أصبحت لغة قومية حضارية منذ القرن الثامن عشر . وتكتب بالإنجليزية الكريلينية .

ب - الفرع الغربي :

ويشمل مجموعتين : التشيكوسلوفاكية ، والبولونية .

الأولى : المجموعة التشيكوسلوفاكية : Tchèque ; Czech ( 1 )

Tschechisch

( ١ ) التشيكوسلوفاكية ( التشيكية )

اللغة الرسمية لجمهورية تشيكوسلوفاكيا . وتكتب بالإنجليزية اللاتينية منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد أصبحت لغة أدبية منذ النهضة القومية في القرن التاسع عشر .

( ٢ ) السلوفاكية Slovaque ; Slovak ; Slowakisch ( 2 )

لغة منطقة سلوفاكيا التي تقع جنوب جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، ولها صلة وثيقة باللغة التشيكية .

الثانية : البولونية - البولندية Polonais ; Polish ; Polnisch — 1

اللغة الرسمية لجمهورية بولندا ، وتكلمها كذلك الجاليات البولندية المقيمة في الأمريكتين . عرفت هذه اللغة منذ القرن الرابع عشر الميلادي . وقد تطور أدبها في القرون الأخيرة وأضحى من الآداب الأصيلة الغزيرة . وهي تكتب بالحروف اللاتينية . ولها لهجات أربع متميزة .

ج - الفرع الشرقي

يشمل ثلاث لغات أساسية هي :

١ - الروسية (الكبرى) Russe ; Russian ; Russisch  
اللغة الرسمية للاتحاد السوفيتي ، وقد أصبحت لغة مشتركة لجمهوريات  
الاتحاد السوفيتي منذ سنة ١٩٤٥ . وأساس هذه اللغة لهجة موسكو ، وقد  
أخذت شكلها الحالي منذ القرن التاسع عشر ، فقد فرضت بحكم الفتح  
على شعوب ليست روسية الجنس ، وكان يتكلمها في العهد الرومي القيصري  
ما لا يزيد على نصف عدد السكان ، وهي تكتب بالأبجدية الكريلية .

٢ - الروسية البيضاء Blanc russe : White russian  
weissrussisch

اللغة الرسمية لجمهورية روسيا البيضاء ، إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي  
المتاخمة لبولونيا ، ولتوانيا . وهذه اللغة كانت في الأصل عدة لهجات محلية  
منتشرة في المنطقة التي عرفت منذ القرن الحادي عشر الميلادي بروسيا البيضاء .

٣ - الأوكرانية (الروسية الصغرى) Ukrainien ( Petit  
Russe ) , Ukrainian ( Little Russian ) ; Ukrainisch

لغة جمهورية أوكرانيا من الاتحاد السوفيتي ، جنوب جمهورية روسيا  
البيضاء . ولها عدة لهجات ويتكلمها نحو من ٣٠ مليوناً ، ما عدا من  
يتكلمونها خارج أوكرانيا .

سابعاً - اللغات الجرمانية g — Langues germaniques ;  
Germanic languages , Germanisch sprachen

مجموعة من اللغات في وسط أوروبا وشمالها الغربي وغربها ، وهي لغات  
ذات صلة وثيقة بعضها ببعض ، وتتشترك في خصائص لغوية كثيرة ، ولا سيما  
في تطور الأصوات أو التبادل الصوتي بين هذه اللغات وهو ما يسمى بقانون  
جرم ( Loi de grimm ) .

والجرمان أهم قبائل انتشرت في هذه البقاع . وتنقسم هذه المجموعة  
إلى الفروع الآتية :

أ - الجرمانية الشرقية ( الغوطية ) : Gothic ; Gothique ; 1  
Gotisch .

لغة كانت منتشرة في شرق المنطقة الجرمانية واندثرت . وقد عرفت عن طريق ترجمة الأسقف ( ولغيل ) للعهد الجديد من اللغة اليونانية الى اللغة الغوطية في القرن الرابع الميلادي ، وقد استعمل في الترجمة الحروف اليونانية وزاد عليها بعض رموز لأصوات غوطية لم تكن موجودة باليونانية .

ب - الجرمانية الشمالية : b - Langues nordiques ; north  
germanic ; Nordgermanisch

وتنتشر في شمال غرب أوربا ، وتشارك في خصائص كثيرة تجعل لها كياناً متبذراً ، ولا سيما من حيث الأصوات والغمائر وكثير من المفردات . وأقدم نصوصها تلك النقوش التي تسمى بالرونية ( Runer , Runes , Runen ) والتي دونت في القرون الأولى للمسيحية . وهي تكتب بحروف لاتينية ، وأهم لغاتها :

١ - الدنمركية : 1 - Danois ; Danish ; Dänisch

لغة منتشرة في شبه جزيرة الدنمرك في بحر البلطيق وما حولها من جزر ، وصارت لغة كتابة وأدب منذ القرن الثالث عشر الميلادي .

٢ - السويدية : 2 - Suédois ; Swedish ; Schwedisch

لغة منتشرة في النصف الشرقي من شبه جزيرة أسكاندينافيا ، وصارت لغة كتابة وآداب منذ القرن الثالث عشر الميلادي .

٣ - النرويجية : 3 - Norvégien ; Norwegian ; Norwegisch

لغة النصف الغربي لشبه جزيرة اسكاندينافيا . وقد أصبحت لغة كتابة وأدب في القرن الثامن عشر الميلادي بعد أن استقلت عن النفوذ الدنمركي .

٤ - الايسلندية : 4 - Islandais ; Icelandic ; Isländisch

اللغة التي تتكلم في جزيرة ايسلندا ، وتكتب منذ القرن العاشر الميلادي ،

وقد احتفظت لانعزالها بظواهر لغوية قديمة . وهي مشهورة بأدب الملاحم ( إدا ) التي تقارن عادة بملاحم هوميروس وملاحم اللغة السفسكريتية .

ج - الجرمانية الغربية c - Langues germaniques occidentales

Western germanic ; Westgermanisch

مجموعة من اللغات تنتشر في المنطقة الغربية من أوروبا وتشترك في خصائص تجعل لها كياناً متميزاً . وهي تكتب بحروف لاتينية ، وأهم لغاتها :

١ - الألمانية 1 - Allemand ; German ; Deutsch

وهي لهجتان متميزتان شمالية وجنوبية . والجنوبية هي أصل اللغة الألمانية الرسمية الحديثة التي بدأ التدرين بها أيام مارتن لوتر الذي ترجم إليها الكتاب المقدس في القرن السادس عشر الميلادي . ولهجة الجنوبية فروع عديدة ، بعضها مستعمل الآن كلهجة محلية للأدب ، مثل : الألزاسية ، واللهجة السويسرية .

ومن اللهجات الألمانية ما يسمى بال ييدش . Yiddish . Tudish - deutsch . وهي لغة الجاليات اليهودية في ألمانيا ، وتتميز بكلمات مستمدة من اللغة العبرية وبعض التعبير في بعض أصوات اللغة الألمانية ، وهي تكتب أحياناً بالأبجدية العبرية .

٢ - الهولندية 2 - Hollandais ; Dutch ; Holländisch

اللغة الرسمية في مملكة هولندا ، وهذه اللغة انحدرت من لهجات ألمانية الشمالية . وتتصل بها اتصالاً وثيقاً اللغة الفلامية « الفلمنكية » ( Flamand ; Flemish ; Flamisch ) التي يتكلم بها في شمال بلجيكا ، وهي لغة رسمية بها وانتقلت الهولندية الى جنوب افريقية من المهاجرين حيث شاع استعمالها وأطلق عليها الافريكانية . Afrikaans ;

٣ - الفريزية 3 -- Frison ; Frisian ; Frisich

فرع من الألمانية الشمالية وهي قريبة من الانجليزية القديمة ، وتمثلها الآن

لهجات ثلاث : الغربية في شمال هولندا ، والشرقية في بعض جهات الدنبرج ،  
وشمالية في جزيرة هلجولند ( هلجولند ) .

٤ - الانجليزية 4 — Anglais ; English ; Englisch

جاءت اللغة الانجليزية الى الجزر البريطانية مع الهجرة الأنجلوسكسونية  
في القرنين الخامس والسادس الميلاديين ثم تأثرت في البيئة الجديدة باللغة  
الساكنة التي كانت سائدة في هذه الجزر قبل الهجرة ، كما تأثرت بعد ذلك  
باللغة الفرنسية بعد الغزو النورماندي . وقد أصبحت اللغة الانجليزية أكثر  
اللغات انتشاراً نتيجة للنشاط السيامي والاقتصادي لانجلترا .

ولغة الانجليزية في أمريكا بعض الخصائص المميزة من الناحية الصوتية  
والتجديد في الألفاظ ودلالاتها .

وبسبب انتشار الانجليزية في أمكنة متعددة وبعيدة ، أخذت صوراً  
مختلفة ، وسميت كل صورة باسم خاص في كل من هذه البقاع مثل  
( Pidgin Pigeon ) وهو امم اللغة الانجليزية في الشرق الأقصى .

ثامناً - مجموعة اللغات الإيطالية Languages italiques ; Italic  
languages ; Italische sprachen .

في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد كانت تسود إيطاليا ثلاث لغات هي  
الأمهرية والأسكية واللاتينية ، وهي لغات ذات صلة وثيقة إحداها بالأخرى .

( ١ ) الأمهرية Ombrien : Umbrian ; Umbrisch ( 1 )

لغة كانت منتشرة انتشاراً واسعاً في شمال وغربي إيطاليا وتقلصت في  
عصور ما قبل الميلاد ثم انقرضت ، ولم يصلنا منها سوى سبعة نصوص  
منقوشة على سبع لوحات برزوية يرجح أنها كتبت حوالي القرن الأول قبل  
الميلاد . وعثر عليها في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي .

( ٢ ) الأسكية Osqu. Oscan ; Oskisch . ( 2 )

لغة شعب من الشعوب الجبلية في شرق إيطاليا في عصور ما قبل الميلاد .

وكانت اللغة الرسمية لبومبي وغيرها في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وقد عثر على نصوص منها منقوشة بخطوط مختلفة ويرجح أنها ترجع الى القرنين الثالث قبل الميلاد والأول بعد الميلاد .

(٣) اللاتينية Latin ; Latin ; Lateinisch . ( 3 )

اللغة اللاتينية سادت في أول أمرها في منطقة تعرف باللاتيوم في وسط إيطاليا وأساسها لغة روما عاصمة هذه المقاطعة . وانتشرت اللاتينية بالتدريج وازدهرت حتى قضت على جميع اللغات الطليانية ، ثم انتشرت في معظم غربي أوروبا واستمرت زمناً طويلاً لغة للعلم والكنيسة حتى بعد أن ضاعت من لغة الخطاب ، وقد ظهرت لغة أدبية في القرن الثالث قبل الميلاد ، وعاشت بعد ذلك لغة آداب راقية في العصر الروماني وفي العصور الوسطى وعاش معها جنباً الى جنب صورة عامية للغة اللاتينية ، وهي التي انحدر منها مجموعة اللغات الرومانية : Langues romanes ; Romance languages ; Romanisch sprachen .

وتشمل لغات مختلفة منها :

( أ ) الإيطالية (A) Italien , Italian : Italienisch .

لغة منتشرة في إيطاليا ، وفي بعض مناطق من جنوب سويسرا . وأول ما وصل إلينا من نصوصها يرجع الى منتصف القرن العاشر الميلادي . أما اللغة الإيطالية المستعملة اليوم فهي لهجة مقاطعة تسكانيا التي كتب بها دانتي في أوائل القرن الرابع عشر .

( ب ) البرقنسالية (b) Provençal ; Provençal ; Provençalisch .

سادت هذه اللغة في النصف الجنوبي من فرنسا في العصور الوسطى . وقد عرفت آدابها منذ القرن العاشر الميلادي . وأقدم ما وصلنا من نصوصها يرجع إلى أوائل القرن الثاني عشر ولا تزال بقاياها في النصف الجنوبي من فرنسا . وهي لغة متميزة عن اللغة الفرنسية الرسمية في عدة خصائص .

(ج) الرومانشية . Romanche , Rumansh , Räto .  
Romanisch .

إحدى اللغات الرومانية ، وهي منتشرة في بعض مناطق في سويسرا والنمسا وإيطاليا ، وعدد المتكلمين بها الآن نحو نصف مليون نسمة وترجع أهمية هذه اللغة الى أنها إحدى اللغات الرومانية التي اعتمد عليها الدارسون في المقارنات اللغوية . وأقدم ما وصل منها يرجع الى القرن الثاني عشر الميلادي . وقد أصبحت منذ سنة ١٩٣٨ اللغة الرسمية الرابعة للاتحاد السويسري .

رابعا - الفرنسية . (d) Francais , French , Fränzosisch .  
اللغة الفرنسية إحدى اللغات العالمية الحديثة . ومنطقة انتشارها فرنسا وبعض جهات بلجيكا وسويسرا وكندا ومناطق أخرى .

وهذه اللغة تعد تطوراً للغة اللاتينية التي وفدت مع الرومان . وأقدم ما وصلنا منها من نصوص يرجع إلى القرن التاسع الميلادي ، وقد أخذت صورتها الحالية منذ مطلع القرن السابع عشر . ولهذه اللغة لهجتان إحداهما شمالية ، والأخرى جنوبية . وقد اعتبرت اللغة الفرنسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لغة عالمية . وكتبت بها المعاهدات والاتفاقات الدولية . وهذه اللغة الفرنسية الحديثة مؤسسة على لهجة أهالي باريس في معظم ظواهرها .

(هـ) القطلونية . (e) Catalan , Catalian , Katalanisch .  
لغة يتكلم بها في شرق اسبانيا ( قطلونيا - قلاتسيا - جزر البليار ) وعدد المتكلمين بها نحو خمسة ملايين . وأقدم ما وصلنا منها يرجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي .

(و) الاسبانية . (f) Espagnol , Spanich , Spanisch .  
أحدى اللغات الرومانية ، ومنطقة انتشارها اسبانيا ، ومعظم جهات أمريكا اللاتينية ، وتعد من أكثر لغات العالم انتشاراً ، وأقدم ما وصلنا منها يرجع الى القرن العاشر الميلادي ولها ثلاث لهجات . وقد دخلت فيها ألفاظ عربية كثيرة .



( ز ) البرتغالية . Portugais , Portuguese , Portugieisch . ( g )

إحدى اللغات الرومانية ، رقتنثر في البرتغال وفي بعض جهات في أمريكا اللاتينية وخاصة في البرازيل . ولها عدة لهجات . وأقدم ما وصل منها يرجع الى القرن الثاني عشر الميلادي .

تاسماً - الكلتية Celtique ; Celtic languages , Keltisch .

الكلتيون شعب من الجنس الآري ، يرجع وجودهم في أوروبا إلى عصور ما قبل التاريخ سكنوا أولاً في أوروبا الوسطى ، ومنها في بلاد الغال ( فرنسا ) وإسبانيا ، ثم في الجزائر البريطانية وقد انتهى أمرهم كشعب بالاندماج بالرومان ، ولغتهم هي اللغة الكلتية . ويمكن تقسيم هذه اللغة إلى فرعين : الأول - فرع ساد في أوروبا ، وهو ما يسمى أحياناً باللغة الغالية ( Gaulois , Gallic , Gälisch ) ولم يصلنا من هذا الفرع إلا عدة نقوش وكتب بحروف يونانية أو لاتينية ، وترجع الى ما بين القرنين الثالث قبل الميلاد والأول بعد الميلاد ، وقد قضت اللغة اللاتينية لغة الرومان القدماء على هذا النوع في العصور المسيحية الأولى بعد صراع طويل .

الثاني - أما الفرع الآخر فقد ظهر متأخراً في لهجتين أساسيتين في الجزر البريطانية هما الأيرلندية Irlandsais , Irish , Irisch والبريتونية Breton , Britonic , Bretonsch وهذا الفرع عرفت عنه نقوش في أيرلندا ترجع إلى القرن الخامس الميلادي وكتبت بحروف رومية وعرف لهذا الفرع نقوش بعد ذلك وأدب غزير في هذه المناطق اضمحل شأنها مع الزمن .



## ملحة قرارات جديدة

## لمجمع اللغة العربية في القاهرة

في الدورة الحادية والثلاثين ( ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م ) لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة عُرض على المؤتمر موضوعات كانت لجنة الأصول في المجمع قد درستها واتخذت فيها قرارات ، ومنها :

- ١ - قياسية السين والتاء للجعل والاختاذ ، وقصوب استعمال الكتاب « استهدف الشيء » أي جعله هدفاً .
- ٢ - جواز النحت وضوابطه .
- ٣ - جواز التركيب المزجي .

ففي الموضوع الأول وافق المؤتمر على قرار اللجنة الآتي :

« سبق للمجمع أن أقر قياسية دخول السين والتاء للطلب أو الصيرورة ، لكثرة ما ورد من أمثله . وترى اللجنة أن زيادة السين والتاء للاختاذ والجعل وردت في أمثلة كثيرة نحو : استعبدَ عبداً ، واستأجر أجيراً ، واستأبى أباً ، واستأى أمةً واستفعل فعلاً ، واستعد عدةً ، واستخلف فلاناً ، واستعمره في أرضه ، واستشعر الرجل إذا لبس شعاراً ، واستثفرت المرأة إذا شدت الثغراً .

وفي اعتبار هذه الصيغة قياسية تيسير للاصطلاح العلمي والاستعمال الكتابي . ولهذا ترى اللجنة أن للمجمع قبول ما يصاغ من الكلمات على هذه الصيغة للدلالة على الجعل أو الاختاذ .

أما في موضوع استعمال الكتاب لفعل « استهدف » متعدياً فقرار لجنة الأصول الذي وافق عليه المؤتمر هو :

« بحث اللجنة فعل استهدف متعدياً في مثل قول الكتاب : استهدف المصلحة العامة ، مع أنه لم يرد متعدياً في كتب اللغة ، فرأت تخرجه على أن السين والتاء فيه للجعل أو الاتخاذ ، فاستهدف المصلحة العامة جعلها أو اتخاذها هدفاً » .

### موضوع النحت : كان مجمع القاهرة تناول موضوع النحت بضع مرات

في تواريخ مختلفة . وذكرت ( ص ١٤ ) أنه اتخذ قراراً بجواز النحت عندما تلجئ إليه الضرورة العلمية . وقد نشر هذا القرار في الجزء السابع من مجلة المجمع الملحق إليه ( ص ١٥٨ ) .

ومن البين أن القرار جاء مقتضياً ، ولذلك عادت لجنة الأصول إلى بحث موضوع النحت فالتخذت فيه القرار الآتي الذي وافق عليه المؤتمر في الدورة الملحق بها :

« النحت ظاهرة لغوية احتاجت إليها اللغة قديماً وحديثاً . ولم يلتزم فيه الأخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات . وقد وردت من هذا النوع كثرة تجبيز قياسيته ، ومن ثم يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل « عند الحاجة »<sup>(١)</sup> على أن يراعى ما أمكن استخدام الأصلي من الحروف دون الزوائد . فإن كان المنحوت اسماً اشترط أن يكون على وزن عربي ، والوصف منه بإضافة ياء النسب ، وإن كان فعلاً كان على وزن فَعْلَلٍ أو تَفَعَّلَ إلا إذا اقتضت غير ذلك الضرورة ، وذلك جرياً على ما ورد من الكلمات المنحوتة » .

### موضوع التركيب المزجي : كان عرض على مؤتمر مجمع اللغة العربية

ألفاظ مركبة تركيباً مزجياً مثل بَطْنُنْقَدَمِيَّات ورَأْسَقَدَمِيَّات وِبِلَاطَقَدَمِيَّات ، فاعترضت عليها مذكراً بقرار المجمع وهو : « لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليذ ولا حاجة إليها » . وقلت يجب أن يقال :

(١) كلنا « عند الحاجة » وافق عليها المؤتمر بناء على اقتراحي .

بِطَنِيَّاتِ الأقدام ورأسيات الأقدام وبلطيات الأقدام لأن هذه الألفاظ قدل على طوائف في تصنيف الحيوان . فالتركيب المزجي فيها قبيح ولا حاجة إليه .

وقد أحيل موضوع التركيب المزجي إلى لجنة الأصول فالتخذت فيه القرار الآتي :

« المركب المزجي ضم كلمتين إحداهما إلى الأخرى ، وجعلها اسمًا واحدًا ، إعرابًا وبناءً ، سواء أكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين . ويكون ذلك في أعلام الأشخاص وأعلام الأجناس والظروف والأحوال والأصوات والمركبات العددية والوحدات الفيزيائية » (١) .

ويجوز صوغ المركب المزجي في المصطلحات العلمية عند الضرورة . وقد وافق المؤتمر على هذا القرار . وكان من المعلوم في أثناء المناقشة أن قرار المجمع السابق بعدم وجود حاجة أو ضرورة إلى النحت أو إلى التركيب المزجي في تصنيف المواليد يظل معمولاً به .

وقبل اتخاذ قرار التركيب المزجي نظرت لجنة الأصول في تقرير مانع في هذا الموضوع قدمه إليها الأستاذ أمين الحولي . ومما جاء فيه أن المركب المزجي صنوف منها : المركب العددي مثل أحد عشر كتاباً ؛ ومركبات الظروف الزمنية نحو أتيت صباح مساء ، وليل نهار ، ويوم يوم ، وحين حين ، ومركبات الظروف المكانية نحو : هو جاري بيت بيت أي متلاًصقاً ، ووقع بين بين أي متوسطاً ، ومركبات الأحوال نحو : وقعوا في حين حين بئس بئس ، وتفرقوا شذر مذر ، والمركبات الصوتية مثل : غاق غاق لحكاية صوت الغراب ، وخاز باز لصوت الذباب ، ومركبات أعلام شخصية عربية غير معربة مثل معديكرب ، ومركبات أعلام غير عربية الأصل مثل بعلبك وبجتنهر وحضرموت ورامهرمز وقاليقلا .

مصطفى السرايى



(١) أضيف هاتان الكلمتان في المؤتمر بناء على اقتراح الزميل الأستاذ مصطفى نظيف .

# مجلة المجمع العلمي العربي

التشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٦٥ م ٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥ هـ

## انتخال الألفاظ المولدة

### وإقرار الصالح منها<sup>(١)</sup>

عندما نراجع المعجمات العربية ، قديمة كانت أو حديثة ، نجد أن قسماً من ألفاظها قد أُشير إليه بكلمة مولد ، أو بأنه ليس من كلام العرب ، أو بأنه من كلام المولدين ، فمن هم العرب ومن هم المولدون الذين يشار إليهم بهذه الكلمات وأشباهاها ؟

من المعروف أن من التواضع عليه أن فصحاء العرب الذين يوثق بعربيتهم ويُقبل كلامهم الموضوع ويُستشهد به ، هم عرب الجاهلية وصدر الإسلام ، إلى أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار ، وإلى أواسط القرن الرابع

(١) بحث 'كتب بنية إقامته في الدورة الثانية والثلاثين (١٩٦٥ - ١٩٦٦) المؤتمر  
بجمع اللغة العربية .

في الجزيرة العربية . فمن عاشوا بعد هذه التواريخ ، وتعلموا العربية بالصناعة يسمون المولدين ، فلا يُستشهد بكلامهم في لغة ولا نحو ، ويُستشهد به في البلاغة ، لأن البلاغة ترجع إلى الذوق العام أو الخاص ، وهو متكامل عند بلغاء كل زمان ، على ما قاله الشيخ أحمد الإسكندري رحمه الله (١) . وفي لسان العرب يسمى الكلام مولداً إذا كان مستحدثاً ولم يكن من كلامهم فيما مضى .

والمولد أنواع : منها ما اشتقه المولدون على أساليب القياس العربي كاشتقاقنا مثلاً من الأعيان أفعال كنهْرَبَ من الكهْرَبَا ، ونَشَى من النُّشَا ، وبَكَرَ (أو بَكَوْر) من البلور الخ . وكالاشتقاق أيضاً من أسماء المعاني ومنها المصادر ، فهذه المشتقات في القديم كثيرة . وقد اشتققنا في زمننا هذا فقلنا مثلاً المستشفَى من الاستشفاء ، والمُتَحَف من الإتحاف ، والجامعة من الجمع . والميسْدَر من البذر ومثل ذلك كثير .

ومن أنواع المولد ألفاظ نقلت من معناها الأصلي إلى معنى علمي ، وهي كثيرة رجعوا فيها إلى المجاز وضمّوها معاني علمية جديدة فاغتنت العربية بها . وكلنا نعرف في أيامنا هذه بعض ألفاظ مجازية ضمنت جديداً من المعاني كالقِطار والسيّارة والمُدْرَعة والقوّة والطبعة الخ .

ومن أنواع المولد أيضاً معربات كثيرة نقلت إلى لساننا بعد صدر الإسلام ، وهي مئات بل آلاف من الألفاظ مبثوثة في الكتب العلمية القديمة والحديثة . ونحن اليوم نستعمل عدداً كبيراً من المعربات المولدة التي خَلَت منها المعجمات العربية القديمة .

(١) انظر بحثاً للشيخ أحمد الإسكندري في الجزء الأول من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، كنه احتجاجاً لقرارات أصدرها المجمع ومنها قرار في المولد من الكلام (ص ٢٠٢ - ٢٠٤) .

وأخيراً من أنواع المولد ألفاظ ارتجلها المولدون ولا أصل لها في اللغة ، وألفاظ 'حرفت من اللغة الصحيحة ولا يمكن تخريجها على أحد أصول اللغة . وكلا القسمين يسمى العامي أو الدارج . فمثال القسم الأول في الشام القَسْعَرَة أي التعاطم والكَرْفَتَة أي الإسقاط . ومثال القسم الثاني قول العامة قَفَزَ ، والصحيح قَفَزَ ، وكقولهم كَبْتَلْ الشَّيْءَ ، والصحيح كَبْتَلْ الخ .

ومن الواضح أن هذا النوع الأخير من المولد لا يمكن عده صحيحاً . أما الأنواع الأخرى المقيسة على القواعد العربية فيمكن النظر في عد الكثير منها ألفاظاً صحيحة يجب أن 'ندخلها في معجمتنا الحديثة .

وعلى هذا كان جمع اللغة العربية أصدر في أول اجتماع له سنة ١٩٣٤

القرار الآتي :

« المولد : هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب ،

وهو قبان :

١ - قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز ، أو اشتقاق ، أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك . وحكمه أنه عربي سائع .

٢ - وقم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب إما باستعمال لفظ أمجمي لم تعربه العرب ، وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره . وإما بوضع اللفظ ارتجلاً . والمجمع لا يميز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام .

وقرار التعريب للمع إليه في قرار المولد هو :

« يميز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب في تعريبهم . وواضح أن المجمع قد أجاز التعريب أي أجاز هذا النوع من التوليد . ولكنه حصره بالضرورة أي إذا لم يكن من المستطاع العثور على ألفاظ عربية بطريق الحقيقة أو بطريق المجاز . وكلتا ( عند الضرورة )

فيها مجال للأخذ والرد ، فما يراه زيد ضرورة لا يراه عمرو كذلك .  
وقلت في كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية : « أعتقد أن الجمع الموقر  
قصر الضرورة على بعض المصطلحات العلمية التي لا مندوحة لنا عن تعريبها  
( كأسماء نباتات منسوبة الى أعلام ، أو أسماء عناصر ومركبات كيميائية مثلاً ) ،  
وعلى بعض مصطلحات الحضارة مثل السينما والترام والغلم وأشباهاها من الكلمات  
الخفيفة على السمع التي جرت على الألسنة وأمسى من الصعب على الجمهور أن  
يهضم كلمات عربية مشتقة تقوم مقامها .

والخلاصة أن المولد من حيث أماكنه أقسام : قسم ورد ذكره في المعجمات  
العربية القديمة ، وأشير إليه بأنه مولد ، وقسم ثان لم يرد ذكره في المعجمات  
القديمة ولكنه 'ذكر' في كتب قديمة مختلفة ، وقسم ثالث وضع حديثاً وما يزال  
يوضع في أيامنا هذه .

والكتاب فرقاء : فريق منشدد أي محافظ يتورع عن استعمال كلمات  
مولدة قديمة لم ترد في المعجمات على حين أنها قد تكون من النوع الصالح  
للاستعمال ، وفريق متساهل يستعمل الكلمات الصالحة المذكورة ، وفريق ثالث  
لا يميز الكلمات الصالحة من غير الصالحة فيستعملها على السواء ، أو يؤثر  
السلامة من النقد فيكف عن استعمالها جميعاً .

وكثيراً ما بحث الأدباء والعلماء في الكلمات المولدة التي لم ترد في معجمتنا  
القديمة ، وفي ضرورة انتخالها وإقرار الصالح منها ، وإدخاله في المعجمات  
العربية الحديثة .

ومن البحوث القديمة فيها بحث كان المرحوم الشيخ عبد القادر المزني  
نشره في المجلد الثامن ( سنة ١٩٢٨ ص ٢٩ ) من مجلة الجمع العلمي العربي  
بعنوان : « الكلمات غير القاموسية » أي الكلمات التي لم ترد في معجمتنا العربية ،  
فصنفها سبعة أصناف ، وسأل أعضاء الجمع عما يجب استعماله أو يجب إهماله



من كلمات كل صنف . وقد لخص الأسئلة والأجوبة في المجلد الثاني عشر من المجلة ( سنة ١٩٣٢ ص ٥٢١ و ٥٧٧ ) وهذه الأصناف في نظره هي :  
الصنف الأول — كلمات عربية حقة لم تذكرها المعاجم ، لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يُحتج بأقوالهم ، مثل كلمة تَبَدَّى بمعنى ظهر ، وقد وردت في بيت من الشعر عمرو بن معدي كرب في ديوان الحماسة .  
والبيت هو :

وبدت ليس كأنها بدر السماء إذا تبدى

الصنف الثاني — كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب الإسلاميين الذين لا يحتج بأقوالهم كفعل ( أفَصَّ الخبرَ ) بمعنى ( قَصَّه ) الوارد في قول المؤرخ ( الطبري ) ، ومثل كلتي ( غيم ) و ( صدفة ) في قول العلامتين ( اليازجي ) و ( محمد عبده ) .

الصنف الثالث — كلمات عربية اصطلاحية ولدها رجال العلوم والفنون والصناعات لا يعرفها أهل اللسان كقولهم ( ميزانية ) و ( كيفية ) و ( كمية ) و ( هيئة المحكمة ) و ( انعقدت الجلسة ) و ( تعريفه الرسوم ) .

الصنف الرابع — كلمات عربية المادة ولدها العرب الإسلاميون من مادة عربية الأصل مثل ( خَابَرَهُ ) من الخبر ، و ( تَفَرَّجَ ) من الفرج ، و ( احتار ) من الحيرة ، و ( تنزه ) من التزهة الخ .

الصنف الخامس — العرب أو الكلمات المولدة بالتعريب . . . . ومنه الخفيف على اللسان نحو كلمة ( فم ) وهو شريط السيخ ، ومنه الثقيل نحو كلمة ( أوقومويل ) و ( برصوناليتة ) .

الصنف السادس — أساليب أو تراكييب ذات معان أعجمية الأصل ، وقد تسربت الى لغتنا العربية مترجمة عن اللغات الأجنبية ، ولا عهد للعرب الأقدمين بها ، وهذا كقولهم : ( ذر الرماد في العيون ) ، و ( عاش ستة عشر

ريباً) ، و ( وضع المسألة على بساط البحث ) ، و ( ساد الأمن في البلاد ) ونظير ذلك .

الصف السابع - العامي : وهو الكلمات التي تدور على أفواه العامة ، ولا يستعملها الفصحاء ، بل يتحاشون النطق بها ، مثل ( بدّي أذهب ) ، ( جيب الكتاب ) ، ( تعرّ بشّ على الشجرة ) ، ( تحمرّ كشّ بفلان ) . هذه هي أصناف المولد السبعة التي كان الأستاذ المغربي اقترح على أعضاء الجمع العاملين والمراسلين الإجابة عنها . وقد أجاب بعضهم ، ونشرت أجوبتهم في المجلة وهم : معروف الرصافي ، وجميل صدقي الزهاوي ، والشيخ أحمد الإسكندري ، والأب أنستاس ماري الكرمل ، وإسعاف المشاشي ، وأحمد أمين ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ كامل الغزي ، ونقولا فياض ، والشيخ أحمد رضا ، ورشيد بقدونس ، وقسطنطي الحمصي ، والشيخ سليمان ظاهر ، والشيخ عبد الحميد الجباري ، وادوار مرقص رحمهم الله جميعاً ، وعارف النكدي أطال الله بقاءه .

وخلاصة ما استخلصه المرحوم المغربي من الأجوبة : « أن العامي لا يجوز استعماله في اللغة التي يتخاطب بها الخواص ، ولا تدوينه باعتبار أنه لفظ عربي . أما سائر الأصناف فتقبل وتستعمل وتدون بشيء من التحفظ والاحتياط في الصف الثالث ( وهو الكلمات الاصطلاحية ) ، والصف الرابع ( وهو الكلمات المولدة ) ، والصف الخامس ( وهو الكلمات العربية ) . فيحسن في هذه الأصناف الثلاثة استعمال ما يقوم مقامها من اللغة الفصحى إن أمكن ، وإلا استعملت من دون نكير » .

ولم أذل بدلوي في الدلاء ، في ذلك الزمن . وكذلك فعل قسم من أعضاء جمعنا بدمشق ، فقد كنت أرى أنه لا يستطاع اتخاذ قواعد عامة ، أي لا يستطيع أحد أن يقر أو ينكر إجمالاً استعمال العربات ، أو المصطلحات العلمية ،

أو كلام فصحاء الجاهلية وصدر الإسلام ، أو كلام فصحاء العصور الإسلامية ، أو التراكيب المترجمة عن لغة أجنبية ( وهي في الحقيقة خارجة عن موضوع المولد ) ؛ كما كنت أرى أن الكلام العامي المرتجل أو المحرف عن الصحيح لا يقول أحد باستعماله في كلام الفصحاء أو كتاباتهم .

ومعنى ذلك أننا إذا استثنينا الكلام العامي لا يمكن القول بأن جملة كلمات هذا الصنف أو ذلك يجوز أو لا يجوز استعمالها ، بل يجب تناول كل كلمة من المولد عامة بالبحث الدقيق ، وبيان الرأي في إثباتها في المعجم العربي واستعمالها ، أو بيان الرأي في عكس ذلك . وهذا عمل يحتاج في نظري إلى جهد كبير تتحمله جماعة من العلماء وتقطع له بضع سنوات .

فالكلمات المولدة التي أشير إليها في المعجمات العربية القديمة ، والكلمات المولدة التي لم يرد ذكرها في تلك المعجمات آلاف مؤلفة من الكلم . وقد جمع العلامة دُوْزِي Dozy عدداً كبيراً منها في معجمه المشهور . ولكنه فاتته منها عدد كبير أيضاً . فقد راجعت فيه أسماء مولدة لبنانات معروفة في الشام في أجدها كأسماء الأشجار الآتية مثلاً وهي مشهورة في أحراج لبنان وسورية :

المَلُول Quercus lusitanica من أنواع البلوط

العِزَار ، اللّث cerris " " " "

الدُّقْران Juniperus drupacea من أنواع العَرَبَر

الأمْرَاب excelsa " " " "

السَّعْث ، اللّثّث Alnus orientalis من شجر الحراج الأليف الماء

ومثل ذلك كثير . ثم إن دوزي يعزو كثيراً من الكلمات المولدة إلى مؤلفين محدثين عرباً كانوا أو غير عرب ، من دون التفتيش عنها في الكتب القديمة . فكلمة ( حاكورة ) مثلاً تطلق في سورية ولبنان على أرضين معتى

بها تكثر خاصة على مقربة من بيوت القرية وتزرع زروعاً شتى . فالعالم دُوَزي ذكر الحاكورة وعرفها بقوله : « حدائق آس في غوطة دمشق » ؛ ونقل ذلك عن مؤلف ألماني حديث ، على حين أن كلمة الحاكورة ذكرت في مستدرك التاج ، وقال فيها الزبيدي : « والحاكورة قطعة أرض تحمك لزراع الأشجار قريبة من الدور والمنازل ، شامية » .

ويعزو إلى همبرت Humbert وبقطر في معجمها إضافة الباقية إلى الزهر ، على حين أنني وجدت « باقة الزهر » مرة في الأغاني (١) ، ووجدتها كثيراً في نهاية الأرب .

وكذلك يعزو كلمة « شَوْح » إلى صاحب معجم صغير إفرنجي عربي ، وعربي إفرنجي . ويطلقها على الصنوبر والتشؤوب ، على حين أنها تطلق في الشام على تنوب قيليقية فحسب Abies Cilicica منذ زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى اليوم (٢) .

ونسب إلى المستشرق دوساسي De Sacy ورود فعل جَدُوَلَ بمعنى حفر جدولاً . فهذا الفعل الذي لم يرد في المعجمات بهذا المعنى رأيته في كتاب ملوك حمير وأقيال اليمن ، فقد جاء فيه : « من خطبة لقس بن ساعدة الأيادي ... وبنا المصانع والآبار ، وجدولوا الأنهار ، وغرسوا الأشجار ... » هذه أمثلة قليلة ، ولها أشباه كثيرة ، فتحري المولدات في المعجمات العربية الأصلية ، وفي تراننا العلمي والأدبي القديم ، وفي المعجمات الأعجمية العربية الحديثة التي يمكن الوثوق بها ، عمل شاق قلت إنه يحتاج إلى جماعة من

(١) طبعة دار الكتب المصرية ج ١٠ ص ١١٥ .

(٢) يراجع الاسم العلمي في معجم الألفاظ الزراعية حيث الدليل على ذلك .

العلماء واللغويين تنقطع له ، وتكشف عن رأيها فيما يجوز أو لا يجوز اثباته في المعجم العربي الحديث من الكلمات المولدة .

ويجب في نظري أن ينتهي عمل هذه الجماعة الى مجلس مجمع اللغة العربية فألى مؤتمره لإقرار ذلك العمل . ومن المعلوم أن العمل المذكور لا يتعارض هو وأعمال لجان المصطلحات العلمية في المجمع المشار اليه .

وعلى هذا أقترح تأليف لجنة في مجمع اللغة العربية تسمى « لجنة الكلمات المولدة » مهمتها تحري تلك الكلمات وجمعها واتخاذها وبيان القسم الذي يجوز ادخاله في المعجم العربي ، كالمعجم الوسيط ، بعد أن يوافق مجلس المجمع على ذلك القسم ويقره مؤتمر المجمع .

مصطفى الشهابي



## بقايا الفصاح

أعيد في هذه الأيام مطالعة كتاب الأغاني ، لقد مررت على أخبار المغني الغريض فوجدت في جملة أخباره أنه كان جميلاً ، وضيقاً ، وكان يصنع نفسه ويترفها ... فتوقفت قليلاً لما مررت بهذه المادة : يصنع نفسه ، فقد أشكل عليّ معناها ولم أدرك كيف ألفظ يصنع ، أي مخففة أم هي مشددة ، فرجعت الى معجم الفيروزابادي ، ولم أرجع اليه لأنه أصلح المعجمات ولكي رجعت اليه لأنني لا أملك غيره ، فوجدت لمادة صنع معاني كثيرة ، في جملة هذا المعنى : صنع الجارية ، بالتشديد ، أي أحسن اليها ، وصنعت فرسي ، بالتخفيف ، أي أحسنت القيام عليه ، فاستخرجت من ذلك أن الغريض كان يحسن الى نفسه أو كان يحسن القيام عليها ويترفها ، أي ينعمها ؛ وسواء أكانت صنع مخففة أم كانت مشددة فهل يستعملونها في عصرنا على معناها الأول ، أمّا صنع ، مخففة ، فقد ترد في بعض الصحف ، من ذلك قولهم : نحن صنعنا التاريخ ... ولكي لا أدري ماذا يقصدون في هذا التعبير ، أريدون أن يقولوا : نحن أحسننا القيام عليه ، على سبيل المجاز . فإذا أرادوا هذا الوجه فهذه المادة تعيش في أيامنا على أصل معناها ، وأما صنّع ، مشددة ، فاني كنت أسمع من الذين كانوا يزورون آل السمود في نجد والحجاز أن الملك كان يصبح بوزير المال ويقول له : صنّع فلاناً ، بالتشديد ، أي أعطه كذا وكذا ، أحسن اليه ، وكان الذين ينقلون إليّ هذه المادة يلفظونها بالسین ، ولم أبال بذلك ، فإن بعض الألفاظ التي ترد

فيها السين أو الصاد تلفظ بالسين أو بالصاد على السواء ، مثل الصراط والسرائر وغيرها ، فمادة التصنيع ، مشددة ، بمعناها الأول ، وهو الإحسان ، لا تزال تعيش في بعض بلاد العرب ، مثل نجد والحجاز ، ولكنها في بلاد ثانية قد فقدت أصل معناها وانتقلت الى معنى آخر يدخل في الصناعة ، وأعتقد أنها ستفقد أصل معناها في نجد نفسها ، وفي الحجاز نفسها ، بعد أن تبطل المجازفة بالإحسان وتوضع الموازنات بحسب القواعد الحديثة في بلاد العالم .

ولئن بطل معنى التصنيع الأول في كثير من بلاد العرب فقد أصبح لهذه المادة معنى خاص اقتضته حضارة العصر ، ما هو هذا المعنى ؟ إذا قلنا : التصنيع ، في عصرنا هذا ، أردنا بذلك عمل الصناعة وهي حرفة الصانع ، فالتصنيع انتقلت على نحو ما سبقت الإشارة اليه من معنى الى معنى ، ولم تتوسع العرب في قديم دهرها في مذاهب الصناعة لتتوسّع في مشتقات هذه المادة ، فنحن نجد من مشتقاتها : الصناعة وهي حرفة الصانع ، والصناعة وهي عمله ، وصناعة الفرس وهي حسن القيام عليه ، وصنعت الجارية بالتخفيف والتشديد ، أي أحسن اليها ، أو التخفيف خاص بالفرس والتشديد خاص بالجارية ، ورجل صنع اليدين ، بالكسر وبالتحريك ، وصنيع اليدين وصناعها ، أي حاذق في الصناعة ، والمصنع وهو جمع ماء المطر ، والمصانع وهي القرى والمباني من القصور والحصون ، واصطنع خاتماً ، أي أمر أن يصنع له ، الى آخر ما ورد في مشتقات صنع .

فالذي يتبين لنا أن مشتقات صنع ، بما له صلة بالصناعة نفسها ، قليلة اذا قيست بمشتقات ثانية ، فاذا قابلنا بين هذه المادة ي الصناعة ، وبين مادة ثانية وهي الإبل ، ونظرنا في توسّع العرب في مشتقات كل واحدة منها

ظهر لنا الفرق في هذا التوسع ، فإذا كانت العرب لم 'تغن' بالصناعة كبير العناية فقد 'عنيت' بالإبل العناية الكبرى ، والألفاظ توضع عادةً بمقدار الحاجة الى مدلولاتها ، فالحاجة الى الصناعة في قديم تاريخنا كانت قلّ من الحاجة الى الإبل ، فإن أكثر حياة العرب في البادية كانت قائمة على الإبل ، ولذلك توسّعوا في مشتقات مادة الإبل ، فوضعوا مواداً لمن يتخذ الإبل ، ولن تكثر إبله ، ولن يحذق مصلحة الإبل ، ولن يشتدّ تألقه في رعيها ، وللعشب الذي يطول فتستمكن منه الإبل ، ولن يجعل للمرء إبلًا سائمة ، ولن لا يثبت على رعية الإبل ولا يحسن مهنتها ولتسميتها ، وللبعير اللقيم ، وللتأفة المباركة في الولد ، وغير ذلك من المشتقات ، ولم أشأ أن أذكر المواد بألفاظها خوفاً من الإضجار ، إنها مدونة في المعجم ، فمن شاء فليرجع اليها .

لقد أطلت قليلاً في الإشارة الى مشتقات مادة : الإبل ، وأرجو أن لا يكون في هذه الإطالة بعض الملل ، فما غيبي الا\* توضيح الفرق بين المادة التي تحتاج اليها العرب وبين المادة التي كانت تقلّ اليها الحاجة ؛ فالصناعة قليلة المشتقات لأن العرب لم تكثر ممارستها لها في القديم ، أمّا مادة الإبل فلها أكثر مشتقات لأن على الإبل كانت تقوم حياة العرب في البادية .

ما الذي أوجت الي\* هذه المقابلة ، أي المقابلة بين مشتقات مادة تشتد الحاجة اليها ، وبين مشتقات مادة تخفّ اليها هذه الحاجة ، لقد أوجت الي\* أمراً ذا بال ، وأرجو أن لا أخرج عن موضوعي وأنا أعالج بقايا الفصح ، لقد رأيت أن معجمات اللغة قد شجنت بألفاظٍ ماتت على تعاقب الدهور ،



فهي مدفونة في بطون المعجمات كما تدفن العاديات في المتاحف ، فان مادة الإبل نفسها قد اشتملت من المشتقات على ما لم تعد حاجة اليه في عصر مثل عصرنا ، عصر الصناعة وسفن الفضاء والصواريخ وما شابه ذلك ، فلا يحتاج العرب في حضارتهم الحديثة الى الإبل مقدار حاجتهم الى ما أثرت اليه ، واذا هم لا يحتاجون الى هذه الإبل في مدنهم وأمصارهم ، في حضارتهم ، فهم لا يحتاجون الى ما جاء من مشتقات مادة الإبل ؛ ما هي نتيجة هذا كله ؟ انها نتيجة واضحة ، فالألفاظ التي لا تحتاج الى مدلولاتها يبطل استعمالها فتبقى مدفونة كما قلت في بطون المعجمات ، ونضطر الى إيجاد الألفاظ التي تفصح عن حاجات حياتنا الحديثة ، حياة الحضارة ؛ إننا لا نفتح معجماتنا الا- وقع نظرنا على آلاف من الألفاظ التي ماتت ، فبطل بهذا الموت استعمالها ، فما أشد عمل الذين يجهدون في وضع المعجمات في عصرنا هذا ، فقد يتنازعهم عاملان : عامل الحرص على اللغة ، وتدوين هذه اللغة في معجماتهم بحذافيرها كأنها تصور حياة العرب في تاريخهم أكمل تصوير ، وعامل الاستغناء عن تدوين الألفاظ التي ماتت ولم تبقى حاجة اليها في أيامنا مجازاة لروح العصر . ولا ريب في أن الاستغناء عن تدوين الألفاظ التي ماتت لا يخلو من إدخال الألم على النفوس ، فان هذه الألفاظ كانت لها حياة ناضرة في تاريخها ، فقد تقلبت في أعطاف السعادة حتى كانت نتيجة هذه السعادة موتها واستقرارها في بطون المعجمات . وما أظن أن الذين يعنون بوضع المعجمات في زماننا يشفقون على الألفاظ التي ماتت فيدونونها في معجماتهم ؛ إنهم إن فعلوا شيئاً من ذلك خرجوا على روح العصر ولم يكن في عملهم نفع . اني لا أنقطع عن مطالعة المعجمات ، وقد أمر بطوائف كثيرة من الألفاظ التي ماتت

فلست راحت في مدافنها ؛ وما أكثر الشواهد في هذا الباب ، ولكني لا أكثر من هذا الشواهد ، فقد كنت أطلع وأنا أكتب هذا المقال مادة حنبل ؛ ماذا وجدت في هذه المادة ، من معاني الحنبل : القصير والفرّ أو خلقه ، أو الخُف الخَلَق ، والبحر والضخم البطن أو اللجيم ، فمن الذي يستعمل هذه المادة بمعانيها المذكورة في عهدٍ مثل عهدنا ؟ اني أعتقد أن مادة الحنبل قد ماتت بكل معانيها ، ولم يبق منها الا الإمام أحمد بن عبيد الله بن حنبل ، إمام السنة الذي تتحنلُ الرؤوس إجلالاً له ، أي تتطأطأ .

تخفيف مبري



# أدب الفقهاء

- ٤ -

## فقهاء المغرب والأندلس

ونخلص لذكر فقهاء المغرب والأندلس ، ونبدأ بالمناسبة الآتية الذكر بأشهرهم اسماً وأكبرهم علماً وهو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي ، إمام أهل الظاهر بعد مؤسس هذا المذهب داود الظاهري المشهور .

### ابن حزم

قال صاعد الأندلسي في حقه : « كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار ، وأخبرني ابنه أبو رافع الفضل ابن علي : أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعائة مجلد ، تشمل على قريب من ثمانين ألف ورقة (١) ، ومن أشهر كتبه المحلى أبان فيه عن علم غزير وتعمق في فهم أحكام الشرع وأدلتها من الكتاب والسنة ، وهو مطبوع في أحد عشر جزءاً . وله أيضاً كتاب الإحكام في أصول الأحكام نفيس جداً . وهو مطبوع أيضاً . ومن مؤلفاته الشهورة في تاريخ الأديان والعقائد كتاب الفيصل في الملل والأهواء والنحل وهو معتمد في هذا الباب .

---

(١) الصلة لابن بشكوال ص ٤٠٩ طبع مدريد . وفيه بعض مخالفة لما في طبقات الأئمة لمعاد .

أما مقامه في الأدب والشعر ، وهو موضوع بحثنا هذا ، فقد قال فيه الحُمَيْدِي صاحب جذوة المقتبس : « وكان له في الآداب والشعر نفَسٌ واسع وباع طويل ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ، وشعره كثير . وقد جمعناه على حروف المعجم . » وما نشد له من شعره :

لئن أصبحتُ مرتحلاً بشخصي فروحي عنديكم أبداً مقيم  
ولكن للعيان لطيفُ معنى له سأل الماينةَ الكلم

ولا يخفى ما في هذين البيتين من دعم الشعور العاطفي بالمعنى الديني ، المستمد من قصة موسى عليه السلام وقوليه في مناجاة الحق سبحانه وتعالى : ( رب أرني أنظر إليك ) والتعليل لهذا الطلب الجبري بما لا يتنافى مع قوة الإيمان ولا يحارمه أدنى شك ، ولذلك كان لهذين البيتين عند العلماء والتصوفة قيمة كبيرة ، وصدى لا يزال يتردد في الكتب والمجالس كلما سنحت المناسبة للخوض في هذا الموضوع . ولا تقلِّد قيمتها عند الأدباء عن قيمتها عند العلماء لأنها من حيث السبك والصياغة لا غبار عليها ، وأما المعنى فانه فريد لا مثيل له ، غاية الأمر أن أنظار العلماء والأدباء تلافت عندهما لما تضمناه من تعبير بارع عن مقصد كل من الطرفين .

ونظيرهما في استيحاء النصوص الدينية قول أبي تمام في سنيته المشهورة

في مدح المعتصم :

لا تنكروا ضربي له من دونه مَثَلاً سروداً في الندى والبأس

فأله قد ضرب الأقلُّ لنوره مَثَلاً من المشكاة والنبراس

ومع توارد الفقيه والشاعر الكبير على الاستقاء من معين الدين في أبياتها هذه ، مما يؤكد أن ذلك لا يتعارض وأصالة الشاعرية ، فإن الانصاف يقتضينا أن نقول ان بيتي ابن حزم أرق معنى وألطف مساقاً ، وهما فوق ذلك أكثر سيورة من بيتي أبي تمام .

ومن شعر ابن حزم قوله وضمته الإشارة إلى مذهبه :

وذي عدل فيمن سباني حسنه      يطيل ملامي في الهوى ويقول  
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره      ولم تدرك كيف الجسم أنت عليل  
فقلت له أسرفت في اليوم فاتد      فمسيدي ردّ لو أشاء طويل  
ألم تر أني ظاهري وأني      على ما بدا حتى يقوم دليل

وما أحسن هذا القول ، وألطف الإشارة هنا إلى المذهب ، لا سيما إذا علمنا أن للأبيات حكاية ذكرها ابن حزم نفسه في كتابه طوق الحمامة ، وأن المحاورة فيها كانت مع الحافظ أبي عمر بن عبد البر ، وهو من أئمة مذهب مالكا ، فمن البراعة الاحتجاج في هذا المقام الأدبي بالمذهب الفقهي الذي يأخذ به الشاعر ، والمخالف كان من غزارة العلم وسعة الأفق بحيث يتقبل هذا الاحتجاج ويؤيده على أنه من اللطائف الأدبية التي لا بمحاكاة فيها . وهكذا كان القوم على إمامتهم في العلم والدين يتعاطون كؤوس الأدب ممزوجة بالنكت الباردة والتلميحات اللطيفة ولا يرون في ذلك حرجاً ، ولا يستطيع أحد أن يلزمهم بسوء .

وألف ابن حزم كتابه طوق الحمامة في الحب وصفاته ، ومعانيه وفلسفته ، والمحبين وما يعرض لهم ، وأحوالهم وأخبارهم ، وهو وإن قال أن تأليفه له كان باقتراح أحد أصدقائه ، فأننا نرى أنه ربما تشجع على ذلك بما 'علیم من تأليف ولّد إمامه لكتاب الزهرة في الموضوع على ما مرّ ذكره . وأيضاً كان الأمر ، فإن طوق الحمامة يختلف عن كتاب الزهرة اختلافاً كبيراً . إنه ملّبيء بذكر تجارب ابن حزم نفسه في ميادين الحب والغرام ، وملّبيء كذلك بأشعار ابن حزم التي نظمها في الموضوع ، بل ليس فيه شعر لغيره إلا القليل النادر ، وذلك ما جعله تحفة أدبية نادرة المثال ، وقصة غرامية متسلسلة الأحداث والوقائع ، تفري قارئها بالانكباب عليها ، وخصوصاً وهو

يعلم أن بطلها علمٌ من أعلام الفقه والدين ، وعبقري من عباقرة الفكر والفلسفة ، وكان في وقت ما وزيراً وهو ابن وزير ، فقد توفرت كل الأسباب لجعل هذا الكتاب قطعة فنية خالدة . وذلك من أعظم الأدلة على أن للفقهاء جولات موفقة في ميادين الأدب والشعر فانت كثيراً من الشعراء والأدباء .

ومما جاء في طوق الحمامة من شعره في الحب الطاهر قوله :

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى | وسيان عندي فيك لاح وساك     |
| يقولون جانب التصاون جملة      | وأنت عليهم بالشريمة قانت    |
| فقلت لهم هذا الرياء بعينه     | صراحاً وزى للمرائين ماقت    |
| متى جاء تحريم الهوى عن محمد   | وهل منعته في محم الذكر ثابت |
| إذا لم أواقع تحمراً أتقي به   | مجيء يوم البعث والوجه باهت  |
| فلمست أباي في الهوى قول لائم  | سواء لعمرى جاهر أو مخافت    |
| وهل يلزم الإنسان إلا اختياره  | وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت  |

وهو احتجاج قوي في الشعر كاحتجاجه في مسائل الفقه وخلاف الأئمة ، مما يدل على عارضته القوية وملكوته الراسخة .

ومنه قوله في مليحة شقراء :

|                               |                                |
|-------------------------------|--------------------------------|
| تعيونها عندي بشقيرة شعرها     | فقلت لهم هذا الذي زانها عندي   |
| يعيون لون النور والتبر ضلة    | لرأي جهول في الغواية ممتد      |
| وهل عاب لون الزرجس الغض عائب  | ولون النجوم الزاهرات على البمد |
| وأبعد خلق الله من كل حكمة     | مفضل جرم فاحم اللون مسود       |
| به وُصف ألوان أهل جهنم        | وليئسة بك مثل أهل محمّد        |
| ومدّ لاحت الرايات سوداً تيقنت | نفوس الوري أن لاسبيل الى الرشد |

فهذه الآيات تبيّن عن ذوق مدني مذهب كما تبيّن عن شاعرية بليغة لا يرقى إليها نقد من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ . وما أملح قوله : « فقلت لهم هذا الذي زانها عندي » والغريب أن ابن حزم يذكر في الفصل الذي أورد فيه هذه الآيات أن ذلك أي حبه للشقرة كان طبيعة له وميلاً غريباً فيه ، فهو يعبر عن شعور صادق وحس راسخ وليس كلامه صنعة وتفنناً في القول كما قد يلوح . وأغرب من هذا هو البيت الأخير في القطعة ، أترأه زعةً مياسيةً مرثوانيةً لم يُغفّل ابن حزم الإفصاح عنها وقد واثمه المناسبة في هذه الآيات العاطفية ؟

اقلنا قد مددنا النفس أكثر من اللازم في الحديث عن أدب ابن حزم ، ولكنه يستحق ذلك ، وما يمنعنا من الإطالة إلا ضيق المقام ومراعاة المناسبة لما تحدثنا به عن غيره . وكانت وفاته رحمه الله سنة ٤٥٦ .

### أبو الوليد الباجي

هو القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي ، نسبة الى باجة الأندلس ، لا باجة إفريقية . كان قريع ابن حزم في الفقه والعلم ، وكان على مذهب مالك ، وهو الذي تصدى لابن حزم بعد ما قصر فقهاء الأندلس عن مجادلته ، فناظره ونقض كثيراً من حججه . وقال عنه القاضي أبو علي بن مسكويه : « ما رأيت مثله في سمته وهيبته وتوقير مجلسه وهو أحد ثمة المسلمين » وناهيك بأنه روى عنه حافظ المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر ، وأبو بكر الخطيب . ألف أبو الوليد كتاب الاستيفاء في شرح الموطأ ، كتاب حفيظ كثير العلم لا يدرك ما فيه إلا من بلغ درجة مؤلفه في العلم ، قاله ابن فرحون في الديباج ثم اختصره في كتاب سماه المتقى ، وهو مطبوع

في سبعة مجلدات . وله غيرها من الكتب القيمة النافعة . ومن شعره :

أَسْتَرْوَا عَلَى اللَّيْلِ الْبِهِمُ سَرَاهِمُ      فَضَمَّتْ عَلَيْهِمُ فِي الشَّمَالِ شَمَائِلُ  
مَتَى نَزَلُوا ثَاوِينَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى      بَدَتْ لِلْهَوَى بِالْمَأْزَمِينَ مَخَايِلُ  
فَلَلْهُ مَا ضَمَيْتُ مِنِّي وَشِعْمَاهَا      وَمَا ضَمَيْتُ تِلْكَ الرُّبَا وَالْمَنَازِلُ  
وَلَمَّا التَقَيْنَا لِلْجَارِ وَأُبْرَزَتْ      أَكْفٌ لِلتَّقِيلِ الْحَصَى وَأَنَامِلُ  
أَشَارَتْ إِلَيْنَا بِالْغَرَامِ مُحَاجِرُ      وَبَاحَتْ بِهِ مِنَّا جُسُومُ نَوَاحِلُ

وهي أبيات ذات نفس أعرابي تعبر عن حب دفين ، وإن دارت الناس عنه بالحديث عن الحجاز والشاعر المشهودة فيه . وفيها مع ذلك صنعة بدعية لطيفة إلا أنها تكاد تكون من وحي الطبع لا تعمل فيها ، فاجتمع لها بذلك حسن السبك وبلاغة المعنى ، وماذا يُطلب من الشاعر الموهوب أكثر من ذلك ؟ ..

ومما اشتهر من شعر الباجي قوله :

مَضَى زَمَنُ الْمَكَارِمِ وَالْكَرَامِ      سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ صَوْبِ الْفَقَامِ  
وَكَانَ الْبِرُّ فَعْلًا دُونَ نَطْقِ      فَصَارَ الْيَوْمَ نَطْقًا بِالْكَلَامِ  
وذيله بعض الفقهاء أيضاً لما استشرى الفساد بقوله :

وَزَالَ النُّطْقُ حَتَّى لَسْتُ تَلْقَانِي      فَتَى يَسْخُو بِرَدِّي لِلْسَّلَامِ  
ثم ذيله فقيه آخر وقد طمَّ الوادي على القَرِيّ فقال :

وَزَادَ الْأَمْرُ حَسْتِي لَيْسَ إِلَّا      سَخِي بِالْأَذَى أَوْ بِالْمَلَامِ

ولا يجد الناقد الأدبي ما يأخذ على هذه الأبيات ، وكلها لفقهاء شعراء ، بل انه لو أنصف لجعلها في مستوى القمة من الصناعة الشعرية وخصوصاً لبيتي صاحبنا أبي الوليد الباجي ، ولذلك جرت على ألسنة العلماء والأدباء معاً ، وكان مشائخنا رحمهم الله كثيراً ما يرددونها في المقامات التي تستدعي انشاد مثلها .



وللباجي أيضاً هذان البيتان المشهران في الزهد والحكمة :  
 اذا كنت أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعة  
 قليل لا أكون ضيّناً بها وأصرفها في صلاح وطاعة

### أبو بكر بن العربي

هو الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المَعَارِفِيّ الأَشْبِيلِيّ .  
 حُلَاهُ ابنُ بَشْكُوَال في كتابه الصلة ، بقوله « الحافظ المستبحر ختام علماء  
 الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها » أخذ يبلده ورحل الى الشرق فلقى أبا حامد  
 الغزالي وأبا بكر الشاشي وغيرها وعاد بعلم غزير . وكان فصيحاً أديباً شاعراً  
 كثير الخبر مليح المجلس . وله تأليف كثيرة منها أحكام القرآن في مجلدين  
 مطبوع وهو عظيم الفائدة ومنها عارضة الأحوزي في شرح صحيح الترمذي  
 مطبوع أيضاً . وكتاب العواصم من القواصم مطبوع ، وهو دليل على بُعد  
 غوره وتفنته في علوم الفقه والكلام والتصوف . ومن شعره المشهور قوله  
 وقد ركب مع أحد أمراء المائمين ، وكان الأمير صغيراً فبرز عليه رجلاً  
 كان في يده مداعباً له :

يَهْزُ عليّ الرمحَ ظبيّ مهفّف لَعُوبُ بألباب البرية عابث  
 ولو كان رجلاً واحداً لانتقيته ولكنه رمح وثلاث وثلاث  
 وهما بيتان سائران يجريان كثيراً على السنة الأدباء في مجال الاعتذار عند  
 مغلبة الحوادث . قال المقرئ في نفح الطيب : « وقد اختلف حذائق الأدباء  
 في قوله : ( ولكنه رمح وثلاث وثلاث ) ما هو الثاني والثالث ؟ فقيل القد  
 والليحظ ، وقيل غير ذلك » .

وله وهو معنى بديع :

أنتني تؤنبني بالبكاء فأهلاً بها وتبأنيها

تقول وفي نفسها حسرة أتبكي بعين تراني بها  
 فقلت اذا استحسنت غيركم أمرت جفوني بتعذيبها  
 قال في النفع : « ومن شعر ابن العربي مما نسبته اليه الشيخ أبو حيان :  
 ليت شعري هل دروا أي قلب ملكوا  
 وفؤادي لو درى أي شعب سلكوا  
 أترأهم سلموا أم ترأهم هلكوا  
 حاراً أربابُ الهوى في الهوى وارتبكوا »  
 وهي أبيات ذات نفس صوفي أكسبها رقة وطلاوة ولا يستطيع ناقد أن  
 يلزمها بأنها شعر فقيه ، وهو يعني أنها ليست بذلك من حيث الصنعة البيانية .  
 توفي ابن العربي رحمه الله سنة ٥٤٣ هـ وقبره بفاس معروف .

### القاضي عياض

أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، إمام وقته  
 في الفقه والحديث وعلومها والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأناسهم .  
 وصفه ابن الأبار فقال : « كان جمال العصر ومفخر الأفق وينبوع المعرفة  
 ومعدن الإعادة ، وإذا عدت رجالات المغرب فضلاً عن الأندلس حسب فيه  
 صدرأ » وقد ألف فيه العلامة المقرئ كتاب أزهار الرياض في أربعة مجلدات  
 وهو معروف ، طبع منه ثلاثة مجلدات ، وللقاضي عياض تصانيف سارت بها  
 الركبان ، منها كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى . أبدع فيه كل  
 الإبداع واكتسب شهرة في العالم الإسلامي كاد يصير بها من الكتب المقدسة  
 نظراً لشرف موضوعه ، ومنها كتاب مشارف الأنوار في تفسير غريب حديث  
 الموطأ والبخاري ومسلم وضبط الألفاظ والتنبية على الأوهام والتصحيقات  
 وضبط أسماء الرجال وهو كتاب فريد لا نظير له . ومنها كتاب ترتيب المذارب

وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام ماثك ويُعرف عادة بالمدارك ،  
وغير هذه من مؤلفاته المحررة العظيمة الفائدة في الفقه والحديث وفنونها  
وفي التاريخ والأدب وكانت له ملكة قوية في الإنشاء ، وقريحة سيالة في الشعر .  
ومن قوله في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليها رياح :

انظر الى الزرع وكلماته تحكي وقد ماست أمام الرياح  
كستينة خضراء مزرومة شقائق النعمان فيها جراح

وهو بديع . والخامة القصبة الرطبة من الزرع .

وله في وداع قرطبة :

أقول وقد جد ارتحالي وغردت      'حداتي وزمت' للفراق ركائي  
وقد غمست من كثرة الدمع مقلتي      وصارت هواء من فؤادي ترائي  
ولم تبق إلا وقفة يستحشها      وداعي للأجباب لا للحباب  
رعى الله جيراناً بقرطبة العلا      وسقي رباها بالعيهاد السواكب  
وحيناً زماناً بينهم قد ألفتهم      طليق الحيا 'مستلان' الجواب  
إخواننا بالله فيها تذكروا      معاهد جار أو مودة صاحب  
غدوتهم من برهم واحتفائهم      كأنني في أهلي وبين أقاربي

ولست بحاجة الى التنبيه على ما في هذه الأبيات من دقة الوصف لحركة السفر ،  
وشدة اللوعة لفراق الأحبة . وهذا الاستدراك الجميل والحذر في قوله  
( للأجباب لا للحباب ) خشية أن يفهم ما لا يليق بكرامته العلمية ، وهو  
في دار الغربة ، مما يدل أعظم الدلالة على حسن تصرف الشاعر وقلمه  
لناصية التعبير عما في ضميره وأدائه للمعنى المراد بكل سهولة وبكل براعة  
أيضاً . وتلك هي الغاية التي يتطلع اليها فيقول الشعراء حتى من غير  
أصحابنا الفقهاء . وقد توفي القاضي عياض سنة ٥٤٤ هـ ودفن براكش وقبره  
هنا معروف .

فهؤلاء أربعة فقهاء من المغرب والأندلس كلهم قالوا الشعر الجيد الذي لا يقصر عن شعر أي شاعر مجيد ، غير فقيه ، سواء في الشكل أو المضمون ، وإذا أضفنا إليهم أبا الفضل بن النحوي وهو الذي بُنيَ هذا البحث على شعره ، وقد قدمنا نماذج منه ، كانوا خمسة ، ونحن انما اقتصرنا على هذا العدد القليل رغبة في الاختصار ومناسبة العدد الذي ذكرناه من فقهاء المشرق الشعراء ، وإلا فهم أكثر من أن يحصيهما البحث مقتضب مثل هذا .

عبد الله كنون



# الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٣ -

## الدائرة والدور

|          |               |
|----------|---------------|
| Cercle   | في الفرنسية   |
| Circle   | في الانكليزية |
| Circulus | في اللاتينية  |

الدائرة عند علماء الرياضيات سطح مستوٍ أحاط به خط مستدير في داخله نقطة تسمى بالمركز ، تكون جميع نقاط ذلك الخط المستدير المسمى بالمحيط متساوية البعد عنها ، أو هي الحل الهندسي لنقاط المستوي الواقعة على بعد معلوم من منطقة معلومة تسمى مركز الدائرة .

والدائرة في المنطق مرادفة للدور ، وتطلق على العلاقة الموجودة بين الحدين اللذين يمكن تعريف كل منهما بالآخر ، أو على العلاقة الموجودة بين الشرطين اللذين يتوقف صدق أحدهما على صدق الآخر .

فالدور إذن هو توقف كل واحد من الشئين على الآخر . وينقسم الى دور علمي وهو توقف العلم بكل من المعلومين على الآخر ، ودور إضافي ، وهو تلازم الشئين في الوجود ، بحيث لا يكون أحدهما إلا مع الآخر ، ودور مساو ، وهو توقف كل من المتضايفين على الآخر . وإذا كان التوقف في كل الشئين بمرتبة واحدة كان الدور مصرحاً كتوقف (أ) على (ب) وبالعكس . وإذا كان التوقف بمراتب كان الدور مضمراً كتوقف (أ) على (ب) ، و (ب) على (ج) ، و (ج) على (أ) .

والدور الفاسد ( Cercle vicieux ) عند المناطقة هو الخطأ الناشئ عن توقف برهان كل من الشيئين على البرهان على الآخر . فإذا برهنت على شيء مثل ( أ ) بشيء آخر مثل ( ب ) وكان البرهان على ( ب ) مستنداً الى البرهان على ( أ ) وقعت في الدور الفاسد .

وكثيراً ما يسمى هذا الدور الفاسد دائرة وهذا خطأ ، لأنه يمكن أن يكون هناك دائرة يتوقف فيها أحد الشيئين على الآخر من غير أن تكون فاسدة كالحالات التي يمكن البرهان فيها على ( ب ) ب ( أ ) وبغير ( أ ) . وهذه الحالات كثيرة في العلوم الرياضية ، لأن كل واحدة من القضيتين المتقابلتين ( أي النظرية وعكسها ) يمكن أن تكون صحيحة ومستخرجة من الأخرى .

### الداخل والداخلي

|                     |               |
|---------------------|---------------|
| Interieur , interne | في الفرنسية   |
| Internal            | في الانكليزية |
| Interior            | في اللاتينية  |

الداخل والداخلي نقيض الخارج والخارجي ، والداخل من كل شيء باطنه ، وداخلة الإنسان نيته ، ومذهبه ، وباطن أمره .

ويطلق الداخلي في علم النفس على أحوال الشعور أو على الشعور نفسه ، ومنه الإدراك الداخلي ، والكلام الداخلي .

والحياة الداخلية هي الحياة النفسية ، وإذا كانت الأفعال صادرة عن الوجود نفسه سميت بالأفعال الداخلية .

والحياة الداخلية أيضاً هي الحياة القائمة على التأمل والتجرد ( راجع : الخارج ، والخارجي ) .

## الدحض

|            |               |
|------------|---------------|
| Réfutation | في الفرنسية   |
| Refutation | في الانكليزية |
| Refutatio  | في اللاتينية  |

دحض الحجة أبطلها ودمغها ، والدحض هو الاستدلال على بطلان الشيء . والفرق بينه وبين الاعتراض أن الاعتراض يقتصر على إبراز نواحي الضعف في القول من غير أن يبرهن على بطلانه ، على حين أن الدحض يبطله ويدفعه . والحجة الداحضة هي الحجة الباطلة .

## الدرجة

|        |               |
|--------|---------------|
| Degré  | في الفرنسية   |
| Degree | في الانكليزية |

الدرجة المرقاة والرتبة . وفي علم الفلك جزء من ثلاثمائة وستين جزءاً من دورة الفلك . وفي علم الرياضيات قسم من التسعين قمماً المتساوية التي تنقسم إليها الزاوية القائمة . ودرجة الحرارة أو الرطوبة جزء من أجزاء القياس الخاص بها . وقد تكون طبيعة الشئتين واحدة ، ودرجة أحدهما مختلفة عن درجة الآخر . والفرق بين الشئتين المختلفي الطبيعة أعظم من الشئتين المختلفي الدرجة .

## الدفع

|           |               |
|-----------|---------------|
| Impulsion | في الفرنسية   |
| Impulse   | في الانكليزية |
| Impulsio  | في اللاتينية  |

دفع الى المكان انتهى اليه ، ودفع عنه رحل عنه ، ودفع الشيء نحوه . وأزاله بقوة . ودفع القول رده بالحجة ، ودفع فلاناً الى كذا اضطره . وقيل الدفع صرف الشيء قبل وروده ، كما أن الرفع صرف الشيء بعد وروده ، واذا عدتي دفع إلى فمعناه الإنالة نحو : « فادفعوا اليهم أموالهم » ، وإذا عدتي بمن فمعناه الحماية نحو : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » .

والدفع في اصطلاحنا هو النزوع الى الفعل ويرادفه النيل والجذب والغريزة والإثارة ، وضده المنع . وتسمى القوة النفسية التي تدفع الى الفعل بالدافعة ، ويطلق على صاحبها اسم المندفع ( Impulsif ) ، وهو الذي يندفع الى الفعل بلا تفكير ولا مقاومة . واذا فقد المرء قوة الدفع تعطلت أفعاله الإرادية ، كما انه اذا ازدادت قوة اندفاعه كانت كما يقول امرؤ القيس :  
مكراً مفراً مقبلاً مدبراً معاً

بكمود صخر حطه السيل من عل  
ومعنى ذلك ان الافراط في الاندفاع يخرج المرء من الحالة السوية فيجعله عاجزاً عن الحكم على نفسه بإرادته . وشدة الاندفاع قد تنشأ عن الافراط في الميل ، أو عن تقصير الإرادة في المنع ، أو عن كليهما معاً .

والدافع ( Motif ) عند علماء النفس هو المحرك ، ويطلق على كل سبب عقلي يحدث فعلاً إرادياً ، أو على كل حالة نفسية تغلب فيها العناصر العقلية وتولد بذلك لذاتها فعلاً إرادياً معيناً ( راجع لفظي : باعث ، وسبب ) .  
والدافعة عند الأطباء هي القوة التي تدفع الفضول .



## الدقيق والدقة

|                     |               |
|---------------------|---------------|
| Précis , Précision  | في الفرنسية   |
| Precise , Precision | في الانكليزية |
| Praecisio           | في اللاتينية  |

دق الشيء دقة صفر ، وصار خسيساً حقيراً ، وغمض وخفي معناه  
فلا يفهمه الا الأذكاء . والدقيق ضد الغليظ . ودقق في الحساب استعمل  
الدقة ، وأنعم النظر فيه .

ويطلق الدقيق ( Précis ) في اصطلاحنا على المعنى الذي حدد شموله  
( أي ما صدقه ) ومفهومه تحديداً واضحاً . فهو إذن ضد الغامض والمبهم ،  
ويرادفه المحكم والصحيح والصريح .

وفرّقوا بين الدقيق والصحيح فقالوا ان الصحيح مطابق للمعقول والمحسوس  
معاً فهو إذن تام ، على حين أن الدقيق قد يكون محكماً ولا يكون صحيحاً .  
ان دقة الخبر لا تكفي للبرهان على صحته ، كما أن الخبر المبهم الغامض قد  
يكون صحيحاً ، ولا يكون دقيقاً . وكثيراً ما يخذع الناس بدقة الخبر  
فيظنونهم صحيحاً مع أن دقته لا تدل إلا على سعة خيال راويه .

وقد بين ( غوبلو ) ان بين الدقيق والصحيح فرقاً آخر . وهو انك  
اذا أطلقتها على الكميات كان الصحيح تاماً لا يقبل الزيادة والنقصان وكان  
الدقيق بضد ذلك . مثال الصحيح في علم الهندسة : مساواة زوايا المثلث  
الداخلية لزاويتي قائمتين ، ومثال الدقيق في تقدير المسافات بلوغ أكبر درجة  
من الضبط . لذلك سميت العلوم الرياضية بالعلوم الصحيحة وسميت الآلات  
المستعملة في علم الفيزياء بالآلات الدقيقة ، ومع ذلك فقد يكون للدقيق

والصحيح معنى واحد كما في علم التاريخ : تقول ان تاريخ هذه الحادثة دقيق أي صحيح ومحكم .

وفرقوا أيضاً بين التدقيق والتحقيق فقالوا إن التدقيق إثبات الدليل بالدليل على حين أن التحقيق إثبات المسألة بالدليل .

### الدلالة

|                          |                                   |
|--------------------------|-----------------------------------|
| Dénotation , désignation | في الفرنسية                       |
| Denotation               | في الانكليزية                     |
| Denotare                 | واللفظان مشتقان من اللفظ اللاتيني |

الدلالة هي أن يلزم من العلم بالشيء العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول ، فإن كان الدال لفظاً كانت الدلالة لفظية ، وإن كان غير ذلك كانت الدلالة غير لفظية . وكل واحدة من اللفظية وغير اللفظية تنقسم الى عقلية ، وطبيعية ووضعية .

فالدلالة العقلية هي أن يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية تنقله من أحدهما الى الآخر كدلالة المعلول على العلة . والدلالة الطبيعية أن يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية تنقله من أحدهما الى الآخر كدلالة الحمرة على الخجل والصفرة على الرجل . والدلالة الوضعية أن يكون بين الدال والمدلول علاقة الوضع كدلالة اللفظ على المعنى المجازي .

وتنقسم الدلالة اللفظية الوضعية الى المطابقة والتضمن والالتزام (تعريفات الجرجاني) ومعنى ذلك أن اللفظ يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة ، وعلى جزئه بالتضمن وعلى ما يلزمه في الذهن بالالتزام . كالثلث فإنه يدل

على الشكل المؤلف من ثلاثة أضلاع وثلاث زوايا بالمطابقة ، وعلى التساوي السابقين بالتضمن ، وعلى مساواة زواياه الداخلية لزاويتين قائمتين بالالتزام . ودلالة الحد في النطق مطابقة لشموله كالإنسان فانه يدل على زيد وعمر وبكر الخ .

### الدليل

|        |               |
|--------|---------------|
| Preuve | في الفرنسية   |
| Proof  | في الانكليزية |
| Proba  | في اللاتينية  |

الدليل هو الحجة والبرهان ، وهو ما دل به على صحة الدعوى . والدليل في اللغة هو المرشد ، وما به الإرشاد ، وما يستدل به . وله عند الأصوليين معنيان : أحدهما ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبري ، وهو يشمل القطعي والظني . والثاني ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري . وهذا يخص بالقطعي . والمعنى الأول أعم من الثاني مطلقاً .

والدليل في اصطلاحنا هو الذي ينزم من العلم به العلم بشيء آخر ، وغايته أن يتوصل العقل الى التصديق اليقيني بما كان يشك في صحته .

وقد يكون الدليل قياساً أو برهاناً كما في الانتقال من الكلي الى الكلي أو من الكلي الى الجزئي ، أو يكون استقراء كما في الانتقال من الجزئي الى الكلي ، أو تمثيلاً كما في الانتقال من الجزئي الى الجزئي .

وقد يكون الدليل مرشداً كما في دلالة العالم على الصانع ، أو أمارة كما في دلالة الحمرة على الخجل . والدليل عند الأطباء أمارة يهتدون بها الى معرفة المرض . لذلك كان الدليل بهذا المعنى جانب تجريبي ، لأن الأمارات

والوثائق والإشارات ، والصكوك والشهادات والحوادث ليست سوى أشياء مادية يتوصل بها الى العلم بالمطلوب . وكثيراً ما يكفي في المسائل الحقوقية إثبات الشيء بإيراد دليل مادي عليه ، إلا أن هذه الدلالة التجريبية لا تقوم على إيراد الوثائق المادية فحسب ، بل تقوم على فعل العقل الذي يستخدم هذه الوثائق .

وفرقوا بين الدليل والقياس بقولهم : إن القياس هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بالعلاقة الضرورية الموجودة بين المقدمات والنتائج ، على حين أن الدليل قد يقوم على إيراد حادثة أو وثيقة أو شهادة تزيل الشك في صحة المطلوب .

والخلاصة ان الدليل هو ما يمكن التوصل به إلى معرفة الحقيقة ، وهو إما أن يكون قطعياً كما في العلوم الرياضية ، أو تحقيقياً كما في العلوم الطبيعية والإنسانية .

والدليل غير المباشر ( Preuve indirecte ) هو إثبات أحد الفروض المتعلقة بالموضوع بإبطال جميع الفروض الأخرى الممكنة ، مثال ذلك قرأنا : إما أن يكون موت هذا الرجل طبيعياً ، وإما أن يكون نتيجة قتل أو انتحار ، فإذا أبطنا فرضية الموت الطبيعي والقتل لم يبق هناك إلا فرضية واحدة ، وهي الانتحار ، فيكون البرهان على الانتحار دليلاً غير مباشر .

والدليل الوجودي ( Preuve ontologique ) هو إثبات وجود الله بتحليل تصورنا لذاته ، وخلاصته أن الله كامل أي متصف بجميع الكمالات ، ولما كان الوجود أحد هذه الكمالات كان لا بد من أن يكون الله موجوداً .

## الدوام

Permanence في الفرنسية

Permanence في الانكليزية

دام يدوم دواماً ثبت وامتد واستمر ، يقال دام الطر : تتابع نزوله .  
والدوام بقاء الشيء على حاله في الزمان المتغير ، ويطلق في زماننا على الزمن  
الذي يجب على المستخدم قضاءه في الديوان ( المعجم الوسيط ) . والدائم هو  
الله تعالى . والديوم الدائم .

ومبدأ الدوام أو الاستمرار عند ( كانت ) أولى مماثلات التجربة ، وهو يسميه  
أيضاً مبدأ دوام الجوهر ( Principe de la permanence de la substance ) ،  
قال : ان جميع الظواهر تتضمن شيئاً دائماً ، وهو الجوهر أو الموضوع ،  
وشياً متغيراً ، وهو سلسلة الأحوال التي تتعاقب على الجوهر وتحدد  
كيفية وجوده .

## الديمومة

Durée في الفرنسية

Duration في الانكليزية

Durare وهما مشتقان من اللفظ اللاتيني

الديمومة هي الزمان فاذا أطلقت على الزمان المحدود سميت مدة ، واذا  
أطلقت على الزمان الطويل الأمد ، الممدود ، سميت دهرًا . لأن الدهر هو  
الأمد الدائم ، أو مدة العالم ، وهو باطن الزمان ، وبه يتحد الأزلي والأبد  
( تعريفات الجرجاني ) ، ومنه الدهري ، وهو الذي يقول : العالم موجود

أزلاً وأبدأ لا صانع له ، إن هي إلا حياتنا الدنيا ، غموت ونحيباً ، وما يهلكنا إلا الدهر .

ومن معاني الديمومة انها تطلق على جزء من الزمان المطلق ، فتكون حينئذ زمان فعل أو زماناً فاصلاً بين فعلين ، ويكون الزمان المطلق محيطاً بها إحاطة الكل بالجزء .

والديمومة في فلسفة ( هنري برغسون ) معنى خاص ، وهي الزمان النفسي ، أو الزمان الداخلي ، وتسمى حينئذ بالديمومة المحضة ، أو الديمومة الحقيقية ، أو الديمومة الشخصية ، وهي تدخل في مقولة الكيف ، لا في مقولة الكم ، والفرق بينها وبين الزمان أنها لا تقاس كما يقاس الزمان الرياضي أو الزمان الفيزيائي ، وان لحظاتها تتجدد بدون انقطاع ، وانها مستقلة عن المكان ، وان لحظاتها المتعاقبة تدخل بعضها في بعض حتى تؤلف كتلة واحدة ، فهي إذن زمان مشخص ، لا زمان مجرد بخلاف الزمان العلمي والرياضي المنقسم الى وحدات متساوية .

## الدولة

Etat في الفرنسية

State في الانكليزية

Status وهما مشتقان من اللفظ اللاتيني

الدولة في اللغة : الاستيلاء ، والغلبة ، والشيء المتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك . والدولة في الحرب بين الفئتين أن تلزم هذه مرة وهذه مرة ، ودالت الأيام دارت ، والله يداولها بين الناس . والدول انقلاب الدهر من حال الى حال ، ( راجع لفظ الحال ) .

والدولة في الاصطلاح جمع من الناس مستقرون في أرض معينة مستقلون وفق نظام خاص ، أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية معنوية تميزه من غيره من المجتمعات المماثلة له . فالدولة إذن هي الجسم السياسي والحقوق الذي ينظم حياة مجموع من الأفراد يؤلفون أمة . والفرق بين الدولة والأمة أن الدولة هي الأمة المنظمة ، على حين أن الأمة جماعة من الناس تجمعهم صفات واحدة ومصالح وأمان وأهداف مشتركة .

ويطلق لفظ الدولة أيضاً على مجموع المصالح والادارات العامة ، وهو بهذا المعنى مضاد للولاية والمديرية والمهالة وغيرها من الألفاظ الدالة على الإدارات الاقليمية والمحلية ، ويكون للدولة أملاك عامة بخلاف الأملاك الفردية ، وأملاك الدولة الخاصة <sup>(١)</sup> . (راجع لفظ الحكومة) .

### الدين

Religion في الفرنسية

Religion في الانكليزية

Religio في اللاتينية

الدين في اللغة العادة والحال والسيرة والسياسة والرأي والحكم والطاعة والجزاء ومنه : مالك يوم الدين ، وكلما تدين تدان .

ويطلق الدين عند فلاسفتنا القدماء على وضع إلهي يسوق ذوي العقول الى الخير . والفرق بين الدين والملة والمذهب ، أن الشريعة من حيث أنها مطاعة تسمى ديناً ، ومن حيث أنها جامعة تسمى ملة ، ومن حيث أنها

(١) ففي الدولة الأملاك العامة ( Domaine public ) ، وأملاك الدولة الخاصة ( Domaine privé de l'État ) ، وأملاك الأشخاص ( Propriété privée ) .  
( اللجنة )

يرجع اليها تسمى مذهباً . وقيل : الفرق بين الدين ، والملة ، والمذهب ، أن الدين منسوب الى الله تعالى . والملة منسوبة الى الرسول ، والمذهب منسوب الى المجتهد . وكثيراً ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض . ولهذا قيل انها متحدة بالذات ، ومتغايرة بالاعتبار . ويطلق لفظ الدين أيضاً على الشريعة ، وهي السنة ، أي ما شرعه الله لعباده من السنن والأحكام .

وللفظ الدين في الفلسفة الحديثة عدة معان :

١ — الدين جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله ، وعبادتها اياه ، وطاعتها لأوامره ومذاهبه .

٢ — والدين أيضاً هو الإيمان بالقيم المطلقة والعمل بها ، كالإيمان بالعلم ، أو الإيمان بالتقدم ، أو الإيمان بالجمال ، أو الإيمان بالإنسانية ، ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل المتعبّد الذي يجب خالقه ويعمل بما شرعه ، لا فضل لأحدهما على الآخر إلا بما يتصف به من تجرّد وحب وإخلاص وإنكار للذات .

٣ — والدين الطبيعي ( Religion naturelle ) اصطلاح أطلق في القرن الثامن عشر على الاعتقاد بوجود الله وخيريته ، وبروحانية النفس وخلودها ، وبالزامية فعل الخير من جهة ما هو ناشئ عن وحي الضمير ونور العقل . والفرق بين هذا الدين الطبيعي والدين الوضعي ( Religion positive ) : ان الأول قائم على وحي الضمير والعقل ، على حين أن الثاني قائم على وحي إلهي يقبله الإنسان من الأنبياء والرسل .

٤ — وإذا أطلق لفظ الدين على الملة دلّ على جماعة معينة من الناس هدفها تمجيد الله وعبادته كالدين المسيحي فهو ملة ذات نظام خاص ، لها قوانينها وتقاليدها وتعاليمها .



٥ — والدين أيضاً مؤسسة اجتماعية تضم أفراداً يتحلون بالصفات الآتية :

آ — قبولهم بعض الأحكام المشتركة وقيامهم ببعض الشعائر .

ب — إيمانهم بقيم مطلقة وحرصهم على تأكيد هذا الإيمان وحفظه .

ج — اعتقادهم أن الإنسان متصل بقوة روحية أعلى منه ، مفارقة

لهذا العالم أو سارية فيه ، كثيرة أو موحدة .

٦ — ومن معاني الدين عند الفيلسوف الاجتماعي ( دوركهايم ) أنه مؤسسة

اجتماعية قوامها التفريق بين المقدس وغير المقدس ، ولها جانبان أحدهما

روحي مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانية والآخر مادي مؤلف من

الطقوس والعادات .

جميل صليبا



الشاعر أبو طاهر

## محمد بن حيدر البغدادي

وكتاب « قانون البلاغة » المفسر إليه

« قانون البلاغة » كتاب عنوانه يدل على موضوعه ، يعزى تأليفه الى « أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي » من شعراء العصر العباسي الوسيط ، ويمتاز بجمال الأسلوب وبلاغة العبارة ، وبعظم الفائدة وحسن الإمتاع مع صغر جزمه .

وقد كان هذا الكتاب إلى نحو أربعين سنة خلت مجهول الرسم والاسم عند جمهرة الباحثين والدارسين للبلاغة العربية ، فكشف عنه « المجمع العلمي العربي » ، وأتاح للناس الاطلاع عليه والإفادة منه بنشره له في مجلته . وقد وجد نسخته الفذة النادرة نائمة في رفوف « دار الكتب » بدمشق ، وعلى ظهرها اسم مؤلفه : « نضر الدين أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي » ، فكنا غريبين عليه ، وأراد التعرف خبرها ، فنقب عن الكتاب في فهارس المكتبات الكبرى في الشرق والغرب عسى أن يظفر بنسخة ثانية تعزز النسخة الدمشقية ، فلم يقع فيها على ذكر له . ونقب عن المؤلف ، الذي عُزِيَ إليه الكتاب ، في كتب التراجم والتاريخ ، وأطال فيها تنقيهِ ، فلم يقع فيها على خبره كذلك .

وبعد هذا وذاك لجأ الى الاستنباء عنها من العاداء والأدباء ، وأعلن ذلك في مجلته مراراً ، فلم يحلّ من أحد بطائل . وعأوده الأمل في الظفر ببحر المؤلف إذا هو عاود التنقيب عنه كرة ثانية ، وبعد لآلئ أُتيح له العثور على هذا الخبر في كتاب تركي ، فرأى عجباً أن تهمل الكتب العربية أديباً وكتائباً بايعاً من أعلام العرب ، ويذكره كتاب تركي !

ولكن ترجمة أبي طاهر البندادي ، في هذا الكتاب التركي المسمى « قاموس الأعلام » ، كانت مختصرة جداً لا تبلّ غليل ظمآن ، فكلّ ما تضمنته اسمه ونسبته ووفاته وثلاثة أبيات من شعره . أما كتاب « قانون البلاغة » المنزوع اليه في نسخة دار الكتب الدمشقية ، فلم يذكر له في هذه الترجمة . وعند آخر مطافه هذا ، وقد قطع أمله في الظفر بالزبد من أخبار المؤلف كما قطع أمله في الحصول على نسخة ثانية من الكتاب ، بأدر فئسّر الكتاب مُنَجِّماً في أجزاء المجلد السابع من مجلة الزهراء هذه .

وها قد مضى على ذلك حبر من الدهر ، ولم أرَ من تَبَسَّ بحرف عن هذا الكتاب البليغ ، ولا عن مؤلفه ، وهو كما يبدو من قوة أسلوبه وبلاغة عبارته ، من أعلام الكتاب الذين جرت الفصحى على أسلّات أقلامهم أعذب ما تكون عذوبةً وسلاسة وحلاوة أستغفر الله ! فإن الشيطان لا سبيل له الى أن ينسيني أن أذكر ترجمة صديقي الأستاذ خير الدين الزركلي لهذا المؤلف في كتابه « الأعلام » ( الذي هو في اللغة العربية صنو « قاموس الأعلام » في اللغة التركية ، ولكنه يُبرّر عليه من وجوه ، غير أنه لم يخرج عن حدوده في إيجازه كما تقتضيه طبيعة كتابه الذي يترجم لآلاف من الأعلام في مختلف العصور ) ، فمأه ونسبه وعيّن سنة وفاته ، وحذف الأبيات الثلاثة التي ساقها « قاموس الأعلام » من شعر المترجم ، وعوض عنها الإشارة

إلى شعره في « فوات الوفيات » ، ثم ذكر ما أنشده من مجلة الجمع العلمي العربي من تلقيه بفخر الدين ومن عزرو « قانون البلاغة » ، وأضاف شهادته له بأنه شاعر رقيق وكاتب من بلغاء الكتاب . وعندني أن تلقيه والقطع بنسبة هذا الكتاب إليه ، أمران موقوفان على ما يعزرها من كتاب موثوق به . فالكتب التي ترجمت لأبي طاهر ، كما سأذكرها ، لم تورد لقبه هذا ، ويمكن التثبت منه بالرجوع إلى « تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب » لابن الفوطي ، في باب « نثر الدين » ، ولم ينشر بعد . ونسبه « قانون البلاغة » إليه ، استناداً إلى ما كتب على ظهر نسخة « دار الكتب » الدمشقية ، لا تقبل في مذاهب التحقيق العلمي إلا بما يصححها من روايات الثقات الأثبات ، ولو كان ذلك من طريق رواية صحيحة واحدة في أصعب الأحوال . وعلى إثبات هذا ، يتوقف إطلاق الشهادة له بأنه كاتب من بلغاء الكتاب .

هذا كل ما جدّد في أمر أبي طاهر البغدادي خلال أربعين سنة خلت ، وليس حقاً أن يهمل بحثه اكتفاءً بألفاظ معدودات فيه في « قاموس الأعلام » و « الأعلام » ، سواء أكان هو مؤلف « قانون البلاغة » أم كان مؤلفه غيره من الناس .

ومثل هذا الرجل ، وهو من أعيان شعراء زمانه ، ليس معقولاً أن تهمله المؤلفات العربية - إطلاقاً - كما خيّل لكتاب الجمع قديماً ، بسبب من بقاء هذه المؤلفات مخطوطةً مطمورة في زوايا المكتبات ، أو بسبب آخر غيره .. ومن هذا الظن في المؤلفات العربية تسسّ لي ، وقد أودعتُ ذاكرتي اسم الرجل منذ أصبته في مجلة الجمع ، أن أظفر بطائفة من كتب التاريخ والتراجم وهي تذكره وتورد بعض شعره ، وهو وإن كان دون ما أطمع فيه ، إلا أنه يلقي عليه شيئاً من الأخواء ، يوضح بعض سمات حياته ، ويزيدنا معرفةً به وبشعره .

هذه المؤلفات العربية التي تذكره ، هي :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبي المحاسن بن تغري بردي ( ٨١٣ — ٨٧٤ هـ ) ، وقد ذكرته في وفيات سنة ٥٦١ هـ بإيجاز شديد ، اقتصر على كنيته واسمه واسم أبيه وجده ، وتذييل هذا بيت واحد من شعره لا غير .

وفوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر الكتيبي ( ٠٠٠ — ٧٦٤ هـ ) . وقد أوجز كذلك ذكره ، فكناه وسمّاه وأباه ، وعين تاريخ وفاته سنة ٥١٧ هـ ، ولكنه أهمل نسبته إلى بغداد ، ثم أورد من شعره ستة عشر بيتاً .

والوافي بالوفيات ، لصالح الدين خليل بن أبيك الصفدي ( ٦٩٦ — ٧٦٤ هـ ) ، وقد ذكر كنيته واسمه واسم أبيه ونسبه إلى بغداد وتاريخ وفاته سنة « عشرة ؟ ومئة » ، وأورد من شعره سبعة عشر بيتاً .

وخريدة القصر وجريدة العصر ، للعقاد الكاتب القرشي الأصفهاني ( ٥١٩ — ٥٩٧ هـ ) ، وقد ذكرت كنيته ، وسأقت نسبه إلى جده الثاني ، ونسبته إلى بغداد ، وأشارت إلى بعض ملامحه الخلقية ، وذكرت محلّته بغداد ، وقصت بعض أحداث معاصره عنه ، وأوردت أمثلة من شعره تواردت في قليل منها مع فوات الوفيات والوافي بالوفيات ، وجاءت بأشياء أخرى جديدة لم يعرفها ، أو هما عرفها ولم يذكرها .

كذلك ترجمت له كتب أخرى لا تزال مخطوطة رهن رفوف المكتبات ، ومنها : تاريخ محب الدين ابن النجار البغدادي المشهور ( ٥٧٨ — ٦٤٣ هـ ) بدلالة ما نقله عنه من نماذج شعر الشاعر كل من فوات الوفيات والوافي بالوفيات .

ولعل صلاح الدين الصندي ، مؤلف الوافي بالوفيات ، لم يغفل في كتابه « الشعور بالعمور » الذي مازال مخطوطاً حبيس بعض المكتبات ، ذلك

بأن شاعرنا هذا كان مُتمتّعاً بعين واحدة على ما ذكرت « خريدة القصر » (١) ، وهو الوصف الوحيد من ملاحظه حلت لها الإشارة إليه !  
وما أحاول الاستقصاء لهذه المخطوطات ، لأنها غير ميسورة لي ، وأدعُ التنقيب فيها عن الشاعر لمن يمتلكونها ممن لهم في البحث هوى ورغبة ، راجياً أن يوفقوا لكشف جديد يذيعونه وينفعون به ، إضافةً إلى ما أقدمه في هذه الدراسة الجديدة للشاعر على قدر ما تهيأ لي من مواد ، جمعت فيها بين ما أورده مصادرها ، وما لزم من تحريرها وتعجيلها والإبانة عن دلالاتها على نخط حياة الشاعر ومزاجه وطبيعة شعره وفيه .



أمّا نسب الشاعر ، فأتمّ ما ذكر منه هو ما جاء في « خريدة القصر » : « أبو طاهر ، محمد ، بن حيدر ، بن عبد الله ، بن شعيبان ، البغدادي » . على أن جده « عبد الله » قد أُهمل في بعض النسخ ، وثبت في بعض آخر كما ثبت في « النجوم الزاهرة » . وأما جده الثاني « شعيبان » ، فقد حرف في بعض نسخ ، خريدة القصر إلى « شمعان » ، وفي أخرى إلى « شعيمان » ، وما أراها إلا « شعيبان » التي وردت في نسخة ثالثة أصح من هاتين النسختين . وهو في « النجوم الزاهرة » : « شعبان » ، ولكن تعدد صيغة في « خريدة القصر » بما يقرب من « شعيبان » يرجح عندي رواية التصغير هذه .

(١) قال الهادي الكاتب ( خريدة القصر ، قسم شعراء العراق : ٢ / ٢٢٠ ) : « يسكن سوق الثلاثاء . أعور » هكذا لفظه . والعرب ، وهم أهل بادية وجفاء عيش ، كان فيهم من يتنفعون بذكر العاهات ، فيقولون للأعور « الأحول » كما يقولون للأسود « أبو البيضاء » ، وللأعمى « البصير » و « أبو بصير » . وذكر أبو منصور الأزهري : أنه رأى في البادية امرأة عوراء ، يقال لها « حولا » . وعامة أهل العراق لهمنا هذا إذا ذكروا هذه العاهة ، يتعاشون هذا اللفظ الجاني ، ويتعوتون صاحبها بـ « كريم العين » ، وهو تعبير رشيق مذهب .

وكان أبو طاهر يعرف في بغداد بـ « ابن شعبان » على ما ذكرت « النجوم الزاهرة » ، أو بـ « ابن حيدر » على ما حكى العماد الكاتب في « خريدة القصر » عن صديقه عمر بن الواسطي الصفّار ، وكان في صفه قد عاد الشاعر في مرض موته ، فهام « ابن حيدر » معرّفاً بأبيه . وهذه التسمية أحقّ بالقبول من تسميته « ابن شعبان » ، لأنها رواية رجل من أهل الصقع الذي يسكنه الشاعر ، وأهل « مكة » أدري بشعابها ، وصاحب « النجوم الزاهرة » خطّته بعيدة عن خطّة العراق ، ولطالما رأينا وسمعا الشنيع من تحريف الأسماء وحكاية غير الصحيح في زماننا هذا مع شدة الالتحام والتقارب بالعلاقات والمودّات وتعدد وسائل النشر الحديثة وكثرتها ، فكيف يكون الأمر إذا رجعنا به إلى القرن السادس الهجري الذي لم يملك شيئاً من هذا ذا غناء ؟

وقد عاش الشاعر ببغداد في القرن الخامس الهجري وبعض القرن السادس ، ويظهر أنه من صميم أهل بغداد ، فنُسب إليها ، وليس بالطاريء عليها . وكان يسكن محلة بها تسمى « سوق الثلاثاء » ، وموضعها في خطط بغداد كانت تقام عليه سوق لأهل كلواذى وأهل بغداد ، قبل أن يتمصر « أبو جعفر المنصور العباسي » ببغداد ( ١٤٦ هـ - ١٤٨ هـ ) ، في كل شهر مرة يوم الثلاثاء . فنُسب إلى اليوم الذي كانت تقام فيه السوق ، وقد أدركها ياقوت الحموي في القرن السابع الهجري وهي سوق بزّ بغداد الأعظم . ولا وجود لها لهدنا .

ولا يدري كم عاش من العمر ، إذ كان تاريخ مولده مجهولاً ، وإنما استدلت على عصره بتاريخ وفاته ومَن عاصر من عظماء زمانه ، وقعت وفاته في زمن « المسترشد بالله العباسي » ، ونصّ الوافي بالوفيات - في نسخته المطبوعة - على أنها « سنة عشرة (كذا) وخمس مئة » ، وهو خطأ سيأتي

توضيحه ، والصحيح أنها سنة سبع عشرة وخمس مائة كما جاء في « فوات الوفيات » . ومن أين الخطأ ذكر ابن تغري بردي له في « النجوم الزاهرة » في وفيات سنة إحدى وستين وخمس مئة ، ولو صح هذا - ولم يصح بالطبع - لعدنا أبا طاهر من رجال القرن السادس الهجري ، وأحسب أن مؤلف « النجوم الزاهرة » قد سبق هذا الوهم إلى وهمه مما حدث به الهاد الكاتب في « خريدة القصر » عن صديقه « عمر بن الواسطي » ، وقد ذكر له بغداد - سنة إحدى وستين [ وخمس مئة ] - أنه دخل على « ابن حيدر » الشاعر ، في أيام المسترشد ، وهو - أي « عمر بن الواسطي » - صغير ، وعنده جماعة يعودونه في مرضه الذي مات فيه ، وهو يبأس ، فحفظ بعد ذلك ما أُنشده من بعض الحاضرين فسبى إلى وهمه ( أي ابن تغري بردي ) من هذا النص ، على افتراض اطلاعه عليه وهو ما أرجح ، أن وفاة الشاعر كانت في سنة إحدى وستين وخمس مئة ، وغفل عن ذكر المتحدث أيام « المسترشد » ، أي خلافته ، وهي كما يحدثنا التاريخ تبدأ باليوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ ( ٧ آب ١١١٨ م ) ، وتنتهي باغتيال الباطنيين له في خيمته وهو في أسر « مسعود السلجوقي » على أبواب « مراغة » في اليوم السابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩ ( ٣٠ آب ١١٣٥ م ) . فلا يصح ، والحالة هذه ، أن تكون وفاة الشاعر قد وقعت في سنة ٥٦١ هـ .

هذا ، ورواية « عمر بن الواسطي » في تعيين زمان وفاة أبي طاهر إطلاقاً من غير تحديد لسننها ، تلتحم برواية « فوات الوفيات » التي جعلتها سنة سبع عشرة وخمس مئة ، وبها استدلت على خطأ ما جاء في « الوافي بالوفيات » من أنها سنة عشر وخمس مئة ، إن لم يكن ناسخ الكتاب أو ناشره قد



أسقط من البَيِّن لفظ «سبع» أو قريب منه من الأعداد التي تتركب مع «عشرة». ويرجح هذا عندي، أي سقوط لفظ «سبع»، ورود «عشرة» مؤنثةً بعد كلمة «سنة»، مثل هذا الخطأ النحوي الذي لا يقع فيه الشُّدَّة الناهيون، لا يمكن أن يقع فيه مؤلف «الوافي بالوفيات» الأديب اللقن الواسع الأدب والمعرفة، فلا جرم أن كلمة «سبع» قد سقطت سهواً، وبقيت «عشرة» المؤنثة دالةً عليها، تبرئةً للصفدي من الجهل بمبادئ النحو.

ووفاة أبي طاهر في هذه السنة، مع وصف ابن تغري بردي له بـ «الشيخ»، إشعاراً بعلو سنه، قد يُبيحان لنا أن نقدر أن مولده كان في أواخر عصر «بني بُويّه» ببغداد، وقد انتهى بدخول السلطان «طغرل بك السلجوقي» ببغداد في ٢٥ المحرم من سنة ٤٤٧ هـ وقبضه على آخر ملوكهم المسمى «الملك الرحيم»، أو نحو كان في أوائل العصر السلجوقي ببغداد.

وفيا بين مولده ووفاته من هذا العصر، كانت الخلافة العباسية إلى أربعة خلفاء: القائم، والمقتدي، والمستظهر، والمسترشد، والسلطنة إلى ثمانية من السلجوقيين: طغرل بك، وألب أرسلان، وملكشاه، ومحمود ابن ملكشاه، وبركيارق وملكشاه الثاني، ومحمد بن ملكشاه، وسنجر. ففتح عينيه أول ما فتحها على عهد انتقال، يختلف في جماع طبائعه عن العهد السالف وبيانه كل البايئة في اتجاهاته ومناحيه، ولا سيما في بدايته حين كان يواجه رواسيه في أشد حالاتها في حياة الدولة والناس، وأهمها ما كان من سقوط هيئة الخلافة بعدوان البويهيين على الخلفاء إهانةً وقتلاً، واستعمل العصبية المذهبية الذي أدى إلى نشوب الفتن وإراقة الدماء ونشر الخراب والدمار، وإلى زوال الأمن جملة وانتشار الذعر والصوص وقطاع

الطرق والسابلة ، من سوء السياسة والإدارة والاستبداد ، وإلى الحجر على الحريات ، واضطرار أعيان العلماء والناححين إلى الهجرة فراراً من البطش والتشكيل ، وازواء آخرين في عقر دورهم تستراً من أعين الظلم ، حتى انقطع التناسخ أو كاد ، وعم الفساد ، وكثرت 'بؤر الإثم والموبقات' ، إلى أشياء من نحو هذا وضعت ميسمها الفاضح على هذا العصر الأسود القاتم .

فشاهد طليعة العصر الجديد ومنصب الخلافة يسترد في الجملة بعض رونقه وسلطانه في بغداد والعراق ، والأمن والاستقرار وحرية الرأي وحرية التجارات والمعاملات والاجتماعات تعود إلى الناس ويعيشون بها وادعين مطمئنين ، والعلماء والناححون يرجعون إلى مواطنهم ويعارسون نشر العلم ويؤدون واجب النصيحة وجمع الكلمة ، هذا إلى ماجد من عناية الدولة البالغة بالعلم وأهله ، بفضل ما رزقت من كفايات بعض الوزراء الكبار كنظام الملك الوزير العظيم ، مؤسس أول مدرسة جامعة ببغداد إلى جانب أمثالها في البصرة والموصل وبلخ ونيسابور وهرات وأصفهان ومرو وآمل وطبرستان ؛ وذلك لتثيت دعائم العلم والإسلام ، ومكافحة إلحاد الباطنيين والردة الشعبية العنيفة التي عصفت بوجه الدولة ، وبعث الحياة الصالحة وشد أزرها بقدر ما كان يسمع جهد القوم وتفكيرهم .

وما إخال أبا طاهر ، وقد نشأ في مضطرب هذه البيئة البغدادية وعاش أحوالها وما اختلط من رواسب قديمها بنواشئ جديدها ، إلا كان آخذاً من حالاتها بنصيب على قدر ما تهيأ له من اقتراب أو ابتعاد ، شأن كل ناشئ ذكي يُعنى بتقوية نفسه ، ولا يجد بداً من ممارسة المجتمع ، ثم يجري في حياته على عرق مما توجه إليه تنشئته وتربيته وعقيدته الموروثة وتجاربه المكتسبة ، أو على ما يقصره عليه مجتمعه فينزله على حكمه في قليل أو كثير مما يريده عليه ، أكان هواه معه أم كان عليه . ويبدو أن أبا طاهر

كان ضعيف الصلة بحكام بغداد ، أو منقطعها ، لأمر ما نجبه ، فلم يجد منهم رعاية ولا عناية . وآية ذلك فيما يبدو من اتجاهه بشعره إلى أمراء « الحلة » الزيديين ، وفي بعض مدائحه لبعضهم وهو سيف الدولة صدقة ابن منصور باني مدينة « الحلة » بسواد العراق المتوفى سنة ٥٠١ هـ ( وقيل : ٥٠٤ هـ ) ، وبه كانت معظم علاقته . . نجده يقول :

هواء «بغداد» أشهى لي ، و «دجلتها»  
لؤلؤ يمكن فيك من «دودان» بحر ندى  
إنعامه في بني الآمال مبدول (٢)  
تاج ولكن على العلياء منعقد  
سيف ولكن على الأعداء مسلول

فعلم منه أنه كان «محتلاً» عن موارد بغداد ، يرى الخير فيها سكباً ولكن يتجاوزها ، وأن اتجاهه بشعره إلى هؤلاء كان اضطراراً لا اختياراً ، ثم إنه مع هذا كان لا يجد عندهم طيلابه دائماً ، فرجاً كانوا يمنعون ، ورجاً كانوا يؤخرون صلاتهم عنه ، فيتذمر ويشكو ، ويهم بقطيعهم ، ويمهد لذلك بلومهم ، ولكنه لا يلبث أن يرتد عن عزمه مخافة أن يفقد عطفهم ، ولا يضمن أن يجد لنفسه بديلاً عنهم ببغداد ووطنه . . بغداد التي لا أشهى له من هوائها ، ولا أمراً لغلة قلبه من مائها ، ولكنها مع ذلك لا تنيل منها مثلاً .

(١) أمراً : امرأ ، وقد سهل الهمزة للوزن . يقال : سراً الطعام ، سرّامة : ساع ، فهو سريري . و سرؤ : صار سريراً . الغلة : العطش الشديد وحرارته .  
والزليل : نهر يخترق بلدة الزليل في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد ، وفيه قال الشيخ صالح التميمي من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري :  
«نيل» ولا «مصر» لكن في جوانبه  
نضارة لم تكن في «مصر» و «النيل»

(٢) دودان : هو دودان بن أسد بن خزيمه ، أبو قبيلة من أسد .

بدل\* على هذا قوله :

مالي إذا أنا 'مُتْ' أسرة «مَرْيَد» والغُرَّ من سَرَواتهم ، لم أعذر ؟  
 أم ما قلبي كلَّما كلفتَه صبراً على فعلاتهم ، لم يصبر ؟  
 وإذا هممت ببسط عذرهم\* على مني ، وهم سحب الندى ، لم أقدر ؟

ونجد عنده ، بعدَ هذا ، ملامح من حياة اللهو والعبث والاستهتار بالخرم والنساء وارتياح الراقصات والعابثات ، ينفق في ذلك عمره والمال الذي يقع إليه ثواباً على مداخله .

ولعل هذا النمط من معاشه قد رسمته له تربيته الأولى ، أو دفعه إليه تنكُّر الحكام له . وهذا الخط الأوكس الذي رافقه والحرمان الذي مُنيب به ، قد أشعرا قلبه اليأس ، وكوننا في نفسه عقدة النقرة من الناس والازدراء للمجتمع ، فانصرف إلى هذه الحياة العابثة لينسى همومه وأحزانه .

وللشاعر في هذه السيرة نظراء من أصحاب المواهب الذين 'جهلت' أقدارهم ، وخسَّت حظوظهم من الإقبال ، وعاشوا وكل اعتمادهم على هذا الخيال الاتكالي الذي حسبوه معينهم في دنياهم ، فلما صدموا بالواقع ولم يعدوا غيره للكفاح من 'عدَّة' ، هربوا إلى أنفسهم فانطوا عليها انطواءً يظهر من هذا الصدود عن المجتمع إلى العكوف على ملذات النفس والانغماس في الآثام إلى القِيمة ، في غير تحرُّج ولا تفكير في الأحوال الجادَّة ، ولا سيما آثام الخمر والنساء العابثات ، وللشاعر منها نصيب موفور على ما ستأتي أمثلته في شعره .

ذلك بعض سمات علاقة أبي طاهر المادية بالمجتمع الذي عاش في مضطربه .

أما علاقاته الأدبية ، فقد أشار العماد الكاتب في « خريدة القصر » إلى بعضها ، وبقي أكثرها خافياً علينا . تلك هي علاقته بالشاعر المقلِّق « عبد الرحيم ابن الأخوة الشيباني البغدادي <sup>(١)</sup> » من شيوخ العماد الكاتب هذا ، ويبدو أنها كانت علاقة ودية محكمة الأواصر شديدة الوثوق ، فقد حدث عنه بأصفهان أن أبا طاهر قد قرأ عليه معظم أشعاره ، وأنه استحسّن من هذه الأشعار ما استحسّن ، فرواه إعجاباً به واستظرافاً له ، ثم حمّله عنه تلاميذه ، ودوّنه بعضهم في المصنفات . ومثل هذه العناية الظاهرة إنما تدل على تعاطف عظيم بين الشعارين ، وتآلفٍ روحي أصيل بين مزاجيهما ، قلّما يكون شبيهه بين الأنداد والنظراء في جملة أرباب الفنون والصناعات والحِرَف ، على ما هو مشاهد في كل زمان ومكان ، لما ينشأ بينهم من تنافس في العادة يجرّ إلى التحاسد والتباغض ويختسر بعض أشياء بعض آخر ، مما علا كعبه وتلألأت موهبته ، ولا سيما حينما يكون هذا مرزوقاً محدوداً وذاك محروماً محدوداً ، وما نجا من هذا الداء الويل في الأمم ، داء التحاسد والتباغض ، إلاّ من نبّلت نفسه وشرف خريمه وكان عقله كبيراً . ولئن انقطعت عنا أخبار أبي طاهر ، إلا هذه الصبابة منها ، فعزّ بباب هذا تفصيل القول في حياته وفي أدبه وفنه ومزاجه ، إنّ في الصبابة التي انتهت إلينا من شعره ما يصف بعض لمحات من هذه الجوانب .



(١) بيت « ابن الأخوة » من البيوتات البغدادية المتميزة بالفضل والأدب إنّ القرن السادس الهجري ، ومن أعبائه عبد الرحيم هذا ، وكان شاعراً مقلّناً . توفي في شبّاز ليلة الاثنين ثالث عشر شعبان سنة ٥٤٨ هـ . وقد ترجم له العماد الكاتب القرشي الأصفهاني في خريدة القصر ، وتحدّث عنه في مقدمتي لقسم شعراء العراق (ص ٢٢) ، وعن بيته في ١٨٦/٢ . م (٤)

والقدماء الذين اتصل بهم أدب أبي طاهر قد اعترفوا بعلو كعبه في الشعر ، فشهد العماد الكاتب ببلوغه وجودته وحسنه ورقته ، واستحسن ابن الأخوة ما استحسن من شعره فرواه في مجالسه ونقله عنه تلاميذه وأتباعه في كتبهم ، واهتزَّ صلاح الدين الصفدي لجيده ورآه الغاية في الملاحاة ، وهؤلاء كلهم شعراء مجيدون ومن نقدة الكلام لا غبار على أذواقهم . والحاسة الفنية والذوق الحديث ، لا يتكبران لهذه الشهادات ، إذ يجدان في هذا الشعر صوراً بارعة وأخيلة جميلة ومعاني جديدة أو أشبه بها . . في غلائل من النسيج العباسي الحضري الأنيق ، مع القوة وإحكام الصنعة والانسجام وتوفير الرواء ، وإلى جانب هذا كله يحسنان فيه الطبع والتجربة يتخللان أغراضه المختلفة ويمجريان به إلى النفس ، فنلذة وتطرب له وتقبل عليه وتستشرف إلى المزيد منه . وهذا هو مبلغ الجمال المطلوب في الشعر والبلاغة والآثار الأدبية .

ولننظر إلى هذه الأبيات ، والظاهر أنها في سيف الدولة المزيدي :

|                                  |                                    |
|----------------------------------|------------------------------------|
| فتى من نداء الفجر يسترسل الحيا   | ومن وجهه الميمون يطالع البدر       |
| وما سلب سيف العزم ، إلا تجعدت    | سيباط القنا، واحمرَّت الأنصل الحمر |
| هو البحر : يحلو في فم الخلق طعمه | ويصفو ، وماء البحر ذو كدر مر       |

فإننا نجد صورة لمدوحه جامعة لأحسن فضائله من ساحة الوجه ، وشدة العزم ، وكرم اليد ، مفرغة في قالب جزل غفم ، بريء من الحشو والفضول . ولو أردت أن تقيم لفظة مقام لفظة من هذا الشعر ، أو تحذفها على أنها زائدة اقتضاها الوزن أو القافية ، لما استطعت ذلك . ولكن هذا الشعر في جملة من حيث الفكرة شائع المعنى مكرور ، إلا ما قد يبدو من هذه الموازنة في البيت الثالث عتدها الشاعر بين مدوحه والبحر ، فشبهه به في اتساع حوده ، ولكنه فضله عليه بأنه حلو في الأفواه صاف ،

وليس كذلك البحر ، فانه كدر مر . فلعل هذا المعنى هو الشيء الجديد فيه ،  
أضافه الشاعر إلى ما يعرف من هذا التشبيه الشائع عند القدماء .  
ونقرأ له هذا الغزل ، فنرى فيه نظراته إلى الجمال الأنثوي ، ويتمثل  
عنده في صباحة الوجوه ، ورشاقة القدود ، ورجرجة الأرداف ، وهيمف  
الخصور ، وترف البطون ، وهو يصوغه صياغة أنيقة دقيقة ، ويؤديه أداءً  
مشبعاً إيقاعاً ورنيناً :

خذي علي « قَطَنٌ » (١) عينا      فعي أريك به القَطِينَا  
حتى إذا طلعت به الـ      أقمار ، رنحت الغصونا  
يخلفن ميعاد الوقا      لنا ، ويمطئن الديونا  
من كل ذات روادف      كالرمل ررجرةً ولينا  
منطلقن بالشحف الخصور      ر ، وصن بالترف البطونا  
وأقمن من تلك العيو      ن على خواطرنا عيونا  
ويصف لنا فيه بعد ذلك علاقته بهذا الجمال ، وحنانته به ، وهو واجسه  
وأحلامه في الحب ، وعتبه على الحبيب أن تسمتج للعواذل به ، وأن أساء  
ظنونه فيه بعد أن أحسنها هو في هواد حتى فتح بذلك باباً للإشاة ينفذون  
منه إلى حبها فيفسدونه :

يا بانه « العَلَمَيْنِ » من « قَرَن » (٢) ، كفي بك لي قرينا  
أمنت داعية الصبَا      به لي وقولك لي عينا  
وعلي أيمان مُعَلَّة ... ظلة ، أجلك أن تمينا  
أن لا أعدد سوى معر ... ن الدمع بعدك لي مُعينا



(١) جبل ابني كعبس ، كثير النخل والياه ، وتبين موضعه في معجم البلدان ١٢٦/٧ .  
(٢) قرن : ميقات أهل نجد ، وقرن : جبل معروف كان به يوم من أيام العرب .

يَا مَنْ تَسْمَحَ لَعَاوَا ذَلِي بِي ، وَكُنْتَ بِهِ ضَائِئِيَا  
أَحْسَنْتُ ظَنِّي فِي هَوَا لِي ، فَلِمَ أُسَاتَ بِي الظُّنُونَا  
قَدْ كَانَ مَا قَدْ كُنْتُ خِفْتُ ... تَ مِنْ التَّجَنُّبِ أَنْ يَكُونَا  
وَرَأَيْتُ مِنْكَ قَبِيحَ مَا ظَنُّ الْوُشَاةِ بِنَا يَقِينَا  
حَتَّى كَأَنَّكَ كُنْتَ لَا ... عَجْرَانِ لِلْوَأَشِيِّ ضَمِينَا  
وَلَقَدْ دَعَوْتُكَ قَبْلَ غَدِ رِي بِي عَلَى قَلْبِي أُمِينَا  
جَرَدْتُ مِنْ حَدَقِ الْقَبِيَا نِي ظُبًّا ، ذَعَرْتُ بِهِ الْقَبِيُونَا  
حَدَقًا جَعَلْتُ فَتُورَ أَعْي ... يُنْهِهَا لِأَنْفُسِنَا فُتُونَا  
وَجَعَلْتُ مِنْ تِلْكَ الْجَفْوَا نِي عَلَى قَوَاضِيهَا جَفُونَا

ويخلص إلى مدح سيف الدولة صدقة بن منصور فيقول :

أَو لَمْ تَحْفَ سَيْفًا تَحْوُوْ نَ حَدَّهِ الزَّمَنَ الْحَوُونَا ؟  
سَيْفٌ تَقْدُهُ صَدُورُهُ قَسَمَ الْفَوَارِسِ وَالْمَتُونَا

وهذا المقدر من القصيدة هو اختيار صاحبه الشاعر « عبد الرحيم بن الأخوة البغدادي الشيباني » كما أثره عنه الهادي الكاتب . وقد اختار منها محب الدين بن النجَّار البغدادي في تاريخه مقطعاً آخر غيره فيه طلاوة ورقة ، وللناس فيما يختارون مذاهب وأذواق ، وهما كما أثره عنه ابن شاذان الكتي في فوات الوفيات :

يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْبُكََا كَفَاً يَزِيدُ بِهِ جُنُونَا  
الْآنَ قَدْ كَانَ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ أَنْ يَكُونَا  
وَتَهَرَّقُ الشَّمْلُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَعْمَدُهُ مَصُونَا  
مَنْ تَعَلَّمَتِ الْحَنَا مِ الْوُحْ ، وَالْإِيلُ الْحَنِينَا  
وَالسَّحْبُ مِنْ عَيْنِي تَعَلَّمَ ... مِ كَيْفَ تَحْتَلِبُ الشُّؤُونَا



ورأيت منك قيسح ما ظن الوشاة بنا يقينا  
طوائف أنفاسي ، فلم قصرت عن وسني الجفونا ؟  
ولدونة القدود ورشاقها ، وخفة الأجسام وحركاتها ، من أخص مميزات  
هذا الجمال الأثوي عند شاعرنا ، ومن أجل ما يستصيه من صفات الحسن .  
أنظر اليه كيف يقول متغزلاً بفاتنة هيفاء ، وواصفاً قواما الرشيق ،  
وقد خطرت أمامه فهاج تمايلها بلابل أشواقه ، وتخليلها بانه تمايل مع النسيم  
وتسجع فيها ورق الحمام :

خطرت ، فكاد الورق يسجع فوقها إن الحمام لم يفرم بالبان  
من معشر نشروا على هام الرها للطارقين ذوائب النيران  
وكيف فتته خفة الجسم ورشاقة الحركات في هذه الرقاصة التي تكاد  
تحت ثيابها تنسبك ، والتي كأن الأرض تحتها كرة تحملها وهي فوقها فلك :  
رقاصتي هذه ، لحفتها ، تكاد تحت الثياب تنسبك  
خفيفة الجسم ، مالم كفل بثقلها ثحمه ، ولا ورك  
كأنما الأرض تحتها كرة تحملها ، وهي فوقها فلك !  
وهذا البيت الثالث ، من محاسن الوصف ، يدلّك على عمق تصورات  
الشاعر وتهذيبه إلى المعاني الجديدة .

على أنه ربما استصيته الوليدة الصفراء من مولدات الإماء ، لعمان فيها  
تجذبها إليها . وهو ، إذ يلام على صباقة بها ، يحتج بحبه بإيثاره منظر  
صفرة الراح على منظر بياض الماء :

أنت يالائي على شغف الن ... س بح الوليدة الصفراء  
لا تلمني على صباقة قلب ملكته مولدات الإماء  
أعيا في البيون أحسن لوناً : صفرة الراح ، أم بياض الماء ؟

وشاعرنا ليس بدعاً في مثل هذا الحب والاحتجاج له ، فالتعلق بالمولدات الصفر ، وبالزنجيات أيضاً ، أمر معروف شائع ، ولا سيما في قديم الزمن . وهو ضرب من الشهوات . « والشهوات - كما قال الجاحظ - عادات ، وأكثرها تقليد . وكان أهل البصرة أشبه النساء عندهم الهنديات وبنات الهنديات والأغوار ، واليمن أشبه النساء عندهم الحبشيات ، وبنات الحبشيات ، وأهل الشام أشبه النساء عندهم الروميات وبنات الروميات » . وقد تزوج الشاعر « أعشى سليم » من « دفانير بنت كعبوبة » وهي زنجية ، وكان « الفرزدق » من أعلم الناس بالنساء ، وكان قد جرب الأجناس كلها ، على حد تعبير « الجاحظ » ، فاستقرّ بأخيرة على « أم مكية الزنجية » ، فأقام عليها ، وترك النساء ، للذي وجد عندها . وشاع حبّ الناس ، ولا سيما الكبار من خلفاء ووزراء ، للمولدات الصفر من مولدات البصرة والمدينة واليامة ، شيوعاً عجيباً في العصر العباسي الأول خاصة ، وكان منهن أبرع القيان ، ومعظمهن موصوفات بالجمال والشكل والظرف وطيب الصوت والأدب ، من أمثال : سلامة القاسم ، وحبيابة ، وشارية ، ومتيّم ، وذات الخمال ، ودفانير ، وشاجي ، ودقاق ، وقلم ، وبصْبَص ، وسلامة الزرقاء ، وعنان ، وبذل ، ومحبوبة ، وغيرهن . . . أفلا يمكن أن تكون معشوقة شاعرنا الصفراء واحدة من هذا الضرب ؟

ومن يدري ؟ فلعلّ أحد الثفن بشرة ، فذهب في هذا مذهب المغيرة ، ليظهر اقتداره على تحسين القبيح ، أو ليخالف الجمع عليه والمألوف استحسانه في الأدواق . وهو مذهب أدبي ، لأدباء العربية من كتاب وشعراء يد بسطة فيه ، ولا سيما في الزمن القديم . وقد يكون « الجاحظ » أباً عذرتة ، وفتاح باب القول فيه لكل من ولجّه من الكتاب من بعده ، حين فضل السواد على البياض ، وافقن أعظم افتنان في الاحتجاج لذلك في « كتاب

غفر السودان على البيضاء ، وهو يعلم حق العلم أن العرب إنما تمدح بالبياض وتهجو بالسواد ، وربما مدحوا بالسواد ، ولكن أصل ما يبتون عليه أمرهم كذمه ، كما يقول هو نفسه ،

أما الشعر ، فيقال إن السابق إلى هذا المذهب فيه أبو حفص الشطرنجي ، ثم جاء تبعاً له ، فخاراه فيه معاصره علي بن العباس بن الأحنف ، وقال في مثله : ابن الجهم ، وابن الرومي ، والرضي ، وابن مسلمة ، وابن رباح ، وابن رشيق ، وغيرهم ، ولكن حيازة قصب السبق في براعة الاحتجاج والافتتان فيه كانت لابن الروي في الشعراء ، كما كانت للجاحظ في الكتاب .  
أو لعله ذهب مذهب « ابن المعتز » ، الذي أدركته الرحمة على القبح فعطف عليه وهويته كما هوي الحسن ، كما قال :

قلبي وثاب إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباه  
يهم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

وإن من الناس من يطبق على الجمال والقبح « نظرية النسبية » ، ويقول : ما كان الجمل ليكون جميلاً لولا القبح . وكان « فيكتور هوغو » شاعر فرنسة يرى أن الجمال هو القبح . وعلى هذا المحور أدار قصته المشهورة « فوتردام دوباري » . ومن قبله نظر « أبو الطيب المتنبي » شاعر العرب إلى جمال الأرواح قبل الأجسام ، وأرسل في ذلك هذا البيت :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق

ومها يكن من دوافع شعر شاعرنا هذا في هذه المولدة الصفراء ، فإننا نجد قد تعلق بالجمال الأنثوي تعلقاً شديداً فأبتغ النساء طرفه وقلبه ، وفنته منهن رشاقة القوام ، وخفة الأجسام ، وبراعة الحركات ؛ وتعشق الأمة الصفراء من مولدات الإمام ، كما تعشق العقيلة الحسناء من كرام الناس :

وإلى جانب استهتاره بالنساء هذا ، نجده قد استهزئ بالراح ، وشغف بشربها ، وشغل بوصفها لجوده وبرع فيه ، وقال مثل قوله :

ومدامة ، كدم الذبيح ، سخا بها للشرب من لهواته الابريق  
رقت ، فراقها السرور ، ولم تزل لظنف السرور ترق حين تروق  
حتى إذا ضحك الزجاج ، لقربها منه ، بكى لفراقها الراووق  
وقوله :

مرحبا بالتي بها قُتِلَ الهـ ... م ، وعاشت مكارم الأخلاق  
وهي في رقعة الصبابة والشو ق ، وفي قسوة النوى والفراق  
لست أدري : أمن حدود الغواني سلبوها ، أم أدمع العشاق ؟

وهذه الأبيات كانت تدور على ألسنة الناس ، استحساناً لها وإعجاباً بها ، وقد أثرها مترجموه ، ولكن العماد الكاتب حين أوردها في « خريدة القصر » عمن أنشده إياها ببغداد كأنه شك (١) أن تكون له ، ولست أرى موضعاً لشكه ، فهي ليست خيراً من الأبيات التي سبقتها ، وهي من رواية العماد الكاتب نفسه ، ولا هي بالتي يباين أسلوبها عامة شعره .

وأرى الشاعر في البيت الأول ينظر إلى قول « أبي الغليب المتنبّي » ، وكان « بدر بن عثّار » قد حمله مرة على شرب الخمر وكان طبعه يعافها ، فاستهجن أثرها في نفسه ، ثم عرض عليه الصعبة للشرب في غدا فامتنع وقال مرتجلاً يصف ما وجدته في نفسه ، من شربها في أمسه :

وجدت المدامة غلابة تبيح للقلب أشواقه  
تني من المرء آدابه ولكن تحسن أخلاقه

(١) قال ( خريدة القصر ، قدم شعراء العراق : ٢٢٦/٢ ) : « وأنشدني ببغداد من لابه اليه في الخمر » .

وأَنْفَسَ مَا لِلْفَتَى إِلَهٌ وَذُو اللَّثْبِ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ  
وَقَدْ مَثَّ أَمْسُ بِهَا مَوْتَةً وَلَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ مِنْ ذَاقِهِ  
بل «المنني» ينظر في هذا إلى قول الآخر كما في «شرح التبيان» ،  
ولم يصرح باسمه :

رَأَيْتُ أَقْلَ النَّاسِ عَقْلاً إِذَا انْتَشَى أَقْلَهُمْ عَقْلاً إِذَا كَانَ صَاحِبِهَا  
يَزِيدُ حَسَا الْكَأْسِ السَّفِيَةَ سَفَاهَةً وَيَتْرَكَ أَخْلَاقَ الْكَرِيمِ كَمَا هِيَ  
وقال شرح شعر «المنني» في تفسير بيته الثاني ، الذي ينظر إليه أو  
إلى هذا بيت «أبي طاهر» : مراده منه أن الخمر تسيء التأديب بالحركات  
المفرطة وقول الفحش ، وتحسن الخلق أي تحمله على البذل والسماح .

وأما قول أبي طاهر : «أمن حدود النواني سلبوها» ، فهو رواية  
«خريدة القصر» .. اتحدت فيها ثلاث نسخ منها مختلفة الخطوط . وورد  
في «الوافي بالوفيات» : «سفكوها» في موضع «سلبوها» ، وفي «فوات  
الوفيات» : «سبكوها» ، وفي «قاموس الأعلام» : «عصروها» . والسلب  
ها هنا أدخل في الذوق ، وألطف من العصر وإيذائه وإدمائه .

وأصل هذا المعنى ، أعني عصر الخمر من حدود الملاح ، لعل أول  
من سبق إليه وتورط في معصرته هو أبو تمام عفا الله عنه في بعض ما قال  
في صفة الخمر والشادن الذي يحمّتها له :

وَقَبُوهُ كَوَكَبَهَا يَزْهَرُ يَسْطَعُ مِنْهَا الْمَسْكُ وَالْعَنْبَرُ

وَرْدِيَّةٌ . يَحْمِئُهَا شَادَنٌ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تَعَصُرُ

وتابعه عليه من تابعه من الشعراء .. حتى زيقن «لحافظ إبراهيم» ،  
وقد جاء بعد أحد عشر قرناً من عصره ، أن يكرره أخذاً واستلاباً ،  
ولكن دون أن يظن في احتراز «أبي تمام» باخراجه معناه على سبيل  
التخيل والتشبيه ، فيقول (أي حافظ إبراهيم) :

خمرة ، قيل : إنهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس  
ولكن شتان بين قوله أبي تمام : « كأنها ... » التي تلقى ثوب الرقة  
على يته ، وتخفف من تصور قسوة هذا العصر لأخذ الورد الناعم البري ،  
و « قيل » حافظ ، وصوغه معناه مجرداً ومرسلاً على أن هذا « العصر »  
حقيقة كائنة : « قيل : إنهم عصروها » ، وإن اجتلب « يوم العرس » للقافية ،  
أو اجتلبته له القافية . وقسمًا إن هذه اللفظة الرقيقة الرشيفة ؛ لم ترد هذه  
الصورة الكريمة إلا شناعة وقبحاً ، إذ الأعراس لا يناسبها إلا نعومة المناظر  
والظاهر ، ولا يتصور أن يكون فيها إلا بشاشات الأفراح والمباهج وكل  
ما يحلّتها من أردية الراح والسرور ، وأين منها الهجوم على الملاح ، لتعصر  
من خدودها هذه الراح ؟ !

ومها يكن من شيء ، فإن « سلبوها » في بيت « أبي طاهر » ، أدخل  
في الذوق « من عصروها » ، وأشبهه بالبيت ومساقه في هذا النبي : « است  
أدري » ، وفي هذا التجاهل والتردد في الاستفهام : « أمن خدود الغواني  
سلبوها أم أدمع العشاق ؟ » ، وإذ كانت « أدمع العشاق » وهي تنهمر من نفسها  
لا يجانسها هذا « العصر » ، فأحرى بالشاعر أن يتجه وعيه إلى لفظ « السلب » .  
أما « أدمع العشاق » ، فقد كانت مما لهج به الشعراء العراقيون في  
العصور العباسية في نعت الخمر ، ويحضرني من ذلك بيت القائل أبي عبد الله  
محمد بن خليفة السبتي :

وكان أفواه الزجاج وقد بدا منها المدام ، مدامع العشاق

ومن جميل شعر أبي طاهر ، هذا الوصف ليلية ظماء صافية الأديم ،  
زهرت كواكبها ، ودارت فيها الكؤوس على الشرب وهي تتلألأ كأنها مهج  
النيران استلت من جسوم الثلوج :

ليلة . تحسب الكواكب فيها حدَقَ الروم في وجوه الزنوج  
 في كؤوسٍ ، كأنها مُهَجِّجُ النير ... رائٍ تستلّ من جسوم الثلوج  
 قال الصَّفَقدي : « أخذ البيت الأول من « الأبيوردي » ، وهو أحسن  
 من هذا » ، وأحال عليه في ترجمته ، ولم أجده فيها .  
 وشاعرنا على انغماسه في هذه الحياة المأجنة ، لم يفته حظّه من التأمل  
 في جملة سيرة المجتمع وسلوك الناس وطباع الأفراد ممن كتب له خلاطهم ،  
 وصوغ ما اختمر في نفسه من تجاربه الحية الواعية في قالب الحكمة والمثل ،  
 كالذي قال ، وقد راعته من كثرة الناس وقلة المصافين ، وضرب لذلك  
 البحر مثلاً ، فهو يفرّك عُبابه ولكنك لا تجد فيه ريثاً يلد غليلاً :  
 أراك إذا عدت ذوي التصافي وجدتهم أقل من القليل  
 كماء البحر . تحسبه كثيراً وقلته تبين مع الغليل  
 وكالذي قال في صغار الأمور وطغيان الشعب والطابع والتطبيع ، وضرب  
 لذلك مثلاً الفأر والسبع :

تخف الأمر وإن ها هنا ، ولا يطلع بك الشعب  
 ولا تصد بك الكلف ... ما يصقله الطبع ،  
 فقد يخشى من الفأر على من عضه السبع

وكالذي قال ، وقد ابتلي بحاسد حاقد لئيم يحجد فضله مع اشتهاه وظهوره :

يا جاحدي فضلي وقد نطقت بفضائي بدّهاته عنه  
 هل أنت إلا البدر .. توضحه شمس الضحى ، وكسوفها منه ؟

وهذا معنى بديع ، وأسلوب في الدم والمدح عجيب ، وقد تلعطف فيه  
 غاية التلطف بدم صاحبه حين ضرب له مثل البدر ، ولنفسه مثل الشمس .  
 ذلك أن البدر جرم معتم ، لا فضل فيه بنفسه ، وإنما فضله مستمد من  
 الشمس ، إذ تعكس نورها عليه فيضيء ، وحين تحول الأرض بينها ينخسف

كله أو بعضه ، فذاك مثلهما ، كما يكون كسوف الشمس من حيولة جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعها في العقدتين على دقيقة واحدة ، وهذا مثل مجرود صاحبه فضائله المشهودة المشهورة ومحاولته سترها وإخفاءها بهذا الجحود .

وخاتمة شعر « أبي طاهر » الواصل إلينا ، هي ما ختم به حياته . . فجؤده وهو يجود بأنفاسه الأخيرة ، ويودع الحياة والخلايق يرثي نفسه ، وينشد عوادته هذا الرثاء ، ذاكراً آخر العهد منهم ومن الدنيا ، ومتمنياً أن يكون له معهم موعد يستجده ، ومستنجداً - في رحله الذي يكرهه عليه هذا الموت - بصادق منهم يسترده إلى دنياه :

خليلي ! هذا آخر العهد منك  
ومتي ، فهل من موعد نستجده ؟  
لأن أحاكم حلّ في دار غربة  
يطول بها عن هذه الدار عهده  
فلا تعجبوا إذ خفّ البين رحله  
وقد جدّ في إثر الأحبة جدّه  
على أن في الدارين تلك وهذه  
له صاحب يهوى وإلف يوده  
وقد أزمع المسكين منكم ترحلاً  
فهل فيكم من صادق يسترده ؟!

وهذا رثاء كل إنسان لنفسه لو يستطيعه حين يشعر بدنوّ أجله ومفارقة الحياة ، وتشبّث كل حيّ بأسباب البقاء لو قدّر الحيّ بقاء . بل هو رثاء الإنسانية الحزينة جمعاء منذ وجدت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وصيحتها من الأعماق تستنجد فيها بالأسباب التي تستبق لها الحياة وتنقذها من مخالب الفناء ، وهيات !

وهذه القلة المروية من شعر « أبي طاهر » ، ورب قليل كثير ، ترينا شاعراً مفتقداً ، ومتمكناً غاية التمكن في مذاهب الشعر ، وتنوع أغراضه ، وصياغته في مختلف المقاصد على نحو رائع رائع . . تجري فيه السلاسة



والرشاقة والإبداع مجرى الأرواح في الأبدان . أمده الطبع والثقافة وامتلاك  
 ناصية اللغة والبيان ، فزخر شعره بالفكرة والأسلوب والفن والإيقاع .  
 وإذا ثبتت نسبة ( قانون البلاغة ) إليه ، وهو ما هو في إنشائه وأسلوبه  
 الماتع ، إلى جانب هذا الفن الشعري الرفيع ، استوى لنا منه في جملة أدبه  
 وعلمه وفنه أديب كبير ممتع البيان ، وعلمهم شامخ في دولتي الشعر والنثر  
 يرف على الذروات من تاريخنا الأدبي الذهبي إلى جانب أنداد له من المجتهدين  
 في حلبة البلاغة والفكر والأدب ، أعزوا الفصحى ، وسلسوا مجدها  
 في الأبناء والحفدة ، وسلموها إلى الأجيال الصاعدة متقدمة المشاعل ،  
 باهرة الأنوار والأضواء .

بغداد : محمد بهجة الأثري



# تظارات في المعجم الوسيط

- ١١ -

تشمة تعريف نجوم السماء والمصطلحات الفلكية

| الكلمة   | تعريفها في المعجم الوسيط                                                                              | الملاحظات                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
|----------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| الذئب    | الأصغر سبعة نجوم ،<br>تكون أربعة منها<br>مربعاً ، وثلاثة تكون<br>ذنباً له في نهايته<br>النجم القطبي . | الذئب الأصغر - في علم الفلك - أقرب<br>الصور السماوية إلى القطب الشمالي ، وهي على<br>هيئة دب صغير طويل الذنب ، وفي نهاية هذا<br>الذنب النجم المسمى النجم القطبي .                                                                                                                                                    |
| بنات نعش | سبعة كواكب تشاهد<br>جهة القطب الشمالي ،<br>شبهت بحمالة الشمس ..<br>مادة [ ن ع ش ]                     | أما بنات نعش الصغرى فهي - كما يقول<br>ابن قتيبة - : أقرب مشاهد الكواكب إلى<br>القطب ، وهي سبعة كواكب ، على شبهة بتأليف<br>بنات نعش الكبرى ، أربعة منها نعش ، وثلاثة<br>بنات . ومن الأربعة الفرقدان ، وهما المتقدمان ،<br>والآخران وراءهما خفيان ، ومن البنات كوكبان<br>خفيان ، وهما اللذان يليان الشمس ، والثالث من |

البنات كوكب كبير أزهر يسمى الجُدَيّ (١) ،  
وبه تعرف القبلة .

في ضوء ما أوردناه نستطيع ذكر الملاحظات  
التالية على التعريفات التي جاء بها المعجم الوسيط :  
١ — عدم الدقة في صياغة أكثر التعريفات  
باستثناء تعريف النجم القطبي إذ يبدو  
أنه وضع حديثاً بما يتفق وحقائق  
علم الفلك والتفريق بين القطب والنجم  
القطبي (٢) .

٢ — إغفال ذكر بنات نعش الصغرى في  
مادة [ ن ع ش ] . وسبق لنا الإشارة  
إلى ذلك عند الكلام على بنات  
نعش الكبرى (٣) .

٣ — نقل جملة ( وتعرف به القبلة ) في  
تعريف الجُدَيّ عن المعجمات القديمة ،

القطْبُ : المحور القائم ... ومنه  
قطب الدائرة . و —  
طرف المحور . ولأرض  
قطبان شمالي وجنوبي .  
والنجم القطبي الشمالي\* :  
هو النجم النيّر في طرف  
ذنب بنات نعش الصغرى  
( الدب الأصغر ) ؛ وهو  
الذي يُتوخّى به جهة  
الشمال لوقوعه في سمّت  
القطب الشمالي للكورة  
الأرضية .

الفرَّقْدُ نجم قريب من القطب  
الشمالي ثابت الموقع تقريباً ،  
ولذا يُهتدى به ، وهو

(١) انظر كتاب الأنواء ص ١٤٥ — وانظر كتاب الأزمنة والأنواء لابن الأجداني الذي سبقت الإشارة  
إليه ص ٦٥ . وما نلاحظه أن المحقق ضبط لفظة الجدي بفتح الجيم ، كما وردت في اللسان  
وأكثر المعجمات القديمة ، وصحتها بالضم تصغيراً لاسم البرج ، كما وردت في المعجم الوسيط .  
(٢) من أهم الأسباب في عدم دقة تعريف نجوم الدب الأصغر وأكثر المعجمات القديمة ، توم البعض  
أن القطب يمتد الأفقي يتمثل في شمالي الكورة الأرضية بنجم معين ، والحقيقة أن القطب ليس  
بمحيط بل هو نقطة متخيلة ، وهناك نجم ثابت نسبياً ، هو أقرب النجوم المرئية إلى النقطة المذكورة  
فنسب إليها على أن علماء الفلك وبعض أصحاب المعجمات عرفوا هذه الحقيقة ، ففي اللسان كما  
في التاج أن ابن الصلاح قال : القطب ليس كوكباً ، وإنما هو بقعة من السماء قريبة من الجدي .  
وقال ابن الأجداني : وليس القطب بكوكب ، ولا في موضعه كوكب البتة . انظر « الأزمنة  
والأنواء » ص ٦٦ .

(٣) انظر ص ٦٠٥ من الجزء الثالث .

المسمى (النَّجْمُ القُطْبِيُّ).  
وبقره نَجْمٌ آخرٌ مماثلٌ  
له وأصغر منه ؛ وهما  
فرقدان .

وكان من المستحسن حذفها ، لأن  
القطب ليس دليلاً على القبلة ، إنما هو  
دليل على جهة الشمال ، أما القبلة  
فيختلف موقعها باختلاف البلاد  
وموقع مكة منها .

٤ — الخطأ في تعريف الفرقد .

لقد كان من المستحسن أن تكون التعريفات  
المشار إليها كما يلي :

الدَّبُّ الأصغر : صورة سماوية من نجومها  
النجم القطبي الشمالي .  
الجُدِّي\* : نجم القطب الشمالي في صورة  
الدَّبِّ الأصغر ، وقد صُعِّرَ تمييزاً له  
عن الجُدِّي الذي هو أحد بروج  
الماء .

النجم القطبي الشمالي\* : هو النجم النير من  
نجوم بنات نعش الصغرى في صورة  
الدَّبِّ الأصغر ، وبه تعرف جهة  
الشمال ، ويسمى الجُدِّي\* .

الفرقد : اسم لتجمين من نجوم الدَّبِّ  
الأصغر ، وهما فرقدان .

في هذه التعريفات شيء من الإسهاب  
والغموض ، وكان من المستحسن تعريف الشَّعْرَيْنِ  
في المعجم الوسيط بإيجاز ودقة أكثر .  
إن التعريف الدقيق الموجز هو :

الشَّعْرَى : اسم لنجمين نيرين ، وهما  
شعريان : الشَّعْرَى العَبُور ، والشَّعْرَى  
الغُمَيْصاء . وكانت بعض العرب تعبّد  
الشَّعْرَى ، فنزل قوله تعالى ﴿ وأنه هو  
ربُّ الشَّعْرَى ﴾ .

هذا وما نلاحظه في تعريفات المعجم الوسيط ،  
أن الشَّعْرَى العَبُور ليست من نجوم  
الجوزاء ، ولا الغُمَيْصاء أيضاً ، بل هما نجمان في  
صورتين مختلفتين بجوار الجوزاء .

المِرْزَم : اسم لعدد من النجوم أشهرها :  
مِرْزَمَان : مِرْزَم العَبُور ومِرْزَم الغُمَيْصاء  
تبعاً للشَّعْرَيْنِ .

الشَّعْرَى كَوْكَبٌ نَيْرٌ يطلع عند  
شِدَّةِ الحَرِّ . قال تعالى :  
﴿ وأنه هوربُّ الشَّعْرَى ﴾ .  
وهما شعريان : الشَّعْرَى  
العَبُور ، والشَّعْرَى  
الغُمَيْصاء .

[ مادة ش ع ر ]

العَبُورُ من الغنم : ما كانت  
فوق الفطيم من إناث الغنم .  
والشَّعْرَى العَبُور :  
كوكبٌ يكون في الجوزاء ؛  
والأخرى الشَّعْرَى  
الغُمَيْصاء .

[ مادة ع ب ر ]

الغُمَيْصاء الشَّعْرَى الغُمَيْصاء :  
إحدى الشَّعْرَيْنِ ؛  
والأخرى العَبُور ،  
وهما نجمان نيران .  
[ مادة غ م ص ]

المِرْزَمُ أم مِرْزَم : الريحُ ،  
أو ريحُ الشمال الباردة .  
والمِرْزَمَان : نجمان من  
نجوم المطر ، وهما مع  
الشَّعْرَيْنِ .

سَهِيلٌ نجم ، قيل عند طلوعه سَهِيلٌ نجم في صورة السفينة الجنوبية وهو تنضج الفواكه وينقضي أنور نجومها ، وأسطع النجوم الثوابت بعدد القميط ؛ وهو من النجوم الشَّعْرَى المِائِيَّة .  
 المِائِيَّة . وفي المثل : وما يلاحظ أن المعجم الوسيط أثبت مثلاً « إذا طلع سَهِيل ، رُفِع » يستحسن إغفاله ، وأولى من ذكره الإشارة إلى كَيْلٌ وُضِعَ كَيْلٌ : وجود نجم شماليّ يسمّى : سَهِيلُ الْفَرْدِ أو بضرب في تذهل الأحكام . سَهِيلُ الشَّام .

الأعيان كواكب زهر في مجرى الأعيان : نجوم زهر في صورة السفينة الجنوبية قديمي سَهِيل . تحت قديمي سَهِيل .

النَّسْرُ الطَّائِرُ : مجموعة من النجوم معروفة بعشائرها للنَّسْر ، كان من المستحسن أن يكون تعريف النَّسْر كما يلي :  
 والنجم ذو القدر الأول النَّسْر : اسم لمجموعتين من النجوم على صورة منها يسمى الطَّائِرُ ، والنَّسْر والنسر، وهما نسران ، المجموعة الأولى تسمى النَّسْر الطَّائِرُ وباسمها يعرف أنور نجومها ، والثانية تسمى النَّسْر الواقع : النجم ذو القدر الأول في مجموعة النجوم التي تسمى الشَّيْلِيَّاق .  
 وكلا النَّسْرَيْنِ في التَّصْفِغِ وما يلاحظ أن كلمة « الشَّيْلِيَّاق » الواردة في تعريف المعجم الوسيط أغفلت في موضعها . وهي غير عربية وقد أغفلتها أكثر المعاجم .  
 الشَّيْلِيَّاق من القسمة السماوية .

الرَّذْفُ كوكبٌ قريبٌ من النَّسَرِ هذا التعريف منقول عن القاموس ، وتعريف الواقع .  
الرَّذْفُ الدقيق هو :

الرَّذْفُ : أنور نجوم صورة الدجاجة ، وسمي الرَّذْفُ لأنه يتلو النجوم الأربعة التي تقطع المجرة ويطلق عليها اسم الفوارس (١) .

المَرَّارَان : نجمان ، هما : النَّسَرُ\* نجما النسرة الواقع وقلب العقرب .  
مختلفتين ، ولكنهما يطلعان معاً ، وقد سماها العرب المَرَّارَيْن ، لأن الشتاء يهبط بطلوعها ، أي يشتد برده وتعصف رياحه ، وقيل : « إذا طلع المَرَّاران يست الأغصان ، وغشيت النيران ، وهزلت السماء ، وانحجرت الولدان ، واشتد البرد بكل مكان » (٢) .

لقد كان من المستحسن أن يكون تعريف المَرَّارين أكثر وضوحاً .

العَيْشُوق نجمٌ أحمرٌ مضيء في تعريف العيشوق هذا نقل عن القاموس طرفِ المجرة الأيمن .  
حرفياً ، وتعريفه الدقيق هو :  
العَيْشُوق : النجم النير في صورة العنَّاز أو يتلو الثريا لا يتقدمها .

(١) انظر المعجم العربي ص ٢٤ و ٤٥ .

(٢) انظر كتاب « الأزمنة والأنواء » لابن الأجدابي ص ١٤١ والمخصص ١٦/٩ .

ممسك الأعنة ، وموقعهما بين الثريّا والذب\*  
الأكبر .

ومن أسماء العيثوق عند العرب ؛ الحمادي ،  
ورقيب الثريّا لأنه يطلع بطلوعها ، ولكنه  
يغيب بعدها (١) .

راعي الجَوَوزاء ، وراعي النعائم :  
راعي الجوزاء ، وراعي النعائم : نجران ،  
الأول في الجوزاء والثاني في القوس .

وكوكبات .  
[ مادة ر ع ي ]  
ومما يلاحظ وجود تصحيف في ضبط  
الكلمة :

نطاق الجَوَوزاء ثلاثة كواكب  
في وسطها .

في صورة الجبار أو في الجوزاء ثلاثة نجوم  
نيرة مصطفة في وسطها ، أي على خط واحد  
بالنسبة إلى الناظر إليها ، وهي من أشهر نجوم

السماء ، يسميها العرب منطقة أو نطاق أو فقار  
الجوزاء ، أو ميزان الحق (٢) . لهذا كان من  
المستحسن أن يكون التعريف في المعجم الوسيط  
كالتالي : نطاق الجوزاء ، ثلاثة نجوم نيرة  
مصطفة في وسط الجوزاء .

(١) انظر كتاب « الأزمنة والأنواء » ص ٧١ والمعجم الفلكي ص ٣٦ .

(٢) انظر المعجم الفلكي ص ١٦ .



العوائد أربعة كواكب في وسطها كوكب يُسمى الربع .

هذا التعريف منقول عن بعض المعجمات القديمة ، على أن صاحب القاموس كان أكثر دقة في تعريفه إذ قال : العوائد أربعة كواكب بترييع مختلف في وسطها كوكب يُسمى الربع ، وعلق شارح القاموس نقلاً عن التكملة قائلاً : في وسطها كواكب تُسمى الربع .

والعوائد عند علماء الفلك أربعة نجوم على شكل مربع في أضلاعه اختلاف : وهي في صورة التين أو الثعبان . أما الربع المشار إليه في تعريف المعجم الوسيط ، فإني لم أعر على نجم معروف علمياً بهذا الاسم ، إنما قرأت في « الأنواء والأزمنة (١) » أن العوائد : أربعة كواكب في ترييعها اختلاف وفي وسطها ، كوكب سماوي كأنه لطحخة غيم يُسمى الربع ، فشبهت العرب هذه الكواكب بنوق عوائد ، عطفن على ربع (٢) .

الميسان كل نجم زاهر . (ج) مياسين .

في القاموس : الميسان : نجم من الجوزاء ، أو كل نجم زاهر . وعند علماء الفلك : الميسان : أنور المنعة ، والمنعة : نجم زاهران في الحجرة بين الجوزاء ورأس التوأمين ، وهي المنزل السادس من منازل القمر (٣) ، أما النجم الآخر من المنعة فيسمى : الزر ، وقد أغفلها المعجم الوسيط .

(١) انظر كتاب ابن الأجدادي ص ٦٧ .  
(٢) المائد من النوق : الحديثة النتاج ، لأن ولدها يعوذ بها ، والربع : الفصل ينتج في الربيع وهو أول النتاج .  
(٣) انظر المعجم الفلكي ص ١٤ ، والمنزل المذكور من المنازل التي أغفلها المعجم الوسيط . انظر ص ٦٠٠ من الجزء الثالث .

الفُرُودُ كَوَاكِبُ زَاهِرَاتٌ حَوْلَ تعريف الفُرود نقل عن اللسان ، وفي القاموس :  
الشَّرِيتَا . وَفُرُودُ أفراد النجوم وفرودها التي تطلع في آفاق السماء .  
النَّجُومِ . أفرادها . والفُرود (١) : كَوَاكِبُ مَصْطَفَاةٌ خَلْفَ الشَّرِيتَا .

أفراد النجوم الدَّرَارِي التي تطلع في وعند علماء الفلك من العرب : الفُرود :  
آفاق السماء . أربعة نجوم مصطفة في صورة الكلب الأكبر ، يقال  
لها النسق (٢) . والفرد : نجم وهو أَوْرَ نجوم صورة  
الشجاع . ويقال له : سهيل الفرد أو سهيل الشام .

الخُسَّانُ النجوم التي لا تعُشَرُ ،  
كالجَدِّي ، والقُطْبِ ،  
وبَنَاتِ نَعَشٍ ، والفِرْقَدِينَ ،  
وما أشبهها .  
[ مادة خ س س ]  
من لطائف العربية كلمة خُسَّان كَرَمَاتٌ  
وهي : النجوم التي لا تعُشَرُ ، قال ابن دريد :  
هكذا تسميها العرب (٣) .  
والنجوم التي لا تعُشَرُ هي : النجم القطبي  
والنجوم القريبة منه والدائرة معه حول القطب ،  
وتسمى بالفرنسية Circompolaire .

(١) جاء في بعض طبقات القاموس : ( الفردود ) كما ورد في بعضها الآخر : ( حول الثريا )  
وقد نبه شارح القاموس إلى هذا التصحيف والاختلاف .

(٢) انظر المعجم الفلكي ص ٥٦ .

(٣) من لطائف العربية أيضاً - وقد أغفلها المعجم الوسيط - كلمة ( مخسولة ) ويطلقها العرب على  
النجوم المجهولة التي لا تعرف لها أسماء . قال الزخرفي : هو مخسول ومخسَل : مرذول .  
وفي مقاييس اللغة : الحاء والدين واللام : أصل واحد يدل على ضعف وقلة خطر .. والكواكب  
المخسولة : المجهولة التي لا أسماء لها ، قال :

ونحن التريّا وجوزاؤها ونحن السماكان والمِرْزَمُ

واتم كواكبُ مخسولة تُرى في السماء ولا تُعلم

ويروى - كما في بعض المعجمات - ( واتم كواكب مسخولة ) بالميم نفسه ، كما ورد البيهقي  
في معجمات أخرى برواية فيها : ( ونحن الدَّرَاعان .. ) .

إن التعريف الوارد في المعجم الوسيط منقول  
عن القاموس ، ويلاحظ فيه أن كلمة الجدي  
ضبطت خطأ ، لأن اسم النجم القطبي : الجُدَيّ ،  
مصغراً تمييزاً له عن اسم البرج ، كما سبق  
أن ذكرنا .

أما القطب فليس نجماً ، كما يفهم من التعريف  
الذي نقله المعجم الوسيط ، غير أن النجم الذي  
يدل عليه فينسب إليه يسمى : النجم القطبي .  
وهو الجُدَيّ نفسه ، وقد سبق تفصيل الكلام  
عنه وعن بنات نعش ، وعن الفرقدين  
بعض صفراهن (١) .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف  
كما يلي :

الْحُسْبَانُ النجوم التي لا تغرب ، كالجُدَيّ  
والفرقدين ، وبقية بنات نعش ، وما  
يدور معها من نجوم حول القطب (٢) .

أجمع علماء العربية على أن النيزك هو الرمح  
القصير ، وقيل : رمحٌ نيزك على « التعت »  
أي قصير . وقيل : النيزك ذو سنان وزج ،  
والعكاز له زج ولا سنان له .

النَّيْزَكُ النظر : ( ن ز ك ) .

[ مادة ن ي ز ]

( نَزَكَ ) فلاناً شَرَّكَكَ : طعنه

بالنَّيْزَكِ . و — عابه

(١) النظر ص ٧٧٤ .

(٢) في بعض المصححات القديمة كلمات أخرى تدل على معنى الحُسْبَان نفسه ، مثل البانيات ( انظر  
مادة ب ي ن في القاموس ) ومثل البانيات ( انظر مادة ب ب ن في اللسان ) .

وطعن فيه بغير حق<sup>(١)</sup>.  
 (النَّيْزَكُ) : الرَّمْحُ الْقَصِيرُ .  
 (مع) . و — جرم سماوي يسبح في الفضاء فإذا دخل في جو الأرض احترق وظهر كأنه شهاب ثاقب متساقط . (مو) .  
 [مادة ن ز ك]  
 وفي صحاح الجوهري : النيزك : رمح قصير كأنه فارسي معرب ، وقد تكلمت به الفصحاء ، والجمع النيازك ، وقد نزكه أي طعنه ، وكذلك إذا نزعته وطعن فيه بالقول .

وفي شفاء الغليل : نيازك : جمع نيزك وهو رمح قصير ، فارسي معرب نيزه ، تكلمت به الفصحاء ، قاله الجوهري واستعمله الحكماء في شعلة ترى كالرمح وهو أحد أقسام الشهب وصرفت العرب ..  
 وفي الصحاح : والشهب شعلة نار ساطعة ، وإن فلاناً لشهاب حرب ، إذا كان ماضياً فيها .  
 وفي القاموس : الشهاب : شعلة من نار ساطعة ، والماضي في الأمر ، والشهب : الدراري .

الشَّهَابُ : الشَّعْلَةُ السَّاطِعَةُ مِنَ النَّارِ ...  
 — النَجْمُ الْمُنْضِيءُ اللَّامِعُ .  
 — النَجْمُ الْمُنْضِيءُ الْمُنْقُضُ

(١) في المعجم الوسيط في مادة [ ن ز ك ] : نازقة . منازقة ونزاقا : شاعه . وتنازق الرجلان : تشاققا . وكذا في القاموس وأكثر الأمهات . وفي اللسان : وأنزق الرجل إذا سَفِهَ بَعْدَ حِلْمٍ . وتنازق الرجلان تنازقاً ونزاقاً ومنازقة : تشاققا ، الأخيرتان على غير الفعل . والنَّيْزُوكُ لغة في النَّيْزِكِ قال الشاعر :

وتديان ، لولا ما هما لم تكذب ترى  
 كأنهما عدلا جوالق أصبحا ،  
 وحشواهما تبين على ظهر فاقع

وفي مقاييس اللغة : النون والراء والهمزة كلمة تدل على عجلة . والنون والراء والكاف أصل يدل على طعن أو تشبيه به . منه النَّزْكُ : الطعن بالنيزك . وفي أكثر الأمهات ، كما نلاحظ في متن الملاحظات ، أن كلمة نيزك فارسية معربة ، لذلك فإننا نرجح أن يكون فعل (نازق) مولد من النيزق إحدى صيغتي تعريب النيزك ، وليس بعربي أصيل .

من السماء . قال تعالى : ﴿فَاتَّبِعْهُ شهابٌ ثاقبٌ﴾ .  
ويقال هو شهابٌ علم أو شهاب حربٍ ونحوها :  
للماضي الماهر . (ج) شهبٌ وشهبانٌ وأشهبٌ .  
و (الشَّهْبُ) الدَّراريُّ من الكواكب ، لشدة لمعانها .

وفي اللسان : روى الأزهرى عن ابن السكيت ، قال : الشهاب : العود الذي فيه نارٌ ... قال الله تعالى : فاتبعه شهاب ثاقب ... أراد بالشهاب : الذي ينقض بالليل شبيه الكوكب ، وهو في الأصل : الشعلة من النار .

ومن هذه النصوص يمكن أن نلاحظ على التعريفات الواردة في المعجم الوسيط ، ما يلي :  
١ - دخلت كلمة النيزك العربية قديماً ، وصرّفتها العرب واشتقت منها الأفعال ، فلم تبق من ضرورة الإشارة إلى الكلمة في مادة [ ن ي ز ] إلا إذا اتخذت مثل هذه الإشارة قاعدة في المعجم . هذا وكان من المستحسن أن يشار في المعجم الوسيط إلى صيغة التعريب الثانية ( نيزق ) .

٢ - إن تشبيه النيزك بالشهاب الثاقب يوحى باختلافها ، وحقيقة مدلولهما واحد ، والعلماء المحدثون فقط يحاولون إطلاق كلمة نيزك على الأجرام السماوية التي يصل بعضها إلى الأرض على رغم احتراقها بدخولها جو الأرض .

٣ - كان من المستحسن الإشارة في تعريف كل من النيزك والشهاب إلى الكلمة الثانية .

٤ - إن كلمة شهاب قد تعني النجم المضيء اللامع ، إذا ما وردت في كتب القيدامى من العلماء والأدباء ، لذلك كان ضرورياً نقل هذا

التعريف عن المعجمات القديمة ، أما نقل تعريف الشهاب بأنه النجم المضيء المنقض من السماء في معرض تفسير آية قرآنية ، ففيه بعد عن الحقيقة العلمية ، لأن الشهب ليست نجوماً ، إذ أنها كتل من الحجارة والمعادن المختلفة الأحجام تسبح في الفضاء ، وقد يتفق اقترابها من منطقة جذب الأرض فتدخل جوها وتشتعل فجأة بسبب احتكاكها بالهواء فترى من الأرض كالنجم الثاقب المتساقط ، وفي معظم الحالات يتم احتراق الشهب قبل وصولها الأرض .

٥ - إن إثبات تعريف الشهاب بالنجم المضيء اللامع ، يفني عن نقل معنى الجمع ( الشَّهَب ) ، لأنه لا يدل على حقيقة مقبولة .

المذنب ' نجم ذو ذنب طويل يظهر من حين إلى حين ، كذنب « هيل » .  
المذنبات : نجوم ذوات أذنان مضيئة تسبح في الفضاء ، ولا ترى بالعين المجردة إلا إذا كانت شديدة الضوء .

وتظهر المذنبات في سماء الأرض كلما دخل فلكها في المدى الأقصى للرؤية ، لذلك فهي تظهر في فترات زمنية محددة .

إن أشهر المذنبات التي رُويت في سماء الأرض

هو مذهب «هالي» (١) . ولو أن المعجم الوسيط اكتفى بتعريف المذهب دون الاستشهاد بالمذهب المذكور على الشكل الوارد في التعريف ، لكان التعريف أكثر انسجاماً مع طبيعة المعجم .

الفلكُ الفضاء يدور فيه النجم  
أو الكوكب . (ج)  
أفلاكُ . وعلم الفلك :  
عديحث فيه عن الأجرام  
العلوية وأحوالها .

هذا تعريف غير دقيق من حيث الصياغة ، إذ ليس الفلكُ الفضاء الذي يدور فيه النجم أو الكوكب ، بل هو : الطريق الذي يسلكه الجرم السماوي في دورانه .

ورد في القاموس : الفلكُ حركة : مدار النجوم ، ومثله ورد في اللسان ، مع تفسير الزجاج في قوله تعالى : ﴿وكلُّ في فلك يسبحون﴾ . أي : لكل واحد منها فلك .

لقد كان من المستحسن أن يثبت المعجم الوسيط التعريف كما ورد في القاموس . كما نلاحظ أنه كان من المستحسن نعت الأجرام بالسماوية بدلاً من قوله : الأجرام العلوية .

الانقلاب ارتداد الشمس من برج إلى برج ، وهما انقلابان شتائي وصيفي (مج) .

هذا التعريف لمصطلح الانقلاب مقتضب وغير دقيق ، لأن الانقلاب صفة للوقت الذي يبلغ فيه انحراف الشمس أقصاه نحو الشمال ، أو أقصاه نحو الجنوب ، وفيه تبدأ الشمس بالارتداد ، ويحدث هذا الارتداد مرتين كل سنة ، يتقلب

(١) ادmond هالي Halley (١٦٥٦ - ١٧٤٢ م) فلكي انكليزي درس المذنبات وكشف المذهب المعروف باسمه « مذهب هالي » وقد ظهر هذا المذهب للمرة الأخيرة عام ١٩١٠ ، وسوف يري عام ١٩٨٢ م .

الزمن في الأولى من الخريف إلى الشتاء ، وفي الثانية من الربيع إلى الصيف .

لهذا كان من المستحسن أن يقال في التعريف :  
الانقلاب اصطلاح يطلق على الزمن الذي ترد فيه الشمس من أقصى انحرافها بالنسبة إلى الأرض ، وهما انقلابان : شتائي<sup>١</sup> يوم يتبدى<sup>٢</sup> فصل الشتاء ، وصيفي<sup>٣</sup> يوم يتبدى<sup>٤</sup> فصل الصيف .

الاعتدال الربيعي<sup>٥</sup> أو الخريفي<sup>٦</sup> : الاعتدال صفة لوقت أو زمن يضاف غالباً حين يتعادل الليل والنهار . إلى موصوفه ، فيقال مثلاً : وقت الاعتدال أو زمن الاعتدال ، وفي علم الفلك يقال : نقطة الاعتدال ، وقد يحذف الموصوف ، فيقال : « الاعتدال » . والاعتدالان : نقطتان وهميتان في السماء ، إذا وصلتها الشمس في مسيرها الظاهري ، أصبحت أشعتها عند الظهر عمودية على خط الاستواء ، ويتساوى النهار والليل يومئذ ، وينقلب الزمن في أولهما من الشتاء إلى الربيع ، وفي ثانيهما من الصيف إلى الخريف .

لهذا كان تعريف كلمة الاعتدال في المعجم الوسيط ، وهي من المصطلحات الفلكية والجغرافية ، مقتضياً ، غير واضح ، وكان من المستحسن أن يقال في التعريف :



الاعتدال : اصطلاح يطلق على الوقت الذي يتعادل

فيه الليل والنهار ، وهما اعتدالان :

ربيعي ويكون في أول يوم من فصل

الربيع ، وخريفي ويكون في أول

يوم من فصل الخريف .

أحسن المعجم الوسيط صنفاً بآثبات كلمة

( مهرجان ) لشيوعها في مختلف البلاد العربية

يعني الاحتفال الكبير ، لا سيما أن بعض الكتاب

والأدباء اشتق منها فعلاً فقالوا : « مَهْرَجُونَا

كل يوم ، أي : ادعونا إلى الاحتفال كل يوم .

غير أننا نلاحظ إمكان إغفال تحديد تاريخ

مهرجان الاعتدال في دولة إيران خوف اللبس

من أن شهر ( مِهْر ) يقابل شهر ابول ( سبتمبر ) ،

لأن الشهر المذكور يتبدى بالواقع يوم ٢٢ ابول

( سبتمبر ) أي يوم الاعتدال الخريفي ، ومن

المنطق أن يقام مهرجان الاعتدال في اليوم

الأول منه ، كما يقام الاحتفال بالسنة الجديدة

في أول أيام الربيع ( الثَّوْرُوز ) .

المِهْرَجَانُ الاحتفال يقام ابتهاجاً

بمحدث سعيد ، أو إحياء

لذكرى عزيزة ، كمهرجان

الأزهار ومهرجان الشباب ،

ومهرجان الجلاء . والكلمة

فارسية مركبة من كلمتين ،

الأولى . ( مِهْر ) ومن

معانيها الشمس ، والثانية :

( جان ) ومن معانيها

الحياة أو الروح . ومن

معاني الكلمة المركبة في

الفارسية : الخريف ،

والاعتدال الخريفي .

و — احتفال يقام في

السادس والعشرين من شهر

مِهْر ( سبتمبر ) من كل

عام ، لوقوع الاعتدال

الخريفي فيه .

[ مادة م ه ر ]

الزِّيَجُ كتابٌ يُعرفُ منه سير الكواكب ومنه يُستخرجُ التقويمُ ، أي حساب الكواكب لسنة سنة . الأمهات ، وإن شك فيه الأصمعي ، والزِّيَجُ ، (مع) . — خيط البَنَاء . (ج) أَرْزَاجٌ ، أو المِطْمَرُ ، وهو معرب (زه) بمعنى وتر . وزيجة .

ويلاحظ اغفال الإشارة إلى الكلمة العربية لخيط البَنَاء ، في المعنى الثاني لكلمة (الزِّيَج) . وكذلك اغفال الإشارة إلى كلمة (المطر) نفسها في مادة [ ط م ر ] .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

الزِّيَجُ (مع) : كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم ، ويستخرج بواسطتها التقويم سنة سنة . — خيط البَنَاء وعربيته المِطْمَرُ .

المجسطي كتاب قديم في الهندسة والفلك ، وضعه بطليموس الفلكي المصري حوالي سنة ١٤٠ م . كتابه باللغة اليونانية ، وعنها ترجم إلى العربية .

(١) قال أبين المداوف : الميم لبطليموس Ptolémée قبل الياء . فيقال بطليموس أو بطليموس لا بطليموس ! والمجسطي بكسر الطاء (تحقيق ناينو) . انظر المعجم الفلكي ص ١٦ كلمة « Almagest » .

وترجم إلى العربية في عهد المأمون، وعُدَّ حجة الوسيط إلى لغة الكتاب الأصلية ، وكتاب المجسطي هذا - وإن عُدَّ حجة في بابه يوم أُتِفَ أو يوم تُرجم - إلا أنه يقوم على نظرية اعتبار الأرض ثابتة والعالم يدور حولها .

البنكام ساعمة الرمل ، وشبه بعض الشعراء المحدثين الخصر النحيل بخصر البنكام .  
[ مادة ب ن ك ]  
قال : لفظ يوناني وهو معرب عن أهل التوقيت وأرباب الأوضاع ووقع في شعر المحدثين في تشبيه الخصر : وخصره شد بنكام . وتقبله العامة فتقول : منكاب وهو غلط (٢) .

قال ابن فارس في مقاييس اللغة : الخاء والنون والسين أصل واحد يدل على استخفاء وتستر . قالوا : الخئس الذهب في خفية . يقال خئست عنه ، وأخئت عنه حقته . والخئس : النجوم تخس في الغيب . وقال قوم : سميت بذلك لأنها تخفى نهائراً وتطلع ليلاً .  
خس الكوكب : توارى فهو خاس .  
(ج) خئس .  
الخئس : الكواكب السيارة دون الثابتة .  
و - الدُّراري الخمسة : زحل ، والمشتري ،

(١) لم ترد الكلمة في الأمهات ، وفي التاج - كما في غيره - البنك بالضم أصل الشيء وهو معرب .. قال الأزهرى : البنك بالفارسية الأصل أو خاضه . قال ابن دريد : كلام عربي صحيح والبنك : الساعة من الليل . انظر مقابل الكلمة في المعجم الفرنسية Sablier وفي المعجم الانكليزية Sandglass .

(٢) انظر شفاء الغليل للخفاجي ص ٧٤ .

والريخ ، والزهرة ،  
وعطارد .

و — الكواكب كلها .

وقال أيضاً في كنس : الكاف والنون والسين  
أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على سفر شيء عن  
وجه شيء ، وهو كشفه . والأصل الآخر يدل على  
استخفاء ... والكُنُس : الكواكب تكنس في  
بروجها كما تدخل الطباء في كناسها . قال أبو عبيدة :  
تكنس في الغيب .

وقال الزجاج - كما في اللسان - في قوله  
تعالى : فلا أقسم بالكُنُس الجوار الكُنُس :  
أكثر أهل التفسير في الخُنُس : أنها النجوم  
وخنوسها أنها تغيب ، وتكنس : تغيب أيضاً ،  
كما يدخل الظبي في كناسه .

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : خنس  
الرجل من بين القوم خُنُوساً إذا تأخر واختفى ...  
ومن المجاز : خنَس الكوكب : رجع  
( فلا أقسم بالكُنُس ) .

من هذه النصوص في بيان معنى فعلي خنس  
وكنس ، نعتقد بأن المعجم الوسيط لو اكتفى  
بما أورده في معنى الفعلين المذكورين لأحسن  
صنعاً ، أما نقله ما ورد في المعجمات من معانٍ ،  
وتعداد لأسماء الكواكب وأكثره من تصنيف  
المفسرين ، فلا قيمة له لافتقاره إلى سند صحيح ،  
وكان من المستحسن حذفه .

كنست النجوم كنُوساً : استمرت في  
مجاريها ثم انصرفت راجعة  
فهي كَانَسَة . ( ج )  
كُنُسٌ .

والجواري الكُنُس :  
الكواكب الخمسة : المريخ ،  
وزحل ، وعطارد ،  
والزهرة ، والمشتري ،  
لأنها تكنس كالطباء :  
تغيب وتستتر ، أو هي  
النجوم كلها ، لأنها تبدو  
ليلاً وتختفي نهاراً .

خَسَفَتْ الشمس والقمر : ذهب ضوءهما .  
 كَسَفَتْ الشمس : احتجبت وذهب ضوءها لحيلولة القمر بينها وبين الأرض .  
 في القاموس المحيط : وكسفت الشمس والقمر كسوفاً احتجباً ، كانكسفاً ، والله تعالى إياها حجبتها ، والأحسن في القمر خَسَفَ وفي الشمس كَسَفَتْ .  
 وفيه أيضاً : خَسَفَ القمر كسف ، أو كَسَفَ للشمس وخسف للقمر ...

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة : الخاء والسين والفاء أصل واحد يدل على غموض وغُور وإليه يرجع فروع الباب ... ومن الباب خسوف القمر ، وكان بعض أهل اللغة يقول : الخسوف للقمر والكسوف للشمس .

وفي المصباح المنير : خسف القمر : ذهب ضوءه أو نقص ، وهو الكسوف أيضاً ، وقال ثعلب : أجود الكلام : خسف القمر وكسفت الشمس .

مع هذه النصوص كان من المستحسن أن يأخذ المعجم الوسيط بأجود الكلام فيخص القمر بالخسوف والشمس بالكسوف ، على أن يشير إلى القول الآخر ، أما أن يقرن الشمس بالقمر في مادة [خ س ف] ويخص الكسوف بالشمس ، فهذا لا يتفق مع أجود الكلام ، حتى ولا مع ما ورد في أكثر المعجمات القديمة .

وكان من المستحسن أيضاً أن يضاف إلى ذهاب الضوء في التعريف ( نقصانه ) كما في المصباح المنير .

نجم عن التصحيف بالإهمال أو الإجمام ،  
وعن الهمز أو التلحين ، وعن تعدد الروايات  
واختلاف الالفاظ ، اضطراب وتداخل في معاني  
بعض مواد العربية ، ولم تخل أكثر المعجمات  
وأصحها من وجود هذا الاضطراب في بعض  
موادها ، ومن الأمثلة على ذلك مادة [ درأ ]  
المهموزة ومادة [ درر ] المضاعفة ، وليس كابن فارس  
في كتابه عن «مقاييس اللغة» من يعتمد عليه  
من أجل التخطيط لوضع معجم حديث يخلو من  
التداخل والاضطراب الملحوظ وجودهما في بعض  
مواد العربية الواردة في المعجمات القديمة .

قال ابن فارس في «باب الدال وما بعدها»  
في المضاعف والمطابق : «الدال والراء في  
المضاعف يدلّ على أصلين :

أحدهما تولدت شيء عن شيء ، والثاني  
اضطراب في شيء ، فالأول الدَّرُّ دَرُّ العين ...  
وأما الأصل الآخر فالدَّرِيرُ من الدواب :  
الشديد العَدُوّ السريعه ...

والدُّرُّ : كِبَارُ المُلُوءِ ، سمي بذلك  
لاضطراب يَرَى بصفائه ، كأنه ماء يضطرب ...  
والكوكب الدُّرِّيُّ : الشاقب المُنْضِي .  
نُسِبَ بالدُّرِّ ونسب إليه لياضه .

دَرَّ ... و — السِّرَاجُ :  
أضاء .

الدُّرُّ اللؤلؤ العظيم الكبير .  
الدُّرِّيُّ الكوكب المتلألئ \* الضوء .  
( وانظر : درأ ) .

[ مادة درر ]

دَرَأ ... و — الكوكب :  
أندفع في مُضِيَّتِهِ من  
الشرق إلى المغرب .  
و — تَلَأَلَأَ وتوقد .  
و — النار : أضاءت .

الدُّرِّيُّ الكوكب المنذفع في  
في مُضِيَّتِهِ من المشرق  
إلى المغرب . ( ج )  
دَرَارِيء . و —  
المتوقد المتلألئ .

[ مادة درأ ]

وقال أيضاً في مادة [ درى ] : الدال والراء والحرف المعتل والمهموز . أمّا الذي ليس بهموز فأصلان : أحدهما قَصْدُ الشيء واعتماده طلباً ، والآخر حِدَّةٌ في الشيء . وأما المهموز فأصل واحد ، وهو دفع الشيء .

... وأما المهموز قولهم دَرَأْتُ الشيء : دفعته ... ودَرَأَ فلانٌ ، إذا طَلَعَ مفاجأةً ، وهو من الباب ، كأنه انْدَرَأَ بنفسه ، أي اندفع ، ومنه دارَأْتُ فلاناً ، إذا دافَعْتَهُ ، وإذا لَيَّنْتَ الهمزة كان بمعنى الخَتَلِ والخِدَاعِ ، ويرجعُ إلى الأصل الأوّل الذي ذكرناه في دَرَيْتِ وادَرَيْتِ ...

هذا ما قاله ابن فارس في معجمه « مقاييس اللغة » ونحن اعتماداً على الأقوال المذكورة ، وعلى ما ورد في ثنايا المعجمات الأخرى ، نقترح ترتيب المادتين المذكورتين ، فيما يتعلق بالمعنى المنقول عن المعجم الوسيط ، على الشكل التالي :

في [ مادة درر ]

دَرَأَ السِّبْرَاجَ : تَلَأَلَ ضَوْؤُهُ (١) .

الدَّرَّ : كِبَارُ اللُّؤْلُؤِ (١) . والدَّرَّةُ : اللُّؤْلُؤَةُ (٢) .  
الدَّرِّيَّ : نسبة إلى الدَّرِّ في حسنه وبهائه (٣) ،  
وقد تثلث داله (٤) ، والكوكب الدَّرِّي :  
المُضِيءُ التَّلَاليءُ . (ج) دَرَّارِي (٥) .

في [ مادة درأ ]

دَرَّأَ الكوكبُ : اندفع في مُضِيَّه من الشرق  
إلى المغرب ، أو طلع متوقِّدًا (٦) .  
ودرأت النار : انتشرت أو اندفعت  
مشتعلة (٧) .

الدَّرِّيَّ : الكوكبُ المندفع في مُضِيَّه من  
المشرق إلى المغرب . (ج) دَرَّارِي .  
وقد تثلث داله (٨) .

( يتبع )

عمرنا الخليل



- (١) مقاييس اللغة : الدَّرَّ : كِبَارُ اللُّؤْلُؤِ .
- (٢) صحاح الجوهري : الدَّرَّةُ : اللُّؤْلُؤَةُ ، والجمع درر ودرات .
- (٣) التاج : كوكب دري : ثاقب مضيء منسوب إلى الدَّرِّ في صفاته وحسنه وبهائه .
- (٤) القاموس : كوكبٌ دُرِّيٌّ : مُضِيٌّ وَبِلَافِتٍ .
- (٥) الأساس : كوكبٌ دُرِّيٌّ ، وطلعت الدَّرَارِي نسبة إلى الدَّرِّ وهو كِبَارُ اللُّؤْلُؤِ
- (٦) الأساس : ومن المجاز : درأ الكوكب : طلع كأنه يدُرُّ الظلام .
- (٧) اللسان : اندرأ الحريق : انتشر ، وقال شمر : يقال درأت النار إذا أضأت .
- (٨) اللسان : كوكب دُرِّيٌّ : مندفع في مُضِيَّه ... قال أبو عبيد : إن ضمت الدال يكون منسوباً إلى الدَّرِّ ، ولم يتهزه ... وقال النحويون : دُرِّيٌّ بالكسر والهمز ... وحكى الأخفش عن بعضهم : دَرِّيٌّ ... وهرزها وجعلها علي فبيل مفدوحة الأول .



# تعليق على مقال

## الألفاظ المشتركة في العاميتين : المصرية والمغربية

« اللسان العربي » مجلة قيمة ، يصدرها في الرباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، التابع « لجامعة الدول العربية » .  
وهي من المجلات التي تشتد الحاجة إلى مثلها : ففيها بحوث مفيدة ، تعود بالنفع على العرب والعربية .

ومن هذه البحوث ، مقال نشرته هذه المجلة في جزئها الثاني الصادر في شهر رمضان سنة ١٣٨٤ = يناير ( كانون الثاني ) من سنة ١٩٦٥ للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، من أساتذة كلية الآداب في الرباط ، أورد فيه طائفة من الألفاظ قل إنها من « الألفاظ المشتركة في العاميتين المصرية والمغربية » .

وقد أراد الأستاذ أن يجعل مقاله هذا : « امتداداً للدراسة حول التمهيد لإبراز مظاهر الوحدة بين اللهجات العربية من أجل العمل على تصحيحها » . وهو عمل مشكور ( فتفصيح )<sup>(١)</sup> اللهجات ، أو بعبارة أصح ، تصحيحها ، وذلك برّد الألفاظ العامية إلى أصلها الفصح - إذا كان لها فيه من أصل -

---

(١) فتح الأب : بالتضيق : ذمبت رغوته ، فعل لازم لا متعدي . وقد يكون التوسع في بعض هذه الأوزان ضرورياً إذا اقتضته الضرورات على أن نقره المجامع اللغوية فلا يكون من عمل الأفراد .

أو إيجاد ما يعني عنها من لفظ صحيح ، هو أكثر ما نحتاج إليه في تقريب مسافة الخلف بين الفصحى والعامية ، إلى أن يُقضى على هذه العامية ، أو يخف ضررها ، بتضييق مدى استعمالها في مفرداتها وفي تراكيبها .

على أن الذي يؤخذ على الأستاذ ، أن بحثه يوم ظاهره ، أن ثمة لغة عامية خاصة يستقل بها القطران الشقيقان : مصر والمغرب ، دون سائر الأقطار العربية . على أن الأمر ليس كذلك ، فالألفاظ التي ذكرها الأستاذ وخصها بعامية القطرين ، فيها :

١ — الصحيح الفصحى ، الذي لا يعد من العامية ، بل هو مما دوتته دواوين اللغة واستعمله الفصحاء في كل قطر عربي منذ قرون .

٢ — من هذه الألفاظ ما لا يجوز أن يعد في العامية ، لأنه صحيح ، أخطأت العامة في لفظه بتسهيل حرف من حروفه ، أو إبدال حرف منه بحرف آخر ، أو بتقديم أو تأخير في بعض الحروف .

٣ — ألفاظ عربية المادة ، خرجتها العامة في صيغة لم تسمع عن العرب ولا دوتها معاجهم .

٤ — ألفاظ حاكوا بها الأصوات .

٥ — ألفاظ أو كنى استعاروها للدلالة على معان خاصة .

٦ — ومن هذه الألفاظ العامية ، سواء أكان عربياً في أصله أم دخيلاً ، ما هو من الألفاظ المشتركة العامة التي تستعمله عامة كل قطر عربي ، لا عامة مصر والمغرب وحدهما .

١ — فمن الطائفة الأولى : الألفاظ الفصيحة التي عدها الأستاذ من  
عامية القطرين :

- افتضح (١) — انفضح — أيس (٢) — الباع (٣) — البيّاع (٤) —  
بصبص (٥) — بطّال (٦) — بعيد — براني (٧) — جواني (٧) — تأفف (٨) .  
البعيد (٩) — تنهد (١٠) — تفرشخ (١١) — الحجاب (١٢) — الحرز (١٢) —

- (١) افتضح الأسر ، لغة ، اشهر ، والرجل تكشفت مساوئه وانفضح ، مطاوع فضح .  
وهي صيغة تكاد تكون قياسية . وقد عممتها العامة وأقامتها مقام المبني للجهول .  
(٢) أيس بمعنى بئس زنةً ومعنى .  
(٣) الباع : مسافة بين الكمين ، إذا انبسط الدراعان : بيناً وثملاً . هذا على  
الحقيقة . وعلى المجاز يقال : فلان طويل الباع في كذا . أي بلغ الداية منها .  
مستعملة بمعنىاً : الحقيقى والمجازي ، في الفصحى والعامية .  
(٤) الباع : مبالغة اسم الفاعل ، وهو الكثير البيع .  
(٥) بصيص الكلب : حرك ذنبه .  
(٦) البطال : التمثل عن العمل .  
(٧) في حديث سلمان : ان لكل امرئ جوانياً وبرائياً : فن أصبح جوانياًه ،  
أصبح الله برائيه . قال ابن الأثير : أى باطناً وظاهراً ، سرّاً وعلاية .  
(٨) تأفف : قال : أف . والأفّ الوسخ حوالى الظفر . وقيل انه وسخ الأذن .  
يقال ذلك عند استفئار الشيء ، ومن كرب أو ضجر أو ألم .  
(٩) البعيد : بمعنى الأجنبي : فصيغة عالية ، قديمة حديثة ، ضد القريب بمعنىها .  
قال هنري بن أحر الكناى وقيل هو لزرافة الباهلي :  
هل في القضية أن إذا استغنيت وأمنت فأنا البعيد الأجيب  
وإذا كنتائب في الشدائد مرة حفرتكم فأنا الحبيب الأقرب  
(١٠) تنهد : تنفس الصعداء ، أخرج نفسه حزناً أو ألماً .  
(١١) تفرشخ وفرشخ أو فرشخ : باعد ما بين رجله .  
(١٢) الحجاب والحرز : لغة وعده العامة ، ما حجبك أو أحرزك . وهما التعويد والمودة .

حط (١) — الحُرقة (٢) — الحفا (٣) — خربش (٤) — خَلَّى (٥) —  
الخواء (٦) — دندن (٧) — الرزمة (٨) — الزرية (٩) — الحوائج (١٠) .

(١) حط الشيء : وضعه . وكل ما أثقله عن ظهره ، أو غيره : فقد حططته .  
وفي الدعاء حط الله عنه وزره .

(٢) الحُرقة : بالضم والفتح : الحرارة . يقال في جوفه حرقة .

(٣) الحفا : المقي بلا خف .

(٤) خربش الكتاب : أنسه .

(٥) خلى مكانه : تركه .

(٦) الخواء بالذ وبالتسهيل : خلو الجوف من الطعام .

(٧) دندن : كأنه يشكر ولا يفهم منه كلام .

(٨) الرزمة بالكسر : ما شد في ثوب واحد .

(٩) الزرية : حظيرة المواشي .

(١٠) الحوائج ، التي عددها الأستاذ من عامية مصر والمغرب ، لفظة صحيحة نصيحة ،  
وإن قام حولها جدل في ما غبر من الزمن . ولا بأس أن نحكي حكايتها ، ونحن  
في الحديث عن العامي والفصيح .

في لسان العرب : « جمع الحاجة : حاج وحاجات وحوائج . والأخيرة على  
غير القياس ، كأنهم جمعوا حائجة . وكان الأسمي ينكره ويقول : هو مؤنث .  
قال الجوهري وإنما أنكره لخروجه ، عن القياس ، وإلا فهو كثير في كلام  
العرب ، ويؤيد :

نزار المرء أمثل حين تنقضى حوائجه من الليل الطويل

قال ابن بري : والتعويون يزعمون أنه جمع لواحد لم ينطق به ، وهو حائجة .  
قال وذكر بعضهم : أنه سمع حائجة لغة في الحاجة ، وأما قوله إنه مؤنث ،  
فانه خطأ منه ، لأنه قد جاء ذلك في حديث سيدنا الرسول ( ﷺ ) وفي أشعار  
العرب الفصحاء .

فما جاء في الحديث ، ما روي عن ابن عمر : أن رسول الله ( ﷺ ) قال :  
« إن لله عبداً خلقهم لحوائج الناس ، يفزع الناس إليهم في حوائجهم » ؛ وفي  
الحديث أيضاً أنه ( ﷺ ) قال : « اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه » ؛ وقال :  
« استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها » .

الشِّكَاكُ (١) — شِكْمٌ (٢) — الفُتُوحُ (٣) — الهمَجُ (٤) .

— وما جاء في أشعار الفصحاء قول أبي سلمة المخاربي :  
 ثَمَّتْ حَوَائِجِي وَوَذَاتُ رِبْشَرٍ فَبِشْ مُعْرِسُ الرِّكْبِ الدِّغَابِ  
 ثَمَّتْ : أَصْلَحَتْ . وَذَا : زَجَرَ . الدِّغَابُ : الْجِياعُ .  
 وقال الشَّامِي :  
 تَقَطَّعُ بَيْنَنَا الْحَاجَاتُ إِلَّا حَوَائِجُ يَتَسَفَّنُ مَعَ الْجُرِيِّ  
 وقال الأَعْمَى :  
 وَالنَّاسُ حَوْلَ قَبَابِهِ أَهْلُ الْحَوَائِجِ وَالْمَسَائِلِ  
 وقال الفَرَزْدَقُ :  
 وَلِي فِي بِلَادِ السَّنَدِ عِنْدَ أَمِيرِهَا حَوَائِجُ جَاءَتْ وَعَنْدِي نَوَائِهَا  
 ثم يقول ابن بري :

وكنْتُ مُسْتَلْتٌ عَنْ قَوْلِ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَرِيرِيِّ فِي كِتَابِهِ « دُرَّةُ النَّوَاسِ » أَنَّ أَقْفَلَ « حَوَائِجِ » مِمَّا تَوَعَّاهُمْ فِي اسْتِعْمَالِهَا الْحَوَاسِ . وَانَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَاهِدًا عَلَى تَصْحِيحِ لَفْظَةِ « حَوَائِجِ » إِلَّا بَيِّنًا وَاحِدًا لِبَدِيعِ الزَّمَانِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَقَدْ غَلَطَ فِيهِ . وَهُوَ قَوْلُهُ :

فَيَا بْنَ بَيْتِ الْفَنَكَبُوتِ وَجَوْسَقِ رَفِيعٍ إِذَا لَمْ تُفَضِّ فِيهِ الْحَوَائِجِ  
 إِلَى أَنْ يَقُولَ : « فَأَكْثَرْتُ الْإِسْتِشْهَادَ بِشَعْرِ الْعَرَبِ وَالْحَدِيثِ » ، ( وَيُسْتَشْهَدُ بِسِتَّةِ آيَاتٍ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَرَدَتْ فِيهَا حَوَائِجٌ ) .

(١) الشِّكَاكُ : الْقَبْدُ — الْعِفَالُ وَفِي الْحَيْلِ : أَنْ تَكُونَ ثَلَاثَ قَوَائِمٍ مِنْهُ مَحْجَلَةٌ ، وَالْوَاحِدَةُ مَطْلُوعَةٌ ، عَرَبِيَّةٌ ، أَصِيلَةٌ ، يَعْرِفُهَا كُلُّ مَنْ عَرَفَ الْحَيْلَ ، اقْتِنَاءً أَوْ سَمَاعًا . وَلَا أُدْرِي مَنْ أَيْنَ جَاءَ لَهَا الْأَسْتَاذُ بِالنِّسْبِ الْفَارِسِيِّ ، إِذْ قَالَ لَهَا فَارِسِيَّةٌ .  
 (٢) شِكْمُهُ يَشْكُمُهُ : وَضَعُ الشَّكِيمَةِ فِي فِيهِ . وَالشَّكِيمَةُ مِنَ الْأَجَامِ : الْحَدِيدَةُ الْمُعْتَرِضَةُ فِي الْعَمَلِ : عَرَبِيَّةٌ ، عَرَفَهَا الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ .

(٣) الْفُتُوحُ : جَمْعُ فَتْحٍ — وَهُوَ الذَّعْرُ ، وَالْإِسْزِيلَاءُ عَلَى بَلَدٍ قَهْرًا . وَلَيْسَتْ تَسْمِيَةُ بَابٍ فِي مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ بِـ « بَابِ الْفُتُوحِ » بِمُخْرَجِ الْكَلِمَةِ عَنْ فَصَاحَتِهَا ، دَعَا أَنْ تُخَسَّسَ بِعَامِيَةِ الْفَطْرَيْنِ . وَفِي غَيْرِهَا مَوَاضِعُ تُعْرَفُ بِـ « الْفُتُوحِ » مِنْ ذَلِكَ « مَقَاطِعُ » فِي قِضَاءِ كَسْرَوَانَ مِنْ أَعْمَالِ لُبْنَانَ .

(٤) الهمَجُ : الرَّعَاجُ مِنَ النَّاسِ — وَقِيلَ : هُمُ الَّهْمَلُ لَا لِظَامِ لَهُمْ .

فهذه وألوف من أمثالها لا يخرجها من الفصح الصحيح ، استعمال العامة لها ، وإلاّ عدّ عامياً كل ما تنطق به العامة ، وهو بمجموعه الأكبر من قح العربية ولباها . وليس العامي في جانبه إلاّ كالوشل من « القواميس » و « المحيطات » .

٢ — ومن الطائفة الثانية : كلمات صحيحات فصيحات عدّها الأستاذ من عامية القطرين خطأ العامة ، وبعض الخاصة في لفظها . وذلك بتحويل حرف إلى حرف آخر ، أو لتقديم أو تأخير في بعض حروفها ، من ذلك :  
أور عينه (١) — انسراً (٢) — زعاً (٣) — زلاً (٤) — ألدغ (٥) — زعلوك (٦) — زفر (٧) — السبوع (٨) — سك (٩) « الباب » —

(١) أور عينه = صحيحها فور بالغاغ .

(٢) انسراً = هي السرقة . يقال سرقت فلان من القوم ، إذا سلب . وعلى التخصيص إذا خذّس ليذهب . ومعنى خنس : تأخر ، وتنجى ، وتوارى ، واستخفى . فانظر إلى ما في هذه اللفظة ( السرقة ) من دقة في التعبير . وهي في اللفظ عند من يحسن النطق بالغاغ المفاغلة ، وبمناها في الفصحى وفي العامية .

(٣) زعاً : هي زعق : صاح صيحة مفرقة . فصيحة عامية .

(٤) زلاً : هي زلى : زلت به القدم أي زلت .

(٥) ألدغ . هو الألدغ : وهو من تحول لسانه من حرف إلى حرف .

(٦) الزعلوك هو الصلوك .

(٧) زفر صوايها بالذال .

(٨) السبوع هو الأسبوع .

(٩) سك الباب صوايها سك الباب بالصاد .

دهست (١) السيارة — بتاع (٢) — غرغرت (٣) عينه — جام (٤) —  
البصوص (٥) — بحلق (٦) .

ويقرب من ذلك : أيش (٧) — وأيمتى (٨) . فهذه أيضاً ومثات من  
أمثالها لا ينزلها خطأ في لفظها ، عن الفصحى إلى العامية .

٣ — الطائفة الثالثة : الألفاظ التي مادتها الأصلية عربية ، إلا أن  
العامية خرجتها — قياساً على غيرها — على صيغة لم تسمع عن العرب ،  
ولا ورد نص عليها . من ذلك :

تعبان : قاسوها على جوعان وظمان وشبعان وملآن وعريان .

والعرب لم تقل « تعبان » بل قالت تعب .

ومثلها : عيَّان للمريض ، والعيَّان هو الكال والماجز ، والصلة بين  
المريض ، وبين الكال والماجز صلة قريبة .

وكذلك قالوا : « مرضان » من مرض و « هلكان » من هلك ،

و « خفتان » وهو من اشتد جوعه « من خفت » ومناها سكن ومات  
فهذه ألفاظ عربية الأصل ، ولكنه لم يرد نص عليها .

(١) دمس صبيحها رمس (بالراء) — وركس المي : وركه وطأً شديداً .

(٢) بتاع المصرية ، هي متاع الشامية بقلب الميم باء . أو هي من مبتاع أي مشتري ،  
من ابتاع الشيء : اشتراه .

(٣) غرغرت صوايا غرغرت . وفي اللسان : وتفرغرت عينا ترذد فيها الدم .

(٤) جام صوايا زاحم .

(٥) البصوص صوايا المصومر .

(٦) بحلق فابت عن حلق . وفي اللسان : وحلق اليه نظر نظراً شديداً .

(٧) أيش منجوتة من أي شيء ، وهي فدية الاستعمال مسمعت في القرن الرابع من الهجرة .

(٨) أيمتى صوايا متى . ولا حاجة لإدخال أي عليها .

٤ — الطائفة الرابعة : الألفاظ التي حكوا فيها الأصوات جرياً على ما جرى عليه العرب من قبل . فقالوا :

ههب الكلب — بعبع الجمل — أو الرجل : إذا تكلم بصوت غليظ يخرج من حلقومه ، وبعبع لغة حكاية بعض الأصوات ، وخصبها بعضهم بصوت الماء إذا خرج من إنائه متتابعاً ، إلا أن العامة خصتها بما تقدم شرحه .

٥ — الطائفة الخامسة : ألفاظ أو تراكيب عربية استعاروها للدلالة على معان خاصة ليست لها في الأصل .

من ذلك : أبو علي . قال الأستاذ عبد العزيز : « أبو علي الرجل اللطيف الكريم في لغة مصر . وأبو غلال في المغرب كناية عن الفقر المدقع » . ولست أدري إذا كان جائزاً أن يكون « أبو علي » المصرية و « أبو غلال » المغربية كنية واحدة ؟ على أن « أبو علي » تطلق في كثير من الأقطار العربية على الرجل الشجاع . أو من يدعي الشجاعة وليس منها فيقولون : « عامل حاله أبو علي » . وهي في مصر — على ما قال لي بعض أساتذتها — تستعمل هذا الاستعمال .

برمكي : قال الأستاذ « إنها تطلق في مصر على الرجل فاقد الفيرة . وإنها في المغرب تطلق على الكريم » .

نقول : وكذلك هي في سائر الأقطار العربية ، تطلق على الرجل الكريم جداً . يقال هذا « برمكي » أي بلغ من الكرم نهايته . وقيل إن هذه اللفظة معروفة أيضاً بمصر مستعملة لهذا المعنى .

بغل : قال الأستاذ « يقال فلان بغل أي غبي . وكذلك هي — في ما نعرف من الأقطار العربية — تستعمل للقدم الغليظ » .



الجميدي : قال الأستاذ « الجَعْد من الرجال : المجتمع المتداخل المدمج » .  
 نقول : نعم ! هذا معنى « الجعد » لغةً . أما الجميدي اللفظة التي قال  
 الأستاذ إنها تطلق بمصر على من مكلّ ذوقه وكياسته وفي المغرب على الضعيف  
 البنية كأن أعضاء جسمه تندمج بعضها في بعض ، فهي في مصر تطلق على  
 ما جاء في الوسيط - وهو معجم مصري - على الرجل التافه لا غناء عنده .  
 والجميدي عندنا تطلق على من اشتد بخله حتى بلغ اللؤم .

٦ - الطائفة السادسة : الألفاظ الدخيلة على العربية ، ولكنها لا تخص  
 القطرين ، مصر والمغرب ، بل هي شائعة في كل قطر عربي فما ذكره الأستاذ :  
 البواز - البابوج ( بالجم ) أو البابوش ( بالشين ) - البنديرة ( للعلم ) -  
 السند ( لما يشبه الخيمة ) - الجوخ ، والشيت ، وهما نوعان من القماش -  
 الخُوْجِه - أو الخواجه ( للشيخ أو المعلم أو السيد ) - التمنّة للطابع  
 وبعضهم يلفظها بالدال ( دمنّة ) ذهباً منهم إلى أنها عربية من « دمع » -  
 السطل - الطربوش - الوردان ( بمعنى الناظر أو الحافظ ) .

ومما يدعو إلى الاغتراب أن كثيراً من هذه الألفاظ قد أُبدل بها ألفاظ  
 عربية . إلا ما كان متأسلاً من قبل .  
 فلا يقول أحد اليوم « البنديرة » ولا « التمنّة » ولا « الوردان »  
 ولا الكوبانية ( الشركة ) فهذه وأمثالها أكثر ، أميت وأهمل ، أو في طريقه  
 إلى الإماتة والإهمال .

وثمة أمر لا بد من الإشارة إليه ، وهو أنه يقع أن يستعمل قطران  
 كلمتين مختلفتين لمعنى واحد وتكون كل منهما فصيحة صحيحة إلا أن هذا القطر  
 اختار لفظة غير اللفظة التي اختارها القطر الآخر .

فالرَنَفَة مثلاً ، لفظة عربية فصيحة ، لا يستعملها إلا المغرب . وتكاد تجهلها حتى الخاصة في سائر الأقطار العربية .

وبعد فإني ما أردت بهذا التعليق إلا التنويه بفضل الأستاذ عبد العزيز أولاً ، ثم لفت نظره إلى أننا نحن العرب أمة واحدة حتى لغتنا العامية تكاد تكون واحدة في كل قطر ، وأن ما يظهر من الصعوبة في بعض الأحيان مرده إلى التلفظ بالكلمة ، وإلى الأسلوب في النطق أكثر مما هو في الكلمة نفسها .

وأما الأمثال فهي واحدة في الغالب ، إذا اختلف بعضها في القليل من بعض كلماتها ، فلمعنى واحد ، واللفظ يكاد يكون واحداً .

لغة واحدة ، وأمة واحدة ، في شعوب مختلفة متفرقة ! ...

عارف السكري



# الشرف الأنصاري

## شعره ومذهبه الفني

نستطيع أن نتبين في شعره أغراضاً رئيسية ثلاثة هي : مدح وأحداث ، ونسيب وغزل ، ومطارحات وألغاز . ويقتضي منا هذا دراستها لنبين من خلالها مذهب الشاعر الفني ومكانته بصفة كونه كبيراً لشعراء عصره في مذهب التوزية والانسجام .

## مدح وأحداث

في ديوان الشاعر قصائد نبوية متعددة ، مدح بها الرسول الكريم ﷺ ، وجرى فيها على سنة من سبقه من الشعراء . أشار قطب الدين اليونيني إلى نبوية غير موجودة في الديوان ، وذكر أنها أول مدحة قالها فيه ، وأنشدها في حجرات النبوة الشريفة سنة ٦١٩ هـ ، وأورد ما قدمه الشاعر في طرتها ، وهو قوله : « مدحه العبد الضعيف عن حسن تدييره ، القوي في سوء تقصيره ، المستوحش من انفراد بدنبه ، المستأنس إلى شفاعته نبيه المشفوعة برحمته ربه ، عبد العزيز بن محمد الأنصاري ، جعل الله عليه جائزته ، مواصلة صالح العمل ، ومقاطعة كاتب الأمل ، والغني عن الضراعة بالقناعة ، والتوفيق لتلقي أوامره بالسمع والطاعة ، وأجلها استقامته على السراط المستقيم ، وإقامته في جنان النعيم المقيم وإدخاله برحمته في عباد الصالحين ، اللهم آمين » (١) .

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٢٤ .

انتقد الشاعر في النبوة المذكورة صرف الشعراء مدحهم إلى الملوك طمعاً بالإثابة والعطاء ، وطلب منهم أن يوجهوه في غير هذا السبيل المادي :  
 يا ناظم الدر الثمين ومهدي الذ <sup>ظلم</sup> الرصين لفاضل ومفضل  
 جانب مخادعة الملوك عن الله <sup>فإنما</sup> يذهب والخصاصة تنجلي (١)  
 كانت هذه النظرة المثالية في نفس الشاعر يوم كان في ريق صباه وريعان شبابه ، لكنه لم يصرف مديحه عن مخادعة الملوك كما ينصح غيره ، فلقد مدح بعضهم ، وخص بشعره منهم من رآه أهلاً له ، لا طمعاً في جاهه ، ولا سعيّاً وراء زخارف الدنيا ، وهو الذي كانت الملوك تراسله وتخطب وده . نذكر منهم الملك الناصر الذي كان يسكاته ، ويضمن كتابه شعراً يمدحه به ، ويخطه بيده فقط دون سائر الرسالة ، وقد حدث أن احتجب الناصر مرة لأمر يهيمه ، فعاتبه بقوله :

يا ملكاً تخضع الملوك له      إن غابَ عن دارها وإن حضرا  
 قد حسدت عيني الفؤادَ على      قربك حتى أطالت السهرا  
 ولست أَرْضَى لعدل مجدك أنْ      يعطي نضاراً وينعَ النظر (٢)

توجد في الديوان مدح ناصرية كثيرة ، نذكر منها هذه المدحة التي تفتن الشاعر فيها ، فذكر نعوت المدح المعروفة من جود وحلم وبأس :

بك افتخر الأملاك من آل أيوب      وعندك نالوا في العلى كل مطلوب  
 كفتيمُ الأحداثِ طفلاً ويافعاً      تبعد عدواً أو تجود بموهوب  
 فكم ملك جبار سلبته بحفلة      يومسّع بالإقدام ضنك الأساليب  
 ودهياء في يوم عصيب أدرتها      على رأس ملك فيه بالنتاج معصوب

(١) البونيني : ذيل سرة الزمان (مخطوط) ، و ١٢٤ .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان العرف الأنصاري ، ل ٣٧ .

برزت لنا يا يوسف بن محمد  
 جهاد إلى أهل المحارب محسن  
 تجول الأماني والمنايا فنتهي  
 وما عرفت تلك الأعاجم ذلة  
 جلالة ملك في جمال نبوة  
 لك الله من ملك كريم مؤيد  
 نظمت الدراري فيك لا الدرمدحة  
 وأرسلت مكتوبي إليك مسلماً  
 فخلنا ابن أيوب بدا وابن يعقوب  
 وحسن به تسبي الله في المحارب  
 إلى أمره في كل بشر وتقطيب  
 لغيرك مذ حلت بلاد الأعارب  
 لأزهر مرجو العواطف موهوب  
 من الله محبو النهاية مرهوب  
 لأنك بحر زاخر بالأعاجيب  
 وبالرغم مني أن بعثت بمكتوبي (١)

قصر شرف الدين جل مدحه على الملوك الأيوبيين الذين عاصروهم ، فهم  
 في نظره أعلى ملوك الأرض مقداراً ، وقد أشار إلى هذا المعنى في مدح  
 الملك الأبعد :

أعلى ملوك بني أيوب منزلة وهم أجل ملوك الأرض مقدارا  
 شهيم الجنان إذا احمر القنادل فوا يدعون منه على الأعداء سواراً (٢)

كان الشاعر في معظم الأحيان ينظم في المناسبات الخاصة كالتهنئة بدخول  
 السنة الهجرية ، أو بحلول شهر رجب ، أو رمضان ، أو أحد العيدين ،  
 أو بالعافية والشفاء من مرض ، أو بمولود ، أو بالعودة من غزاة (٣) .

وكان أثيراً لدى الملوك الأيوبيين الذين مدحهم ، حتى إنه كان ينشد الملك  
 المظفر بعض مدحه وهما راكبان في النوكب الملسي (٤) .

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأصاري ، ل ٧ .

(٢) المصدر السابق ل ، ٣١ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٢١ ، ٤ ، ١٥ ، ٣٦ ، ١١ ، ٢٤ ، ٢٣ .

(٤) المصدر السابق ، ل ٣٠ . م (٧)

ونراه في مدحه يصف حياتهم في حريمهم وسلمهم ، نذكر من ذلك  
القصيدة التي مدح بها الملك المنصور ، ووصف ما يعانيه في الصيد  
رياضةً وهوأ :

أكلت كل المناقب يا خير ماش وراكب  
تسابق الوحش حتى تحاله كالجنائب  
وكم ضربت عليها من حلقة بالمناقب  
جلبت فيها صنوف ال أزداد يا خير جالب  
ومن وعول تباري غزلائها والأرانب  
يا من نخاف وترجي منه السطا والرغائب  
لك الصفات اللواتي لم يحصها عد حاسب  
كملت مذ كنت طفلاً وزدت بعد التجارب  
حتى قهرت الأعادي بشأنا غير هائب  
وارتحت للصيد لهواً إذ لم تجد من تحارب<sup>(١)</sup>

كما كان الشاعر يضمن مدحه وصف الأحداث الكبرى ، فينوه بذكر  
انتصارات المسلمين على التتار في الوقائع الهامة التي حدثت في هذا العصر .  
نذكر من ذلك مثلاً قصيدته التي مدح بها الملك المنصور . وقد أشار فيها  
إلى معركة عين جالوت المشهورة ، وجاء فيها قوله :

لك العلا أعت البارينا تفرع منها الأبكار والعونا  
يا ملكاً لم تزل عزائمته تكف عنا الأذى وتكفيها  
أنت المليك المنصور أشرف من فاق البرايا عزاً وتمكيناً  
بعين جالوت خضت بحر وعي نخال فلماً بالأسد مشحوناً

وكنـت للجيش غرة شـدتْ  
أخذتْ ثأر الإمام إذ فتكوا  
أنوفهم فأنشوا مهابينا  
به وصالوا عليه عادينا  
أذكـرتهم ما صنعت قبلهم  
بكـتبنا فأنشوا مولانا  
وما نجا منهم سوى خبر  
أسكن قازان خبره الصينا  
يا ناصر الدين يا محمد ما  
أولى بحمد من ينصر الدينا  
تهنّ ما شئت من مدائحنا  
كما لنا من نداءك ماشينا (١)

نخلص مما تقدم معنا من مدحه لنقول إنها كانت تمثل الحياة السياسية في هذا العصر ، وكان كما يظهر يؤيد سياسة ملوكه ، ويقرم على ما يراه أنه الحق ، وفي إحدى مدحه المظفرية ذكر نصرته للملك الصالح (٢) ، وفي مدحة أجدية هنا الملك الأجدد بقدمه عندما عاد الملك المعظم وشي (٣) ، يضاف إلى ذلك أن مدحه تضمنت كما رأينا وصف الأحداث الكبرى وبخاصة منها الحروب المريرة ضد التتار ، ولا نعرف بين شعراء العصر من عبر عنها مثله . كما لاحظنا في بعض مدحه أنه كان يعرض عن ذكر النسيب (٤) ، وفي بعضها الآخر كان يطيل نفسه فيها .

### نسيب وغزل

أعجب الأقدمون بالركة المتناهية في شعره ، وبخاصة منه مطالع النسيب وقصائد الغزل ومقطعاته الغنائية ، فهو ينهج من معانيه بشكل عام نهج غيره ، بيد أنه لا يقتصر على اقتباس المعاني الشائعة منها ، وإنما كان يتكر ويجدد

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٨٢ .

(٢) المصدر السابق ، ل ٦ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٤ .

(٤) المصدر السابق ، ل ٤ .

في بعضها الآخر وبخاصة منها ما يتعلق بتصنع الثورية مذهب العصر في الشام ومصر على السواء .

تحدث عن خيال وجنة الحبيب ، وعقارب الأصداغ وليل الشعر ...  
كا وصف ذلة العاشق وبكائه ، وصدود الحبيب وإعراضه ، وتنجي الرقيب  
الحب . ولوم العاذل والكاشح والرقيب .

لاحظ ابن حجة هذه الطريقة التي تفرّد بها في شعر الغزل والنسيب ،  
فأعجب به لسلوكه هذه الطريقة الغرامية التي اعتبرها جرياً على سنة البلاغين  
في التنويع مظهراً جديداً مبتكراً في البديع ، وقد أشار إليها في معرض  
حديثه عن الانسجام ، فعرّفه تعريفاً واحداً بقوله : « المراد من الانسجام  
أن يأتي خلوه من العقادة كالانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه  
وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقّةً ، ولعمري إن طيور القلوب ما برحت على  
أفنان هذا النوع واقفة ، وبحاسنه الغضة بين الأوراق ساجمة . وأهل  
الطريق الغرامية هم بدور مطالعه وسكان مرابعه : فإنهم ما أثقلوا كاهل  
سهولته بنوع من أنواع البديع ، اللهم إلا أن يأتي في ضمن السهولة من  
غير قصد . وغالب شعر الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري ماثراً  
على هذا التقرير (١) » .

اعتنق الشاعر في طريقته الغرامية غزلها ونسيبها مذهب الانسجام في  
معظم شعره ، وتجلت عبقريته في هيكل القصيدة العام ، وفي أبياتها التي  
تكاد تذوب رقّة ، وتنطق بخفة الوزن وحلاوة الجرس الموسيقي ، فقد كان  
يحاول دوماً أو يختار لها البحر المجزوء والثقافية الراقصة التي لا تنسجم مع  
ما عرف به من سمّ ووقار في حياته الرسمية . يظهر أنه كان يشعر بذنبه  
في استرساله متغزلاً ، لكن شيطان شعره يطغى عليه ويندم حين لا ينفع



الندم ؛ وحين يجد أمامه قصيدة جميلة ، يعز عليه أن يقذف بها في زوايا الإهمال ، ويعزیه الشفاعة وخلصه في يوم بئمه ، كما في القصيدة الغزلية التي نظمها على وزن قصيدة للقاضي الفاضل :

|                           |                              |
|---------------------------|------------------------------|
| لعمري كل يوم منه عبْرَةٌ  | تصيرني لأهل العشق عبْرَةً    |
| فمسجد جفنها لا نقص فيه    | وكم جهزت منه جيشٌ عبْرَةً    |
| إذا غفل الوشاة أسلت دمعِي | فيخدو مرسلًا في وقت فترَةٍ   |
| علامة شقوتي في الحب أني   | ثقلت عليك لا عن طول عبْرَةٍ  |
| فوتر الوصل لم يشفع بشأني  | وهجرك مرة في إثر مرة         |
| وجفنتك أكحل من غير كحل    | وخدك أحمر من غير حمرة        |
| وصبري فيك ليس له وجود     | ووجدني منك لا أحصيه كثرة     |
| سألزم باب خمار الثنايا    | ليطلق لي ولو في العمر سكرة   |
| وقدماً كنت مستوراً إلى أن | لبست من الخلاعة ثوب شهرة     |
| أطعت غوايتي وعصيت رشد الـ | مناصح كره من بعد كره         |
| وما تنق من الأدناس نقبي   | ولو غُسلت بصابون المعرة      |
| وأعجب حادثات الدهر أني    | أحاول طاعة فتعود حسرة        |
| وأطعم في خلاصي يوم بعثي   | وما أخلصت في مثقال ذرَّة (١) |

جمعت هذه القصيدة الغزلية بين سحر المعاني وجمال الأسلوب : فأما في المعاني فقد رأيناها تتحدث عن العبرات والوصال والمجران وصور محاسن الحبيب وخلص إلى التحدث عن ضلاله في هواه ، ولزومه باب خمار ثناياه ، ورجائه في الخلاص يوم النشور . وأما في أسلوبه فقد أخذ من البديع محاسنه ، وجمع فيه من التورية والانسجام أوفر نصيب ، وطبع كل ذلك بطابعه الخاص ، ورمز في أسلوب التورية إلى جيش العسرة ، والمرسل في غير فترة ، وباب خمار الثنايا ، وصابون المعرة . . .

وما دام قد أضله شيطان هواه ، وطرق باب الحمار ، فلنستمع إليه يحدثنا  
عن جارته ربة الخالين التي حوت حسن البداوة وجمال الحضارة وذلك في  
مطلع نسيب مدحة مظفرية أنشده إياها وهما راكبان في الموكب الملوكي :

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| لنا من ربة الخالين جاره    | تواصل تارة وتصد تارة       |
| تؤانسني وتنفر من قريب      | وتنفر ثم تقبل في الحاراه   |
| وتمنفني بما يحلي سلوتي     | ولكن ليس في جوفي مرارة     |
| وما لي في الغرام بها شبيه  | وليس لها نظير في النضارة   |
| وفي الوصفين من كحل وكحل    | حوت حسن البداوة والحضارة   |
| وقتل العمد قد قتلته علماً  | وما وصلت إلى باب الإجاره   |
| وقالوا: قد خسرت الروح فيها | فقلت: الريح في تلك الخسارة |
| بأيسر نظرة أسرت فؤادي      | كما نشأ اللبيب من الشرارة  |
| أطارت شمل حسن الصبر عني    | بأحسن شملة من فوق طاره     |
| شمرت إزارها عنها فصدمت     | فقلت: تقدمي ودعي الشماره   |
| أدرت على مؤزرها عنائي      | فبت ومعصمي للبدر داره      |
| إذا استسقى بريقها نديم     | أزالت خمرها عنه خماره (١)  |

نرى في المدحة المذكورة هذا المطلع الغزلي الرقيق ، فهو يحاول أن  
ينسج خيوط قصته مع جارته الحسناء ، وقل أن يجاريه فيها شعراء الغزل  
المشهورون ، إذ نلاحظ أنه ينحو فيه منحى مادياً محضاً بأسلوبه الرشيق  
الشيقي ، بما فيه من انسجام بدعي وتورية جميلة ،

تلك هي قصة جارته المتخيلة في معرض النسب ، بيد أن للشاعر قصة  
حقيقية عن جارية بما ملكت أيمانه ، وقد خلدها في شعره من خلال  
قصيدتين ، وكانت النهاية فاجئة أليمة في حياة الشاعر ، لم يظن أحد لها

من عصره ، لكننا قرأنا قصتها في تضاعيف شعره : أما القصيدة الأولى فقد روى لنا فيها قصة الجارية الحسناء التي عشقها ، وجاء فيها قوله :

|                          |                                       |
|--------------------------|---------------------------------------|
| سروري بساقية جارية       | ووجدني بجارية ساقية                   |
| أهز بهاتيك عطف القريض    | ليثني على هذه الثانية                 |
| سبتني كاسية بالجمال      | فروحي عندي لها عارية                  |
| على الجسم حاكمة بالضنا   | وفي القلب آمرة ناهية                  |
| تراني إذا لم أزر بيتها   | كأنني بيت بلا قافية                   |
| تواصلني فأحوز المنى      | وأجلس في الدست والحاشية               |
| وتنأى فأجلس في مسجدي     | وحيداً وأثف بالبارية                  |
| ولما شكوت إليها الجوى    | وعته لها أذن واعية                    |
| فقلت : بعيني هذا السقام  | فقلت : على عينك الواقية               |
| أضاحكة السن لو زرتني     | عجبت لمقتلي الباكية                   |
| وإني ، وإن قال مني الأذى | معافى إذا كنت في عافية <sup>(١)</sup> |

نبضات جديدة من الغزل الرقيق سكب الشاعر فيه قلبه وروحه ، فابتعد عن التقليد الذي عرفناه في غزل هذا العصر ، ونلاحظ أن الشاعر كان يعاني تجربة حب حقيقية لجاريته مارية<sup>(٢)</sup> التي كان يحبها كثيراً . أما نهاية هذه القصة فقد اختتمت بنزولها في نهر العاصي ، فرثاها بقوله :

|                        |                                        |
|------------------------|----------------------------------------|
| وجارية مذت تعلقتها     | نذت إليها جميع العلق                   |
| تملكتها فاعتزاني لها   | غرام تملكني فاسترق                     |
| وقد كنت أغرق في حبها   | وما كنت أخشى عليها الغرق               |
| وكنت أخاف عليها العيون | فقد حقق النهر ذاك الغرق <sup>(٣)</sup> |

- (١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٩٠ .  
 (٢) عرفنا اسم هذه الجارية من أحد أبيات القصيدة المذكورة ، ولم يرد في الديوان ، وإنما عثرنا عليه في ذيل مرآة الزمان ( و ١٢٧ ) .  
 (٣) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٦٢ .

استخدم الشاعر في أغزاله الأبحر الجزوءة التي تثير في القصيدة جرماً  
ناعماً ، ويختار لها القوافي المستساغة التي تولد في النفس الشوة والارتياح ،  
وتهزها هزة الشمل والطرب ، ومن خلال الأوزان والقوافي يسير الشاعر  
بخطاه الخفيفة نحو الانسجام المنشود في شعره ، ويبلغ ذروة نضجه الفني  
الشفوع بالذاتية والطبع السليم كما في هذه القصيدة الغنائية ذات الوزن الراقص :

رفقاً بروحي فهي لك<sup>١</sup> وعلى السخي بما ملك<sup>٢</sup>  
أفضل بحق من اصطفا<sup>٣</sup> لك على الملاح وفضلك<sup>٤</sup>  
وكان ربك بالحبس<sup>٥</sup> ل على اقتراحي مثلك<sup>٦</sup>  
أخطاك فيه بمنصب<sup>٧</sup> سواك فيه وعدلك<sup>٨</sup>  
من فر من ذلّ السؤا<sup>٩</sup> ل فعزّي أن أسألك<sup>١٠</sup>  
إن تحم طرفي أن يرا<sup>١١</sup> لك جعلت قلبي منزل<sup>١٢</sup>  
إني أغار إذا الأرا<sup>١٣</sup> لك دنا إليك فقتلك<sup>١٤</sup>  
ويروعي واثي النسي<sup>١٥</sup> م إذا ثنك وميثلك<sup>١٦</sup>  
ما أقبح الصبر الجي<sup>١٧</sup> ل بعاشقيك وأجملك<sup>١٨</sup> (١)

تنبض هذه الغزلية الغنائية بالعاطفة الصادقة والشعور الفياض ، وتنسم بالرفقة  
المتناهية التي عرف بها شعره ، وتلمح فيها مظاهر الانسجام بين اللفظ والمعنى  
من ناحية ، والوزن والقافية ، من ناحية أخرى ، حتى يشعر الإنسان وهو  
يتلوها بإيقاع الجرس الشعري المذهب ينساب من خلال حروفها وكلماتها وأبياتها .  
وهي بالتالي تعبر عن نفسية الشاعر الحقيقية التي تنبض من خلالها ، وهي  
تختلف عن نفسية شرف الدين الوزير الكبير المعروف في كل الأوساط بالسمت  
والوقار . منها احتجبت النفس الإنسانية ، فلا بد لها حين تجدد أمامها متغصناً  
أن تتعري على حقيقتها في حميم الأهواء وحينئذ لا يحجبها عن العاطفة الحقيقية  
منصب أو سلطان وزهد أو ورع ، كما في هذه المقطوعة التي يقول فيها :

أبعدته وهو القريبُ وجفوته وهو الحبيبُ  
فقدنا غريباً وانفردتُ بشوقه فأنا القريبُ  
يامن به دائي يطببُ بمن به عيشي يطيبُ  
خذ ما تشاء من السرو ر فليس لي منه نصيبُ (١)

يؤكد ما نذهب إليه أنه كان يحضر مجالس الغناء الملكية ، وقد عُني مرة بين يديه لحن فأعجبه ، فنظم قصيدة على وزنه ، مطلعها قوله :  
لا بدَّ لي منهم وفوا أو لم يفوا أو يخلوا بالوصل أو تعطفوا (٢)  
يظهر أن شعره كان ينشد في حلقات المتصوفة ويغنى في مجالس الطرب وكان يكرر في شعره بعض الألفاظ التي يتخذها المغنون كثرة لازمة لهم في أغانيهم ، نذكر من ذلك قوله في قصيدة ، وقد ضمن البيت الجزوء الأخير لفظة الليل أربع مرات ، يبدأ ليلته الأولى بابتداء غايته الزمانية في (من) الجارة ، ويطيب سمره ولهوه ، فلا تأخذه سنة ولا نوم ، وإنما يصل الليلة باليلة ب (إلى) الجارة ، فلا يصحو إلا بعد انقضاء رابعة لياليه الأنصارية :

غرامي فيك لا يحصى بيازات ولا كيل  
وأما دمع أجفاني فلا تسأل عن السيل  
وما أنس فلا أنسى مراحي ساحباً ذيلي  
وإجلابي على الذا ت بالرجل وبانجيل  
من الليل إلى الليل إلى الليل إلى الليل (٣)

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٧ .

(٢) المصدر السابق ، ل ٥٦ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٧٢ .

يزداد الشاعر رقة في بعض مقطوعاته النزلية حتى يصل بها إلى درجة من اللين ، تغدو أقرب ما تكون إلى الأسلوب العامي :

لا وفقت بنت الحيمية دانية الدار ومقصية

صوفية المذهب لكنّها ناعمة الجسم حريره<sup>(١)</sup>

آنس الشاعر في أغزاله هذه الرقة المتناهية التي طبع عليها ، فقد صرح بها عرضاً في بيتين :

جد لي ياسيدي حلة تحلي بها عاطل أحوالي

أرق من قلبي ومن عبرتي وخذ محبوبتي وأغزالي<sup>(٢)</sup>

وجاء في قصيدة أخرى قوله :

أقسمت ما خذه الخالي من الخجل أرق من مدمي الجاري ولا غزلي<sup>(٣)</sup>

نلاحظ أنه يعترف بهذه الرقة المتناهية ، فهو إذن يتعمدها تصنعاً ، على الرغم من أنها موجودة في شعره طبعاً ، وهذه الصفة هي أهله ليكون رائد شعراء عصره في مذهب التورية والانسجام ، وسنوضح أهميته في حديثنا عن مذهبه الفني .

### مذهبه الفني

استخدم الشاعر في طرائق تعبيره كثيراً من الأساليب البلاغية المستجدة في هذا العصر ، بيد أنه تفرد دون غيره بسلوك مذهب بلاغي مبین في تصنعه البديعي ، فأبدع فيه كل الإبداع ، وقد أعجب الأدباء المعاصرون بهذا الاتجاه الجديد الذي يسير جنباً إلى جنب مع الاتجاه التي بدت تبشيره

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٩٠ .

(٢) المصدر السابق ، ل ٧٢ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٦٦ .

قيل ذلك في مصر على يد القاضي الفاضل وجماعته من بعده ، فتهجوا نهجه ، واقتدوا به ، وتداولوا معانيه ، ولا نبالغ إن قلنا إن معظم شعراء النصف الثاني من القرن السابع الهجري كانوا من تلامذته ، فاستمدوا منه كثيراً من معانيهم الشعرية .

نوه الصفيدي بعقريّة الشرف الأنصاري ، وأعجب بمذهبه الشعري ، وأشار إلى أنه أكبر شاعر عرفته بلاد الشام كما أجمع على ذلك معاصروه وبما قاله : « لا أعرف في شعراء الشام بعد الخمائة وقبلها من نظم أحسن من شرف الدين ، ولا أجزل ، ولا أفصح ، ولا أصنع ، ولا أسرى ، ولا أكثر ، وما رأيت له شيئاً إلا وعلّقته ، لما فيه من النكت والتورية الفائقة ، والقوافي المتمكنة ، والتركيب العذب ، واللفظ الفصيح ، والمعنى البليغ (١) » ،

يلاحظ أن الشاعر أكثر من تصنع التورية في شعره ، وهي لباب مذهبه الفني ، فهو لا يكتفي بإيرادها مرة واحدة ، وإنما يكثر من ذكرها ما وسع إلى ذلك سبيلاً ، فهو رائد المذهب الرمزي في أدبنا العربي خلال هذا العصر في بلاد الشام ، نذكر من ذلك قوله في جاريته مارية :

أوقني في قيد أسر الهوى جارية أوصافها جامعة

ثالثة البدرين في حسنهما مع أنها في نسكها رابعة (٢)

وكنا أشرنا بالتفصيل إلى ما في شعره من توريّات ، ونكتي منها بهذا القدر ، فهي منشرة فيه كل الانتشار ، وقد عرف بين الأقدمين هذه الصفة المميزة . ويلاحظ من طرف آخر أن الشاعر حاول أن يوسع مدى التصنع البديعي في باب التورية ، فمد يقتصر منها على ما عرفه البلاغيون ، وإنما كان

(١) ابن شاكر : قواف الوفيات ، ج ١ ص ٢٨٩ .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٥١ .

يحاول أن يوري بغير الألفاظ ، وذلك عن طريق عبثة اللفظي بالكلمات  
والحروف ، والشواهد على ذلك كثيرة ، نذكر منها قوله وقد أنشد الملك  
المنصور من شعر المتنبي بعضه :

تملك الحمد حتى ما لمفتخر في الحمداء ولا ميم ولا دال  
فعب على ذلك بقوله :

يا أيها الملك المنصور يا ملكاً أوصافه كاملات وهي أصناف  
رفقت بالخلق حتى ما الذي ورع في الرفق : راء ولا فاء ولا قاف  
وفزت بالملك حتى ما الذي شرف في الملك : ميم ولا لام ولا كاف  
وكم كتائب رعت المارقين بها فيهن من ألفات الخط آلاف (١)

انتشرت هذه الصفة كثيراً في شعره ، وغدت مظهراً مميزاً من مظاهر  
مذهبه الفني ، نذكر من ذلك قوله يعث بلفظه « شرح » :

وقد خاطني شرح الشباب وراعي مشيب ، وحالي منه شرح بلا خاء (٢)  
وقوله يعث باسم ممدوحه « يوسف » الملك الناصر :

يسمى في عري كل مجد وسؤدد إلى يائه والواو والسين والفاء (٣)  
وقوله يعث بلفظي الحب والحس :

فلو أصبحت ذا حاء وسين لما عثقت في حاء وباء (٤)

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ، ل ٢ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٣ .

(٤) المصدر السابق ، ل ٤ .



كما نلاحظ بالإضافة إلى ذلك استخدامه التورية بالاصطلاحات النحوية ،  
نذكر من ذلك قوله :

ومعرب اللفظ لي من نحوه أبداً      حذف وصرف وإعلال وتشكير  
ولحظه ساكن والقدر منتصب      والقرط مرتفع والنرط مجرور (١)  
وقوله :

لا تسألوا صيكم عن حبه فله      من الإضافة ما يغني عن النسب  
وراقبوا منه حالاً غير حائلة      كما عهدتم وقلباً غير منقلب (٢)  
كثرت المصطلحات النحوية وغيرها كثرة ظاهرة ، فقد استخدم معانيها  
لا كما وضعت لها ، وإنما استخدمها بحسب مفهومه الخاص كظهور من مظاهر  
الرمز والإيحاء ، من ذلك قوله :

مديحٌ تخيرتُ القوافي محلياً      به رفعها والنصب والجزم والجرا (٣)  
وقوله :

رفعت ذوي الإعراب من بعد خفضهم      فأثني عليك الرفع والنصب والجرا (٤)  
وقوله :

إذا فاعل رام ارتفاعاً بفعله      ففعلك مرفوع بأنك فاعله (٥)

(١) مسورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ل ١٠ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٣٠ .

(٤) المصدر السابق ، ل ٣٦ .

(٥) المصدر السابق ، ل ٦٢ .

ولم يكتف بذلك بل كان يحاول استخدام بعض المصطلحات العروضية أو البديعية منها قوله :

وبحر طويل الباع منسرح الندى      بسيط المعالي وافر الفضل كامله (١)  
وقوله :

ووشّت يد الأنواء بُردَ رياضه      بغرائب التوشيع والتفويف (٢)  
يضاف إلى ما تقدم ذكره وجود الجرس الموسيقي الشعري في قصائده ،  
وقد رأينا أن الشاعر قد صرح برقة أغزاله ، ومصدر هذه الرقة في نظرنا  
حسن اختيار الألفاظ الجميلة المعبرة ، والقوافي ذوات الروي الموحى ،  
والأوزان المجزوءة التي تلائم أغراضه ومعانيه ، ذلك كله مع ما لا حظناه  
من تصنع بدعي يؤلف الانسجام في مذهبه الفني ، وقد أشار إلى هذه  
الصفة من خلال قوله :

واسمع بديع نظم لا يساجله      جزل من المدح في سهل من الغزل (٣)  
يتضح مما أسلفنا أن الشرف الأنصاري كان رائد الشعراء الأول في  
مذهب التورية والانسجام ، وقد أشار ابن حجة في خزائنه إلى الفرقتين  
اللتين اعتنقتا هذا المذهب في مصر والشام على السواء .

أما الفرقة الأولى فهي « العصابة التي مشت تحت العصابات الفاضلية » (٤)  
بزعامة القاضي الفاضل ، ومن روادها الأوائل ابن سناء الملك ، وأبو الحسين  
الجزار ، والسراج الوراق ، والنصير الحمصي ، وشمس الدين بن دانيال ،  
ومحيي الدين بن عبد الظاهر ، وأما الفرقة الثانية الشامية « فإمام جماعتها

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ل ٥٤ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٦٧ .

(٤) ابن حجة : الخزانة ، ص ٢٧٦ .

الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري شيخ شيوخ حماة<sup>(١)</sup> ، وكان من روادها أبرز شعراء النصف الثاني من القرن السابع ، وهم كلهم من تلامذته ، ساروا في الطريق التي سبقهم فيها .

أورد ابن حجة ذكرهم فقال : « وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم ، وتأخر نصرهم ، ولان في هذا النوع عصرهم وبعده عصرهم فيما أرادوه كما زاد عصرهم ، كل ناظم تود الشعرى لو كانت له شعرا ، ويود الصبح لو كان له طرسا ، والغسق مدادا ، والنشرة ثرا ، منهم شرف الدين عبد العزيز الأنصاري والأمير مجير الدين بن قيم ، وبدر الدين يوسف بن أولؤ الذهبى ، ومحيي الدين بن قرناص ، وشمس الدين بن محمد ابن العفيف ، وسيف الدين بن المشد ..... »<sup>(٢)</sup> .

ذكرني قول ابن حجة : « كل ناظم تود الشعرى لو كانت لو شعرا » بقول شرف الدين نفسه في وصف شعره :

زَيْتٌ من فكري سماء العلا منك بشعرٍ ينجل الشعرى<sup>(٣)</sup>  
ولا يكتفى الشاعر من وصف فنه الشعري بأنه ينجل الشعرى لحسب ، وإنما يرى أنه يزهد البحر بأهبي جواهره :

ولي قصائد في مدحيه باهرة ترهد البحر في أهبي جواهره<sup>(٤)</sup>  
غدت هذه القصائد المدبجة عرائس تجل عن نظرائها إذ إنها توشحت بجواهر التورية :

أجلو عرائس مدحيه فتجل عن نظرائها إذ جل عن نظرائه<sup>(٥)</sup>

(١) ابن حجة : الخزانة ، ص ٢٧٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٤ .

(٣) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٨ .

(٤) المصدر السابق ، ل ٣٩ .

(٥) المصدر السابق ، ل ٣ .

تتضح بعد ذلك أهمية هذا الشاعر في عصره ونخلص مما أسلفنا لنذكر أنه كان ذا طبع سليم ونهج قويم ، وقد اتخذ من الانسجام سبيله ومن التورية وكده فأصبح صاحب مذهب أدبي هام ، يشيع السحر اللفظي والجمال المعنوي دون تكلف ذميم أو تعسف عقيم ، واستطاع بعبقريته ومهارته الفنية أن يبعد التعقيد والإغراب عن الشعر العربي في هذا العصر بعد أن طغت عليه أساليب الصنعة والتصنيع والتصنع ، وهذا هو وحده السبب الذي جعله موضع إعجاب القدماء وتقديرهم ، فقدموه على من جاء قبله ، ومن جاء بعده من شعراء هذا العصر (١) البديعي ، عصر التورية (٢) ، كما دعاه أستاذنا التنوخي .

الدكتور عمر موسى باشا



(١) أحد الأعلام الذين ترجم لهم المؤلف في بحثه الواسع عن ( الأدب في سورية في القرنين السادس والسابع الهجريين ) ، وقد قال به مؤلفه درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف .

(٢) ' ينظر في البحث الهام الذي تحدث فيه الأستاذ الكبير العلامة عز الدين التنوخي عن عصر التورية وجمالها في هامش ( تهذيب الإيضاح ) في الصفحات ٩٤ - ٩٩ من جزئه الأول .

# نظرة في معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

الدكتور ا. ل. كليرفيل

نقله إلى العربية الأسانذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الحياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

( لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق )

استدراك وتعقيب

- ١٠ -

| رقم المصطلح | رقم المصطلح                                                                                                                                                                                                                      |
|-------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 5395        | Excitation, stimulus , تحريض , حث , تنبيه , ٥٣٩٥<br>stimulation v. influx , تنبيه , اضطراب , انفعال ,<br>agitation , incitation<br>وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بإثارة , وأرجح ترجمة اللفظة الثانية<br>بجاث والثالثة بجث . |
| 5396        | Excitation extéro- تنبيه محيطي , انتهائي , ٥٣٩٦<br>- ceptive<br>وأرجح إثارة محيطية المصدر .                                                                                                                                      |
| 5397        | Excitation de fermeture تنبيه الانغلاق ٥٣٩٧<br>وأرجح إثارة الغلق , وبمعنى بها غلق الدارة الكهربائية .                                                                                                                            |
| 5398        | Excitation d'ouverture تنبيه الانفتاح ٥٣٩٨<br>وأرجح إثارة الفتح أي فتح الدارة .                                                                                                                                                  |
| 5399        | Excitation proprioceptive تنبيه ذاتي ٥٣٩٩<br>وأرجح إثارة تلقائية المصدر .                                                                                                                                                        |

- 5405 Excrétion, excreta , مُفْعِرَات ، مُفْعِرَات ، غائط تَبْعِرَات  
egesta déjection  
Excrétoire , v. excréteur  
وأقر جمع اللغة ترجمة (Excrétoire) بإراز .
- 5406 Excroissance, protubérance شاححة، حدبة، برزة  
éminence. v. accroissement انظر نمو وازدياد  
et production  
وأقر جمع اللغة ترجمة (Eminence) ببروز .
- 5421 Exhumation كَبَشُ الْقَبْرِ  
وأقر جمع اللغة استخراج الجثة .
- 5425 Exotoxine, toxine ذيفان خارجي ، ذيفان خارج  
extracellulaire من الخلية  
وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بتكسين ، وأرجح ترجمة اللفظة الثمانية بتكسين خارج الخلايا ، لا من الخلية إذ المقصود التكسين الذي يبدو خارج الخلية تمييزاً له من التكسين البادي داخل الخلية .
- 5428 Expansion aponévrotique امتداد غشاء ذات الرأسين  
du biceps  
وأرجح امتداد صِفاق (١) ذات الرأسين .
- 5454 Expression du placenta تعبير المشيمة  
وأقر جمع اللغة اعتصار السُّخْد . واللجنة ترجمت لفظة (placenta) بسُخْد (اللفظة ١٠٣٩٥) .

- 5458 Expulsion قَذْفٌ ، إخراج ، طَرْدُ ٥٤٥٨  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بطرد معرباً إياها : الإخراج قسراً ، كما  
أنه أقر ترجمة لفظة ( expulsion du fœtus ) بدفع الحمل .
- 5478 Extinction d'une réaction بُطْلَانُ ارتكاس جلدي ٥٤٧٨  
cutanée  
وأرجح إنطفاء الارتكاس الجلدي . لأنه يعنى باللفظة زوال الارتكاس  
بعد أن كان ظاهراً .
- 5481 Extra - courant تَيَّارٌ فوق العادة ٥٤٨١  
وأرجح تَيَّارٌ فائق . .
- 5483 Extraction, épuisement استخلاص، استِهاد ( كيمياء ) ٥٤٨٣  
( chim. )  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة باستخراج .
- 5484 Extraction linéaire استخراج الساد الخطي ٥٤٨٤  
( de la cataracte )  
وأقر مجمع اللغة باستخراج السد ( الخطي ) .
- 5488 Extrait ( pharm. ) خُلَاصَةٌ ( صيدلة ) ٥٤٨٨  
وأقر مجمع اللغة : خَرُوجٌ : وجاء في التعريف : مستحضر محتور على  
الجواهر الفعالة المخرجة بمذيب أو بالمعصر .
- 5490 Extrait étheré خُلَاصَةٌ أثيرية ٥٤٩٠  
وأقر مجمع اللغة : الخُلَاصَةُ الإثيرية .
- 5493 Extrait ferme خُلَاصَةٌ كَثْرَمَةٌ ٥٤٩٣  
وأرجح خلاصة صامِدة أو جامدة تمييزاً لها من الخلاصة المائعة  
( Extrait fluide ) التي جاءت في اللفظة التالية من المعجم .

- 5502 Extrémités , membres أطراف ، أعضاء ٥٥٠٢  
وأرجح أطراف ونهايات ، تاركاً ترجمة أعضاء ومفردها عضو ترجمة للفظ ( Organe ) كما فعلته اللجنة ( اللفظة ٩٥٠٦ ) .
- 5503 Extrémités inférieures , حوضية ، حوضية ٥٥٠٣  
pelviennes  
والصحيح الطرفان السفليان بصيغة المثنى والطرفان الحوضيان .
- 5504 Extrémités superieures , كروية ، ٥٥٠٤  
thoraciques  
والصحيح الطرفان العلويان ، الطرفان الصدريان .
- 5509 Exutoire قُرْحة مفتوحة ٥٥٠٩  
وأرجح مَصْرَف (١) .

F

- 5511 Face ( embr. ) وجه ( علم المضغة ) ٥٥١١  
(1) bourgeon frontal (١) برعم جبهوي  
وقد أقر بجمع اللغة استعمال لفظة شاخسة ترجمة للفظ ( process ) في الانكليزية وهي تقابل ( bourgeon ) في الفرنسية .
- 5530 Faiblesse sexuelle ضَعْف تناسلي ٥٥٣٠  
وأرجح ضعف جنسي ، بعد أن تقرر ترجمة ( sexe ) بجنس .
- 5556 Farine de seigle دقيق الجَوْدَر ٥٥٥٦  
دقيق السِّلْت والسِّلْم كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

(١) لقد جاءت الترجمة الانكليزية في المعجم الأصلي :

Exutory , fontanel , an issue for the discharge of humors from the body  
ومعناه : مَخْرَج لانطلاق الأَحْلَاط من البدن .



- 5566 Fausse route ( urologie ) طريق ضال (أمراض بولية) ٥٥٦٦  
وزائف كما أقره مجمع اللغة .
- 5568 Faux, fausse كاذب ، باطل ٥٥٦٨  
وزائف
- 5573 Favéolé , ée ذو عُيُون ( كالشَّهْد ) ٥٥٧٣  
وأرجح ذو أسناخ ( كالشَّهْد ) (١) ولفظة ( ذو عيون توقع بالالتباس )  
كما أن مجمع اللغة أقر بين مصطلحات علم الأحياء ترجمة اللفظة بذي ثَقِيَّرات  
وجاء في الشرح أي محفر بنقر صغيرة .
- 5577 Favus, favus squareux قَرْعَة ، قَرْعَة خَشَنَة ٥٥٧٧  
ou en galette , teigne faveuse سَعْفَة قرعية  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالقَرَاع والقَرَّع .
- 5607 Fer ( citrate de ) الحديد ( ليمونات ) النشادرية ٥٦٠٧  
ammoniacal  
وأقر مجمع اللغة ترجمة ( Ammonia ) بنوشادر وتعربها بأمونيا ، فتصبح  
ترجمة اللفظة ليمونات أو سترات الحديد النوشادرية أو الأمونياكية .
- 5616 Ferment تخميرة ٥٦١٦  
وأقر مجمع اللغة مُتَخَمِّر .
- 5625 Fermentatif ne مُتَخَمِّر ٥٦٢٥  
وأرجح مُتَخَمِّرِي .

(١) وقد جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي ( Faveolate , alveolate ) .

٥٦٣٧ تَحْتَبُّبٌ ، تَحْتَدَبُ Festination 5637  
وأرجح العَدْوُ والخَيْبُ (١) . لأن المقصود من هذه اللفظة الإسراع  
في السير في بعض حالات داء بركنسون قبل اندفاع العليل أمامياً ( propulsion ) .  
وسبق للجنة أن استعملت مِشْيَةً خَبِيَّةً وخَبْرَ رَجْمَةٍ لِرَ ( démarche en )  
( steppant ) ( اللفظة ٣٩٤٨ ) .

٥٦٤٠ وَرَقُ حَشِيْشَةِ الحَسَاءِ ، Feuilles de belladone 5640  
وَرَقُ البَلَادُونَا  
وأقر جمع اللغة ورق ست الحسن .

٥٦٤١ وَرَقُ الخَيْمِيَّةِ ، حَشِيْشَةُ الكَشَاتِيْنِ Feuilles de digitale 5641  
وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بديجيتاليس (٢) .

٥٦٤٢ بِطَاقَاتُ التَّدْيِيرِ الغِذَائِيّ Feuilles de régime, bulletin 5642  
de régime  
وأفضل جُرَازَاتُ تَدْيِيرِ الغِذَاءِ ، قَائِمَةُ الحِمْيَةِ ، أو تَذَكُّرُهَا .

٥٦٤٤ وَرِيقَةٌ مُصْنَعِيَّةٌ ، وَرِيقَةٌ مُنْتَشَةٌ Feuillet embryonnaire 5644  
feuillet germinatif  
وأقر جمع اللغة : طَبَقَةٌ جَنِينِيَّةٌ (٣) وطَبَقَةٌ مُنْتَشَةٌ وجاء في تعريف الأخيرة :  
وهي الطبقة القاعدية في الظهارة الطبقيّة ( الطلائية الطبقيّة ) والتي تكون  
خلايا الطبقات الأخرى ، وقد تسمى أيضاً طبقة مايجي .

(١) في اللسان : الحَبَبُ ضرب من العَدْوِ وفيل هو مثله الرَّمْلُ وقد خبت الدابة  
تَحَبُّباً بالضم خَباً وخَبِيّاً وخَبِيْباً واختبت ، ولم يذكر تَحَبُّبٌ . وخَدَبَهُ بالسيف  
يَعْدِبُهُ خَدَباً وضربه وقيل قطع اللحم دون العظم . وفي المعجم الوسيط تَحَدَبَ سار  
سيراً وسَطاً ولا أراء المصرد هنا .

(٢) الصفحة ٥٩٨ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

- 5645 Feuillet pariétal وريقة غشاء الجنب الجدارية  
de la plèvre وأقر جمع اللغة وريقة الجنب (٢) الجدارية .
- 5646 Feuillet viscéral وريقة غشاء الجنب الحشوية  
de la plèvre وريقة الجنب الحشوية كما أقرها جمع اللغة .
- 5648 Feuillu, ue جتلى ، وريق  
وملحاء وجمعها ملحوات كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير  
مصطفى الشهابي (١) .
- 5655 Fibre nerveuse ( hist. ) ليفة عصبية ( نسج )  
( 8 ) nérvoglie (٨) دَبَقْ عَصَبِي  
وأقر جمع اللغة خُلْمَة النسج العصبي .
- 5656 Fibres arciformes ألياف الدِّماغ المِشْوَلَة الشكل  
du cerveau والمصحح ألياف الدماغ القوسية أو القوسية الشكل . وسبق اللجنة  
أن استعملت لفظي المشوي والنجلي ترجمة لـ ( falciforme ) ( اللفظة ٥٥٣٩ ) .
- 5657 Fibres d'association ألياف الجمع  
وأرجح ألياف الاستراء أو المشاركة .
- 5668 Fibres de projection ألياف القذف ، الرمي  
والمصحح ألياف الارتسام ، لأن اللفظة تشير إلى الألياف العصبية  
التي تنقل الخيال الذي يرسم في المراكز العصبية المختصة .

(١) الصفحة ٢٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) وقد عرفت بأنها أشجار الأحراج التي يسقط ورقها كله في الشتاء فتتدرج أغصانها كاللذاب والدردار والبوفيماء .

|      |                            |                             |      |
|------|----------------------------|-----------------------------|------|
| 5672 | Fibrillation               | انقباض حَيْطِي (أو لَيْبِي) | ٥٦٧٢ |
| 5673 | Fibrillation auriculaire   | انقباض الأذينة اللَّيْبِي   | ٥٦٧٣ |
| 5674 | Fibrillation cardiaque     | انقباض القلب اللَّيْبِي     | ٥٦٧٤ |
| 5675 | Fibrillation ventriculaire | البطين اللَّيْبِي           | ٥٦٧٥ |

وأفضل ترجمة (fibrillation) بالتقلص اللَّيْبِي تاركاً لفظة انقباض ترجمة لـ (systole) كما فعلته اللجنة (اللفظة ١٣١٠٠) .

فأقول تقلص لَيْبِي وتقلص الأذينة اللَّيْبِي وتقلص القلب اللَّيْبِي وتقلص البطين اللَّيْبِي .

|      |          |            |      |
|------|----------|------------|------|
| 5676 | Fibrille | لَيْبِيَّة | ٥٦٧٦ |
|------|----------|------------|------|

والشائع ترجمة اللفظة بِلَيْبِيَّف .

|      |                         |                               |      |
|------|-------------------------|-------------------------------|------|
| 5678 | Fibrin - ferment, plas- | خميرة اللَّيْبِيْن ، هيولاز ، | ٥٦٧٨ |
|      | - mase thrombase ,      | خُثْرَاز ، خُثْرِيْن (ترويين) |      |
|      | thrombine               |                               |      |

|      |         |           |      |
|------|---------|-----------|------|
| 5679 | Fibrine | لَيْبِيْن | ٥٦٧٩ |
|------|---------|-----------|------|

وأقر جمع اللغة تعريب لفظة (fibrine) بفَيْرِيْن وكذلك لفظة بلازما وثرومبين (مع ترجمتها بمخثر أيضاً) وسبق للجنة أن ترجمت كلاهما من (protoplasma و plasma) بالهيولي (اللفظتان ١٠٤٤٦ و ١١٠٥٧) .  
لذا أرى أن تكون الترجمة كما يلي : خميرة الفيرين أو مخثر الفيرين وبلازما ، وثرومباز وثرولين .

|      |             |                     |      |
|------|-------------|---------------------|------|
| 5681 | Fibrinogène | مُولِد اللَّيْبِيْن | ٥٦٨١ |
|------|-------------|---------------------|------|

وأقر جمع اللغة أصل الفيرين .

- ٥٦٨٣ جذعة الليف ( النسيج الضام ) Fibroblaste 5683  
وأقر جمع اللغة جرثومة الليف (١) بالإضافة إلى ما تقدم (٢) .
- ٥٦٨٨ ورم ليفي عَنَلِي ، Fibrosarcoma , sarcome 5688  
حُرَمِي الخلايا fusicellulaire , ou fasciculé  
وأقر جمع اللغة السرَكومة الليفية . أما اللفظتان الثانية والثالثة فترجمتها  
السركومة المفزلية الخلايا ( وقد أهملتها اللجنة ) أو الحُرَمِيّة .
- ٥٦٩١ بطاقة ( فيش ) Fiche 5691  
أو جذاذة .
- ٥٦٩٥ حمى قلاعية ، التهاب قُلَاعِي ، Fièvre aphteuse , 5695  
قُلَاع مُسَوَافِي cocotte , aphtes épizootiques  
وأرجح : حمى قلاعية ، التهاب الفم القُلَاعِي ( وقد أهملته اللجنة  
ولعله خطأ مطبعي ) قُلَاع مُسَوَافِي إذ سبق للجنة أن ترجمت لفظة ( épizootic )  
بموتان وجائحة حيوانية ( اللفظة ٥٠٧٨ ) وهي أفضل من سَوَاف (٣) .
- ٥٧٠٦ حمى صفراء، حمى صفراء غَفَقَوِيّة Fièvre jaune, typhus 5706  
حمى شهبيرقانية، ذات التيء الأسود ، amaril ictérioide ,  
vomito negro  
وأقر جمع اللغة تعريب لفظة ( typhus ) بتيفوس وهو الأفضل .  
لذا تصبح الترجمة : حمى صفراء ، التيفوس الأصفر ، الحمى نظيرة اليرقان ،  
والحمى ذات التيء الأسود .

(١) الصفحة ٢٤٩ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٧٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في المان : السَوَاف والـسَوَاف الموت في الناس والمال . وجاء في موضع آخر  
السَوَاف مَرَمِي الإبل .

- ٥٧١٤ حمى باباتاسية ، حمى ثلاثية ، Fièvre à papataci ,  
 صيفية ، حمى الصيف ، حمى fièvre estivale de trois  
 الكلب الغفوية jours , fièvre d'été ,  
 typhus de chien

وأفضل حمى السيكتيت ( وهو نوع من البعوض لا صوت له وتسميه العامة مُسويكتة ) حمى الثلاثة الأيام ( وقد أهملته اللجنة ) الصيفية ( لأن الحمى الثلاثية قد تشير إلى حمى يكون وردها كل ٣ أيام ، بينما الحمى المذكورة تستمر ثلاثة أيام ) وتيفوس الكلاب .

- ٥٧٢٣ حمى راجعة ، حمى ناكسة ، Fièvre recurrenre ,  
 typhus recurrent, à rechutes

وأرجح حمى راجعة ، التيفوس الراجع ، الحمى ذات المعاولات أو النكوس .

- ٥٧٣١ حمى تيفية ، حمى شبه غفوية ، Fièvre typhoïde ,  
 بثرية معوية ، حمى معوية dothiententerie .  
 fièvre entérique

وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة الأولى بحمى التيفود واملأ الحمى التيفية ألطف جرساً ، وتصبح ترجمة اللفظتين التاليتين : تبرعم الأمعاء ( على حد تعبير ترومسو ) والحمى المعوية .

- ٥٧٣٢ حمى تيفية بردائية تيفودائية Fièvre typho-malarienne  
 حمى تيفية بردائية فقط .

- ٥٧٣٥ حمى قوتياتية ، حمى الصهارين ، Fièvre zincique ,  
 أو السبّاكين fièvre des fondeurs

وأقر جمع اللغة تعريب ( zinc ) زنك ، فتكون ترجمة اللفظة الحمى الزنكية .

- 5754 Film ou pellicule شريط (فلم) أو غشاوة على سطح  
à la surface d'une مزرعة جرثومية  
colonie bacterienne  
وأرجح فيلم أو قشرة على سطح مستعمرة جرثومية .
- 5776 Fissure faciale شق وجهي ٥٧٧٦  
وأقر مجمع اللغة قَلَح<sup>(١)</sup> (ج فلوح) وجهي . وجاء في التعريف أن  
الفلوح تظهر في الجبين وتندس في الشهور الأولى .
- 5805 Flacon échantillon قارورة نموذجية ٥٨٠٥  
وأقر مجمع اللغة ترجمة (échantillon) بعبئة<sup>(٢)</sup> والصحيح ترجمة اللفظة  
بقارورة عينة لأنه يعنى بها قارورة تشتمل على عينة .
- 5818 Flatulence, flatuosité اندياق ، انتفاخ البطن ٥٨١٨  
وأرجح انتفاخ البطن فقط ولم أعثر على معنى اندياق<sup>(٣)</sup> .
- 5826 Flexion combinée de شئى الفخذ والحوض المشترك  
la cuisse et du bassin (حادثة بابنسكي)  
(phénomène de Babinski)  
وأرجح الانعطاف المشترك للفخذ والحوض (ظاهرة بابنسكي) .
- 5832 Flocon سبيخة ٥٨٣٢
- 5833 Floconneux, euse سبئخي ، على شكل السبائخ ٥٨٣٣
- 5834 Flocon d'avoine سبائخ هوطان ، شوفان ٥٨٣٤

(١) في اللسان : والفلاح الشق والقطع .

(٢) الصفحة ٦١ ؛ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٣) في التاج : دانه يدبره أهمه الجوهرى وصاحب اللسان وقال ابن دريد أي أراغه

لينترعه كما في الباب والנקمة .

- ٥٨٣٥ Flocculabilité ، قابلية التَسْبِخ  
وأقر جمع اللغة ترجمة ( flocculation ) بالتَّدْف و ( flocculent ) بنديف  
و ( flocculus ) بنديفة ( ج ندائف ) . فتصبح ترجمة الألفاظ : نديفة ونديفي  
وندائف المُتَرَطِّمان ( وأغلب الظن هو طمان غلط مطبعي لم ينتبه إلى تصويبه )  
أو الشوفان أو الخُرطال ( كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى  
الشهابي ) ونديفية أو قابلية التَّدْف .
- ٥٨٣٦ Flore intestinale زمرة الجراثيم المِعْوِيَّة  
وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بفلورا وجاء في الشرح : مجموعة البكتريا  
التي تعيش في الأمعاء . وأرى التعريب أفضل بعد أن استعملت لفظة زمرة  
مع فئة ترجمة لـ ( groupe ) ( اللفظة ٦٥٥٦ ) .
- ٥٨٣٩ Fluctuation massive تَمَوُّجٌ كَلْبِيّ  
وأرجح تموج كبشي تاركاً لفظ كلي ترجمة لـ ( total ) كما أقرها  
جمع اللغة أيضاً .
- ٥٨٤١ Fluide , liquide سائل ، مائع  
٥٨٤٢ Fluidifier , liquefier سَيِّل ، مَيِّع  
وأقر جمع اللغة ترجمة ( fluide ) بمائع و ( fluidication ) بإماعة وجاء  
في التعريف تحويل جامد إلى سائل ، وأقر ترجمة ( liquide ) بسائل  
و ( liquifaction ) بإسالة وجاء في التعريف : عملية التحويل إلى الحالة  
السائلة وتطلق عادة على عملية تحويل الغازات إلى سوائل .
- ٥٨٤٥ Fluor فُلُورُور  
وأقر جمع اللغة فلور ولا شك بأنها أفضل .
- ٥٨٤٦ Fluorescence وَمَضَان  
وأقر جمع اللغة تعريب اللفظة بالفلورية وجاء في الشرح : وهي ظاهرة



حفواها أنه إذا استضاءت بعض الأجسام بضوء ذي لون معين أو ذي طول موجي معين أشرق منها ضوء ذو لون آخر يكون طوله الموجي في الأكثر الغالب أطول وفيها يقف إشراق الضوء عن هذه الأجسام مع انقطاع الضوء الواقع عليها . وتحدث هذه الظاهرة أيضاً بفعل الأشعة غير المرئية ذات الموجات القصيرة وبفعل الالكترونات . واللفظ المقترح مشتق كاللفظ الأجنبي من اسم عنصر الفلور .

5847 Fluoroscopie ٥٨٤٧ تنظر ومضائي

وأرجح تنظير فلوري . كما أن جمع اللغة أقر ترجمة ( fluoroscope ) بمكشاف الفلورية . وجاء في الشرح : وهو جهاز يستخدم لإحداث ظاهرة الفلورية ومشاهدتها وفحصها . أقول وما يستعمل في الطب هو التنظير بأجهزة الأشعة السينية .

5848 Fluorose, cachexie ٥٨٤٨ داء فلوئوري، حرّض فلوئوري  
fluorique

وأرجح داء فلوري ، دتف فلوري ( كما أقرها جمع اللغة ) .

5849 Fluorure ٥٨٤٩ فلوئورور

وأرجح فلور إذ لا لزوم إلى الترجمة الفرنسية اللفظية إذ نقول عادة فلور الصوديوم لا فلورور الصوديوم .

5857 Fœtal , ale ٥٨٥٧ جنيني

5858 Fœtus , fœtus ٥٨٥٨ جنين

وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة الثانية بحميل ، وجاء في التعريف : وهو الولد في الرحم بعد الارتكاض حوالي الشهر الرابع إلى نهاية الحمل . وتصيح ترجمة اللفظة الأولى حميلي والثانية حميل .

- 5859 Foie كبد ٥٨٥٩  
(٣) نقيير الكبد تلمم معترض ، hile du foie (3)  
sillon transversal  
وأقر جمع اللغة ترجمة (hile) بسُدْفَة (١) ، والشائع ترجمتها بالسرّة .  
(٤) رباط إكليلي Ligament coronaire (4)  
رباط تاجي كما أقرها جمع اللغة .
- 5861 Foie amyloïde ، ودوك ٥٨٦١  
cireux ، lardacé  
كبد نشوانية ( كما أقرها جمع اللغة ) وشحمية وشحمانية ( أي نظيرة الشحم  
وإن خصصت لفظة lard بـ شحم التخزين ) .
- 5867 Foie scléreux ، ٥٨٦٧  
cirrhose du foie  
كبد متصلبة وتليف الكبد (٢) كما أقرها جمع اللغة .
- 5873 Folie périodique, inter - جنون دورّي ، جِنَّة ٥٨٧٣  
mittente, psychose man - متقطّعة ، مُصاب مَسي  
-iaque dépressive, folie إعيائي، جنون مَسِيّ إعيائي  
manique dépressive ،  
cyclothymie  
وأرجح جنون دورّي أو جِنَّة دورّي ، جِنَّة متقطّعة ،

(١) نقلاً عن المحمّد ( الجزء ٥ الصفحة ١٣١ ) هكذا أوردنا جمع اللفّة ولدى  
مراجعة المحمّد وجدناها قد وردت في مترادفات الباب . والقيير كما جاء في لسان  
العرب اللّكّنة في النّواة كأنّ ذلك الموضع مُقبر منها . والسرّة كما جاء في  
المعجم الوسيط اللّكّنة في وسط البطن ، وسرّة الروضة خير منابتها وكذلك سرّة  
الوادي وسرّة الحوض مستقر الماء في أنفاه .

(٢) الصفحة ٨٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلد .

نُفَاس هوسي (١) همودي أو نُفَاس مانيائي همودي ، وجِنَّة مانيائية همودية ، وجنود نظامي ( وقد أهملته المجنة ) .

٥٨٧٦ Folliclis, folliculites المنتشر التهاب الأجرية Follicle  
disséminées symétriques المتناظر في الأقسام المُثَرِّط  
des parties glabres à ذو الاتجاه الندي  
tendances cicatricielle

وأرجح التهاب الجريبات المنتشر المتناظر في الأجزاء المُثَرِّط ذو الميل إلى الندب . ولا أرى في لفظة وَحْص أن تفي بالمعنى المطلوب ولا سيما فقد خصصت للجواربي وفي الوجه حيث لا جريبات شعرية (٢) . هذا وقد أقر بجمع اللغة ترجمة (Follicule) بحويصل .

٥٨٧٨ Follicule , crypte جُرَيْب ، سَهْوَة

وأقر بجمع اللغة ترجمة (follicule) بحُويصل وأرى تخصيص حويصل ترجمة لـ (Vésicule) شأن ما فعلته اللجنة ( اللفظة ١٤٢٧٤ ) كما أنه أقر ترجمة ( crypte ) بحريب (٣) وفي موضع آخر بهزيمية ( هزيمات القرحة ) (٤) وأرى إبقاء ترجمة اللفظة جريب والثانية غار ( ج مغاور ) (٥) .

٥٩٠١ Fongus , fongosité كَمْ نثْوَة فُطْرِي

وأقر بجمع اللغة الفُطْرَة ( ج الفُطْر ) ولا أرى حاجة لاستعمال فُقْع (٦) .

(١) الصفحة ٦٦١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : الوَحْص البثرة نخرج في وجه الجارية المليحة .

(٣) الصفحة ٦٠٧ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) مصطلحات علم الزمد المجلد الأول من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها

الجمع ( ١٩٥٧ ) .

(٥) الصفحة ٢٨٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٦) في اللسان : الفَمَيْع والفَيْمَيْع بالفتح والكسر الأبيض الرخو من الكمأة .

- ٥٩٠٧ ذوبان (العظام) الشحمي ، Fonte halistérique 5907  
لين العظام الشحمي ، حؤول ramollissement graisseux  
العظام الشحمي des os , dégénérescence  
graisseuse des os  
وأرجح ذوبان العظام الشحمي ، رَخَوْدَة ( كما أقرها مجمع اللغة )  
العظام الشحمية وتنكس (١) العظام الشحمي ( كما أقرها مجمع اللغة ) .
- ٥٩٠٩ تخرت المَوْتَة Forage de la prostate 5909  
وأقر مجمع اللغة تعريب ( prostate ) بيروستانة ولم أهد إلى منشأ مَوْتَة (٢) .
- ٥٩١٤ مِلْقَطُ الْجَنِين Forceps 5914  
وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بِالْجِفْتِ وعندي مِلْقَطُ أَفْضَلُ لِأَنَّ لَفْظَةَ  
الجفت تركية ويعنى بها مزدوج .
- ٥٩٢٣ شَكل حُوُولِيّ Forme dégénérative 5623  
شَكل تنكسي كما أقرها مجمع اللغة .
- ٥٩٤٧ وَصْفَة أَمْرِيَّة Formule magistrale 5947  
وأرجح وصفة إعطاء أو للإعطاء .
- ٥٩٤٩ تَمْلِيل ( جذر حمض الشَّكْلِ ) Formyl ( radical de l'acide formique ) 5949  
وأقر مجمع اللغة تَمْلِيل وفورميك أيضاً .
- ٥٩٨٦ بؤرة أصلية Foyer principal 5986  
وأقر مجمع اللغة ترجمة ( principal ) برئيسية .

(١) الصفحة ٢٣١ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : مات الشيء يموت موتاً مَرَسَهُ ويعينه لغة إذا دانه والنح .

- 6010 Fracture par écrasement كَسْرٌ بِالرَّهْسِ  
والشائع كَسْرٌ بِالْهَرَسِ (١) .
- 6024 Fragilité عَطْوِيَّةٌ ، هَشَاشَةٌ  
وأقر جمع اللغة هشوشة وجاء في الشرح : خاصية للمادة تجعلها قابلة  
للكسر بسهولة .
- 6051 Friable , fragile هش عَطُوبٌ ، كَسُورٌ ، قَصُومٌ  
cassant , ante  
وأقر جمع اللغة هَشْ وقصيف .
- 6054 Frigidité ( sexuelle ) إِبْرَدَةٌ ( جِنْسِيَّةٌ )  
وقد أقرها جمع اللغة (٢) .
- 6056 Frisson نَافِضٌ ، عُرَّاءٌ ، رِعْدَةٌ
- 6057 Frisson fébrile نَاقِضٌ الْجُمُئِيّ  
وأقر جمع اللغة العُرَّاءُ .
- 6090 Fuchsine phéniqué فُوكْسِينٌ فِينِيّ  
وأقر جمع اللغة فوكسين فينولي .
- 6093 Fuite des idées . تَدَهُورُ الْأَفْكَارِ .  
précipitation des idées  
وأفضل تسرب الآراء وازدحام الآراء والأفكار .
- 6094 Fulgurant , ante لَامِعٌ ، بَارِقٌ ، وَاحِزٌ رَامِحٌ  
lancinant , ante  
وأرجح صاعق ورامح .

(١) في اللسان : الهَرَسُ الدَّقُّ ومنه الهَرِيصَةُ والكهرَسُ الشيءُ يهرسه هرساً دقته وكسره  
في اللسان أيضاً : زَمْزَمَهُ تَرَمَمَهُ رَمَمَهُ وَطَنَهُ وَطَاءَ شَرِيداً .

(٢) الصفحة ٤٧٤ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة . م (٩)

٦٠٩٨ Fumer la pipe (سكتة) كدخن المدخن  
(apoplexie)

وأرجح تحرك أحد الخدين في السبات كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي<sup>(١)</sup> أو كأن المصاب يدخن بالفلكيون .

٦١٠٩ Fusiforme ميغزلي الشكل  
وأقر جمع اللغة ميغزلي .

٩١١٠ Fusion , fonte صهر ، إذابة  
وتأتي لفظة (fusion) بمعنى اندماج كما أقرها جمع اللغة وجاء في التعريف :

وهو اتحاد خليتين أو نواتين معاً عند التناسل كاتحاد الأمشاج لتكوين اللاحقة ، ومنه أيضاً اتحاد الخلايا لتكوين قناة من قنوات الأوعية الموصلة أو البنية .

G

٦١١٦ Gaine amniotique du (السائيائي) غمد السرر  
cordon ombilical

غممد جبل السرة (كما أقرتها اللجنة اللفظة ٣٢٦٣) السيلي<sup>(٢)</sup> (كما أقرها جمع اللغة) .

٦١٢٥ Galactocèle كيسة لبنية ، قيلة لبنية  
وأقر جمع اللغة قيلة لبنية .

٦١٢٦ Galantine خنزير أو دجاج محشو  
أحد أنواع اللحوم الباردة بالهلام كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي<sup>(٣)</sup> وأرجح لحم بارد هلامي .

(١) Blowing in and out of the cheeks in coma

(٢) الصفحة ٤٦٤ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (Dish of meat served cold with jelly)

٦١٢٧ أشق ، وُشَقْ Galbanum , résine utérine 6127  
وجاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي البارزْدُ في  
سياق الكلام عن نبات يدعى قِنْدَة ( *Ferula galbaniflua* ) إذ ورد شرح  
اللفظة نبات طبي من الفصيلة الخيمية يستخرج منه صمغ يسمى البارزْدُ  
( Galbanum ) وهو يستعمل في الطب .

وجاء في شرح لفظة ( Galbanum ) من معجم بلاكستون ( Blakiston's )  
صمغ راتنجي للنبات ( *Ferula galbaniflua* ) كان يستعمل مقشعاً ومحرضاً  
ويدخل في تركيب بعض المعاجين .

أما أشق وُشَقْ فقد جاءت في معجم الألفاظ الزراعية في ترجمة  
( Gomme ammoniac ) وجاء في الشرح : ( القاموس : وهما من أصل  
فارسي صمغ طبي يستخرج من أنواع نباتية من جنس *Ferula* خاصة ) .

وجاء في المعجم الوسيط في شرح لفظة ( الوُشَقْ ) نقلاً عن مجلة مجمع  
اللغة : الوُشَقْ : الأَشَقْ وهو صمغ طبي يستخرج من أنواع نباتية من جنس  
الفيرولة ويعرف في مصر بالكلخ ، أو علك الكلخ ونبات العشب المتخذ  
منه في إيران والتركستان وجنوبي سيبيريا وهو عشب معمر يسمو إلى مترين  
وثلاثة له جذر وتدي غليظ وساق جوفاء .

٦١٣٨ عَفَصُ البَلْثُوط ، جَوْزُ العَفَصِ Galle de chêne ,  
noix de galle 6138

عَفَصُ البَلْثُوط في اللفظة الأولى وعَفَصَة في الثانية كما ورد في معجم  
الألفاظ الزراعية ، وجاء في تعريفها : ( بَثْرَة أو تضخم يحصل في بعض  
النباتات بتأثير طفيليات حيوانية أو نباتية ) .

٦١٤٣ مِيقْيَاسُ غَلْفَانِي ذو إبرة Galvanomètre à aiguille 6143  
وأرجح مقياس غلفاني ذو عَقْرَب .

- ٦١٤٦ مقياس غلفاني ذو حبل Galvanomètre à corde 6146  
وأرجح مقياس غلفاني ذو وتر .
- ٦١٤٩ مقام ، جمّة ، سلسلة أو سلّم Gamme 6149  
أو جماعة أصوات أو ألوان
- وأقرّ جمع اللغة ترجمة اللفظة بمقياس . ولا أراها تقي بنواحي معنى اللفظة  
الأجنبية جميعها وأرجح إضافة سلسلة أو سلّم حسب موضع الاستعمال .
- ٦١٦١ عَقْدَ لَفَاوِيَة Ganglions lymphatiques 6161  
وأقرّ جمع اللغة عقد لَفَفِيَة أو لَفَفِيَة .
- ٦١٦٣ عَقْدَ الْوَدِّي الْحَيْطِيَة Ganglions périphériques 6163  
du sympathique  
وأقرّ جمع اللغة تعريب لفظة (sympathique) بِسِمْتَاوِي فتصبح اللفظة  
الثانية عقد سِمْتَاوِيَة والأولى العقد السِمْتَاوِيَة الْحَيْطِيَة .
- ٦١٦٧ مَوَاتِي Gangrèneux, euse 6167  
sphacéleux, euse  
غَنَغَرِيْنِي كما أقرّها جمع اللفظة ومواتي (١) ترجمة لللفظة الثانية .
- ٦١٧٥ حَارِسَة الطِّفْلِ Garde d'enfant 6175  
وأرجح المشرفة على الطفل .
- ٦١٧٦ مُمْرِضٌ ، مُمْرِضَة Garde - malade 6176  
وأرجح المشرف أو المشرفة (على المريض) لتخصيص لفظي مُمْرِضٌ  
وممرضة ترجمة لـ (infirmier) و (infirmière) شأن ما فعلته اللجنة  
(اللفظتان ٧٢٦٤ و ٧٢٦٥) .



٦١٨٠ ميكترية ، قِطاط Garrot 6180  
وأرجح وثائق أو ميكترية ، تاركاً قِطاط ترجمة لـ ( maillot ) كما فعلته  
اللجنة ( اللفظة ٨١٢٢ ) .

٦١٨٢ كَرَب أحد الأطراف Garroter une extrémité 6182  
وكذلك أو ثقته أو شد وثاقه .

٦١٩٦ تشنّج المعدة Gastrospasme 6196  
وأقر بجمع اللفظة ترجمة ( spasme ) بتشقلّص وجاء في الشرح : انقباض  
عضلي لا إرادي يحدث بَعَثَةً . فتصبح ترجمة اللفظة تقلص المعدة ، كما  
أن المجموع ترجم لفظة ( Convulsion ) بتشنج وسقت ملاحظتي على هذه اللفظة (١) .

٦١٩٨ جُرْثُومَة مُتَحَوِّصَة أو مُجَوِّفَة Gastrula 6198  
وأقر بجمع اللغة تعريب اللفظة بجسترولة ( غسترولة كما رسمها في سورية )  
وأرى التعريب أفضل .

(١) معى ابتدائي جوف فوقي Archenteron , intestin (1)  
primitif, cavité gastruléenne

وأقر بجمع اللغة : معى بدائي - أركنترون وجاء في التعريف : وهو  
تجويف الجسترولا ( هكذا رسمت هذه المرة ) التي هي أحد الأطوار الجنينية .  
أما جوف فوقي في ترجمة اللجنة للفظه الثانية فالأفضل أن تكون جوف  
الغسترولة وكان عليها أن تنسبها إلى الجرثومة المتحوّصة للفظه السابقة .

(٢) مُتَشَرِّح الجُرْثُومَة ، فم ابتدائي Blastopore , bouche (2)  
primitive

وأقر بجمع اللغة : فم الجسترولة وجاء في التعريف : وهو فتحة المعى  
البدائي ( Archenteron ) إلى الخارج في الطور الجنيني المعروف بالجسترولة

وهو الطور الذي يلي البلاستولة : وجاء في تعريف البلاستولة : طور جنيني تنظم فيه الخلايا في طبقة واحدة تحيط بتجويف .

٦٢٠٨ غاز الحرب المُثَبِّق Gaz de combat lacrymogène 6208 وأرجح غاز المعركة أو القتال المدّ مع (١) .

٦٢١٧ غزي ، موصلي Gaze , mousseline 6217 وأقر جمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالشاش (٢) . علماً بأن اللفظة الفرنسية بالنسبة إلى غزة فتصبح غزي مفضلة .

٦٢٢٤ عرّطل عرّطلّة Géant , géante 6224 وأقر جمع اللغة مارِدْ ومارِدّة .

٦٢٢٥ هَلام ، هَلامين ، غلوتين غروين Gelatine , glutine 6225 ولا أرى لزوماً لإقام لفظه غروين هنا بعد أن سبق للجنة أن استعملت لفظه غراء ترجمة لـ ( Colle ) ( اللفظة ٢٨٥٢ ) .

٦٢٣٠ جَمَد ، مهلمة Gelée 6230

٦٢٣١ جَمَد الكِشْمِش (كه) قشاعات Gelée de groseille 6231 في سرطان الرئة (en) crachats, dans le cancer du poumon

والصحيح جَمَد في اللفظة الأولى ومَجَمَد الكِشْمِش في الثانية . فقد جاء في ترجمة اللفظة الانكليزية للمعجم الأصلي ( Jelly ) واستبعد استعمال لفظه جَمَد (٣) .

الدكتور حسني سبيع



( للبحث صلة )

(١) في اللسان : ودَمَت العين ودَمِيت تدَمَع دماً ودَمَناً . وإذمَع الإناء إذا مَلَأَهُ حتى يفيض .

(٢) جاء في المعجم الوسيط في شرح اللفظة: نبيج رقيق من اللّظن تضمد به الجروح ونحوها .

(٣) في معجم الألفاظ الزراعية الأمير مصطفى الشهابي في شرح لفظه ( Gelée ) ضَرْبٌ مِنَ المَرْبِيِّ يُصْنَعُ بِصِيرِ الدَّوَاكِهَةِ مَطْبُوعاً مَعَ السُّكَّرِ فَيَصْبِحُ كَالْهَلَامِ أَوْ الْجَمَدِ أَيْ الْجَلِيدِ .

## تقي الدين محمد الراصد

محيطنا خصب لم ينقطع في وقت عن ظهور نوابغ في العلوم والآداب وسائر الثقافات . فهو وافر الإنتاج في جميع العصور والأزمان . وإن العلوم الرياضية والفلكية من أصعب العلوم مراساً ، وأجلها دقة وعناية ، ولا سيما الأرصاد ، وما ولدت من أزياج ، فهي تحتاج إلى مواهب أعظم ، ورغبة زائدة ، ومثابرة مستمرة ، وأخذٍ عن أستاذ ضليع متمكن ، وقلَّ عدد من نبغ عندنا فيها ، وبلغ شأواً منها في مختلف العصور ، وإن جمهرة العلماء في أيام الخليفة المأمون كانت كبيرة جداً لشدة الميل إلى هذه العلوم . أبدعوا في الفلك ، وفاقوا في الأرصاد ، وصارت شهرتهم عالمية بما خلدوا من أزياج ، ثم تضاعف العدد ، وقلَّ النوابغ ولا يزالون في تناقص متوالٍ ، حتى ظهر أكابر في الدولة العثمانية كانت اشتغالاتهم جارية في البحرية والرياضيات والفلك . وعلى الرغم من قلتهم ، بلغوا درجة كبيرة من العناية والاهتمام بهذه العلوم ، لا سيما بعد فتح استنبول في ١٩ من جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م وانكشفت آفاق أمامهم فتوسعت العلوم بعد الاتصال بالأقطار العربية فبلغت غاية كبيرة . قال الأستاذ السخاوي :

« ومن ممالك الروم التي كرسى ملكه اصطنبول ومنه أذنة وبرصة وغيرها من مجاورها ، ففيها فضلاء بالعقليات . وعالمهم بل كلهم حنفيون . وقلَّ أن تصل إلينا أخبارهم . (١) » .

---

(١) الاعلان بالتوبخ لمن ذمَّ التاريخ ص ٣٠٠ و ٣٠١ طبع بمطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٦٣ بتحقيق ونعاليق (فراز روز نال) نقله إلى العربية الدكتور صالح أحمد علي . والملاحظ ان (أذنة) لم تفتقر ، وان (أدرنة) كانت عاصمة في ذلك العهد ، وهي مجاورة لاستنبول والقول بأنها أذنة غلط ظاهر . فانفضى التنبيه عليه .

هذا مع العلم بأن الأستاذ السخاوي كان قد ألف كتابه (الإعلان بالتويخ لمن ذمّ التاريخ) وأتمه سنة ٨٩٧ هـ - ١٤٧٤ م ، وتوفي سنة ٩٠٢ هـ - ١٤٩٧ م ولم يدرك فتح بغداد ، ولم تكن لها علاقة باستنبول وتلك الأنحاء ، فهي بعيدة عنهم ومنقطعة إلا أن الصلات بالعراق كانت وثيقة في الثقافة خاصة ، وأن الشام لم تفتح إلا في ٢٥ من رجب سنة ٩٢٢ هـ - ٢٤ من آب سنة ١٥١٦ م ، وأن مصر فتحت في ٢١ من ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ - ١٥١٧ م .

أما العراق فكان الاتصال به أقوم ، وفتحه كان في ٢٤ من جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م ، ولكننا نرى حمايتهم لأهل الثقافة كبيرة جداً ، ونوابغهم في الفلك والرياضيات معروفون من أواخر القرن التاسع ، وبالتعبير الأولى من تاريخ فتح استنبول ؛ وبعد فتح البلاد العربية ، والاتصال بثقافتها ، وعلمائها ، تغيرت الوجهة أكثر وكان للاحتكاك العلمي والأدبي قيمته حيث استمر النشاط الثقافي وازداد فظهر بينهم علماء أكابر كما قال العلماء المسكنة عندهم ، والرعاية التامة .

ومعرفة تاريخ هذه العلوم ضرورية وإذا كانت فقدت مكانتها اليوم فلم تفقد مكانتها التاريخية ، فإن تاريخ العلوم لم يهمل بوجه ، وإن الأمم لم تهمل تاريخ ثقافتها .

وفي أواخر القرن العاشر الهجري ظهر نابغة دؤوب في العلوم الرياضية والفلكية ، وهو تقي الدين محمد بن معروف الراصد . وكانت رغبته فيها شديدة جداً وميله إليها كبيراً . وزاد اشتغاله ، واتصل بعلماء أفاضل كان لتوجيههم قيمته . ولد في مصر سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢٠ م . ومنهم من قال ولد سنة ٩٣٢ هـ - ١٥٢٥ م بدمشق (١) . قال المؤرخون : درس العلوم

في مصر ثم ولي التدريس في بعض مدارسها ، وبعدها ولي قضاء نابلس سنة ٩٧٠ هـ - ١٥٦٢ م .

ومن ذلك الحين كان مولعاً في الرياضيات والفلك . ولكنه لم يجد مكاناً يسهل مهمته سوى استنبول ، فوجه نظره إليها ، فقصدها في أيام السلطان سليم الثاني ( ولي السلطنة في ٨ من ربيع الأول سنة ٩٧٤ هـ ) ، واستخدم المترجم في وظائف قضائية .

وفي سنة ٩٧٩ هـ توفي رئيس المنجمين مصطفى جلي بن علي الرومي (١) الموقت المشهور خلفه الأستاذ تقي الدين فصار رئيس المنجمين بسمي من الجواجه سعد الدين معلم السلطان آنئذ وكان قد رعاه . ومن حين مجيئه إلى استنبول أصبح من رجاله المتميزين في الثقافة .

وكان في أيامه قد وجد أن زيج أولوغ بيك لا يخلو من نقص ظهر فيه ، وإن التوقيت يستند إليه ، ويتحتم تصحيحه ، ليكون الوقت متقناً مضبوطاً ، فالضرورة داعية إلى ( بناء رصد جديد ) .

ومن ثم أمرت الدولة ببناء الرصد على حسابها ، في أوائل أيام السلطان مراد الثالث ، وكان جلوسه في السابع من شهر رمضان سنة ٩٨٢ هـ - ١٥٧٤ م ، وبسمي من الجواجه أيضاً ، شرعت في بنائه سنة ٩٨٧ هـ - ١٥٧٩ م ، في الطوبخانه ( المدفعية ) في ( قلعه ) (٢) أي تل . وسمي

(١) ترجمة الأستاذ مصطفى علي الموقت في تاريخ علم الفلك في العراق من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٨ م ص ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٢) جاء في الوقائع الملاحقة بتاريخ ابن الوردي أن دار الرصد انشأت في ( غلطة ) ومثلها في كتاب حديقة الجوامع وهذا غير صحيح كما تبين على ذلك الأستاذ صالح زكي في كتابه ( آثار باقية ) باللغة التركية ج ١ ص ٢٠ - ٢٠٣ ، وكذا في ذيل تاريخ عطا ، كما أن المترجم أوضح ذلك في كتابه نتائج الرصد ، فقلنا عن ( ذيل زيج تقي الدين الراصد العثماني ) . وجاءت ترجمته في ( قاموس الأعلام ) باللغة التركية . مختصرة .

ب ( جاء رصد ) أي بئر الرصد . ويعده الأول من نوعه . وكان بناء هذا الرصد حدثاً عظيماً في تاريخ علم الفلك ، وكانت اشتغالات تقي الدين الراصد يتكون منها تاريخ حقبة كان من رجالها وكان رئيس المنجمين في الدولة العثمانية . حياته تاريخ ناطق في ( تاريخ علم الفلك ) ، قام المترجم بمهمة رصداته ، وكاد يتمها ، إذ أمر شيخ الإسلام قاضي زاده أحمد شمس الدين بتخريره ، وقول ذلك ( قليج علي باشا قائد البحرية ) أي ( قبودان دريا ) كما هو معروف بهذا اللقب عندهم استناداً إلى خط همايوني صادر يوم الخميس في الرابع من ذي الحجة سنة ٩٨٧ هـ - ١٥٧٩ م ، وذلك بعد أن أكمل المترجم قسماً من لوازم رصده وقام بمهمة الرصد وضبط حركات النيرين . وكان الأستاذ صالح زكي لاحظ هذه الأوضاع في الرصد وعرف اشتغالاته ، فتأسف لما وقع مما يعد وصمة أو نكبة لا يحى أثرها على الدولة ، وعلى المشيخة الإسلامية لما جرى من خرق هذا التبع الذي لا يعرف قيمة للعلم ولا درجة التعب في سبيله . حرماً فائدة كبيرة بل فوائد لا تحصى ، وأثر في تاريخ الثقافة تأثيراً كبيراً كما أضر في الدولة العثمانية كثيراً ، وأخر سيرتها العلمية وحرم الأمة من فوائده وقضي عليه في ليلة مشؤومة ، فصار نقمة العصور والأزمان .

ولا شك في أن هذا يفسر بما وقع من حسد ورقابة للخواجة سعد الدين ، ولالأستاذ المترجم ، فلم يتحمل أمرها وبلغ به الغيظ ما بلغ ، وحقيق غاية الحق .

ولو كان بقي هذا الرصد لجارى الغرب في رصداته أو سبقهم بالنظر لتاريخ تأسيسه فإنه عمله قبل زيج كاسيني ، وصار لا يقل عنه في تجدد ، وأبدى تحسناً لا تقا وتوسعاً في هذه العلوم لا تقل عن غيرها . فغطت هذه الموهبة الغدّة ، والقدرة الفائقة ، وحرمت المعرفة ، وأضر بالمملكة . وعدّه الأستاذ صالح زكي أول راصد في الدولة العثمانية وآخر راصد لها .

## مؤلفاته في الفلك والرياضيات :

١ — معرفة وضع الساعات ودوائرها وتأثيلها وغير ذلك :  
أوله بعد الديباجة : فاني كنت في زمن الصبا كلفاً بعلم الوضعيات  
مغرمًا بمطالعة كتب الرياضيات (١) .

٢ — سدره منتهى الأفكار في ملكوت الفلك الدوار :  
زيج . أوله : « اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ... » باشر فيه  
أعمال الرصد الجديد ، ودوّنّها إلى أن جرى هدمه . أطرى فيه السلطان  
مراد وذكر الحاجة سعد الدين . كما ذكر قيمة الأرصاد ومكاتها والاشتغالات  
وأهميتها . منه نسخة مهمة وكاملة في خزانة نور عثمانية باستنبول بخط  
( تعليق ) فاخر برقم ٢٩٣٠ ، ويّسن الأستاذ صالح زكي أن هذه نسخته  
الوحيدة الثامنة . وقال : قد تعرضت لذكره عند البيان عن الأزياج بتفصيل .  
وأقول : إن هذا الزيج منه نسخ عديدة رأيتم في خزائن استنبول منها  
نسخة في خزانة رصد قنديللي برقم ١ — ٥٦ والملاحظ أنها بخط مؤلفها .  
كما توجد منها نسخة في خزانة ( سراي طوقبو ) باستنبول باسم ( تحرير الرصد  
الجديد العثماني ) برقم ٤٦٥ كتبت سنة ١١٣٣ هـ عن نسخته بخط المؤلف .  
ونسخة ( في خزانة أسعد ) التابعة لخزانة السلمانية باسم ( نتائج الرصد ) ،  
أو ( زيج تقي الدين الراصد العثماني ) برقم ١٩٧٦ وأشار المؤلف في كتابه  
هذا إلى ما اعتمده من مؤلفات إلا أن اشتغالاته الفعلية أكثر وأوسع مما  
دون في كتابه هذا .

(١) فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية الجزء الثالث  
( العلوم ) القسم الأول الفلك والتنجيم والمقاييس ، وضعه الأستاذ ( بول كوتنس )  
مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م ص ٩٩ .

ونقل صاحب كشف الظنون بحوثاً مهمة عن هذا الكتاب في مادة ( الآلات الرصدية ) وعول عليه . فهو مهم جداً . وبين هذه الآلات ما كان من اختراعه .

### ٣ — الدر النظيم في تسهيل التقويم :

ألفه سنة ٩٩٢ هـ — ١٥٨٤ م وهو زيج صغير ، أوله : « الحمد لله واهب المن من فضله العليم ... » منه نسخة ضمن مجموعة في دار الكتب المصرية (١) ذكر فيه أنه استخرج زيجاً وجيزاً من زيج أولوغ بيك وجعله مدخلاً في استخراج التقويم . كما توجد نسخة منه في خزانة جامعة برنستن (٢) . وذكره في كشف الظنون ( ج ١ ص ٩٠٥ و ٩٠٦ ) .

### ٤ — خريدة الدرر وجريدة الفكر :

ألفها سنة ٩٩٢ هـ وهي زيج صغير . نسخة منها في خزانة برلين وكانت لدى الأستاذ صالح زكي نسخة منها ، وأظنها صارت لخزانة الجامعة في استنبول ورأيت نسخة في خزانة أسعد التابعة لخزانة السلمانية ضمن مجموعة مع سدره المنتهى برقم ١٩٧٦ . وجاء اسمها جريدة الدرر وخريدة الفكر . وأهداها المؤلف إلى أستاذ السلطان الخواجة سعد الدين . وهي جداول اعشارية ورجعها على الستينية ، وسمى نفسه تقي الدين محمد بن زين الدين معروف . وبين جداول ( الشكل الاعشاري ) وهو من استنباطه . وفي هذا رجح القول في الجداول العشرية على الجداول الستينية التي كان قد رجحها ابن الهدي (٣) وبعده اختارها سبط المارديني (٤) ، وبهذا أبدى تجديداً في رصده ، وفي اتهاجه

(١) الفهرس القديم لدار الكتب المصرية ج ٥ ص ٣٠١ .

(٢) فهرس خزانة جامعة برنستن في أمريكا الشمالية ، ص ٣١٤ المطبوع سنة ١٩٣٨ م .

(٣) توفي ابن الهدي في ١١ ذي القعدة سنة ٨٥٠ هـ — ١٤٤٧ م وتفصيل ترجمته في تاريخ علم الفلك في العراق ص ١٧٩ — ١٨٤ .

(٤) توفي سبط المارديني نحو سنة ٨٩٠ هـ — ١٤٨٥ م وتفصيل ترجمته في تاريخ علم الفلك في العراق ص ١٨٧ — ١٩٦ .



جداول الجيوب الاعشارية ، وبهذا يكون قوله مقدمة لجداول الفارثمة  
إن لم يكن هو القائل بها قبل غيره .

٥ — رسالة في الشكل الشكازي :

أولها : « الحمد لله حق حمده ... » . وهي وجيزة تشتمل على عشرة  
أبواب . ذكرها في كشف الظنون .

٦ — تحرير أكر ثاوذسيوس اليوناني المهندس :

ذكرت في كشف الظنون . ج ١ ص ١٤٢ .

٧ — بغية الطلاب من علم الحساب :

أولها : « الحمد لله أسرع الحاسين ... » . ليس لها تاريخ . منها  
نسخة في مكتبة الخزينة من سراي طوبقو ضمن مجموعة برقم ٤٦٥ وخطها  
تعلیق نفیس . كما توجد نسخة في خزانة جارا الله التابعة لخزانة السليمانية  
بإستنبول برقم ١٤٥٤ .

٨ — ريحانة الروح في رسم الساعات على مستوى السطوح :

في البسيطة أو الرخامة ألفها سنة ٩٥٧ هـ في نابلس أيام قضائه فيها .  
منها نسخة حررت في ١١ ذي القعدة سنة ١١٣٠ هـ عن نسخة كتبت  
سنة ٩٧٥ هـ ، رأيتها في خزانة بايزيد العامة في خزانة ولي أفندي في  
إستنبول برقم ٢٣٠٥ أولها : « يا من أبرز من أفق الإبداع شموس العقول ... » .  
وجاء في مقدمتها : لما كانت معرفة أوقات العبادات من فروض الكفاية ،  
والاستدلال عليها بما رسم على الرخامات الظليّة في عموم النفع نهاية ، أحببت  
أن أحرر فيها هذه الرسالة بطرائق قطعية البراهين والدلالة ، وجمع المؤلف  
فيها ما يتداوله الناس من الكتب المختصرة والمطولات رسم يقتفى أثره أو شخص  
يستشذ خبره من جميع أحوال المائلات وقال : لجمعت في هذه الرسالة من  
القواعد والفرائد والفوائد ما يمنح مطالعها ملكة رسم الخطوط الوقتية باختلاف

أنواعها على سائر السطوح المستوية المتباينة في أوضاعها وسميتها ... وعزّز بحوثة برسوم هندسية وأزياج واضحة غاية الإيضاح ، وألحق بذلك جدولاً جامعاً لجميع ما يحتاج إليه الفن من الأعمال . كما ألحق بها جدولاً في الرخامة البسيطة ، وتوجد منها نسخة في خزانة أسعد في استنبول التابعة لاسليمانية كُتبت سنة ١٠٩٥ هـ عن نسخة مؤرخة سنة ٩٧٥ هـ وهي برقم ٢٠٢٢ ونسخة أخرى برقم ٢٠٥٥ وفيها ذكر سلسلة نسبه وأنه تقي الدين محمد بن المعروف بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف بن الأمير ناصر الدين منكوبرس (١) ابن الأمير ناصح الدين خمارتكين أسد العرين وأمير المجاهدين ... وشرح هذه الرسالة تلميذ المصنّف . جاء في كشف الظنون : شرحها العلامة عمر بن محمد الفارسكوري شرحاً بسيطاً بمزجاً بإشارة من المصنف وسماه (فتح الفيوح بشرح ريحانة الروح) . أوله : « الحمد لله الذي نظم جواهر الكواكب الزواهر ... » وفرغ منه في ربيع الأول سنة ٩٨٠ هـ وتوفي سنة ١٠١٨ هـ (٢) — ١٦١٠ م .

#### ٩ — دستور الترجيح لقواعد التسطيح :

ورد في بعض النسخ (الدستور الرجح لقواعد التسطيح) أتم تأليفه سنة ٩٨٤ هـ وهو آخر ما كتب في البسيطة المعروفة بالرخامة ، وقد آتخف به خزانة الخواجة سعد الدين . منه نسخة في خزانة رصد قنديللي برقم ٥٦ .  
١٠ — نظم في ربيع الدستور المعروف بالحيّ .

من شرح هذا النظم نسخة في دار الكتب المصرية . أوله : الحمد لله الذي رفع الأفلاك من غير عمد (٣) ...

(١) وجاء في هدية العارفين ج ٢ ص ٢٥٧ أنه « محمد أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف بن الأمير منكوبرس الأسدي تقي الدين أبي بكر الراصد .

(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ٩٣٩ .

(٣) الفهرس القديم لدار الكتب المصرية ج ٥ ص ٢٦٢ و ٣٢٧ .

١١ — الكواكب الدرية في البنكamat الدورية :

ذكره في كشف الظنون .

١٢ — خلاصة الأعمال من مواقيت الأيام والليالي :

ذكرها في كتابه تَوَر حديقة الأبصار وفي كشف الظنون أيضاً .  
كما ورد ذكرها في مجموعة مكتبة الخزينة في سراي طوبقور رقم ٤٦٥ وقال :  
في الرسالة الموسومة ( خلاصة الأعمال ... ) رصدت عرض القسطنطينية  
لما بين العارة السليمية وباب أدرنة . كما عملت العرض والطول وسمت القبلة .  
١٣ — تَوَر حديقة الأبصار وتَوَر حديقة الأنظار .

يبحث في علم المناظر ( البصريات ) ، أوله : « الله نور السموات والأرض ... » .  
وأبدع في البصريات . وأهداه إلى قاضي قضاة الدولة العثمانية ملا جلي  
عبد الكريم . وقد طالعه في خزانة السليمانية في لاله لي باستنبول رقم ٢٥٥٨  
كما توجد منه نسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ٢٧٥٠ ، رجع فيه إلى كتاب  
المناظر لأقليدس وهو ( كتاب الكندي ) فيلسوف العرب وإلى تحريره للخواجه  
نصير الدين الطوسي ، وإلى كتاب المناظر لابن الهيثم وإلى ( تنقيح المناظر  
لذوي الأبصار والبصائر ) للعلامة كمال الدين أبي الحسن الفارسي <sup>(١)</sup> طبع  
هذا الكتاب في مجلدين كبيرين في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٨ هـ .  
وهذا الكتاب لم يدقق من ناحية البصريات ، وما فيه من حدوث تجدّد  
علمي ، وصلته بما هو معروف في الغرب . لنعلم قيمة بحوثه .

١٤ — رسالة في صفة استخراج منطقة الكرة :

هذه الرسالة جاء ذكرها في مجموعة مع كتاب ريحانة الروح في خزانة  
ولي أفندي في بايزيد برقم ٢٣٠٥ .

(١) كتاب فيلسوف العرب الكندي « نقله إلى العربية وطبع ببغداد سنة ١٩٦٣ م .  
وفيه تفصيل هذه البحوث ص ٦٦ و ١٢٩ - ١٣٦ .

١٥ — رسالة شرح فيها تسعة الآيات التي كان قد نظمها في استخراج التواريخ المشهورة من التاريخ العربي :

وردت في المجموعة المرقمة ٢٣٠٥ في خزانة ولي أفندي في بايزيد وفي خزانة لاله لي نسخة جاء في أولها : الحمد لله بكرة وأصيلًا . . . وسماها ( شرح آيات عشرة ) ضمن مجموعة برقم ٣٦٤٢ .

١٦ — رسالة في ضبط قوس الليل والنهار :

منها نسخة في خزانة « رصد قنديللي » باستنبول .

١٧ — رسالة في حساب أنصاف أقطار المقنطرات :

منها نسخة في خزانة رصد قنديللي رقم ٥٦ في استنبول .

١٨ — الطرق السنية في الآلات الروحانية :

وهذه ذكرها لي الشيخ محمد الصفائحي . وهي في خزانة رصد قنديللي وإن الأستاذ من مشاهير الرجال في معرفة الكتب ، ومن أفاضل العلماء . وأعتقد أن تقي الراصد عدل عن مثل هذه البحوث ، وتركها .

١٩ — سجنجل السماء :

قال العلامة عمر بن محمد الفارسكوري إن المترجم زيجاً آخر يسمى ( سجنجل السماء ) أشار إليه في كتابه بنية الطلاب من علم الحساب وجاء ذكره أيضاً في غلاف الكتاب رقم ٤٦٧ في مكتبة الخزينة في سراي طوبقو باستنبول .

٢٠ — بهجة الفكر في حلّ الشمس والقمر :

من متعلقات الزيج الأولوغ بيكي ذكره في كشف الظنون وفي هدية العارفين ج ٢ ص ٢٩٧ .

## ٢١ - المصاييح الزهرية :

مخطوط أشار اليه الأستاذ الزركلي (١) .

وهنا أقول : إني وقفت على الكثير من مؤلفاته المذكورة وأشارت إلى مواطن وجودها بقدر الإمكان في خزائن استنبول ، وفي خزانة « رصد قنديللي » وذلك حينما زرتها في صيف سنة ١٩٦٤ م . فكانت المعرفة متصلة في آثاره ومؤلفاته . وكذا وجدت بعضها في فهارس أخرى كما مر .

قام الأستاذ المترجم بإصلاح الرصد في العهد العثماني ، وكتب أزياجاً مهمة ويعده عند أول راصد ، وآخر راصد كما تقدم فلم ينبغ بعده من يسد مكانته أو يحصل على ما حصل عليه في العلوم الفلكية من معرفة . وكانت الضربة الموجهة عليه قاسية جداً ، وأضرّت بالثقافة ، بل أخرجت الثقافة الفلكية ، فكانت بدء الانحطاط ، وإن الغرب تقدم في هذه الناحية وتلقف المعرفة وقام جماعات فيه لحماية هذه العلوم والظهور بها ، والأخذ بنصرها ، وتعالى أمرها .

كان المترجم خاتمة المطاف العلمي ، وبدء التوقف وبعدها ظهر الغرب بالمظهر اللائق ؛ فإذا كان قد توفي باستنبول سنة ١٥٩٣ هـ --- ١٥٨٥ م فإن الغرب قام ببناء الأرصاد بعده بنحو مائة سنة مرت على وفاته . حيث ظهر الأستاذ كاسيني برصده ، وأكمل زيجه المعروف باسمه ( زيج كاسيني ) .

أهلنا أمر هذا الرجل العظيم ، وهو يستحق أن نحي ذكره وأن ندقق في آثاره ، ونتوغل في معرفة كنه علومه الفلكية والرصدية ، وما قام به من بحوث في ( البصريات ) أو ( علم المناظر ) ، ودرجة اتصاله بابن الهيثم وغيره من علمائنا ، وكذا في الرصد وبحوثه الأخرى ، ونلاحظ

صلاته العلمية بأرصاد الغرب . ونظراً لبراعته في الأرصاد نعت بتقي الدين الراصد . ومثل هذا الرجل العظيم لا ينبغي أن يهمل . وإذا بحسه بعض الناس حقه ، وصاروا حجر عثرة في طريقه ، فلن ننسى أن مؤلفاته تشعر بعظمته ، وتبين غزير علمه في الفلك والرصد ، فهو من رجالنا الأفاضل ، كتب جميع مؤلفاته باللغة العربية ، وكانت ولا تزال لسان العلوم . وإن ما كتب باللغة التركية ، أو باللغة الفارسية كان يفهم أرباب اللغات بها يدونون بخلاف المترجم .

وبعد يجب أن لا نهمل هذا العالم ، وأن تعاد ذكرياته ، وأن تبسط آراؤه وتجديداته في مختلف العصور للمعرفة والاتصال بتاريخ الثقافة دائماً . ولمصر ، وللشام صلة أكيدة به ؛ بل للعالم العربي جميعه ، وللعالم الإسلامي علاقة كبيرة به وبتاريخ الثقافة وخاصة بتاريخ علوم الفلك وهي مرتبطة بجميع البلاد الإسلامية ، وإن تأثيرها امتد إلى الغرب في نهضته الثقافية ، فهو مدين لها في تكميل ثقافته والتكمل بها من وجوهها ، ولا تزال نرى المؤلفات باللغة اللاتينية نقلت إليها الكثير من المخلدات العربية كالرياضيات والفلك .

هذا . وإذا كان شيخ الإسلام غمطه حقه فالواجب الأدبي يحتم علينا أن نعيد له مكانته العلمية ونقدر له اشتغالاته الدائمة الدائبة في الرياضيات والفلك ، وأن نكرر ذكرياته بلا انقطاع . وإذا كان طفلي الطفلة على ما قام به من التجدد العلمي وثار على رصده فالتاريخ لا يهمل أمره ولا يترك تجاربه وبحوثه لاسيما ما يتعلق بتاريخ العلوم .

هذا ، وإن الدعوة إلى الاحتفال بذكره تدعو إلى دعوة أخرى في الوقت نفسه ، وهي :

- ١ — الدعوة إلى إصلاحه في الرصد وآلاته .
- ٢ — رصده وقيمه العلمية .
- ٣ — تدقيقات في كتابه في البصريات .
- ٤ — الرخامة وأثره فيها .
- ٥ — بحوثه الفلكية الأخرى .

وكل هذه تعيد ذكريات قديمة ترجع إلى العهد الزاهر وإلى العلاقات التاريخية بالغرب ، والتجدد الغربي ، وما حدث عندنا . ولا شك في أن تدقيق حياة التقي الراصد تلهم بحوثاً تاريخية مهمة تتعلق بعلم الفلك والرياضيات وبالرصد وآلاته ، وبالأزياج ومكانتها وبالبصريات إلى آخر ما هنالك ، على أن يقوم العلماء المختصون في أمر ما أبدعه في المناظر ، واخترعه في الرصد ، وفي البحوث الفلكية الأخرى ، عدا ما قام به من الخدمة في تاريخ ثقافة الفلك والرياضيات والمبصرات ، فإذا كان لدينا من دق في بحوث ابن الهيثم وفي بصرياته (١) فالحاجة كبيرة إلى مواصلة البحث في هذه الموضوعات إلى أيام تقي الدين الراصد ، وما خلده من بحوث .

**عباس المزاري**



(١) لعل الأستاذ المزاري يشير إلى كتاب « الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه البصرية » لمؤلفه العلامة مصطفى نظيف .  
( لجنة المحلة )

# طرر على معجم الأدباء

## أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ٢ —

( المجلد الأول )

١٨٤ : ٤ الصواب تنجّر الزجر كما في العدل والتجر الأصل ،  
( ٣ : ١١ / ١٥٣ ) .

١٨٤ : ٦ ابن الجلي هو أبو الفتح عبد الله بن اسماعيل الجلي ( ؟ )  
من أكابر الحلبيين سمع منه الخطيب أبو بكر كما في العدل ، ( ٣ : ١٥٣ / ١٣ ) .

١٧٤ : ٨ جامع الأوزان ترى منه أمثلة في أول تنوير سقط الزند  
لأبي طاهر الخوويّ ، ( ٣ : ١٥٤ / ٣ ) .

١٨٤ : ١٢ الصواب حيّانا عيدى .

١٨٥ : ١٧ هو على ما في العدل ١٢٤ أبو اليمن المسلم بن الحسن بن غياث  
الكتاب الحلبي النصراني ، ( ٣ : ١٥٤ / ١٤ ) .

١٨٦ : ١ نسب الحماسة إلى أبي رياش القيسي لأنه شرحها ،  
( ٣ : ١٥٧ / ٣ ) .

١٨٦ : ٩ الصواب في العدل والذهبي تعليق الخلس ، ( ٣ : ١٥٧ / ١٣ ) .

١٨٦ : ١٣ الصواب بالظل العدل ، ( ٣ : ١٥٨ / ٥ ) .

١٨٧ : ٣ الذهبي رسيل الراموز وكذا القفطي ، ( ٣ : ١٥٨ / ١٥ ) .



١٨٧ : ١٣ الصاهل والشاحج رأيت منه نسخة بالنجف في نحو ٤٠ صفحة ، ( ٣ : ١٤ / ١٥٩ ) .

١٨٧ : ١٥ هنا فرم سداده : روميّاً والكتاب المعروف بالقائف يذكر فيه أمثال على معنى كليله ودمنة عمله لعزير الدولة أبي شجاع المذكور أيضاً ألّف منه أربعة أجزاء ثم قطع تأليفه موت الذي أمر بإنشائه وهو أبو شجاع فاتك فانه قتل بالمركز بقلعة حلب قتله مملوك له هندي يقال له تودون سنة ٤١٣ هـ ومقداره ٦٠ كراسة من العدل وذكره خليفة والذهبي أيضاً ، ( ٣ : ١٦٠ / ٣ ) .

١٨٨ : ٧ السندية كتبها إلى سنده الدولة بن ثمان الكتاني والي حلب من قبل المصريين في معنى خراج على ملكه بعمرة النعمان ، العدل ، ( ٣ : ١٦١ / ٢ ) .

١٨٨ : ٨ في العدل الغرض ، القفطي الغرض ، ( ٣ : ١٦١ / ٤ ) .  
١٨٨ : ١٣ تظلم السور تكلم فيه على اسان سور القرآن ، وتظلم كل سورة ممن قرأها بالشواذ ويتعرض لوجه الشاذ ، ( ٣ : ١٦١ / ١١ ) .

١٨٩ : ١٩ ح الموجود بلندرة ومصر والمدينة وغيرها نسخ من شرح الواحدي وقد حقق ذلك الصديق كامل گيلاني في مقال له . ورأيت أنا من الامع نسخة لعلها من قرن أبي العلاء جليظة ، ( ٣ : ١٦٢ ح ١٤ ) .

١٩٠ : ح (١) لا غبار على رواية ( غار ) ، ( ٣ : ١٦٤ / ١٢ ) .

١٩٠ : ٧ الغفران ١٤٤ طبعة هندية ، ( ٣ : ١٦٥ / ٨ ) .

١٩١ : ١ الأبيات توجد في جميع طبعات الزوم في الماء .

١٩١ : ٧ ثمر لا غير ، ( ٣ : ١٦٧ / ١٣ ) .

١٩٢ : ح (٢) يوجدان في طبعة مصر ١٩١٥ م ٢٦٢ / ١ وفي جميع الطبعات ،

١٩٣ : ١ البيتان ٢ و ٣ من قطعتين وقد حرفها ياقوت بصنيعه هذا

صنعة الزوم . والعتمد يريد العُمدة ، ( ٣ : ١٧١ / ٦ و ٩ ) .

- ١٩٣ : ٥ الصواب ألا فقولوا ، ( ١٢/١٧١ : ٣ ) .
- ١٩٤ : ٥ قلنك المعاني لابن الهبارية رأيت منه نسخة بأياصوفيا
- برقم ٤١٥٧ أنظر كتابي ٢٥٣ . ولابن الهبارية ترجمة في الوفيات رقم ٦٤٢
- مرآة الزمان ٣٦/٨ سنة ٥٠٩ ، ( ١/١٧٤ : ٣ ) .
- ١٩٤ : ٧ الصواب المعري لا غير .
- ١٩٤ : ٩ البيتان بزيادة ثالث في نكت الحميان ١٠٦ والذهبي انظر فائنا
- ص ٢٤ ، ( ٦/١٧٤ : ٣ ) .
- ١٩٥ : ١٩ الصواب وأن يتتار كما في طبعة هذه الرسائل سنة ١٣٤٩ هـ ،
- ( ١٠/١٧٧ : ٣ ) .
- ١٦٦ : ١٥ الصواب إلى الجوف . الرسائل ، ( ٥/١٧٩ : ٣ ) .
- ١٦٦ : ١٦ الصواب التي تمتاز منه . الرسائل .
- ١٩٦ : ح (٣) حُكَّها .
- ١٩٧ : ٤٠ [ رأى ] زيادة من المصحح لا توجد في الرسائل لم يوفق .
- فيها إلى الصواب .
- ١٩٨ : ٢ الصواب بين البازل والرُبْع ، ( ٣/١٨٢ : ٣ ) .
- ١٩٨ : ١٢ الصواب القضية الثنوية أي الاستثنائية . انظر الرسائل
- ص ١٩ ، ( ٥/١٨٣ : ٣ ) .
- ١٩٩ : ٢ قائلهم هو عمرو بن كلثوم في معلقته . والصواب فما وجدت .
- ( ٣/١٨٤ : ٣ ) .
- ١٩٩ : ١٤ الرسائل الرأفة ، ( ٨/١٨٥ : ٣ ) .
- ٢٠٠ : ٤ وله من اللزوم في المعنى :
- بأيّ مجرم بأيّ حكم سُلّط ليث على مَهاها
- ( ٩/١٨٦ : ٣ ) .

- ٢٠٠ : ٩ القطعات الثلاث الآتية في الغفران ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٤٧ .  
 ( ٣/١٨٧ : ٣ ) .
- ٢٠٠ : ١٨ الصواب أبتك ، ( ٣/١٨٨ : ٣ ) .
- ٢٠١ : ٢ الصواب كما في الغفران والرسائل :
- أدنيا مني خايـلي عـبـدلاً دون الإزار  
 لا غير وهي في نسخة أثرية القُتَيْبِي والثاني فيه :  
 واسقياني وإن حرب واسترانا بالإزار  
 ( ٣/١٨٨ : ٧ ) .
- ٢٠١ : ٦ ابن رغبان هوديك الجن وبيتاه مع ثالث في معاني العسكري ٢/٢٥١ :  
 وأصدق ما أبشك أن قلبي بتصدق القيامة غير صاف  
 ( ٣/١٨٩ : ٣ ) .
- ٢٠١ : ١٢ والرسائل ( كبير عندي وعنده ) ولا غبار عليه جعل عند  
 اسما كالتنبي : أباد له عندي يضيق بها عيـنـدُ ( ٣/١٨٩ : ١٢ )
- ٢٠٢ : ٦ الصواب بنجيرة عن ، الرسائل .
- ٢٠٢ : ١٤ والشمس الخ اعل السورة والضحي والليل إذا سجا الخ  
 لأن فيها ﴿ ووجدك ضالاً فهدى ﴾ والآية تقرأ لنشدان الضائلة . وإن كان  
 في الرسائل كما هنا ، ( ٣/١٩١ : ١٢ ) .
- ٢٠٣ : ٤ الصواب طلبه حجة ، ( ٣/١٩٢ : ١٠ ) .
- ٢٠٣ : ١٧ الصواب فمن كما في الرسائل .
- ٢٠٥ : ٦ الصواب حلال طلق كما سيأتي في ص ٢١٢ وكما في الرسائل ،  
 ( ٣/١٩٦ : ٦ ) .
- ٢٠٦ : ٤ الشائر في الرسائل أيضاً وهو مشترك العسل .
- ٢٠٦ : ٥ الصواب أن يجعل . الرسائل ، ( ٣/١٩٨ : ٥ ) .

## أغلاط المنجد

- ٢ -

وفي ص ٢٧١ يقول عند ذكر « سوق » أسواق العرب دومة جندل ، خطأ والصواب دومة الجندل ، ويقول أول يوم من ربيع أول ، خطأ والصواب ربيع الأول ، ويقول في أواخر جمادى أول ، خطأ والصواب جمادى الأولى ، « بضم الجيم » ويقول أول جمادى ثاني ، خطأ والصواب جمادى الآخرة . والشهور كلها في العربية مذكرة إلا جماديين فإذا أضفت قلت شهر جمادى وشهرا جمادى ، ثم يحتم هذه التبعة بقوله سوق حباشة في رجباء ، ولقد بحثت كثيراً في ما وصلت إليه يدي من المصادر والمراجع فميتت وعجزت عن معرفة رجباء ، وعلى ذكر حباشة ورجبواء ، أحببت بهذه المناسبة أن أنقل ما عايناه ياقوت الحموي في البحث عن حباشة .

قال ياقوت الحموي في مقدمة كتابه معجم البلدان ما نصه : « . . . . وكان أول البواعث لجمع هذا الكتاب ، أني سئلت بمرور الشاهجان في سنة ٦١٥ هـ عن « حباشة » - اسم موضع جاء في الحديث الشريف وهو سوق من أسواق العرب - فقلت : أرى أنه حباشة بضم الحاء قياساً على أصل هذه اللغة ، لأن الحباشة الجماعة من الناس من قبائل شتى ، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئاً ، فانبرى لي رجل من المحدثين وقال : إنما هو بالفتح ، وصمم على ذلك وكأبر وجاهر بالعناد من غير حجة وناظر ، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل ، إذ لا معول في مثل هذا على اشتقاق

ولا عقل ، فاستقصيت كشفه في غرائب الأحاديث ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي مرو يومئذٍ ، وكثرة وجودها في الوقوف ، وسهولة تناولها فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشعب والمراء ، ويأس مع وجود بحث واقتراء ، فكان موافقاً والحمد لله لما قلته ، ومكيداً بالصاع الذي كلته ، فألقي حينئذٍ في روعي افتقار العالم لكتاب في هذا الشأن مضبوط ، وبالإتقان وتصحيح الألفاظ محوط ، ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً وإلى ضوء الصواب داعياً وشرح صدري لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون ، ولم يهتد لها الغابرون .

ولم يمكن تقدير ما كان في متناول يد ياقوت الحموي من الكتب منذ سبعمائة وخمسين سنة ، ألف كتاب ؟ خمسة آلاف ؟ وضاعفها إن شئت ، ومع هذا فقد تجشم عناء البحث الطويل حتى ظفر بما يعد اليوم من أوثق المصادر وأكمل المراجع التي يعتمد عليها العلماء والكتاب الباحثون .

ومصنف المنجد في الأدب والعلوم ، وقد شرع بجمع كتابه في عام ١٩٣٠ يستطيع أن يستعين في سهولة بـ ١١٨٠٠٠ كتاب مطبوع و ٣٠٠٠ مخطوطة في المكتبة الشرقية لجامعة القديس يوسف كما نص عليها في الصفحة ٥٠٩ ، ومع كل هذه الكفايات المتيصرة له فقد لا يستطيع أن تقع على الصحيح السليم في نصوصه ورواياته ، ولا سيما في ماله علاقة بالتاريخ العربي والإسلامي إلا في النزر اليسير منها .

وفي ص ٢٨٨ عند ذكره شرقاوة قال اسم يطلق على جماعة من المربيط ، خطأ والصواب من المرباطين ، والكلمة من المرباطة ، أي ملازمة ثمر العدو ، والمرباط بفتح الباء وكسرهما موضع ربط الدواب ، والمربيط الثمر اليابس وقيل الربيط الراهب . (اللسان) .

وفي ص ٣١٣ يقول « الضحّاك بن قيس الشيباني الخارجي من القريين إلى معاوية أودعه الخليفة المختصر وصيته لابنه يزيد ، فتح الكوفة وواسط والموصل وهزم في نصيبين عبد الله بن مروان ، ثم انهزم أمامه ، قتل في وقعة كفر تونا أو الحيرى ٧٤٦ » . وهذا النص حافل بالتشويش والأخطاء . ونفنده بما يلي :

الضحّاك بن قيس الشيباني ما عرفه معاوية قط ولم يكن ولد بعد في زمن معاوية ، وهو زعيم حروري خلف سعيد بن بهدل سنة ١٢٧ هـ بايع له الشراة ، قصد أرض الموصل ثم شهرزور ، وحاصر واسطاً واحتل هذه المدن ، وقد تاهز جيشه في هذه الفترة مائة ألف ! قصده الخليفة مروان ابن محمد الأموي « آخر خلفاء بني أمية » بجيش كثيف فالتقى بنواحي كفر تونا من أعمال ماردين ، وقتل في المعركة ، وقد خرج الضحّاك هذا في أواخر دولة بني أمية وكان الاضطراب قد عم البلاد وضعفت منزلة الدولة حتى ان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وكان والي العراق ، وسليمان بن هشام ابن عبد الملك كانا بايعاه وصلّيا خلفه . قال الجاحظ يصفه ، ويبدو أنه اجتمع إليه : من علماء الخوارج ملّك العراق .

فأين ، بل من أين جاء بهذه الرواية الغريبة يجعل معاوية يوصيه بابنه يزيد ومعاوية هو الذي أسس الدولة الأموية ؛ ومروان بن محمد هو الذي انتهت دولة بني أمية في أيامه . وهو الذي خرج عليه الضحّاك الشيباني ، وقوله عبد الله بن مروان تلفيق إذ ليس يوجد أحد بهذا الاسم ، وقوله وقعة كفر تونا خطأ والصواب كفر تونا بالثاء المثلثة لا بالنون الموحدة .

ولقد اختصرت بتفنيده ماورد في بيان هذا النص ، لأبين مبلغ ما تورط فيه المؤلف خلط بين هذا الضحّاك الشيباني وضحّاك آخر ، وإن يكن مأسأبيه عن الثاني ليس من موضوعنا . وذلك أن معاوية كان يعتمد على

الضحاك بن قيس الفهرري القرشي ، وكان قد وجهه في جيش وأمره أن يسير في البلاد ويقتل من وجده من شيعة علي بن أبي طالب ، وهو وبسر ابن أوطاة صنوان بالتسكيل بشيعة علي . والضحاك هذا قام خطيباً يوم مات معاوية فقال : إن ابن هند توفي وهذه أكفانه على المنبر ، ونحن مدرجوه فيها واخلشوه بينه وبين ربه ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة ، وهو الذي غسله ودفنه ، ثم ولأه يزيد دمشق ، ولأه كذلك مروان بن الحكم ، ولما خرج عبد الله بن الزبير وبايعه الناس بدا أن الضحاك كان مذبذباً ، فكان إذا جاءتة اليانية وشيعة بني أمية أخبرهم أنه أموي ، وإذا جاءتة القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير . فلما اجتمع له ثلاثون ألفاً من القيسية أعلن بيعته لابن الزبير ، التقى به حسان بن مجدل ، وكان على فلسطين بجيش ٧ آلاف في مرج راهط بمركة أسفرت عن قتله وتفرق جماعته .

وفي ص ٣١٨ عند ذكر طبقات الشعراء يقول اشتغل عليه الكثيرون ، خطأ ، والصواب اشتغل به واشغل ، وشغل به . يقال اشتغل به وشغل به وأنا شاغل به ، (الاسان) .

وفي ص ٣٢٩ عند ذكر عاد قال سكن الأقحاف ، خطأ والصواب سكنوا الأقحاف وهي الرمال بظاهر بلاد اليمن ، منازل عاد .

وفي ص ٣٤٣ يقول عثمان بن فرعون بن حبيب أبو السائب ، من قريش ومن أقدم الصحابة ... الخ . وفي هذا سقطة حاطمة ، ليست فقط بسبب بحثي الطويل عن جميع من سمي بثمان في قريش وغيرهم ، بل عن فرعون ، الذي لا يعبر إلا الله كيف نسب إلى قريش ، ولا يجوزي الله المؤلف عني ما يستحق عني ما عتاني طول البحث في المصنفات العربية عن هذا « الفرعون » الذي لم يسه عن ضبطه « بكسر الفاء وسكون الراء وفتح العين وسكون

الواو بعدها نون» حتى إذا بُسِّت وقنطت هذاني طول التأمل إلى البحث في دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية التي يقول في مقدمة هذا المنجد أنه يعتمد عليها ، وإذا بي أجمع به هناك ، وإذا به مظهر ، عثمان بن مظهر ، ولما كانت مظهر تكتب بالفرنسية Mazoun فقد نقلها مزعون ، ولما عرض عليه التصحيح بدا له أن « مزعون » ليس اسماً مألوفاً ، وإذا كان رسمه يشبه رسم « فرعون » قدثر اسم فرعون صحيحاً ، وهكذا مسخ مظهر هذا المسخ المنكر .

وتذكرني هذه المناسبة ببناء أحد المتماثلين ، فقد قرأ حديثاً فقال : روى فلان عن فلان عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عن رجل ، وكان أحد المستمعين الفطنين حاضراً فقال : من أين جعلت لله شيخاً ؟ فقال : هذا الكتاب بين يدي ، ولما اطلع على الحديث إذا به عن جبريل عن الله عز وجل ، وإذا كانت الكلمتان الأخيرتان تشبهان « عن رجل » بالرسم ، رواهما على قدر فهمه ، كما ترجم مؤلفنا « مظهر » بمسوخة بفرعون .

وفي ص ٣٥٤ يقول : ابن العلاء أبو عمر زبان ، بضم العين وفتح الميم من عمر خطأ والصواب عمرو بفتح العين وسكون الميم وراء بعدها واو عمرو الزائدة ، وبضم الزاي من زبان خطأ والصواب بفتحها ، ثم يقول انه علق على أشعار العرب ، الشروحات . خطأ والصواب الشروح . ومما تجدر إليه الإشارة أن ابن العلاء ورد اسمه في عدة مواضع من هذا الكتاب في ص ٣٤٠ و ٣٥٢ و ٣٥٣ وكلها مضبوطة على الخطأ فمرة ابن الأعلاء ومرة زبان بياء مثناة وأخرى بضم الزاي وتضعيف الباء المفتوحة وتارة عمر بن العلاء ... الخ . واسمه الصحيح ، هو أبو عمرو بن العلاء زبَّان .

( يتبع )

منبر العمادي





# التعريف والنقد

## تاريخ الأدب العربي

( الجزء الأول )

الأدب القديم

من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية

صنعه الدكتور عمر فروخ البيروني

عضو الجمع العلمي العربي بدمشق

إذا كانت الكتب توضع لمنفعة ، فهذا الكتاب من أنفعها ، وإذا أريدت  
لاروعة ، فهذا الكتاب من أروعها ، وإذا كانت للمتعة فكتابنا هذا من  
أمتعها ، وإذا كانت للاستيعاب والجمع ، فتاريخ الأدب العربي هذا ، من  
أكثرها استيعاباً ، وأكبرها جمعاً .

يقع الكتاب في قرابة ثمان مئة صفحة ، وفيه الحديث على أربعة وسبعين  
ومئة شاعر وخطيب . اشتمل على خلاصة وافية من أخبارهم ، وطائفة صالحة  
من أقوالهم وأشعارهم ، نقلها أصح نقل ، وشكلها أضبط شكل ، وعلق  
عليها بتفسير موجز للألفاظ ، وشرح موضع المعاني الآيات ، وقد طبع  
الكتاب طبعاً حسناً ، على ورق جيّد ، نجاء ممتعاً في ما احتواه ، أيقناً في  
مظهره ومجلاّه .

يقول الدكتور (١) في مقدمة كتابه :

« هذا كتاب في تاريخ الأدب العربي ، يقرّب الموضوع للدارسين الباحثين ، وييسر ذخائر الجانب الوجداني من الأدب العربي للمطالعين . »

« إن الكتب في تاريخ الأدب العربي ليست قليلة ، ولكنها كلها تمر في العصور ، فتختار عصرًا تتكلم عنه ، ثم تضرب عليه مثلاً من بضعة شعراء : ثلاثة أو أربعة ، أو اثني عشر من الشعراء المعروفين عادةً في المملّقات أو القريين من شعراء المملّقات .

إن هذا الكتاب يتناول من الجاهليين وحدهم شعراء كثيرين ، وخطباء قليلين يزيدون على خمسين . . . . . »  
إلى أن يقول :

« . . . . . إن نفرًا من الدارسين للأدب العربي يُجرون دراساتهم على الأسلوب الإفرنجي ، وكلما وجدوا اختلافًا بين الأديين ، أجالوا أقلامهم وألسنتهم في الأدب العربي ، ومالوا على القديم منه ، يريدون أن يتبدلوا به الجديد من الأدب الفرنجي ، أما أنا فلا أحفل في هذا الكتاب ، إلا بالأدب العربي الذي عاش .

لقد عرفتُ الجاهلية ، وعرفتُ العصران : الأموي والعباسي ، ثم عرف العصر الأندلسي ، أنواعاً في الأدب كثيرة ، يسمونها جديدة ثم ماتت . فلا أنا حفلت بهذه الأنواع في الأدب القديم ، ولا أنا حافل بها كثيراً في الأدب المعاصر .

(١) اجتهدنا كثيراً في أن نضع « العليم » في موضع « الدكتور » واستعملناها برهة في الماملات الرسمية والتنظييات المدنية . غير أننا على صحة معناها ودقته ، وخفة لفظها ورواقه ، لم نترزق حظ البقاء ، فانت أو كادت . (ع)

على أن الجديد سيجد مكانه في هذا الكتاب مادام جيداً لا يخالف  
العقيدة العربية . »

هذه صورة مجملة لهذا الكتاب . تصفه قطعة من مقدمته : فيها كثير  
من الرأي الناضج ، والنقد الصحيح ، ينتقل بعدها المؤلف إلى « تمهيد »  
في اللغة والأدب وخصائصها ، ثم في « الأعصر السياسية والأدبية » يتحدث  
فيها عن « اللغة واللهجات » وعن « الكتابة » و « التدوين » وعن « انتشار  
اللحن بعد الإسلام » ، ولا يغفل ذكر المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه .  
ويقسم تاريخ الأدب العربي ، ثمانية أقسام ، متباعدة لما جرى عليه  
أكثر المؤرخين لهذا الأدب .

١ - العصر الجاهلي . ٢ - عصر الخضرمين . ٣ - العصر الأموي .  
٤ - العصر العباسي ( بحقة الثلاث : حقة بغداد ، حقة الدويلات ،  
الحقة السلجوقية ) . ٥ - العصر الأندلسي . ٦ - العصر المغولي .  
٧ - العصر العثماني . ٨ - العصر الحديث .

وبعد هذا يتناول بحثه : بلاد العرب وأحوالها الطبيعية والاجتماعية .  
فيلمح بحياة القبيلة ، ثم ب مقام المرأة ، وبالحياة الروحية ، والحياة السياسية  
والتفوذ الأجنبي .

وينتهي من هذا إلى صلب موضوعه ، وهو الحياة الأدبية . يبدأ بالعصر  
الجاهلي ، فالعصر الإسلامي ، فالأموي ، ثم العباسي . وفيه يختم الحديث  
عن الأدب العربي في هذا الجزء .

وقد يصلح هذا الكتاب أن يكون - لما جمع بين دفتيه من آثار رائعة ،  
وحكم جامعة ، ومن أبيات أئيات ، وخطب بيتات - معلة يرجع إليها ،  
ويعتمد في حسن الرواية عليها .

وفي هذا الكتاب من القصائد القصصية ، الموحدة الموضوع ، المتسلسلة الأسلوب ، ما يدفع التهمة عن الشعر العربي ، بأنه خلو بمجموعه من جمال القصة ، فقير إلى الوحدة الموضوعية التي تربط بين البيت والبيت ربطاً محكماً متناسقاً ، وأن القصيدة العربية - على ما زعموا - مجموعة أبيات ، مستقل كل بيت بنفسه عما يسبقه ، منفرد بذاته عما يلحقه ، فلا يضرب القصيدة أن تقدم في أبياتها أو تؤخر .

وهو نقص زعموه في الشعر العربي ، وأكثروا من الخوض فيه ، والاستشهاد عليه .

فجاء كتاب الدكتور فروخ - في كثير من القصائد - يضعف هذه الحجة ، كما جاء ليقول لأصحاب الأدب الحق ، هذا هو الشعر العربي الأصيل ، لا ما يهرفون في هذا العصر ويخرفون ، ثم يسمون هذا الهراء شعراً ، وجل الشعر عن أن يكون شيئاً من هذا .

وبعد ، فإن كتاب « تاريخ الأدب العربي » ، لا تفي حقه كلمة تكتب عنه ، ولكن من حقه أن يُقرأ من ألفه إلى يائه ، ليعرف ما بذله صاحبه من جهد وعناية ووقت ، في تأليفه وتنسيقه ، حتى جاء فريداً في أسلوبه ، وحيداً في شموله ، وفي بلاغته ، وفي ما فيه من حسن الاختيار .

وقد يحسن بكل عربي ، ولا سيما الحاكمين ، أن يقرأوا قصيدة كعب ابن جعيل التعلبي ففيها لنا عظة وعبرة : يقول واصفاً العرب : وكانوا في يومهم ، في مثل ما نحن فيه ، في يومنا :

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| أرى الشام تكره ملك العراق | وأهل العراق لهم كارهونا     |
| وكل لصاحبه مبعض           | يرى كل ما كان من ذاك دينا   |
| إذا ما رمونا رميناهم      | ودناهم قبل ما يقرضونا       |
| وقالوا : علي إمام لنا     | فقلنا : رضينا ابن هند رضىنا |

وقالوا: نرى أن تدينوا لنا      فقلنا لهم: لا نرى أن نديننا  
ومن دون ذلك خراط القتاد      ووطنٌ وحربٌ يُقرُّ العيوننا  
وكلُّ يسرٍ بما عنده      يرى غثٌ ما في يديه سمينا (١)  
وله في يوم صفين :

أصبحت الأمة في أمر عجب      والمثلث مجموع غداً لمن غلب  
أقول قولاً صادقاً غير كذب      إن غدا تهلك أعلام العرب  
غداً نلاقي ربنا فنتحسب      غداً يصيرون رماداً قد ذهب

★ ★ ★

ونرى أن الأستاذ كان في غنى عن استعمال ألفاظ وتعبيرات ماعرفتها  
المصور التي كتب المؤلف كتابه عنها منها :

الامبراطورية الإسلامية — أعضاء البيت المالك — البلاط .

ونخالفه في رأيه في أرجوزة العجاج المشهورة . قال الأستاذ :

« إن في هذه القافية عيباً ، هو أنها تجمع قوافي ثقيلة مشددة نحو :  
( برّ ، فرّ ) ، وقوافي خفيفة مهملة نحو : ( شكر ، شجر ، غفر ) .

أما أن يُعد اختلاف القوافي بين ماستاء ( ثقيلة ) و ( خفيفة ) من  
عيوب القافية ، فلسنا من رأيه . ولا نرى في القوافي المشددة من الثقل ،  
مارآه المؤلف ، فأى ثقل في ( برّ ) من قوله :

عهدٌ نبى ماعفا وما دثر      وعهدٌ صديق رأى برّاً فبرّ

(١) وسمع أحد الإخوان هذه الأبيات فعلق عليها بقوله :

ونحن الى اليوم في حالة      كحالة آباءنا الأولينا  
في كل قطر لنا دولة      نقول لظامع فينا : إلينا  
خلاف على تانهات الأمور      يبيع في النفس حقداً دفيناً  
إذا أغضب الله ما نحن فيه      فقد سرّ صهون والغاصينا

وفي (فر) في قوله :

بكل أخلاق الشجعان قد مهتر معاود الإقدام قد كبر وفرة  
ويرى الأستاذ أن محمداً في قول الراجز :

محمداً واختاره الله الخبير فما وني محمداً مذ أن عتقر

ان (محمداً) بفتح الحاء في الأصل المطبوع ، لعلها محمداً بكسرتين لأنها بدل  
من النبي في السطر السابق .

والمبت السابق هو :

بالقتل أقواماً وأقواتاً أسر تحت الذي اختار له الله الشجر

نقول : إن الأصح ما جاء في الأصل المطبوع ، ذلك أن الراجز بعد أن  
جاء بالاسم الموصول للدلالة على الرسول (ﷺ) عاد يصرح بالاسم تصريحاً  
يراد به البيان أو التفسير والتبرك .

فكأنه يقول :

أردت محمداً — أو عنيت محمداً — أو قصدت . . . .

★ ★ ★

وبعد ، فهذا كتاب سدّ نقصاً كان في تاريخ الأدب العربي . فجزى الله  
الأستاذ خيراً عن أمته ولقته وآدابه .

عارف السكري



## وثائق جديدة

عن الثورة السورية الكبرى

( ١٩٢٥ - ١٩٢٧ )

( دار الكتاب الجديد ) بيروت ١٩٦٥

إن هذا الكتاب يشتمل على جزء خطير من تاريخ الثورة السورية الكبرى ( ١٩٢٥ - ١٩٢٧ ) وهي في الحقيقة من أجد صفحات التاريخ التي مسطرها العرب بعد الحرب العالمية الأولى .

والمؤلف هو الأستاذ القانوني والمؤرخ الصادق السيد ظافر القاسمي ، ولقد خدم بكتابه هذا العرب والتاريخ والأدب أجل خدمة ، وذلك باعتماده على ( سجل أحكام المجلس العدلي الفرنسي ) الذي حاكم المجاهدين وقضى بالقتل على كثير من الشهداء ، وقد ترجم المؤلف الأحكام الصادرة من هذا المجلس ترجمة صادقة أظهر بها حوادث التاريخ ووقائع الثورة ، واستدل بها على خصائص الزعماء والشهداء ، وبطولات وطنه القومي الجميل ، وأضاف إلى هذا السجل ذكرياته الشخصية ، وحقّق كثيراً من أيام الثورة الغر المحجّلة بسؤال من عاشوا تلك الأيام ، وعلّق على تلك الأحكام الفرنسية تعليق قانوني عادل ، واستنطق ألفاظ تلك الأحكام ومدلولاتها ، ومنها ما يشعر بإعجاب قضاة ذلك المجلس العدلي الفرنسي بأعمال بعض رجال الثورة الدالة على بطولة وإخلاص للوطن ومفاداة ضربوا بها المثل الأعلى في ثورات الأمم . وتعليقات المصنف واستنتاجاته تدل على تعمّق في الحقوق مع الإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه ، ولو أنه كان أجنبياً كقوله عن رئيس المجلس أنه كان من خيار الفرنسيين المدنيين الذين هبطوا أرض الوطن ، سليم الوجدان

أميل إلى الحرية منه إلى الإرهاب ، خفيف الظل ، حار النكتة وحاضرها ، وكثيراً ما نبي أنه كان يحكم في قضايا سياسية ، فيغلب عليه طبعه ، وتصدر عنه بعض العبارات التي تتم عن ديمقراطية أصيلة .

ويمتاز هذا الكتاب كسائر ما كتب المؤلف باللفظ المختار الموثق والأسلوب السلس المشرق كقوله في إنصاف المرأة العربية المشامية : « وعلى الرغم من هذا كله ، لم تحل هذه الحواجز دون مشاركة المرأة للرجل في الواجب الديني أو القومي ، فنهضت على قدميها وتركت أولادها في بيتها وهاجرت في سبيل الله ، وربما عادت في المساء لتجد أولادها قد طووا النهار على الطوى لا تبالي نكالا ولا عذابا ، وهذا الوسام الذي قلّدها إياه المجلس العدلي من دواعي فخارها وأسباب زهوها وبواعث اعتزازها بأنها لم تخلق لجر الذبول ، وإنما خلقت معه لقرع الطبول ، وملاقاة الفرسان على ظهور الخيول !

وقد أنصف المصنف في هذا الكتاب رجالاً سوّدت السياسة الحزبية صحائفهم وجردتهم من العواطف الوطنية والقومية ، كرضا باشا الركابي والدكتور عبد الرحمن شهنندر ، وقد شهد لهم سجل المجلس العدلي بتلك العواطف النبيلة والمواقف العريية الجليلة ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، وقد كنت أظن المؤلف من أنصار حزب الكتلة المتعلّبة في تلك الأيام ، وإذا بي أراه في صفحات كتابه يفاخر بالرجال الذين حكم المجلس العدلي الفرنسي عليهم بالإعدام ، ويثني على أعمالهم القومية أطيب الثناء ويرقص قلبه طرباً ويترشح عجباً وسروراً بشهادة الأعداء كقولهم في حكم الإعدام على الدكتور شهنندر في المادة (ك) مانصه : ( وحيث إنه مهيّج الثورة وروحها ، وانه في جميع القرى التي ينتشر فيها التراخي أو التشييط أو الانقطاع عن العمل الثوري ، كان الشهنندر دوماً هو الذي يسارع متمجّلاً ليهيّج الناس وليستمروا ... ) .



ثم يعلق المؤلف على هذه المادة بقوله :

وكم شرف المجلس الفقيد الشهبندر يوم اعتبره « مهيّج الثورة وروحها »  
فما كان لأي رجل وطني في أيّ قطر من أقطار الدنيا وفي أي عصر  
من العصور أن يطمع في أعظم من هذا الشرف العظيم ؛ فمن كان ( روح  
الثورة ) فهو الثورة كلها بقضيتها وقضيتها وبخيلها ورجلها ، وعددها وعندها  
ورجلها وسلاحها ، ومتى كان للجسم قيمة إذا فقد الروح . ونتيجة لهذا  
الوصف المجيد ، كان الشهبندر هو الذي يسارع متعجلاً إلى جميع القرى  
التي ينتشر فيها التراخي أو التثييط أو الانقطاع من العمل الثوري ليهيئ  
الناس ويستمروا (١) ...

ولم يقف المجلس عند هذا الحد فاعتبر الشهبندر هو الذي حمل الثورة إلى  
قلب دمشق نفسها .... فما أعظم هذا الرسام الذي قدمه المجلس لهذا  
الرجل المجاهد :

أما رضا باشا الركابي فقد كان من عظماء القواد في الجيش التركي ومن رجال  
الإدارة والسياسة ، وكان مضرب الامثال في العفة والأمانة بين الرجال ،  
ولو أنه سلك مسالك غيره من الولاة والقواد لترك خلفه لأولاده ثروة كبيرة ،  
وكل من اتصل به ، وعرفه الفقيد مخلصاً لعروبه كان يروح له بما في قلبه  
الذي يضطرم اضطراماً بحب أمته وبنفس أعداء العرب ، ومما يشرفه ما جاء  
في حكم الفرنسيين على آل البكري بالإعدام بقولهم :

« وحينئذ ان فوزي البكري قد ذهب إلى جبل الدروز منذ ١٤ آب  
١٩٢٥ مع نسيب البكري ويحيى حياقي ، وتهيئاً مع فريق من البدو أرسلهم  
رضا الركابي ومع ٤٠٠ فارس درزي للسير نحو دمشق ... »

(١) وقد كنت ممن رافق الدكتور شهبندر مع جماعة من أنصاره إلى جبل العرب ،  
وألقي فيه خطاباً بركانيّة كثيرة ، وألقيت فيه قصيدة ميمية في المعاني التي أشتملت  
عليها الخطب الشهبندرية .

وعلق الأستاذ على هذا بقوله : والذي يتضح من الحكم أن فوزي البكري قد تهيأ مع فريق من البدو أرسلهم رضا الركابي ومع ٤٠٠ فارس درزي للسير نحو دمشق ، فقد برّ الركابي رحمه الله بوعده ، ووفى للدمشقي بعهده ، وجاء العون إلى المجاهدين .

ولقد أنصف بني معروف بقوله : « وإذا كان الدروز عامة من أشد الأقوام بأساً في القتال وأهزهم بلموت وأكثرهم استخفافاً به ، لا سيما إذا كانوا متجمعين ؛ ومما قاله في معركة المزرعة منصفاً الأمير حسن الأطرش : فلقد روي عن الأمير حسن الأطرش ، وكان يومئذ في ريعان فتوّته وإبان شبابه أنه كان فارس ذلك اليوم ، وأنه تقدم الصفوف بعد أن ستر وجهه بعباءته وبعد أن ترك لجواده يقوده وحده إلى القتال أي إنه هجم على العدو معصوب العينين ليحجب عن بصره صورته ، ولئلا يداخل نفسه أي لون من ألوان الخوف .

قلت وقد سمعت عن بسالة هذا الأمير الشيء العجب الكثير فهو في السلم ممتاز بلطفه وأنسه ، وهو يوم الوغى كليث عيقرين يبطشه وشدة بأسه . إن المؤلف من القضاة المحامين ، وللقاضي المنطقي موهبة صحة الحكم والعدل الفاصل بين الحق والباطل ، وإنك في كل فصل من فصول الكتاب ، أو في كل صفحة أو باب ، تطلع على بيّنة من صدق الحكمة وصحة الاستدلال ، ولولا خوفي من الإسهاب والإملال لأتيت بفقرات وشواهد ناطقة ، واستمع لما يوجب إليك حكمه على موقف المحامين السوريين في المجلس العدلي ، قال : إني أرى أن المجلس العدلي قد شهد لهم هذه الشهادة الذهبية فقال : ( وحيث إن هؤلاء الشهود ، أبعد من أن يناههم اليوم ، كما قل ذلك بعض محامي الدفاع ) .

قال المصنف : والذي أتصوره من هذه الفقرة المقتضبة أن شهوداً قد جاؤوا يشهدون على المتهمين بأنهم قد رأوهم يوم الحادثة ، وأن محامي الدفاع قد نالوا من هؤلاء الشهود ورأوا في شهادتهم ما يدعو إلى مهاجمتهم فما كان لهم أن يشهدوا على مواطنهم ، والموضوع يتعلق بحياة أمة ، لا في حادث فردي فقاموا ينددون بهم ويحرجونهم ويذهبون إلى أبعد من هذا كله فيوجّهون اليهم اللوم . . . إنهم يلومون مواطناً شهد على مواطن ، وذلك لعمري غاية ما تبلغه الوطنية .

وإذا كنت لم أعرف أسماء هؤلاء المحامين ، فلني أرحي إليهم تحية الإكبار والإعجاب أحياء كانوا أم أمواتاً ، تحمل إلى هذه الأسرة التي كرمني الله بأني أحد أفرادها ، وساماً من أرفع أوسمة الشرف الأكبر ، الذي أرجو أن يحافظوا عليه ، ما بقي في دنيانا قضاء . وما بقيت تحت سماءها محاماة ! ولا جرم أن هذا الوسام خليق بأن يتألق ويتباهى بتعليقه على صدر المؤلف الذي انتصر في كتابه هذا للفضائل ، وانتفض غضباً على الدنايا والردائل ، ولست لعمري ، وإن حشرت له آيات الشناء ، بقادرٍ على إيفائه ما يستحقه من عبارات المديح والإطراء ، فبارك الله فيه وعليه وأكثر في القضاء والكتاب من أمثاله .

قالوا إن الجمال معرض أبداً لإصابة العين الحسود ، والجميل في حاجة إلى عيب يقيه أذى تلك العين ، فلعل من أمثال ذلك العيب ، وكثير من عيوب الطبع ، ما جاء في الصفحة ٣٠ ( ومحاولة اغتيال غورو ) والصواب : اغتيال باللام لا بالراء ؛ ومنه ما جاء في الصفحة ٤٣ ( والثورة تغلي فالرجل ) والصواب : الذي لا يخفى : كالرجل ؛ ومنه في الصفحة ٥٩ ( أراد عمروا ) والصواب : عمرًا بدون هذه الواو الفارقة بين عمرو وفتح العين وعمر بضمها ،

فإن تنوين عمرو يغني عن زيادة الواو، وعمر الممنوع من الصرف للعلمية والعدل لا يعرب ولا ينون؛ ومنها ما جاء صفحة ٧١ (وتجريدكم من أسلحتهم) والصواب: من أسلحتهم؛ وفي الصفحة ٧٨ (من الوفود الذي يحج إلى الزعيم) والصواب: الوفود التي تحج إلى الزعيم؛ وجاء في الصفحة ١٠٢ (أما الأحكام فلا تخرج في مضمونها ونحوها) والصواب: ونحوها بالفاء لا بالنون؛ وفي الصفحة ١١٢ (إن الحرق يزداد اتساعاً) والصواب: الحرق بالخاء المعجمة. ومن السهو الذي لا يحتاج إلى سجود ما جاء في الصفحة ١٠٥ (ارتكب ساراي أمراً إدثاً في أوائل القرن العشرين خالف فيه عن الشرف) والصواب: خالف فيه الشرف أو حاد فيه عن الشرف؛ وفي الصفحة ١١٨ (ولم يرد عدد المجاهدين على المسين) والصواب: لم يزد؛ وفي الصفحة ١٥٢ (فأرسل قوة إلى برغن وهي مزرعة درزية صغيرة تخص آل شمسي) بياء النسب، والصواب: آل شمس، وهم لا يزالون وجوه برغن وما حولها؛ وفي الصفحة ٢١٦ (توجد مع كان داخلها) ولعل الأصل كان: (توجد مع مَنْ كان داخلها)؛ وجاء في الصفحة ٣٠٨ أن (أحمد مريود الذي قتل في ٢١ أيار ١٩٢٦) والصواب: في ٣١ أيار، كما جاء التاريخ صحيحاً في الصفحة ١٢٧ من هذا الكتاب.

ويحسن بنا أن نختتم هذا الكتاب النفيس الجدير بمطالعة كل شامخ وعربي بمشاركة المؤلف في ترجمة (Pauperisme) بعسرة الكادحين، وهي كما جاء في معجم ليرته تفيد وجود عدد عديد من الفقراء في دولة ما، فعلى الدولة إطعامهم ومكافحة فقرهم، وهي كما جاء في معجم لاروس لفظة انكليزية من أصل لاتيني (Pauper) وهي (Pauvre) بالفرنسية بمعنى الفقير، فاللفظة بمعنى الافتقار أو الاعتزاز، والفقير المعتز هو ذو الحاجة يطيف ولا يسأل كما جاء في الصباح قال تعالى: ﴿وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ وَالْمُعْتَزَّ﴾، وإذا أراد

الله يقوم أو دولة سوءاً رماهم أو رماها بالبؤس بمعنى الفقر والضرر ، كما قال تعالى : ﴿ أَخَذْنَاهُم بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾ ، قال الزجاج : البأساء الجوع والضرءاء في الأموال ، فالبأساء مرض الفقر الاجتماعي الذي تسكخفه الدولة . لقد بلغ الأستاذ الظافر في ثروته العلمية والأدبية النصاب ، أي القدر الذي تجب فيه الزكاة ، وهو بتأليف هذا الكتاب الوطني النفيس قد أدنى زكاة علمه جزاء الله عن ملته وأمته خيراً ، ومثل هذا فليعمل العاملون .



التوفى

## كتاب تحفة الأشراف ، بمعرفة الأطراف

الإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج ، يوسف بن الزكي عبد الرحمن

ابن يوسف المزي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ

معجم مفهرس لمسانيد الصحابة والرواة عنهم ، وموسوعة علمية لجميع أحاديث الكتب الستة الصحاح

## ومعه : النكت الظراف ، على الأطراف

تعليقات الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

الجزء الأول : أبيض بن حمّال الحميري - إلى : أنس بن مالك القشيري

نشرته الدار القيمة بهبوندي بمباي الهند

إن أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد . وإعدادهم إلى حسن المعاد ، هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن ما ينتفع به في الآخرة لا سبيل إلى معرفته إلا بنور النبوة ، وهي قوة وراء قوة العقل ، يدرك بها من أمر الغيب في الماضي والمستقبل أمور ، لا على طريق التعرف بالأسباب العقلية ، بل إنه ( ﷺ ) أفاض في ذكر ما أوحى إليه من صلاح العباد ، في

معاشهم ومعادهم ، ولذلك كان رحمة للعالمين ، فهو لم يترك شيئاً مما يقرب من الجنة ورضاء الخالق ، إلاّ دلهم عليه ، وأمرهم به وحشهم عليه ، ولا شيئاً مما يقرّبهم إلى النار ، وإلى سخط الله إلاّ حذرهم منه ونهاهم عنه ، وذلك في العلم والعمل جميعاً وقد قال صلوات الله عليه : « نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ، فأداها كما سمعها » رواه أصحاب السنن وغيرهم ، بطرق كثيرة . وضع الكتاب في أطراف الكتب الستة وهي : الجامع الصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وجامع الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه ، وبعض لواحقها .

والغرض الأساسي من وضع الكتاب هو جمع أحاديث الكتب الستة بطريقة يسهل على القارئ معرفة أسانيدھا المختلفة مجتمعة في موضع واحد . وفي أول الكتاب مقدمة جلتى بقلم مصححه وطابعه والعلق عليه الأستاذ عبد الصمد شرف الدين ، وهي في علم الحديث وحكمته وفائدته ، وعدم الاستغناء عنه في فهم الكتاب العربي ، وتوجيه أنظار الأبناء إلى هذه الثروة العظمى التي خلفها لنا الآباء ، وأورثونا إياها ، لنعيد بها العهد الأول ، الأغر المحجل ، وذكر النشء بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - أعظم حاكم ديمقراطي في الإسلام ، - فإنه كان يكتب إلى جميع عماله في الآفاق : « إن أهم أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ الدين كله ، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع » . وفي المقدمة وصف جامع لمقاصد الكتاب ، وهو يقع في عشرة أجزاء ، وهذا الأول منها ، وعدد صفحاته أكثر من ( ٤٥٠ ) صفحة ، « وقد قسم المصنف جميع أحاديث الكتب الستة ، مُسنّدها ومُمرّسها وعددها ١٩٥٥٩٥ مع المكرّرات ، - إلى ١٣٩٥ مسنداً ، منها ٩٩٥ مسوياً إلى الصحابة رجالاً ونساءً - رضوان الله عليهم ، مرتباً أسماؤهم على حروف المعجم ، عن النبي ﷺ ، والباقي من الرسائل

وعدها ٤٠٠ ، منسوبة إلى أئمة التابعين ومن بعدهم على نسق حروف المعجم أيضاً ، قال الأستاذ شرف الدين : أما أرقام المسانيد والأحاديث ، فليست من أصل كتاب المصنف ، بل من ترقيمنا ، هذا هو التقسيم العمومي لأحاديث الصحاح الستة ، ومنه يعرف عدد الأحاديث المروية عن كل صحابي على حدة . ( قال ) : وقد ألحقنا في أول هذا المجلد فهرساً كاملاً لأسماء جميع من ترجم له المصنف فيه ، مع قيد الصفحات ، وعدد أحاديث كل مترجم .

### الأطراف :

وبعد كتب لفظ « حدث » ينقل المصنف طرفاً من أول الحديث يدل به على بقية لفظه ، ومن هنا سمّي الكتاب بـ « الأطراف » والقطعة المنقولة إما من قوله ( ﷺ ) إن كان الحديث قولياً ، أو من كلام الصحابي إن كان فعلياً ، أو بالإضافة كقوله : حديث العُزَينين ، ويتلوه في الغالب لفظ ( الحديث ) أي اقرأ الحديث إلى آخره . ولا بدء من ضبط أحاديث « الأطراف » بقيد « الأبواب » زيادة على ذكر المصنف لـ « الكتب » من الأمهات الست ، فقد قننا بهذه المهمة نيابة عن المصنف ، تسهيلاً للقراء .

### ( كتاب الكشاف ) :

ثم قل الأستاذ عبد الصمد : وحيث إنه يتعذر مراجعة أصول الأمهات للكشاف عن كتبها وأبواب كتبها ، ولكون الأصول المطبوعة غير مرقومة الكتب والأبواب عموماً ، ولما عسى يوجد من اختلاف أرقام الأبواب والكتب وأسمائها وترجمها في نسخ الأصول المختلفة ، رأينا من المناسب عمل دليل عام لفهارس كتب الأصول الستة ، وأبوابها مع رقم كل كتاب وباب ، وسميها « الكشاف » ، عن أبواب مراجع تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف .

## ملخص فوائد « الأطراف » :

وختم الطابع مقدمته هذه بنقله - عن المحدث الجليل الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة تحت هذا العنوان - ست فوائد لكتب الأطراف ، وهي لقطة العجلان ، يعود بها إلى أصولها الستة ومراجعتها ، ويظفر بالمطلوب ويرى كتب السنة سهلة المطالعة والمراجعة ، ويدعو لأتمتها بالمغفرة والرضوان .

وقد اعتذر الأستاذ الطابع بطول مقدمته ، عن بيان « النكت الطراف » وكتاب « الإشراف » المنوه بها . واكتفى بطابع ثلاث صفحات من صور المخطوطات المهمة الثلاث ، وإحداهن نسخة الأستاذ الشير الشيخ محمد نصيف ، واعدأ بوصفهن في مقدمة الجزء الثاني إن شاء الله تعالى ، فנסأله سبحانه أن ييسر طبع هذه الأجزاء العشرة لتكون مرجعاً من أهم المراجع لكتب السنة ، وأن يجزي كل من أعان على طبعها ونشرها أفضل الجزاء ، بتمه وكرمه .

محمد بن محمد البيطار





## ملاحظات على ماورد في ديوان

( ابن النقيب )

في المتن والحاشية

لو لم تكن لي حوثة في آل الجندي الأكارم - والأستاذ أحمد الجندي الشاعر والأديب منهم ، وله مكانته في عالم الشعر والأدب - ما جرؤت على إبداء هذه الملاحظات على بعض ماورد في ديوان ( ابن النقيب ) الذي قام الأستاذ جزاه الله خيراً بمراجعته وأشرف على طبعه . وما أريد من هذه الملاحظات إلا لفت نظر الأستاذ ليس غير ، وأحسب انه كانت منه نظرة عجيلى حين مراجعته الديوان والإشراف على طبعه . فكان من هذه العجلة ما شجعتني على الإسهام في إيضاح وشرح بعض ما رأيت محتاجاً للشرح والإيضاح ويقينى من عتاب الأستاذ الفاضل يقينى أنه يجذ تحري الصواب والإرشاد اليه .

واليك الآن الملاحظات .

الصفحة ١٢ السطر الأخير - ( البهار ) . في القاموس ( نبت طيب الرائحة ، وكل حسن ) وفي المصباح ( الطيب ومنه قيل لأزهار البادية : بهار ) . قلت : ( بهار ) فارسية ومعناها : الربيع . ولعل العرب استعملوها للأزهار إطلاقاً ، لطيب ريحها .

ص ٢٨ - ( مُردقوس ) . أصل الكلمة ( مَرَزْ تَكُوش ) من الفارسية بالكاف الفارسية : نبتٌ عربيته سمسق ( لاشمشق كما جاء في السطر ) . اسمه باللاتينية *Origanum majoranoides* Welld وبالفرنسية *Origan ; marjolaine*

وهو من الرياحين .

ص ٤٣ — سناب : الصحيح : (سينوب) وهي مرفأ على البحر الأسود من الشاطيء الأنضولي .

ص ٤٤ (٣) — لم يُذكر الرقم ولا الشرح لـ (قيسارية) .

ص ٤٤ (٤) — (ينكي) . هذه الكلمة بهذه الحروف لا توجد بالتركية . إنما هي (يكي) بالكاف المنوَّنة وتقرأ (يني) ومعناها : الجديد . ولا مبرر للشاعر أن يُدخل (ك) على كلمة من أصل تركي ليس فيها هذا الحرف . فله أن يلفظها (يكي) بالكاف العربية كما يلفظ المصريون (بكباشي) بالكاف العربية بدلاً من (بنباشي) توهماً منهم أن الكاف عربية . وليس لشاعر أن يضيف حرفاً رابعاً على كلمة غير عربية كما في (ينكي) ليستقيم له الوزن . نعم (يجوز للشاعر ما لا يجوز للنائر) — (لا التجاوز) — وفي حدود مقبولة معقولة .

ص ٤٤ السطر الخامس — خانية . الصحيح (حانية) بالخاء المهملة .

ص ٤٦ — (أفديك لا تسرف في هجر من) . غير مفهوم ولم يُذكر له أي شرح أو تصحيح .

ص ٥٧ (٢) — الصوالج (جمع صولجان أي العصا . . . إلخ) . فمن التشبيه المقبول أن تكون سُويِّقات القرنفل خضراً كالزمرّد عليها القرنفل كرات ياقوت . وأما شرح (الصوالج ، بالفضة الخالصة) فلا وجه له هنا .

ص ٩٥ (٥) — قيود ، صح (أي متبختر) ، فلا حاجة إلى تبديلها إلى (ميود) بالمعنى ذاته .

ص ٩٩ (٣) — ينقل الرقم (٣) إلى كلمة (بند) (٣) .

ص ١٠٨ السطر الثالث — لعل الصحيح : (مزرّدا) من الزمرّد ، إذ لا معنى لـ (مزرّدا) .

ص ١٢٩ (٣) — رقم (٢) يوضع فوق كلمة (منبرا<sup>(٢)</sup>) ويحذف من فوق (جوهرا) .

ص ١٥٢ (١) — الناورد ، كما في الأصل ، أصح من ( الماورد ) المصححة . لأن ( الناورد - فارسية ومعناها البارزة ، والحرب ... الخ . ) . فالغنى يناسب لمن يدور في فلك البارزة أو الرقص - ولا ملاءمة لـ ( الماورد ) في ( ملعب الخيل ، كما جاء بالبيت الذي قبله ) . فالناورد يوافق البارزة و ( الجَمْبَرَة ) وهذه من الفارسية ( جان باز ) أي اللاعب المخاطر بروحه أو حياته .

ص ١٦٦ (٢) — عن ( دوبيت ) : الوزن بالتركية هو ( مَفْعُولٌ مَفَاعِيْلٌ مَفَاعِيْلٌ مَفْعُولٌ ) . فأبها الصحيح ( فِعْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ فَعِلُنْ ) الوارد في الصفحة ذاتها أم الذي ذكرته وهو المأخوذ عن الفارسية ؟

ص ١٩٤ (١) منجك باشا (١) — يجب نقل الحاشية من ص ١٩٣ إلى ص ١٩٤ .

ص ١٩٤ (٢) — اعل الصحيح ( التَّجْيِيع ) للماء كمة ( يرشح ) بدلاً من ( السَّفْيِيع ) .

ص ٢٠١ (٧) — الصحيح ( تنساح ) بالحاء المهملة . من ( ساح الماء جرى على وجه الأرض ، والظِّلُّ فاء . أو من : انساح باله اتَّسع . ) فعنى البيت إذن : تتسع أضواؤه أو تبعد أو تنتشر وهو المقصود .

ص ٢٠٥ (١) — ( البصوي ) لم تذكر له ( ترجمة ) في الحاشية .

ص ٢٤٢ (٢) — ما قولكم بـ ( مَكْوَفَر ) بدلاً من ( مَكْفَر ) التي لها معان شتى إلا الاشتقاق من الكافور ؟ ألا ترون اشتقاقنا ( مكوفر ) ، كما قالوا معصفر ، أدل على المقصود ؟ ولعل هذا من خطأ النساخ في الأصل .

ص ٢٤٢ (٣) — لم يوضع شرح في الحاشية . فيجب إما طيها أو وضع شرح .  
 ص ٢٤٤ (١) — لعل الشطر هكذا : ( يَكْ مَذْ تَقْلُصْ بيننا الترسال )  
 مَذْ بدلاً من ( من ) فيتضح المعنى . وهذا من خطأ النساخ في الأصل  
 على ما أظن .

ص ٢٤٥ (٣) — ( فِرَاخْ قَطَاةِ ) بفتح القاف وبتاء مربوطة بالآخر  
 ( لا بالطاء - قِطاط - ) وهي من خطأ النساخ في الأصل . فيتضح المعنى  
 المقصود ولا تبقى حاجة إلى أي تعليل .

ص ٢٧٩ (١) — ( شطانات ) من خطأ النساخ . لعلها : شَطَّانْ ، بدون  
 ألف وتاء مفتوحة ، وهي جمع ( شَطْءُ النهر ) أو ( شَطَّانْ مِثْلُ شَطْءِ ) .  
 وشجرات الصفصاف ، كما هو معلوم ، تنمو على شطبي النهر أو شَطَّانْ  
 الأنهار وبهذا يستقيم معنى الجملة .

ص ٣٠٥ (٢) — كان الأجدر أن يقال في الشرح ، في الحاشية :  
 ( من : آية قرآنية كريمة ) أو ( محاكاة للآية الكريمة ) لأن جزء الآية الكريمة هو ،  
 كما جاء في سورة الفرقان - الآية ٣٧ : ﴿ وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى  
 يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [ ففيها ( يا )  
 قبل ( ليتني ) ، وليس فيها ( كنت ) قبل ( اتخذت ) . هذا والآيات الكريمة  
 محفوظة مصونة ، فيجب أن تذكر كما هي وإلا فلا بد من القول ( محاكاة لها ) .

السكواكبي



## ديوان رشيد الهاشمي

طبع بمطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٦٤ ، جمعه وعلق عليه عبد الله الجبوري

عدد الصفحات ( ١٦٠ ) من القطع المتوسط

هذا ديوان لشاعر عراقي معاصر ولد في نهاية القرن الماضي ( ١٨٩٦ م ) وتوفي عام ( ١٩٤٣ م ) فكان له من العمر سبعة وأربعون عاماً نظم خلالها عدداً من القصائد جمعها وعلق عليها وشرحها الأستاذ عبد الله الجبوري بعد وفاة الشاعر بمدة طويلة .

يبدأ الديوان بالإهداء إلى البطل العظيم « صلاح الدين الأيوبي » ثم بمقدمة نفيسة ضافية للعلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهذه المقدمة تعطيك صورة صادقة واضحة عن الشاعر ، وبلي ذلك تمهيد يتضمن حياة الشاعر وديوانه . وينتهي الديوان برؤية حزينة من نظم شقيق الشاعر السيد محمد الهاشمي بكى فيها أخاه ومن ذلك قائمة بالمراجع التي استعان بها جامع الديوان ثم ثبت للفهارس مؤلف من : فهرس للأعلام ، وللأمكنة والبقاع وللتصويبات ثم لمواضيع الديوان .

أما شعر الشاعر فأميل إلى التأنة والقوة فهو من جماعة الرصافي لا من أصحاب الزهاوي ، والفرق بين هاتين المدرستين ظاهر ، فالمدرسة الرصافية كانت من حيث اللفظ معنية بالقوة والجزالة والتقعر أحياناً ، كما كانت ، من حيث الفكرة ، ميالة للهجوم والعنف والجرح ، على حين كانت مدرسة الزهاوي أقرب إلى التجديد ؛ تبرر بعض التساهل في التعبير اللغوي والوزن العروضي وكانت في آرائها أميل إلى المحاسنة والملاينة .

وديوان هذا الشاعر البائس يذكرنا بقصة بائسة دامية من قصص الشعراء الذين دهبوا ضحية فنهم ، وضحية التناقض بين أمرجتهم وزمانهم .

أحمد الجندي



# آراء وأنباء

## أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

— ٥ —

(٥٢)

مادّة زرم — زردم

كل فعل رباعيٍّ مُخْرَج من فعل ثلاثي زيادة مُطلقة أي من غير تقيّد بحروف الزيادة التي يجمعها قولك أهويت الثمنان ( وعددها أحد عشر ) مثل زردم وقمور وجرثم وترمس ، يحدّث ابن منظور حرفته الثالث زائداً فيورد زردم في مادّة زرم لافي زرد وجرثم في مادة جرم لافي جثم وترمس في مادّة ترس لافي ترمس — حسباً للجميع مثل قمور وفي أفعال قليلة جداً يسهو فيخالف اصطلاحه .

أمّا اصطلاحه فعلى غير مبدلٍ لأنّ المبدأ الصرفي يقضي بذكر الرباعيّ الزيد المطلق ( وهو الذي سمّوه المجرّد الرباعي ) في آخر مادّة الفعل الثلاثي الذي أُخرج منه زيادة حرف — مثاله ترس — بذكره في ترس — ولكن ترمس من رسم وفي التاج « إن تاءه زائدة لأنه من رسم الشيء ستره وبقي المادّة فيه ما يدل على ذلك . » اهـ .

اللسان يضع زردم في مادة زرم والواجب أن يكون في آخر زرد :

زردمه = خنقه ؛ زردّه = ابتلعه

زردمه = خنقه ؛ الزردمة = الابتلاع

وَأَمَّا زَرِمَ فَبِهِ يَقُولُ : زَرِمَ الْكَلْبُ وَالسَّبَّاحُ بَقِي جَعْرُهُ فِي دَبْرِهِ .

زَرِمَ = الْبَيْعُ = انْقَطَعَ .

زَرِمَهُ فَتَقَرَّ = قَطَعَ عَنْهُ الْخَيْرَ .

الزَّرْمُ = الْوِلَادَةُ « أَلَا لَعْنُ اللَّهِ الَّتِي زَرَمَتْ بِهِ » .

فَمِنْ أَيْتِهَا أُخْرِجَ زَرِمَ أَمِنْ زَرِمَ أَمْ مِنْ زَرَدَ ؟

عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ الْمَعَاجِمِ الَّذِينَ ذَكَرُوا زَرِمَ فِي آخِرِ مَادَّةِ زَرَدَ فَتَرَمَّيْتَهُمْ مِنْ غَيْرِ زَرِمَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يوردون كل رباعي على ترتيب أحرفه فيصيبون متى كانت الرابع زائداً كما يصيب صاحب اللسان متى كان الزائد ثالثاً . مثاليه جهر فاللسان يذكره في آخر مَادَّةِ سَجَمَرِ ( عَلَى مُصْطَلَحِهِ ) فيصيب وغيره ذكره في آخر مَادَّةِ جَمِه ( عَلَى التَّوْبِيحِ ) فَأَخْطَأَ لِأَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فَعْلَ جَمِه .

★ ★ ★

( ٥٣ )

مَادَّةُ دَعَكَ — دَاكَ — دَاعَكَ .

فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ أَعَادَ التَّفْسِيرَ ( مَعَ التَّفَرُّعِ مِنْهَا ) الَّذِي أوردته فِي مَادَّةِ دَاكَ وَلَمْ يَقُلْ كَلِمَةً وَاحِدَةً عَنْ دَاكَ وَدَاعَكَ . فَبِإِزَاءِ هَذِهِ الْغَلَاظَةِ بَرَزَ الْمَصْحُوحُ وَلَمْ يَكْتَفِ أَنْ يَقُولَ هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ( رَاجِعِ النِّبْذَةَ ٤٩ ) بَلْ قَالَ « هَكَذَا بِالْأَصْلِ وَلَا مَحَلَّ لِهَذِهِ الْعِبَارَةِ هُنَا بَلْ مَحَلُّهَا مَادَّةُ دَاكَ » . وَالظَّاهِرُ أَنَّ فَعْلَ دَاكَ غَيْرُ مَوْجُودٍ فَلَا ابْنَ مَنْظُورٍ وَلَا الْمَجْدُ وَلَا الرَّخْمَرِيَّ وَلَا الَّذِينَ نَقَلُوا عَنِ الْجَوْهَرِيِّ وَالْمُرْتَضِيِّ ذَكَرُوا هَذَا الْفَعْلَ ( الْإِسَانُ ذَكَرَهُ خَطَأً وَلَمْ يَفْسِّرْهُ ) عَلَى أَنَّ الْإِسَانُ فِي تَفْسِيرِهِ لِنَاقَةِ مُوَاشِكَةٍ يَسْتَشْهَدُ بِالْبَيْتِ الْآتِي :

حَقِيَّةٌ سَرَجِيهِ بَدَنٌ وَدِرْعٌ وَتَحْمِيلُهُ مُوَاشِكَةٌ دَوُولَةٌ

هذه لفظة غير واردة في المعاجم - دؤوك - فَمَعُول بمعنى الفاعل من  
كَأَكْ - فعلى فرض أنه لم يقع غلط لا في الرواية ولا في النسخ ولا في  
الطبع ، نسأل « مامعناها والمعجمات لا تذكر مادتها ؟ » .

الأقرب إلى المعقول أن نرجع إلى الأصل الثنائي ( المركب الثنائي في  
الجدول الثالث كما أثبت في مكان آخر [ مجلة الكلية ١٩٤٩ حزيران - تموز  
بالانكليزية العصبية الأندلسية السنة الأولى ص ٣٨٣ ] .

فلنرجع إلى الأصل الثنائي دأ الذي تخرج منه أفعال ثلاثية بزيادة حرف  
يكون لام الفعل - فيدل الثنائي على المعنى العام والحرف الزائد على المعنى الخاص ،  
دأداً = سار بسرعة .

دأب = جد واستمر .

دأض = امتلاء جلد البدن [ أي أن الدابة أحسنت معاملتها ] .

دأظ = مثل دأض .

دأل = مشى مشياً شيطاً .

دأم = دَعَم .

فالمعنى العام في دأ القوة ، النشاط عدم الكلال . فماذا نستنتج لدؤوك ؟  
« القوة المستمرة على نشاطها » .

متى وُجِدَ النص بطل الاجتهاد . ولكن إذا عَدِمنا النص فما لما  
غير الاجتهاد - والنص يجب أن يكون صحيحاً مقبولاً والاجتهاد واضحاً معقولاً .

★ ★ ★

( ٥٤ )

مادة غمط - غمَاط .

قال : « قال ابن بري يقال له كَمَطَ وأغمَاط وغمَاط - قال الشيخ جليل :

علامات كتجوير التَّمِاط » .



لا شك في أن غمطاط مطبعية . ولكن « لا مطبعيات في المعاجم »  
ومررت عين المصحح عليها ولم تَرَها . فيقول كثيرون من المكابرين إذا جادلوك  
« أنا قرأتها في لسان العرب » .

★ ★ ★

(٥٥)

مادة ع ل ق — علقنة .

قال « وعلقت نفسه الشيء في علقنة وعلاقية وعلقنة ( بكسر العين  
وفتح اللام ) . قال فقلت لها والنفس متي علقنة \* ( بفتح العين وكسر  
اللام ) — الحركات في التفسير والبيت متناقضة ولا سبيل إلى الضبط إلا  
بعرضها على أوزان السيوطي ( هذه ولا شك مطبعية ولكن ... ) .

★ ★ ★

(٥٦)

قال أصحاب محيط المحيط والأقرب والبستان : « علقت الإبل من العشاء  
رعتها من أعلاها وأكلت منها بأفواهها » فعجبت من اكتشافهم أن البهايم  
تأكل بأفواهها ، غير أنني فطنت إلى أنهم نقلوا عن الفيروزبادي فألفت  
المجد مكتتباً بقوله « رعتها من أعلاها » فطلبت اللفظة في اللسان فوجدته  
يقول « رعتها من أعلاها وتناولتها بأفواهها » .

لا شك في أن اللسان أخطأ في طريقة التفسير بزيادته « وتناولته بأفواهها » .  
كان كافياً له ما كفى الفيروزبادي . ولكنه زاد وزيادته تخريج [ لا يجوز  
المعجم أن يفسر بجمل تحتاج إلى تخريج لكي تفهم ] وتخريجه هو هذا :  
معنى تناول أيضاً وصل إليه وأخذه أو بلغه ، فالإبل استطاعت أن . « تنال »

أعلى الشجر من غير إمالة الراعي للأغصان أو قطعها - وما كان أغنانا عن هذا التخريج وعن التعبير الذي دفع إليه - رعتها من أعلاها « كافية . كلمة تناولت مفتح للتخريج ولكن الذين نقلوا انتقلوا من تناول بمعنى أدرك أو بلغ إلى تناول الطعام بمعنى أكله فقالوا وأكلت منها بأفواهها فسدوا مفتح التخريج كأنهم أصرّوا على أن الأكل إنما يكون بالفم . والذنب على ابن منظور !

★ ★ ★

(٥٧)

مادة ن غ ص -

قال :

« لا أرى الموت يسبق الموت شيئاً نغص الموت ذا الغنى والفقير فأظهر الموت في موضع الإضمار .

معنى الإظهار في موضع الإضمار أنه كرّر لفظة الموت بعد يسبق بدلاً من قوله يسبقه - ومتى كان الضمير (هـ) للنصب وجب أن يقول الموت (فتحة على التاء) ومتى كانت لفظة الموت مفعولاً به صارت لفظة شيء فاعلاً فيصير البيت لا أرى الموت يسبق الموت شيء . والمعنى يقتضيه .

★ ★ ★

(٥٨)

مادة برد .

قال : « قال حسّان :

يسقون من وردد البريص عليهم  
بردى تصفّق بالرحيق السائل

أي ماء بردى « اه .

ما هو فاعل تُصَفِّق (فاعل مؤنث) ؟

الصحيح يُصَفِّق (فعل المجہول نائب فاعله مذكر) .

فيكون المعنى « ماء بردى يُمزج بالراحيق » .

★ ★ ★

(٥٩)

التهاون بضبط التسمية :

(١) يُسَمِّي الحرف الأول همزة - والألف موضعها بين الواو والياء - وهذا صحيح - قال ابن فارس مفاخرأ « والعرب أول من همز » وقصد أنه الوحيدون الذين وضعوا علامة ( حرفاً لهمز الصوت والوحيدون الذين همزوا في وسط الكلمة وفي آخرها » . وابتدأ ابن منظور ترتيب معجمه بقوله : حرف الهمزة - فصل الهمزة : أبناً . . . . » إلى آخر الباب . ثم قال حرف الباء فصل الهمزة : أب . ومع الحاء قال باب الهمزة مرةً وفصل الهمزة مرتين - وقال فصل الهمزة في القسم الأكبر - ولكنه عاد إلى تسمية الحرف الأول بالطريقة العبرية السريانية الفينيقية فقال فصل الألف في الأبواب الآتية : الثاء الزاي السين الشين الصاد الضاد الطاء العين الغين القاف الكاف النون .

توفيق داود قربان

(سنڀولو)

يتبع :



## هدية قيمة

أهدى الأستاذ الفاضل السيد غري البارودي خزانة كتب ثينة إلى  
المجمع العالمي العربي بدمشق وقد بلغ عدد ما فيها نحواً من أربعائة كتاب  
كما أهدى مجموعة نفيسة من الكتب والمجاميع الموسيقية النادرة مع مخطوطاته  
الخاصة لذلك قرر المجمع أن يشكر للأستاذ البارودي أريحيته وغيrote على العلم.



## أغلاط مطبعية وتصوييات

| صفحة             | سطر     | غلط                     | صواب                       |
|------------------|---------|-------------------------|----------------------------|
| ٧١٦              | ١       | فيها                    | فيها                       |
| ٧٤٠              | ٢       | Impulsion               | Impulsion                  |
| ٧٥٢              | ٢       | قانون البلاغة وأضاف     | قانون البلاغة إليه ، وأضاف |
| ٧٥٢              | ٩       | يصححا                   | يصححانه                    |
| (٢)              |         |                         |                            |
| ٨٠٧              | ١       | شعره ومذهبه الفني       | شعره ومذهبه الفني          |
| ٨٣١              | ٢       | وريقة الجنية (٢)        | وريقة الجنية (١)           |
| ٨٣١              | ٧       | مصطفى الشهابي (١)       | مصطفى الشهابي (٢)          |
| ٨٣١              | آخر سطر | البوقصاء                | البوقيصا                   |
| ٨٣٦              | ٣       | لم ينتبه إلى تصوييه ( ) | لم ينتبه إلى تصوييسه فهو   |
| هرطان بالراء ( ) |         |                         |                            |
| ٨٤٣              | ٧       | راتنجي                  | راتنجي                     |



## فهرس المجلد الأربعين الجزء الأول

| صفحة |                                                |
|------|------------------------------------------------|
| ٥    | المجمع العلمي العربي بدمشق                     |
| ١٨   | لغة العلم                                      |
| ٢٤   | لم يصفوا صاحب الأغاني                          |
| ٣٠   | اختلاف المردم مع سيويه                         |
| ٤٦   | أبو الطيب بنز على موضوعه                       |
| ٦٢   | مخطوطة معاني الشعر للأشناداني                  |
| ٨٣   | ابن بطوطة                                      |
| ١٠٩  | مفعول - مفاعيل                                 |
| ١١٧  | قاضي قضاء بغداد وأثره في الفقه الإسلامي        |
| ١٣٧  | حقائق التاريخ وأواعد البناء                    |
| ١٤٥  | العلم في العصر الأموي                          |
| ١٥٣  | لغة علمية                                      |
| ١٦١  | صفحات من تاريخ الاستقراي (١)                   |
| ١٧١  | الكلام الولد في معاجنا الحديثة                 |
| ١٨٧  | المجم العربي                                   |
| ٢١٥  | تحقيق لنوي في الصيغ والاستعمالات               |
| ٢٣٤  | الوهراني ورقته عن مساجد دمشق                   |
| ٢٥٧  | المرية وشقيقتها السريانية الوفية               |
| ٢٦٦  | أمين الرضائي وأثر القرآن الكريم في شعره النثور |
| ٢٩٥  | ابن هشام أنحى من سيويه                         |
| ٣١٠  | المعاجم اللغوية بين ماضيها وحاضرها             |
| ٣٢٣  | أبو حيان التوحيدي                              |
| ٣٢٩  | مكتب عنبر                                      |
| ٣٣٤  | ملاحظات وتعليقات على دراسة تحليلية عن دعبل     |

### التعريف والنقد

|     |                                    |
|-----|------------------------------------|
| ٣٢٩ | للأستاذ محمد بهجة البيطار          |
| ٣٣٤ | للأستاذ عبد الصاحب الدجالي الخزرجي |

### آراء وأنباء

|     |                                                                  |
|-----|------------------------------------------------------------------|
| ٣٤٥ | انتخاب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي) |
| ٣٤٦ | تجديد انتخاب أمين مجمع اللغة العربية بدمشق                       |
| ٣٤٧ | أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م         |
| ٣٥٠ | أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق الراحلون                        |
| ٣٥٤ | بيان ماحققة مجمع اللغة العربية بدمشق في دورة (١٩٦٣ - ١٩٦٤)       |
| ٣٥٨ | مفروعات المجمع لدورة (١٩٦٤ - ١٩٦٥)                               |

## الجزء الثاني

### صفحة

|     |                                                   |           |                              |
|-----|---------------------------------------------------|-----------|------------------------------|
| ٣٦١ | سوانح في اللغة والمصطلحات                         | • • •     | الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي |
| ٣٦٩ | بهايا المصاح                                      | • • • • • | لأستاذ شفيق جبري             |
| ٣٧٥ | أدب الفقه (٣)                                     | • • • • • | لأستاذ عبد الله كنون         |
| ٣٨٣ | صفحات من تاريخ الاستعراق (٢)                      | • • •     | للككتور محمد كامل عباد       |
| ٣٩٤ | المصطلحات الفلسفية (٢٢)                           | • • •     | للككتور جيل صليبا            |
| ٤٠٦ | نظرات في المعجم الوسيط (٩)                        | • • •     | للككتور عدنان الخطيب         |
| ٤١٦ | استدراكات ومقترحات                                | • • •     | لأستاذ عارف السكدي           |
| ٤٢٢ | كلمات من المغرب الأقصى                            | • • •     | لأستاذ عبد القادر زمامه      |
| ٤٣٠ | مصطلحات شدياقية                                   | • • •     | لأستاذ طاهر الفاسمي          |
| ٤٥٢ | الشيخ عبد القادر المغربي (جانب مجهول من سيرته)    | • • •     | لأستاذ محمد رضا الشيباني     |
| ٤٥٧ | نظرة في معجم المصطلحات الطبية: استعراك وتهذيب (٨) | • • •     | للككتور حسني سبيح            |
| ٤٧٦ | ومضات من التاريخ                                  | • • •     | الأستاذ سامي الكيالي         |
| ٤٩٢ | شعر دعل في نظر القدامى والمحدثين                  | • • •     | للككتور عبد الكريم الأشتر    |

## التعريف والنقد

|     |                              |       |                           |
|-----|------------------------------|-------|---------------------------|
| ٥٠٨ | فصول في اللغة والأدب للفاسمي | • • • | لأستاذ عز الدين التبوخي   |
| ٥١٢ | رحلة إلى المغرب الأقصى       | • • • | لأستاذ الأمير جعفر الحسني |
| ٥١٣ | عصر النبي عليه السلام        | • • • |                           |
| ٥١٤ | شعر الزاوي الميري وأخباره    | • • • | لأستاذ أبو طالب زيان      |
| ٥١٧ | كتاب الحبيسة                 | • • • |                           |
| ٥٢١ | جمهرة المغنين                | • • • |                           |

## آراء وأنباء

|     |                                                    |           |                                  |
|-----|----------------------------------------------------|-----------|----------------------------------|
| ٥٢٤ | مصطلحات جدد لكلمات أفريقية                         | • • •     | للككتور محمد صلاح الدين الكواكبي |
| ٥٣٣ | أشئلة من الأغلاط الواغعة في لسان العرب (٣)         | • • •     | لأستاذ توفيق داود فريان          |
| ٥٣٦ | في دائرة المعارف الإسلامية ، أغلاط مطبعية وتصويرية | • • • • • |                                  |

## الجزء الثالث

### صفحة

- ٥٣٧ توحيد المصطلحات العلمية العربية . . . . . للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
- ٥٤٦ لسان بشار . . . . . للأستاذ شفيق جبري
- ٥٥٧ نظرة في معجم المصطلحات العلمية: استمداد الوصف (٩) . . . . . للدكتور حسني سبيح
- ٥٧٦ صفحات من تاريخ الاستغراق (٣) . . . . . للدكتور محمد كامل عياد
- ٥٨٨ نظرات في المعجم الوسيط (١٠) . . . . . للدكتور عدنان الخطيب
- ٦٠٨ الدخيل في العربية . . . . . للدكتور ابراهيم السامرائي
- ٦١٥ مصطلحات جدد لكلمات افرنجية (٢) . . . . . للدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
- ٦٢١ شيخ شيوخ حاة الصرف الأعصاري (١) . . . . . للدكتور عمر موسى باشا
- ٦٢٣ أغلاط المعجم (١) . . . . . للأستاذ منير الميادي
- ٦٢٤ طور على معجم الأدباء (١) . . . . . للأستاذ عبد العزيز الميمني

### التعريف والنقد

- ٦٦٠ المعجم القانوني (انكليزي - عربي) . . . . . للدكتور عمر النور
- ٦٦١ ديوان أدبية الشرق والمروية . . . . .
- ٦٦٥ معجم الموسيقى العربية . . . . .
- ٦٦٢ ديوان السلطان سليمان بن سليمان النيهاني . . . . . للأستاذ أحمد الجندي
- ٦٦٨ أبو الشعثبة . . . . .
- ٦٧٠ ابن نباتة المصري . . . . .
- ٦٧٢ النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ . . . . .

### آراء وأنباء

- ٦٧٤ حول رؤية ابن بطوطة لابن تيمية . . . . . للأستاذ عبد الله كنون
- ٦٧٦ مغارات سامية . . . . . للأستاذ ألفرد غيوم
- ٦٧٨ أمثلة من الأغلاط الواقعة في لسان العرب (٤) . . . . . للأستاذ توفيق داود قربان
- ٦٩١ الفضائل القسوية . . . . .
- ٧١٠ ثلاثة فرائد جديدة لجميع اللغة العربية في القاهرة . . . . . للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي